تفسير القرآن العظيم

للإمام الجليل الحافظ عماد الدين أبي الفداء
إسماعيل بن كثير الدمشقي
المتوفى سنة ٧٧٤ هـ

هذه الطبعة أول طبعة مقابلة على النسخة الأزهرية
وكذلك على نسخة كاملة بدار الكتب المصرية

تحقيق

مصطفى السيد محمد
محمد السيد رشاد
محمد فضل العجماوي
علي أحمد عبد الباقي
حسن عباس قطب

المجلد الثالث عشر

مؤسسة قرطبة
طباعة . نشر . توزيع
جيزة - ت : ٥٨١٥٠٢٧

مكتبة أولاد الشيخ للتراث
٣٦ ش اليابان - عمرانية غربية - جيزة
ت : ٥٦٢٨٣١٨ - ٥٦١١٤٤٢

رقم الإيداع : ٩٣٤٩ / ٢٠٠٠

الترقيم الدولى : I.S.B.N
977 - 5234 - 33 - 6

الطبعة الأولى
١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م

كافة حقوق الطبع محفوظة
لمؤسسة قرطبة
للطبع والنشر والتوزيع

الفاروق الحديثة للطباعة والنشر هاتف : ٤٣٠٧٥٢٦ - ٢٠٥٥٦٨٨ القاهرة

تفسير
القرآن العظيم

تفسير سورة الأحقاف

وهي مكية

حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾ مَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَمَّآ أُنذِرُوا۟ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ قُلْ أَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ ۖ ٱئْتُونِى بِكِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ هَٰذَآ أَوْ أَثَٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤﴾ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ ﴿٥﴾ وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُوا۟ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُوا۟ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ ﴿٦﴾

يخبر تعالىٰ أنه نَزّل الكتاب علىٰ عبده ورسوله محمد صلوات اللّه وسلامه عليه دائمًا إلىٰ يوم الدين ووصف نفسه بالعزة التي لا ترام ، والحكمة في الأقوال والأفعال ، ثم قال : ﴿ **ما خلقنا السملوات والأرض وما بينهما إلا بالحق** ﴾ أي : لا علىٰ وجه العبث والباطل ، ﴿ **وأجل مسمىٰ** ﴾ أي : وإلىٰ مدة معينة مضروبة لا تزيد ولا تنقص .

وقوله : ﴿ **والذين كفروا عما أنذروا معرضون** ﴾ أي : لاهون[١] عما يراد بهم ، وقد أنزل إليهم كتاب وأرسل إليهم رسول ، وهم معرضون عن ذلك كله ، أي : وسيعلمون غِبَّ(*) ذلك .

ثم قال : ﴿ **قل** ﴾ أي : لهؤلاء المشركين العابدين مع اللّه غيره : ﴿ **أرأيتم ما تدعون من دون اللّه أروني ماذا خلقوا من الأرض** ﴾ أي : أرشدوني إلىٰ المكان الذي استقلوا بخلقه من الأرض ، ﴿ **أم لهم شرك في السملوات** ﴾ أي : ولا شرك لهم في السملوات ولا في الأرض ، وما يملكون من قطمير ، إنِ المُلْكُ والتصرّفُ كُلّه إلا لله - عز وجل - فكيف تعبدون معه غيره ، وتشركون به ؟ مَن أرشدكم إلىٰ هذا ؟ مَن دعاكم إليه ؟ أهو

(*) الغِبُّ من كل شيء : عاقبته وآخره .

[١] - في ز ، خ: « لاهين » .

أمركم به ؟ أم هو شيء اقترحتموه من عند أنفسكم ؟ ولهذا قال : ﴿ **ائتوني بكتاب من قبل هذا** ﴾ أي : هاتوا كتابًا من كتب الله المنزلة على الأنبياء[١] -عليهم الصلاة والسلام- يأمركم بعبادة هذه الأصنام ، ﴿ **أو أثارة من علم** ﴾ أو[٢] دليل بَيّن على هذا المسلك الذي سلكتموه ﴿ **إن كنتم صادقين** ﴾ أذ[٣] : لا دليل لكم نقليًا ولا عقليًا على ذلك . ولهذا قرأ آخرون : (أو أَثَرَة من علم) أي : أو علم صحيح [يَأثرونه عن][٤] أحد ممن قبلهم ، كما قال مجاهد في قوله : ﴿ **أو أثارة من علم** ﴾ : أو أحد يأثر علمًا. وقال العوفي عن ابن عباس : أو بينة من الأمر.

وقال الإمام أحمد(١) : حدثنا يحيى ، عن سفيان ، حدثنا صفوان بن سُلَيم[٥] ، عن أبي سلمة ابن عبد الرحمن ، عن ابن عباس - قال سفيان : لا أعلم إلا عن النبي صلى الله عليه

(١) - المسند (٢٢٦/١) (١٩٩٢) وإسناده صحيح ، رجاله رجال الشيخين ؛ إلَّا أنه ليس على شرط واحد منهما ؛ فإن رواته صفوان بن سليم عن أبي سلمة لم يخرجها من الستة غير النسائي ، وقد صحح هذا الحديث العلامة أحمد شاكر في « تعليقه على المسند » .

والحديث رواه أيضًا الطبراني في الكبير (٣٦٣/١٠) (١٠٧٢٥) ، وفي الأوسط (٢٦٩) من طريق سعيد بن أبي أيوب ، عن صفوان بن سليم ، عن أبي سلمة ، عن ابن عباس عن رسول الله ﷺ أنه سئل عن الخط فقال : هو أثارة من علم . وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٤/٦) لابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (١٩٧/١) ، (١٠٨/٧) وعزاه لأحمد والطبراني ثم قال : ورجال أحمد رجال الصحيح .

ورواه الحاكم في المستدرك (٤٥٤/٢) من طريق محمد بن كثير العبدى ، ثنا سفيان ، عن صفوان به موقوفًا على ابن عباس ثم قال : « هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ، ولم يخرجاه وقد أُسنِد عن الثورى من وجه غير معتمد » . وقد أقر الذهبي الحاكم في تصحيحه هذا الحديث على شرط الشيخين وهو وهم منهما رحمهما الله - فإن رواته صفوان عن أبي سلمة ليست في الصحيحين ولا في أحدهما كما سبق بيانه .

وقول الحاكم : « وقد أسند عن الثورى من وجه غير معتمد » لا أراه صحيحًا فإنه من رواية يحيى ، عن سفيان ورفع الحديث لا يعد علة ؛ فإنه رواية ثقة فيه زيادة علم وزيادة الثقة مقبولة . وقد رواه أيضًا ابن جرير في تفسيره (٢/٢٦) من طريق أبي عاصم النبيل ، عن سفيان بهذا الإسناد موقوفًا .

ورواه الحاكم (٤٥٤/٢) ، والطبراني في الصغير (٤٧٢) من طريق عمرو بن الأزهر ، عن ابن عون ، عن الشعبي ، عن ابن عباس في قوله : « أو أثارة من علم » قال : جودة الخط ، قال الطبراني : لم يرو هذا الحديث عن ابن عون إلّا عمرو بن الأزهر .

قلت : عمرو بن الأزهر هو العتكي قاضي جرجان ضعفه ابن معين ، وقال البخاري : يُرمى بالكذب ، وقال النسائي وغيره : متروك ، واتهمه أحمد . له ترجمة في الميزان (٤/الترجمة ٦٣٢٨) وذكر هذا الحديث من مناكيره .

[١] - في ز ، خ : « أنبيائهم » .
[٢] - في ت : « أي » . [٣] - في ت : « أي » .
[٤] - ما بين المعكوفتين في ز ، خ : « مما يروونه عن » [٥] - في ز : « حكيم » .

وسلم - : (أو أَثَرَة من علم) قال : «الخط» .

وقال أبو بكر بن عياش : أو بقية من علم .

وقال الحسن البصري : أو أثارة شيء يستخرجه فيثيره .

وقال ابن عباس ومجاهد وأبو بكر بن عياش أيضًا : ﴿ **أو أثارة من علم** ﴾ يعني : الخط .

وقال قتادة : ﴿ **أو أثارة من علم** ﴾ : خاصة من علم .

وكل هذه الأقوال متقاربة وهي راجعة إلى ما قلناه ، وهو اختيار ابن جرير - رحمه الله - وأكرمه وأحسن مثواه .

وقوله : ﴿ **ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون** ﴾ أي : لا أضل ممن يدعو أصنامًا ، ويطلب منها مالا تستطيعه إلى يوم القيامة ، وهي غافلة عما يقول[١] ، لا تسمع ولا تبصر ولا تبطش ، لأنها جماد ، حجارة ، صُمّ .

وقوله : ﴿ **وإذا حشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين** ﴾ ، كقوله تعالى : ﴿ **واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزًّا * كلا سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضدًّا** ﴾ أي : سيخونونهم[٢] أحوج ما يكونون إليهم . وقال الخليل : ﴿ **إنما اتخذتم من دون الله أوثانًا مَوَدّة بينكم في الحياة الدنيا ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضًا ومأواكم النار وما لكم من ناصرين** ﴾ .

وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ
﴿٧﴾ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُۥ فَلَا تَمْلِكُونَ لِى مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَا
تُفِيضُونَ فِيهِ ۖ كَفَىٰ بِهِۦ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۖ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٨﴾ قُلْ مَا كُنتُ
بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ وَمَآ أَدْرِى مَا يُفْعَلُ بِى وَلَا بِكُمْ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ وَمَآ أَنَا۠
إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٩﴾

يقول تعالى مخبرًا عن المشركين في كفرهم وعنادهم : إنهم إذا تتلى عليهم آيات الله

---

[١] - بياض في ز ، خ . [٢] - غير واضحة في ز .

بينات ، أي : في حال بيانها ووضوحها وجلائها ، يقولون : ﴿ هذا سحر مبين ﴾ أي : سحر واضح ، وقد كَذَبوا وافتروا وضَلّوا وكفروا . ﴿ أم يقولون افتراه ﴾ يعنون محمدًا صلىٰ الله عليه وسلم . قال الله : ﴿ قل إن افتريته فلا تملكون لي من الله شيئًا ﴾ أي : لو كذبت عليه وزعمت أنه أرسلني - وليس كذلك - لعاقبني أشد العقوبة ، ولم يَقْدِرْ أحد [من أهل الأرض][١] ، لا أنتم ولا غيركم ، أن يجيرني منه ، كقوله : ﴿ قل إني لن يجيرني من الله أحد ولن أجد من دونه مُلتَحَدًا * إلا بلاغًا من الله ورسالاته ﴾ وقال تعالىٰ : ﴿ ولو تقوّل علينا بعض الأقاويل * لأخذنا منه باليمين * ثم لقطعنا منه الوتين * فما منكم من أحد عنه حاجزين ﴾ . ولهذا قال هاهنا : ﴿ قل إن افتريته فلا تملكون لي من الله شيئًا هو أعلم بما تفيضون فيه كفىٰ به شهيدًا بيني وبينكم ﴾ . هذا تهديد لهم ، ووعيد أكيد ، وترهيب شديد .

وقوله : ﴿ وهو الغفور الرحيم ﴾ : ترغيب لهم إلىٰ التوبة والإنابة ، أي : ومع هذا كله[٢] إن رجعتم وتبتم ، تاب عليكم وعفا عنكم ، وغفر ورحم . وهذه الآية كقوله في سورة الفرقان : ﴿ وقالوا أساطير الأولين اكتتبها فهي تملىٰ عليه بكرة وأصيلًا قل أنزله الذي يعلم السر في السماوات والأرض إنه كان غفورًا رحيمًا ﴾ .

وقوله : ﴿ قل ماكنت بدعًا من الرسل ﴾ أي : لست بأول رسول طرق العالم ، بل قد جاءت الرسل من قبلي ، فما أنا بالأمر الذي لا نظير له حتىٰ تستنكروني وتستبعدوا[٣] بعثتي إليكم ، فإنه قد أرسل الله قبلي جميع الأنبياء إلىٰ الأمم .

قال ابن عباس ، ومجاهد ، وقتادة : ﴿ قل ما كنت بدعًا من الرسل ﴾ ما أنا بأول رسول . ولم يحك ابن جرير ولا ابن أبي حاتم غير ذلك .

وقوله : ﴿ وما[٤] أدري ما يفعل بي ولا بكم ﴾ . قال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس في هذه الآية : نزل بعدها ﴿ ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ﴾ . وهكذا قال عكرمة ، والحسن ، وقتادة : إنها منسوخة بقوله : ﴿ ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ﴾ ، قالوا : ولما نزلت هذه الآية قال رجل من المسلمين : هذا قد بيّن الله ماهو فاعل بك يا رسول الله ، فما هو فاعل بنا ؟ فأنزل الله : ﴿ ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات ﴾ .

هكذا قال ، والذي هو ثابت في الصحيح(٢) أن المؤمنين قالوا : هنيئًا لك يا رسول الله ،

(٢) - سيأتى تخريجه فى أول سورة الفتح / الآية (١) من حديث أنس .

[١] - سقط من : خ .
[٢] - سقط من : خ .
[٣] - في ز ، خ: « وتستبعدون » .
[٤] - في ز ، خ: « ولا » .

فما لنا ؟ فأنزل الله هذه الآية .

وقال الضحاك : ﴿ **وما أدري ما يفعل بي ولا بكم** ﴾ و[١]ما أدري بماذا أومر وبماذا أنهى بعد هذا ؟

وقال أبو بكر الهذلي ، عن الحسن البصري في قوله : ﴿ **وما أدري ما يفعل بي ولا بكم** ﴾ قال : أما في الآخرة فمعاذ الله قد علم أنه في الجنة ، ولكن قال : لا أدري ما يفعل بي ولا بكم في الدنيا ، أخرج[٢] كما أخرجت الأنبياء قبلي ؟ أم أقتل كما قتلت الأنبياء من قبلي ؟ ولا أدري أيُخسف بكم أو تُرمَون بالحجارة .

وهذا القول هو الذي عَوّل عليه ابن جرير ، وأنه لا يجوز غيره ، ولا شك أن هذا هو اللائق به صلوات الله وسلامه عليه فإنه بالنسبة إلىٰ الآخرة جازم أنه يصير إلىٰ الجنة هو ومن اتبعه ، وأما في الدنيا فلم يدر ما كان يئول إليه أمره وأمر مشركي قريش إلىٰ ماذا ؛ أيؤمنون أم يكفرون فيعذبون فيستأصلون بكفرهم[٣] ؟ فأما الحديث الذي رواه الإمام أحمد(٣) :

حدثنا يعقوب ، حدثنا أبي ، عن ابن شهاب ، عن خارجة بن زيد بن ثابت ، عن أم العلاء - وهي امرأة من نسائهم - أخبرته - وكانت بايعت رسول الله ، صلى الله عليه وسلم - قالت : طار لهم في السّكنىٰ - حين اقترعت[٤] الأنصار علىٰ سكنىٰ المهاجرين - عثمانُ بن مظعون فاشتكىٰ عثمان عندنا فمرّضناه ، حتىٰ إذا توفي أدْرَجناه في أثوابه ، فدخل علينا رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ، فقلت : رحمةُ الله عليك أبا السائب ؛ شهادتي عليك ، لقد أكرمك الله . فقال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **وما يدريك أن الله أكرمه ؟** » . فقلت : لا أدري بأبي أنت وأمي ! فقال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **أما هو[٥] فقد[٦] جاءه اليقين من ربه ، وإني لأرجو له الخير ، والله ما[٧] أدري وأنا**

---

(٣) - المسند (٦/٤٣٦) قال : حدثنا أبو كامل ، قال : حدثنا إبراهيم بن سعد (ح) ويعقوب قال : حدثنا أبي ... فذكر الحديث كما نقله المصنف .

ورواه أحمد أيضًا فقال : حدثنا عبد الرزاق ، أخبرنا معمر ، عن الزهرى ... فذكر الحديث إلَّا أنه قال : « ما أدرى وأنا رسول الله ما يفعل بى ولا بكم » .

ورواه البخارى فى « صحيحه » فى كتاب الجنائز ، باب : الدخول على الميت بعد الموت إذا أدرج فى أكفانه الحديث (١٢٤٣) من طريق عقيل ، عن الزهرى مثل رواية أحمد الأولى . وكذا رواه فى مناقب الأنصار ، باب : مقدم النبى ﷺ وأصحابه المدينة حديث ٣٩٢٩) وفى كتاب التعبير ، باب : رؤيا النساء =

---

[١] - سقط من ت .

[٢] - في ز ، خ : « أخرجت » .

[٣] - في ز ، خ : « كفرهم » .

[٤] - في ز ، خ: « أقرعت » .

[٥] - سقط من : ز، خ .

[٦] - في ز ، خ : « ذلك » .

[٧] - في ز ، خ: « لا » .

رسول الله ما يفعل بي ! ». قالت : فقلت : والله لا أزكي أحدًا بعده أبدًا . وأحزنني ذلك ، فنمت فرأيت لعثمان عينًا تجري ، فجئت إلىٰ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم فأخبرته بذلك ، فقال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **ذاك عمله** » .

فقد انفرد بإخراجه البخاري دون مسلم وفي لفظ له : « **ما أدري وأنا رسول الله ما يفعل به** » . وهذا أشبه أن يكون هو المحفوظ ، بدليل قولها : فأحزنني ذلك . وفي هذا وأمثاله دلالة علىٰ أنه لا يقطع لمُعيَّن بالجنة إلا الذي نص الشارع علىٰ تعيينهم ، كالعشرة ، وابن سلام ، والغُميصاء ، وبلال ، وسراقة ، وعبد الله بن عمرو بن حرام والد جابر ، والقراء السبعين الذين قتلوا ببئر معونة ، وزيد بن حارثة ، وجعفر ، وابن رواحة ، وما أشبه هؤلاء .

وقوله : ﴿ **إن أتبع إلا ما يوحىٰ إليّ** ﴾ أي : إنما أتبع ما ينزله الله عليّ من الوحي ، ﴿ **وما أنا إلا نذير مبين** ﴾ أي : بين النذارة ، وأمري ظاهر لكل ذي لب وعقل .

قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِۦ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِۦ فَـَٔامَنَ وَٱسْتَكْبَرْتُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَآ إِلَيْهِ ۚ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا۟ بِهِۦ فَسَيَقُولُونَ هَٰذَآ إِفْكٌ قَدِيمٌ ﴿١١﴾ وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً ۚ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا لِّيُنذِرَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَبُشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾

يقول تعالىٰ : ﴿ **قل** ﴾ يا محمد؛ لهؤلاء المشركين الكافرين بالقرآن : ﴿ **أرأيتم إن كان** ﴾ هذا القرآن ﴿ **من عند الله وكفرتم به** ﴾ أي : ما ظنكم أن الله صانع بكم إن كان هذا الكتاب الذي جئتكم به قد أنزله عليّ لأبلغكموه وقد كفرتم به وكذبتموه ، ﴿ **وشهد شاهد من بني إسرائيل علىٰ مثله** ﴾ أي : وقد شهدتْ بصدقه وصحته الكتب المتقدمة المنزلة علىٰ الأنبياء قبلي ، بشرت به وأخبرت بمثل ما أخبر هذا القرآن به .

= حديث (٧٠٠٣) ، ورواه فى كتاب التعبير ، باب : العين الجارية فى المنام حديث (٧٠١٨) من طريق معمر به ، مثل رواية أحمد الثانية . وفى الشهادات ، باب : القرعة فى المشكلات حديث (٢٦٨٧) ، وفى كتاب التعبير ، باب : رؤيا النساء حديث (٧٠٠٤) بلفظ : « ما أدرى ما يفعل به » .

وقوله : ﴿ فآمن ﴾ أي : هذا الذي شهد[١] بصدقه من بني إسرائيل لمعرفته بحقيته . ﴿ واستكبرتم ﴾ أنتم عن اتباعه .

وقال مسروق : فآمن هذا الشاهد بنبيه وكتابه ، وكفرتم أنتم بنبيكم وكتابكم ﴿ **إن الله لا يهدي القوم الظالمين** ﴾ . وهذا الشاهد اسم جنس يعم عبد الله بن سَلَام وغيرَه ، فإن هذه الآية مكية نزلت قبل إسلام عبد الله بن سلام ، وهذه كقوله : ﴿ **وإذا يتلىٰ عليهم قالوا آمنا به إنه الحق من ربنا إنا كنا من قبله مسلمين** ﴾ . وقال : ﴿ **إن الذين أوتوا العلم من قبله إذا يتلىٰ عليهم يخرون للأذقان سجدًا * ويقولون سبحان ربنا إن كان وعد ربنا لمفعولاً** ﴾ .

قال مسروق ، والشعبي : ليس بعبد الله بن سلام ، هذه الآية مكية ، وإسلام عبد الله بن سلام كان بالمدينة . رواه عنهما ابن جرير وابن أبي حاتم ، واختاره ابن جرير(٤) .

وقال مالك ، عن أبي النضر ، عن عامر بن سعد ، عن أبيه قال : ما سمعت رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم يقول لأحد يمشي علىٰ وجه الأرض : « **إنه من أهل الجنة** » . إلا لعبد الله بن سلام ، قال : وفيه نزلت : ﴿ **وشهد شاهد من بني إسرائيل علىٰ مثله** ﴾(٥) .

(٤) - أمّا الرواية عن مسروق فرواها ابن جرير فى تفسيره (٩/٢٦) أن داود بن أبى هند سئل عن قوله : ﴿ قل أرأيتم إن كان من عند الله وكفرتم به ﴾ ... الآية . قال داود : قال عامر : قال مسروق : والله ما نزلت فى عبد الله بن سلام ، ما نزلت إلّا بمكة ، وما أسلم عبد الله إلّا بالمدينة ، ولكنها خصومة خاصم محمد ﷺ بها قومه .

والأثر ذكره السيوطى فى الدر المنثور (٧/٦) وزاد نسبته إلى ابن أبى حاتم .

وأمّا الرواية عن الشعبى : فرواها ابن جرير (٩/٢٦) من طريق داود بن أبى هند ، عن الشعبى قال : إن ناسًا يزعمون أن الشاهد على مثله عبد الله بن سلام وأنا أعلم بذلك ، وإنما أسلم عبد الله بالمدينة وقد أخبرنى مسروق أن آل (حم) إنما أنزلت بمكة وإنما كان محاجة رسول الله ﷺ لقومه .

وقد ذكر السيوطى فى الدر المنثور (٧/٦) عن الشعبى أنه قال : « ما نزلت فى عبد الله بن سلام رضى الله عنه شيء من القرآن » وعزاه لابن المنذر .

(٥) - رواه البخارى فى كتاب مناقب الأنصار ، باب : مناقب عبد الله بن سلام رضى الله عنه ، حديث (٣٨١٢) ، ومسلم فى كتاب فضائل الصحابة ، باب : من فضائل عبد الله بن سلام ، رضى الله عنه ، حديث (٢٤٨٣) (١٤٧) ، والنسائى فى فضائل الصحابة حديث (١٤٨) ، وأحمد فى مسنده (١/١٦٩ ، ١٧٧) من طريق مالك عن أبى النضر به .

[١] - في ز ، خ : « جاء » .

رواه البخاري ومسلم والنسائي ، من حديث مالك ، به . و[١]كذا قال ابن عباس ، ومجاهد ، والضحاك ، وقتادة ، وعكرمة ، ويوسف بن عبد الله بن سلام ، وهلال بن يَسَاف[٢] ، والسدي ، والثوري ، ومالك بن أنس ، وابن زيد أنهم كلهم قالوا : إنه عبد الله ابن سلام .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **وقال الذين كفروا للذين آمنوا لو كان خيرًا ما سبقونا إليه** ﴾ أي : قالوا عن المؤمنين بالقرآن : لو كان القرآن خيرًا ما سبقنا[٣] هؤلاء إليه . يعنون بلالًا وعمارًا وصُهَيبًا[٤] وخبابًا وأشباههم وأقرانهم من المستضعفين والعبيد والإماء ، وما ذاك إلا لأنهم عند أنفسهم يعتقدون أن لهم عند الله وجاهة وله بهم عناية .

وقد غلطوا في ذلك غلطًا فاحشًا ، وأخطئوا خطأً بينًا ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **وكذلك فتنا بعضهم ببعض ليقولوا أهؤلاء منَّ الله عليهم من بيننا** ﴾ أي : يتعجبون : كيف اهتدىٰ هؤلاء دوننا ؛ ولهذا قالوا : ﴿ **لو كان خيرًا ما سبقونا إليه** ﴾ وأما أهل السنة والجماعة فيقولون[٥] في كل فعل وقول لم يثبت عن الصحابة : هو بدعة ؛ لأنه لو كان خيرًا لسبقونا إليه ، لأنهم لم يتركوا خصلة من خصال الخير إلا وقد بادروا إليها .

وقوله : ﴿ **وإذ لم يهتدوا به** ﴾ أي : بالقرآن ﴿ **فسيقولون هذا إفك** ﴾ أي : كذب . ﴿ **قديم** ﴾ أي : مأثور عن الأقدمين ، فينتقصون[٦] القرآن وأهله ، وهذا هو الكبر الذي قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **بَطَر الحق ، وغَمْص[٧] الناس** »(٦) .

ثم قال : ﴿ **ومن قبله كتاب موسىٰ** ﴾ ، وهو التوراة ﴿ **إمامًا ورحمة وهذا كتاب** ﴾ ، يعني القرآن ﴿ **مصدق** ﴾ أي : لما قبله من الكتب ﴿ **لسانًا عربيًا** ﴾ أي : فصيحًا بينًا واضحًا ، ﴿ **لينذر الذين ظلموا وبشرىٰ للمحسنين** ﴾ أي : مشتمل علىٰ النّذارة للكافرين والبشارة للمؤمنين .

= وقوله : (قال : وفيه نزلت : ﴿ وشهد شاهد من بنى إسرائيل على مثله ﴾ القائل هو مالك ، كما رجحه الحافظ فى فتح البارى (٧/١٣٠) وهذا الزيادة موجودة عند البخارى وحده ولم يذكرها مسلم ولا أحمد والنسائى .

(٦) - تقدم تخريجه فى تفسير سورة لقمان عند الآية (١٩) .

---

[١] - سقط من : ز، خ .

[٢] - في ز : « يسار » ، في خ : « بشار » .

[٣] - في ز : « سبقونا » .

[٤] - سقط من : ز ، خ.

[٥] - سقط من : ز ، خ .

[٦] - في خ : « فتنغصوا » .

[٧] - في ت : « وغمط » .

وقوله: ﴿إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا﴾ تقدم تفسيرها في سور (حم السجدة).

وقوله: ﴿ فلا خوف عليهم ﴾ أي: فيما يستقبلون، ﴿ ولا هم يحزنون ﴾، على ما خلفوا، ﴿ أولئك أصحاب الجنة خالدين فيها جزاء بما كانوا يعملون ﴾ أي: الأعمال سبب لنيل الرحمة لهم وسُبُوغها[١] عليهم.

وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا ۖ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ۖ وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَصْلِحْ لِى فِى ذُرِّيَّتِىٓ ۖ إِنِّى تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟ وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمْ فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلْجَنَّةِ ۖ وَعْدَ ٱلصِّدْقِ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يُوعَدُونَ ﴿١٦﴾

لما ذكر تعالى في الآية الأولى التوحيدَ له وإخلاص العبادة والاستقامة إليه - عطف بالوصية بالوالدين، كما هو مقرون في غير ما آية من القرآن، كقوله: ﴿ وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانًا ﴾ وقال: ﴿أن اشكر لي ولوالديك إليَّ المصير﴾، إلى غير ذلك من الآيات الكثيرة. وقال هاهنا: ﴿ ووَصينا الإنسانَ بوالديه حُسْنًا ﴾ أي: أمرناه بالإحسان إليهما والحنو عليهما.

وقال[٢] أبو داود الطيالسي(٧): حدثنا شعبة، أخبرني سماك بن حرب قال[٣]: سمعت مُصْعب بن سعد يحدث عن سعد قال: قالت أم سعد لسعد[٤]: أليس قد أمر الله بطاعة الوالدين، فلا آكل طعامًا، ولا أشرب شرابًا حتى[٥] تكفر بالله. فامتنعتْ من الطعام والشراب، حتى جعلوا يفتحون [فاها بالعصا][٦]، ونزلت هذه الآية ﴿ووصينا الإنسان

(٧) - مسند الطيالسى (٢٠٨) وقد تقدم تخريجه فى سورة النساء (٤٤٧).

[١] - في ز، خ: « وشياعها ».

[٢] - في ت: وقال.

[٣] - سقط من: ز، خ.

[٤] - سقط من: ز، خ.

[٥] - سقط من: خ.

[٦] - ما بين المعكوفتين في ت: « فلها بالعصا ».

بوالديه حسنًا ﴾ . الآية .

ورواه مسلم وأهل السنن إلَّا ابن ماجة من حديث شعبة بإسناده نحوه[١] وأطول منه .

﴿ حملته أمه كرهًا ﴾ أي : قاست بسببه في حال حمله مشقة وتعبًا ، من وِحَام وغشيان وثقل وكرب ، إلىٰ غير ذلك مما تنال الحوامل من التعب والمشقة ، **﴿ ووضعته كرهًا ﴾** أي : بمشقة أيضًا من الطلق وشدته ، **﴿ وحمله وفصاله ثلاثون شهرًا ﴾** .

وقد استدل على -رضي الله عنه- بهذه الآية مع[٢] التي في لقمان : **﴿ وفصاله في عامين ﴾** ، [وقوله : **﴿ والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة ﴾** ،][٣] علىٰ أن أقل مدة الحمل ستة أشهر ، وهو استنباط قوي صحيح . ووافقه عليه عثمان وجماعة من الصحابة رضي اللَّه عنهم .

قال محمد بن إسحاق بن يسار(٨) : عن يزيد بن عبد اللَّه بن قُسَيط ، عن بَعجَةَ[٤] بن عبد اللَّه الجهني قال : تزوج رجل منا امرأة من جُهَينة ، فولدت له لتمام ستة أشهر ، فانطلق زوجها إلىٰ عثمان فذكر ذلك له ، فبعث إليها ، فلما قامت لتلبس ثيابها بكت أختها ، فقالت : ما يبكيك ؟ ! فواللَّه ما التبس بي أحد من خلق اللَّه غيره قط ، فيقضي اللَّه فيَّ ما شاء ، فلما أُتيَ بها عثمان أمر برجمها ، فبلغ ذلك عليًا فأتاه ، فقال له : ما تصنع ؟ قال : ولدتْ تمامًا لستة أشهر ، وهل يكون ذلك ؟ فقال له : أما تقرأ القرآن ؟ قال : بلىٰ . قال : أما سمعت اللَّه يقول : **﴿ وحمله وفصاله ثلاثون شهرًا ﴾** . وقال : **﴿ حولين كاملين ﴾** . فلم نجده بقي إلا ستة أشهر ، قال : فقال عثمان : واللَّه ما[٥] فطنت لهذا ، عليّ بالمرأة . فوجدوها قد فُرِغَ منها ، قال : فقال بَعْجَةُ : فواللَّه ما الغراب بالغراب ، ولا البيضة بالبيضة بأشبه منه بأبيه [ ][٦] . فلما رآه أبوه قال : ابني ! واللَّه لا أشك فيه . قال : وأبلاه اللَّه بهذه القرحة قرحة الأكلة[٧] فما[٨] زالت تأكله حتى مات . رواه ابن أبي حاتم ،

---

(٨) - تفسير ابن أبي حاتم (١٠/ رقم ١٨٥٦٦) وذكره السيوطي فى الدر المنثور (٩/٦) وزاد نسبته لابن المنذر ، ورجال إسناده ثقات ؛ إلَّا ابن إسحاق فإنه صدوق ؛ لكنه يدلس وقد عنعن هنا فلا تقبل روايته وقد تقدم الخبر من طريق أخرى فى تفسير سورة الزخرف الآية (٨١) .

---

[١] - سقط من ت .

[٢] - في ت : « على » .

[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من ز ، خ .

[٤] - في ز ، خ : « معمر » .

[٥] - سقط من : ز، خ .

[٦] - ما بين المعكوفتين في ز ، خ : « على » .

[٧] - في خ : « الأكلمة » .

[٨] - في ز، خ : « ما » .

وقد أوردناه من وجه آخر عند قوله : ﴿ **فأنا أول العابدين** ﴾ .

وقال ابن أبي حاتم(٩) : حدثنا أبي ، حدثنا فروة بن أبي المَغْرَاء[١] ، حدثنا علي بن مُسْهِر ، عن داود بن أبي هند ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : إذا وضعت المرأة لتسعة أشهر ، كفاه من الرضاع أحد وعشرون شهرًا ، وإذا وضعته لسبعة أشهر كفاه من الرضاع ثلاثة وعشرون شهرًا ، وإذا وضعته لستة أشهر فحولين كاملين ، لأن اللّه تعالىٰ يقول : ﴿ **وحمله وفصاله ثلاثون شهرًا** ﴾ .

﴿ **حتىٰ إذا بلغ أشده** ﴾ أي : قوي وشب وارتجل ﴿ **وبلغ أربعين سنة** ﴾ أي : تناهىٰ عقله وكمل فهمه وحلمه . ويقال : إنه لا يتغير غالبًا عما يكون عليه ابن[٢] الأربعين .

قال أبو بكر بن عياش(١٠) : عن الأعمش ، عن القاسم بن عبد الرحمن قال[٣] : قلت لمسروق : متىٰ يؤخذ الرجل بذنوبه ؟ قال : إذا بَلَغْتَ الأربعين ، فَخُذْ حذرك .

وقال الحافظ أبو يعلىٰ الموصلي(١١) : حدثنا عُبَيد[٤] اللّه القواريري ، حدثنا عزرة بن قيس الأزدي - وكان قد بلغ مائة سنة - حدثنا أبو الحسن السلولي عنه وزادني قال : قال[٥] محمد بن عمرو بن عثمان ، عن عثمان ، عن النبي صلىٰ اللّه عليه وسلم قال : « **العبد المسلم إذا بلغ أربعين سنة ، خفف اللّه حسابه ، وإذا بلغ ستين سنة رزقه اللّه الإنابة إليه ، وإذا بلغ سبعين سنة أحبّه أهل السماء ، وإذا بلغ ثمانين سنة ثبت اللّه حسناته ومحا سيئاته ، وإذا بلغ تسعين سنة غفر اللّه له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، وشَفَّعه اللّه في أهل**

(٩) - تفسير ابن أبي حاتم (١٠/حديث ١٨٥٦٧) وإسناده حسن ورجاله ثقات ؛ غير فروة بن أبي المغراء ، فإنه صدوق روى له البخارى والترمذى . والأثر ذكره السيوطى فى الدر المنثور (٩/٦) ، وزاد نسبته لسعيد ابن منصور وعبد بن حميد .

(١٠) - ذكره السيوطى فى الدر المنثور (٩/٦) وعزاه لابن أبى حاتم .

(١١) - فى إسناده عزرة بن قيس الأزدى وهو ضعيف ، ضعفه ابن معين ، وقال البخارى : لا يتابع على حديثه ترجمته فى الميزان (٣/الترجمة ٥٦١٦) والحديث ذكره الهيثمى فى مجمع الزوائد (١٠/٢٠٨) وقال : « رواه أبو يعلى فى الكبير وفيه عزرة بن قيس الأزدى وهو ضعيف » .

وأيضًا محمد بن عمرو بن عثمان لم أجد له ترجمة ، وعمرو بن عثمان بن عفان لم أجد فى الرواة عنه ابنه محمد ولم يذكر أحد ممن ترجمه أن له ابنًا يسمى محمد ولم أجده كذلك فى الرواة عن عثمان ولعله يكون محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان وهو صدوق ، روى له ابن ماجة لكن ليست له رواية عن عثمان رضى الله عنه ولا يصح أن يكون سمع منه .

[١] - في ز، خ : « الفداء » .
[٢] - في ز ، خ : « بين » .
[٣] - سقط من : ز، خ .
[٤] - في ز ، خ : « عبد » .
[٥] - سقط من : خ .

بيته ، وكتب في السماء : أسير الله في أرضه » .

وقد روي هذا من غير هذا الوجه ، وهو في مسند الإمام أحمد .

وقد قال الحجاج بن عبد الله الحكمي[١] أحد أمراء بني أمية بدمشق : تركت المعاصي والذنوب [ ][٢] أربعين سنة حياء من الناس ، ثم تركتها حياء من الله عز وجل .

وما أحسن قول الشاعر :

صَبَا مَاصَبَا حَتَّىٰ عَلَا الشَّيْبُ رَأْسَهُ فَلَمَّا عَلَاهُ قَالَ لِلْبَاطِلِ: ابْطُلِ

﴿ **قال رب أوزعني** ﴾ أي : ألهمني ﴿ **أن أشكر نعمتك التي أنعمت عليّ وعلىٰ والدي وأن أعمل صالحًا ترضاه** ﴾ أي : في المستقبل ، ﴿ **وأصلح لي في ذريتي** ﴾ أي : نسلي وعَقبي ، ﴿ **إني تبت إليك وإني من المسلمين** ﴾ . وهذا فيه إرشاد لمن بلغ الأربعين أن يجدد التوبة والإنابة إلىٰ الله - عز وجل - ويعزم[٣] عليها .

وقد روىٰ أبو داود في سننه (١٢) ، عن ابن مسعود - رضي الله عنه - ، أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم كان يعلمهم أن يقولوا في التشهد : « اللهم ، ألّف بين قلوبنا ، وأصلح ذات بيننا ، واهدنا سُبُل السلام ، ونجنا من الظلمات إلىٰ النور ، وجَنّبنا الفواحش ما ظهر منها وما بطن ، وبارك لنا في أسماعنا وأبصارنا وقلوبنا ، وأزواجنا وذرياتنا ، وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم . واجعلنا شاكرين لنعمتك ، مثنين بها قابليها ، وأتمها علينا [إنك أنت التواب الرحيم][٤] » . قال الله تعالى : ﴿ **أولئك الذين نتقبل عنهم أحسن ما عملوا ونتجاوز عن سيئاتهم** ﴾ [أي : هؤلاء المتصفون بما ذكرنا ، التائبون إلىٰ الله المنيبون إليه ، المستدركون ما فات بالتوبة والاستغفار ، هم الذين يتقبل عنهم أحسن ما عملوا ، ويتجاوز عن سيئاتهم][٥] فيغفر لهم الكثير من الزلَل ، ويتقبل منهم اليسير من العمل ، ﴿ **في**

(١٢) - سنن أبي داود ، كتاب الصلاة ، باب : التشهد حديث (٩٦٩) من طريق شريك القاضي ، عن جامع - يعني ابن شداد - عن أبي وائل ، عن ابن مسعود كذا وقع في سنن أبي داود « ابن شداد » وهو خطأ والصواب « ابن أبي راشد » كذا قال المزي في تحفة الأشراف (٧/حديث ٩٢٣٩) وهو حديث ضعيف من هذه الطريق فإن في إسناده شريكًا القاضي وهو ضعيف . والحديث رواه ابن حبان في صحيحه (٩٩٦) من طريق شريك ، عن جامع بن شداد ، عن أبي وائل ، عن ابن مسعود . ورواه الحاكم في المستدرك (١/ ٢٦٥) ، والطبراني في الكبير (١٠٤٢٦) ومن طريقه أبو نعيم في الحلية (٤/١١٠) من طريق شريك عن جامع بن أبي راشد به . وقال الحاكم : صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه . وله شاهد من حديث =

[١] - في ز ، خ : « الحليمي » .

[٢] - ما بين المعكوفتين في : ز ، خ « لله » .

[٣] - في خ : « ويقوم » .

[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : ت .

[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

أصحاب الجنة ﴾ أي : هم في جملة أصحاب الجنة ، وهذا حكمهم عند الله كما وَعَد الله من تاب إليه وأناب ، ولهذا قال : ﴿ وعد الصدق الذي كانوا يوعدون ﴾ .

قال ابن جرير(١٣) : حدثني يعقوب بن إبراهيم ، حدثنا المعتمر بن سليمان ، عن الحكم ابن أبان ، عن الغطريف ، عن جابر بن زيد ، عن ابن عباس ، عن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ، عن الروح الأمين - عليه[١] السلام - قال : « يؤتىٰ بحسنات العبد وسيئاته ، فيقتص بعضها ببعض ، فإن بقيت حسنة وسع الله له في الجنة » . قال : فدخلتُ علىٰ يزداد[٢] فَحُدِّث بمثل هذا الحديث[٣] قال : قلت : فإن ذهبت الحسنة ؟ قال : ﴿ أولئك الذين يتقبل(*) عنهم أحسن ما عملوا ، ويَتَجَاوَزُ(**) عن سيئاتهم في أصحاب الجنة وعد الصدق الذي كانوا يوعدون ﴾ .

وهكذا رواه ابن أبي حاتم عن أبيه ، عن محمد بن عبد الأعلىٰ الصنعاني ، عن المعتمر بن سليمان ، بإسناده مثله . وزاد : عن الروح الأمين . قال : « قال الرب جل جلاله : يؤتىٰ بحسنات العبد وسيئاته ... » فذكره ، وهو حديث غريب ، وإسنادٌ جيد لا بأس به .

وقال ابن أبي حاتم (١٤) : حدثنا أبي ، حدثنا سليمان بن معبد[٤] ، حدثنا عمرو بن عاصم الكلابي[٥] ، حدثنا أبو عوانة ، عن [أبي بشر][٦] جعفر بن أبي وَحْشية ، عن

= ابن جريج ، عن جامع . ثم رواه من طريق عبد المجيد عبد العزيز بن أبى رواد ، ثنا ابن جريج ، عن جامع بن أبى راشد ، عن أبى وائل ، عن عبد الله مثل رواية شريك وعبد المجيد صدوق لكنه يخطيء كما قال الحافظ فى «التقريب» وابن جريج ثقة لكنه يدلس ولم يصرح هنا بالسماع ، ورواه الطبرانى فى الأوسط (٥٧٦٩) من طريق الوليد بن القاسم ، عن داود بن يزيد الأزدى ، عن شقيق بن سلمة ، عن ابن مسعود عن النبى ﷺ أنه كان يدعو بهذه الدعوات فى أول قوله وبها يختم : « اللهم أصلح ذات بيننا ... » فذكره نحوه ، وداود ابن يزيد الأزدى هو عم عبد الله بن إدريس وهو ضعيف . والحديث ذكره الهيثمى فى مجمع الزوائد (١٠/ ٦٧٩) ونسبه للطبرانى فى الكبير والأوسط وقال : وإسناده الكبير جيد .

(١٣) - تقدم تخريجه فى سورة السجدة الآية /١٧ .

(١٤) - تفسير ابن أبى حاتم (١٠/١٨٥٧١) وإسناده حسن رجاله ثقات إلَّا أن عمرو بن عاصم صدوق فى حفظه شيء كما قال الحافظ فى « التقريب » .

---

[١] - في ز ، خ : « عليها » . [٢] - في خ : « مزداد » .

[٣] - سقط من : خ .

(*) في ز ، خ : "نتقبل ، وهي قراءة نلفع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر .

(**) في ز ، خ : "نتجاوز ، وهي قراءة نلفع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر .

[٤] - سقط من : خ . [٥] - في ت : « الكلائي » .

[٦] - ما بين المعكوفتين في ز، خ : « ابن بشر » .

يوسف بن[١] سعد ، عن محمد بن حاطب قال : ونزل في داري حيث ظهر عليٌّ على أهل البصرة ، فقال لي يومًا : لقد شهدتُ أمير المؤمنين عليًّا وعنده عمار وصعصعة والأشتر ومحمد بن أبي بكر ، فذكروا عثمان فنالوا منه ، وكان [علي - رضي الله عنه -][٢] على السرير ، ومعه عود في يده ، فقال قائل منهم : إن عندكم من يفصل بينكم . فسألوه ، فقال علي : كان عثمان من الذين قال الله : ﴿ **أولئك الذين يُتقبل**(*) **عنهم أحسن ما عملوا ويُتجاوز**(**) **عن سيئاتهم في أصحاب الجنة وعد الصدق الذي كانوا يوعدون** ﴾ . قال : والله عثمان وأصحاب عثمان - قالها ثلاثا - قال يوسف : فقلت لمحمد بن حاطب : آلله لسمعت هذا من عليّ ؟ قال : آلله لسمعت هذا من علي رضي الله عنه .

وَالَّذِى قَالَ لِوَٰلِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَآ أَتَعِدَانِنِىٓ أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ ٱلْقُرُونُ مِن قَبْلِى وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ ٱللَّهَ وَيْلَكَ ءَامِنْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٧﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴿١٨﴾ وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُوا۟ ۖ وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَٰلَهُمْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٩﴾ وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ فِى حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا وَٱسْتَمْتَعْتُم بِهَا فَٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ ﴿٢٠﴾

لما ذكر تعالىٰ حال الداعين للوالدين البارّين بهما ومالهم عنده من الفوز والنجاة ، عطف بحال الأشقياء العاقين للوالدين فقال : ﴿ **والذي قال لوالديه أف لكما** ﴾ - وهذا عام في كل من قال هذا ، ومن زعم أنها نزلت في عبد الرحمن بن أبي بكر فقوله ضعيف ، لأن عبد الرحمن بن أبي بكر أسلم بعد ذلك وحسن إسلامه ، وكان من خيار أهل زمانه .

وروىٰ ، العوفي ، عن ابن عباس : أنها نزلت في ابن لأبي بكر الصديق . وفي صحة هذا نظر ، والله أعلم .

---

[١] - في ز، خ : « أبو » .
[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

(*) في ز ، خ : نتقبل ، وهي قراءة نلفع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر .

(**) في ز ، خ : نتجاوز ، وهي قراءة نلفع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر .

وقال ابن جريج[١] ، عن مجاهد : نزلت في عبد الله بن أبي بكر . [وهذا أيضًا][٢] قاله ابن جريج . وقال آخرون : عبد الرحمن بن أبي بكر [وهذا أيضًا قاله][٣] السدي . وإنما هذا عام في كل من عق والديه وكذب بالحق ، فقال لوالديه : ﴿ **أف لكما** ﴾ : عقهما .

وقال ابن أبي حاتم (١٥) : حدثنا علي بن الحسين ، حدثنا محمد بن العلاء ، حدثنا يحيىٰ بن أبي زائدة ، عن إسماعيل بن أبي خالد ، أخبرني عبد [الله بن][٤] المديني قال : إني لفي المسجد حين خطب مَرْوان فقال : إن اللَّه أرىٰ أمير المؤمنين في يزيد رأيًا حسنًا ، وإن يستخلفه فقد استخلف أبو بكر وعُمر . فقال عبد الرحمن بن أبي بكر : أهرقلية ؟ ! إن أبا بكر واللَّه ما جعلها في أحد من ولده ، ولا أحد من أهل بيته ، وما[٥] جعلها معاوية [في ولده][٦] إلا رحمة وكرامة لولده . فقال مروان : ألست الذي قال لوالديه : ﴿ **أف لكما** ﴾ ؟ فقال عبد الرحمن : ألست ابن اللعين الذي لعن رسولُ اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم أباك . قال : وسمعتهما عائشة فقالت : يا مروان ؛ أنت القائل لعبد الرحمن كذا وكذا ؟ كذبتَ ، ما فيه نزلت ، ولكن نزلت في فلان بن فلان . ثم انتحب مروان ، ثم نزل عن المنبر حتىٰ أتىٰ باب حجرتها ، فجعل يكلمها[٧] حتىٰ[٨] انصرف .

وقد رواه البخاري بإسناد آخر ولفظ آخر ، فقال(١٦) : حدثنا موسىٰ بن إسماعيل ، حدثنا أبو عوانة ، عن أبي بشر ، عن يوسف بن مَاهَكَ قال : كان مَرْوانُ علىٰ الحجاز ، استعمله معاوية بن أبي سفيان ، فخطب فجعل[٩] يذكر يزيدَ بن معاوية لكي[١٠] يبايع له

---

(١٥) - تفسير ابن أبي حاتم (١٠/١٨٥٧٢) وإسناده حسن رجاله ثقات إلَّا أن عبد الله البهى مولى مصعب ابن الزبير ذكره ابن حبان فى الثقات (٥/٣٣ ، ٤٧) وقال ابن سعد فى الطبقات (٦/٢٩٩) : كان ثقة معروفًا قليل الحديث وقال ابن أبى حاتم عن أبيه : (كما فى تهذيب التهذيب ٦/٩٠) : لا يحتج بالبهى وهو مضطرب الحديث . وقال ابن حجر فى « التقريب » : صدوق يخطيء . ورواه البزار (١٦٢٤ - كشف) من طريق إسماعيل بن عبد الله البهى نحوه ، وذكره الهيثمى فى المجمع (٥/٢٤١) وقال : « رواه البزار بإسناد حسن » وزاد السيوطى فى الدر المنثور (٦/١١) نسبته لابن المنذر وعزاه أيضًا ابن حجر فى فتح البارى (٨/ ٥٧٧) لأبى يعلى من هذه الطريق وللخبر طريق أخرى عند البخارى وغيرها عند النسائى وسيأتى تخريجهما (انظر الحديث التالى والذى يليه) .

(١٦) - رواه البخارى فى « صحيحه » كتاب التفسير ، باب : ﴿ والذى قال لوالديه أفٍ لكما أتعداننى أن أخرج ... ﴾ الآية حديث (٤٨٢٧) ، وانظر السابق .

---

[١] - في خ : « جرير » .

[٢] - ما بين المكوفتين سقط من : ز ، خ .

[٣] - في ز، خ : « وقاله » .

[٤] - ما بين المكوفتين بياض في : ز ، خ.

[٥] - في ت : « ولا » .

[٦] - ما بين المكوفتين سقط من : ز ، خ .

[٧] - في ز ، خ : « كلما » .

[٨] - في خ : « جئ » .

[٩] - في ت : « وجعل » .

[١٠] - في ز ، خ: « بل » .

بعد أبيه ، فقال له عبد الرحمن بن أبي بكر شيئًا ، فقال : خذوه . فدخل بيت عائشة رضي اللَّه عنها فلم يقدروا عليه ، فقال مروان : إن هذا الذي أنزل فيه : ﴿ **والذي قال لوالديه أف لكما أتعدانني أن أخرج وقد خلت القرون من قبلي** ﴾ . فقالت عائشة مِن وراء الحجاب : ما أنزل اللَّه فينا شيئًا من القرآن ، إلا أن اللَّه أنزل عُذْري .

(طريق أخرىٰ) قال النسائي(١٧) : حدثنا علي بن الحسين ، حدثنا أمية بن خالد ، حدثنا شعبة ، عن محمد بن زياد قال : لما بايع معاوية لابنه ، قال مروان : سنة أبي بكر وعمر . فقال عبد الرحمن بن أبي بكر : سنة هرقل وقيصر . فقال مروان : هذا الذي أنزل اللَّه فيه : ﴿ **والذي قال لوالديه أف لكما** ﴾ ... الآية . فبلغ ذلك عائشة فقالت : كذب مروان ! واللَّه ما هو به ، ولو شئت أن أسمي الذي أنزلت فيه لسميته ، ولكن رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم لعن أبا مروان ، ومروانُ في صلبه ، فمروان فَضَضٌ[١](*) من لعنة الله .

وقوله : ﴿ **أتعدانني أن أخرج** ﴾ أي : أبعث ﴿ **وقد خلت القرون من قبلي** ﴾ أي : قد مضىٰ الناس فلم يرجع منهم مخبر ، ﴿ **وهما يستغيثان الله** ﴾ . أي : يسألان اللَّه فيه أن يهديه ويقولان لولدهما : ﴿ **ويلك آمن إن وعد اللَّه حق فيقول ما هذا إلا أساطير الأولين** ﴾ .

قال الله : ﴿ **أولئك الذين حق عليهم القول في أمم قد خلت من قبلهم من الجن والإنس إنهم كانوا خاسرين** ﴾ أي : دخلوا في زمرة أشباههم وأضرابهم من الكافرين الخاسرين أنفسهم وأهليهم يوم القيامة .

[وقوله : ﴿ **أولئك** ﴾ بعد قوله ﴿ **والذي قال** ﴾ دليل على ما ذكرناه من أنه جنس يعم كل من كان كذلك][٢] .

(١٧) - رواه النسائى فى « الكبرى » كتاب التفسير ، باب : قوله : ﴿ والذى قال لوالديه أفٍ لكما ﴾ حديث (١١٤٩١) وهو فى تفسيره رقم (٥١١) والحديث رواه الحاكم فى المستدرك (٤٨١/٤) وصححه على شرط الشيخين وتعقبه الذهبى فقال : محمد لم يسمع من عائشة ، وزاد ابن حجر نسبته فى الفتح (٨/ ٥٧٦) للإسماعيلى . وزاد السيوطى نسبته فى الدر المنثور (١١/٦) لعبد بن حميد وابن المنذر وابن مردويه ومحمد بن زياد هو القرشى الجمحى ثقة ثبت ، ذكر المزى فى ترجمته فى « التهذيب » أنه روى عن عائشة ولم أجد من نص على عدم سماعه من عائشة رضى الله عنها غير الذهبى - رحمه الله - فى تلخيصه للمستدرك .

(*) أي قطعة وطائفة منها .

[١] - في ز : « نفيض » ، خ : « يقتض » .

[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من ت .

وقال الحسن ، وقتادة : هو الكافر الفاجر العاق لوالديه ، المكذب بالبعث .

وقد روىٰ الحافظ ابن عساكر(١٨) في ترجمة سهل بن داود ، من طريق هشام بن عمار : حدثنا حماد بن عبد الرحمن ، حدثنا خالد بن[١] الزبرقان الحلبي[٢] ، عن سليمان[٣] بن حبيب المحاربي ، عن أبي أمامة الباهلي ، عن النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم قال : « أربعة لعنهم اللَّه من فوق عرشه ، وأمّنت عليهم الملائكة : مضل المساكين » . قال خالد : الذي يهوي بيده إلىٰ المسكين[٤] فيقول : هلم أعطيك ، فإذا جاءه قال : ليس معي شيء . « والذي يقول للمكفوف[٥] : اتق[٦] الدابة[٧] وليس بين يديه شيء ، والرجل يسأل عن دار القوم فيدلونه علىٰ غيرها . والذي يضرب الوالدين حتىٰ يستغيثا » . غريب جدًّا .

وقوله : ﴿ **ولكل درجات مما عملوا** ﴾ أي : لكل عذاب بحسب عمله ، ﴿ **وليوفيهم أعمالهم وهم لا يظلمون** ﴾ أي : لا يظلمهم مثقال ذرة فما دونها [قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : درجات النار تذهب سفالًا ودرجات الجنة تذهب علوًّا][٨] .

وقوله : ﴿ **ويوم يعرض الذين كفروا علىٰ النار أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها** ﴾ أي : يقال لهم ذلك تقريعًا وتوبيخًا . وقد تورّع عمر بن الخطاب رضي اللَّه عنه عن كثير من طيبات المآكل والمشارب ، وتنزه عنها ، ويقول : أخاف أن أكون

(١٨) - رواه الطبراني في الكبير (٧٤٨٩) من طريق هشام بن عمّار بنفس إسناد ابن عساكر إلى النبي ﷺ بلفظ : « أربعة لعنهم الله فوق عرشه وأمنت عليهم ملائكته الذي يحصن نفسه عن النساء ولا يتزوج ولا يتسرى لأن لا يولد له ولد ، والرجل يتشبه بالنساء وقد خلقه الله ذكرًا ، والمرأة تتشبه بالرجال وقد خلقها الله عز وجل أنثى ، ومضلل المساكين » . قال خالد بن الزبرقان يعني : الذين يهزأ بهم يقول للمسكين هل أعطيك فإذا جاءه الرجل قال : ليس معي شيء ويقول للمكفوف : اتق البئر ، اتق الدابة . وليس بين يديه شيء . والرجل يسأل عن دار القوم فيرشده إلى غيرها . وإسناده ضعيف حمّاد بن عبد الرحمن هو الكلبي ضعيف قال أبو زرعة الرازي : يروى أحاديث مناكير . وقال أبو حاتم : شيخ مجهول ، منكر الحديث ، ضعيف الحديث كذا في الجرح والتعديل (١٤٣/٣) وضعفه الحافظ في « التقريب » وشيخه خالد بن الزبرقان قال أبو حاتم في الجرح والتعديل (٣٣٢/٣) : منكر الحديث وترجم له الذهبي في الميزان (١٥٣/٢) ونقل فيه قول أبي حاتم . والحديث من هذه الطريق أورده الهيثمي في مجمع الزوائد (٢٥٤/٤) وقال : (رواه الطبراني في الكبير من طريق حماد بن عبد الرحمن الكلبي (تحرف في المطبوع من المجمع إلى العكى) عن خالد بن الزبرقان وكلاهما ضعيف » .

=

[١] - سقط من : ز.

[٢] - في ز : « العدني » ، خ : « العديني » .

[٣] - في ز ، خ : « سليم » .

[٤] - في ز ، خ : « المسلمين » .

[٥] - في خ : « للماعون » .

[٦] - بياض في : ز ، خ : « ابن » .

[٧] - بياض في : ز ، خ .

[٨] - ما بين المعكوفتين سقط من ت .

كالذين قال الله تعالىٰ لهم وقرَّعهم : ﴿ **أذهبتم طياتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها** ﴾ .

وقال أبو مِجْلَز : ليتفقَّدَنّ[١] أقوامٌ حَسَنات كانت لهم في[٢] الدنيا ، فيقال لهم : ﴿ **أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا** ﴾ .

وقوله : ﴿ **فاليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تستكبرون في الأرض بغير الحق وبما كنتم تفسقون** ﴾ ، فجوزوا من جنس عملهم ، فكما نعَّموا أنفسهم واستكبروا عن اتباع الحق ، وتعاطوا الفسق والمعاصي ، جازاهم الله بعذاب الهون ، وهو الإهانة والخزي والآلام الموجعة ، والحسرات المتتابعة ، والمنازل في الدركات المفظعة[٣] ، أجارنا الله من ذلك كله[٤] !

۞ وَٱذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُۥ بِٱلْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتِ ٱلنُّذُرُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦٓ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٢١﴾ قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا لِتَأْفِكَنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٢﴾ قَالَ إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ عِندَ ٱللَّهِ وَأُبَلِّغُكُم مَّآ أُرْسِلْتُ بِهِۦ وَلَٰكِنِّىٓ أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴿٢٣﴾ فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا۟ هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا ۚ بَلْ هُوَ مَا ٱسْتَعْجَلْتُم بِهِۦ ۖ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٤﴾ تُدَمِّرُ كُلَّ شَىْءٍۭ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا۟ لَا يُرَىٰٓ إِلَّا مَسَٰكِنُهُمْ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْقَوْمَ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٢٥﴾

يقول تعالىٰ مسليًا لنبيه في تكذيب من كذبه من قومه : ﴿ **واذكر أخا عاد** ﴾ - وهو

= ورواه الطبراني في الكبير (٧٨٢٧) من طريق آخر عن القاسم عن أبي أمامة نحوه ، وفي إسناده علي بن يزيد الألهاني وهو متروك ، وبه أعل الهيثمي الحديث في مجمع الزوائد (١٠٦/٤) وقال المنذري في الترغيب والترهيب (٢٩/٣) : « رواه الطبراني من طريق علي بن يزيد الألهاني وفي الحديث غرابة » . والحديث من الطريق الأولى ذكره ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل (٤١٣/١) وقال : قال أبي هذا حديث منكر بهذا الإسناد .

[١] - في خ : « ليتفقدون » .

[٢] - في ز، خ : « من » .

[٣] - في خ : « المقطعة » .

[٤] - سقط من : ز، خ .

هود - عليه السلام - بعثه اللَّه إلىٰ عاد الأولىٰ ، وكانوا يسكنون الأحقاف - جمع حِقْف وهو : الجبل من الرمل - قاله ابن زيد .

وقال عكرمة : الأحقاف : الجبل والغار .

وقال علي بن أبي طالب -رضي اللَّه عنه- : الأحقاف : واد بحضرموت ، يدعىٰ بَرَهوت ، تُلقىٰ[١] فيه أرواح الكفار .

وقال قتادة : ذُكر لنا أن عادًا كانوا حيًّا باليمن ، أهل رمل [ ][٢] مشرفين علىٰ البحر بأرض يقال لها : الشِّحْر[٣] .

قال ابن ماجة(١٩) : « باب إذا دعا فليبدأ بنفسه » : حدثنا [الحسن بن على الخلال][٤] حدثنا زيد بن الحباب حدثنا [عن أبي إسحاق][٥] عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **يرحمنا الله ، وأخا عاد** » .

وقوله : ﴿ **وقد خلت النذر**[٦] **من بين يديه ومن خلفه** ﴾ يعني : وقد أرسل اللَّه إلىٰ مَن حَول بلادهم من القرىٰ مرسلين ومنذرين ، كقوله : ﴿ **فجعلناها نكالا لما بين يديها وما خلفها** ﴾ ، وكقوله : ﴿ **فإن أعرضوا**[٧] **فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود * إذ جاءتهم الرسل من بين أيديهم ومن خلفهم ألا تعبدوا إلا اللَّه إني أخاف عليكم عذاب يوم**

(١٩) - رواه ابن ماجة فى « السنن » كتاب الدعاء ، باب : إذا دعا أحدكم فليبدأ بنفسه حديث (٣٨٥٢) كما نقله المصنف هنا . وإسناده ضعيف فإن زيد بن الحباب وإن وثقه ابن معين وغيره إلَّا أنه قال فيه : كان يقلب حديث الثورى . ولذلك قال الحافظ فى « التقريب » : صدوق يخطيء في حديث الثورى . وأبوإسحاق هو السبيعى ثقة لكنه مدلس ولم يصرح هنا بالسماع والحديث ضعفه الألبانى فى « ضعيف الجامع » (٦٤٤٤) وضعيف سنن ابن ماجة (٨٤٠) أمَّا قول البوصيرى فى « الزوائد » (٢٠٤/٣) : « هذا إسناد صحيح » ففيه ما فيه ، والله أعلم .

وقد روى الحديث من وجه آخر عند ابنِ أبى شيبة فى مصنفه (٢٢٠/١٠) (٩٢٧٧) من طريق سفيان عن إبراهيم بن المهاجر ، عن إبراهيم به مرسلاً ، وهو إسناد مرسل . وإبراهيم بن مهاجر هو البجلى قال الحافظ فى « التقريب » : صدوق لين الحفظ .

[١] - في ز، خ : « يُلقى » .

[٢] - ما بين المعكوفتين في ز ، خ : « وذكرات » . [٣] - في خ : « الشجرة » .

[٤] - ما بين المعكوفتين في ز ، خ : « الحسين بن علي ثنا أبي » .

[٥] - ما بين المعكوفتين في ز ، خ : « ثنا على بن إسحاق » .

[٦] - في ز ، خ: « القرون » .

[٧] - في ز، خ : « تولوا » .

عظيم ﴾ أي : قال لهم هود ذلك ، فأجابه قومه قائلين : ﴿ **أجئتنا لتأفكنا** ﴾ أي : لتصدنا ﴿ **عن آلهتنا فأتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين** ﴾ ، استعجلوا عذاب الله وعقوبته ، استبعادًا منهم وقوعه ، كقوله : ﴿ **يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها** ﴾ .﴿ **قال**[١] **إنما العلم عند الله** ﴾ أي : الله أعلم بكم إن كنتم مستحقين لتعجيل العذاب فيفعل ذلك بكم ، وأما أنا فمن شأني أن أبلغكم ما أرسلت به ، ﴿ **ولكني أراكم قومًا تجهلون** ﴾ أي : لا تعقلون ولا تفهمون .

قال الله تعالىٰ : ﴿ **فلما رأوه عارضًا مستقبل أوديتهم** ﴾ أي : لما رأوا العذاب مستقبلهم ، اعتقدوا أنه عارض ممطر[٢] ، ففرحوا واستبشروا ، وقد كانوا ممحلين محتاجين إلىٰ المطر ، قال الله تعالىٰ : ﴿ **بل هو ما استعجلتم به ريح فيها عذاب أليم** ﴾ أي : هو العذاب الذي قلتم : ﴿ **فأتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين** ﴾ .

﴿ **تدمّر** ﴾ أي : تخرب . ﴿ **كل شيء** ﴾ من بلادهم مما [من شأنه الخراب][٣] .

﴿ **بأمر ربها** ﴾ أي : بإذن الله لها في ذلك ، كقوله : ﴿ **ما تذر من شيء أتت عليه إلا جعلته كالرميم** ﴾ أي : كالشيء البالي ؛ ولهذا قال : ﴿ **فأصبحوا [لا يُرىٰ]**[٤] **إلا مساكنهم** ﴾ أي : قد بادوا كلهم عن آخرهم ولم تبق لهم باقية ، ﴿ **كذلك نجزي القوم المجرمين** ﴾ أي : هذا حكمنا فيمن كذب رسلنا ، وخالف أمرنا .

وقد ورد حديث في قصتهم ، وهو غريبٌ جدًّا من غرائب[٥] الحديث وأفراده . قال الإمام أحمد (٢٠) :

حدثنا زيد بن الحباب ، حدثني أبو[٦] المنذر سلام بن سليمان النحوي قال : حدثنا عاصم ابن أبي النَّجود ، عن أبي وائل ، عن الحارث البكري قال : خرجت أشكو العلاء بن[٧] الحضرمي إلىٰ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ، فمررت بالرَّبذَة ، فإذا عجوز من بني تميم منقطع بها ، فقالت لي : يا عبد الله ، إن لي إلىٰ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم حاجةً ، فهل أنت مبلِّغي إليه ؟ قال : فحملتها فأتيت بها المدينة ، فإذا المسجد غاصّ بأهله ، وإذا راية

(٢٠) - تقدم فى الأعراف (١٢٢) ، وهو فى المسند (١٦٠٠٠) (٣/٤٨٢) .

[١] - في ز ، خ : « قال » .
[٢] - في خ : « مطر » .
[٣] - ما بين المعكوفتين في خ : « مر به الجواب » .
[٤] - ما بين المعكوفتين في ز، خ : « ترى » .
[٥] - في ز، خ : « غريب » .
[٦] - في ز ، خ : « ابن » .
[٧] - سقط من : ز ، خ .

سوداء تخفق ، وإذا بلال مُتَقَلِّدُ السيف بين يدي رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ، فقلت : ما شأن الناس ؟ قالوا : يريد أن يبعث عمرو بن العاص وجْهًا . قال : فجلست ، فدخل منزله - أو قال : رحله - فاستأذنت عليه ، فأذن لي ، فدخلت [فسلمت ، فقال : « **هل كان بينكم وبين تميم شيء ؟** » قلت : نعم ، وكانت لنا الدَّبَرَة(*) عليهم ، ومررت بعجوز من بني تميم منقطع بها ، فسألتني أن أحملها إليك ، وها هي بالباب . فأذن لها فدخلَتْ][١] ، فقلت : يا رسول الله ؛ إن رأيت أن تجعل بيننا وبين تميم حاجزًا فاجعل الدهناء . فحَمِيت العجوز واستوفزت ، وقالت : [يا رسول الله][٢] ، فإلىٰ[٣] أين يضطر[٤] مُضَرُك ؟ قال : قلت : إن مثلي ما قال الأول : « معزَىٰ[٥] حَمَلت حَتْفها » ، حَمَلْتُ هذه ولا أشعر أنها كانت لي خصمًا ، أعوذ بالله ورسوله أن أكون كوافد عادٍ . قال : « **هيه ، وما وافد عاد ؟** » - وهو أعلم بالحديث منه ، ولكن يستطعمه - قلت : إن عادًا قُحطوا فبعثوا وافدًا لهم يقال له : قَيل ، فمر بمعاوية بن بكر ، فأقام عنده شهرًا يسقيه الخمر وتغنيه جاريتان - يقال لهما : « الجرادتان » - فلما مضىٰ الشهر خرج إلىٰ جبال مَهْرة فقال : اللهم ؛ إنك تعلم أني لم أجئ إلىٰ مريض فأداويَه ، ولا إلىٰ أسير فأفاديه ، اللهم؛ اسق عادًا ما كنت تسقيه . فمرت به سحابات سود ، فنودي منها : « اختر » ، فأومأ إلىٰ سحابة منها سوداء ، فنُودي منها : « خذها رمادًا رِمْدَدًا[٦] ، لا تُبقي من عاد أحدًا » . قال : فما بلغني أنه أرسل عليهم من الريح إلا كقدر ما يجري في خاتمي هذا ، حتىٰ هلكوا - قال أبو وائل : وصدق - وكانت المرأة والرجل إذا بعثوا وافدًا لهم قالوا : « لا تكن كوافد عاد » .

و[٧]رواه الترمذي والنسائي وابن ماجة كما تقدم في سورة « الأعراف » .

وقال الإمام أحمد(٢١) : حدثنا هارون بن معروف ، أخبرنا ابن وهب ، أخبرنا عمرو : أن أبا النضر حدثه عن سليمان بن يَسَار[٨] ، عن عائشة أنها قالت : ما رأيت رسول الله

(*) الدبرة : الغلبة والنصر .

(٢١) - المسند (٦٦/٦) وفيه حدثنا هارون بن معروف ومعاوية بن عمرو قالا : حدثنا ابن وهب ... الحديث ورواه البخارى فى « صحيحه » كتاب التفسير ، باب : ﴿ فلما رأوه عارضًا مستقبل أوديتهم قالوا هذا عارض ممطرنا ... ﴾ الآية حديث (٤٨٢٨) ، (٤٨٢٩) وفى كتاب الأدب ، باب : التبسم والضحك حديث (٦٠٩٢) مختصرًا ، ومسلم فى صلاة الاستسقاء ، باب : التعوذ عند رؤية الريح والغيم ، والفرح بالمطر حديث (١٦) (٨٩٩) من طرق عن ابن وهب به .

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

[٢] - ما بين المعكوفتين من : ز .

[٣] - في ز ، « قال » ، سقط من : خ .

[٤] - في خ : « مضطرفه » .

[٥] - في خ : « بعرى » .

[٦] - في خ : « ومددا » .

[٧] - سقط من : ز .

[٨] - في ز : « بشار » .

صلىٰ اللّٰه عليه وسلم مستجمعًا ضاحكًا حتىٰ أرىٰ منه لَهَوَاته (*) ، إنما كان يتبسم . قالت : وكان إذا رأىٰ غيمًا - أو ريحًا - عُرف ذلك في وجهه ، قالت : يا رسول الله ، الناس إذا رأوا الغيم فرحوا رجاء أن يكون فيه المطر ، وأراك إذا رأيته عُرِفَت في وجهك الكراهية ؟ فقال : « **يا عائشة ، ما يُؤمنني أن يكون فيه عذاب ، قد عُذِّب قوم بالريح ، وقد رأىٰ قوم العذاب فقالوا : هذا عارض ممطرنا** » . وأخرجاه من حديث ابن وهب .

(طريق أخرىٰ) قال أحمد(٢٢) : حدثنا عبد الرحمٰن ، عن سفيان ، عن المقدام بن شريح ، عن أبيه ، عن عائشة أن رسول الله صلىٰ اللّٰه عليه وسلم كان إذا رأىٰ ناشئًا(**) في أفق من آفاق[١] السماء ، ترك عمله وإن كان في صلاته ، ثم يقول : « اللهم ، إني أعوذ بك من شر ما فيه » . فإن كشفه اللّٰه حمد الله ، وإن أمطرت قال : « اللهم ، صَيِّبًا(***) نافعًا » .

(طريق أخرىٰ) قال مسلم في صحيحه(٢٣) : حدثنا أبو الطاهر ، أخبرنا ابن وهب ،

(*) جمع لَهَاة ، وهي اللَّحمات في أقصى سقف الفم .

(٢٢) - المسند (٦/١٩٠) ورواه فى (٦/١٣٧ - ١٣٨) من طريق وكيع . وأبو داود فى الأدب ، باب : ما يقول إذا هاجت الريح حديث (٥٠٩٩) من طريق عبد الرحمن . ورواه النسائى فى عمل اليوم والليلة (٩١٥) من طريق يحيى . والبخارى فى الأدب المفرد (٦٨٦) من طريق خلاد كلهم (وكيع ، وعبد الرحمن ، ويحيى ، وخلاد) عن سفيان الثورى ، عن المقدام بن شريح به ، ورواه النسائى (٣/١٦٤) وابن حبان فى صحيحه (٩٩٤) من طريق مسعر عن المقدام بن شريح به مختصرًا .

ورواه ابن أبى شيبة (١٠/٢١٨) ومن طريقه ابن ماجة فى الدعاء - والنسائى فى « عمل اليوم والليلة » (٩١٤) عن يزيد بن المقدام بن شريح ، عن أبيه به . ورواه ابن حبان فى صحيحه (١٠٠٦) وأحمد فى المسند (٦/٢٢٢) من طريق شريك ، عن المقدام بن شريح ، عن أبيه ، عن عائشة قالت : كان رسول الله ﷺ إذا رأى فى السماء غبارًا أو ريحًا تعوذ بالله من شره فإذا أمطرت قال : « اللهم صيبًا نافعًا » وفى إسناده شريك وهو ابن عبد الله القاضى ضعيف . والراوى عنه عند ابن حبان هو يحيى بن طلحة اليربوعى وهو لين الحديث ، وعند أحمد : حجاج بن أرطاه ، وهو ضعيف مدلس . لكن يشهد له الطرق السابقة غير قوله : «غبار» فإنه منكر كما قال أبو عبد الرحمن العلامة الشيخ ناصر الدين الألبانى فى السلسلة الصحيحة (٢٧٥٧) .

(**) الناشئ : السحاب الذي لم يتكامل اجتماعه واصطحابه . ومنه نشأ الصبي ينشأ نشأً فهو ناشئ ، إذا كبر وشب ولم يتكامل .

(***) أي مطرًا منهمرًا متدفقًا .

(٢٣) - رواه مسلم فى « صحيحه » كتاب صلاة الاستسقاء ، باب : التعوذ عند رؤية الريح والغيم ، والفرح بالمطر حديث (١٥) (٨٩٩) ورواه النسائى فى « عمل اليوم والليلة » رقم (٩٤٠) قال أخبرنا : أحمد =

[١] - في ز، خ : « أفق » .

سمعت ابن جريج يُحدّث عن عطاء بن أبي رباح ، عن عائشة قالت : كان رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم إذا عَصَفت الريح قال : « **اللهم ، إني أسألك خيرها ، وخير ما فيها ، وخير ما أُرسِلَتْ به ، وأعوذ بك من شرها ، وشر ما فيها ، وشر ما أُرسِلَتْ به** » . قالت : وإذا تَخَيَّلت[١](*) السماء تغير لونه ، وخرج ودخل ، وأقبل وأدبر ، فإذا أمطرت[٢] سري عنه ، فعرفت ذلك عائشة فسألته فقال : « **لعله يا عائشة - كما قال قوم عاد : ﴿ فلما رأوه عارضًا مستقبل أوديتهم قالوا هذا عارض ممطرنا ﴾** » .

وقد ذكرنا قصة هلاك عاد في سورتي[٣] « الأعراف » و « هود » ، بما أغنىٰ عن إعادته هاهنا ، ولله الحمد والمنة .

وقال الطبراني(٢٤) : حدثنا عبدان بن أحمد ، حدثنا إسماعيل بن زكريا الكوفي ، حدثنا أبو مالك بن مسلم الملائي ، عن مجاهد وسعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **ما فتح علىٰ عاد من الريح إلا مثل موضع الخاتم ، ثم أرسلت عليهم البَدْو[٤] إلىٰ الحضر فلما رآها أهل الحضر قالوا : هذا عارض ممطرنا مستقبل أوديتنا . وكان أهل البوادي فيها ، فألقي أهل البادية علىٰ أهل الحاضرة حتىٰ هلكوا . قال : عتت علىٰ خزانها حتىٰ خرجت من خلال الأبواب** » .

﴿ وَلَقَدْ مَكَّنَّٰهُمْ فِيمَآ إِن مَّكَّنَّٰكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَٰرًا وَأَفْـِٔدَةً فَمَآ

= ابن عمرو بن السرح ، أخبرنا ابن وهب ، فذكره ورواه برقم (٩٤١) من طريق عثمان بن عمر ، عن ابن جريج به.

(*) تخيلت السماء : تهيأت للمطر ، فأغامت ، ورعدت وبرقت .

(٢٤) - المعجم الكبير للطبراني (١٢٤١٦) وفى إسناده أبو مالك الجنبى ، وهو عمرو بن هاشم ضعيف . ضعفه البخارى فى التاريخ (٦/الترجمة ٢٧٠٢) فقال : فيه نظر . وقال أبو حاتم فى الجرح والتعديل (٦/ الترجمة ١٤٧٨) : لين الحديث يكتب حديثه . وقال الحافظ فى « التقريب » : لين الحديث . وشيخه مسلم الملائى هو مسلم بن كيسان الضبى الملائى روى له الترمذى وابن ماجة وهو ضعيف كما قال الحافظ فى «التقريب » . والحديث ذكره الهيثمى فى مجمع الزوائد (١١٦/٧) وقال : رواه الطبرانى وفيه مسلم الملائى وهو ضعيف » . وذكره السيوطى فى الدر المنثور (١٥/٦) وزاد نسبته إلى أبى الشيخ وابن مردويه وروى الطبرانى (١٣٥٥٣) نحوه عن ابن عمر ، وفى إسناده مسلم الملائى أيضًا وهو ضعيف كما تقدم ومن هذا الطريق ذكره الهيثمى فى مجمع الزوائد (١١٦/٧) وأعله بمسلم الملائى وذكره السيوطى فى الدر المنثور (٦/ ١٥) وزاد نسبته إلى ابن أبى الدنيا وأبى يعلى وأبى الشيخ وابن مردويه .

---

[١] - في ز ، خ : « تجلت » .

[٢] - في ز، خ : « مطر » .

[٣] - في خ : « سورة » .

[٤] - في ز : « البدر » ، خ : « النذر » .

أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُهُمْ وَلَآ أَفْـِٔدَتُهُم مِّن شَىْءٍ إِذْ كَانُواْ يَجْحَدُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٢٦﴾ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْقُرَىٰ وَصَرَّفْنَا ٱلْـَٔايَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٧﴾ فَلَوْلَا نَصَرَهُمُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ قُرْبَانًا ءَالِهَةًۢ بَلْ ضَلُّواْ عَنْهُمْ وَذَٰلِكَ إِفْكُهُمْ وَمَا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ﴿٢٨﴾

يقول تعالىٰ : ولقد مكنا الأمم السالفة[١] في الدنيا من الأموال والأولاد ، وأعطيناهم منها مالم نعطكم مثله ولا قريبًا منه ، ﴿ **وجعلنا لهم سمعًا وأبصارًا وأفئدة فما أغنىٰ عنهم سمعهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم من شيء إذ كانوا يجحدون بآيات الله وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون** ﴾ أي : وأحاط بهم العذاب والنكال الذي كانوا يكذبون به ويستبعدون وقوعه ، أي : فاحذروا أيها المخاطبون أن تكونوا مثلهم ، فيصيبكم مثلُ ما أصابهم من العذاب في الدنيا والآخرة .

وقوله : ﴿ **ولقد أهلكنا ما حولكم من القرىٰ** ﴾ يعني : أهل مكة ، قد أهلك الله[٢] الأمم المكذبة بالرسل مما حولها كعاد ، و[٣]كانوا بالأحقاف بحضرموت عند اليمن ، وثمود وكانت منازلهم بينهم وبين الشام ، وكذلك سبأ وهم أهل اليمن ، ومدين وكانت في طريقهم وممرهم إلىٰ غزة ، وكذلك بحيرة قوم لوط ، كانو يمرون بها أيضًا .

وقوله : ﴿ **وصرفنا الآيات** ﴾ أي : بيّناها وَوَضّحناها ﴿ **لعلهم يرجعون * فلولا نصرهم الذين اتخذوا من دون الله قربانًا آلهة** ﴾ أي : فهلا نصروهم عند احتياجهم إليهم ، ﴿ **بل ضلوا عنهم** ﴾ أي : بل[٤] ذهبوا عنهم أحوجَ ما كانوا إليهم ، ﴿ **وذلك إفكهم** ﴾ أي : كذبهم ، ﴿ **وما كانوا يفترون** ﴾ أي : وافتراؤهم في اتخاذهم إياهم آلهة ، وقد خابوا وخسروا في عبادتهم لها ، واعتمادهم عليها .

وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓاْ أَنصِتُواْ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْاْ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾ قَالُواْ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ

[١] - في ز ، خ : « السابقة » .
[٢] - سقط من : ز ، خ .
[٣] - سقط من : ز .
[٤] - سقط من : ز، خ .

بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾
يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُوا۟ دَاعِىَ ٱللَّهِ وَءَامِنُوا۟ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ
أَلِيمٍ ﴿٣١﴾ وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِىَ ٱللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُۥ مِن دُونِهِۦٓ
أَوْلِيَآءُ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٢﴾

قال الإمام أحمد(٢٥) : حدثنا سفيان ، حدثنا عمرو : سمعت عكرمة ، عن الزبير : ﴿ وإذ صرفنا إليك نفرًا من الجن يستمعون القرآن ﴾ ، قال : بنخلة ، ورسول الله صلىٰ الله عليه وسلم يصلي العشاء الآخرة ، ﴿ كادوا يكونون عليه لبدًا ﴾ ، قال سفيان : اللِّبَد : بعضهم علىٰ بعض ، كاللبد بعضه علىٰ بعض. تفرد به أحمد ، وسيأتي من رواية ابن جرير ، عن عكرمة ، عن ابن عباس : أنهم سبعة من جن نَصِيبين.

وقال الإمام أحمد : حدثنا عفان ، حدثنا أبو عوانة (ح) . وقال الحافظ أبو بكر البيهقي في كتابه « دلائل النبوة » : أخبرنا أبو الحسن علي بن أحمد بن عبدان ، أخبرنا أحمد بن عبيد الصفار ، حدثنا إسماعيل [ ][١] القاضي ، أخبرنا مسدد ، حدثنا أبو عوانة ، عن أبي بشر ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : ما قرأ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم علىٰ الجن ولا رآهم ، انطلق رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم في طائفة من أصحابه عامدين إلىٰ سوق عكاظ ، وقد حيلَ بين الشياطين وبين خبر السماء ، وأرسلت عليهم الشهب ، فرجعت الشياطين إلىٰ قومهم فقالوا : ما لكم ؟ فقالوا : حيل بيننا وبين خبر السماء ، وأرسلت علينا الشهب . قالوا : ما حال بينكم وبين خبر السماء إلا شيء حدث ، فاضربوا مشارق الأرض

---

(٢٥) - المسند (١/١٦٧) وفيه : حدثنا سفيان قال عمرو : وسمعت عكرمة ﴿ وإذ صرفنا إليك ﴾ ، وقرئ على سفيان : عن الزبير (نفرًا من الجن يستمعون القرآن) قال : بنخلة ورسول الله ﷺ يصلى العشاء الآخرة ... الحديث ، فذكره ابن كثير هنا عن الزبير وذكر فيه الآية كاملة . أما الهيثمي - رحمه الله - فقد ذكر الحديث فى مجمع الزوائد (٧/١٣٢) فقال : « عن عكرمة وغيره ﴿ نفرًا من الجن يستمعون القرآن ﴾ قال بنخلة ... رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح » . كذا وقع فى « مجمع الزوائد » فلعل كلمة (الزبير) تحرفت على الناسخ إلى (غيره) والحديث منقطع فإن عكرمة لم يسمع من الزبير ، قال العلامة أحمد شاكر فى تعليقه على المسند الحديث (١٤٣٥) : إنى أرجح أن عكرمة لم يسمع من الزبير ؛ لأن مولاه إنما أهداه لابن عباس حين ولى البصرة من قبل على بن أبى طالب سنة ٣٦هـ ... وذلك بعد وقعة الجمل ومقتل الزبير يقينًا » والحديث ذكره السيوطى فى الدر المنثور (٦/١٦) وزاد نسبته لابن أبى حاتم وابن مردويه .

---

[١] - ما بين المعكوفتين في خ : « بن » .

ومغاربها [وانظروا ما هذا الذي حال بينكم وبين خبر السماء . فانطلقوا يضربون مشارق الأرض ومغاربها][١] يبتغون ما هذا الذي حال بينهم وبين خبر السماء ، فانصرف أولئك النفر الذين[٢] توجهوا نحو تهامة إلىٰ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم وهو بنخلة عامدًا إلىٰ سوق عكاظ ، وهو يصلي بأصحابه صلاة الفجر ، فلما سمعوا القرآن استمعوا له ، فقالوا : هذا - والله - الذي حال بينكم وبين خبر السماء . فهنالك حين رَجَعُوا إلىٰ قومهم قالوا : يا قومنا ، ﴿ **إنا سمعنا قرآنًا عَجَبًا * يهدي إلىٰ الرشد فآمنا به ولن نشرك بربنا أحدًا** ﴾ . وأنزل الله علىٰ نبيه : ﴿ **قل أُوحي إليّ أنه استمع نفر من الجن** ﴾ . وإنما أُوحي إليه قول الجن(٢٦) .

رواه البخاري عن مسدد بنحوه ، وأخرجه مسلم عن شيبان بن فَرّوخ ، عن أبي عوانة ، به . ورواه الترمذي والنسائي في التفسير ، من حديث أبي عوانة .

وقال الإمام أحمد أيضًا(٢٧) : حدثنا أبو أحمد ، حدثنا إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : كان الجنّ يستمعون الوحي ، فيسمعون الكلمة فيزيدون فيها عشرًا ،فيكون ما سمعوا حقًّا وما زادوا باطلًا ، وكانت النجوم لا يُرمىٰ بها قبل ذلك ، فلما بُعث رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم كان أحدهم لا يأتي مقعده إلا رُمي بشهاب يُحرِقُ ما أصاب ، فَشَكَوا ذلك إلىٰ إبليس فقال : ما هذا إلا من أمر قد حَدَث ، فبثّ جنوده ، فإذا بالنبي صلىٰ الله عليه وسلم يصلي بين جبلي نخلة ، فأتوه فأخبروه ، فقال : هذا الحدث الذي حدث في الأرض. رواه الترمذي والنسائي في كتابي التفسير من سننيهما ، من حديث إسرائيل به .

وقال الترمذي : حسن صحيح. وهكذا رواه أيوب عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس . وكذا رواه العوفي ، عن ابن عباس أيضًا بمثل هذا السياق بطوله . وهكذا قال الحسن البصري : إنه - عليه السلام - ما شعر بأمرهم حتىٰ أنزل الله عليه بخبرهم .

---

(٢٦) - رواه أحمد فى مسنده (٢٥٢/١) ورواه البخارى فى « صحيحه » فى الأذان ، باب : الجهر بقراءة صلاة الفجر حديث (٧٧٣) وفى التفسير ، حديث (٤٩٢١) ، ومسلم فى « صحيحه » فى الصلاة ، باب : الجهر بالقراءة فى الصحيح ، والقراءة على الجن حديث (٤٤٩) (١٤٩) والترمذى فى « جامعه » كتاب التفسير ، باب : ومن سورة الجن حديث (٣٣٢٣) ، والنسائى فى تفسيره رقم (٦٤٤) من طرق عن أبى عوانة به .

(٢٧) - المسند (٢٧٤/١) (٢٤٨٢) ورواه الترمذى فى كتاب التفسير ، باب : ومن سورة الجن حديث (٣٣٢٤) والنسائى فى التفسير رقم (٦٤٦) من طريق إسرائيل به ، ورواه أحمد (٣٢٣/١) (٢٩٧٩) من طريق إسرائيل ، عن سماك ، عن سعيد بن جبير عن ابن عباس .

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ . [٢] - في ز،خ : « الذي » .

وذكر محمد بن إسحاق (٢٨) ، عن يزيد بن رومان ، عن محمد بن كعب القُرَظي قصَّةَ خروج رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم إلىٰ الطائف ودعائه إياهم إلىٰ الله - عز وجل - وإبائهم عليه . فذكر القصة بطولها ، وأورد ذلك الدعاء الحسن : « **اللهم ، إليك أشكو ضعف قوتي وقلة حيلتي ...**» إلىٰ آخره . قال : فلما انصرف عنهم بات بنخلة ، فقرأ تلك الليلة من القرآن فاستمعته[١] الجن من أهل نَصيبين .

وهذا صحيح ، ولكن قوله : « إن الجن كان استماعهم تلك الليلة » . فيه نظر ؛ لأن الجن كان استماعهم في ابتداء الإِيحاء ، كما دل عليه حديث ابن عباس المذكور ، وخروجه - عليه السلام - إلىٰ الطائف كان بعد موت عمه ، وذلك قبل الهجرة بسنة أو سنتين ، كما قرره ابن إسحاق وغيره .

وقال أبو بكر بن أبي شَيْبَةَ (٢٩) : حدثنا أبو أحمد الزّبيريّ ، حدثنا سفيان ، عن عاصم ، عن زرّ ، عن عبد الله بن مسعود قال : هبطوا علىٰ النبي صلىٰ الله عليه وسلم وهو يقرأ القرآن ببطن نخلة ، فلما سمعوه قالوا : أنصتوا . قال : صه . وكانوا تسعة أحدهم زوبعة ، فأنزل الله عز وجل : ﴿ **وإذ صرفنا إليك نفرًا من الجن يستمعون القرآن فلما حضروه قالوا أنصتوا فلما قُضي ولوا إلىٰ قومهم منذرين** ﴾ إلىٰ ﴿ **ضلال مبين** ﴾ .

فهذا مع الأول من رواية ابن عباس يقتضي أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم لم يشعر بحضورهم في هذه المرة ، وإنما استمعوا قراءته ، ثم رجعوا إلىٰ قومهم ، ثم بعد ذلك وفدوا إليه أرسالًا(*) قومًا بعد قوم ، وفوجًا بعد فوج ، كما ستأتي[٢] بذلك الأخبار في موضعه[٣]

(٢٨) - رواه ابن إسحاق كما فى سيرة ابن هشام (٢/٤٤٤ - ٤٤٥) وإسناده مرسل فإن محمد بن كعب القرظى من ثقات التابعين ولد سنة أربعين على ما رجحه الحافظ فى « التقريب » والحديث رواه الطبرانى كما فى مجمع الزوائد (٦/٣٨) من حديث عبد الله بن جعفر . وقال الهيثمى : فيه ابن إسحاق وهو مدلس ثقة وبقية رجاله ثقات . ولم أقف على إسناده فى المطبوع من معجم الطبرانى الكبير بسبب فقد الجزء الذى يحتوى على مرويات العبادلة من الصحابة عدا ابن مسعود وابن عباس ، وجزء من حديث ابن عمر رضى الله عنهم .

(٢٩) - رواه ابن أبى شيبة ، ومن طريقه الحاكم فى المستدرك (٢/٤٥٦) ، والبيهقى فى دلائل النبوة (٢/ ٢٢٨) وصححه الحاكم ووافقه الذهبى . وفى إسناده أبو أحمد الزبيرى وهو محمد بن عبد الله بن الزبير الأسلمى ثقة ثبت ؛ إلَّا أن الإمام أحمد قال : كان كثير الخطأ فى حديث سفيان . كذا فى « التهذيب » (٢٥/٤٧٩) والحديث ذكره السيوطى فى الدر المنثور (٦/١٦) وزاد نسبته إلى ابن منيع وابن مردويه وأبى نعيم فى « دلائل النبوة » .

(*) يقال : جاء القوم أرسالًا ، أي جماعات متتابعين .

[١] - في ت : « فاستمعه » .

[٢] - في ت : « سيأتي » .

[٣] - في ت : « موضعها » .

والآثار ، مما سنوردها هاهنا إن شاء الله تعالىٰ وبه الثقة .

فأما ما رواه البخاري ومسلم جميعًا(٣٠) ، عن أبي قدامة عبيد الله بن سعيد السَّرخسي ، عن أبي أسامة حماد بن أسامة ، عن مسعر بن كدام ، عن مَعن بن عبد الرحمن قال : سمعت أبي قال : سألت مسروقًا : من آذَنَ النبي صلىٰ الله عليه وسلم ليلة استمعوا القرآن ؟ فقال : حدثني أبوك - يعني ابن مسعود - أنه آذنته[١] بهم شجرة - فيحتمل أن يكون هذا في المرة الأولىٰ ، ويكون إثباتًا مقدمًا علىٰ نفي ابن عباس ، ويحتمل أن يكون هذا في بعض المرات المتأخرات ، والله أعلم . ويحتمل أن يكون في الأولىٰ ولكن لم يشعر بهم حال استماعهم حتىٰ آذنته بهم الشجرة[٢] ، أي : أعلمته باستماعهم ، والله أعلم .

قال الحافظ البيهقي (٣١) : وهذا الذي حكاه ابن عباس - رضي الله عنهما[٣] - إنما هو في أول ما سمعت الجن قراءة رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم وعلمت حاله ، وفي ذلك الوقت لم يقرأ عليهم ولم يرهم ، ثم بعد ذلك أتاه داعي الجن فقرأ عليهم القرآن ، ودعاهم إلىٰ الله - عز وجل - كما رواه عبد الله بن مسعود رضي الله عنه .

[ذكر الرواية عنه بذلك]

قال الإمام أحمد (٣٢) : حدثنا إسماعيل بن إبراهيم ، حدثنا داود ، عن الشعبي - وابن أبي زائدة ، أخبرنا داود ، عن الشعبي ، عن[٤] علقمة قال : قلت لعبد الله بن مسعود : هل صَحِب رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ليلة الجن منكم أحد ؟ فقال : ما صحبه منا أحد ،

---

(٣٠) - رواه البخارى فى « صحيحه » كتاب مناقب الأنصار ، باب : ذكر الجن . وقوله الله تعالى : ﴿ قل أوحى إليَّ أنه استمع نفر من الجن ﴾ حديث (٣٨٥٩) ، ومسلم فى « صحيحه » كتاب الصلاة ، باب : الجهر بالقراءة فى الصبح والقراءة على الجن حديث (١٥٣/٤٥٠) من طريق عبيد الله بن سعيد به . ورواه الحميدى كما فى المنتخب من مسنده رقم (١٢٣) قال : حدثنا سفيان ، عن مسعر ، عن عمرو بن مرة ، عن أبي عبيدة قال : قال لى مسروق : أخبرنى أبوك أن شجرة أنذرت النبى ﷺ بالجن .

(٣١) - انظر دلائل النبوة للبيهقى (٢٢٧/٢) مع قليل من التصرف .

(٣٢) - المسند (٤٣٦/١) (٤١٤٩) ومن طريقه رواه البيهقى فى الدلائل (٢٢٩/٢) ورواه مسلم فى «صحيحه» كتاب الصلاة ، باب : الجهر بالقراءة فى الصبح والقراءة على الجن حديث (١٥٠/٤٥٠) والترمذى فى كتاب تفسير القرآن ، باب : « ومن سورة الأحقاف » حديث (٣٢٥٨) من طريق إسماعيل بن إبراهيم ، عن داود بن أبى هند به نحوه . ورواه النسائى فى الكبرى كما فى تحفة الأشراف (٩٤٦٣) وهو فى التفسير برقم (٦٤٣) وابن خزيمة فى صحيحه (٨٢) من طريق يحيى بن زكريا بن أبى زائدة ، عن داود به . ورواه مسلم أيضًا فى نفس الموضع حديث (١٥١/٤٥٠) من طريق عبد الله بن إدريس ، عن =

---

[١] - في خ : « آذن » .
[٢] - مكانها بياض في : ز ، سقط من : خ .
[٣] - في ز ، خ: « عنه » .
[٤] - بعده في خ : « أبي » .

ولكنا فقدناه ذات ليلة بمكة ، فقلنا : اغتيل ؟ استُطير (*) ؟ ما فعل ؟ قال : فبتنا بشرّ ليلة بات بها قوم ، فلما كان في وجه الصبح - أو قال : في السحر - إذا نحن به يجيء من قِبَل حراء ، فقلنا : يا رسول الله - فذكروا له الذي كانوا فيه - فقال : « **إنه أتاني داعي الجن[١] فأتيتهم فقرأت عليهم** » . قال : فانطلق ، فأرانا آثارهم وآثار نيرانهم - قال : وقال الشعبي : سألوه الزاد - قال عامر : سألوه [ليلتئذٍ الزاد][٢] ، وكانوا من جن الجزيرة ، فقال : « **كل عظم ذكر اسم الله عليه يقع في أيديكم أوفر ما كان عليه[٣] لحمًا ، وكل بعرة أو روثة علف لدوابكم** » **قال** : « **فلا تستنجوا بهما فإنهما زاد إخوانكم من الجن** » . وهكذا رواه مسلم في صحيحه ، عن علي بن حُجْر ، عن إسماعيل ابن عُلَيَّة ، به نحوه .

وقال مسلم أيضًا(٣٣) : حدثنا محمد بن المثنىٰ ، حدثنا عبد الأعلىٰ ، حدثنا داود - و[٤]هو ابن أبي هند - عن عامر قال : سألتُ علقمةَ : هل كان ابن مسعود - رضي الله عنه - شَهِدَ مع رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ليلة الجن ؟ قال : فقال علقمة : أنا سألتُ ابنَ مسعود ، فقلت : هل شهد أحدٌ منكم مع رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ليلة الجن ؟ قال : لا ، ولكنا كنا مع رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ذات ليلة ، ففقدناه[٥] فالتمسناه في الأودية والشعاب ، فقلنا[٦] : استطير ؟ اغتيل ؟ قال : فبتنا بشرّ ليلة بات بها قوم ، فلما أصبحنا إذا هو جاء من قبل حراء قال : فقلنا : يا رسول الله ؛ فقدناك فطلبناك فلم نجدك ، فبتنا بشر ليلة بات بها قوم . فقال : « **أتاني داعي الجن ، فذهبت معهم ، فقرأت عليهم القرآن** » . قال : فانطلق بنا فأرانا آثارهم وآثار نيرانهم ، وسألوه الزاد فقال : « **كل عظم ذُكر اسم الله عليه يقع في أيديكم أوفر ما يكون لحمًا ، وكل بَعْرَة أو روثة علف لدوابكم** » . قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **فلا تستنجوا بهما ، فإنهما طعام إخوانكم** » .

= داود بنفس الإسناد مرفوعًا إلى قوله : وآثار نيرانهم . ولم يذكر ما بعده . ورواه أبو داود فى الطهارة ، باب : الوضوء بالنبيذ حديث (٨٥) من طريق وهيب ، عن داود ، عن عامر ، عن علقمة قال : قلت لعبد الله بن مسعود : من كان منكم مع رسول الله ﷺ ليلة الجن ؟ فقال : ما كان معه منا أحد .

(*) أي : ذُهِبَ به بسرعة ، كأن الطير حملته ، أو اغتاله أحد .

(٣٣) - « صحيح مسلم » كتاب الصلاة ، باب : الجهر بالقراءة فى الصبح والقراءة على الجن حديث (١٥٠/ ٤٥٠) ورواه ابن خزيمة فى صحيحه رقم (٨٢) قال : حدثنا أبو موسى محمد بن المثنى ... فذكر الحديث .

---

[١] - سقط من : ز، خ .

[٢] - في ز ، خ : بمكة . والمثبت من المسند .

[٣] - سقط من : ز ، خ .

[٤] - سقط من : ز، خ .

[٥] - في ز ، خ: « فقدناه » .

[٦] - في خ : « فقال » .

(طريق أخرىٰ عن ابن مسعود) قال أبو جعفر بن جرير(٣٤) : حدثني أحمد بن عبد الرحمٰن ، حدثني عمي ، حدثني يونس ، عن الزهري ، عن عبيد اللّه بن عبد اللّه أن[١] ابن مسعود قال : سمعت رسول اللّه صلىٰ اللّه عليه وسلم يقول : « **بت الليلة أقرأ علىٰ الجن رُبعًا[٢] بالحَجُون** » .

(طريق أخرىٰ فيها[٣] أنه كان معه ليلة الجن ، قال ابن جرير(٣٥) -رحمه الله- : حدثني أحمد بن عبد الرحمن بن وهب ، حدثنا عمي[٤] عبد اللّه بن وهب ، أخبرني يونس ، عن ابن شهاب ، عن أبي عثمان بن سَنَّة الخزاعي ، - وكان من أهل الشام - : أن عبد اللّه بن مسعود قال : قال رسول الله صلىٰ اللّه عليه وسلم لأصحابه وهو بمكة : « **من أحب منكم أن يحضر أمر الجن الليلة فليفعل** » . فلم يحضر منهم أحد غيري ، قال : فانطلقنا حتىٰ إذا كنا بأعلىٰ مكة خط لي[٥] برجله خطًا ، ثم أمرني أن أجلس فيه ، ثم انطلق حتىٰ قام ، فافتتح القرآن فغشيته أسوِدةٌ(*) كثيرة حالت بيني وبينه ، حتىٰ ما أسمع صوته ، ثم طفقوا يتقطعون مثل قطع السحاب ذاهبين ، حتىٰ بقي منهم رهط ، ففرغ[٦]

(٣٤) - تفسير ابن جرير الطبرى (٣٣/٢٦) ورواه أحمد فى مسنده (٤١٦/١) (٣٩٥٤) قال : حدثنا عثمان ابن عمر ، حدثنا يونس ، عن الزهرى به ، ووقع فيه (رفقاء بالحجون) ورواه أبو الشيخ فى « العظمة » (١١٠٤) من طريق عقيل ، عن ابن شهاب به ، ووقع عنده (رفقا) بدون همزة والحديث إسناده منقطع كما قال العلامة أحمد شاكر ؛ فإن عبيد الله لم يدرك عم أبيه عبد الله بن مسعود رضى الله عنه . والحديث ذكره السيوطى فى الدر المنثور (١٦/٦ - ١٧) وزاد نسبته لعبد بن حميد .

(٣٥) - تفسير ابن جرير (٣٢/٢٦) ورواه المزى فى « تهذيب الكمال » ترجمة أبى عثمان بن سنة من طريق حرملة بن يحيى قال : أخبرنا عبد الله بن وهب ... فذكره مثل رواية ابن جرير ورواه النسائى فى « المجتبى » كتاب الطهارة ، باب : النهى عن الاستطابة بالعظم (٣٧/١ - ٣٨) وفى « السنن الكبرى » كتاب الطهارة ، باب : نهى النبى ﷺ عن الاستطابة بالعظم والروث حديث (٣٨) قال : أخبرنا أحمد بن عمرو بن السرح قال : أنبأنا ابن وهب فذكره بسنده مختصرًا : أن رسول الله ﷺ نهى أن يستطيب أحدكم بعظم أو روث . وأبو عثمان بن سنة بفتح السين وتشديد النون ترجم له ابن أبى حاتم فى « الجرح والتعديل » (٤٠٨/٩) وقال : سئل أبو زرعة عنه اسمه فقال : لا أعرف اسمه .

قلت : ذكر المزى فى ترجمته من « التهذيب » أن الزهرى قال : حدثنى أبو عثمان بن سنة الخزاعى ثم الكعبى وكان من أهل دمشق وكان ممن بعلى بن أبى طالب فى الذين خرجوا إليه من أهل الشام فكان يخصهم بمجلسه فى حديثه دون أهل العراق فذكر عنه حديثًا . فحسبه أن الزهرى روى عنه وهو من هو فى الاتقان والحفظ وقال فيه الحافظ فى « التقريب » : مقبول . والحديث صححه الألبانى فى صحيح سنن النسائى رقم (٣٨) .

(*) - جمع قلة لسواد ، وهو الشخص .

[١] - سقط من : ز ، خ .
[٢] - في خ : « رفعا » .
[٣] - في ز ، خ: « فيه » .
[٤] - بعده في خ : « عن » .
[٥] - سقط من : ز ، خ .
[٦] - في ز ، خ: « ففزع » .

رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم مع الفجر ، فانطلق فتبرّز ، ثم أتاني فقال : « **ما فعل الرهط ؟** » . فقلت : هم أولئك يا رسول الله ، فأعطاهم عظما وروثًا زادًا ، ثم نهىٰ[١] أن يستطيب أحد بروث أو عظم .

ورواه ابن جرير(٣٦) عن [محمد بن][٢] عبد الله بن عبد الحكم ، عن أبي زرعة وهب الله بن راشد ، عن يونس بن يزيد الأيلي ، به . ورواه البيهقي(٣٧) في « الدلائل » من حديث عبد الله بن صالح كاتب الليث ، عن الليث ، عن يونس ، به .

وقد روىٰ إسحاق ابن راهويه ، عن جرير ، عن قابوس بن أبي ظبيان ، عن أبيه ، عن ابن مسعود ، فذكر نحو ما تقدم .

ورواه الحافظ أبو نعيم ، من طريق موسىٰ بن عبيدة[٣] ، عن سعيد بن الحارث ، عن أبي المعلىٰ ، عن ابن مسعود ، فذكر نحوه أيضًا .

[(طريق أخرىٰ) قال أبو نعيم(٣٨) : حدثنا أبو بكر بن مالك ، حدثنا عبد الله بن

---

(٣٦) - تفسير ابن جرير (٣٢/٢٦) .

(٣٧) - دلائل النبوة (٢٣٠/٢) .

(٣٨) - وهو عند الإمام أحمد فى مسنده (٣٣٩/١) ورجال إسناده ثقات . أبو تميمة : هو الهجيمى اسمه طريف بن مجالد ، من ثقات التابعين والبكالى هو عمرو (البكالي) بكسر الموحدة وتخفيف الكاف عده بعضهم فى الصحابة . ترجمته فى التاريخ الكبير للبخارى (٣١٣/٦) ، والجرح والتعديل (٢٧٠/٦) والثقات لابن حبان (٢٧٨/٣) وذكره ابن الأثير فى أسد الغابة (١٩٩/٤) وقال : له صحبة ونقل عن أبى نعيم أنه سماه : « عمرو بن سفيان البكالى » وانظر ترجمته فى « تعجيل المنفعة » أيضًا (٢/ الترجمة ٨٠٧) . والحديث رواه الترمذى فى « سننه » كتاب الأمثال ، باب : ما جاء فى مثل الله لعباده حديث (٢٨٦١) قال: حدثنا محمد بن بشار ، حدثنا ابن أبى عدى ، عن جعفر بن ميمون ، عن أبى تميمة الهجيمى ، عن أبى عثمان ، عن ابن مسعود فذكر نحو رواية المسند . وقال الترمذى : هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه ، وأبو تميمة هو الهجيمى واسمه طريف بن مجالد ، وأبو عثمان النهدى اسمه عبد الرحمن بن مل ، وسليمان التيمى قد روى هذا الحديث عنه معتمر ... » فلأبى تميمة فى هذا الحديث شيخان هما أبو عثمان النهدى وأبو عثمان البكالى ، والحديث رواه أيضًا الدارمى فى المقدمة (١٢) باب صفة النبى ﷺ فى الكتب قبل مبعثه . من طريق أبى أسامة ، عن جعفر بن ميمون التيمى عن أبى عثمان النهدى مرسلاً ولم يذكر فيه (أبا تميمة) أيضًا ، والحديث ذكره الهيثمى فى مجمع الزوائد (٢٦٤/٨) وقال : رواه الترمذى باختصار - ورواه أحمد ورجاله رجال الصحيح غير عمرو البكالى وذكره العجلى فى ثقات التابعين وابن حبان وغيره فى الصحابة .

---

[١] - في خ : « نبئ » .

[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز، خ .

[٣] - في ز ، خ: « عبيد » .

أحمد بن حنبل ، حدثني أبي قال : حدثنا عفان [وعارم][١] قالا : حدثنا معتمر قال : قال أبي : حدثني أبو تميمة ، عن عمرو - ولعله قد يكون قال : البكالي - يحدثه عمرو ، عن عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - قال : استبعثني (*) رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم فانطلقنا حتىٰ أتينا مكان كذا وكذا ، فخط لي خِطَّةً[٢] فقال : **« كن بين ظهري هذه لا تخرج منها ؛ فإنك إن خرجت منها هلكت »** ... فذكر الحديث بطوله وفيه غرابة شديدة][٣] .

(طريق أخرىٰ) قال ابن جرير(٣٩) : وحدثنا ابن عبد الأعلىٰ ، حدثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن يحيىٰ بن أبي كثير ، عن عبد الله بن عمرو بن غيلان الثقفي : أنه قال لابن مسعود : حُدِّثتُ[٤] أنك كنت مع رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ليلة وفد الجن ؟ قال : أجل . قال : فكيف كان ؟ فذكر الحديث كله ، وذكر أن النبي صلىٰ الله عليه وسلم خط عليه خطًّا ، وقال : **« لا تبرح منها »** ... فذكر مثل العَجَاجة(**) السوداء غشيت رسولَ الله صلىٰ الله عليه وسلم ، فذعر ثلاث مرات ، حتىٰ إذا كان قريبًا من الصبح ، أتاني النبي صلىٰ الله عليه وسلم [فقال : **« أنمت ؟ »**][٥] فقلت : لا والله ، ولقد هممت مرارًا أن أستغيث بالناس حتىٰ سمعتك تقرعهم بعصاك ، تقول : **« اجلسوا »** فقال : **« لو خرجت لم آمن أن يخطفك بعضهم »** .

ثم قال : **« هل رأيت شيئًا ؟ »** فقلت : نعم ، رأيت رجالًا سودًا [مستشعرين(***) ثيابًا بياضًا][٦] . قال : **« أولئك جن نصيبين ، سألوني المتاع »** - والمتاع : الزاد - [**فمتعتهم**

(*) من الباعث ، وهو إثارة البارك ، أو الجالس .

(٣٩) - تفسير ابن جرير (٣٢/٢٦) وعبد الله بن عمرو بن غيلان الثقفي روى عنه قتادة وجعفر بن إياس وذكره ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل (١١٧/٥) فلم يذكر فيه جرحًا ولا تعديلاً وذكره ابن حبان في الثقات (٥١/٧) وبقية رجاله ثقات .

(**) العجاجة واحدة العجاج ، وهو الغبار أو الدخان .

(***) استشعر الثوب : لبسه شعارًا ، والشعار : هو ما يلي الجسد من الثياب ؛ لأنه يلي شعره .

[١] - في ت : عكرمة .

[٢] - في ت : خطًا . والمثبت من المسند ، والخطة : ما يختطه الإنسان لنفسه من الارض ونحوها .

[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

[٤] - في ز، خ : « حديث » .

[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

[٦] - ما بين المعكوفتين في ز ، خ : « مستنفرين ثيابًا بيضا » .

بكل]‏[١] عظم حائل(*) ، أو بعْرَة ، أو روثة » . فقلت : يا رسول الله ، وما يغني ذلك عنهم ؟ فقال : « **إنهم لا يجدون عظمًا إلا وجدوا عليه لحمه يوم أكل ، ولا روثًا إلا وجدوا فيها حبها يوم أكلت ، فلا يستنقين أحدٌ منكم إذا خرج من الخلاء بعظم ولا بعرة ولا روثة** » .

(طريق أخرىٰ) قال الحافظ أبو بكر البيهقي(٤٠) : أخبرنا أبو عبد الرحمن السلمي وأبو نصر ابن قتادة قالا : أخبرنا أبو محمد يحيىٰ بن منصور القاضي ، حدثنا أبو عبد اللَّه محمد بن إبراهيم البُوشَنْجي ، حدثنا روح بن صلاح ، حدثنا موسىٰ بن عُلَيّ بن رباح ، عن أبيه ، عن عبد اللَّه بن مسعود قال : استتبعني[٢] رسولُ اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم فقال : « **إن نفرًا من الجن - خمسةَ عشَرَ بني إخوة وبني عم - يأتونني[٣] الليلة ، فأقرأ عليهم القرآن**» . فانطلقتُ معه إلىٰ المكان الذي أراد ، فخط لي خطًا وأجلسني فيه ، وقال لي : « **لا تخرج من هذا** » . فبتّ فيه حتىٰ أتاني رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم مع السحر في يده عظم حائل وروثة [حُمَمة(**) فقال لي : « **إذا ذهبت إلىٰ الخلاء فلا تستنج بشيء من هؤلاء** » .

قال : فلما أصبحت قلت : لأعلمن]‏[٤] علمي[٥] حيث كان رسول الله صلىٰ اللَّه عليه وسلم . قال : فذهبت فرأيت موضع مبرك ستين بعيرًا .

(طريق أخرىٰ) قال البيهقي(٤١) : أخبرنا أبو عبد اللَّه الحافظ ، أخبرنا أبو العباس الأصم ، حدثنا العباس بن محمد الدُّوري[٦] ، حدثنا عثمان بن عمر ، عن المستمر بن الريان ، عن أبي الجوزاء[٧] ، عن عبد اللَّه بن مسعود قال : انطلقت مع رسول اللَّه صلىٰ اللَّه

(*) أي متغيِّر قد غيَّره البِلَي .

(٤٠) - دلائل النبوة (٢٣١/٢) وفى إسناده روح بن صلاح المصرى المعروف بسيابة ، ضعفه ابن عدى لكن وثقه الحاكم ، وذكره ابن حبان فى الثقات . له ترجمة فى الميزان (٢٤٨/٢) ، وفى اللسان (٥٣٩/٢) وشيخه موسى بن على بن رباح من رجال « التهذيب » قال ابن حجر : صدوق ربما أخطأ . فالإسناد حسن فى ظاهره ، والله أعلم .

(**) أي : متفحمة .

(٤١) - رواه البيهقى فى دلائل النبوة (٢٣١/٢ - ٢٣٢) ورجاله ثقات . عثمان بن عمر هو عثمان بن عمر ابن فارس العبدى ثقة ، روى له الجماعة وشيخه المستمر بن الريان ، روى له مسلم وغيره ، وهو ثقة ، وأبوالجوزاء هو أوس بن عبد الله الربعى ، روى له الجماعة ونقل ابن عدى فى الكامل (٤٠٢/١) عن البخارى أنه قال : فى إسناده نظر . وقال ابن عدى : أبو الجوزاء روى عن الصحابة : ابن عباس ، =

---

[١] - ما بين المعكوفتين في ز : « فمنعتهم كل » .

[٢] - في خ : « استبقني » .

[٣] - في ز، خ : « بابتوني » .

[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

[٥] - في ز ، خ : « علم » .

[٦] - في ز ، خ : « المدورى » .

[٧] - في ز ، خ: « الموزاء » .

عليه وسلم ليلة الجن ، حتىٰ أتىٰ الحَجُون . فخط لي خِطًّا ، ثم تقدم إليهم فازدحموا عليه ، فقال سيّد لهم ، يقال له « وَرْدان » : أنا أَرَحّلُهم عنك . فقال : إني لن يجيرني من الله أحد .

(طريق أخرىٰ) قال الإِمام أحمد(٤٢) : حدثنا عبد الرزاق ، حدثنا سفيان ، عن أبي فزارة العبسي ، حدثنا أبو زيد - مولىٰ عمرو بن حريث - عن ابن مسعود قال : لما كان ليلة الجن قال لي النبي صلىٰ الله عليه وسلم : « **أمعك ماء ؟** » . قلت : ليس معي ماء ، ولكن معي إداوة فيها نبيذ . فقال النبي صلىٰ الله عليه وسلم : « **تمرة طيبة ، وماء طهور** » . فتوضأ[١] . ورواه أبو داود والترمذي ، وابن ماجة من حديث أبي[٢] زيد به[٣] .

(طريق أخرىٰ) قال أحمد (٤٣) : حدثنا يحيىٰ بن إسحاق ، أخبرنا ابن لَهيعة ، عن قيس ابن الحجاج ، عن حَنَش[٤] الصَّنعاني ، عن ابن عباس ، عن عبد الله بن مسعود أنه كان مع رسول الله - صلىٰ الله عليه وسلم - ليلة الجن ، فقال رسول الله : « **يا عبد الله ، أمعك ماء ؟** » قال : معي نبيذ في إداوة . فقال : « **اصبب عليّ** » . فتوضأ ، فقال النبي - صلىٰ الله عليه وسلم - : « **يا عبد الله ، شراب وطهور** » . تفرد به أحمد من هذا الوجه ، وقد أورده الدارقطني من طريق آخر[٥] عن ابن مسعود .

= وعائشة ، وابن مسعود وغيرهم وأرجو أنه لا بأس به ، ولا يصحح روايته عنهم أنه سمع منهم ، ويقول البخارى : فى إسناده نظر أنه لم يسمع من مثل ابن مسعود وعائشة وغيرهما ، لا لأنه ضعيف عنده ، وأحاديثه مستقيمة مستغنية عن أن أذكر منها شيئًا فى هذا الموضع » .

ويتضح من كلام ابن عدى هذا أن روايته عن عائشة وابن مسعود مرسلة ولذلك قال الحافظ فى : « التقريب : « يرسل كثيرًا ، ثقة » . وعلى ذلك فهذا الحديث إسناده منقطع بين أبى الجوزاء وابن مسعود والله أعلم .

(٤٢) - المسند (٤٤٩/١) وفيه عن ابن مسعود قال : لما كان ليلة الجن تخلف منهم رجلان ، وقالا : نشهد الفجر معك يا رسول الله فقال لى النبى ﷺ : « **أمعك ماء ؟** .... » الحديث ورواه عبد الرزاق فى مصنفه (٦٩٣) .

(٤٣) - المسند (٣٩٨/١) وفى إسناده ابن لهيعة وهو ضعيف ، ورواه الطبرانى فى الكبير (٩٩٦١) والبزار فى « مسنده » (١٤٣٧) والدارقطنى فى « سننه » (٧٦/١) من طريق يحيى بن بكير ، ثنا ابن لهيعة به . وقال البزار : هذا الحديث لا يثبت لابن لهيعة ، لأن ابن لهيعة كانت قد احترقت كتبه فكان يقرأ من كتب غيره فصار فى أحاديثه أحاديث مناكير ، وهذا منها » . وقال الدارقطنى أيضًا عقب هذا الحديث : ابن لهيعة لا يحتج بحديثه . =

---

[١] - سقط من : ز ، خ .

[٢] - في ز ، خ : « ابن » .

[٣] - سقط من : ز ، خ.

[٤] - في خ : « حسن » .

[٥] - في ت : « آخر » .

(طريق أخرىٰ) قال الإمام أحمد (٤٤) : حدثنا عبد الرزاق ، أخبرني أبي ، عن ميناء ، عن عبد الله قال : كنت مع رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ليلة وفد الجن ، فلما انصرف تنفس ، فقلت : ماشأنك ؟ فقال لي[١] : « **نُعيَتْ إليَّ نفسي يا بن مسعود** » . هكذا رأيته في المسند مختصرًا[٢] ، وقد رواه الحافظ أبو نعيم في كتابه « دلائل النبوة » فقال : حدثنا سليمان بن أحمد بن أيوب ، حدثنا إسحاق بن إبراهيم .

وحدثنا أبو بكر بن مالك ، حدثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل ، حدثنا أبي قالا : حدثنا عبد الرزاق ، عن أبيه ، عن ميناء ، عن[٣] ابن مسعود قال : كنت مع رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ليلة وفد الجن ، فتنفس ، فقلت : مالك يا رسول الله ؟ قال : « **نُعيت إليَّ نفسي يا بن مسعود** » . قلت : استخلف . قال : « **مَن ؟** » قلت : [أبا بكر][٤] . فسكت ثم مضىٰ ساعة فتنفس[٥] ، فقلت : ما شأنك بأبي أنت وأمي يا رسول الله ؟ قال : « **نُعِيَتْ إليَّ نفسي يا بن مسعود** » . قلت : استخلف . قال : « **من ؟** » قلت : عمر . فسكت ثم مضىٰ ساعة ، ثم تنفس فقلت : ما شأنك ؟ قال : « **نُعِيَتْ إليَّ نفسي** » . قلت : فاستخلف . قال صلىٰ الله عليه وسلم : « **من ؟** » قلت : علي بن أبي طالب . قال صلىٰ الله عليه وسلم : « **أما والذي نفسي بيده ، لئن أطاعوه ليدخلن الجنة أجمعين أكتعين**(*) » .

= والحديث رواه ابن ماجة فى « سننه » كتاب الطهارة ، باب : الوضوء بالنبيذ حديث (٣٨٥) ، والطحاوى فى شرح معانى الآثار (٩٤/١) من طريق ابن لهيعة بنفس الإسناد عن ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال لابن مسعود ليلة الجن : « **معك ماء ؟** » ... الحديث فجعل الحديث من مسند ابن عباس وقد أورد الألبانى هذا الحديث فى « ضعيف سنن ابن ماجة » برقم (٨٥) ، وانظر أيضًا مصباح الزجاجة (١/ ١٦٠) .

(٤٤) - المسند (٤٤٩/١) (٤٢٩٤) ورواه عبد الرزاق فى مصنفه (٢٠٦٤٦) بالإسناد المذكور مطولاً ومن طريق عبد الرزاق رواه الطبرانى فى الكبير (٩٩٧٠) بنفس لفظ (المُصَنَّف) وعن الطبرانى رواه أبو نعيم فى «دلائل النبوة » كما ذكر ابن كثير هنا ، وهو « حديث موضوع » فى إسناده ميناء بن أبى ميناء ، كذبه أبوحاتم فى الجرح والتعديل (٨/الترجمة ١٨١١) وقال أبو زرعة : ليس بالقوى وضعفه الترمذى وغيره ، والحديث ذكره الهيثمى فى مجمع الزوائد (١٨٨/٥) وقال : رواه الطبرانى وفيه ميناء وهو كذاب . وللحديث إسناد آخر عند الطبرانى (٩٩٦٩) من طريق أبى عبد الله الجدلى ، عن عبد الله بن مسعود وفى إسناده يحيى بن يعلى الأسلمى وهو ضعيف . كذا قال الهيثمى فى مجمع الزوائد (٣١٨/٨) .

(*) صيغة من صيغ التوكيد .

---

[١] - سقط من : ز ، خ .

[٢] - سقط من : ز ، خ .

[٣] - بياض في ز، خ .

[٤] - في ز، خ : « أبو بكر » .

[٥] - في ز ، خ : « ثم تنفس » .

وهو حديث غريب جدًا وأحرِ به أن لا يكون محفوظًا ، وبتقدير صحته فالظاهر أن هذا بعد وفودهم إليه بالمدينة علىٰ ما سنورده ، فإن في ذلك الوقت في آخر الأمر لما فتحت مكة ، ودخل الناس والجان أيضًا[١] في دين الله أفواجًا ، نزلت سورة : ﴿ **إذا جاء نصر الله والفتح * ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجًا * فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابًا** ﴾ . وهي السورة التي نعيت نفسه الكريمة فيها إليه كما قد نص علىٰ ذلك ابن عباس ، ووافقه عمر بن الخطاب عليه . وقد ورد في ذلك حديث سنورده عند تفسيرها ، والله أعلم .

وقد رواه أبو نعيم أيضًا(٤٥) عن الطبراني[٢] ، عن محمد بن عبد الله الحضرمي[٣] ، عن علي بن الحسين بن أبي بردة ، عن يحيىٰ بن سعيد[٤] الأسلمي ، عن حرب بن صبيح ، عن سعيد بن مسلمة ، عن أبي مُرّة الصنعاني ، عن أبي عبد الله الجَدَلي ، عن ابن مسعود ، فذكره وذكر فيه قصة الاستخلاف ، وهذا إسناد غريب ، وسياق عجيب .

(طريق أخرىٰ) قال الإمام أحمد(٤٦) : حدثنا أبو سعيد ، حدثنا حماد بن سلمة ، عن علي بن زيد ، عن أبي رافع ، عن ابن مسعود : أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم خط حوله ، فكان يجيء أحدهم مثل سواد النخل ، وقال لي : « **لا تبرح مكانك فأقرأهم كتاب الله** » . فلما رأىٰ الزُّطّ[٥] قال : « **كأنهم هؤلاء** » . وقال النبي صلىٰ الله عليه وسلم : « **أمعك ماء ؟** » . قلت : لا . قال : « **أمعك نبيذ ؟** » . قلت : نعم . فتوضأ به .

---

(٤٥) - رواه الطبراني في معجمه الكبير (٦٩٦٩) عنه ، ورواه أبو نعيم في « الدلائل » كما ذكر ابن كثير - رحمه الله - هنا وإسناده ضعيف فإن يحيى بن يعلى الأسلمي « ضعيف » روى ابن عدي في الكامل (٧/ ٢٦٨٨) عن ابن معين قال : ليست بشيء . وقال البخاري في التاريخ الصغير (٢/ ٢٥٤) : مضطرب الحديث ، وضعفه أبو حاتم في الجرح والتعديل (٩/الترجمة ٨٢٠) .

والحديث ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٨/٣١٧-٣١٨) وعزاه للطبراني ثم قال : فيه يحيى بن يعلى الأسلمي وهو ضعيف » . وانظر الحديث السابق .

(٤٦) - المسند (١/٤٥٥) (٤٣٥٣) ورواه الدارقطني (١/٧٧) من طريق محمد بن عباد المكي ، نا أبو سعيد مولى بني هاشم نا حماد بن سلمة به .

وقال الدارقطني عقبة : على بن زيد ضعيف وأبو رافع لم يثبت سماعه من ابن مسعود وليس هذا الحديث في مصنفات حماد بن سلمة وقد رواه أيضاً عبدالعزيز بن أبي رزمة وليس هو بقوي » .

ثم ذكر الدارقطني الحديث من طريق عبدالعزيز بن أبي رزمة عن حماد به ، وقد صحح العلامة أحمد شاكر=

---

[١] - سقط من : خ .

[٢] - بياض في ز ، خ.

[٣] - في ز، خ : « الحضرى » .

[٤] - بياض في : ز، خ .

[٥] - في ز ، خ : « المزعا » .

(طريق أخرى مرسلة) قال ابن أبي حاتم(٤٧) : حدثنا أبو[١] عبد الله الطهراني ، أخبرنا حفص بن عمر العَدَني[٢] ، حدثنا الحكم بن أبان ، عن عكرمة في قوله تعالىٰ[٣] : ﴿ **وإذ صرفنا إليك نفرًا من الجن** ﴾ ، قال : هم اثنا عشر ألفًا جاءوا من جزيرة الموصل ، فقال النبي صلىٰ الله عليه وسلم لابن مسعود : « **أنظرني حتىٰ آتيك** » ، وخط عليه [خِطَّةً][٤] ، وقال : « **لا تبرح حتىٰ آتيك** » . فلما خشيهم ابنُ مسعود كاد أن يذهب ، فذكر قولَ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم فلم يبرح ، فقال له النبي صلىٰ الله عليه وسلم : « **لو ذهبتَ ما التقينا إلىٰ يوم القيامة** » .

(طريق أخرى مرسلة أيضًا) قال سعيد بن أبي عَرُوبة ، عن قتادة في قوله تعالىٰ : ﴿ **وإذ صرفنا إليك نفرًا من الجن** ﴾ ، قال : ذُكر لنا أنهم صُرفوا إليه[٥] من نينوَىٰ ، وأن نبي الله صلىٰ الله عليه وسلم قال : « **إني أمرت أن أقرأ علىٰ الجن ، فأيكم يتبعني ؟** » . فأطرقوا ، ثم استتبعهم فأطرقوا ، ثم استتبعهم الثالثة فقال رجل : يا رسول الله ؛ إن ذاك لذو ندبة(*) فأتبعه ابن مسعود أخو هذيل ، قال : فدخل النبي صلىٰ الله عليه وسلم شعبًا يقال له « **شعب الحَجُون** » ، وخط عليه ، وخط علىٰ ابن مسعود ليثبته بذلك ، قال : فجعلت أهال(**) وأرى[٦] أمثال النسور تمشي في رفوفها ، وسمعت لغطًا[٧](***) شديدًا حتىٰ خفت

= هذا الإسناد في تعليقه على المسند فقال بعد نقل كلام الدارقطني : وهو تعليل متهافت ، فإن علي بن زيد قد رجحنا توثيقه ، وأبو رافع الصائغ : تابعي مخضرم ، أدرك الجاهلية ، وهو ثقة مشهور ، روى عن كبار الصحابة الخلفاء الأربعة فمن بعدهم فلا يلتفت إلى التشكيك في سماعه من ابن مسعود .. وأما أن الحديث ليس في مصنفات حماد بن سلمة فهذا من أعجب تعليل سمعناه وأضعفه ! » .

وهذا الكلام يسلم للعلامة أحمد شاكر فيه عدا توثيقه لعلي بن زيد فإنه قد ضعفه أحمد وابن معين والعجلي والجوزجاني والنسائي والدارقطني وغيرهم . وانظر الكلام على هذا الحديث في « نصب الراية » (١/١٤١-١٤٢) .

(٤٧) - تفسير ابن أبي حاتم (٣٢٩٦/١٠) وفي إسناده (حفص بن عمر السعدني) قال أبو حاتم : لين الحديث وقال النسائي : ليس بثقة وقال ابن عدي : عامة حديثه غير محفوظ وأخاف أن يكون ضعيفاً كما ذكره النسائي . وانظر ترجمته في (تهذيب الكمال) (٧/ت١٤٠٥) وشيخه الحكم بن أبان قال عنه الحافظ في (التقريب) : صدوق عابد له أوهام . ومع هذا فالحديث مرسل ، وقد ذكر السيوطي في الدرالمنثور (٦/١٧) الجزء الموقوف على عكرمة وعزاه لابن أبي حاتم وحده .

(*) في ابن جرير : بدئة .

(**) أهال : أخاف . وفعله : هال يهول هولًا ، إذا خاف ورُعِب .

(***) اللَّغط : الصياح ، والجلَبَة .

[١] - سقط من : ز ، خ .

[٢] - في ز ، خ : « العبدي » .

[٣] - سقط من : ز، خ .

[٤] - في ت : خطا .

[٥] - سقط من : خ .

[٦] - في ز ، خ : « ورأى » .

[٧] - في ز : « لفظا » .

علىٰ نبي الله صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ثم تلا القرآن ، فلما رجع رسول الله صلىٰ اللّٰه عليه وسلم قلت : يا رسول الله ، ما اللغط[١] الذي سمعت ؟ قال : « **اختصموا في قتيل ، فقضي بينهم بالحق** »(٤٨) . رواه ابن جرير ، وابن أبي حاتم .

فهذه الطرق كلها تدل علىٰ أنه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ذهب إلىٰ الجن قصدًا ، فتلا عليهم القرآن ، ودعاهم إلىٰ الله - عز وجل - وشرع اللّٰه لهم علىٰ لسانه ما هم محتاجون إليه في ذلك الوقت .

وقد يحتمل أن أول مرة سمعوه يقرأ القرآن لم يشعر بهم ، كما قاله ابن عباس رضي اللّٰه عنهما .

ثم بعد ذلك وفدوا إليه كما رواه ابن مسعود ، وأما ابن مسعود فإنه لم يكن مع رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم حال مخاطبته للجن ودعائه إياهم ، وإنما كان بعيدًا منه ولم يخرج مع النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم أحد سواه ، ومع هذا لم يشهد حال المخاطبة ، هذه طريقة البيهقي .

وقد يحتمل أن يكون أول مرة خرج إليهم لم يكن معه ابن مسعود ولا غيره ، كما هو ظاهر سياق الرواية الأولىٰ من طريق الإمام أحمد ، وهي عند مسلم . ثم بعد ذلك خرج معه ليلة أخرىٰ واللّٰه أعلم .

كما روىٰ ابن أبي حاتم في تفسير ﴿ **قل أوحي** ﴾ من حديث ابن جريج قال : قال عبد العزيز ابن عُمَر : أما الجن الذين لقوه بنخلة فجن نينوىٰ ، وأما الجن الذين لقوه بمكة فجن نصيبين . وتأوله البيهقي علىٰ أنه يقول : « **فبتنا بشر ليلة بات بها قوم** » . علىٰ غير ابن مسعود ممن[٢] لم يعلم بخروجه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم إلىٰ الجن ، وهو محتمل علىٰ بُعْد ، واللّٰه أعلم .

وقد قال الحافظ أبو بكر البيهقي(٤٩) : أخبرنا أبو عمرو محمد بن عبد اللّٰه الأديب ، أخبرنا أبو بكر الإسماعيلي ، أخبرنا الحسن بن سفيان ، حدثني سُوَيد بن سعيد ، حدثنا عمرو بن يحيىٰ ، عن جده سعيد بن عمرو قال : كان أبو هريرة يَتْبَع رسولَ الله صلىٰ اللّٰه عليه وسلم بإداوة لوضوئه وحاجته ، فأدركه يومًا فقال : « **من هذا ؟** » قال : أنا أبو هريرة . قال : « **ائتني بأحجار أستجي[٣] بها ، ولا تأتني بعظم ولا رَوْثَة** » . فأتيته بأحجار في

---

(٤٨) - تفسير ابن جرير (٣١/٢٦) ، وإسناده صحيح لكنه مرسل .

(٤٩) - رواه البيهقي في (دلائل النبوة) (٢٣٣/٢) ورواه في السنن الكبرى (١٠٧/١-١٠٨) قال : =

---

[١] - في ز : « اللفظ » .

[٢] - في خ : « فمن » .

[٣] - في ت : « أستنج » .

ثوبي، فوضعتها إلىٰ جنبه حتىٰ إذا فرغ وقام اتبعته ، فقلت : يا رسول الله ، ما بال العظم والروثة ؟ قال : « **أتاني وَفْدُ جِنّ نصيبين ، فسألوني الزاد ، فدعوت اللّٰه لهم أن لا يمروا بعظم ولا روثة[١] إلا وجدوا طعامًا** » . أخرجه البخاري في صحيحه ، عن موسىٰ بن إسماعيل ، عن عمرو بن يحيىٰ ، بإسناده قريبًا منه . فهذا يدل مع ما تقدم على أنهم وفدوا عليه بعد ذلك ، وسنذكر ما يدل على تكرار ذلك .

وقد رُوي عن ابن عباس غير ما ذكر عنه أولًا من وجه جيد فقال ابن جرير(٥٠) : حدثنا أبو كريب ، حدثنا عبد الحميد الحمّاني ، حدثنا النضر بن عربي ، عن عكرمة ، عن ابن عباس في قوله : ﴿ **وإذ صرفنا إليك نفرًا من الجن** ﴾ ... الآية ، قال[٢] كانوا سبعة نفر من أهل نصيبين ، فجعلهم رسول الله صلىٰ اللّٰه عليه وسلم رُسُلًا إلى قومهم ، فهذا يدل على أنه قد روىٰ القصتين .

= أخبرنا أبو عبدالله محمد بن عبد الله الحافظ أن أبو بكر محمد بن عبدالله (الأسلمي) فذكره وفيه « أبغني أحجاراً أستنفص بها » والحديث رواه البخاري في (صحيحه) في الوضوء ، باب الاستنجاء بالحجارة ، حديث (١٥٥) وفي كتاب مناقب الأنصار ، باب : إسلام سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه ، من طريقين عن عمرو بن يحيىٰ بن سعيد بن عمرو المكي عن جله به .

(٥٠) - تفسير ابن جرير الطبري (٢٦/٣٠-٣١) ورواه الطبراني في الكبير (١١٦٦٠) قال : حدثنا محمد بن عبدالله الحضرمي أبو كريب .. فذكره بسنده ومتنه ، وإسناده لا بأس به ، فإن عبد الحميد الحماني صدوق وإن كان له أوهام كما قال ابن حجر في « التقريب » وشيخه النضر أبو عمر ، هو النضر بن عربي الباهلي وثقه أحمد وابن معين وأبو زرعة . وقال أبو حاتم والنسائي وابن عدي : لا بأس به ، ولم يضعفه غير ابن سعد ، وجرحه فيه غير مفسر ، وقد قال ابن حجر في « التقريب » : لا بأس به .

والحديث ذكره الهيثمي في المجمع (١٠٩/٧) وقال : فيه النضر أبو عمر ، وهو متروك وقد تبين ما في كلام الهيثمي - رحمه الله - هذا .

والحديث رواه الطبراني في الأوسط (٦) من طريق عفير بن معوان ، عن قتادة ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : صرفت الجن إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم مرتين ، وكان أشراف الحسن بـ «نصيبين » . ورواه البزار كما في مجمع الزوائد (١٠٩/٧) من طريق عفير بن معوان وفيه « كانت أشراف الجن بالموصل » وقال الهيثمي (فيهما - إسنادي الطبراني والبزار - عفير بن معوان وهو متروك) .

وللحديث طريق آخر عند الطبراني في (الأوسط) كما في (مجمع الزوائد) : أن الجن الذين أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أتوه وهو بنخلة) .

وفي إسناده جابر الجعفي وهو ضعيف وقد أخرجه من هذه الطريق ابن جرير في « تفسيره » (٣٣/٢٦) وزاد السيوطي في الدرالمنثور (١٦/٦) نسبته لابن المنذر وأبي نعيم في « الدلائل » .

---

[١] - في ت : « بروثة » . [٢] - سقط من ت .

وقال ابن أبي حاتم (٥١) : حدثنا علي بن الحسين ، حدثنا سويد بن عبد العزيز ، حدثنا رجل سماه ، عن ابن جريج ، عن مجاهد : ﴿ وإذ صرفنا إليك نفرًا من الجن ﴾ ... الآية . قال : كانوا سبعة نفر ، ثلاثة من أهل حران ، وأربعة من أهل نَصيبين ، وكانت أسماؤهم حيي وحسي ومسي ، وشاصر ، وناصر ، والأزد[١] ، وإيبان ، والأحقم .

وذكر [أبو حَمْزَة][٢] الثمالي أن هذا الحي من الجن كان يقال لهم : بنو الشيصبان ، وكانوا أكثر [ ][٣] الجن عددًا وأشرفهم[٤] نسبًا ، وهم كانوا عامة جنود إبليس .

وقال سفيان الثوري ، عن عاصم ، عن زر[٥] ، عن ابن مسعود . كانوا تسعة ، أحدهم ذوبعة[٦] ، أتوه من أصل نخلة(٥٢) .

وتقدم عنه أنهم كانوا خمسة عشر ، وفي رواية : أنهم كانوا علىٰ ستين راحلة . وتقدم عنه أن اسم سيدهم وردان . وقيل : كانوا ثلاثمائة ، وتقدم عن عكرمة أنهم كانوا اثني عشر ألفًا ، فلعل هذا الاختلاف دليل علىٰ تكرر وفادتهم عليه صلوات اللّٰه وسلامه عليه ، ومما يدل علىٰ ذلك ما قاله البخاري في صحيحه (٥٣) :

حدثنا يحيىٰ بن سليمان ، حدثني ابن وهب ، حدثني عمر - هو ابن محمد - أن سالمًا حدثه ، عن عبد اللّٰه بن عمر قال : ما سمعت عمر يقول لشيء قط[٧] : إني [لأظنه كذا][٨] إلا كان كما يظن ، بينما عمر بن الخطاب جالس ، إذ مَرّ به رجل جميل ، فقال : لقد أخطأ[٩] ظني أو إن هذا علىٰ دينه في الجاهلية ، أو لقد كان كاهنهم - عَلَيّ بالرجل ، فَدُعي له[١٠] ، فقال له ذلك ، فقال : ما رأيت كاليوم استُقبِلَ به رجل مسلم .

---

(٥١) - تفسير ابن أبي حاتم (٣٢٩٧/١٠) وفي إسناده سويد بن عبدالعزيز وهو « ضعيف » كما قال الحافظ في « التقريب » ، وشيخه مجهول ، وابن جريج مدلس معروف بالتدليس . والخبر ذكره السوطي في الدرالمنثور (١٧/٦) ولم يعزه لغير ابن أبي حاتم .

(٥٢) - تقدم تخريجه رقم (٣٠) .

(٥٣) - صحيح البخاري : كتاب مناقب الأنصار ، باب : إسلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، حديث (٣٨٦٦) .

---

[١] - في ت : « والأرد » .

[٢] - ما بين المعكوفتين في ز، خ : « ابن حزّة » .

[٣] - ما بين المعكوفتين في خ : « من » .

[٤] - في ز ، خ: « وأبر لهم » .

[٥] - في ت : « ذر » .

[٦] - في ت : « ذوبعة » .

[٧] - سقط من : ز ، خ .

[٨] - ما بين المعكوفتين في ز ، خ: « لأظن لكذا » .

[٩] - في خ : « أخذ » .

[١٠] - في ز ، خ : « به » .

قال : فإني أعزم عليك إلا ما أخبرتني . قال : كنت كاهنَهم في الجاهلية . قال : فما أعجب ما جاءتك[١] به جِنِّيَّتُك . قال : بينما أنا يومًا في السوق جاءتني أعرف فيها الفزع ، فقالت :

ألم تـر الجن وإبـلاسـهـا(*) ويأسـهـا من بـعـد إنكـاسـهـا(**)
ولحوقهـا بالقـلاص وأحلاسهـا(***) .

قال عمر : صدق ، بينما أنا نائم عند آلهتهم ، إذ جاء رجل بعجل فذبحه ، فصرخ به صارخ ، لم أسمع صارخًا قط أشد صوتًا منه ، يقول : يا جَليح ، أمرٌ نَجيح ، رجل فصيح يقول : « لا إله إلا الله » . فوثب القوم فقلت : لا أبرح حتىٰ أعلم ما وراء هذا ؟ ثم نادىٰ : يا جَليح ؛ أمر نَجيح ، رجل فصيح يقول : « لا إله إلا الله » . فقمت ، فما نَشِبنا(****) أن قيل : هذا نبي . هذا سياق البخاري ، وقد رواه البيهقي من حديث ابن وهب ، بنحوه ، ثم قال : وظاهر هذه الرواية يُوهم[٢] أن عمر بنفسه سمع الصارخ يصرخ من العجل الذي ذُبح ، وكذلك هو صريح[٣] في رواية ضعيفة عن عمر [في إسلامه][٤] ، وسائر الروايات تدل على أن هذا الكاهن هو الذي أخبر بذلك عن رؤيته[٥] وسماعه . والله أعلم (٥٤) .

وهذا الذي قاله البيهقي هو المتجه ، وهذا الرجل هو سواد بن قارب ، وقد ذكرت[٦] هذا مُستقصى في « سيرة عمر » - رضي الله عنه - فمن أراده فليأخذه من ثَمَّ ، ولله الحمد .

قال البيهقي (٥٥) : حديث سواد بن قارب ، ويشبه أن يكون هذا : هو[٧] الكاهن الذي لم

(*) الإبلاس : اليأس .

(**) الإنكاس : الانقلاب .قال ابن فارس : معناه أنها يئست من استراق السمع بعد أن كانت قد ألفته .

(***) القلاص : جمع الجمع لقلوص ، وهي الفتية من الإبل . والأحلاس جمع حِلس ، وهو ما يوضع على ظهور الإبل تحت الرحل . وهذا القسيم الأخير غير موزون ز

(****) أي لم تتعلق بشيء ، من الأشياء حتى سمعنا أن النبي ﷺ قد خرج . يريد أن ذلك كان بقرب مبعث النبي ﷺ .

(٥٤) - انظر (دلائل النبوة) للإمام البيهقي (٢/٢٤٥) .

(٥٥) - انظر (دلائل النبوة) (٢/٢٤٨) والحديث رواه البيهقي كما نقله المصنف ، وإسناده ضعيف ؛ أبوإسحاق هو عمرو بن عبدالله السبيعي ثقة ؛ لكنه يدلس وقد عنعن ، والحديث له طريق آخر ، رواه الحسن ابن سفيان وأبو يعلى كما في « الإصابة » (٤/٢٩٥) الطبراني في الكبير (٦٤٧٥) والحاكم في =

---

[١] - في ز : « حدثتك » .
[٢] - في ز ، خ: « توهم » .
[٣] - في ز، خ : « صريحًا » .
[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٥] - في ز، خ : « ويته » .
[٦] - في خ : « ذكر » .

يذكر اسمه في الحديث الصحيح.

أخبرنا أبو القاسم الحسن بن [محمد بن][١] حبيب المفسر من أصل سماعه، أخبرنا أبو عبد الله محمد بن عبد الله الصفار الأصبهاني قراءة عليه، حدثنا أبو جعفر[٢] أحمد بن موسىٰ الحمّار الكوفي بالكوفة[٣]، حدثنا زياد بن يزيد بن بادويه أبو بكر القصري، حدثنا محمد بن النواس الكوفي، حدثنا أبو بكر بن عياش، عن أبي إسحاق، عن البراء قال: بينما عمر بن الخطاب يخطب الناس علىٰ منبر رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم إذ قال: يا[٤] أيها الناس، أفيكم سواد بن قارب؟ قال: فلم يجبه أحد تلك السنة، فلما كانت السنة المقبلة قال: أيها الناس، أفيكم سواد بن قارب؟ قال: فقلت: يا أمير المؤمنين، وما سواد بن قارب؟ قال: فقال له عمر: إن سواد بن قارب كان بَدْءُ إسلامه شيئًا عجيبًا، قال: فبينا نحن كذلك إذ طلع سواد بن قارب، قال: فقال له عمر: يا سواد، حدِّثْنا

= المستدرك (٣/٦٠٨-٦١٠) والبهقي في الدلائل (٢/٢٥٢) وأبو نعيم في الدلائل (ص:٧٣) من طريق على ابن منصور الأنباري، عن عثمان بن عبدالرحمن الوقاصي، عن محمد بن كعب القرظي قال: بينما عمر ابن الخطاب رضي الله عنه قاعد في المسجد إذ مر رجل في مؤخر المسجد فقال رجل: يا أمير المؤمنين أتعرف هذا المار؟ قال: لا، فمن هو؟ قال: سواد بن قارب وهو رجل من أهل اليمن ... الحديث، وسكت عليه الحاكم فتعقبه الذهبي في تلخيص المستدرك بقوله: «الإسناد منقطع».

وللحديث طريق ثالث: رواه البخاري في التاريخ (٤/٢٠٢) والطبراني في الكبير (٦٤٧٦)، والبغوي كما في «الإصابة» (٤/٢٩٤) والبيهقي في الدلائل (٢/٢٥٣) من طريق عباد بن عبدالصمد قال: سمعت سواد ابن قارب الأزدي يقول: فذكر القصة.

وطريق رابع: رواه ابن أبي خيثمة والروياني كما في الإصابة (٤/٢٩٣) وذكره ابن الأثير في «أسد الغابة» (٢/٢٨٥) عن أبي جعفر الباقر قال: دخل رجل يقال له: سواد بن قارب الدوسي على عمر .... الحديث.

وهو مرسل فإن أبا جعفر الباقر لم يدرك جده عليًا فكيف يدرك عمر قال ابن أبي حاتم في المراسيل (ص١٨٥-١٨٦): سمعت أبا زرعة يقول: محمد بن على بن الحسين بن على بن أبي طالب رضي الله عنهم لم يدرك هو ولا أبوه علياً رضي الله عنه.

وقال الترمذي في «الجامع» عقب الحديث (١٥١٩): أبو جعفر محمد بن على بن الحسين لم يدرك على ابن أبي طالب.

وطريق خامس: رواه ابن شاهين كما في الإصابة (٤/٢٩٤) من طريق الفضل بن عيسى القرشي، عن العلاء ابن ديزل عن أنس بن مالك قال: دخل رجل من دوس يقال له: سواد بن قارب على النبي صلى الله عليه وسلم فذكر القصة بطولها، وإسناده ضعيف جداً (العلاء بن دبزل) متروك قال الذهبي في الميزان (٤/١٩): تالف وقال الحافظ في «التقريب»: متروك ورموا أبو الوليد بالكذب.

وطريق سادس: رواه الحسن بن سفيان كما في «الإصابة» من طريق الحسن بن عمارة عن عبدالله بن

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من ت.
[٢] - في ز، خ: «حنيف».
[٣] - سقط من: ز، خ.
[٤] - سقط من ت.

بدء[١] إسلامك ، كيف كان ؟ قال سواد : فإني كنت نازلًا بالهند ، وكان[٢] لي رَئِيٌّ (*) من الجن ، قال : فبينا أنا ذات ليلة نائم ، إذ جاءني في منامي ذلك قال : قم فافهم واعقل إن كنت تعقل ، قد بعث رسول من لؤي بن غالب ، ثم أنشأ يقول :

عجبتُ للجنّ[٣] وأنجاسها[٤] ... وَشدِّها العِيسَ[٥] بأحلاسها
تَهْوي إلىٰ مَكَّةَ تَبْغي الهُدَىٰ ... مَا مُؤمنُو الجنّ كأرْجَاسِها
فانهض إلى الصفوة من هاشم ... واسمُ بعينيك إلى راسها

قال : ثم أنبهني فأفزعني ، وقال : يا[٦] سواد بن قارب ، إن اللَّه بعث نبيًّا[٧] فانهض إليه تَهْتَدِ وتَرْشُد . فلما كان من الليلة الثانية أتاني فأنبهني ، ثم أنشأ يقول كذلك :

عَجِبْتُ للْجِنّ وَتَطْلابِها ... وشدها العيس بأقتابها
تَهْوي إلىٰ مَكَّةَ تَبْغي الهُدَىٰ ... لَيس قداماها[٨] كَأذْنَابِها
فَانْهَض إلىٰ الصَّفْوَة مِنْ هَاشِم ... واسمُ بعينيك إلىٰ نَابِها

فلما كان في الليلة الثالثة أتاني فأنبهني ثم قال :

عجبت للجن وتخبارها ... وشدها العيس بأكوارها
تَهْوي إلىٰ مَكَّةَ تَبْغي الهُدَىٰ ... لَيس ذَوُو الشرّ كأخيارهَا
فَانْهَض إلَىٰ الصَّفْوَة منْ هَاشِم ... ما مُؤمنُو الجنّ كَكُفَّارها

قال [ ][٩] : فلما سمعته تكرر ليلة بعد ليلة ، وقع في قلبي حب الإسلام من أمر رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم ما شاء الله ، قال : فانطلقت إلىٰ رحلي فشددته علىٰ راحلتي[١٠] ، فما حللت نسعةً ولا عقدت أخرىٰ حتىٰ أتيت رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، فإذا هو بالمدينة - يعني مكة - والناس عليه كعُرْف الفرس ، فلما رآني النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم قال : « **مرحبًا بك يا سواد بن قارب ، قد علمنا ما جاء بك** » . قال :

عبدالرحمن قال : دخل سواد بن قارب على عمر فذكر الحديث بطوله .

والحسن بن عمارة متروك كما في « التقريب » .

(*) الرَّئِيُّ : الجني يعرض للإنسان ويطلعه على ما يزعم من الغيب أو يلهمه الشعر .

---

[١] - في ز ، خ: « بيدو » .

[٢] - في ز ، خ: « فكان » .

[٣] - في خ : « من الجن » .

[٤] - في ز ، خ: « أحلاسها » .

[٥] - في ت : « العين » .

[٦] - سقط من : ز .

[٧] - في ز ، خ: « نبينا » .

[٨] - في ت : « قدامها » .

[٩] - ما بين المعكوفتين في ز ، خ : « قلت » .

[١٠] - في ز، خ : « راحلته » .

قلت : يا رسول الله ، قد قلت شعرًا ، فاسمعه مني . قال سواد : فقلت :

أَتَانِي رَئِيٌّ بعد لَيْلٍ وهَجْعَةٍ وَلم يَكُ فِيما قَدْ بَلَوتُ بكَاذِبِ
ثَلاثُ لَيَالٍ قَولُه كُلَّ لَيْلَةٍ : أتاك رسولٌ من لُؤَيّ بن غَالب
فَشَمَّرتُ عَنْ سَاقي الإِزَارَ ووسطت بي الزِّعلب الوَجْنَاءُ[١] عند السَّبَاسب
فأشهد أن الله لا شيء غيره وأنكَ مأمونٌ علي كلِّ غائبِ
وأنكَ أدنىٰ المرسلينَ شفاعةً إلىٰ الله يا بنَ الأكرمينَ الأطايبِ
فَمُرنا بمَا يَأتيكَ يا خيرَ مرسلٍ[٢] وإن كان فيما جاء شيب الذوائب
وكن لي شفيعًا يوم لا ذو شفاعةٍ سِوَاكَ بمغن عن سَوَاد بن قَارب

قال : فضحك رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم حتىٰ بدت نواجذه وقال لي : « **أفلحت يا سواد** » : فقال له عمر : هل يأتيك رَئِيّك الآن ؟ فقال : منذ قرأت القرآن لم يأتني ، ونعم العوضُ كتابُ الله من الجن . ثم أسنده البيهقي من وجهين آخرين .

ومما يدل علىٰ وفادتهم إليه - عليه السلام - بعد ما هاجر إلىٰ المدينة الحديث الذي رواه الحافظ أبو نعيم في كتاب « دلائل النبوة »:

حدثنا سليمان بن أحمد ، حدثنا محمد بن عبدة[٣] المصيصي ، حدثنا أبو توبة الربيع بن نافع ، حدثنا معاوية بن سلام ، عن زيد بن أسلم : أنه سمع أبا سلام يقول : حَدّثني من حَدّثه عَمرو بن غيلان الثقفي قال : أتيت عبد الله بن مسعود فقلت له : حُدّثت أنك كنتَ مع رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ليلة وفد الجن ؟ قال : أجل . قلت : حدثني كيف كان شأنه ؟ فقال : إن أهل الصفة(*) أَخَذَ كلُّ رجلٍ منهم رجلٌ يُعَشِّيه ، وتُركت فلم يأخذني أحد منهم ، فمر بي رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم فقال : « من هذا ؟ » فقلت : أنا ابن مسعود . فقال : « **ما أخذك أحد يعشّيك ؟** » . فقلت : لا ، قال : « **فانطلق لعلّي أجد لك شيئًا** » . قال[٤] : فانطلقنا حتىٰ أتىٰ حُجرة أم سلمة فتركني ودخل إلىٰ أهله ، ثم خرجت الجارية فقالت : يا بن مسعود ، إن رسول الله لم يجد لك عشاءً ، فارجع إلىٰ مضجعك . قال : فرجعت إلىٰ المسجد ، فجمعت حصباء المسجد فتوسدته ، والتففت بثوبي ، فلم ألبث إلا قليلًا حتىٰ جاءت الجارية ، فقالت : أجب رسول الله . فاتبعتها وأنا أرجو العَشاء ، حتىٰ إذا[٥] بلغت مقامي ، خرج رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم وفي يده

(*) هم فقراء المهاجرين ومن لم يكن له منهم منزل يسكنه فكانوا يأوون إلى موضع مظلل في مسجد المدينة يسكنونه .

[١] - في ز : « الرجا » .
[٢] - في خ : « من مشى » .
[٣] - في ز ، خ : « عبيد » .
[٤] - سقط من : ز ، خ .
[٥] - سقط من : ز ، خ .

عَسِيب(*) من نخل فعرض[١] به علىٰ صدري فقال[٢] : « **أتنطلق أنت معي حيث انطلقت ؟** » . قلت : ما شاء الله . فأعادها علي ثلاث مرات ، كل ذلك أقول : ما شاء الله ، فانطلق وانطلقت معه ، حتىٰ أتينا بقيع الغَرْقد ، فخط بعصاه خِطَّة[٣] ، ثم قال : « **اجلس فيها ، ولا تبرح حتىٰ آتيك** » . ثم انطلق يمشي وأنا أنظر إليه خلال النخل ، حتىٰ إذا كان من حيث لا أراه ثارت العَجَاجة السوداء ، فَفَرِقْتُ(**) فقلت : ألحق برسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ، فإني أظن أن هوازن مَكَروا برسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ليقتلوه ، فأسعىٰ إلىٰ البيوت ، فأستغيث الناس . فذكرت أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم أوصاني : أن لا أبرح مكاني الذي أنا فيه ، فسمعت رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم يقرعهم بعصاه ويقول : « **اجلسوا** » . فجلسوا حتىٰ كاد ينشق عمود الصبح ، ثم ثاروا وذهبوا ، فأتاني رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم فقال : « **أنمت بعدي ؟** » فقلت : لا ، ولقد فزعت الفزعة الأولىٰ ، حتىٰ رأيت أن آتي البيوت فأستغيثَ الناس حتىٰ سمعتك تقرعهم بعصاك ، وكنت أظنها هوازن ، مكروا برسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ليقتلوه . فقال : « **لو أنك خرجت من هذه الحلقة ما آمنهم عليك أن يختطفك بعضهم ، فهل رأيت من شيء منهم ؟** » . فقلت : رأيت رجالًا سودًا مستشعرين[٤] بثياب بيض . فقال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **أولئك وفد جن نَصيبين ، أتوني[٥] فسألوني الزاد[٦] والمتاع ، فمتعتهم بكل[٧] عظم حائل أو روثة أو بعرة** » . قلت : وما يغني عنهم ذلك ؟ قال : « **إنهم لا يجدون عظمًا إلا وجدوا عليه لحمه الذي كان عليه يوم أُكل ، ولا روثة إلا وجدوا فيها حبها الذي كان فيها يوم أُكلت ، فلا يستنقي أحد منكم بعظم ولا بعرة** » .

وهذا إسناد غريب جدًّا ، ولكن فيه رجل مبهم لم يسم . وقد روىٰ الحافظ أبو نعيم من حديث بقية بن الوليد ، حدثني [نمير بن زيد القنبر ، حدثنا أبي ، حدثنا قحافة بن ربيعة حدثني الزبير][٨] بن العوام قال : صلىٰ بنا رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم صلاة الصبح في مسجد المدينة فلما انصرف ، قال : « **أيكم يتبعني إلىٰ وفد الجن الليلة ؟** » . فأسكت القوم ثلاثًا ، فمر بي فأخذ بيدي ، فجعلت أمشي معه حتىٰ حبست عنّا جبال المدينة كلها ، وأفضينا إلىٰ أرض براز فإذا برجال طوال كأنهم الرماح ، [مستشعرين بثيابهم من بين

(*) جريدة من النخل ، وهي الشعفة مما لا ينبت عليه الخوص .

(**) فرق : خاف .

[١] - في ز، خ : « فقبض » .

[٢] - سقط من : ز ، خ .

[٣] - في ت : « خطًا » .

[٤] - في ز ، خ : « مستنفرين » .

[٥] - سقط من : ز ، خ .

[٦] - في ز، خ : « المزاد » .

[٧] - في ز : « كل » .

[٨] - ما بين المعكوفتين بياض في ز ، خ .

أرجلهم ، فلما رأيتهم غشيتني رعدة شديدة][١] ... ثم ذكر نحو حديث ابن مسعود المتقدم ، وهذا حديث غريب ، والله أعلم .

ومما يتعلق بوفود الجن ما رواه الحافظ أبو نعيم (٥٦) : حدثنا أبو محمد بن حيان ، حدثنا أبو الطيب أحمد بن روح ، حدثنا يعقوب الدورقي ، حدثنا الوليد بن بكير التميمي ، حدثنا حصين بن عمر ، أخبرني عبيد المكتب ، عن إبراهيم قال : خرج نفر من أصحاب عبد الله يريدون الحج ، حتىٰ إذا كانوا في بعض الطريق إذا هم بحية تنثني علىٰ الطريق أبيضَ ، ينفح منه ريح المسك ، فقلت لأصحابي : امضوا ، فلست ببارح حتىٰ أنظر إلىٰ ما يصير إليه أمر هذه الحية .

قال : فما لبثت أن ماتت ، فعمدت إلىٰ خرقة بيضاء فلففتها فيها ثم نحيتها عن الطريق فدفنتها ، وأدركت أصحابي في المتعشىٰ . قال : فو الله إنا لقعود إذ أقبل أربع نسوة من قبل المغرب ، فقالت واحدة منهن : أيكم دفن عمرًا ؟ قلنا : ومن عَمْرو ؟ ، قالت : أيكم دفن الحية ؟ قال : قلت : أنا . قالت : أما والله لقد دفنت صوّامًا قوّامًا ، يأمر بما أنزل الله ، ولقد آمن بنبيكم ، وسمع صفته من السماء قبل أن يبعث بأربعمائة عام . قال الرجل : فحمدنا الله ثم قضينا حجتنا ثم مررت بعمر بن الخطاب في المدينة فأنبأته بأمر الحية ، فقال : صدقت ، سمعت رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم يقول : « **لقد آمن بي قبل أن أبعث بأربعمائة سنة** » .

وهذا حديث غريب جدًّا والله أعلم.

قال أبو نعيم : وقد روىٰ الثوري ، عن أبي إسحاق ، عن الشعبي ، عن رجل من ثقيف ، بنحوه(٥٧) . وروىٰ عبد الله بن أحمد والطهراني ، عن صفوان بن المعطل - هو الذي نزل ودفن تلك الحية من بين الصحابة - وأنهم قالوا : أما[٢] إنه آخر التسعة موتًا الذين أتوا رسول

(٥٦) - « دلائل النبوة » لأبي نعيم (ص ٣٠٦-٣٠٧) وقد رواه أبو محمد بن حيان في كتاب « العظمة » رقم (١٠٩٩) وإسناده ضعيف ؛ فإن في إسناده حصين بن عمرو وهو متروك . كما قال الحافظ في «التقريب» .

(٥٧) - هذه الرواية التي ذكرها أبو نعيم روى نحوها الحكيم الترمذي في (نوادره) كما في (الإصابة) (٢/ ٥٢٧ - ترجمة عمرو بن جابر الجنبي) من طريق سفيان ، عن أبي إسحاق ، عن ثابت بن قطبة الثقفي قال : جاء رجل إلى عبدالله بن مسعود فقال : إنا كنا في سفر فمررنا بحية مقتولة في دمها فواريناها ... القصة وفي إسناده أبو إسحاق السبيعي وهو مدلس .

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ . [٢] - سقط من : خ .

الله صلىٰ الله عليه وسلم يستمعون القرآن(٥٨) .

ورویٰ أبو نعيم(٥٩) من حديث الليث بن سعد عن عبد العزيز بن أبي سلمة الماجشون عن عمه عن معاذ بن عبيد[١] الله بن معمر قال : كنت جالسًا عند عثمان بن عفان فجاء رجل فقال : يا أمير المؤمنين ؛ إني كنت بفلاة من الأرض ، فذكر أنه رأىٰ ثعبانين[٢] اقتتلا ثم قتل أحدهما الآخر ، قال : فذهبت إلىٰ المعترك ، فوجدت حيات كثيرة مقتولة ، وإذا ينفح من بعضها ريح المسك ، فجعلت أشمها واحدة واحدة ، حتىٰ وجدت ذلك من[٣] حية صفراء دقيقة[٤] ، فلففتها في عمامتي ودفنتها . فبينا أنا أمشي إذ ناداني مناد : يا عبد الله ؛ لقد هديت ! هذان[٥] حيان من الجن بنو أشعيبان وبنو أقيش التقوا ، فكان من القتل[٦] ما رأيت ، واستشهد الذي دفنته ، وكان من الذين سمعوا الوحي من رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم . قال : فقال عثمان لذلك الرجل : إن كنت صادقًا فقد رأيت عجبًا ، وإن كنت كاذبًا فعليك كذبك .

فقوله تعالىٰ : ﴿ وإذ صرفنا إليك نفرًا من الجن ﴾ أي : طائفة من الجن ﴿ يستمعون القرآن فلما حضروه قالوا أنصتوا ﴾ أي : استمعوا وهذا أدب منهم .

---

(٥٨) - رواه عبدالله بن أحمد في « زوائد المسند » (٣١٢/٥) وقد تحرف في المطبوع من المسند فجعل من رواية أحمد وهو خطأ - والطبراني في الكبير (٦٣/٨) رقم (٧٣٤٥) والحاكم في المستدرك (٥١٩/٣) والبارودي ، وابن مردوية في « التفسير » كما في الإصابة (٥٢٧/٢) من طريق مسلم بن قتيبة عمرو بن نبهان عن سلام أبي عيسى ، عن صفوان بن المعطل قال : خرجنا حجاجاً فلما كنا بالعرج إذا نحن بحية تضطرب فلم تلبث أن ماتت ...فذكر القصة وسمى الجنبي « عمرو بن جابر » وإسناده ضعيف عمرو بن نبهان العبدي متروك كما قال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/٥) .

(٥٩) - دلائل النبوة (ص ٣٠٥) لكن الذي في المطبوع من الدلائل قال أبو نعيم : حدثنا سليمان بن أحمد قال : حدثنا مطلب بن شعيب قال : حدثنا عبدالله بن صالح قال : حدثني عبدالعزيز بن سلمة الماحشون عن معاذ بن عبدالله بن معمر قال : كنت جالساً عند عثمان ... الحديث .

وليس في الإسناد ذكر « عم عبدالعزيز الماجشون » وقد روى هذا الحديث أبو الشيخ ابن حيان في العظمة رقم (١١٠٠) من طريق يحيى بن بكير قال : حدثني الليث عن عبدالعزيز الماجشون عن عمه معاذ بن عبدالله بن معمر قال : كنت عند عثمان فذكره .

ورواه ابن أبي الدنيا في « آكام المرجان » (ص : ٤٣) من طريق آخر عن عبدالعزيز به نحوه ، ومعاذ بن عبيدالله بن معمر ذكره البخاري في التاريخ (٧/ت١٥٦٠) وابن أبي حاتم في الجرح والتعديل =

---

[١] - في ز ، خ : « عبد » .
[٢] - في ز : « ثعبانات » .
[٣] - في خ : « في » .
[٤] - في ت : « رقيقة » .
[٥] - في ز : « هذا » .
[٦] - في ت : « القتلى » .

وقد قال الحافظ البيهقي(٦٠) : حدثنا الإمام أبو الطيب سهل بن محمد بن سليمان ، أخبرنا أبو الحسن محمد بن عبد اللّٰه الدقاق ، حدثنا محمد بن إبراهيم البُوشَنْجي ، حدثنا هشام بن عمار الدمشقي ، حدثنا الوليد بن مسلم ، عن زهير بن محمد ، عن محمد بن المنكدر ، عن جابر بن عبد اللّٰه قال : قرأ رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم « سورة الرحمن » حتىٰ ختمها ، ثم قال : **« مالي أراكم سكوتًا لَلْجنّ كانوا أحسن منكم ردًا ، ما قرأت عليهم هذه الآية من مرة : ﴿ فبأي آلاء ربكما تكذبان ﴾ . إلا قالوا : ولا بشيء من آلائك أو نعمك -ربنا- نكذب ، فلك الحمد . ورواه الترمذي في التفسير ، عن أبي مسلم عبد الرحمٰن بن واقد، عن الوليد بن مسلم ، به .**

قال : « خرج رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم علىٰ أصحابه ، فقرأ عليهم سورة الرحمن ...» فذكره ، ثم قال الترمذي : غريب لا نعرفه إلا من حديث الوليد ، عن زهير . كذا قال . وقد رواه[١] البيهقي من حديث مروان بن محمد الطاطري عن زهير بن محمد به مثله .

وقوله : **﴿ فلما قضي ﴾** أي : فرغ . كقوله : **﴿ فإذا قضيت الصلاة ﴾ . ﴿ فقضاهن سبع سموات في يومين ﴾ ﴿ فإذا قضيتم مناسككم ﴾ .**

﴿ ولوا إلىٰ قومهم منذرين ﴾ أي : رجعوا إلىٰ قومهم فأنذروهم ما سمعوه من رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، كقوله : **﴿ ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون ﴾ .**

وقد استُدِلَّ بهذه الآية علىٰ أنه في الجن نُذُرٌ ، وليس فيهم رسل . ولا شك أن الجن لم

= (٨/ت١١٢٠) ولم يذكرا فيه جرحاً ولا تعديلاً ، وذكره ابن حبان في الثقات (٤٢٢/٥) ومثل هذا يحسن حديثه خصوصاً أنه قد روى عنه عبدالله بن أبي مليكة كما ذكره البخاري وابن أبي حاتم ولم يتفرد بالرواية عنه عم الماجشون .

«وعم عبدالعزيز الماجشون » هو يعقوب بن أبي سلمة الماجشون وهو صدوق كما في « التقريب » .

(٦٠) - دلائل النبوة (٢٣٢/٢) ورواه الترمذي في « سننه » كتاب تفسير القرآن ، باب : ومن سورة الرحمن حديث (٣٢٩١) قال : حدثنا عبدالرحمن بن واقد أبو مسلم السعدي حدثنا الوليد بن مسلم عن زهير بن محمد به .

وقال الترمذي : « هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث الوليد بن مسلم ، عن زهير بن محمد . قال ابن حنبل : كأن زهير بن محمد الذي وقع بالشام ليس هو الذي يروى عنه بالعراق كأنه رجل آخر قلبوا اسمه يعني لما يروون عنه من المناكير . وسمعت محمد بن إسماعيل البخاري يقول : أهل الشام يروون عن زهير بن محمد مناكير وأهل العراق يروون عنه أحاديث مقاربة » . =

[١] - في ت : « روى » .

يبعث الله منهم رسولًا لقوله: ﴿وما أرسلنا من قبلك إلا رجالًا يوحى إليهم من أهل القرىٰ﴾ . وقال : ﴿ وما أرسلنا قبلك من المرسلين إلا إنهم ليأكلون الطعام ويمشون في الأسواق ﴾ . وقال عن إبراهيم الخليل : ﴿ وجعلنا في ذريته النبوة والكتاب ﴾ فكل نبي بعثه الله بعد إبراهيم فمن ذريته وسلالته ، فأما قوله تعالىٰ في الأنعام : ﴿ يا معشر الجن والإنس ألم يأتكم رسل منكم ﴾ ، فالمراد من مجموع الجنسين ، فيصدق علىٰ أحدهما وهو الإنس ، كقوله : ﴿ يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان ﴾ ، أي : أحدهما . ثم إنه تعالىٰ فسر[١] إنذار الجن لقومهم فقال مخبرًا عنهم : ﴿ قالوا يا قومنا إنا سمعنا كتابًا أنزل من بعد موسىٰ ﴾ ، ولم يذكروا عيسىٰ لأن عيسىٰ - عليه السلام - أنزل عليه الإنجيل فيه مواعظ وترقيقات وقليل من التحليل والتحريم ، وهو في الحقيقة كالمتمم لشريعة التوراة ، فالعمدة هو التوراة ، فلهذا قالوا : ﴿ أنزل من بعد موسىٰ ﴾ . وهكذا قال ورقة بن نوفل ، حين أخبره النبي صلىٰ الله عليه وسلم بقصة نزول جبريل عليه أول مرة ، فقال : بَخٍ بَخٍ هذا الناموس الذي كان يأتي موسى ، ياليتني أكون فيها جذعًا .

﴿ مصدقًا لما بين يديه ﴾ أي : من الكتب المنزلة قبله علىٰ الأنبياء . وقولهم : ﴿ يهدي إلىٰ الحق ﴾ أي : في الاعتقاد والإخبار ، ﴿ وإلىٰ طريق مستقيم ﴾ ، في الأعمال ، فإن القرآن يشتمل[٢] علىٰ شيئين : خبر ، و[٣]طلب ، فخبره صدق ، وطلبه عدل ، كما قال : ﴿ وتمت كلمات ربك صدقًا وعدلًا ﴾ وقال: ﴿هو الذي أرسل رسوله بالهدىٰ ودين الحق﴾ . فالهدىٰ هو : العلم النافع ، ودين الحق : هو العمل الصالح . وهكذا قالت الجن : ﴿ يهدي إلىٰ الحق ﴾ في الاعتقادات ، ﴿ وإلىٰ طريق مستقيم ﴾ أي : في العمليات .

﴿ يا قومنا أجيبوا داعي الله ﴾ ، فيه دلالة علىٰ أنه تعالىٰ أرسل محمدًا صلوات الله وسلامه عليه إلىٰ الثقلين الإنس والجن حيث دعاهم إلىٰ الله ، وقرأ عليهم السورة التي فيها خطاب القومين[٤] ، وتكليفهم ووعدهم ووعيدهم ، وهي سورة الرحمن ، ولهذا قال : ﴿ أجيبوا داعي الله وآمنوا به ﴾ .

وقوله : ﴿ يغفر لكم من ذنوبكم ﴾ قيل : إن « من » هاهنا زائدة ، وفيه نظر ، لأن

= ومن هذا الوجه رواه الحاكم في المستدرك (٤٧٣/٢) وصححه على شرط الشيخين وافقه الذهبي ! وهو وهم منهما رحمهما الله .

لكن الحديث صحيحه الألباني في السلسة الصحيحة (٢١٥٠) بشواهد وسيورد ابن كثير رحمه الله الحديث مرة أخرى في تفسير الرحمن .

[١] - في ز : « قدر » ، خ : « قرر » .
[٢] - في خ : « مشتمل » .
[٣] - في ز ، خ: « أو » .
[٤] - في ت : « الفريقين » .

زيادتها في الإثبات[١] قليل . وقيل : إنها على بابها للتبعيض ، ﴿ **ويجركم من عذاب أليم** ﴾ أي : ويقيكم من عذابه الأليم .

وقد استدل بهذه الآية من ذهب من العلماء إلى أن الجن المؤمنين لا يدخلون الجنة ، وإنما جزاء صالحيهم أن يجاروا من عذاب النار يوم القيامة ، ولهذا قالوا هذا في هذا المقام ، وهو مقام تبجح[٢] ومبالغة ، فلو كان لهم جزاء على الإيمان أعلى من هذا لأوشك أن يذكروه .

قال ابن أبي حاتم (٦١) : حدثنا أبي قال : حُدِّثت عن جرير ، عن ليث ، عن مجاهد ، عن ابن عباس قال : لا يدخل مؤمنو الجن الجنة ، لأنهم من ذرية إبليس ، ولا تدخل ذرية إبليس الجنة .

والحق أن مؤمنهم كمؤمن[٣] الإنس يدخلون الجنة ، كما هو مذهب جماعة من السلف ، وقد استدل بعضهم لهذا بقوله : ﴿ **لم يطمثهن إنس قبلهم ولا جان** ﴾ وفي هذا الاستدلال نظر . وأحسن منه قوله تعالى : ﴿ **ولمن خاف مقام ربه جنتان * فبأي آلاء ربكما تكذبان** ﴾ . فقد امتن تعالى على الثقلين بأن جعل جزاء محسنهم الجنة ، وقد قابلت الجن هذه الآية بالشكر القولي[٤] أبلغ من الإنس ، فقالوا : « **ولا بِشَيء[٥] من آلائك ربنا نكذب ، فلك الحمد** » .

فلم يكن تعالى ليمتنّ عليهم بجزاء لا يحصل لهم ، وأيضًا فإنه إذا كان يجازى كافرهم بالنار - وهو مقام عدل - فَلأَنْ يجازى[٦] مؤمنهم بالجنة - وهو مقام فَضل - بطريق الأولى والأحرى .

ومما يدل أيضًا على ذلك عمومُ قوله تعالى : ﴿ **إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلًا** ﴾ ، وما أشبه ذلك من الآيات . وقد أفردت هذه المسألة في جزء على حدة ، ولله الحمد والمنة .

وهذه الجنة لا يزال فيها فضل حتى ينشيء الله لها خلقًا ، أفلا يسكنها من آمن به وعمل له صالحًا ؟ وما ذكروه هاهنا من الجزاء على الإيمان من تكفير الذنوب والإجارة من العذاب الأليم ، هو يستلزم دخول الجنة ، لأنه ليس في الآخرة إلا الجنة أو النار ، فمن أجير من النار

(٦١) - تفسير ابن أبي حاتم (٣٢٩٧/١٠) (١٨٥١٨) وفي إسناده ليث بن أبي سليم وهو ضعيف كما تقدم مراراً .

[١] - في ز ، خ : « الآيات » .
[٢] - في ز ، خ: « تنح » .
[٣] - في ت : « كمؤمني » .
[٤] - في ز : « بياض » ، سقط من : خ .
[٥] - في ز ، خ: « شيء » .
[٦] - في ز ، خ: « يجزى » .

دخل الجنة لا محالة .

ولم يرد معنا نص صريح ولا ظاهر عن الشارع أن مؤمني[١] الجن لا يدخلون الجنة وإن أجيروا من النار ، ولو صح لقلنا به ، والله أعلم .

وهذا نوح - عليه السلام - يقول لقومه : ﴿ **يغفر لكم من ذنوبكم [ويؤخركم إلىٰ أجل مسمىٰ]**[٢] ﴾ . ولا خلاف أن مؤمني قومه في الجنة ، فكذلك هؤلاء .

وقد حُكي فيهم أقوال غريبة ؛ فعن عُمَر بن عبد العزيز : أنهم لا يدخلون بُحْبُوحَةَ[٣](*) الجنة وإنما يكونون في رَبَضِها(**) وحولها وفي أرجائها[٤] . ومن الناس من زعم أنهم في الجنة يراهم بنو آدم ولا يرون هم بني آدم عكس ما كانوا عليه في الدار الدنيا . ومن الناس من قال : لا يأكلون في الجنة ولا يشربون ، وإنما يلهمون التسبيح والتحميد والتقديس ، عِوَضًا عن الطعام والشراب كالملائكة ، لأنهم من جنسهم . وكل هذه الأقوال فيها نظر ، ولا دليل عليها .

ثم قال مخبرًا عنهم : ﴿ **ومن لا يجب داعي الله فليس بمعجز في الأرض** ﴾ أي : بل قدرة الله شاملة له ومحيطة به ، ﴿ **وليس له من دونه أولياء** ﴾ أي : لا يجيرهم منه أحدٌ ﴿ **أولئك في ضلال مبين** ﴾ وهذا مقامُ تهديد وترهيب ، فَدَعَوا[٥] قومهم بالترغيب والترهيب ، ولهذا نجع في كثير منهم ، وجاءوا إلىٰ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم وفودًا وفودًا ، كما تقدم بيانه [ولله الحمد والمنة][٦] .

أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَمْ يَعْىَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧىَ ٱلْمَوْتَىٰ ۚ بَلَىٰٓ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٣﴾ وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ أَلَيْسَ هَٰذَا بِٱلْحَقِّ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَرَبِّنَا ۚ قَالَ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٤﴾ فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ ۚ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ

(*) أي وسطها . وبحبوبحة الدار : وسطها . يقال : تبحبح إذا تمكّن وتوسّط المنزل والمقام .

(**) رَبَض الجنة : ما حولها خارجًا عنها ، تشبيهًا بالأبنية التي تكون حول المدن وتحت القلاع .

[١] - في ز، خ : « مؤمنوا » .

[٢] - ما بين المعكوفتين في خ،ز : « ويجركم من عذاب أليم » .

[٣] - في ز ، خ : « بحبحة » .

[٤] - في خ : « رحابها » .

[٥] - في ز، خ : « يدعوا » .

[٦] - ما بين المعكوفتين سقط من ز .

مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍۭ ۚ بَلَٰغٌ ۚ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٣٥﴾

يقول تعالىٰ : ﴿ أو لم يروا ﴾ أي : هؤلاء المنكرون للبعث يوم القيامة ، المستبعدون لقيام الأجساد يوم المعاد ﴿ أن اللّه الذي خلق السمٰوات والأرض ولم يعي بخلقهن ﴾ أي : ولم يَكْرِثْه[١] (*) خَلْقُهن ، بل قال لها : « كوني » فكانت ، بلا ممانعة ولا مخالفة ، بل طائعة مجيبة خائفة وَجلة ، أفليس ذلك بقادر علىٰ أن يحيي الموتىٰ ؟ كما قال في الآية الأخرىٰ : ﴿ لَخَلْق السموات والأرض أكبر من خلق الناس ولكن أكثر الناس لا يعلمون ﴾ ولهذا قال : ﴿ بلىٰ إنه علىٰ كل شيء قدير ﴾ ثم قال متهددًا ومتوعدًا لمن كفر به : ﴿ ويوم يعرض الذين كفروا علىٰ النار أليس هذا بالحق ﴾ أي : يقال لهم : أما هذا حق ؟ أفسحر هذا ؟ أم أنتم لا تبصرون ؟ ﴿ قالوا بلىٰ وربنا ﴾ أي : لا يسعهم إلا الاعتراف ﴿ قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون ﴾ .

ثم قال تعالىٰ آمرًا رسوله بالصبر علىٰ تكذيب من كذبه من قومه ، ﴿ فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل ﴾ أي : [علىٰ تكذيب][٢] قومهم لهم . وقد اختلفوا في تَعداد أولي العزم علىٰ أقوال ، وأشهرها أنهم : نوح ، وإبراهيم ، وموسىٰ ، وعيسىٰ ، وخاتم الأنبياء كلهم محمد ، صلىٰ اللّه عليه وسلم و[٣]قد نص اللّه علىٰ[٤] أسمائهم من بين الأنبياء في آيتين من سُورَتَي « الأحزاب » و « الشورىٰ » وقد يحتمل أن يكون المراد بأولي العزم جميعَ الرُّسُل ، وتكون « من» في قوله : ﴿ من الرسل ﴾ لبيان الجنس ، واللّه أعلم . وقد قال ابن أبي حاتم (٦٢) :

حدثنا محمد بن الحجاج الحضرمي ، حدثنا السري[٥] بن حَيَّان ، حدثنا عباد بن عباد ، حدثنا مجالد بن سعيد ، عن الشعبي ، عن مسروق قال : قالت لي عائشة : ظل رسول اللّه

(*) كرثه الأمر وغيره : اشتد عليه وبلغ منه المشقة .

(٦٢) - تفسير ابن أبي حاتم (٣٢٩٧/١٠) (١٨٥٨٣) وفي إسناده مجالد بن سعيد وهو ضعيف قال الحافظ في « التقريب » : ليس بالقوي وقد تغير في آخر عمره . والحديث ذكره السيوطي في الدر المنثور (١٧/٦ - ١٨) ولم يعزه لغير ابن أبي حاتم .

[١] - في خ : « يكده » .
[٢] - ما بين المعكوفتين في ز ، خ : « بتكذيب » . [٣] - سقط من ت .
[٤] - في ز ، خ: « في » . [٥] - في ز ، خ: « السُّدِّي » .

صلىٰ اللّٰه عليه وسلم صائمًا ثم طواه ، ثم ظل صائمًا ثم طواه ، ثم ظل صائمًا . قال : « يا عائشة ، إن الدنيا لا تنبغي لمحمد ولا لآل محمد ، يا عائشة إن اللّٰه لم يرض من أولي العزم من الرسل إلا بالصبر علىٰ مكروهها والصبر عن[١] محبوبها ، ثم لم يرض مني إلا أن يكلفني ما كلفهم ، فقال : ﴿ فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل ﴾ . وإني – والله – لأصبرنّ كما صبروا جهدي ، ولا قوة إلا بالله » .

﴿ ولا تستعجل لهم ﴾ أي : لا تستعجل لهم حلول العقوبة بهم . كقوله : ﴿ وذرني والمكذبين أولي النعمة ومهلهم قليلًا ﴾ وكقوله : ﴿فمهل الكافرين أمهلهم رويدًا ﴾ ﴿ كأنهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا إلا ساعة من نهار ﴾ كقوله : ﴿ كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا إلا عشية أو ضحاها ﴾ ، وكقوله : ﴿ ويوم يحشرهم كأن لم يلبثوا إلا ساعة من النهار يتعارفون بينهم قد خسر الذين كذبوا بلقاء اللّٰه وما كانوا مهتدين ﴾ .

وقوله : ﴿ بلاغ ﴾ . قال ابن جرير : يحتمل معنيين ، أحدهما : أن يكون تقديره : وذلك لبث بلاغ .

والآخر : أن يكون تقديره : هذا القرآن بلاغ .

وقوله : ﴿ فهل يهلك إلا القوم الفاسقون ﴾ أي : لا يهلك علىٰ اللّٰه إلا هالك ، وهذا من عدله تعالىٰ أنه لا يعذب إلا من يستحق العذاب .

[آخر تفسير سورة الأحقاف] .

☆ ☆ ☆

---

[١] – في ز ، خ : « على » .

تفسير سورة محمد

وهي مدنية

﴿ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ ﴿١﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ﴿٢﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ وَأَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِن رَّبِّهِمْ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَالَهُمْ ﴿٣﴾ ﴾

يقول تعالىٰ : ﴿ **الذين كفروا** ﴾ أي : بآيات اللَّه ، ﴿ **وصدوا** ﴾ غيرهم ﴿ **عن سبيل اللَّه أضل أعمالهم** ﴾ أي : أبطلها وأذهبها ولم يجعل لها جزاءً ولا ثوابًا ، كقوله تعالىٰ : ﴿ **وقَدمنا إلىٰ ما عملوا من عمل فجعلناه هباءً منثورًا** ﴾ ثم قال : ﴿ **والذين آمنوا وعملوا الصالحات** ﴾ أي : آمنت قلوبهم وسرائرهم ، وانقادت جوارحهم وبواطنهم[١] وظواهرهم ، ﴿ **وآمنوا بما نزل علىٰ محمد** ﴾ ، عطف خاص علىٰ عام ، وهو دليل علىٰ أنه شرط في صحة الإيمان بعد بعثته صلوات اللَّه وسلامه عليه .

وقوله : ﴿ **وهو الحق من ربهم** ﴾ جملة معترضة حسنة ، ولهذا قال : ﴿ **كفَّر عنهم سيئاتهم وأصلح بالهم** ﴾ . قال ابن عباس : أي أمْرَهم . وقال مجاهد : شأنهم . وقال قتادة وابن[٢] زيد : حالهم . والكل متقارب وقد جاء في حديث تشميت العاطس : « **يهديكم اللَّه ، ويصلح بالكم** »(١) .

ثم قال تعالىٰ : ﴿ **ذلك بأن الذين كفروا اتبعوا الباطل** ﴾ أي[٣] : [إنما أبطلنا أعمال الكفار . وتجاوزنا عن سيئات الأبرار ، وأصلحنا شئونهم ؛ لأن الذين كفروا اتبعوا الباطل ، أي :][٤] اختاروا الباطل علىٰ الحق ، ﴿ **وأن الذين آمنوا اتبعوا الحق من ربهم كذلك يضرب اللَّه للناس أمثالهم** ﴾ أي : يبين لهم مآل أعمالهم ، وما يصيرون إليه في معادهم .

---

(١) - ورد من حديث أبي هريرة ، رواه البخاري في كتاب الأدب من صحيحه (٦٢٢٤) ، وأبو داود في كتاب الأدب برقم (٥٠٣٣) .

---

[١] - سقط من : ز ، خ .
[٢] - في ز، خ : « وأبو » .
[٣] - سقط من : خ .
[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز : خ .

﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّىٰ إِذَا أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ
وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّىٰ تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَ
بَعْضَكُم بِبَعْضٍ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ ﴿٤﴾ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ
بَالَهُمْ ﴿٥﴾ وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ ﴿٦﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ
يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴿٧﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعْسًا لَّهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ ﴿٨﴾ ذَٰلِكَ
بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ﴿٩﴾

يقول تعالىٰ مرشدًا للمؤمنين إلىٰ ما يعتمدونه في حروبهم مع المشركين : ﴿ **فإذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب** ﴾ أي : إذا واجهتموهم فاحصدوهم حصدًا بالسيوف ، ﴿ **حتىٰ إذا أثخنتموهم** ﴾ أي : أهلكتموهم قتلًا ﴿ **فشدوا** ﴾ الأسارىٰ الذين تأسرونهم ، ثم أنتم بعد انقضاء الحرب وانفصال المعركة مخيرون في أمرهم ؛ إن شئتم مننتم عليهم فأطلقتم[١] أساراهم مجانًا ، وإن شئتم فاديتموهم بمال تأخذونه منهم وتشارطونهم عليه . والظاهر أن هذه الآية نزلت بعد وقعة بدر ، فإن اللّٰه سبحانه عاتب المؤمنين علىٰ الاستكثار من الأسارىٰ يومئذ ليأخذوا منهم الفداء ، والتقلّل من القتل يومئذ فقال : ﴿ **ما كان لنبي أن يكون له أسرىٰ حتىٰ يثخن في الأرض تريدون عرض الدنيا واللّٰه يريد الآخرة واللّٰه عزيز حكيم * لولا كتاب من اللّٰه سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم** ﴾ ثم قد ادعىٰ بعض العلماء أن هذه الآية المخيرة بين مفاداة الأسير والمن عليه منسوخة بقوله تعالىٰ : ﴿ **فإذا انسلخ الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم** ﴾ الآية رواه العوفي عن ابن عباس .

وقاله قتادة ، والضحاك ، والسدي ، وابن جريج .

وقال الآخرون - وهم الأكثرون - : ليست منسوخة .

ثم قال بعضهم : إنما الإمام مُخيّر بين المن علىٰ الأسير ومفاداته فقط ، ولا يجوز له قتله .

وقال آخرون منهم : بل له أن يقتله إن شاء ، لحديث قتل النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم النضر بن الحارث وعقبة بن أبي مُعَيط من أسارىٰ بدر(٢) .

(٢) - نقل ذلك ابن كثير في البداية والنهاية (٣٧٢/٣) عن ابن إسحاق ، وروى الطبراني في الأوسط (٣٨٠١) عن ابن عباس قال : قتل رسول الله ﷺ يوم بدر ثلاثة حبرًا ، قتل النضر بن الحارث من بني =

[١] - في ز ، خ: « فأطلقتموا » .

وقال ثمامة بن أثال[١] لرسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم حين قال له : « **ما[٢] عندك[٣] يا ثمامة ؟** » فقال : إن تَقْتُلْ تَقْتُلْ ذا دَمٍ ، وإن تمنن تمنن علىٰ شاكر ، وإن كنت تريد المال فَسَلْ[٤] تعطَ منه ما شئت (٣) .

وزاد الشافعي رحمه اللّٰه فقال : الإمام مخير بين قتله أو المنّ عليه أو مفاداته أو استرقاقه أيضًا . وهذه المسألة مُحَرَّرة في علم الفروع ، وقد دللنا علىٰ ذلك في كتابنا « **الأحكام** » ، وللّٰه الحمد والمنة .

وقوله : ﴿**حتى تضع الحرب أوزارها**﴾ قال مجاهد : حتى ينزل عيسى ابن مريم . وكأنه أخذه من قوله صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **لا تزال [طائفة من][٥] أمتي ظاهرين علىٰ الحق حتىٰ يقاتل آخرهم الدجال** »(٤) .

وقال الإمام أحمد(٥) : حدثنا الحكم بن نافع ، حدثنا إسماعيل بن عياش ، عن إبراهيم

= عبد الدار ، وقتل طعيم بن عدي من بني نوفل ، وقتل عقبة بن أبي معيط ، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٩٣/٦) ، وقال : رواه الطبراني في الاوسط وفيه عبد الله بن حماد بن نمير ولم أعرفه ، وبقية رجاله ثقات .
وروى البزار كما في كشف الأستار (١٧٨١) ، قال رسول الله ﷺ : لأقتلن اليوم رجلًا من قريش صبرًا قال : فنادى عقبة بن أبي معيط بأعلى صوته : يا معشر قريش ؛ مالي أقتل من بينكم صبرًا ؟ قال : فقال رسول الله ﷺ : بكفرك بالله وافترائك على رسول الله ﷺ . وقال الهيثمي (٩٢/٦) : فيه يحيى بن سلمة ابن كهيل ، وهو ضعيف ووثقه ابن حبان .
ويحيى بن سلمة بن كهيل شيعي متروك كما في « التقريب » لابن حجر ولكن ذكر الهيثمي في « المجمع » عن ابن عباس قال : نادى رسول الله ﷺ أسارى بدر وكان فداء كل رجل منهم أربعة آلاف وقتل عقبة بن أبي معيط قبل الفداء قام إليه علي بن أبي طالب فقتله صبرًا قال : من للصبية يا رسول الله قال : النار .
وقال الهيثمي : رواه الطبراني في الكبير والأوسط ورجاله رجال الصحيح .

(٣) - حديث ثمامة رواه البخاري في " صحيحه " في كتاب المغازي ، باب : وفد بنى حذيفة ، الحديث (٤٣٧٢) ومسلم في " صحيحه " كتاب الجهاد والسير ، باب ربط الأسير وحبسه وجواز المن عليه حديث (١٧٦٤) من حديث سعيد بن أبي سعيد عن أبي هريرة .
وقد اختصره البخاري في مواضع من صحيحه انظر رقم (٤٦٢،٤٦٩،٢٤٢٢،٢٤٢٣) .

(٤) - تقدم في تفسير سورة البقرة الآية (١٢٠) ، وانظر أيضًا تفسير سورة النور الآية (٥٥) .

(٥) - المسند (١٠٤/٤) ، ورواه البخاري في التاريخ الكبير (٧٠/٤) ، وابن أبي عاصم في " الآحاد والمثاني" (٢٤٦٠) ، والطبراني في الكبير (٦٣٥٨) ، والبزار كما في كشف الأستار (١٦٨٩) والقسوي في تاريخه

[١] - في ز ، خ : « أبان » .
[٢] - في خ : « يا » .
[٣] - في ز : « عندي » ، خ : « عبدي » .
[٤] - في ز ، خ : فلي .
[٥] - سقط من : ز ، خ .

ابن سليمان ، عن الوليد بن عبد الرحمن الجُرَشي ، عن جُبَير بن نُفَير أن سلمة بن نُفَيل أخبرهم : أنه أتىٰ رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم فقال : إني سَيَّبْتُ الخيل ، وألقيت السلاح ، ووضعت الحرب أوزارها ، وقلت : لا قتال . فقال له النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **الآن جاء القتال ، لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الناس يزيغ اللّٰه**[١] **قلوب أقوام فيقاتلونهم . ويرزقهم**[٢] **اللّٰه منهم ، حتىٰ يأتي أمر اللّٰه وهم علىٰ ذلك . ألا إن [عُقْرَ دار المؤمنين الشام]**[٣] **. والخيل معقود**[٤] **في نواصيها الخير إلى يوم القيامة** » وهكذا رواه النسائي من طريقين ، عن جبير بن نُفَير ، عن سلمة بن نُفَيل السكوني[٥] ، به .

وقال أبو القاسم البغوي(٦) : حدثنا داود بن رشيد حدثنا الوليد بن [مسلم عن][٦] محمد بن مهاجر عن الوليد بن عبد الرحمن الجُرَشي ، عن جبير بن نُفَير ، عن النواس بن سمعان قال : لما[٧] فتح علىٰ رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم فَتْحٌ فقالوا : يا رسول اللّٰه سيبت الخيل ، ووضعت السلاح ، ووضعت الحرب أوزارها ، قالوا : لا قتال ، قال : « **كذبوا ! الآن جاء القتال ، لا يزال اللّٰه يُرَفِّع قلوب قوم يقاتلونهم**[٨] ، **فيرزقهم منهم** ،

(٣٣٦/١) من طريق إبراهيم بن سليمان الأفطس عن الوليد به ، ورواه النسائي في كتاب الخيل (٢١٤/٦) وفي " الكبرى " كتاب الخيل ، باب : ذكر الخيل حديث (٤٤٠١) من طريق إبراهيم بن أبي علية عن الوليد ابن عبد الرحمن به .

إلَّا أن رواية ابن أبي علية فيها عن سلمة بن نفيل قال : كنت جالسًا عند رسول الله ﷺ فقال رجل : يا رسول الله أذال الناس الخيل ووضعوا السلاح ... الحديث .

وإسناد هذا الحديث صحيح على شرط مسلم كذا قال الألباني في الصحيحة (١٩٣٥) ، ورواه النسائي في "الكبرى" كتاب السير ، باب : متى تضع الحرب أوزارها ، حديث (٨٧١٢) والطبراني في الكبير (٣٦٦٠) من طريق يحيى بن حمزة الدمشقي عن نصر بن علقمة ، عن جبير بن نفير ، عن سلمة بن نفيل نحو رواية ابن أبي علية ويشهد له ما رواه ابن حبان في صحيحه (٧٣٠٧) من حديث الوليد بن عبد الرحمن عن جبير ابن نفير عن النواس بن سمعان مثل حديث سلمة وسيأتي تخريجه بعد هذا الحديث .

(٦) - رواه أبو يعلى ، وعنه ابن حبان في صحيحه (٧٣٠٧) قال : حدثنا داود بن رشيد فذكره . ورجال إسناده ثقات إلَّا أن الوليد بن مسلم مدلس وقد عنعن .

والحديث رواه ابن سعد (٤٢٧/٧-٤٢٨) والطبراني في الكبير - مختصرًا - (٦٣٥٩) من طريقين عن الوليد ابن مسلم بهذا الإسناد وفيه " سلمة بن نفيل " بدلًا من النواس بن سمعان وقد صرح فيه الوليد بالتحديث وقد صح الحديث عن سلمة من غير هذا الطريق كما تقدم بيانه في التخريج السابق .

[١] - في ز ، خ : « له » . [٢] - في ز : « ويرونهم » .
[٣] - ما بين المعكوفتين في ز ، خ : « إلا إن عقدوا المؤمنين التام » .
[٤] - في خ : « بعقود » . [٥] - في ز : « السلولي » .
[٦] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ . [٧] - سقط من : ز ، خ .
[٨] - في ز ، خ : « يقاتلون » .

حتىٰ يأتي أمر الله وهم[١] علىٰ ذلك ، [وعُقْر دار المسلمين بالشام »][٢] .

وهكذا رواه الحافظ أبو يعلىٰ الموصلي عن داود بن[٣] رُشيد ، به . والمحفوظ أنه من رواية سلمة بن نُفَيل كما تقدم . وهذا يقوي القول بعدم النسخ ، كأنه شرع هذا الحكم في الحرب إلىٰ أن لا يبقىٰ حرب .

وقال قتادة : ﴿ **حتىٰ تضع الحرب أوزارها** ﴾ حتىٰ لا يبقىٰ شرك . وهذا كقوله تعالىٰ : ﴿ **وقاتلوهم حتىٰ لا تكون فتنة ويكون الدين لله** ﴾ . ثم قال بعضهم : ﴿ **حتىٰ تضع الحرب أوزارها** ﴾ أي : أوزار المحاربين ، وهم المشركون ، بأن يتوبوا إلىٰ الله عز وجل . وقيل : أوزار أهلها بأن يبذلوا الوسع في طاعة الله عز وجل .

وقوله : ﴿ **ذلك ولو يشاء الله لانتصر منهم** ﴾ أي : هذا ولو شاء الله لانتقم من الكافرين بعقوبة ونكال من عنده ، ﴿ **ولكن ليبلو بعضكم ببعض** ﴾ أي : ولكن شرع لكم الجهاد وقتال الأعداء ليختبركم ، ويبلو أخباركم . كما ذكر حكمته في شرعية الجهاد في سورتي « آل عمران » و « براءة » في قوله : ﴿ **أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين** ﴾ وقال في سورة براءة : ﴿ **قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين * ويذهب غيظ قلوبهم ويتوب الله علىٰ من يشاء والله عليم حكيم** ﴾ ثم لما كان من شأن القتال أن يُقتل كثيرٌ من المؤمنين ، قال : ﴿ **والذين قتلوا في سبيل الله فلن يضل أعمالهم** ﴾ أي : لن يذهبها بل يكثرها وينميها[٤] ويضاعفها . ومنهم من يجري عليه عمله في طول بَرْزَخه ، كما ورد بذلك الحديث الذي رواه الإمام أحمد في مسنده(٧) ، حيث قال :

(٧) - المسند (٤/٢٠٠) وعنه البخاري في التاريخ (٧/١٤٣،١٤٤) وابن الاثير في أسد الغابة (٤/٤١٥) ورواه ابن أبي عاصم في " الآحاد والمثاني " (٢٧٣٤) قال : حدثنا محمد بن مصفى نابقيه قال : حدثني ابن ثوبان فذكره نحوه . وفي إسناده عبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان وقد اختلف فيه فضعفه أحمد ، والنسائي ، وابن خراش ، ووثقه أبو حاتم الرازي ودحيم وعبد الرحمن بن صالح وعمرو بن علي الفلاس وذكره ابن حبان فبي الثقات وقال ابن المديني والعجلي وغيرهما : لا بأس به ، واختلف فيه قول ابن معين .

وقال ابن حجر في " التقريب " : صدوق يخطئ ورمي بالقدر وتغير بأخرة . فمثل ابن ثوبان هذا يحسن حديثه لا سيما إذا كان له شواهد مثل هذا الحديث فإنه يشهد له حديث المقداد الآتي والحديث ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٥/٢٩٦) وقال : رواه أحمد وفيه عبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان وثقه أبو حاتم وجماعة وضعفه جماعة .

[١] - سقط من : ز .

[٢] - ما بين المعكوفتين في ز ، خ : « وعقدوا من المسلمين بالشام .

[٣] - في ز ، خ : « عن » .

[٤] - في ز : « ويتمها » .

حدثنا زيد بن يحيىٰ الدمشقي ، حدثنا ابن ثوبان ، عن أبيه ، عن مكحول ، عن كثير بن مُرّة ، عن قيس الجذامي - رجل كانت له صحبة - قال : قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **يعطىٰ الشهيد ست خصال : عند أول قطرة من دمه يُكفِّر عنه كل خطيئة ، ويرىٰ مقعده من الجنة ، ويزوّج من الحور العين ، ويُؤَمَّن من الفزع الأكبر ، ومن عذاب القبر ، ويحلىٰ حُلَّة الإِيمان** » تفرد به أحمد رحمه اللَّه .

(حديث آخر) قال أحمد أيضًا (٨) : حدثنا الحكم بن نافع ، حدثنا إسماعيل بن عياش ، عن [بَحير بن سعد][١] ، عن خالد بن معدان ، عن المقدام بن معد يكرب الكندي قال : قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **إن للشهيد عند اللَّه ستَّ خصال : أن يغفر له في أول دَفْعَة[٢] من دمه ، ويرىٰ مقعده من الجنة ، ويحلىٰ حُلَّة[٣] الإِيمان ، ويزوج من الحور العين ، ويُجَار من عذاب القبر ، ويأمَن من الفزع الأكبر ، ويوضع علىٰ رأسه تاج الوقار ، الياقوتة منه خير من الدنيا وما فيها ، ويزوج اثنتين وسبعين زوجة من الحور العين ، ويُشَفَّع في سبعين إنسانًا[٤] من أقاربه** » . وقد أخرجه الترمذي وصححه ، وابن ماجة .

وفي صحيح مسلم (٩) عن عبد اللَّه بن عَمرو ، وعن أبي قتادة أن رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم قال : « **يُغفَر للشهيد كل شيء إلا الدَّيْن** » . ورُوي من حديث جماعة من الصحابة (١٠) .

(٨) - المسند (١٣١/٤)ومن هذا الطريق رواه ابن ماجة في الجهاد حديث (٢٧٩٩) ، ورواه الترمذي في " صحيحه " كتاب فضائل الجهاد ، باب : ثواب الشهيد حديث (١٦٦٣) من طريق بقية بن الوليد ، عن بحير بن سعد به .

وقال الترمذي : حديث حسن صحيح غريب . لكن رواه عبد الرزاق في مصنفه (٩٥٥٩) عن إسماعيل بن عياش بهذا الإسناد بلفظ : « **إن للشهيد عند الله تسع خصال** ... » الحديث مثل رواية أحمد . والحديث صححه الألباني في " صحيح سنن ابن ماجة " (٢٢٥٧) وانظر أيضًا أحكام الجنائز (ص٣٦) .

(٩) - صحيح مسلم كتاب الإمارة ، باب : من قتل في سبيل الله كفرت خطاياه إلّا الدين حديث (١٨٨٦) (١١٩) وهو عند أحمد في المسند (٢٢٠/٢) .

ورواه مسلم (١٨٨٦) (١٢٠) من طريق سعيد بن أبي أيوب قال : حدثني عياش بن عباس القتباني به بلفظ " **القتل في سبيل الله يكفر كل شئ إلّا الدين** " .

(١٠) - ورد ذلك عن جمع من الصحابة ومن ذلك ما رواه مسلم في " صحيحه " في كتاب الإمارة باب :

[١] - في ز : « يحيى بن سعيد » ، خ : « يحيى بن سعد » .

[٢] - في ز ، خ : « خفقة » .

[٣] - في ز : « حلية » .

[٤] - في ز ، خ : « نفسًا » .

وقال أبو الدرداء : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « [**يشفع الشهيد**][١] **في سبعين من أهل بيته** »(١١) رواه[٢] أبو داود والأحاديث في فضل الشهيد كثيرة جدًا .

وقوله : ﴿ **سيهديهم** ﴾ أي : إلىٰ الجنة ، كقوله تعالىٰ : ﴿ **إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بإيمانهم تجري من تحتهم الأنهار في جنات النعيم** ﴾

وقوله : ﴿ **ويصلح بالهم** ﴾ أي : أمرهم وحالهم ، ﴿ **ويدخلهم الجنة عرفها لهم** ﴾ أي: عرفهم بها وهداهم إليها .

قال مجاهد : يهتدي أهلها[٣] إلىٰ بيوتهم[٤] ومساكنهم ، وحيث قسم الله لهم منها ، لا يخطئون كأنهم ساكنوها منذ خلقوا ، لا يستدلون عليها أحدًا . وروىٰ مالك عن ابن زيد بن أسلم نحو هذا .

من قتل في سبيل الله كفرت خطاياه إلّا من الدين حديث (١٨٨٥) (١١٧) من حديث أبي قتادة وفيه قال أبو قتادة : أرأيت إن قتلت في سبيل الله أتكفر عني خطاياي ؟ فقال رسول الله ﷺ : « **نعم وأنت صابر فحتسب مقبل غير مدبر إلّا الدين فإن جبريل عليه السلام قال لي ذلك** » .

وروى الترمذي في " سننه " كتاب فضائل الجهاد ، باب : ما جاء في ثواب الشهداء حديث (١٦٤٠) من حديث أبي بكر بن عياش عن حميد عن أنس مرفوعًا بلفظ : " **القتل في سبيل الله يكفر كل خطيئة** " فقال جبريل : إلّا الدين فقال النبي : «**إلّا الدين** » .

قال الترمذي : وفي الباب عن كعب بن عجرة وجابر وأبي هريرة وأبي قتادة وهذا حديث غريب لا نعرفه من حديث أبي بكر إلّا من حديث هذا الشيخ قال : وسألت محمد بن إسماعيل عن هذا الحديث فلم يعرفه وقال : أرى أنه أراد حديث حميد عن أنس عن النبي ﷺ أنه قال :« **ليس أحد من أهل الجنة يسره أن يرجع إلى الدنيا إلّا الشهيد** » .

قلت : مراد البخاري أن أبا بكر بن عياش قد أخطأ في هذا الحديث لكن الحديث صححه الألباني - رحمه الله - في " صحيح سنن الترمذي " (١٣٤٠) .

(١١) - رواه أبو داود في " سننه " كتاب الجهاد ، باب : في الشهيد يشفع حديث (٢٥٢٢) ومن طريقه البيهقي (٩/١٦٤) كتاب السير ، باب : الشهيد يشفع ، وابن حبان في " صحيحه " من طريق الوليد بن رباح الذماري ، حدثني عمي نمران بن عتيبة الذماري قال : دخلنا على أم الدرداء ونحن أيتام فقالت : أبشروا فإني سمعت أبا الدرداء يقول : قال رسول الله ﷺ : « **يشفع الشهيد في سبعين من أهل بيته** » قال أبو داود: صوابه رباح بن الوليد .

ورباح بن الوليد بن يزيد بن نمران الذماري قال فيه الحافظ في " التقريب " : صدوق . =

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز . [٢] - في ز : « ورواه » .

[٣] - في خ : « بها » .

[٤] - في ز : « يوم متونهم » ، خ : « يوم مثواهم » .

وقال محمد بن كعب : يعرفون بيوتهم إذا دخلوا الجنة ، كما تعرفون بيوتكم إذا انصرفتم من الجمعة .

وقال مقاتل بن حيان : بلغنا أن الملك الذي كان وُكِلَ بحفظ عمله في الدنيا يمشي بين يديه في الجنة ، ويتبعه ابنُ آدم حتىٰ يأتي أقصىٰ منزل هو له ، فيعرّفه كل شيء أعطاه الله في الجنة ، فإذا انتهىٰ إلىٰ أقصىٰ منزله في الجنة دخل [إلى][1] منزله وأزواجه ، وانصرف الملك عنه . ذكرهن ابن أبي حاتم رحمه الله !

وقد ورد الحديث الصحيح بذلك أيضًا ، رواه البخاري(١٢) من حديث قتادة ، عن أبي المتوكل الناجي ، عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم قال : « **إذا خلص المؤمنون من النار حبسوا بقنطرة بين الجنة والنار يتقاصّون[2] مظالم كانت بينهم في الدنيا ، حتىٰ إذا هُذّبوا ونقوا أذن لهم في دخول الجنة ، والذي نفسي بيده إن أحدهم بمنزله في الجنة أهدىٰ منه بمنزله [ ][3] كان في الدنيا** » .

ثم قال تعالىٰ : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم** ﴾ ، كقوله : ﴿ **ولينصرن الله من ينصره** ﴾ ، فإن الجزاء من جنس العمل ، ولهذا قال : ﴿ **ويثبت أقدامكم** ﴾ ، كما جاء في الحديث : « **من بَلَّغ ذا سلطان حاجة من لا يستطيع إبلاغها ، ثبت الله قدمه علىٰ الصراط يوم القيامة** » .

ثم قال تعالىٰ : ﴿ **والذين كفروا فتعسًا لهم** ﴾ ، عكس تثبيت الأقدام للمؤمنين الناصرين لله ولرسوله صلىٰ الله عليه وسلم . وقد ثبت في الحديث عن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم أنه قال : « **تعس عبد الدينار ، [تعس عبد الدرهم][4] ، تعس عبد القطيفة ، تعس وانتكس ، وإذا شِيكَ فلا انتقش** »(١٣) .

= والحديث صححه الألباني في " صحيح سنن أبي داود " (٢٢٠١) .

(١٢) - صحيح البخاري كتاب المظالم ، باب : قصاص المظالم حديث (٢٤٤٠) من طريق هشام الدستوائي عن قتادة به ، ورواه في كتاب الرقاق ، باب : القصاص يوم القيامة وهي الحاقة لأن فيها الثواب وحواق الامور حديث (٦٥٣٥) من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة .

والحديث رواه أحمد (٣/١٣،٥٧،٦٣،٧٤) وعبد بن حميد (٩٣٥) والبخاري في الأدب المفرد (٤٨٦) من طريق قتادة به .

(١٣) - تقدم تخريجه في تفسير سورة آل عمران الآية (٢٠٠) .

---

[١] - ما بين المعكوفتين في ز ، خ : « إلى » .

[٢] - في ز ، خ : « يتقاضون » .

[٣] - ما بين المعكوفتين في خ : « الذي » .

[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

وقوله : ﴿ **وأضل أعمالهم** ﴾ أي : أحبطها وأبطلها . ولهذا قال : ﴿ **ذلك بأنهم كرهوا ما أنزل الله** ﴾ [أي : لا يريدونه ولا يحبونه ، ﴿ **فأحبط أعمالهم** ﴾][١] .

﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَالُهَا (١٠) ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ (١١) إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ (١٢) وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّن قَرْيَتِكَ الَّتِي أَخْرَجَتْكَ أَهْلَكْنَاهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ (١٣) ﴾

يقول تعالىٰ : ﴿ **أفلم يسيروا** ﴾ يعني المشركين بالله المكذبين لرسوله ﴿ **في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم دمر الله عليهم** ﴾ أي : عاقبهم بتكذيبهم وكفرهم ، أي : ونجىٰ المؤمنين من بين أظهرهم ؛ ولهذا قال : ﴿ **وللكفرين أمثالها** ﴾ . ثم قال : ﴿ **ذلك بأن الله مولىٰ الذين آمنوا وأن الكافرين لا مولىٰ لهم** ﴾ ؛ ولهذا قال أبو سفيان صخر بن حرب رئيس المشركين يوم أُحُدٍ حين سأل عن النبي صلىٰ الله عليه وسلم ، وعن أبي بكر وعمر فلم يُجَبْ ، وقال : أما هؤلاء فقد هلكوا . وأجابه عمر بن الخطاب فقال : كذبت يا عدو الله ، بل أبقىٰ الله لك ما يسوءك ، وإن الذين[٢] عَدَدت لأحياءٌ . فقال أبو سفيان : يوم بيوم بدر ، والحرب سجال ، أما إنكم ستجدون مُثْلَةً لم آمر بها ولم تسؤني ، ثم ذهب يرتجز ويقول : * اعل هُبَلْ ، اعل هُبَل * فقال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **ألا تجيبوه ؟** » قالوا : يا رسول الله ؛ وما نقول ؟ قال : « **قولوا : الله أعلىٰ وأجلّ** » . ثم قال أبو سفيان : لنا العُزّىٰ ، ولا عُزّىٰ لكم . فقال : « **ألا تجيبوه ؟** » قالوا : وما نقول يا رسول الله ؟ قال : « **قولوا :الله مولانا ولا مولىٰ لكم** »(١٤) .

---

(١٤) - رواه أحمد (٢٩٣/٤) ، ورواه البخاري في " صحيحه " في المغازي ، باب : غزوة أحد ... حديث (٤٠٤٣) من حديث البراء بن عازب ورواه أيضًا أحمد في مسنده (٢٩٣/٤) والنسائي في " الكبرى " كتاب التفسير ، باب : قوله تعالى : ﴿ والرسول يدعوكم إلى أخراكم ﴾ حديث (١١٠٧٩) من حديث البراء أيضًا .

---

[١] - ما بين المعكوفتين في ز : « ﴿ **فأحبط أعمالهم** ﴾ أي : لا يريدونه ولا يحبونه » .

[٢] - في ز : « الذي » .

ثم قال تعالى : ﴿ **إن الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار** ﴾ أي : يوم القيامة ، ﴿ **والذين كفروا يتمتعون ويأكلون كما تأكل الأنعام** ﴾ أي : في دنياهم ، يتمتعون بها ويأكلون منها كأكل الأنعام ، خَضْمًا وقضمًا ، ليس لهم همة إلا في ذلك . ولهذا ثبت في الصحيح(١٥) : « **المؤمن يأكل في مِعى واحد ، والكافر يأكل في سبعة أمعاء** » . ثم قال : ﴿ **والنار مثوى لهم** ﴾ أي : يوم جزائهم .

وقوله : ﴿ **وكأين من قرية هي أشد قوة من قريتك التي أخرجتك** ﴾ يعني : مكة ، ﴿ **أهلكناهم فلا ناصر لهم** ﴾ وهذا تهديد شديد ووعيد أكيد لأهل مكة ، في تكذيبهم لرسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ، وهو سيد المرسلين وخاتم الأنبياء ، فإذا كان الله - عز وجل - قد أهلك الأمم الذين كذبوا الرسل قبله ، بسببهم ، وقد كانوا أشد قوة من هؤلاء ، فماذا ظن هؤلاء أن يفعل الله بهم في الدنيا والأخرىٰ ؟ فإن رفع عن كثير منهم العقوبة في الدنيا لبركة وجود الرسول نبي الرحمة ، فإن العذاب يوفر علىٰ الكافرين به في معادهم ، ﴿ **يضاعف لهم العذاب ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون** ﴾

وقوله : ﴿ **من قريتك التي أخرجتك** ﴾ أي : الذين أخرجوك من بين أظهرهم .

قال[١] ابن أبي حاتم(١٦) : ذكر[٢] أبي ، عن محمد بن عبد الأعلىٰ ، عن المعتمر بن سليمان ، عن أبيه ، عن حَنَش ، عن عكرمة ، عن ابن عباس : أن النبي صلىٰ الله عليه وسلم لما خرج من مكة إلىٰ الغار - أراه[٣] قال[٤] : التفت[٥] إلىٰ مكة - وقال : « **أنت أحبّ بلاد الله إلىٰ الله ، وأنت أحب بلاد الله إليّ ، ولو أن المشركين لم يخرجوني لم أخرج منك** » .

---

(١٥) - رواه البخاري في " صحيحه " في كتاب الأطعمة ، باب : المؤمن يأكل في معي واحد حديث (٥٣٩٣،٥٣٩٤،٥٣٩٥) ومسلم في " صحيحه " كتاب الأشربة من حديث عبد الله بن عمر .

وقد ورد ذلك أيضًا من حديث أبي هريرة وأبي موسى وغيرهما .

(١٦) - ورواه ابن جرير في تفسيره (٤٨/٢٦) قال حدثنا ابن عبد الأعلى قال : ثنا المعتمر بن سليمان به .

ورواه أبو يعلى في مسنده الكبير كما في (المطالب العالية - النسخة المسندة) (٤١٠٣) قال : حدثنا حسن ابن عمر ثنا معتمر فذكره نحوه . وهذا إسناد رجاله ثقات غير أن حنش لا أدري من هو ، ولعله يكون حنش ابن المعتمر وهو مختلف في توثيقه ولا أراه يحتج به إلّا في المتابعات والشواهد .

والحديث ذكره السيوطي في الدر المنثور (٢٤/٦) وزاد نسبته لعبد بن حميد .

---

[١] - في ت : « وقال » .

[٢] - في ز، خ : « ذكره » .

[٣] - في ز ، خ : « وداراه » .

[٤] - سقط من : ز .

[٥] - في ز ، خ : « فالتفت » .

فأعدىٰ الأعداء من عَدَا علىٰ اللّه في حرمه ، أو قتل غير قاتله ، أو قتل بذُحُول[١] الجاهلية ، فأنزل اللّه علىٰ نبيه صلىٰ اللّه عليه وسلم : ﴿ **وكأين من قرية هي أشد قوة من قريتك التي أخرجتك أهلكناهم فلا ناصر لهم** ﴾ .

أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ كَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهْوَآءَهُم ﴿١٤﴾ مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى ۖ وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ ۖ كَمَنْ هُوَ خَٰلِدٌ فِى ٱلنَّارِ وَسُقُواْ مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ ﴿١٥﴾

يقول : ﴿ **أفمن كان علىٰ بينة من ربه** ﴾ أي : علىٰ بصيرة ويقين في أمر اللّه ودينه ، بما أنزل اللّه في كتابه من الهدىٰ والعلم ، وبما جَبَله اللّه عليه من الفطرة المستقيمة ، ﴿ **كمن زين له سوء عمله واتبعوا أهواءهم** ﴾ أي : ليس هذا كهذا . كقوله : ﴿ **أفمن يعلم أنما أنزل إليك من ربك الحق كمن هو أعمىٰ** ﴾ ، وكقوله: ﴿ **لا يستوي أصحاب النار وأصحاب الجنة أصحاب الجنة هم الفائزون** ﴾ .

ثم قال : ﴿ **مثل الجنة التي وعد المتقون** ﴾ . قال عكرمة : ﴿ **مثل الجنة** ﴾ أي : نعتها . ﴿ **فيها أنهار من ماء غير آسن** ﴾ . قال ابن عباس ، والحسن ، وقتادة : يعني غير متغير . وقال قتادة ، والضحاك ، وعطاء الخراساني : غير منتن . والعرب تقول : أَسِنَ الماء إذا تَغيَّر ريحه .

وفي حديث مرفوع أورده ابن أبي حاتم : ﴿ **غير آسن** ﴾ يعني : الصافي[٢] الذي لا كدر فيه .

وقال ابن أبي حاتم(١٧) : حدثنا أبو سعيد الأشج ، حدثنا وكيع ، عن الأعمش ، عن عبد اللّه بن مرة ، عن مسروق قال : قال عبد اللّه : أنهار الجنة تُفَجَّر من جبل من مسك .

﴿ **وأنهار من لبن لم يتغير طعمه** ﴾ أي : بل في غاية البياض والحلاوة والدسومة . وفي حديث مرفوع : « **لم يخرج من ضُرُوع الماشية** » .

(١٧) - أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٦٧/٨) والبيهقي في البعث والنشور (٢٩٣) من طريق الأعمش به . زأخرجه معمر في جامعه (٤١٦/١١ - المصنف) عن الأعمش عن ابن مرة عن مسروق قوله .

[١] - في ز،خ : « بدخول » .

[٢] - في ز ، خ: « الصان » .

﴿ وأنهار من خمر لذة للشاربين ﴾ أي : ليست كريهة الطعم والرائحة كخمر الدنيا ، بل حسنة المنظر والطعم والرائحة والفعل ، ﴿ لا فيها غول ولا هم عنها ينزفون ﴾ ، ﴿ لا يصدعون عنها ولا يُنزِفُون ﴾ ، ﴿ بيضاء لذة للشاربين ﴾ ، وفي حديث مرفوع : « لم تعصرها [الرجال بأقدامها »][1] .

﴿ وأنهار من عسل مصفًّى ﴾ أي : وهو في غاية الصفاء ، وحسن اللون والطعم والريح ، وفي حديث مرفوع : « لم يخرج من بطون النحل » .

وقال الإمام أحمد(١٨) : حدثنا يزيد بن هارون ، أخبرنا الجُرَيري ، عن حكيم [بن معاوية][2] ، عن أبيه قال : سمعت رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم يقول : « في الجنة بحر اللبن ، وبحر الماء ، وبحر العسل ، وبحر الخمر ، ثم تشقق الأنهار منها بعد » .

ورواه الترمذي في « صفة الجنة » ، عن محمد بن بَشار[3] ، عن يزيد بن هارون ، عن سعيد ابن إياس الجريري ، به . وقال : حسن صحيح .

وقال أبو بكر بن مردويه (١٩) : حدثنا أحمد بن محمد بن عاصم ، حدثنا عبد الله بن محمد بن النعمان ، حدثنا مسلم بن إبراهيم ، حدثنا الحارث بن عبيد أبو[4] قدامة الإِيادي ، حدثنا أبو عمران الجَوْني ، عن [أبي بكر][5] بن عبد الله بن قيس ، عن أبيه قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « هذه الأنهار تَشخُبُ من جنة عدن في جوبة[6] ثم تصدع بعد أنهارًا » .

وفي الصحيح (٢٠) : « إذا سألتم الله فاسألوه[7] الفردوس ، فإنه أوسط الجنة وأعلىٰ الجنة ، ومنه تُفَجَّر أنهار الجنة ، وفوقه عرش الرحمن » .

---

(١٨) - المسند (٥/٥) (٢٠١٠٠) وأخرجه عبد بن حميد (٤١٠) والدارمي في الرقاق ، باب في أنهار الجنة (٢٨٣٦) والترمذي في كتاب صفة الجنة ، باب : ما جاء في صفة أنهار الجنة (٢٥٧١) من طريق الجريري به .

(١٩) - أخرجه الطيالسي (٥٣١) ، وأحمد (٤١٦/٤) من طريق الحارث به .

(٢٠) - أخرجه البخارى في كتاب التوحيد ، باب : ﴿ وكان عرشه على الماء ﴾ ، حديث (٧٤٢٣) من حديث أبي هريرة .

---

[1] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

[2] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز، خ .

[3] - في ز، خ : « يسار » .

[4] - في ز، خ : « بن » .

[5] - ما بين المعكوفتين في ز، خ : « يزيد » .

[6] - في ز : « حربة » .

[7] - في ز : « فسلوه » .

وقال الحافظ أبو القاسم الطبراني : حدثنا مصعب بن إبراهيم بن حمزة الزبيري ، وعبد الله بن الصقر السكري قالا : حدثنا إبراهيم بن المنذر الحزامي[١] ، حدثنا عبد الرحمن ابن المغيرة ، حدثني عبد الرحمن بن عياش ، عن دلهم بن الأسود [بن عبد الله بن حاجب ابن عامر بن المنتفق العقيلي ، عن أبيه ، عن عمه لقيط بن عامر][٢] قال دلهم : وحدثنيه أيضًا أبي[٣] الأسودُ عن عاصم بن لقيط أن[٤] لقيط بن عامر خرج وافدًا إلىٰ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ، قلت : يا رسول الله ، فعلام نطلع من الجنة ؟ قال : « **علىٰ أنهار عسل مصفىٰ ، وأنهار من خمر ما بها صداع ولا ندامة**[٥] ، **وأنهار من لبن لم يتغير طعمه**[٦] ، **وماء غير آسن ، وفاكهة لعمر إلٰهك ما تعلمون وخير من مثله ، وأزواج مطهرة** » . قلت : يا رسول الله ، أو لنا فيها أزواج مصلحات ؟ قال : « **الصالحات للصالحين ، تلذونهن . مثل لذاتكم في الدنيا ويلذنكم**[٧] ، **غير أن لا توالد** » .

وقال أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي الدنيا : حدثنا يعقوب بن عبيدة ، عن يزيد بن هارون ، أخبرني الجريري ، عن معاوية بن قرة ، [عن أبيه][٨] عن أنس بن مالك قال : لعلكم تظنون أن أنهار الجنة تجري في أخدود في الأرض ، والله إنها لتجري سائحة علىٰ وجه الأرض ، حافاتها قباب اللؤلؤ ، وطينها المسك الأذفر .

وقد رواه أبو بكر بن مَرْدُويه ، من حديث مهدي بن حكيم ، عن يزيد بن هارون ، به مرفوعًا .

وقوله : ﴿**ولهم فيها من كل الثمرات**﴾ . كقوله : ﴿ **يدعون فيها بكل فاكهة آمنين**﴾ وقوله : ﴿ **فيهما من كل فاكهة زوجان** ﴾ .

وقوله[٩] : ﴿**ومغفرة من ربهم**﴾ أي : مع ذلك كله . وقوله : ﴿ **كمن هو خالد في النار** ﴾ [أي : أهؤلاء الذين ذكرنا منزلتهم من الجنة كمن هو خالد في النار ؟][١٠] ليس هؤلاء كهؤلاء ، أي[١١] : ليس من هو في الدرجات كمن هو في الدركات ، ﴿ **وسُقوا ماءً حميمًا** ﴾ أي : حارًّا شديد الحر ، لا يستطاع ﴿ **فقطّع أمعاءهم** ﴾ أي : قطع ما في بطونهم من الأمعاء والأحشاء ، عياذًا بالله من ذلك !

---

[١] - في ز : « الحرامي » .
[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .
[٣] - في ز : « أبو » .
[٤] - في ز : « بن » .
[٥] - في ز : « بدلعة » .
[٦] - سقط من : ز .
[٧] - في ز : « ويلذوا بكم » .
[٨] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ.
[٩] - سقط من : ز، خ .
[١٠] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .
[١١] - سقط من : ز ، خ .

وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰٓ إِذَا خَرَجُوا۟ مِنْ عِندِكَ قَالُوا۟ لِلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مَاذَا قَالَ
ءَانِفًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ ﴿١٦﴾ وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ
هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ ﴿١٧﴾ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً ۖ فَقَدْ جَآءَ
أَشْرَاطُهَا ۚ فَأَنَّىٰ لَهُمْ إِذَا جَآءَتْهُمْ ذِكْرَىٰهُمْ ﴿١٨﴾ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ
لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾

يقول تعالىٰ مخبرًا عن المنافقين في بلادتهم وقلة فهمهم ، حيث كانوا يجلسون إلىٰ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ويستمعون كلامه ولا يفهمون منه شيئًا ، فإذا خرجوا من عنده ﴿ **قالوا للذين أوتوا العلم** ﴾ من الصحابة : ﴿ **ماذا قال آنفًا** ﴾ أي : الساعة ، لا يعقلون ما يقال ، ولا يكترثون له .

قال الله تعالى : ﴿**أولئك الذين طبع الله على قلوبهم واتبعوا أهواءهم**﴾ أي : فلا فهم صحيح ، ولا قصد صحيح .

ثم قال : ﴿ **والذين اهتدوا زادهم هُدًى** ﴾ أي : والذين[١] قصدوا الهداية وفقهم الله لها فهداهم إليها ، وثبتهم عليها ، وزادهم منها ، ﴿ **وآتاهم تقواهم** ﴾ أي : ألهمهم رُشْدَهم .

وقوله : ﴿ **فهل ينظرون إلا الساعة أن تأتيهم بغتة** ﴾ أي : وهم غافلون عنها ، ﴿ **فقد جاء أشراطها** ﴾ أي : أمارات اقترابها ، كقوله تعالىٰ : ﴿ **هذا نذير من النذر الأولىٰ * أزفت الآزفة** ﴾ و[٢]كقوله : ﴿**اقتربت الساعة وانشق القمر**﴾ ، وقوله : ﴿ **أتىٰ أمر الله فلا تستعجلوه** ﴾ وقوله : ﴿**اقترب للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون**﴾ ، فبعثة رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم من أشراط الساعة ؛ لأنه خاتم الرسل الذي أكمل الله به الدين ، وأقام به[٣] الحجة علىٰ العالمين . وقد أخبر صلوات الله وسلامه عليه بأمارات الساعة وأشراطها ، وأبان عن ذلك وأوضحه بما لم يؤته [نبي قبله][٤] ، كما هو مبسوط في موضعه .

---

[١] - في ز ، خ : « والمؤمنين » . [٢] - سقط من : ز، خ .
[٣] - سقط من : خ .
[٤] - ما بين المعكوفتين في ز، خ : « بنى قبله » .

وقال الحسن البصري : بعثة محمد صلىٰ اللّٰه عليه وسلم من أشراط الساعة . وهو كما قال ، ولهذا جاء في أسمائه - عليه السلام - أنه نبي التوبة ، ونبي الملحمة ، والحاشر الذي يُحشَر الناس علىٰ قدميه ، والعاقب الذي ليس بعده نبي .

وقال البخاري(٢١) : حدثنا أحمد بن المقدام، حدثنا فضيل بن سليمان، حدثنا أبو حازم[١]، حدثنا سهل بن سعد قال: رأيت رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وسلم قال بأصبعيه هكذا - بالوسطىٰ والتي تليها - : « **بعثت أنا والساعة كهاتين** ».

ثم قال تعالىٰ : ﴿ **فأنّىٰ لهم إذا جاءتهم ذكراهم** ﴾ أي : فكيف للكافرين بالتذكر إذا جاءتهم القيامة ، حيث لا ينفعهم ذلك . كقوله تعالىٰ : ﴿ **يومئذ يتذكر الإنسان وأنىٰ له الذكرىٰ** ﴾ ﴿ **وقالوا آمنا به وأنّىٰ لهم التناوش من مكان بعيد** ﴾ ، وقوله : ﴿ **فاعلم أنه لا إله إلا اللّٰه** ﴾ : هذا إخبار بأنه لا إله إلا اللّٰه ، ولا يتأتىٰ كونه آمرًا بعلم ذلك ؛ ولهذا عطف عليه بقوله : ﴿ **واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات** ﴾ .

وفي الصحيح(٢٢) أن رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم كان يقول : « **اللّٰهم اغفر لي خطيئتي وجهلي ، وإسرافي في أمري ، وما أنت أعلم به مني . اللّٰهم اغفر لي هَزْلي وجدي ، وخَطَئي وعَمْدي ، وكل ذلك عندي** » .

وفي الصحيح(٢٣) أنه كان يقول في آخر الصلاة : « **اللّٰهم؛ اغفر لي ما قدمتُ وما أخرتُ ، وما أسررتُ وما أعلنتُ ، وما أسرفتُ ، وما أنت أعلم به مني ، أنت إلٰهي لا إله إلا أنت** » .

وفي الصحيح(٢٤) أنه قال : « **يا أيها الناس ، توبوا إلىٰ ربكم فإني أستغفر اللّٰه وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة** » .

---

(٢١) - صحيح البخاري ، كتاب التفسير ، حديث (٤٩٣٦) ، والحديث تقدم تخريجه في تفسير سورة الأعراف الآية (١٨٧) .

(٢٢) - أخرجه البخاري في الدعوات ، باب : قول النبي صلى الله عليه وسلم : « اللهم اغفر لى ما قدمت وما أخرت » حديث (٦٣٩٨،٦٣٩٩) ، ومسلم في الذكر والدعاء ، حديث (٢٧١٩) من حديث أبى موسى الأشعري .

(٢٣) - جزء من حديث أخرجه مسلم في صلاة المسافر وقصرها ، حديث (٧٧١) من حديث على بن أبى طالب .

(٢٤) - أخرجه البخارى في صحيحه في الدعوات ، باب : استغفار النبي صلى الله عليه وسلم في اليوم والليلة ، حديث (٦٣٠٧) من حديث أبى سلمة عن أبى هريرة ،

---

[١] - في ز ، خ : « رجاء » .

وقال الإمام أحمد(٢٥) : حدثنا محمد بن جعفر ، حدثنا شعبة ، عن عاصم الأحول قال : سمعت عبد الله بن سَرْجس قال : أتيتُ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم فأكلت معه من طعامه[١] فقلت : غفر الله لك يا رسول الله ؛ [قال : «ولك»][٢] فقلت : أستغفر لك ؟ [فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم][٣] : « نعم ، ولكم » . وقرأ : ﴿ **واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات** ﴾ ثم نظرت إلىٰ نُغْض كتفه الأيمن أو كتفه الأيسر - شعبة الذي شك - فإذا هو كهيئة الجُمع عليه الثآليل .

رواه مسلم ، والترمذي ، والنسائي ، وابن جرير ، وابن أبي حاتم من طرق عن عاصم الأحول به .

وفي الحديث الآخر الذي رواه أبو يعلىٰ (٢٦) : حدثنا محمد بن عون ، حدثنا عثمان بن مطر ، حدثنا عبد الغفور ، عن أبي نَصِيرَةَ ، عن أبي رجاء ، عن أبي بكر الصديق - رضي الله عنه - عن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم أنه قال : « **عليكم بلا إله إلا الله والاستغفار ، فأكثروا منهما[٤] ، فإن إبليس قال : أهلكتُ الناس بالذنوب ، وأهلكوني بـ : لا إله إلا الله ، والاستغفار . فلما رأيت ذلك أهلكتهم بالأهواء ، فهم يحسبون أنهم مهتدون** » .

وفي الأثر المروي : « **قال إبليس : وعزتك وجلالك[٥] لا أزال أغويهم ما دامت أرواحهم في أجسادهم . فقال الله عز وجل : وعزتي وجلالي ولا أزال أغفر لهم ما استغفروني** » والأحاديث في فضل الاستغفار كثيرة جدًّا .

وقوله : ﴿ **والله يعلم متقلبكم ومثواكم** ﴾ أي : يعلم تصرفكم في نهاركم ومستقركم في ليلكم ، كقوله : ﴿ **وهو الذي يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار** ﴾ . وكقوله : ﴿ **وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها كل في كتاب مبين** ﴾ وهذا القول ذهب إليه ابن جريج وهو اختيار ابن جرير . وعن ابن عباس : متقلبكم في الدنيا ، ومثواكم في الآخرة .

---

(٢٥) - المسند (٨٢/٥) ، ومسلم في الفضائل ، حديث (٢٣٤٦) ، والترمذي في الشمائل (٢٣) ، والنسائي في عمل اليوم والليلة (٢٩٥،٤٢١،٤٢٢) ، والطبري في تفسيره (٥٤/٢٦) من طرق عن عاصم الأحول به.

(٢٦) - مسند أبي يعلى (١٣٦) .

---

[١] - في ز ، خ : « طعام » .

[٢] - ما بين المعكوفتين زيادة من : ز .

[٣] - ما بين المعكوفتين زيادة من : ز .

[٤] - في ز ، خ : « منها » .

[٥] - سقط من : ز ، خ .

وقال السدي: متقلبكم في الدنيا، ومثواكم في قبوركم.

والأول أولى وأظهر، والله أعلم.

﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ فَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُّحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا ٱلْقِتَالُ رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ ٱلْمَغْشِىِّ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ فَأَوْلَىٰ لَهُمْ ﴿٢٠﴾ طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ فَإِذَا عَزَمَ ٱلْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُواْ ٱللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ﴿٢١﴾ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓاْ أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَٰرَهُمْ ﴿٢٣﴾﴾

يقول تعالى مخبرًا عن المؤمنين أنهم تمنوا شرعية الجهاد، فلما فرضه الله - عز وجل - وأمر به نَكَل عنه كثير من الناس، كقوله تعالى: ﴿**ألم تر إلى الذين قيل لهم كفوا أيديكم وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة فلما كُتِبَ عليهم القتال إذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله أو أشد خشية وقالوا ربنا لم كتبت علينا القتال لولا أخرتنا إلى أجل قريب قل متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى ولا تظلمون فتيلًا**﴾.

وقال هاهنا: ﴿**ويقول الذين آمنوا لولا نزلت سورة**﴾ أي: مشتملة على حُكم القتال، ولهذا قال: ﴿**فإذا أنزلت سورة محكمة وذُكِرَ فيها القتال رأيت الذين في قلوبهم مرض ينظرون إليك نظر المغشي عليه من الموت**﴾ أي: من فزعهم ورعبهم وجبنهم من لقاء الأعداء.

ثم قال مشجعًا لهم: ﴿**فأولى لهم * طاعة وقول معروف**﴾ أي: وكان الأولى بهم أن يسمعوا ويطيعوا، أي: في الحالة الراهنة، ﴿**فإذا عزم الأمر**﴾ أي: جد الحال، وحضر القتال، ﴿**فلو صدقوا الله**﴾ أي: أخلصوا له النية، ﴿**لكان خيرًا لهم**﴾.

وقوله: ﴿**فهل عَسَيتم إن توليتم**﴾ أي: عن الجهاد ونَكَلتم عنه، ﴿**أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم**﴾ أي: تعودوا إلى ما كنتم فيه من الجاهلية الجهلاء، تسفكون الدماء، وتقطعون الأرحام، ولهذا قال: ﴿**أولئك الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم**﴾. وهذا نهي عن الإفساد في الأرض عمومًا، وعن قطع الأرحام خصوصًا، بل قد أمر تعالى بالإصلاح في الأرض وصلة الأرحام، وهو الإحسان إلى الأقارب في المقال والفعال وبذل الأموال. وقد وردت الأحاديث الصحاح والحسان بذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، من طرق عديدة، ووجوه كثيرة.

قال البخاري(٢٧) : حدثنا خالد بن مَخْلَد ، حدثنا سليمان ، حدثني معاوية بن أبي مُزَرّد ، عن سعيد بن يَسَار ، عن أبي هريرة ، عن النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم قال : « **خلق اللَّه الخلق ، فلما فرغ منه قامت الرحم فأخذت بحَقو[١] الرحمن - عز وجل - فقال : مه ! فقالت : هذا مقام العائذ بك من القطيعة . فقال : ألا ترضين أن أصل من وصلك ، وأقطع من قطعك ؟ قالت : بلىٰ . قال : فذاك . قال أبو هريرة : اقرءوا إن شئتم : ﴿ فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم ﴾** .

ثم رواه البخاري من طريقين آخرين ، عن معاوية بن أبي مُزَرّد به . [ ][٢] قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **اقرءوا إن شئتم : ﴿ فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم ﴾** » . ورواه مسلم من حديث معاوية بن أبى مُزَرّد به .

وقال الإمام أحمد (٢٨) : حدثنا إسماعيل ، أخبرنا[٣] عُيَيْنة بن عبد الرحمن بن جَوشَن ، عن أبيه ، عن أبي بَكْرَةَ قال : قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **ما من ذنب أحرىٰ أن يعجل اللَّه عقوبته في الدنيا ، مع ما يدخر لصاحبه في الآخرة ، من البغي وقطيعة الرحم** » رواه أبو داود والترمذي وابن ماجة ، من حديث إسماعيل - هو ابن عُلَيَّة - به . وقال الترمذي : هذا حديث صحيح .

وقال الإمام أحمد(٢٩) : حدثنا محمد بن بكر ، حدثنا ميمون أبو محمد المرئي[٤] ، حدثنا محمد ابن عباد المخزومي عن ثوبان عن رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم قال : « **من سرّه النَّساء في الأجل ، والزيادة في الرزق فليصل رحمه** » . تفرد به أحمد ، وله شاهد في الصحيح .

وقال أحمد أيضًا (٣٠) : حدثنا يزيد بن هارون ، حدثنا حَجَّاج بن أرطاة ، عن عمرو بن

(٢٧) - صحيح البخاري في التفسير ، باب ﴿وتقطعوا أرحامكم ﴾ ، حديث (٤٨٣٠) ، وأطرافه فى (٤٨٣١،٤٨٣٢،٥٩٨٧،٧٥٠٢) وأخرجه مسلم فى البر والصلة والآداب ، حديث (٢٥٥٤) من طريق معاوية بن أبى مزرد به .

(٢٨) - المسند (٣٨/٥) (٢٠٤٥١) ، وأخرجه أحمد (٣٦/٥) (٢٠٤٢٦) والبخارى في الأدب المفرد (٢٩،٦٧) ، وأبو داود في الأدب ، باب : في النهى عن البغي ، حديث (٤٩٠٢) ، والترمذى في صفة القيامة ، حديث (٢٥١١) ، وابن ماجه في الزهد ، باب البغي ، حديث (٤٢١١) من طريق عن عيينة به .

(٢٩) - المسند (٢٧٩/٥) (٢٢٥٠١) .

(٣٠) - المسند (١٨١/٢،٢٠٨) ، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٥٧/٨) : رواه أحمد وفيه حجاج =

[١] - بياض في : ز ، خ.

[٢] - ما بين المعكوفتين في خ : « قال » .

[٣] - في ز ، خ : « بن » .

[٤] - في ز ، خ : « المرائى » .

شعيب ، عن أبيه ، عن جده قال : جاء رجل إلىٰ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله ، إن لي ذوي أرحام ، أصل ويقطعون ، وأعفو ويظلمون ، وأحسن ويسيئون ، أفأكافئهم[١] ؟ قال : **« لا ، إذن تتركون[٢] جميعًا ، ولكن جُدْ بالفضل وصلهم ، فإنه لن يزال معك ظهير من الله -عز وجل- ما كنت على ذلك »**. تفرد به من هذا الوجه ، وله شاهد من وجه آخر.

وقال الإمام أحمد (٣١) : حدثنا يعلىٰ ، حدثنا فطر[٣] ، عن مجاهد ، عن عبد الله بن عمرو قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : **« إن الرحم معلقة بالعرش ، وليس الواصل بالمكافئ[٤] ، ولكن الواصل الذي إذا قطعت -رحمه وصلها »**. رواه البخاري.

وقال أحمد (٣٢) : حدثنا بهز ، حدثنا حَمَّاد بن سلمة ، أخبرنا قتادة ، عن أبي ثُمَامَة الثقفي ، عن عبد الله بن عمرو قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : **« تُوضَعُ الرَّحِمُ يوم القيامة لها حُجْنَة[٥] كحُجنة[٦] المغزل تكلّم بلسانٍ طَلَقٍ ذُلَقٍ ، فتصل من وصلها وتقطع من قطعها »**.

وقال الإمام أحمد(٣٣) : حدثنا سفيان ، حدثنا عمرو ، عن أبي قابوس ، عن عبد الله بن عمرو - يبلغُ به النبي صلىٰ الله عليه وسلم - قال : **« الراحمون يرحمهم الرحمن ، ارحموا أهل الأرض يرحمكم أهل السماء ، والرحم شُجْنَةٌ[٧](*) مِنَ الرحمن ، من وصلها وصلته ، ومن قطعها بتته[٨] »**.

= ابن أرطاة وهو مدلس وبقية رجاله ثقات .

(٣١) - المسند (١٦٣/٢) ، وأخرجه أيضاً في (١٩٠/٢) من طريق الحسن بن عمرو عن مجاهد به .
وأخرجه البخارى في الأدب ، باب : ليس الواصل بالمكافىء ، حديث (٥٩٩١) من طريق الحسن ، وفطر عن مجاهد به .

(٣٢) - المسند (١٨٩/٢) وفيه قال أحمد : حدثنا بهز ، وعفان قالا : حدثنا حماد ..... فذكره ، وأخرجه فى (٢٠٩/٢) عن روح ، عن حماد به ، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٥٣/٨) : رجاله رجال الصحيح غير أبى ثمامة الثقفي وثقه ابن حبان .

(٣٣) - المسند (١٦٠/٢) وأخرجه الحميدي (٥٩١، ٥٩٢) ، وأبو داود في الأدب ، باب في الرحمة ، حديث (٤٩٤١) ، والترمذي فى البر والصلة ، باب : ما جاء فى رحمة المسلمين ، حديث (١٩٢٤) من سفيان به .

---

[١] - في ز ، خ: « أنكافئهم » .
[٢] - في ز ، خ: « يتركون » .
[٣] - في ز : « تطر » .
[٤] - في ز ، خ: « بالمكان » .
[٥] - في خ : « حجبة » .
[٦] - في ز ، خ : « كمحجبة » .
[٧] - في ز : « محة » ، خ : « منتحتة » .
[٨] - في ز، خ : « بتته » .

وقد رواه أبو داود والترمذي ، من حديث سفيان[١] بن عُيَيْنة ، عن عمرو بن دينار ، به[٢] . وهذا هو الذي يروىٰ بتسلسل الأوّلية وقال الترمذي: حسن صحيح.

وقال الإمام أحمد(٣٤) : حدثنا يزيد بن هارون ، حدثنا هشام الدستوائي ، عن يحيىٰ بن أبي كثير ، عن إبراهيم بن عبد الله بن قارظ[٣] : أن أباه حدثه أنه دخل علىٰ عبد الرحمن بن عوف وهو مريض ، فقال له [عبد الرحمن][٤] : وصلتك رَحِمٌ ، إن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم قال : « **قال الله -عز وجل- : أنا الرحمن ، خلقت الرحم ، وشققت لها من اسمي ، فمن يصلها[٥] أصله ، ومن يقطعها أقطعه فأبته - أو قال: من يبتها[٦] أبته** ». تفرد به من هذا الوجه .

ورواه أحمد أيضًا من حديث الزهري ، عن أبي سلمة ، عن الرَّدَّاد[٧] - أو أبي الرَّدَّاد[٨] - عن عبد الرحمن بن عوف به .

ورواه أبو داود والترمذي ، من رواية أبي سلمة ، عن أبيه .

والأحاديث في هذا كثيرة .

وقال الطبراني[٩](٣٥) : حدثنا علي بن عبد العزيز ، حدثنا محمد بن عمار الموصلي ، حدثنا عيسىٰ ابن يونس ، عن الحجاج بن يونس ، عن[١٠] الحجاج بن الفُرَافِصَة ، عن أبي عمر البصري ، عن سليمان؛ قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **الأرواح جنود مجندة ، فما تعارف منها ائتلف ، وما تناكر منها اختلف** ».

(٣٤) - المسند (١/١٩١،١٩٤) ، وأخرجه أحمد في المسند (١/١٩٤) والبخارى في الأدب المفرد (٥٣) وأبو داود في الأدب ، باب : في صلة الرحم ، حديث (١٦٩٥) من طرق عن الزهرى عن أبى سلمة عن أبى الدرداء عن عبدالرحمن بن عوف .
وأخرجه الحميدى (٦٥) وأحمد (١/١٩٤) ، وأبو داود في الأدب حديث (١٦٩٤) ، والترمذى في البر والصلة ، باب : في قطيعة الرحم حديث (١٩٠٧) والبيهقي في الآداب (١١) من طرق عن سفيان بن عيينة عن الزهرى عن أبى سلمة عن أبيه .

(٣٥) - معجم الطبراني الكبير (٦١٦٩) ، وهو في الأوسط (١٥٧٧) .

[١] - في ز ، خ : « شقيق » .
[٢] - سقط من : ز ، خ .
[٣] - في ز، خ : « فارض » .
[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٥] - في ز ، خ : « وصلها » .
[٦] - في ز ، خ : « سبها » .
[٧] - في ز ، خ : « المرداد » .
[٨] - في ز ، خ : « المرداد » .
[٩] - في ز ، خ : « الظهرانى » .
[١٠] - سقط من : ز،خ .

وبه قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم(٣٦) : « إذا ظهر القول ، وخزن العمل ، وائتلفت الألسنة ، وتباغضت القلوب ، وقطع كل ذي رحم رحمه ، فعند ذلك لعنهم الله فأصمهم وأعمىٰ أبصارهم » .

﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَى ۙ ٱلشَّيْطَٰنُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ ﴿٢٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لِلَّذِينَ كَرِهُوا۟ مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِى بَعْضِ ٱلْأَمْرِ ۖ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ ﴿٢٦﴾ فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ ﴿٢٧﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُوا۟ مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُوا۟ رِضْوَٰنَهُۥ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٢٨﴾ ﴾

يقول تعالىٰ آمرًا بتدبر القرآن وتفهمه ، وناهيًا عن الإعراض عنه ، فقال : ﴿ أفلا يتدبرون القرآن أم علىٰ قلوب أقفالها ﴾ أي : بل علىٰ قلوب أقفالها ، فهي[١] مُطْبَقَةٌ[٢] لا يخلص إليها شيء من معانيه .

قال ابن جرير(٣٧) : حدثنا بشر ؛ [قال : حدثنا يزيد ؛ قال : حدثنا سعيد ؛ قال][٣] : حدثنا حماد بن زيد ، حدثنا هشام بن عروة ، عن أبيه ؛ قال : تلا رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم يومًا : ﴿ أفلا يتدبرون القرآن أم علىٰ قلوب أقفالها ﴾ فقال شابٌّ من أهل اليمن : بل عليها أقفالها حتىٰ [يكون الله -عز وجل -][٤] يفتحها أو يفرجها . فما زال الشاب في نفس عمر [رضي الله عنه] حتى ولي فاستعان به .

ثم قال تعالىٰ : ﴿ إن الذين ارتدوا علىٰ أدبارهم ﴾ أي : فارقوا الإيمان ورجعوا إلىٰ

(٣٦) - أي بنفس إسناد الطبراني، وهو في المعجم الكبير (٦١٧٠) ، والأوسط (١٥٧٨) وأخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء (١٠٩/٣) من طريق محمد بن عبدالله بن عمارة به ، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/ ٢٩٠) : فيه جماعة لم أعرفهم .

(٣٧) - تفسير الطبرى (٥٨/٢٦) ، وعزاه السيوطى في الدر المنثور (٧٣/٦) إلى إسحاق بن راهويه وابن المنذر وابن مردويه .

[١] - في ز ، خ : « أي » .

[٢] - في ز ، خ: « مطبعة » .

[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

الكفر ، ﴿ من بعد ما تبين لهم الهدىٰ الشيطان سول لهم ﴾ أي : زين لهم ذلك وَحسّنَه ، ﴿ وأملىٰ لهم ﴾ أي : غرّهم وخدعهم ، ﴿ ذلك بأنهم قالوا للذين كرهوا ما نزل الله سنطيعكم في بعض الأمر ﴾ أي : مالئوهم وناصحوهم في الباطن علىٰ الباطل ، وهذا شأن المنافقين يظهرون خلاف ما يبطنون؛ ولهذا قال الله عز وجل : ﴿ والله يعلم إسرارهم ﴾ أي : ما يسرون وما يخفون ، الله مطلع عليه وعالم به ، كقوله : ﴿ والله يكتب ما يبيتون ﴾ .

ثم قال : ﴿ فكيف إذا توفتهم الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم ﴾ أي : كيف حالهم إذا جاءتهم الملائكة لقبض[١] أرواحهم ، وتَعَصَّت الأرواح في أجسادهم ، واستخرجتها الملائكة بالعنف والقهر والضرب ، كما قال : ﴿ ولو ترىٰ إذ يتوفىٰ الذين كفروا الملائكةُ يضربون وجوههم وأدبارهم... ﴾ الآية . وقال : ﴿ ولو ترىٰ إذ الظالمون في غمرات الموت والملائكةُ باسطو أيديهم ﴾ أي : بالضرب ﴿ أخرجوا أنفسكم اليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تقولون علىٰ الله غير الحق وكنتم عن آياته تستكبرون ﴾ . ولهذا قال هاهنا : ﴿ ذلك بأنهم اتبعوا ما أسخط الله وكرهوا رضوانه فأحبط أعمالهم ﴾ .

أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخْرِجَ ٱللَّهُ أَضْغَٰنَهُمْ ﴿٢٩﴾ وَلَوْ نَشَآءُ لَأَرَيْنَٰكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَٰهُمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ ٱلْقَوْلِ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَٰلَكُمْ ﴿٣٠﴾ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبْلُوَا۟ أَخْبَارَكُمْ ﴿٣١﴾

يقول تعالىٰ : ﴿ أم حسب الذين في قلوبهم مرض أن لن يخرج الله أضغانهم ﴾ أي : اعتقَدَ المنافقون أن الله لا يكشف أمرهم لعباده المؤمنين ؟ ! بل سيوضح أمرهم ويجليه حتىٰ يفهمهم ذوو البصائر ، وقد أنزل الله[٢] تعالىٰ في ذلك سورة « براءة » ، فبين فيها فضائحهم وما يعتمدونه من الأفعال الدالة علىٰ نفاقهم ؛ ولهذا إنما كانت تسمىٰ الفاضحة . والأضغان : جمع ضغن ، وهو ما في النفوس من الحسد والحقد للإسلام وأهله والقائمين بنصره .

وقوله : ﴿ ولو نشاء لأريناكهم فلعرفتهم بسيماهم ﴾ يقول تعالىٰ : ولو نشاء - يا محمد - لأريناك أشخاصهم ، فعرفتهم عيانًا ، ولكن لم يفعل تعالىٰ ذلك[٣] في جميع المنافقين سترًا منه علىٰ خلقه ، وحملًا للأمور علىٰ ظاهر السلامة ، وردّ السرائر إلىٰ عالمها ، ﴿ ولتعرفنهم في لحن القول ﴾ أي : فيما يبدو من كلامهم الدال علىٰ مقاصدهم ، يفهم

---

[١] - في خ : « لتقيض » . [٢] - سقط من : ز ، خ .

[٣] - سقط من : ز ، خ .

المتكلم من أي الحزبين هو بمعاني كلامه وفحواه ، وهو المراد من لحن القول ، كما قال أمير المؤمنين عثمان بن عفان - رضي الله عنه - : ما أسَرَّ أحد سريرة إلا أبداها الله علىٰ صفحات[١] وجهه ، وفلتات لسانه (٣٨) .

وفي الحديث (٣٩) : « **ما أسر أحد سريرة إلا كساه الله جلبابها ؛ إن خيرًا فخير ، وإن شرًّا فشر** » . وقد ذكرنا ما يستدل به علىٰ نفاق الرجل ، وتكلمنا علىٰ نفاق العمل والاعتقاد في أول « **شرح البخاري** » ، بما أغنىٰ عن إعادته هاهنا . [وقد ورد في الحديث تعيين جماعة من المنافقين][٢] .

قال الإمام أحمد(٤٠) : حدثنا وكيع ، حدثنا سفيان ، عن سلمة ، عن عياض بن عياض ، عن أبيه ، عن أبي[٣] مسعود عقبة بن عمرو - رضي الله عنه - قال : خَطَبَنا رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم خطبةً فحمد الله وأثنىٰ عليه ثم قال : « **إن منكم منافقين ، فمن سميت فليقم . ثم قال : قم يا فلان ، قم[٤] يا فلان ، قم[٥] يا فلان - حتىٰ سمىٰ ستة وثلاثين رجلًا - ثم قال : إن فيكم - أو : منكم - فاتقوا الله** » . قال[٦] : فمر عمر برجل ممن سمىٰ مُقَنَّع قد كان يعرفه ، فقال : مالك ؟ فحدثه بما قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ، فقال : بعدًا لك سائر اليوم .

وقوله : ﴿ **ولنبلونكم** ﴾ أي : ولنختبرنكم بالأوامر والنواهي ، ﴿ **حتىٰ نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلوا أخباركم** ﴾ . وليس في تَقَدّم علم الله تعالىٰ بما هو كائن أنه سيكون شك ولا ريب ، فالمراد : حتىٰ نعلم وقوعه ؛ ولهذا يقول ابن عباس في مثل هذا : إلا لنعلم ، أي : لنرىٰ .

إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَشَآقُّواْ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلۡهُدَىٰ

(٣٨) - انظر سورة الفتح الآية (٢٩) .

(٣٩) - انظر سورة الفتح الآية (٢٩) .

(٤٠) - المسند (٥/٢٧٣)(٢٢٤٤٩ ، ٢٢٤٥٠) ، وعبد بن حميد (٢٣٧ - منتخب) عن أبي نعيم عن سفيان به . والحديث أخرجه الطبراني في الكبير (١٧ / ٢٤٦ / رقم: ٦٨٧) . من نفس طريق أحمد . وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (١ / ١١٢) وعزاه لأحمد والطبراني في الكبير وقال: « وفيه عياض بن عياض عن أبيه ، ولم أر من ترجمهما » .

[١] - في خ : « صفحة » .

[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

[٣] - في ز ، خ : « ابن » .

[٤] - في ز ، خ : « ثم » .

[٥] - في ز ، خ : « ثم » .

[٦] - سقط من : خ .

لَن يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْـًٔا وَسَيُحْبِطُ أَعْمَالَهُمْ ﴿٣٢﴾ ۞ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ ﴿٣٣﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ﴿٣٤﴾ فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ ﴿٣٥﴾

يخبر تعالىٰ عمن كفر وصد عن سبيل اللّه ، وخالف الرسول وشاقه ، وارتد عن الإيمان من بعد ما تبين له الهدىٰ أنه لن يضر اللّه شيئًا ، وإنما يضر نفسه ويخسرها يوم معادها ، وسيحبط اللّه عمله ، فلا يثيبه علىٰ سالف ما تقدم من عمله الذي عَقَّبه بردته مثقال بعوضة من خير ، بل يحبطه ويمحقه بالكلية ، كما أن الحسنات يذهبن السيئات .

وقد قال الإمام محمد بن نصر المروزي في كتاب الصلاة(*) : حدثنا أبو قدامة ، حدثنا وكيع ، حدثنا أبو جعفر الرازي ، عن الربيع بن أنس ، عن أبي العالية ؛ قال : كان أصحاب رسول اللّه صلىٰ اللّه عليه وسلم يظنون أنه لا يضر مع « **لا إله إلا اللّه** » ذنب ، كما لا ينفع مع الشرك عمل ، فنزلت : ﴿ **أطيعوا اللّه وأطيعوا الرسول ولا تبطلوا أعمالكم** ﴾ . فخافوا أن يبطل الذنب العمل .

ثم روي من طريق عبد اللّه بن المبارك ، أخبرني بُكَير[١] بن معروف ، عن مقاتل بن حيان ، عن نافع ، عن ابن عمر ؛ قال : كنا معشر أصحاب رسول اللّه صلىٰ اللّه عليه وسلم نرىٰ أنه ليس شيء من الحسنات إلا مقبول حتىٰ نزلت : ﴿ **أطيعوا اللّه وأطيعوا الرسول ولا تبطلوا أعمالكم** ﴾ . فقلنا : ما هذا الذي يبطل أعمالنا ؟ فقلنا : الكبائر الموجبات والفواحش ، حتىٰ نزلت : ﴿ **إن اللّه لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء** ﴾ . فلما نزلت كففنا عن القول في ذلك ، فكنا نخاف علىٰ مَنْ أصاب الكبائر والفواحش ، ونرجو لمن لم يصبها .

ثم أمر تعالىٰ [عباده المؤمنين][٢] بطاعته وطاعة رسوله التي هي سعادتهم في الدنيا والآخرة ، ونهاهم عن الارتداد الذي هو مبطل للأعمال ؛ ولهذا قال : ﴿ **ولا تبطلوا أعمالكم** ﴾ أي : بالردة ؛ ولهذا قال بعدها : ﴿ **إن الذين كفروا وصدوا عن سبيل اللّه ثم ماتوا وهم كفار فلن يغفر اللّه لهم** ﴾ كقوله : ﴿ **إن اللّه لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ...** ﴾ . الآية .

---

[١] - في ز، خ : « بكر » .

[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

ثم قال لعباده المؤمنين : ﴿ **فلا تهنوا** ﴾ أي : لا[١] تضعفوا عن الأعداء ، ﴿ **وتدعوا إلىٰ السلم** ﴾ أي : المهادنة والمسالمة ووضع القتال بينكم وبين الكفار في حال قوتكم وكثرة عَدَدِكم وعُدَدِكُمْ ؛ ولهذا قال : ﴿ **فلا تهنوا وتدعوا إلىٰ السلم وأنتم الأعلون** ﴾ أي : في حال علوكم على عدوكم ، فأما إذا كان الكفار فيهم[٢] قوة[٣] وكثرة بالنسبة إلىٰ جميع المسلمين ، ورأىٰ الإمام في المعاهدة والمهادنة مصلحة ، فله أن يفعل ذلك ، كما فعل رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم حين صدَّه كفار قريش عن مكة ، ودَعوه إلىٰ الصلح ووضع الحرب بينهم وبينه عشر سنين ، فأجابهم إلىٰ ذلك .

وقوله : ﴿ **والله معكم** ﴾ : فيه بشارة عظيمة بالنصر[٤] والظفر علىٰ الأعداء ، ﴿ **ولن يتركم أعمالكم** ﴾ أي : ولن يحبطها ويبطلها ويسلبكم[٥] إياها ، بل يوفيكم ثوابها ولا ينقصكم منها شيئًا .

﴿ إِنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ ۚ وَإِن تُؤْمِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ وَلَا يَسْـَٔلْكُمْ أَمْوَٰلَكُمْ ﴿٣٦﴾ إِن يَسْـَٔلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ تَبْخَلُوا۟ وَيُخْرِجْ أَضْغَٰنَكُمْ ﴿٣٧﴾ هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ ۖ وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ وَٱللَّهُ ٱلْغَنِىُّ وَأَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ ۚ وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓا۟ أَمْثَٰلَكُم ﴿٣٨﴾ ﴾

يقول تعالىٰ تحقيرًا لأمر الدنيا وتهوينًا لشأنها : ﴿ **إنما الحياة الدنيا لعب ولهو** ﴾ أي : حاصلها ذلك إلا ما كان منها[٦] لله - عز وجل - ولهذا قال : ﴿ **وإن تؤمنوا وتتقوا يؤتكم أجوركم ولا يسألكم أموالكم** ﴾ أي : هو غني عنكم لا يطلب منكم شيئًا ، وإنما فرض عليكم الصدقات من الأموال مواساةً لإخوانكم الفقراء ، ليعود نفع ذلك عليكم ، ويرجع ثوابه إليكم .

ثم قال : ﴿ **إن يسألكموها فيحفكم تبخلوا** ﴾ أي : يحوجكم[٧] تبخلوا : ﴿ **ويخرج أضغانكم** ﴾ .

---

[١] - سقط من : ز ، خ .

[٢] - في ز ، خ: « فيه » .

[٣] - سقط من : ز، خ .

[٤] - في ز ، خ: « في النصر » .

[٥] - في ز، خ : ويسليكم .

[٦] - في خ : « فيها » .

[٧] - في ت : « يخرجكم » .

قال قتادة : قد علم الله أن في إخراج الأموال إخراج الأضغان . وصدق قتادة فإن المال محبوب ، ولا يصرف إلا فيما هو أحب إلىٰ الشخص منه .

وقوله : ﴿ **ها أنتم هؤلاء تدعون لتنفقوا في سبيل الله فمنكم من يبخل** ﴾ أي : لا يجيب إلىٰ ذلك ، ﴿ **ومن يبخل فإنما يبخل عن نفسه** ﴾ أي : إنما نَقَص نفسَه من الأجر ، وإنما يعود وبال ذلك عليه ، ﴿ **والله الغني** ﴾ أي : عن كل ما سواه ، وكل شيء فقير إليه[١] دائمًا ؛ ولهذا قال : ﴿ **وأنتم الفقراء** ﴾ أي : بالذات إليه . فوصفُهُ بالغنىٰ وصف لازم له ، ووصف الخلق بالفقر وصف لازم لهم ، لا ينفكون عنه[٢] .

وقوله : ﴿ **وإن تتولوا** ﴾ أي : عن طاعته واتباع شرعه ﴿ **يستبدل قومًا غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم** ﴾ أي : ولكن يكونون[٣] سامعين مطيعين له ولأوامره .

وقال ابن أبي حاتم ، وابن جرير (٤١) : حدثنا يونس بن عبد الأعلىٰ ، حدثنا ابن وهب ، أخبرني مسلم[٤] بن خالد ، عن العلاء بن عبد الرحمن ، عن أبيه ، عن أبي هريرة ؛ أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم تلا هذه الآية : ﴿ **وإن تتولوا يستبدل قومًا غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم** ﴾ . قالوا : يا رسول الله ؛ من هؤلاء الذين إن تولينا استبدل بنا ثم لا يكونوا أمثالنا ؟ قال : فضرب بيده[٥] علىٰ كتف سلمان الفارسي ثم قال : « **هذا وقومه ، ولو كان الدين عند الثريا لتناوله رجال من الفرس** » .

تفرد به مسلم بن خالد الزنجي ، ورواه عنه غير واحد ، وقد تكلّم فيه بعض الأئمة ، والله أعلم .

آخر تفسير سورة القتال[٦] .

☆ ☆ ☆

(٤١) - تفسير الطبرى (٦٦/٢٦،٦٧) ، وعزاه السيوطى أيضاً في الدر المنثور (٧٤/٦) إلى سعيد بن منصور وابن المنذر وابن مردويه .

[١] - سقط من : ز ، خ .

[٢] - في ز ، خ : « منه » .

[٣] - بياض في : ز .

[٤] - في ز : « مسلمة » .

[٥] - في ز : « يده » .

[٦] - في ت : « محمد » .

تفسير سورة الفتح

وهي مدنية

قال الإمام أحمد(١) : حدثنا وكيع ، حدثنا شعبة ، عن معاوية بن قرة ؛ قال[١] : سمعت عبد الله بن مغفل يقول : قرأ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم عام الفتح [في مسيره][٢] سورة الفتح علىٰ راحلته فرجّع فيها . قال معاوية : لولا أني أكره أن يجتمع الناس علينا لحكيت لكم[٣] قراءته . أخرجاه من حديث شعبة به .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴿١﴾ لِّيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٢﴾ وَيَنصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا ﴿٣﴾

نزلت هذه السورة الكريمة لما رجع رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم من الحديبية في ذي القعدة من سنة ست من الهجرة ، حين صدّه المشركون عن الوصول إلىٰ المسجد الحرام ليقضي عمرته فيه ، وحالوا بينه وبين ذلك ، ثم مالوا إلىٰ المصالحة والمهادنة ، وأن يرجع عامه هذا ثم يأتي من قابل ، فأجابهم إلىٰ ذلك علىٰ تكرّه من جماعة من الصحابة ، منهم عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - كما سيأتي تفصيله في موضعه من تفسير هذه السورة إن شاء الله . فلما نحر هديه حيث أحصر ورجع ، أنزل الله - عز وجل - هذه السورة فيما كان من أمره وأمرهم ، وجعل ذلك الصلح فتحًا باعتبار ما فيه من المصلحة ، وما آل الأمر إليه ، كما رُوي عن ابن مسعود رضي الله عنه وغيره[٤] أنه قال : إنكم تعدون الفتح فتحَ مكة ، ونحن نعد الفتحَ صلحَ الحديبية .

وقال الأعمش ، عن أبي سفيان ، عن جابر ؛ قال : ما كنّا نعدّ الفتح إلا يوم الحديبية .

وقال البخاري(٢) : حدثنا عبيد الله بن موسىٰ ، عن إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن

---

(١) - المسند (٥/٥٤) ، وأخرجه أحمد أيضًا في (٤/٨٥،٥٥،٥٦) ، والبخاري في المغازي ، باب أين ركز النبي ﷺ الراية يوم الفتح ؟ حديث (٤٢٨١) ، وأطرافه في (٤٨٣٥،٥٠٣٤،٥٠٤٧ ، ٧٥٤٠) ، ومسلم في صلاة المسافرين وقصرها ، حديث (٧٩٤) من طريق شعبة به .

(٢) - صحيح البخاري ، كتاب المغازي ، باب : غزوة الحديبية ، حديث (٤١٥٠) ، والحديث في المسند أيضًا (٤/٢٩٠،٣٠١) من طريق إسرائيل به .

---

[١] - سقط من ز .
[٢] - في ز ، خ: أي .
[٣] - سقط من ز ، خ .
[٤] - في ز ، خ : أو غيره .

البراء؛ قال : تعدون أنتم الفتح فتح مكة ، وقد كان فتح مكة فتحًا ، ونحن نعدُّ الفتح بيعةَ الرضوان يوم الحديبية ، كنا معَ رسول اللّه صلىٰ اللّه عليه وسلم أربع عَشرةَ مائة ، والحديبيةُ [بئر ، فنزحناها فلم نَترُك[١]][٢] فيها قطرة ، فبلغ ذلك رسول اللّه صلىٰ اللّه عليه وسلم فأتاها فجلس علىٰ شفيرها ، ثم دعا بإناء من ماء فتوضأ ، ثم تمضمض ودعا ، ثم صَبَّه فيها ، فتركناها غير بعيد ، ثم إنها أصدَرَتْنا ما شئنا نحن وركائبنا .

وقال الإمام أحمد(٣) : حدثنا أبو[٣] نوح ، حدثنا مالك بن أنس ، عن زيد بن أسلم ، عن أبيه ، عن عمر بن الخطاب؛ قال : كنا مع رسول اللّه صلىٰ اللّه عليه وسلم في سفر ، قال[٤] : فسألته عن شيء - ثلاث مرات - فلم يرد عليّ ، قال : فقلت لنفسي : ثكلتك أمك يا بن الخطاب نَزَرْتَ رسول اللّه صلىٰ اللّه عليه وسلم ثلاث مرات فلم يرد عليك[٥] ؟ قال : فركبت راحلتي فتقدمت مخافة أن يكون نزل[٦] فيَّ شيء ، قال : فإذا أنا بمناد ينادي[٧] : يا عمر ،[أين عمر][٨] ؟ . قال : فرجعت وأنا أظن أنه نزل فيَّ شيء ، قال : فقال النبي صلىٰ اللّه عليه وسلم : « **نزلت عليّ الليلة[٩] سورة هي أحب إليّ من الدنيا وما فيها : ﴿ إنا فتحنا لك فتحًا مبينًا * ليغفر لك اللّه ما تقدم من ذنبك وما تأخر ﴾** » .

ورواه البخاري ، والترمذي ، والنسائي ، من طرق عن مالك رحمه الله .

وقال عليّ بن المديني : هذا إسناد مديني لم نجده إلا عندهم .

وقال الإمام أحمد(٤) : حدثنا عبد الرزاق ، أخبرنا معمر ، عن قتادة ، عن أنس بن مالك - رضي اللّه عنه - قال : نزلت علىٰ النبي صلىٰ اللّه عليه وسلم : **﴿ ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ﴾** مَرْجِعَه من الحديبية . قال النبي صلىٰ اللّه عليه وسلم : « **لقد أنزلت**

---

(٣) - المسند (٣١/١) (٢٠٩) ، وأخرجه البخاري في المغازي ، باب : غزوة الحديبية حديث (٤١٧٧) ، وأطرافه في (٤٨٣٣،٥٠١٢) ، والترمذي في تفسير القرآن ، باب : ومن سورة الفتح ، حديث (٣٢٦٤) ، والنسائي في التفسير (٥١٩) من طريق مالك به .

(٤) - المسند (١٩٧/٣) ، وأخرجه الترمذي في تفسير القرآن ، باب : « ومن سورة الفتح » ، =

---

[١] - في ز : نقول .

[٢] - ما بين المعكوفين في خ : « هي قبر حساها فلم تقول » .

[٣] - سقط من ز ، خ .

[٤] - في ز : ما . وسقط من خ .

[٥] - في خ : على .

[٦] - سقط من ز ، خ .

[٧] - سقط من ز ، خ .

[٨] - سقط من ز ، خ .

[٩] - في حاشية ز : البارحة . وعليها علامة « خـ » وتعني : نسخة .

عليّ آية أحب إليّ مما على الأرض » ، ثم قرأها عليهم النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا : هنيئًا[١] مريئًا يا نبي الله ؛ لقد[٢] بين الله - عز وجل - ما ذا يفعل بك ، فماذا يفعل بنا ؟ فنزلت[٣] عليه : ﴿ ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنّات ﴾ حتى بلغ ﴿ فوزًا عظيمًا ﴾ . أخرجاه في الصحيحين من رواية قتادة به .

وقال الإمام أحمد (٥) : حدثنا إسحاق بن عيسى ، حدثنا مجمع بن يعقوب ؛ قال[٤] : سمعت أبي يحدث ، عن عمه عبد الرحمن بن يزيد الأنصاري ، عن عمه مجمع بن جارية[٥] الأنصاري - وكان أحد القراء الذين قرءوا القرآن - قال : شهدنا الحديبية فلما انصرفنا عنها إذا الناس يُنْفِرُونَ[٦] الأباعر ، فقال الناس بعضهم لبعض : ما للناس ؟ قالوا : أوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فخرجنا مع الناس نوجفُ[٧] ، فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم على راحلته عند[٨] كراع الغَميم ، فاجتمع الناس عليه فقرأ عليهم : ﴿ إنا فتحنا لك فتحًا مبينًا ﴾ قال : فقال رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم : أيْ رسولَ الله ؛ وَفَتْحٌ هو ؟ قال : « إي والذي نفس محمد بيده ، إنه لفتح » . فقسمت[٩] خيبر على أهل الحديبية لم يدخل معهم فيها أحد إلا من شهد الحديبية ، فقسمها رسول الله صلى الله عليه وسلم على[١٠] ثمانية عشر سهمًا ، [وكان الجيش][١١] ألفًا وخمسمائة [منهم ثلاثمائة][١٢] فارس ، فأعطى الفارس سهمين ، وأعطى الراجل سهمًا . ورواه أبو داود [في الجهاد][١٣] عن محمد بن [عيسى عن مُجَمِّع][١٤] بن يعقوب به[١٥] .

= حديث (٣٢٦٣) عن عبد بن حميد ، عن عبد الرزاق به . وأخرجه البخاري في المغازي ، باب : غزوة الحديبية ، حديث (٤١٧٢) ومسلم في كتاب الجهاد والسير ، حديث (١٧٨٦) من طريق قتادة عن أنس به نحوه .

(٥) - المسند (٣/٤٢٠) ، وأخرجه أبو داود في كتاب الجهاد ، باب : فيمن أسهم له سهمًا ، حديث (٢٧٣٦) ، وفي كتاب الخراج والإمارة والفيء ، باب : ما جاء في حكم أرض خيبر ، حديث (٣٠١٥) من حديث مجمع بن يعقوب به .

---

[١] - سقط من ز ، خ .
[٢] - سقط من ز ، خ .
[٣] - في ز : فأنزلت .وسقط من خ .
[٤] - سقط من ز ، خ .
[٥] - في ز : حارثة .
[٦] - في ز ، خ : يتفرقون .
[٧] - في ز : فوجف .
[٨] - سقط من خ .
[٩] - في ز ، خ : فسمت .
[١٠] - سقط من ز ، خ .
[١١] - في ز ، خ : « وجاءوا بجيش » .
[١٢] - سقط من ت .
[١٣] - بياض في ز .
[١٤] - في ز ، خ : عبد الله عن محمد .
[١٥] - سقط من ز ، خ .

وقال ابن جرير(٦) : حدثنا محمد بن عبد اللّٰه بن بزيع ، حدثنا أبو بحر[١] ، حدثنا شعبة[٢] ، حدثنا جامع بن شداد ، عن عبد الرحمن بن أبي علقمة ؛ قال : سمعت عبد اللّٰه ابن مسعود ؛ يقول : لما أقبلنا من الحديبية أعرسنا فنمنا ، فلم نستيقظ إلا بالشمس قد طلعت ، فاستيقظنا ورسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم نائم .

قال : فقلنا : « **امضوا** ». فاستيقظ رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: « **افعلوا كما[٣] كنتم تفعلون، [وكذلك][٤] من نام أو نسي**». قال: وفقدنا ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فطلبناها فوجدناها قد تعلق خطامُها بشجرة ، فأتيته بها فركبها ، فبينا نحن[٥] نسير إذ أتاه الوحي، قال : وكان إذا أتاه اشتد عليه ، فلما سُري عنه أخبرنا أنه أنزل عليه : ﴿ **إنا فتحنا لك فتحًا مبينًا** ﴾ .

وقد رواه أحمد ، وأبو داود ، والنسائي من غير وجه عن جامع بن شداد به .

وقال الإمام أحمد (٧) : حدثنا عبد الرحمن ، حدثنا سفيان ، عن زياد بن علاقة ؛ قال : سمعتُ المغيرةَ بن شعبة ؛ يقول : كان النبي ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، يصلي[٦] حتىٰ تَرِم[٧] قدماه ، فقيل له : أليس قد غَفَر اللّٰه لك ما تقدم من ذنبِك وما تأخر ؟ فقال : « **أفلا أكون عبدًا شكورًا ؟** » .

أخرجاه، وبقية الجماعة إلا أبا داود، من حديث زياد به.

وقال الإمام أحمد(٨) : حدثنا هارون بن معروف، حدثنا ابن وهب، حدثني أبو صخر ،

---

(٦) - تفسير الطبري (٢٦/٦٩)

(٧) - المسند (٤/٢٥٥) ، وأخرجه في (٤/٢٥١،٢٥٥) ، والبخاري في التهجد ، باب : قيام النبي ﷺ ، حديث (١١٣٠) ، وطرفاه في (٤٨٣٦،٦٤٧١) ، ومسلم في صفات المنافقين ، حديث (٢٨١٩) ، والترمذي في الصلاة ، باب : ما جاء في الاجتهاد في الصلاة ، حديث (٤١٢) ، والنسائي في كتاب قيام الليل وتطوع النهار ، باب : الاختلاف على عائشة في إحياء الليل (٣/٢١٩) ، وفي الكبرى (١٣٢٥،١١٥٠١) ، وابن ماجة حديث في إقامة الصلاة ، باب : ما جاء في طول القيام في الصلوات حديث (١٤١٩) وابن خزيمة (١١٨٢، ١١٨٣) من طرق عن زياد بن علاقة به .

(٨) - المسند (٦/١١٥) ، وأخرجه مسلم في صفات المنافقين حديث (٢٨٢٠) عن هارون =

---

[١] - بياض في ز ، خ .
[٢] - بياض في ز ، خ .

[٣] - في خ : ما .

[٤] - في ز : « فكذلك يفعل » . وفي خ : « فكذلك يفعل » .

[٥] - سقط من ز ، خ .
[٦] - سقط من ز .

[٧] - في ز ، خ : تورم .

عن ابن قسيط ، عن عروة [بن][1] الزبير ، عن عائشة ؛ قالت : كان رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم إذا صلىٰ قام حتىٰ تَتَفطر رجلاه ، فقالت له عائشة : يا رسول الله ، أتصنع[2] هذا وقد غفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ؟ فقال : « **يا عائشة ؛ أفلا أكون عبدًا شكورًا ؟** » .

أخرجه مسلم في الصحيح من رواية عبد الله بن وهب به.

وقال ابن أبي حاتم(٩) : حدثنا علي بن الحسين ، حدثنا عبد الله بن عون الخراز - وكان ثقة بمكة - حدثنا محمد[3] بن بشر ، حدثنا مسعر ، [عن قتادة][4] ، عن أنس ، قال : قام رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم حتىٰ تورمت قدماه - أو قال : ساقاه - فقيل له : أليس قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ؟ قال : « **أفلا أكون عبدًا شكورًا** » . غريب من هذا الوجه .

فقوله : ﴿ **إنا فتحنا لك فتحًا مبينًا** ﴾ أي : بيّنًا ظاهرًا ، والمراد به صلح الحديبية ، فإنه حصل بسببه خير جزيل ، وآمن الناس واجتمع بعضهم ببعض[5] ، وتكلم المؤمن مع الكافر ، وانتشر العلم النافع والإيمان .

وقوله : ﴿ **ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر** ﴾ : هذا من خصائصه - صلوات الله وسلامه عليه - التي لا يشاركه فيها[6] غيره . وليس في حديث صحيح في ثواب الأعمال لغيره غُفِرَ له ما تقدم من ذنبه وما تأخر . وهذا فيه تشريف عظيم لرسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ، وهو - صلوات الله وسلامه عليه - في جميع أموره علىٰ الطاعة والبر والاستقامة التي لم ينلها بَشَرٌ سواه ، لا من الأولين ولا من الآخرين ، وهو أكمل البشر علىٰ الإطلاق ، وسيدهم في الدنيا والآخرة .

=ابن معروف ، وهارون بن سعيد الأيلي ، عن ابن وهب به .

وأخرجه البخاري في التفسير ، باب : ﴿ ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك ، وما تأخر ...﴾ حديث (٤٨٣٧) من طريق أبي الأسود ، عن عروة به بنحوه وفيه زيادة في آخره .

(٩) - أخرجه أبويعلى في مسنده (٢٩٠٠) والطبراني في الأوسط (٥٧٣٧) عن عبد الله بن عون الخراز به .

وأخرجه ابن عدي في الكامل (٣/٢٤٥) من طريق محمد بن بشر به . قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٢/٢٧٤) : رواه أبو يعلى والبزار والطبراني في الأوسط ورجاله رجال الصحيح) .

---

[١] - في ز : « عن ابن » . وفي خ : « عن أبي » . [٢] - في ز ، خ : أتفعل .

[٣] - سقط من ز ، خ . [٤] - سقط من خ .

[٥] - في ز : بعضًا . [٦] - سقط من ز ، خ .

ولما كان أطوع خلق الله لله ، وأكثرهم تعظيمًا لأوامره ونواهيه قال حين بركت به الناقة : « **حبسها حابس الفيل** » . ثم قال : « **والذي نفسي بيده ، لا يسألوني اليوم شيئًا يعظمون به حُرمات الله إلا أجبتهم إليها** »(١٠) .

فلما أطاع الله في ذلك وأجاب إلى الصلح ، قال الله له : ﴿ **إنا فتحنا لك فتحًا مبينًا * ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ويتم نعمته عليك** ﴾ أي : في الدنيا والآخرة ﴿ **ويهديك صراطًا مستقيمًا** ﴾ أي : بما يشرعه لك من الشرع العظيم والدين القويم ، ﴿ **وينصرك الله نصرًا عزيزًا** ﴾ أي : بسبب خضوعك لأمر الله يرفعُك الله وينصرك على أعدائك . كما جاء في الحديث الصحيح(١١) : « **وما زاد الله عبدًا بعفو إلا عزًّا ، وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله** » . وعن عمر بن الخطاب أنه قال : ما عاقبت - [أي : في الدنيا والآخرة][١] - أحدًا عصىٰ الله تعالىٰ فيكَ بمثل أن تطيعَ الله فيه .

هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ ۗ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٤﴾ لِّيُدْخِلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عِندَ ٱللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٥﴾ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ ۚ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ ۖ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٦﴾ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٧﴾

يقول تعالى : ﴿ **هو الذي أنزل السكينة** ﴾ أي : جعل الطمأنينة . قاله ابن عباس ، وعنه : الرحمة .

---

(١٠) - جزء من حديث المسور بن مخرمة ، ومروان في قصة الحديبية ، أخرجه البخاري في كتاب الشروط ، باب : الشروط في الجهاد ، حديث (٢٧٣١،٢٧٣٢) .

(١١) - جزء من حديث أبي هريرة تقدم تخريجه في تفسير سورة الإسراء وأوله : « ما نقص مال من صدقة» .

---

[١] - ما بين المعكوفين سقط من ز ، خ .

وقال قتادة : الوقار في قلوب المؤمنين . وهم الصحابة يوم الحديبية ، الذين استجابوا لله ولرسوله ، وانقادوا لحكم الله ورسوله ، فلما اطمأنت قلوبهم بذلك ، واستقرت ، زادهم إيمانًا مع إيمانهم .

وقد استدل به البخاري وغيره من الأئمة على تفاضل الإيمان في القلوب .

ثم ذكر تعالىٰ أنه لو شاء لانتصر من الكافرين فقال : ﴿ **ولله جنود السماوات والأرض** ﴾ أي : ولو أرسل عليهم مَلَكًا واحدًا لأباد خَضْراءهم ، ولكنه تعالىٰ شرع لعباده المؤمنين الجهاد والقتال ، لما له في ذلك من الحكمة البالغة ، والحجة القاطعة ، والبراهين الدامغة ، ولهذا قال : ﴿ **وكان الله عليمًا حكيمًا** ﴾ ثم قال تعالىٰ : ﴿ **ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها** ﴾ ، قد تقدم حديث أنس (١٢) : قالوا : هنيئًا لك يا رسول الله ؛ هذا لك فما لنا ؟ فأنزل الله : ﴿ **ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها** ﴾ أي : ماكثين فيها أبدًا ، ﴿ **ويكفر عنهم سيئاتهم** ﴾ أي : خطاياهم وذنوبهم ، فلا يعاقبهم[١] عليها ، بل يعفو ويصفح ويغفر ، ويستر ويرحم ويشكر ، ﴿ **وكان ذلك عند الله فوزًا عظيمًا** ﴾ . كقوله : ﴿ **فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور** ﴾ وقوله : ﴿ **ويعذب المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات الظانين بالله ظن السوء** ﴾ أي : يتهمون الله في حكمه ، ويظنون بالرسول وأصحابه أن يقتلوا ويذهبوا بالكلية ، ولهذا قال : ﴿ **عليهم دائرة السوء وغضب الله عليهم ولعنهم** ﴾ أي : أبعدهم من رحمته ، ﴿ **وأعد لهم جهنم وساءت مصيرًا** ﴾ .

ثم قال مؤكدًا لقدرته علىٰ الانتقام من الأعداء أعداء الإسلام من الكفرة والمنافقين : ﴿ **ولله جنود السماوات والأرض وكان الله عزيزًا حكيمًا** ﴾ .

إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٨﴾ لِّتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ
وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ
ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ۚ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ
عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٠﴾

(١٢) - تقدم تخريجه برقم (٤) .

[١] - في ز : يقابلهم .

يقول تعالىٰ لنبيه محمد - صلوات اللّٰه وسلامه عليه - : ﴿ **إنا أرسلناك شاهدًا** ﴾ أي: علىٰ الخلق ، ﴿ **ومبشرًا** ﴾ أي : للمؤمنين ، ﴿ **ونذيرًا** ﴾ أي : للكافرين . وقد تقدم تفسيرها في « **سورة الأحزاب** » .

﴿ **لتؤمنوا باللّٰه ورسوله وتعزروه** ﴾ قال ابن عباس وغير واحد: يعظموه . ﴿ **وتوقروه** ﴾ ، من التوقير وهو الاحترام والإجلال والإعظام ﴿ **وتسبحوه** ﴾ أي : يسبحون اللّٰه ﴿ **بكرة وأصيلًا** ﴾ أي : أول النهار وآخره .

ثم قال تعالىٰ لرسوله ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، تشريفًا له وتعظيمًا وتكريمًا : ﴿ **إن الذين يبايعونك إنما يبايعون اللّٰه** ﴾ ، كقوله : ﴿ **من يطع الرسول فقد أطاع اللّٰه** ﴾ .

﴿ **يد اللّٰه فوق أيديهم** ﴾ أي : هو حاضر معهم يسمع أقوالهم ويرىٰ مكانهم ، ويعلم ضمائرهم وظواهرهم ، فهو تعالىٰ هو المبايع[١] بواسطة رسوله صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، كقوله : ﴿ **إن اللّٰه اشترىٰ من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل اللّٰه فيقتلون ويقتلون وعدًا عليه حقًا في التوراة والإنجيل والقرآن ومن أوفىٰ بعهده من اللّٰه فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم** ﴾ .

وقد قال ابن أبي حاتم : حدثنا علي بن الحسين ، حدثنا الفضل بن يحيىٰ الأنباري ، حدثنا علي بن بكار ، عن محمد بن عمرو ، عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة؛ قال : قال رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **من سل سيفه في سبيل اللّٰه ، فقد بايع اللّٰه** » .

وحدثنا أبي(١٣) ، حدثنا يحيىٰ بن المغيرة ، أخبرنا جرير ، عن عبد اللّٰه بن عثمان بن خُثيم ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس؛ قال : قال رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم في الحَجَر : « **واللّٰه ليبعثنه[٢] اللّٰه يوم القيامة له عينان ينظر بهما ، ولسان ينطق به ، ويشهد علىٰ من استلمه بالحق ، فمن استلمه فقد بايع اللّٰه** » ، ثم قرأ : ﴿ **إن الذين يبايعونك إنما يبايعون اللّٰه يد اللّٰه فوق أيديهم** ﴾ .

ولهذا قال هاهنا : ﴿ **فمن نكث فإنما ينكث علىٰ نفسه** ﴾ أي : إنما يعود وَبَالُ ذلك

(١٣) - أخرجه الترمذي في الحج ، باب : ما جاء في الحجر الأسود ، حديث (٩٦١) من طريق جرير ، عن ابن خثيم به .

وأخرجه أحمد (٢٤٧/١، ٢٦٦، ٢٩١، ٣٠٧، ٣٧١) ، والدارمي (١٨٤٦) ، وابن ماجة (٢٩٤٤) ، وابن خزيمة (٢٧٣٥، ٢٧٣٥) من طرق عن ابن خثيم به .

[١] - في ز ، خ : البايع . [٢] - في ت : ليبعثه .

على الناكث ، والله غني عنه ، ﴿ ومن أوفىٰ بما عاهد عليهُ اللَّهَ فسيؤتيه أجرًا عظيمًا ﴾ أي : ثوابًا جزيلًا . وهذه البيعة هي بيعة الرضوان وكانت تحت شجرة سمر بالحديبية ، وكان الصحابة الذين بايعوا رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم يومئذ قيل : ألف[١] وثلثمائة . وقيل : أربعمائة[٢] . وقيل : وخمسمائة . والأوسط أصح .

ذكر الأحاديث الواردة في ذلك

قال البخاري(١٤) : حدثنا قتيبة ، حدثنا سفيان ، عن عمرو ، عن جابر؛ قال : كنا يوم الحديبية ألفًا وأربعمائة . ورواه مسلم من حديث سفيان بن عيينة به . وأخرجاه(١٥) أيضًا من حديث الأعمش ، عن سالم بن أبي الجعد ، عن جابر؛ قال : كنا يومئذ ألفًا وأربعمائة ، ووضع يده في ذلك الماء فنبع الماء[٣] من بين أصابعه ، حتىٰ رَوَوْا كلهم .

وهذا مختصر من سياق آخر حين ذكر قصة عطشهم يوم الحديبية ، وأن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم أعطاهم سهمًا من كنانته فوضعوه في بئر الحديبية ، فجاشت بالماء ، حتىٰ كفتهم ، فقيل لجابر : كم كنتم يومئذ ؟ قال : كنا ألفًا وأربعمائة ، ولو كنا مائة ألف لكفانا . وفي رواية في[٤] الصحيحين(١٦) عن جابر أنهم كانوا خمس عشرة مائة .

وروىٰ البخاري(١٧) من حديث قتادة قلت لسعيد بن المسيب : كم كان الذين شهدوا بيعة الرضوان ؟ قال : خمس عشرة مائة .

[قلت : فإن جابر بن عبد الله - رضي الله عنهما - قال : كانوا أربع عشرة مائة . قال رحمه الله : وَهِمَ ، هو حدثني أنهم كانوا خمس عشرة مائة . قال البيهقي : هذه الرواية تدل علىٰ أنه كان في القديم يقول : خمس عشرة مائة ، ثم ذكر الوهم فقال : أربع عشرة مائة][٥] .

(١٤) - صحيح البخاري في التفسير ، باب : ﴿ إذ يبايعونك تحت الشجرة ﴾ ، حديث (٤٨٤٠) ، وأخرجه مسلم فيالإمارة ، حديث (١٨٥٦) (٧١) من طرق عن سفيان به وعنده زيادة مرفوعة .

(١٥) - أخرجه البخاري في الأشربة ، باب : شرب البركة والماء المبارك حديث (٥٦٣٩) ، ومسلم في كتاب الإمارة ، حديث (١٨٥٦) (٧٤) من طريق الأعمش به .

(١٦) - صحيح البخاري في الأشربة ، باب : شرب البركة والماء المبارك ، حديث (٥٦٣٩) ومسلم في الإمارة حديث (١٨٥٦) (٧٢) من حديث عمرو بن مرة عن سالم عن جابر .

(١٧) - هذا نص رواية البيهقي في الدلائل (٩٧/٤) من طريق قرة بن خالد عن قتادة به. وأخرجه =

[١] - في ز : ألفا .
[٢] - في خ : وأربعمائة .
[٣] - سقط من ز ، خ .
[٤] - سقط من ت ، خ .
[٥] - ما بين المعكوفين سقط من ز ، خ .

وروىٰ العوفي[١] عن ابن عباس ؛ أنهم كانوا ألفًا وخمسمائة وخمسة وعشرين . والمشهور الذي رواه غير واحد عنه أربع عشرة مائة ، وهذا هو الذي رواه البيهقي(١٨) ، عن الحاكم ، عن الأصم ، عن العباس الدوري ، عن يحيىٰ بن معين[٢] ، عن شَبَابة بن سوار ، عن شعبة ، عن قتادة ، عن سعيد بن المسيب ، عن أبيه ؛ قال : كنا مع رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم تحت الشجرة ألفًا وأربعمائة . وكذلك هو في رواية سلمة بن الأكوع(١٩) ، ومعقل بن يسار(٢٠) ، والبراء بن عازب(٢١) . وبه يقول غير واحد من أصحاب المغازي والسير . وقد أخرج صاحبا الصحيح(٢٢) من حديث شعبة ، عن عمرو بن مرة ؛ قال[٣] : سمعت عبد اللّٰه بن أبي أوفىٰ ؛ يقول : كان أصحاب الشجرة ألفًا وأربعمائة[٤] ، وكانت أسلَمُ يومئذ ثُمُنَ المهاجرين .

وروىٰ محمد بن إسحاق في السيرة(٢٣) ، عن الزهري ، عن عروة بن الزبير ، عن المشور [ابن مخرمة][٥] ومَرْوان بن الحكم أنهما حدثاه ؛ قالا : خرج رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم عام الحديبية يريد زيارة البيت ، لا يريد قتالًا ، وساق معه الهدي سبعين بدنة ، وكان الناس سبعمائة رجل ، كل بدنة عن عشرة نفر . وكان جابر بن عبد اللّٰه - فيما بلغني عنه - يقول : كنا أصحاب الحديبية أربع عشرة مائة كذا قال ابن إسحاق ، وهو [معدود من أوهامه[٦]][٧] ، فإن المحفوظ في الصحيحين أنهم كانوا بضع عشرة مائة .

= البخاري في المغازي ، باب : غزوة الحديبية ، حديث (٤١٥٣) من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة به نحوه .

(١٨) - أخرجه البيهقي في دلائل النبوة (٤/٩٨) .

(١٩) - أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الجهاد ، والسير ، حديث (١٨٠٧) من حديث إياس بن مسلمة عن أبيه .

(٢٠) - أخرجه أحمد (٥/٢٥) ، ومسلم في الإمارة ، حديث (١٨٥٨) من حديث الحكم بن عبد الله الأعرج عن معقل بن يسار .

(٢١) - تقدم في رقم (٢) .

(٢٢) - أخرجه البخاري في المغازي ، باب : غزوة الحديبية ، حديث (٤١٥٥) ومسلم في الإمارة ، حديث (١٨٥٧) قال البخاري : قال عبيد الله بن معاذ ، وقال مسلم : حدثنا عبيد الله بن معاذ ، عن أبيه ، عن شعبة به .

(٢٣) - سيرة ابن هشام (٣/٢٦٥) ، وأخرجه أحمد (٤/٣٢٣) ، وابن خزيمة في صحيحه (٢٩٠٦) من طريق ابن إسحاق به . =

---

[١] - سقط من ز ، خ .

[٢] - في خ : المغيرة .

[٣] - سقط من ز ، خ .

[٤] - في ز : وثلثمائة .

[٥] - سقط من ز ، خ .

[٦] - في ز : رواته .

[٧] - ما بين المعكوفين في خ : « معذور ومن رواية » .

ذكر سبب هذه البيعة العظيمة

قال محمد بن إسحاق بن يَسَار في السيرة(٢٤) : ثم دعا رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم عمر ابن الخطاب ليبعثه إلىٰ مكة ، ليبلّغ عنه أشراف قريش ما جاء له ، فقال : يا رسول الله ؛ إني أخاف قريشًا علىٰ نفسي ، وليس بمكة من بني عَديّ بن كعب من يمنعني ، وقد عرفت قريش عداوتي إياها ، وغِلَظي عليها ، ولكني أدلك علىٰ رجل أعَزّ بها مني ، عثمان بن عفان ، فبعثه إلىٰ أبي سفيان وأشراف قريش ، يخبرهم أنه لم يأت لحرب ، وأنه إنما جاء زائرًا لهذا البيت ، ومعظّمًا لحرمته .

فخرج عثمان إلىٰ مكة ، فلقيه أبان بن سعيد بن العاص حين دخل مكة ، أو قبل أن يدخلها ، فحمله بين يديه ، ثم أجاره حتىٰ بَلّغ رسالة رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم فانطلق عثمان حتىٰ أتىٰ[١] أبا سفيان وعظماء قريش ، فبلغهم عن رسول الله ما أرسله به ، فقالوا لعثمان حين فرغ من رسالة رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم إليهم : إن شئت أن تطوف بالبيت فطُفْ . فقال : ما كنت لأفعل حتىٰ يطوف به[٢] رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم . واحتبسته قريش عندها ، فبلغ رسولَ الله صلىٰ الله عليه وسلم والمسلمين أن عثمان قد قُتل .

قال ابن إسحاق (٢٥) : فحدثني عبد الله بن أبي بكر ؛ أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ، قال حين بلغه أن عثمان قد قتل : « **لا نبرح حتىٰ نناجز القوم** » . ودعا رسول الله - صلىٰ الله عليه وسلم - الناسَ إلىٰ البيعة ، فكانت بيعة الرضوان تحت الشجرة ، فكان الناس يقولون : بايعهم[٣] رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، علىٰ الموت . وكان جابر بن عبد الله ؛ يقول : إن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم لم يبايعهم علىٰ الموت ، ولكن بايعنا علىٰ أن لا نفرّ .

فبايع الناس ولم يتخلف أحد من المسلمين حضرها إلا الجدّ بن قيس أخو بني سلمة[٤] ، فكان جابر يقول : والله لكأني[٥] أنظر إليه لاصقًا بإبط ناقته ، قد ضبأ إليها[٦] يستتر[٧]

= وأصل الحديث في صحيح البخاري في الحج ، باب من أشعر وقلد بذي الحليفة ثم أحرم ، حديث (١٦٩٤،١٦٩٥) وانظر أطرافه هناك .

(٢٤) - سيرة ابن هشام (٣/٢٧١) .

(٢٥) - المصدر السابق (٣/٢٧٢) .

[١] - في ز ، خ : بلغ .

[٢] - سقط من ز ، خ .

[٣] - في ز : بايعتم .

[٤] - في ز ، خ : مسلم .

[٥] - في ز : فكأني .

[٦] - سقط من خ .

[٧] - في ز : يستر .

بها من الناس ثم أتى رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، أن الذى كان من أمر عثمان باطل .

وذكر ابن لَهِيعة (٢٦) ، عن الأسود ، عن عروة بن الزبير قريبًا من هذا السياق ، وزاد في سياقه : أن قريشًا بعثوا وعندهم عثمان [ ][١] سهيلَ بن عمرو ، وحُويطب بن عبد العُزَّىٰ ، ومكرز بن حفص إلىٰ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ، فبينما هم عندهم[٢] إذ وقع كلام بين بعض المسلمين وبعض المشركين ، وتراموا بالنَّبْل والحجارة ، وصاح الفريقان كلاهما ، وارتهن كل من الفريقين مَنْ عنده من الرسل ، ونادىٰ منادي رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : ألا إن[٣] روح القدس قد نزل علىٰ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ، فأمر[٤] بالبيعة ، فاخرجوا علىٰ اسم الله فبايعوا . فسار المسلمون إلىٰ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم وهو تحت الشجرة ، فبايعوه علىٰ أن لا يفروا أبدًا ، فأرعب ذلك المشركين ، وأرسلوا من كان عندهم من المسلمين ، ودعوا إلىٰ الموادعة والصلح .

وقال الحافظ أبو بكر البيهقي : أخبرنا علي بن أحمد بن عبدان ، أخبرنا أحمد بن عبيد[٥] الصفار ، حدثنا تمتام[٦] ، حدثنا الحسن بن بشر ، حدثنا الحكم بن عبد الملك ، عن قتادة ، عن أنس ابن مالك ؛ قال : لما أمر رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ببيعة الرضوان كان عثمان بن عفان رسولَ رسولِ الله صلىٰ الله عليه وسلم إلىٰ أهل مكة ، فبايع الناس ، فقال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **اللّهم ؛ إن عثمان في حاجة الله وحاجة رسوله** » . فضرب بإحدىٰ يديه علىٰ الأخرىٰ ، فكانت يد رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم لعثمان خيرًا من أيديهم لأنفسهم .

قال ابن هشام(٢٧) : وحدثني من أثق به عمن حدثه بإسناد له ، عن ابن أبي مليكة ، عن ابن عمر ؛ قال[٧] : بايع [رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم][٨] لعثمان ، فضرب بإحدىٰ يديه على الأخرىٰ .

وقال عبد الملك بن هشام النحوي(٢٨) : فذكر وكيع ، عن إسماعيل بن[٩] أبي خالد ،

(٢٦) - أخرجه البيهقي في دلائل النبوة (١١٢/٤) بسنده إلى ابن لهيعة به .

(٢٧) - سيرة ابن هشام (٢٧٢/٣) ، ونقله المصنف في تاريخه (٢١٢٦،٢١٥/٦، هجر) .

(٢٨) - سيرة ابن هشام (٢٧٢/٣) .

[١] - في ز ، خ : بن .

[٢] - في خ : عنده .

[٣] - في ز : وإن .

[٤] - في ت : وأمر .

[٥] - في ز ، خ : عبد .

[٦] - في ز ، خ : تمام .

[٧] - سقط من ز ، خ .

[٨] - ما بين المعكوفين سقط من ز .

[٩] - في ز : عن .

عن الشعبي أن أول من بايع رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم بيعة الرضوان أبو سنَان الأسدي . وقال أبو بكر عبد اللّٰه بن الزبير الحميدي (٢٩) : حدثنا سفيان ، حدثنا ابن أبي خالد ، عن الشعبي ؛ قال : لما دعا رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم الناس إلىٰ البيعة ، كان أول من انتهىٰ إليه أبو سنان ، فقال : ابسط يدك أبايعك . فقال النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **علام تبايعني ؟** » . فقال أبو سنان : علىٰ ما في نفسك . هذا أبو سنان وَهبُ الأسدي ، رضي الله عنه .

وقال البخاري(٣٠) : حدثنا شجاع بن الوليد ، سمع النضر[١] بن محمد ، حدثنا صخر[٢] ، عن نافع ؛ قال : إن الناس يتحدثون أن ابن عُمَر أسلم قبل عُمَر ، وليس كذلك ، ولكن عمر يوم الحديبية أرسل عبد اللّٰه إلىٰ فرس له عند رجل من الأنصار أن يأتي به ليقاتل عليه ، ورسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم يبايع عند الشجرة ، وعمر لا يدري بذلك ، فبايعه عبد اللّٰه ، ثم ذهب إلىٰ الفرس فجاء به إلىٰ عمر ، وعمر يستلئم[٣] للقتال ، فأخبره أن رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم يُبايع تحت الشجرة ، فانطلق فذهب معه حتىٰ بايع رسولَ اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، وهي التي يتحدث الناس أن ابن عمر أسلم قبل عمر .

ثم قال البخاري (٣١) : وقال هشام بن عمار : حدثنا الوليد بن مسلم ، حدثنا عُمَر بن محمد العُمَري ، أخبرني نافع ، عن ابن عمر ؛ أن الناس كانوا مع رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم [يوم الحديبية][٤] قد تفرقوا في ظلال الشجر ، فإذا الناس مُحدقونَ[٥] بالنبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم فقال - يعني عمر - : يا عبد اللّٰه ؛ انظر ما شأن الناس قد أحدقوا برسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم . فوجدهم يبايعون ، فبايع ثم رجع إلىٰ عمر فخرج فبايع .

وقد أسنده البيهقي عن أبي[٦] عمرو الأديب ، عن أبي بكر الإِسماعيلي ، عن الحسن بن سفيان ، عن دحيم : حدثني الوليد بن مسلم ، فذكره .

---

(٢٩) - أخرجه البيهقي في دلائل النبوة (١٣٧/٤) بسنده إلى الحميدي به .

(٣٠) - صحيح البخاري في المغازي ، باب : غزوة الحديبية (٤١٨٦) .

(٣١) - صحيح البخاري في المغازي ، باب : غزوة الحديبية حديث (٤١٨٧) قال الحافظ في الفتح : كذا وقع بصيغة التعليق ، وفي بعض النسخ " قال لي " وقد وصله الاسماعيلي عن الحسن بن سفيان عن دحيم وهو ابن عبد الرحمن بن إبراهيم عن الوليد بن مسلم بالإسناد المذكور .

---

[١] - في ز ، خ : المنصور .

[٢] - في خ : صخر بن الربيع .

[٣] - في خ : مسلم .

[٤] - سقط من خ .

[٥] - في خ : سحدثون .

[٦] - في ز ، خ : ابن .

وقال الليث ، عن أبي الزبير ، عن جابر؛ قال : كنا يوم الحديبية ألفًا وأربعمائة فبايعناه ، وعمر آخذ بيده تحت الشجرة وهي سَمُرة ، وقال : بايعناه على أن لا نفرّ ، ولم نبايعه على الموت . رواه مسلم(٣٢) ، عن قتيبة ، عنه .

وروى مسلم(٣٣) عن يحيى بن يحيى ، عن يزيد بن زُرَيع ، عن خالد ، عن الحكم بن عبد الله بن[١] الأعرج ، عن معقل بن يَسَار؛ قال : لقد رأيتني يوم الشجرة والنبي صلى الله عليه وسلم يبايع الناس ، وأنا رافع غصنًا من أغصانها عن رأسه ، ونحن أربع عشرة مائة ، قال : ولم نبايعه على الموت ، ولكن بايعناه على أن لا نفرّ .

وقال البخاري(٣٤) : حدثنا المكي بن إبراهيم ، عن يزيد بن أبي عبيد ، عن سلمة بن الأكوع؛ قال : بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت الشجرة . قال يزيد : قلت : يا أبا مسلم ، على أي شيء كنتم تبايعون يومئذ ؟ قال : على الموت .

وقال البخاري أيضًا(٣٥) : حدثنا أبو عاصم ، حدثنا يزيد بن أبي عُبَيد ، عن سَلَمة؛ قال : بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية ثم تنحيت ، فقال : « **يا سلمة؛ ألا تبايع** ؟ » قلت : قد بايعت . قال : « **أقبل فبايع** » . فدنوت فبايعته ، قلت : علام بايعته يا سلمة ؟ قال : على الموت .

وأخرجه مسلم من وجه أخر عن يزيد بن أبي عبيد . وكذا روى البخاري(٣٦) عن عباد ابن تميم : أنهم بايعوه على الموت .

وقال البيهقي(٣٧) : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ ، أخبرنا أبو الفضل بن إبراهيم ؛ حدثنا أحمد بن سلمة ، حدثنا إسحاق بن إبراهيم ، حدثنا أبو عامر العَقَدي عبد الملك بن عمرو ، حدثنا عكرمة ابن عمار اليمامي ، عن إياس بن سلمة ، عن أبيه سلمة بن الأكوع؛ قال : قَدمنا

(٣٢) - صحيح مسلم في كتاب الإمارة ، حديث (١٨٥٦) .

(٣٣) - تقدم تخريجه برقم (٢٢) .

(٣٤) - صحيح البخاري في الجهاد والسير ، باب : البيعة في الحرب ، حديث (٢٩٦٠) .

(٣٥) - صحيح البخاري في الأحكام ، باب : من بايع مرتين ، حديث (٧٢٠٨) وأخرجه مسلم في الإمارة ، حديث (١٨٦٠) من طريق يزيد بن أبي عبيد به .

(٣٦) - أخرجه البخاري في المغازي ، باب : غزوة الحديبية ، حديث (٤١٦٧) من حديث عياد بن تميم ، عن ابن زيد به .

(٣٧) - دلائل النبوة (١٣٩/٤، ١٤٠) ، وأخرجه مسلم في الجهاد والسير ، حديث (١٨٠٧) عن إسحاق بن إبراهيم به .

[١] - سقط من خ .

الحديبية مع رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ونحن أربع عشرة مائة ، وعليها خمسون شاة لا تُرْويها[١] ، فقعد رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم علىٰ جَبَاها - يعني الرَّكي - فإما دعا وإما بَصَق[٢] فيها ، فجاشت فسقينا واستقينا . قال : ثم إن رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم دعا إلىٰ البيعة في أصل الشجرة ، فبايعتُه أول الناس ، ثم بايع وبايع ، حتىٰ إذا كان في وسط الناس قال [صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **بايعني يا سلمة** » . قال : قلت : يا رسول اللّٰه ، قد بايعتك في أول الناس][٣] . قال : « **وأيضًا** » . قال[٤] : ورآني رسول اللّٰه ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، عَزِلًا فأعطاني حجفة - أو دَرَقَة - ثم بايع حتىٰ إذا كان في آخر الناس قال صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **ألا تبايع يا سلمة ؟** » . قال : قلت : يا رسول اللّٰه ؛ قد بايعتك في أول الناس وأوسطهم . قال : « **وأيضًا** » . فبايعته الثالثة ، فقال : « **يا سلمة ؛ أين حَجَفَتك أو دَرَقَتك التي أعطيتك ؟** » . قال : قلت : يا رسول اللّٰه ؛ لقيني عامر عزلًا فأعطيتها أياه ، فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال : « **إنك كالذي قال الأول : اللّهم ؛ أبغني حبيبًا هو أحب إليّ من نفسي** » . قال : ثم إن المشركين من أهل مكة راسلونا في الصلح حتىٰ مشىٰ بعضنا في بعض فاصطلحنا . قال : وكنت خادمًا لطلحة بن عُبَيد اللّٰه -رضي اللّٰه عنه- أسقي فرسه وأَحُسّهُ[٥] وآكل من طعامه ، وتركت أهلي ومالي مُهَاجرًا إلىٰ اللّٰه ورسوله . فلما اصطلحنا نحن وأهلُ مكة ، واختلط بعضنا ببعض ، أتيت شجرة فَكَسَحْتُ[٦] شوكها[٧] ، ثم اضطجعت في أصلها في ظلها ، فأتاني أربعة من مشركي أهل مكة ، فجعلوا يقعون في رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم فأبغضتهم ، وتحولت إلىٰ[٨] شجرة أخرىٰ فَعلّقوا سلاحهم واضطجعوا ، فبينما هم كذلك إذ نادىٰ منادٍ من أسفل الوادي : [يا للمهاجرين][٩] ، قُتل ابن زُنَيم . فاخترطت سيفي فشددت على أولئك الأربعة وهم رقود فأخذت سلاحهم وجعلته ضغثًا في يدي ، ثم قلت : والذي كَرّم وجهَ محمد صلىٰ اللّٰه عليه وسلم لا يرفع أحد منكم رأسه إلا ضربت الذي فيه عيناه . قال : ثم جئت بهم أسوقهم إلىٰ رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم . قال : وجاء عمي عامر برجُل من العَبَلات يقال له : « **مكرَز**[١٠] » من المشركين يقوده ، حتىٰ وقفنا بهم علىٰ رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم في سبعين من المشركين ، فنظر إليهم رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم وقال : « **دعوهم يكن لهم بَدْءُ الفجور وثناه** » . فعفا عنهم رسول اللّٰه صلىٰ

---

[١] - في ز ، خ : يرونها .
[٢] - في ز : بسق .
[٣] - ما بين المعكوفين سقط من ز ، خ .
[٤] - سقط من ز ، خ .
[٥] - في ز ، خ : وأجنبه .
[٦] - في ز ، خ : فكشحت .
[٧] - في خ : بشوكها .
[٨] - سقط من خ .
[٩] - في خ : « يا آل المهاجرين » .
[١٠] - في ز ، خ : مشكور .

اللَّه عليه وسلم وأنزل اللَّه : ﴿ **وهو الذي كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم ببطن مكة من بعد أن أظفركم عليهم** ﴾ ... الآية .

وهكذا رواه مسلم عن إسحاق بن إبراهيم بن راهوية بسنده نحوه أو قريبًا منه .

وثبت في الصحيحين(٣٨) من حديث أبي عوانة ، عن طارق ، عن سعيد بن المسيب ؛ قال : كان أبي ممن بايع رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم تحت الشجرة . قال : فانطلقنا من قابل حاجين ، فخفي علينا مكانها ، فإن كان تَبَيّنتْ[١] لكم فأنتم أعلم .

وقال أبو بكر الحميدي(٣٩) : حدثنا سفيان ، حدثنا أبو الزبير ، حدثنا جابر ؛ قال : لما دعا رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم الناس إلىٰ البيعة ، وجدنا رجلًا منا يقال له : « **الجد ابن قيس** » مختبئًا تحت إبط بعيره[٢] .

رواه مسلم من حديث ابن جُرَيج ، عن ابن الزبير به .

وقال الحميدي أيضًا(٤٠) : حدثنا سفيان ، عن عمرو ، سمع جابرًا قال : كنا يوم الحديبية ألفًا وأربعمائة ، فقال لنا رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **أنتم خير أهل[٣] الأرض اليوم** » . قال جابر : لو كنت أبصرُ لأريتكم موضع الشجرة . قال سفيان : إنهم اختلفوا في موضعها . أخرجاه من حديث سفيان .

وقال الإمام أحمد (٤١) : حدثنا يونس ، حدثنا الليث ، عن أبي الزبير ، عن جابر ، عن رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، أنه قال : « **لا يدخل النار أحد ممن بايع تحت الشجرة** » .

وقال ابن أبي حاتم (٤٢) : حدثنا محمد بن هارون الفلاس المخرمي ، حدثنا سَعيدُ[٤] بن

(٣٨) - أخرجه البخاري في المغازي ، باب : غزوة الحديبية ، حديث (٤١٦٣،٤١٦٤،٤١٦٥) ، ومسلم في الإمارة ، حديث (١٨٥٩) ، من طريق طارق بن عبد الرحمن به .

(٣٩) - مسند الحميدي (١٢٧٧) ، وأخرجه مسلم في صحيحه كتاب الإمارة ، حديث (١٨٥٦) (٦٩) من طريق ابن جريج عن أبي الزبير به مطولًا بمعناه .

(٤٠) - مسند الحميدي (١٢٢٥) ، وأخرجه البخاري في المغازي ، باب : غزوة الحديبية ، حديث (٤١٥٤) ، ومسلم في الإمارة ، حديث (١٨٥٦)(٧١) من طريق سفيان به .

(٤١) - المسند (٣/٣٥٠) ، وفيه قال أحمد : حدثنا حجين ، ويونس عن الليث به .

وأخرجه أبوداود في السنة ، باب : في الخلفاء ، حديث (٤٦٥٣) والترمذي في المناقب - باب : في فضل=

[١] - في ز : ثبت .

[٢] - في ز : بعير .

[٣] - سقط من خ .

[٤] - في ز ، خ : معتمر .

عمرو الأشعثي ، حدثنا محمد بن ثابت العبدي ، عن خداش بن عياش ، عن أبي الزبير ، عن جابر قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **يدخل من بايع تحت الشجرة كلهم الجنة إلا صاحبُ الجمل الأحمر** » . قال : فانطلقنا نبتدره فإذا رجل قد أضل بعيره ، فقلنا : تعال فبايع . فقال : أصيبُ بعيري أحبّ إليّ من أن أبايع .

وقال عبد الله بن أحمد(٤٣) : حدثنا عبيد الله بن معاذ ، حدثنا أبي ، حدثنا قُرّة ، عن أبي الزبير ، عن جابر ، عن النبي - صلىٰ الله عليه وسلم - أنه قال : « **من يصعد الثنية ثَنيّة المُرَار**[١] **فإنه يُحطّ عنه ما حُطّ**[٢] **عن بني إسرائيل** » . فكان أول من صَعد خيل[٣] بني[٤] الخزرج ، ثم تبادر الناس بعد فقال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **كلكم مغفور له**[٥] **إلا صاحب الجمل الأحمر** » . فقلنا : تعال يستغفر لك رسول الله . فقال : والله لأن أجد ضالتي أحبّ إليّ من أن يستغفر لي صاحبكم . فإذا هو رجل يَنْشُدُ ضالة . رواه مسلم عن عُبَيد الله به .

وقال ابن جُرَيج : أخبرني أبو الزبير ، أنه سمع جابرًا؛ يقول : أخبرتني أم مبشر، أنها سمعت رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم؛ يقول عند حفصة : « **لا يدخل النار - إن شاء الله - من أصحاب الشجرة الذين بايعوا تحتها أحد** » . قالت : بلىٰ يا رسول الله . فانتهرها . فقالت لحفصة : ﴿ **وإن منكم إلا واردها** ﴾ ، فقال النبي صلىٰ الله عليه وسلم : « **قد قال الله : ﴿ ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيًا ﴾** » . رواه مسلم(٤٤) .

وفيه أيضًا عن قتيبة(٤٥) ، عن الليث ، عن أبي الزبير ، عن جابر؛ أن [عبدًا لحاطب][٦] بن أبي بلتعة جاء يشكو حاطبًا ، فقال : يا رسول الله ؛ ليدخلن حاطب النار ، فقال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **كذبت : لا يدخلها ؛ فإنه قد شهد بدرًا والحديبية** » .

= من بايع تحت الشجرة ، حديث (٣٨٦٠) ، والنسائي في تفسيره (٥٢٨) من طرق عن الليث به .

(٤٢) - أخرجه الترمذي في المناقب ، حديث (٣٨٦٣) من طريق سليمان التيمي عن خداش به نحوه ، وقال الترمذي : هذا حديث حسن غريب .

(٤٣) - لم أقف عليه في المسند ، والحديث أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب صفات المنافقين وأحكامهم ، حديث (٢٨٨٠) عن عبيد الله بن معاذ العنبري به .

(٤٤) - تقدم تخريجه في تفسير سورةمريم الآية (٧١)

(٤٥) - صحيح مسلم كتاب فضائل الصحابة حديث (٢١٩٥)

---

[١] - في ز ، خ : الدار .
[٢] - في ز : يحط .
[٣] - في خ : جبل .
[٤] - في ز ، خ : من .
[٥] - سقط من خ .
[٦] - في ز ، خ : عبد حاطب .

ولهذا قال تعالىٰ في الثناء عليهم : ﴿ **إن الذين يبايعونك إنما يبايعون اللّه يد اللّه فوق أيديهم فمن نكث فإنما ينكث علىٰ نفسه ومن أوفىٰ بما عاهد عليهُ اللّهَ فسيؤتيه أجرًا عظيمًا** ﴾ ، كما قال في الآية الأخرىٰ : ﴿ **لقد رضي اللّه عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما في قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحًا قريبًا** ﴾ .

سَيَقُولُ لَكَ ٱلْمُخَلَّفُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَآ أَمْوَٰلُنَا وَأَهْلُونَا فَٱسْتَغْفِرْ لَنَا ۚ يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ ۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًۢا ۚ بَلْ كَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًۢا ﴿١١﴾ بَلْ ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَنقَلِبَ ٱلرَّسُولُ وَٱلْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰٓ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزُيِّنَ ذَٰلِكَ فِى قُلُوبِكُمْ وَظَنَنتُمْ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ وَكُنتُمْ قَوْمًۢا بُورًا ﴿١٢﴾ وَمَن لَّمْ يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ فَإِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَـٰفِرِينَ سَعِيرًا ﴿١٣﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٤﴾

يقول تعالىٰ مخبرًا رسوله[١] - صلوات اللّه وسلامه عليه - بما يعتذر به المخلفون من الأعراب الذين اختاروا المُقام في أهليهم وشغلهم ، وتركوا المسير مع رسول اللّه صلىٰ اللّه عليه وسلم فاعتذروا بشغلهم بذلك ، وسألوا أن يستغفر لهم الرسول صلىٰ اللّه عليه وسلم ، وذلك قول منهم لا علىٰ سبيل الاعتقاد ، بل علىٰ وجه التقية والمصانعة ، ولهذا قال تعالىٰ : ﴿ **يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم قل فمن يملك لكم من اللّه شيئًا إن أراد بكم ضرًا أو أراد بكم نفعًا** ﴾ أي : لا يقدر أحد أن يرد ما أراده فيكم -تعالىٰ وتقدس - وهو العليم بسرائركم وضمائركم ، وإن صانعتمونا وتابعتمونا ؛ ولهذا قال : ﴿ **بل كان اللّه بما تعملون[٢] خبيرًا** ﴾ .

ثم قال : ﴿ **بل ظننتم أن لن ينقلب الرسول والمؤمنون إلىٰ أهليهم أبدًا** ﴾ أي : لم يكن تخلفكم تخلف معذور ولا عاص ، بل تخلف نفاق ، ﴿ **بل ظننتم أن لن ينقلب الرسول والمؤمنون إلىٰ أهليهم أبدًا** ﴾ أي : اعتقدتم أنهم يُقتلون وتُستأصل شأفتهم ، وتستباد خَضراؤهم ، ولا يرجع منهم مخبر ، ﴿ **وظننتم ظن السوء وكنتم قومًا بورًا** ﴾ أي :

---

[١] - في ز : لرسوله . [٢] - في ز : يعملون .

هلكىٰ . قاله ابن عباس ، ومجاهد ، وغير واحد . وقال قتادة : فاسدين . وقيل : هى بلغة عمّان .

ثم قال : ﴿ **ومن لم يؤمن بالله ورسوله** ﴾ أي : من لم يخلص العمل في الظاهر والباطن لله فإن الله تعالىٰ سيعذبه في السعير ، وإن أظهر للناس ما يعتقدون خلاف ما هو عليه في نفس الأمر .

ثم بين تعالىٰ أنه الحاكم المالك المتصرف في أهل السماوات والأرض : ﴿ **يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء وكان الله غفورًا رحيمًا** ﴾ أي : لمن تاب إليه وأناب ، وخضع لديه .

سَيَقُولُ ٱلْمُخَلَّفُونَ إِذَا ٱنطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ ۖ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ۚ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمْ قَالَ ٱللَّهُ مِن قَبْلُ ۖ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا ۚ بَلْ كَانُوا۟ لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥﴾

يقول تعالىٰ مخبرًا عن الأعراب الذين تخلفوا عن النبي صلىٰ الله عليه وسلم في غزوة الحديبية ، إذ ذهب النبي صلىٰ الله عليه وسلم وأصحابه إلىٰ خيبر يفتتحونها : إنهم يسألون أن يخرجوا معهم إلىٰ المغنم ، وقد تخلفوا عن وقت محاربة الأعداء ومجالدتهم[١] ومصابرتهم ، فأمر الله رسوله صلىٰ الله عليه وسلم أن لا يأذن لهم في ذلك ، معاقبة لهم من جنس ذنبهم ، فإن الله تعالىٰ وعد أهل الحديبية بمغانم خيبر وحدهم لا يشركهم فيها[٢] غيرهم من الأعراب المتخلفين ، فلا يقع غير ذلك شرعًا وقدرًا ؛ ولهذا قال : ﴿ **يريدون أن يبدلوا كلام الله** ﴾ . قال مجاهد ، وقتادة ، وجويبر : وهو الوعد الذي وعد به أهل الحديبية . واختاره ابن جرير .

وقال ابن زيد : هو قوله : ﴿ **فإن رجعك الله إلىٰ طائفة منهم فاستأذنوك للخروج فقل لن تخرجوا معي أبدًا ولن تقاتلوا معي عدوًّا إنكم رضيتم بالقعود أول مرة فاقعدوا مع الخالفين** ﴾.

وهذا الذي قاله ابن زيد فيه نظر ؛ لأن هذه الآية التي في « براءة » نزلت في غزوة تبوك ، وهي متأخرة عن غزوة الحديبية .

وقال ابن جريج : ﴿ **يريدون أن يبدلوا كلام الله** ﴾ يعني : بتثبيطهم[٣] المسلمين عن

---

[١] - في ز ، خ : ومجادلتهم .
[٢] - سقط من خ .
[٣] - في ز : تثبطهم .

الجهاد .

﴿ قل لن تتبعونا كذلكم قال الله من قبل ﴾ أي : وعد الله أهل الحديبية [قبل سؤالكم][١] الخروج معهم ، ﴿ فسيقولون بل تحسدوننا ﴾ أي : أن نشرككم في المغانم ، ﴿ بل كانوا لا يفقهون إلا قليلا ﴾ أي : ليس الأمر كما زعموا ولكن لا فهم لهم .

قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَٰتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ ۖ فَإِن تُطِيعُوا۟ يُؤْتِكُمُ ٱللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا ۖ وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ كَمَا تَوَلَّيْتُم مِّن قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦﴾

اختلف المفسرون في هؤلاء القوم الذين يدعون إليهم ، الذين هم أولو بأس شديد على أقوال :

أحدها : أنهم هَوَازن ؛ رواه شعبة ، عن أبي بشر ، عن سعيد بن جبير - أو عكرمة ، أو جميعًا - ورواه هشيم عن أبي بشر ، عنهما . وبه يقول قتادة في رواية عنه .

الثاني : ثقيف . قاله الضحاك :

الثالث : بنو حنيفة ، قاله جويبر ، ورواه محمد بن إسحاق ، عن الزهري ، ورُوي مثله عن سعيد وعكرمة .

الرابع : هم أهل فارس . رواه علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس ، وبه يقول عطاء ، ومجاهد ، وعكرمة [٢] - في إحدىٰ الروايات عنه .

وقال كعب الأحبار : هم الروم . وعن ابن أبي ليلىٰ ، وعطاء ، والحسن ، وقتادة : هم فارس والروم . وعن مجاهد : هم أهل الأوثان . وعنه أيضًا : هم رجال أولو بأس شديد ، ولم يعين فرقة . وبه يقول ابن جريج ، وهو اختيار ابن جرير .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا الأشج ، حدثنا عبد الرحمن بن الحسن القواريري ، عن معمر ، عن الزهري في قوله : ﴿ ستدعون إلىٰ قوم أولي بأس شديد ﴾ ، قال : لم يأت أولئك بعد .

وحدثنا أبي ، حدثنا ابن أبي عمر ، حدثنا سفيان ، عن ابن أبي خالد ، عن أبيه ، عن

---

[١] - بياض في ز ، خ . [٢] - سقط من ز ، خ .

أبي هريرة في قوله : ﴿ **ستدعون إلىٰ قوم أولي بأس شديد** ﴾ ، قال : هم البارزون .

قال(٤٦) : وحدثنا سفيان ، عن الزهري ، عن سعيد بن المسيب ، عن أبي هريرة ، عن النبي صلىٰ الله عليه وسلم ؛ قال : « **لا تقوم الساعة حتىٰ تقاتلوا قومًا صغار الأعين ذُلْفَ**[١] **الآنف ، كأن وجوههم المجان المطرقة** » . قال سفيان : هم الترك .

قال ابن أبي عمر[٢] : وجدت في مكان آخر : ابن أبي خالد عن أبيه قال : نزل علينا أبو هريرة ففسر قول رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **تقاتلون قومًا نعالهم**[٣] **الشعر** » . قال : هم البارزون ؛ يعني : الأكراد .

وقوله : ﴿ **تقاتلونهم أو يُسلمون** ﴾ ، يعني يشرع لكم جهادهم وقتالهم ، فلا يزال ذلك مستمرًا عليهم ، ولكم النصرة عليهم ، أو يسلمون فيدخلون في دينكم بلا قتال بل باختيار .

ثم قال : ﴿ **فإن تطيعوا** ﴾ أي : تستجيبوا وتنفروا[٤] في الجهاد وتؤدوا الذي عليكم فيه ، ﴿ **يؤتكم الله أجرًا حسنًا وإن تتولوا كما توليتم من قبل** ﴾ ، يعني زمن الحديبية حيث دعيتم فتخلفتم ، ﴿ **يعذبكم عذابًا أليمًا** ﴾ .

ثم ذكر تعالىٰ الأعذار في ترك الجهاد ، فمنها لازم كالعمىٰ والعَرَج المستمر ، وعارض كالمرض الذي يطرأ أيامًا ثم يزول ، فهو في حال مرضه مُلحَقٌ بذوي الأعذار اللازمة حتىٰ يبرأ .

ثم قال تعالىٰ مرغبًا في الجهاد وطاعة الله ورسوله : ﴿ **ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الأنهار ومن يتول** ﴾ أي : ينكلُ[٥] عن الجهاد ، ويُقبل علىٰ المعاش ﴿ **يعذبه عذابًا أليمًا** ﴾ ، في الدنيا بالمذلة ، وفي الآخرة بالنار .

لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَمَن يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٧﴾

(٤٦) – أخرجه الحميدي (١١٠٠) ، وأحمد (٢/٢٣٩) ، والبخاري في الجهاد والسير ، باب : قتال اللذين ينتعلون الشعر ، حديث (٢٩٢٩) ومسلم في الفتن وأشراط الساعة ، حديث (٢٩١٢) ، من طريق سفيان به.

[١] – في ز : دلف .
[٢] – في ز : عمرو .
[٣] – في ز ، خ : يقال لهم .
[٤] – في خ : وتستقروا .
[٥] – في ز : نكل .

﴿ لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾ وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٩﴾ ﴾

يخبر تعالىٰ عن رضاه عن المؤمنين الذين بايعوا رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم تحت الشجرة ، وقد تقدم ذكر عدتهم وأنهم كانوا ألفًا وأربعمائة ، وأن الشجرة كانت سَمُرةً بأرض الحديبية .

قال البخاري(٤٧) : حدثنا محمود ، حدثنا عبيد[١] اللّٰه ، عن إسرائيل ، عن طارق بن[٢] عبد الرحمن؛ قال : انطلقت حاجًا فمررت بقوم يصلون ، فقلت[٣] : ما هذا المسجد ؟ قالوا : هذه الشجرة ، حيث بايع رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم بيعة الرضوان .فأتيتُ سعيد بن المسيب فأخبرته ، فقال سعيد : حدثني أبي أنه كان فيمن بايع رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم تحت الشجرة . قال : فلما خرجنا من العام المقبل نَسيناها فلم نَقدِر عليها ، فقال سعيد : إن أصحاب محمد صلىٰ اللّٰه عليه وسلم لم يعلموها وعُلّمتموها[٤] أنتم ، فأنتم أعلم .

وقوله : ﴿ **فعلم ما في قلوبهم** ﴾ أي : من الصدق والوفاء ، والسمع والطاعة ، ﴿ **فأنزل [ ][٥] السكينة** ﴾ ، وهي الطمأنينة ، ﴿ **عليهم وأثابهم فتحًا قريبًا** ﴾ ، وهو ما أجرىٰ اللّٰه علىٰ أيديهم من الصلح بينهم وبين أعدائهم ، وما حصل بذلك من الخير العام المستمر المتصل بفتح خيبر وفتح مكة ، ثم فتح سائر البلاد والأقاليم عليهم ، وما حصل لهم من العز والنصر والرفعة في الدنيا والآخرة ؛ ولهذا قال : ﴿ **ومغانم كثيرة يأخذونها وكان اللّٰه عزيزًا حكيمًا** ﴾ .

قال ابن أبي حاتم(٤٨) : حدثنا [أحمد بن محمد][٦] بن يحيىٰ بن سعيد القطان ، حدثنا عبيد اللّٰه بن موسىٰ ، أخبرنا موسىٰ - يعني ابن عبيدة - حدثني إياس بن سلمة ، عن

(٤٧) - صحيح البخاري في المغازي ، باب : غزوة الحديبية ، حديث (٤١٦٣) وقد تقدم قريباً .

(٤٨) - أخرجه ابن جرير في تفسيره (٨٦/٢٦) عن محمد بن عمارة الأسدي عن عبيدالله بن موسى به وعزاه السيوطي أيضاً في الدرالمنثور (٨١/٦) إلى ابن مردويه .

[١] - في خ : عبد .

[٢] - في ز ، خ : أبي .

[٣] - في ز : قلت .

[٤] - في ز : علمتوها .

[٥] - في ز : الله .

[٦] - في خ : « محمد بن أحمد » .

أبيه ؛ قال : بينما نحن قائلون إذ نادىٰ منادي رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : [أيها الناس ؛ البيعةَ البيعةَ ، نزل روح القدس . قال : فثَرنا إلىٰ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم][١] وهو تحت شجرة سَمُرة فبايعناه[٢] ، فذلك قول الله تعالىٰ : ﴿ **لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة** ﴾ ، فبايع لعثمان بإحدىٰ[٣] يديه علىٰ الأخرىٰ ، فقال الناس : هنيئًا لابن عفان ، يطوف بالبيت ونحن هاهنا . فقال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **لو مكث كذا كذا سنةً ما طاف حتىٰ أطوف** » .

وَعَدَكُمُ ٱللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَٰذِهِۦ وَكَفَّ أَيْدِىَ ٱلنَّاسِ عَنكُمْ وَلِتَكُونَ ءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٢٠﴾ وَأُخْرَىٰ لَمْ تَقْدِرُوا۟ عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ ٱللَّهُ بِهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا ﴿٢١﴾ وَلَوْ قَٰتَلَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوَلَّوُا۟ ٱلْأَدْبَٰرَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٢٢﴾ سُنَّةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنۢ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٢٤﴾

قال مجاهد في قوله : ﴿ **وعدكم الله مغانم كثيرة تأخذونها** ﴾ ، هي جميع المغانم إلىٰ اليوم ، ﴿ **فعجل لكم هذه** ﴾ ، يعني فتح خيبر .

وروىٰ العوفي ، عن ابن عباس : ﴿ **فعجل لكم هذه** ﴾ ، يعني صلح الحديبية .

﴿ **وكف أيدي الناس عنكم** ﴾ أي : لم ينلكم سوء مما كان أعداؤكم أضمروه لكم من المحاربة والقتال . وكذلك كف أيدي الناس الذين خلفتموهم وراء أظهركم عن عيالكم وحريمكم ، ﴿ **ولتكون آية للمؤمنين** ﴾ أي : يعتبرون بذلك ، فإن الله حافظهم وناصرهم علىٰ سائر الأعداء ، مع قلة عددهم ، وليعلموا بصنيع الله هذا بهم أنه العليم بعواقب الأمور ، وأن الخيرَة فيما يختاره لعباده المؤمنين وإن كرهوه في الظاهر ، كما قال : ﴿ **وعسىٰ أن تكرهوا شيئًا وهو خير لكم** ﴾ .

---

[١] - ما بين المعكوفين سقط من خ . [٢] - في ز : فبايعنا .

[٣] - في ز : إحدى .

﴿ ويهديكم صراطًا مستقيمًا ﴾ أي : بسبب انقيادكم لأمره واتباعكم طاعته ، وموافقتكم رسوله .

وقوله : ﴿ وأخرىٰ لم تقدروا عليها قد أحاط اللّٰه بها وكان اللّٰه علىٰ كل شيء قديرًا ﴾ أي : وغنيمة أخرىٰ وفتحًا آخر معينًا لم تكونوا تقدرون عليها ، قد يَسَّرها اللّٰه عليكم ، وأحاط بها لكم ؛ فإنه تعالىٰ يرزق عباده المتقين له من حيث لا يحتسبون .

وقد اختلف المفسرون في هذه الغنيمة ، ما المراد بها ؟ فقال العوفي ، عن ابن عباس : هي خيبر . وهذا علىٰ قوله في قوله تعالىٰ : ﴿ فعجل لكم هذه ﴾ : إنها صلح الحديبية . وقاله الضحاك ، وابن إسحاق ، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم .

وقال قتادة : هي مكة . واختاره ابن جرير .

وقال ابن أبي ليلىٰ ، والحسن البصري : هي فارس والروم .

وقال مجاهد : هي كل فتح وغنيمة إلىٰ يوم القيامة .

وقال أبو داود الطيالسي(٤٩) : حدثنا شعبة ، عن سماك الحَنَفي ، عن ابن عباس : ﴿ وأخرىٰ لم تقدروا عليها قد أحاط اللّٰه بها ﴾ ، قال : هذه الفتوح التي[١] تفتح إلىٰ اليوم .

وقوله : ﴿ ولو قاتلكم الذين كفروا لولوا الأدبار ثم لا يجدون وليًا ولا نصيرًا ﴾ يقول تعالى مبشرًا لعباده المؤمنين بأنه لو ناجزهم المشركون لنصر اللّٰه رسوله وعباده المؤمنين عليهم ، ولانهزم جيش الكفار[٢] فارًا مدبرًا لا يجدون وليًا ولا نصيرًا ؛ لأنهم محاربون للّٰه ولرسوله ولحزبه المؤمنين .

ثم قال : ﴿ سنة اللّٰه التي قد خلت من قبل ولن تجد لسنة اللّٰه تبديلًا[٣] ﴾ أي : هذه سنة اللّٰه وعادته في خلقه ، ما تقابل الكفر والإيمان في موطن فيصل إلا نصر اللّٰه الإيمان علىٰ الكفر ، فرفع الحق ووضع الباطل ، كما فعل تعالىٰ يوم بدر بأوليائه[٤] المؤمنين نصرهم علىٰ

---

(٤٩) - أخرجه البيهقي في دلائل النبوة (١٦٣/٤) من طريق يحيى بن أبي زائدة عن شعبة به بلفظ هو ما أصبتم بعده .

وعزاه السيوطي في الدرالمنثور (٨٣/٦) إلى عبد بن حميد وابن أبي حاتم ، وابن المنذر وابن مردوية والبيهقي في الدلائل باللفظ الذي ذكره المصنف .

---

[١] - سقط من ز ، خ .
[٢] - في ز : الكفر .
[٣] - في ز : تحويلًا .
[٤] - في ز ، خ : بأولئك .

أعدائه من المشركين ، مع قلة عدد المسلمين وعُدَدهم ، وكثرة المشركين وعُددهم .

وقوله : ﴿ **وهو الذي كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم ببطن مكة من بعد أن أظفركم عليهم وكان الله بما تعملون بصيرًا** ﴾ : هذا امتنان من الله على عباده المؤمنين حين كف أيدي المشركين عنهم ، فلم يصل إليهم منهم سوء ، وكفّ أيدي المؤمنين عن[١] المشركين فلم يقاتلوهم عند المسجد الحرام ، بل صان كلًّا من الفريقين ، وأوجد بينهم صلحًا فيه خِيَرَةٌ للمؤمنين ، وعاقبة لهم في الدنيا والآخرة . وقد تقدم في حديث سلمة بن الأكوع حين جاءوا بأولئك السبعين الأسارى فأوثقوهم بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فنظر إليهم وقال : « **أرسلوهم يكن لهم بدء الفجور وثِنَاه**[٢] » . قال : وفي ذلك أنزل الله : ﴿ **وهو الذي كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم** ﴾ ... الآية .

وقال الإمام أحمد(٥٠) : حدثنا يزيد بن هارون ، حدثنا حماد ، عن ثابت ، عن أنس بن مالك؛ قال : لما[٣] كان يوم الحديبية هبط على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ثمانون رجلًا من أهل مكة في السلاح من قبل جبل التنعيم يريدون غِرّة رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعا عليهم فأخذوا - قال عفان : فعفا عنهم - ونزلت هذه الآية : ﴿ **وهو الذي كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم ببطن مكة من بعد أن أظفركم عليهم** ﴾ .

ورواه مسلم وأبو داود في سننه ، والترمذي والنسائي في التفسير من سننيهما ، من طرق ، عن حماد بن سلمة به .

وقال أحمد أيضًا[٤] (٥١) : حدثنا زيد[٥] بن الحباب ، حدثنا الحسين بن واقد ، حدثنا ثابت البُناني ، عن عبد الله بن [مغفل المزني][٦] ؛ قال : كنا مع رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، في أصل الشجرة التي قال الله تعالى في القرآن ، وكان يقع من أغصان تلك

---

(٥٠) - المسند (١٢٢/٣، ١٢٤) ، وأخرجه أيضاً في (٢٩٠/٣) ، وعبد بن حميد (١٢٠٨) ومسلم في الجهاد والسير ، حيدث (١٨٠٨) وأبو داود في الجهاد ، باب في المن على الأسير بغير نداء حديث (٢٦٨٨) ، والترمذي في تفسير القرآن ، باب ومن سورة الفتح حديث (٣٢٦٤) والنسائي في التفسير (٥٣٠) من طرق عن حماد بن سلمة به .

(٥١) - المسند (٨٦/٤) ، وأخرجه النسائي في التفسير (٥٣١) عن محمد بن عقيل عن علي بن الحسين بن واقد عن أبيه به .

وأخرجه أيضاً الطبري في تفسيره (٩٣/٢٦-٩٤) ، والحاكم في المستدرك (٤٦٠/٣-٤٦١) ، والبيهقي (٣١٩/٦) من طريق الحسين بن واقد به .

---

[١] - في ت : من .
[٢] - في ز : وثناؤه .
[٣] - سقط من ز .
[٤] - سقط من ز ، خ .
[٥] - في خ : يزيد .
[٦] - في ز ، خ : المغفل الذي .

الشجرة علىٰ ظهر رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم وعليٌّ بن أبي طالب ، وسهيلُ بن عمرو بين يديه - فقال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم لعليّ : « **اكتب : بسم اللَّه الرحمن الرحيم** » . فأخذ سهيل بيده وقال : ما نعرف الرحمن الرحيم . اكتب في قضيتنا ما نعرف . [قال : « **اكتب باسمك اللّهم** » . وكتب : « **هذا ما صالح عليه محمد رسول اللَّه أهل مكة** » . فأمسك سهيل بن عمرو بيده وقال : لقد ظلمناك إن كنت رسوله ، اكتب في قضيتنا ما نعرف][١] . فقال : « **اكتب هذا ما صالح عليه محمد بن عبد اللَّه** » . فبينا نحن كذلك إذ خرج علينا ثلاثون شابًا عليهم السلاح ، فثاروا في وجوهنا ، فدعا عليهم رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، فأخذ اللَّه بأسماعهم ، فقمنا إليهم فأخذناهم ، فقال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **هل جئتم في عهد أحد ؟** » أو : « **هل جعل لكم أحد أمانا ؟** » . فقالوا : لا . فخلىٰ سبيلهم ، فأنزل اللَّه : ﴿ **وهو الذي كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم ببطن مكة من بعد أن أظفركم عليهم وكان اللَّه بما تعملون بصيرًا** ﴾ . رواه النسائي من حديث حسين بن واقد به .

وقال ابن جرير(٥٢) : حدثنا ابن حميد ، حدثنا يعقوب القُمّي ، حدثنا[٢] جعفر ، عن ابن أبزىٰ ؛ قال : لما خرج النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم بالهدي وانتهىٰ إلىٰ ذي الحليفة قال له عمر : يا نبي اللَّه ؛ تدخلُ[٣] علىٰ قوم لك حَرْب بغير سلاح ولا كُراع ؟ قال : فبعث إلىٰ المدينة ، فلم يدع فيها كُراعًا ولا سلاحًا إلا حمله ، فلما دنا من مكة منعوه أن يدخل ، فسار حتىٰ أتىٰ منىٰ ، فنزل بمنىٰ [فأتاه عينه][٤] أن عكرمة بن أبي جهل قد خرج عليك في خمسمائة ، فقال لخالد بن الوليد : « **يا خالد ؛ هذا [ ][٥] ابن عمك أتاك في الخيل** » . فقال خالد : أنا سيف اللَّه ، وسيف رسوله - فيومئذ سُمي سيف اللَّه - يا رسول اللَّه ؛ ارم بي أين شئت . فبعثه علىٰ خيل ، فلقي عكرمة في الشعب فهزمه حتىٰ أدخله حيطان مكة ، ثم عاد في الثانية فهزمه حتىٰ أدخله حيطان مكة ، ثم عاد في الثالثة فهزمه حتىٰ أدخله حيطان مكة ، فأنزل اللَّه : ﴿ **وهو الذي كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم ببطن مكة** ﴾ إلىٰ ﴿ **عذابًا أليمًا** ﴾ . قال : فكف اللَّه النبي عنهم من بعد أن أظفره عليهم لبقايا[٦] من المسلمين كانوا بقوا[٧] فيها كراهية أن تطأهم الخيل .

---

(٥٢) - تفسير الطبري (٢٦،٩٥) ، وعزاه السيوطي أيضاً في الدر المنثور (٨٧/٦) إلى ابن أبي حاتم وابن المنذر .

---

[١] - ما بين المعكوفين سقط من خ .
[٢] - في ز ، خ : عن .
[٣] - في ز : ندخل .
[٤] - بياض في ز ، خ .
[٥] - في ت : ابن .
[٦] - بياض في ز ، خ .
[٧] - بياض في ز ، خ .

ورواه ابن أبي حاتم(٥٣) عن ابن أبزىٰ[١] بنحوه . وهذا السياق فيه نظر ، فإنه لا يجوز أن يكون عام الحديبية ؛ لأن خالدًا لم يكن أسلم ، بل قد كان طليعة المشركين يومئذ ، كما ثبت في الصحيح . ولا يجوز أن يكون [في عمرة القضاء][٢] ؛ لأنهم قاضوه علىٰ أن يأتي من العام المقبل[٣] فيعتمر ويقيم بمكة ثلاثة أيام ، فلما قدم لم يمانعوه[٤] ولا حاربوه ولا قاتلوه . فإن قيل : فيكون يوم الفتح ؟ فالجواب : ولا يجوز أن يكون يوم الفتح ؛ لأنه لم يسق عام الفتح هَدْيًا[٥] وإنما جاء محاربًا مقاتلًا في جيش عَرَمْرَم ، فهذا السياق فيه خلل ، وقد وقع فيه شيء فليتأمل ، والله أعلم .

وقال ابن إسحاق : حدثني من لا أتهم ، عن عكرمة مولىٰ ابن عباس ؛ أن قريشًا بعثوا أربعين رجلًا منهم أو خمسين ، وأمروهم أن يُطيفُوا بعسكر رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ليصيبوا من أصحابه أحدًا ، فأُخِذُوا أخذًا ، فأُتي بهم رسولَ الله صلىٰ الله عليه وسلم فعفا عنهم وخلىٰ سبيلهم ، وقد كانوا رَموا إلىٰ عسكر رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم بالحجارة والنبل . قال ابن إسحاق : وفي ذلك أنزل الله : ﴿ **وهو الذي كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم** ﴾ ... الآية .

وقال قتادة(٥٤) : ذُكر لنا أن رجلًا يقال له : « **ابن زُنيم** » اطلع علىٰ الثنية من الحديبية ، فرماه المشركون بسهم فقتلوه ، فبعث رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم خيلًا فأتوه باثني عشر فارسًا من الكفار ، فقال لهم : « **هل لكم عليّ عهد ؟ هل لكم علي ذمة ؟** » . قالوا : لا . فأرسلهم ، وأنزل الله في ذلك : ﴿ **وهو الذي كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم** ﴾ ... الآية .

هُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَٱلْهَدْىَ مَعْكُوفًا أَن يَبْلُغَ مَحِلَّهُۥ وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَآءٌ مُّؤْمِنَٰتٌ لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ أَن تَطَـُٔوهُمْ فَتُصِيبَكُم مِّنْهُم مَّعَرَّةٌۢ بِغَيْرِ عِلْمٍ لِّيُدْخِلَ ٱللَّهُ فِى رَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ لَوْ تَزَيَّلُواْ لَعَذَّبْنَا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٢٥﴾ إِذْ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْحَمِيَّةَ

(٥٣) - سيرة ابن هشام (٢٧١/٣) ، ومن طريق ابن إسحاق أخرجه الطبري في تفسيره (٩٤/٢٦) .
(٥٤) - أخرجه الطبري في تفسيره (٨٣/٢٦) ، وعزاه السيوطي أيضاً في الدرالمنثور (٨٣/٦)

[١] - في ز : بزى . وفي خ : ندى .
[٢] - بياض في ز ، خ . وقبله : ابن .
[٣] - في ز : القابل .
[٤] - في ز ،خ : يتابعوه .
[٥] - في ز ، خ : هذا .

﴿حَمِيَّةَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَأَلۡزَمَهُمۡ كَلِمَةَ ٱلتَّقۡوَىٰ وَكَانُوٓاْ أَحَقَّ بِهَا وَأَهۡلَهَاۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٗا ٢٦﴾

يقول تعالىٰ مخبرًا عن الكفار من مشركي العرب من قريش ومَن مالأهم علىٰ نصرتهم علىٰ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : ﴿ **هم الذين كفروا** ﴾ أي : هم الكفار دون غيرهم ، ﴿ **وصدوكم عن المسجد الحرام** ﴾ أي : وأنتم أحق به ، وأنتم أهله في نفس الأمر ، ﴿ **والهدي معكوفًا أن يبلغ محله** ﴾ أي : وصدوا الهدي أن يصل إلىٰ محله ، وهذا [من بغيهم][١] وعنادهم ، وكان الهديُ سبعين بدنة كما سيأتي بيانه .

وقوله : ﴿ **ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات** ﴾ أي : بين أظهرهم ممن يكتم إيمانه ويخفيه منهم خيفة علىٰ أنفسهم من قومهم ، لكنا سلّطناكم عليهم فقتلتموهم وأبدتم خَضْراءهم ، ولكن بين أفنائهم من المؤمنين والمؤمنات أقوام لا تعرفونهم حالة القتل ، ولهذا قال : ﴿ **لم تعلموهم أن تطئوهم فتصيبكم منهم معرة** ﴾ أي : إثم وغرامة ﴿ **بغير علم ليدخل الله في رحمته من يشاء** ﴾ أي : يؤخر عقوبتهم ليخلّص من بين أظهرهم المؤمنين ، وليرجع كثير منهم إلىٰ الإسلام .

ثم قال : ﴿ **لو تزيلوا** ﴾ أي : لو تميز الكفار من المؤمنين الذين بين أظهرهم ﴿ **لعذبنا الذين كفروا منهم عذابًا أليمًا** ﴾ أي : لسلطناكم عليهم فلقتلتموهم قتلًا ذريعًا .

قال الحافظ أبو القاسم الطبراني(٥٥) : حدثنا أبو الزنباع[٢] روح بن الفرج ، حدثنا عبد الرحمن بن أبي عباد المكي ، حدثنا عبد الرحمن بن عبد الله أبو[٣] سعيد - مولىٰ بني هاشم - حدثنا حجر بن خلف : سمعت عبد الله بن عوف[٤] ؛ يقول[٥] : سمعت جُنَيْدَ بن سَبُع ؛ يقول : قاتلت رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم أول النهار كافرًا وقاتلت معه آخر النهار مسلمًا ، وفينا نزلت : ﴿ **ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات** ﴾ . قال : كنا تسعة نفر : سبعة رجال وامرأتين .

---

(٥٥) - ذكر الهيثمي في مجمع الزوائد (١١٠/٧) وقال : (رواه الطبراني بإسنادين رجال أحدهما ثقات) . والحديث أخرجه أوبو يعلى في مسنده (١٥٦٠) من طريق أبي سعيد مولى بني هاشم به .

---

[١] - بياض في خ .
[٢] - في خ : الدباع .
[٣] - في ز ، خ : ابن .
[٤] - في ز ، خ : عمر .
[٥] - سقط من ز ، خ .

ثم رواه من طريق أخرىٰ عن محمد بن عباد المكي به ، وقال فيه : عن أبي[١] جمعة جُنيد بن سبع ... فذكره ، والصواب أبو جعفر : حبيب بن سباع . ورواه ابن أبي حاتم من حديث حجر ابن خلف به . وقال : كنا ثلاثة رجال وتسع نسوة ، وفينا نزلت : ﴿ **ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات** ﴾ .

وقال ابن أبي حاتم (٥٦) : حدثنا علي بن الحسين ، حدثنا محمد بن إسماعيل البخاري ، حدثنا عبد الله بن عثمان[٢] بن جَبَلَة ، عن أبي حمزة ، عن عطاء ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس : ﴿ **لو تزيلوا لعذبنا الذين كفروا منهم عذابًا أليمًا** ﴾ ، يقول : لو تزيل الكفار من المؤمنين ، لعذبهم الله عذابًا أليمًا بقتلهم إياهم .

وقوله : ﴿ **إذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الحمية حمية الجاهلية** ﴾ ، وذلك حين أبوا أن يكتبوا « **بسم الله الرحمن الرحيم** » ، وأبوا أن يكتبوا : « **هذا ما قاضىٰ عليه محمد رسول الله** » ، ﴿ **فأنزل الله سكينته علىٰ رسوله وعلىٰ المؤمنين وألزمهم كلمة التقوىٰ** ﴾ ، وهي قول « **لا إله إلا الله** » ، كما قال ابن جرير ، وعبد الله بن الإمام أحمد (٥٧) : حدثنا الحسن بن قَزَعة أبو علي البصري ، حدثنا سفيان بن حبيب ، حدثنا شعبة ، عن ثُوَيْر ، عن أبيه ، عن الطفيل[٣] - يعني ابن أبيّ بن كعب - عن أبيه : سمع رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم يقول : ﴿ **وألزمهم كلمة التقوىٰ** ﴾ ، قال : « **لا إله إلا الله** » .

وكذا رواه الترمذي عن الحسن بن قزعة ، وقال : « **غريب لا نعرفه إلا من حديثه ، وسألت أبا زرعة عنه فلم يعرفه إلا من هذا الوجه** » .

وقال ابن أبي حاتم (٥٨) : حدثنا أحمد بن منصور الرمادي ، حدثنا عبد الله بن صالح ، حدثني الليث ، حدثني عبد الرحمن بن خالد ، عن ابن شهاب ، عن سعيد بن المسيب ؛ أن أبا هريرة أخبره ؛ أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم، قال : « **أمرت أن أقاتل الناس حتىٰ يقولوا : لا إله إلا الله ، فمن قال : لا إله إلا الله فقد عصم مني ماله ونفسه إلا بحقه ، وحسابه علىٰ الله** » . وأنزل الله في كتابه ، وذكر قومًا فقال : ﴿ **إنهم كانوا إذا قيل لهم**

(٥٦) - ذكره السيوطي في الدرالمنثور (٨٧/٦) وعزاه إلى ابن أبي حاتم ، وابن المنذر .

(٥٧) - أخرجه الطبري في تفسيره (١٠٤/٢٦) ، وعبدالله بن أحمد في زوائد المسند (١٣٨/٥) ، والترمذي في تفسير القرآن ، باب : ومن سورة الفتح حديث (٣٢٦٥) عن الحسن بن قزعة به .

(٥٨) - تقدم تخريجه ، وانظر تفسير سورة الصافات الآية (٣٥) .

[١] - في ز ، خ : ابن .

[٢] - في ز : عيار . كذا بلا نقط . وفي خ : عباد .

[٣] - في ز : الطفيلي .

لا إله إلا الله يستكبرون ﴾ . وقال الله جل ثناؤه : ﴿ وألزمهم كلمة التقوىٰ وكانوا أحق بها وأهلها ﴾ ، وهي : « لا إله إلا الله ، محمد رسول الله » ، فاستكبروا عنها واستكبر عنها المشركون يوم الحديبية ، وكاتبهم رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم علىٰ قضية المدة .

وكذا رواه بهذه الزيادات ابن جرير من حديث الزهري . والظاهر أنها مُدرجة[١] من كلام الزهري ، والله أعلم .

وقال مجاهد : ﴿ كلمة التقوىٰ ﴾ : الإخلاص . وقال عطاء بن أبي رباح : هي لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد ، وهو علىٰ كل شيء قدير .

وقال يونس بن بكير(٥٩) ، عن ابن إسحاق ، عن الزهري ، عن عروة ، عن المسور : ﴿ وألزمهم كلمة التقوىٰ ﴾ ، قال : لا إله إلا الله ، وحده لا شريك له .

وقال الثوري (٦٠) ، عن سلمة بن كهيل ، عن عَبَاية بن ربعي ، عن عليٍّ : ﴿ وألزمهم كلمة التقوى ﴾ ، قال : لا إله إلا الله ، والله أكبر . وكذا [قال ابن عمر - رضي الله عنهما -][٢] وقال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس قوله : ﴿ وألزمهم كلمة التقوىٰ ﴾ ، قال : يقول : شهادة أن لا إله إلا الله ، وهي رأس كل تقوىٰ .

وقال سعيد بن جبير : ﴿ وألزمهم كلمة التقوىٰ ﴾ ، قال : لا إله إلا الله ، والجهاد في سبيله .

وقال عطاء الخراساني : هي لا إله إلا الله ، محمد رسول الله .

وقال عبد الله بن المبارك(٦١) ، عن معمر ، عن الزهري : ﴿ وألزمهم كلمة التقوىٰ ﴾ ، قال : بسم الله الرحمن الرحيم .

وقال قتادة : ﴿ وألزمهم كلمة التقوىٰ ﴾ ، قال : لا إله إلا الله .

[﴿ وكانوا أحق بها وأهلها ﴾ ،][٣] كان المسلمون أحق بها وكانوا[٤] أهلها .

---

(٥٩) - ذكره السيوطي في الدر المنثور (٨٨/٦) عن السور ، ومروان وعزاه إلى ابن أبي حاتم والدارقطني في الأفراد .

(٦٠) - تفسير الطبري (١٠٤/٢٦) وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٨٨/٦) إلى ابن أبي الحسن بن مروان في فوائده .

(٦١) - أخرجه الطبري في تفسيره (١٠٦/٢٦) عن محمد بن عيسى عن ابن المبارك به ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٨٩/٦) إلى عبدالرزاق ، وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم .

---

[١] - في ز : مندرجة .
[٢] - سقط من ز ، خ .
[٣] - سقط من خ .
[٤] - سقط من ز ، خ .

﴿ وكان الله بكل شيء عليمًا ﴾ أي : هو عليم بمن يستحق الخير ممن يستحق الشر .

وقد قال النسائي(٦٢) : حدثنا إبراهيم بن سعيد[١] ، حدثنا شبابة بن سوار ، عن أبي رزين ، عن[٢] عبد الله بن العلاء بن زَبْر ، عن [بُشر بن عُبيد الله][٣] ، عن أبي إدريس ، عن أبيّ بن كعب ؛ أنه كان يقرأ : **﴿ إذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الحمية حمية الجاهلية ﴾** ، ولو حميتم كما حموا لفسد المسجد الحرام . فبلغ ذلك عمر فأغلظ له ، فقال : إنك لتعلم أني كنت أدخل علىٰ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم فيعلمني مما علمه الله . فقال عمر : بل أنت رجل عندك[٤] علم وقرآن ، فاقرأ وعلم مما علمك الله ورسوله .

(وهذا ذكر الأحاديث الواردة في قصة الحديبية وقضية الصلح)

قال الإمام أحمد (٦٣) : حدثنا يزيد بن هارون ، أخبرنا محمد بن إسحاق بن يسار ، عن الزهري ، عن عروة بن الزبير ، عن المسور بن مَخْرَمة ومَروان بن الحكم ؛ قالا : خرج رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم [عام الحديبية][٥] يريد زيارة البيت لا يريد قتالًا ، وساق معه الهَدي سبعين بَدنة ، وكان الناس سبعمائة رجل ، فكانت كل بَدنة عن عشرة ، وخرج رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم حتىٰ إذا كان بعُسْفان لقيه بشر بن سفيان الكعبي ، فقال : يا رسول الله ؛ هذه قريش قد سمعت بمسيرك فخرجت معها العوذ المطافيل ، قد لبست جلود النمور ، يعاهدون الله أن لا تدخلها عليهم عَنوة أبدًا ، وهذا خالد بن الوليد في خيلهم قد قَدّموه إلي كُرَاع الغميم ، فقال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **يا ويح قريش ! قد أكلتهم الحرب ، ماذا عليهم لو خَلّوا بيني وبين سائر الناس ؟ فإن أصابوني كان الذي أرادوا ، وإن أظهرني الله دخلوا في الإسلام وهم وافرون ، وإن لم يفعلوا قاتلوا وبهم قوة ، فماذا تظن قريش ؟ فوالله لا أزال أجاهدهم علىٰ الذي بعثني الله به[٦] حتي يظهرني الله أو تنفرد هذه السالفة** » .

ثم أمر الناس فسلكوا ذات اليمين بين[٧] ظهري الحمض علىٰ طريق تخرجه علىٰ ثنية المرار[٨] والحديبية من أسفل مكة . قال : فسلك بالجيش تلك الطريق ، فلما رأت خيل

---

(٦٢) - أخرجه النسائي في تفسيره (٥٢٥) ، وأخرجه الحاكم في مستدركه (٢/٢٢٥-٢٢٦) من طريق أبي زيد به ، وصححه على شرط الشيخين .

(٦٣) - المسند (٤/٣٢٣) ، والحديث رواه الشيخان من غير طريق ابن إسحاق ، وقد تقدم تخريجه .

---

[١] - في ز ، خ : شهيد .

[٢] - سقط من خ .

[٣] - في ز : « بشر بن عبد الله » .

[٤] - في ز ، خ : عندي .

[٥] - سقط من ز ، خ .

[٦] - في ز : له .

[٧] - في ز ، خ : من .

[٨] - في ز : المدار .

قريش قُتْرَة الجيش قد خالفوا عن طريقهم ، ركضوا راجعين الي قريش ، فخرج رسول صلىٰ الله عليه وسلم - حتي إذا سلك ثنية المرار[١] ، بركت ناقته ، فقال الناس : خلأت . فقال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : **« ما خلأت ، وما ذلك لها بخلق ، ولكن حبسها حابس الفيل عن مكة ، والله لا تدعوني[٢] قريش اليوم إلىٰ خطة يسألوني[٣] فيها صلة الرحم ، إلا أعطيتهم إياها »** .

ثم [٤] قال للناس : **« انزلوا »** . قالوا : يا رسول الله ؛ ما بالوادي من ماء ينزل عليه الناس . فأخرج رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم سهمًا من كنانته ، فأعطاه رجلًا من أصحابه ، فنزل في قَليب من تلك القُلُب ، فغرزه[٥] فيه فجاش بالماء حتىٰ ضرب الناس عنه بعَطَن . فلما اطمأن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم إذا بُديل بن ورقاء في رجال من خزاعة ، فقال لهم كقوله لبشر بن سفيان ، فرجعوا إلىٰ قريش فقالوا : يا معشر قريش ؛ إنكم تَعجَلون علىٰ محمد ، وإن[٦] محمدًا لم يأت لقتال ، إنما جاء زائرًا لهذا البيت معظمًا لحقه ، فاتهموهم .

قال محمد بن إسحاق : قال الزهري : كانت[٧] خزاعة في عَيْبة[٨] [ ][٩] رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم مشركها ومسلمها ، لا يخفون علىٰ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم شيئًا كان[١٠] بمكة ، فقالوا : وإن كان إنما جاء لذلك فوالله لا يدخلها أبدًا علينا عَنوة ، ولا يتحدث بذلك العرب . ثم بعثوا إليه مكرز بن حفص أحد بني عامر بن لؤي ، فلما رآه رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم قال : **« هذا رجل غادر »** . فلما انتهىٰ إلىٰ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم كلّمه رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم بنحو مما كَلَّم به أصحابه ، ثم رجع إلىٰ قريش فأخبرهم بما قال له رسول الله ، فبعثوا إليه الحليس[١١] بن علقمة الكناني ، وهو يومئذ سيد الأحابيش ، فلما رآه رسول الله - صلىٰ الله عليه وسلم - قال : **« هذا من قوم يتألهون[١٢] ، فابعثوا الهَدْي [في وجهه »]**[١٣] ، فبعثوا الهدي][١٤] ، فلما رأىٰ الهدي يسيل عليه من عُرْض الوادي في قلائده قد أكل أوتاره[١٥] من طول الحبس عن

---

[١] - في ز : المدار .

[٢] - في ز ، خ : تعصوني . كذا .

[٣] - في ز : فسألوني .

[٤] - سقط من ت .

[٥] - في ز : فغرسه .

[٦] - في ز : إن .

[٧] - في ز : وكانت .

[٨] - في ز ، خ : غيبة .

[٩] - في ت : في .

[١٠] - سقط من خ .

[١١] - في ز : الجليس .

[١٢] - في ز ، خ : يياهلون .

[١٣] - سقط من ز .

[١٤] - سقط من ز ، خ .

[١٥] - في ز ، خ : أوباره .

محله ، رجع ولم يصل إلىٰ رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم إعظامًا لما رأىٰ ، فقال : يا معشر قريش ، قد رأيت ما لا يحل صَده ، الهدي في قلائده قد أكل أوتاره[١] من طول الحبس عن محله . قالوا : اجلس ، إنما أنت أعرابي لا علم لك . فبعثوا إليه عروة بن مسعود الثقفي ، فقال : يا معشر قريش ، إني قد رأيت ما يلقىٰ منكم من تبعثون إلىٰ محمد إذا جاءكم ، من التعنيف وسوء اللفظ ، وقد عرفتم أنكم والد وأني ولد ، وقد سمعت بالذي نابكم ، فجمعت من أطاعني[٢] من قومي ، [ثم جئت][٣] حتىٰ آسيتكم[٤] بنفسي . قالوا : صدقت ، ما أنت عندنا بمتهم . فخرج حتىٰ أتىٰ رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم فجلس بين يديه ، فقال : يا محمد ، جمعت أوباش الناس ، ثم جئت بهم لبيضتك لتفضَّها ، إنها قريش قد خرجت معها العُوذ المطافيل ، قد لبسوا جلُود النمور ، يعاهدون اللّٰه أن لا تدخلها عليهم عنوة أبدًا . وايم اللّٰه لكأني بهؤلاء قد انكشفوا عنك غدًا . قال : وأبو بكر قاعد خلف رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، فقال : امصص بَظر اللات ! أنحن ننكشف عنه ؟ ! قال : من هذا يا محمد ؟ قال : « **هذا ابن أبي قُحافة** » . قال : أما واللّٰه لولا يد كانت لك عندي لكافأتك بها ، ولكن هذه بها . ثم تناول لحية رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم والمغيرة بن شعبة واقف علىٰ رأس رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم [في الحديد][٥] ، قال : فقَرع يده . ثم قال : أمسك يدك عن لحية رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم [قبل - واللّٰه - لا تصل إليك[٦] . قال : ويحك ! ما أفظك[٧] وأغلظك ! فتبسم رسول اللّٰه ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ،][٨] قال : من هذا يا محمد ؟ قال صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **هذا ابن أخيك المغيرة بن شعبة** » قال : أغُدَرُ ، وهل غسلت[٩] سوأتك إلا بالأمس ؟ ! قال : فكلمه رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم بمثل ما كلم به أصحابه ، وأخبره أنه لم يأت يريد حربًا . قال[١٠] : فقام من عند رسول اللّٰه و قد رأىٰ ما يصنع به أصحابه ، لا يتوضأ وضوءًا إلا ابتدروه ، ولا يبصق بصاقا إلا ابتدروه ، ولا يسقط من شعره شيء إلا أخذوه . فرجع إلىٰ قريش فقال : يا معشر قريش ، إني جئتُ كسرىٰ في ملكه ، وجئت قيصر والنجاشي في ملكهما ، واللّٰه ما رأيت مَلكا قط مثل محمد في أصحابه ، ولقد رأيت قوما لا يسلمونه لشيء أبدًا ، فَرَوا رأيكم . قال : وقد كان رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم قبل ذلك قد بعث خراش بن أمية الخزاعي إلىٰ مكة ، وحمله علىٰ جمل له يقال له :

---

[١] - في ز ، خ : أوباره .
[٢] - في ز : طاعني .
[٣] - في ز : فجئت .
[٤] - في ز : آسيكم .
[٥] - في ز : بالحديد .
[٦] - في ز : إليه .
[٧] - في ت : أفظعك .
[٨] - ما بين المعكوفين سقط من خ .
[٩] - في خ : علمت .
[١٠] - في ز : فقال .

« **الثعلب** » ، فلما دخل مكة عقرت به قريش ، وأرادوا قتل خراش ، فمنعتهم الأحابيش حتىٰ أتىٰ رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم فدعا عمر ليبعثه إلىٰ مكة ، فقال : يا رسول اللَّه ، إني أخاف قريشًا علىٰ نفسي ، وليس بها من بني عَدي أحد يمنعني . وقد عرفت قريش عداوتي إياها وغلظتي[١] عليها ، ولكن أدلّك على رجل هو أعز مني : عثمان بن عفان . قال : فدعاه رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم [فبعثه إلىٰ قريش][٢] يخبرهم أنه لم يأت لحرب أحد ، وإنما[٣] جاء زائرًا لهذا البيت ، معظمًا لحرمته . فخرج عثمان حتىٰ أتىٰ مكة ، فلقيه أبان بن سعيد بن العاص ، فنزل عن دابته وحمله[٤] بين يديه ورَدِف خلفه ، وأجاره حتىٰ بَلّغَ رسالة رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم فانطلق عثمان حتىٰ أتىٰ أبا سفيان وعظماء قريش ، فبلّغهم عن رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم ما أرسله به ، فقالوا لعثمان : إن شئت أن تطوف بالبيت فطُفْ به . فقال : ما كنت لأفعل حتىٰ يطوف به[٥] رسول اللَّه قال : واحتبسته قريش عندها ، قال : وبلغ رسول اللَّه أن عثمان قد قُتل .

قال محمد : فحدثني الزهري : أن قريشًا بعثوا سهيل بن عمرو وقالوا : ائت محمدًا فصالحه ولا تكن[٦] في صلحه إلا أن يرجع عنا عامه هذا ، فواللَّه لا تَحَدّثُ العرب أنه دخلها علينا عنوة أبدًا . فأتاه سهيل بن عمرو ، فلما رآه رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم؛ قال : « **قد أراد القوم الصلح حين بعثوا هذا الرجل** » . فلما انتهىٰ إلىٰ رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم تكلما وأطالا الكلام ، وتراجعا حتىٰ جرىٰ بينهما الصلح ، فلما التأم الأمر ولم يبق إلا الكتاب ، وثب عمر بن الخطاب فأتىٰ أبا بكر فقال : يا أبا بكر ؛ أو ليس برسول اللَّه ؟ أوَ لسنا بالمسلمين ؟ أوَ ليسوا بالمشركين ؟ قال : بلىٰ . قال : فعلام نعطي الذلة في ديننا ؟ فقال أبو بكر : [يا عمر][٧] ؛ الزم غَرْزَه حيث كان فإني أشهد أنه رسول اللَّه . قال عمر : وأنا أشهد . ثم أتىٰ رسول اللَّه فقال : يا رسول اللَّه ، أوَ لسنا بالمسلمين ؟ أوَ ليسوا بالمشركين ؟ قال : « **بلىٰ** » . قال : فعلام نعطي الذلة في ديننا ؟ فقال : « **أنا عبد اللَّه ورسوله ، لن أخالف أمره ولن يضيعني** » . ثم قال عمر : ما زلت أصوم وأصلي وأتصدق وأعتق من الذي صنعت مخافة كلامي الذي تكلمت به يومئذ حتىٰ رجوت أن يكون خيرًا . قال : ثم دعا رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم علي بن أبي طالب فقال : « **اكتب بسم اللَّه الرحمن الرحيم** » . [فقال سهيل بن عمرو][٨] : ولا أعرف هذا ، ولكن اكتب : باسمك اللّهم . فقال رسول اللَّه : « **اكتب باسمك اللّهم . هذا ما صالح**[٩] **عليه محمد**

[١] - في ز : غلظي .

[٢] - سقط من ز ، خ .

[٣] - في ز : وإنه .

[٤] - في ز : وحمل .

[٥] - سقط من خ .

[٦] - في ت : يكون .

[٧] - سقط من خ .

[٨] - سقط من ز ، خ .

[٩] - في ت : صلح .

رسول الله [سهيل بن عمرو » ،][١] **فقال سهيل بن عمرو** : ولو[٢] شهدت أنك رسول الله لم أقاتلك ، ولكن اكتب هذا ما صالح [٣] عليه محمد بن عبد الله وسهيل بن عمرو ، علىٰ وضع الحرب عشر سنين ، يأمن فيها الناس ، ويكف بعضهم عن بعض ، علىٰ أنه من أتىٰ رسول الله من أصحابه بغير إذن وليه ، رده عليهم ، ومن أتىٰ قريشًا ممن مع رسول الله لم يردوه عليه ، وأن بيننا عيبة مكفوفة[٤] ، وأنه لا أسلال ولا أغلال ، وكان في شرطهم حين كتبوا الكتاب : أنه من أحب أن يدخل في عقد محمد وعهده دخل فيه ، ومن أحب أن يدخل في عقد قريش وعهدهم دخل فيه . فتواثبت خزاعة فقالوا : نحن في عقد رسول الله وعهده . وتواثبت بنو بكر فقالوا : نحن في عقد قريش وعهدهم . وأنك ترجع عنا عامنا هذا فلا تدخل علينا مكة ، وأنه إذا كان عام قابل خرجنا عنك فتدخلها بأصحابك ، وأقمت بها ثلاثًا معك سلاح الراكب لا تدخلها بغير[٥] السيوف في القرب ، فبينا رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم يكتب الكتاب إذ جاءه أبو جندل بن سهيل بن عمرو في الحديد قد انفلت إلىٰ رسول الله ،قال : وقد كان أصحاب رسول الله خرجوا وهم لا يشكون في الفتح ، لرؤيا رآها رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم فلما رأوا ما رأوا من الصلح والرجوع ، وما تحمل رسول الله علىٰ نفسه ، دخل الناس من ذلك أمر عظيم ، حتىٰ كادوا أن يهلكوا . فلما رأىٰ سهيل أبا جندل قام إليه [فضرب وجهه][٦] وقال : يا محمد ، قد لجّت[٧] القضية بيني وبينك قبل أن يأتيك هذا . قال : « **صدقت** » . فقام إليه فأخذ بتلابيبه[٨] . قال : وصرخ أبو جندل بأعلىٰ صوته : يا معاشر المسلمين ، أتردونني إلىٰ أهل الشرك فيفتنوني في ديني ؟ قال : فزاد الناس شرًا إلىٰ ما بهم ، فقال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **يا أبا جندل [اصبر و][٩] احتسب فإن الله جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجًا ومخرجًا ، إنا قد عقدنا بيننا وبين القوم صلحًا فأعطيناهم [علىٰ ذلك وأعطونا عليه][١٠] عهدًا ، وإنا لن نغدر بهم** » . قال : فوثب إليه عمر بن الخطاب فجعل يمشي مع أبي جندل إلىٰ جنبه و هو[١١] يقول : اصبر أبا جندل ، فإنما هم المشركون ، وإنما دم أحدهم دم كلب . قال : ويدني[١٢] قائم السيف منه ، قال : يقول : رجوت أن يأخذ السيف فيضرب به أباه .

---

[١] - سقط من ز ، خ .

[٢] - في ز : إن .

[٣] - في ث : اصطلح .

[٤] - في ز ، خ : مكتوبة .

[٥] - في ز ، خ : معي .

[٦] - في خ : « فضربه » .

[٧] - في ز : تمت .

[٨] - في ز : بتلبيبه .

[٩] - سقط من ز ، خ .

[١٠] - ما بين المعكوفين في ز : « وأعطونا على ذلك » .

[١١] - سقط من ز .

[١٢] - في ز ، خ : وبدا .

قال : فضَنّ الرجل بأبيه . قال[١] : ونفذت القضية ، فلما فرغا من الكتاب ، وكان رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم يصلي في الحرم ، وهو مضطرب في الحل ، قال : فقام رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم فقال : « **يا أيها الناس ، انحروا واحلقوا** » . قال : فما قام أحد . قال : ثم عاد بمثلها ، فما قام رجل [حتىٰ عاد صلىٰ الله عليه وسلم بمثلها ، فما قام رجل][٢] .

فرجع رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، فدخل علىٰ أم سلمة فقال : « **يا أم سلمة ، ما شأن الناس ؟** » . قالت : يا رسول الله قد دخلهم ما رأيت ، فلا تُكلِّمنَّ منهم إنسانًا ، واعمد إلىٰ هديك حيث كان فانحره واحلق ، فلو قد فعلت ذلك فعل الناس ذلك ، فخرج رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم لا يكلم أحدًا حتىٰ أتىٰ هديه فنحره ، ثم جلس فحلق ، قال : فقام الناس ينحرون ويحلقون . قال : حتىٰ إذا كان بين مكة والمدينة في وسط الطريق نزلت سورة الفتح .

هكذا ساقه أحمد من هذا الوجه ، وهكذا رواه يونس بن بكير وزياد البكائي عن ابن إسحاق بنحوه وفيه إغراب . وقد رواه أيضًا عن عبد الرزاق ، عن معمر ، عن الزهري ، به نحوه ، وخالفه في أشياء . وقد رواه البخاري رحمه الله في صحيحه ، فساقه سياقة حسنة مطولة بزيادات جيدة ، فقال في كتاب الشروط من صحيحه(٦٤) :

حدثنا عبد الله بن محمد ، حدثنا عبد الرزاق ، أخبرنا معمر ، أخبرني الزهري، أخبرني عروة بن الزبير ، عن المِسْور بن مخرمة ومَروان بن الحكم ، يصدّق كل واحد منهما حديث صاحبه ، قالا : خرج رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم زَمَن الحديبية في بضع عشرة مائة من أصحابه ، فلما أتىٰ ذا الحليفة قَلَّدَ الهدي وأشعره ، وأحرم منها بعُمرة وبعث عينًا له من خزاعة[٣] ، وسار حتىٰ إذا كان بغدير الأشطاط[٤] أتاه عينه فقال : إن قريشًا قد جَمَعوا لك جموعًا ، وقد جمعوا لك الأحابيش وهم مقاتلوك وصادوك ومانعوك . فقال : « **أشيروا - أيها الناس - عليّ ، أترون أن نميل علىٰ عيالهم . وذراريّ هؤلاء الذين يريدون أن يصدونا عن البيت ؟** » - وفي لفظ : « **أترون أن نميل علىٰ ذراري هؤلاء الذين أعانوهم . [فإن يأتونا كان الله قد قطع عُنقًا من المشركين وإلاّ تركناهم محزونين** » . وفي

(٦٤) - صحيح البخاري في الشروط ، ، باب الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب وكتابة الشروط ، حديث (٢٧٣١،٢٧٣٢) وانظر التخريج السابق .

[١] - سقط من خ .

[٢] - ما بين المعكوفين سقط من ز ، خ .

[٣] - في خ : جماعة .

[٤] - في ز : الأشظاظ .

لفظ][١]: « **فإن قعدوا قعدوا موتورين مجهودين**[٢] **محروبين**[٣] **وإن نجوا**[٤] **يكن عُنقًا قطعها الله ، أم تَرَون أن نَؤُمّ البيت فمن صَدّنا عنه قاتلناه**[٥] ؟ » . فقال أبو بكر : يا رسول الله ؛ خرجت عامدًا لهذا البيت لا تريد قتل أحد ولا حربًا . فتوجه له ، فمن صدنا عنه قاتلناه – وفي لفظ : فقال أبو بكر رضي الله عنه : الله ورسوله أعلم[٦] إنما جئنا معتمرين ، ولم نجئ لقتال أحد ، ولكن مَن حال بيننا وبين البيت قاتلناه . فقال النبي صلىٰ الله عليه وسلم : « **فروحوا إذن** » . وفي لفظ : « **فامضوا علىٰ اسم الله** » .

حتىٰ إذا كانوا ببعض الطريق ، قال النبي صلىٰ الله عليه وسلم : « **إن**[٧] **خالد بن الوليد في خيل لقريش طليعة ، فخذوا ذات اليمين** » . فوالله ما شعر بهم خالد حتىٰ إذا هم بقَتَرة الجيش ، فانطلق يركض نذيرًا لقريش ، وسار النبي صلىٰ الله عليه وسلم حتىٰ إذا كان بالثنية التي يُهبَطُ عليهم منها ، بَرَكت به راحلته ، فقال الناس : حَلْ حَلْ ، فَأَلَحَّت ، فقالوا : خلأت القصواء ، خلأت القصواء ، فقال النبي صلىٰ الله عليه وسلم : « **ما خلأت القصواء ، وما ذاك لها بخلق ، ولكن حبسها حابس الفيل** » . ثم قال : « **والذي نفسي بيده ، لا يسألوني خُطّة يعظمون فيها حرمات الله ، إلا أعطيتهم إياها** » . ثم زجرها فوثبت ، فعدل عنهم حتىٰ نزل بأقصىٰ الحُديبية علىٰ ثَمَدٍ قليل الماء يتبرّضه الناس تَبَرّضًا ، فلم يلبث[٨] الناس حتىٰ نزحوه ، وشُكي إلىٰ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم العطش ، فانتزع من كنانته سهمًا ثم أمرهم أن يجعلوه فيه ، فوالله ما زال يجيش لهم بالرّي حتىٰ صدروا عنه . فبينما هم كذلك إذ جاء بُديل بن ورقاء الخزاعي في نفر من قومه من خزاعة ، وكانوا عَيْبَة[٩] نصح رسول الله من أهل تهامة ، فقال : إني تركت كعب بن لؤي وعامر ابن لؤي ، نزلوا أعدادًا[١٠] مياه الحديبية معهم العُوذ المطافيل ، وهم مقاتلوك وصادوك عن البيت . فقال النبي صلىٰ الله عليه وسلم : « **إنا لم نجئ لقتال أحد ، ولكن جئنا معتمرين ، وإن قريشًا قد نَهَكَتْهُم الحرب فأضرت بهم ، فإن شاءوا ماددتهم**[١١] **مُدة ويُخَلّوا بيني وبين الناس ، فإن أظهر ، فإن شاءوا أن يدخلوا فيما دخل فيه الناس فعلوا ، وإلاّ فقد جَمّوا**[١٢] **، وإن هم أبوا فوالذي نفسي بيده لأقاتلنهم علىٰ أمري هذا حتىٰ تنفرد سالفتي ، و**[١٣] **لينفذن الله أمره** » . قال بُديل : سأبلغهم[١٤] ما تقول . فانطلق حتىٰ أتىٰ

---

[١] – ما بين المعكوفين بياض في ز . وسقط من خ .

[٢] – في ز : مجهورين .

[٣] – سقط من خ .

[٤] – في ز : بياض . وسقط من خ .

[٥] – في ز : قاتلنا .

[٦] – في ت ، خ : علم .

[٧] – في خ : أتى .

[٨] – في ز : يلبثه .

[٩] – في ز ، خ : عبيد .

[١٠] – في ت : أعداد .

[١١] – في ز : مادوتهم .

[١٢] – في ز : حموا .

[١٣] – في خ : أو .

[١٤] – في ز : سأسمعهم .

قريشًا فقال : إنا قد جئنا من عند هذا الرجل ، وسمعناه يقول قولًا ، فإن شئتم أن نعرضه عليكم فعلنا . فقال سفهاؤهم : لا حاجة لنا أن تخبرنا عنه بشيء . وقال ذوو الرأي منهم : هات ما سمعته يقول . قال : سمعته يقول كذا وكذا ، فحدثهم بما قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ، فقام عروة بن مسعود فقال : أيْ قوم ، ألستم بالوالد ؟ قالوا : بلىٰ . قال : أو لست بالولد ؟ قالوا : بلىٰ . قال : فهل تتهموني ؟ قالوا : لا . قال : ألستم تعلمون أني استَنْفَرْتُ أهل عكاظ ، فلما بَلَّحوا عليّ جئتكم بأهلي وولدي ومن أطاعني ؟ قالوا : بلىٰ . قال : فإن هذا قد عَرض عليكم خُطة رُشد فاقبلوها ودعوني آته . قالوا : ائته . فأتاه فجعل يكلم رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ، فقال النبي صلىٰ الله عليه وسلم له نحوًا من قوله لبُديل بن ورقاء . فقال عروة عند ذلك : أيْ محمد ، أرأيت إن استأصلت أمر قومك ، هل سمعت بأحد من العرب اجتاح أصله قبلك ؟ وإن تك الأخرىٰ فإني والله لأرىٰ وجوهًا ، وإني لأرىٰ أشوابًا من الناس خليقًا أن يفروا ويَدَعوك . فقال له أبو بكر رضي الله عنه : امصص بَظْر اللات ! أنحن نفرّ وندعه ؟! قال : من ذا ؟ قالوا : أبو بكر . قال : أما والذي نفسي بيده لولا يَد كانت[١] لك عندي لم أجزك بها ، لأجبتك . قال : وجعل يكلم النبي ، صلىٰ الله عليه وسلم ، فكلما كلمه أخذ بلحيته ، والمغيرة بن شعبة رضي الله عنه قائم علي رأس النبي صلىٰ الله عليه وسلم ومعه السيف وعليه المغْفَر ، فكلما أهوىٰ عروة بيده إلى لحية النبي صلىٰ الله عليه وسلم ضرب يده بنعل السيف ، وقال له[٢] : أخِّرْ يدك عن لحية النبي صلىٰ الله عليه وسلم . فرفع عروة رأسه وقال : من هذا ؟ قال : المغيرة بن شعبة . فقال : أي غُدر ، ألست أسعىٰ في غَدْرتك ؟ ! وكان المغيرة بن شعبة صحب قومًا في الجاهلية فقتلهم وأخذ أموالهم ، ثم جاء فأسلم . فقال : النبي صلىٰ الله عليه وسلم : « **أما الإِسلام فأقبلُ ، وأما المالُ فلست منه في شيء** » . ثم إن عروة جعل يَرمُق أصحاب[٣] النبي صلىٰ الله عليه وسلم بعينيه ، قال : فوالله ما تنخم رسول الله نُخامة إلا وقعت في كف رجل منهم ، فَدلَك بها وجهه وجلْده ، وإذا أمَرَهم ابتدَرُوا أمره ، وإذا توضأ كادوا يقتتلون علي وَضُوئه ، وإذا تكلم خَفَّضوا أصواتهم عنده ، وما يُحدون النظر إليه ، تعظيمًا له صلىٰ الله عليه وسلم . فرجع عروة إلى أصحابه فقال : أيْ قوم ، والله لقد وفدت علىٰ الملوك ، ووفدت[٤] علىٰ كسرىٰ وقيصر والنجاشي ، والله إنْ رأيت مَلِكًا قط يعظمه أصحابه ما يعظم أصحاب محمد محمدًا ، والله إن تنخم نخامة إلا وقعت في كف رجل منهم ، فدلك بها وجهه وجلده ، وإذا أمرهم ابتدروا أمره ، وإذا توضأ كادوا يقتتلون علي وَضُوئه ، وإذا تكلم خفَّضوا أصواتهم عنده ، وما يُحدون النظر إليه تعظيمًا له . وإنه قد عَرَض عليكم خُطة

---

[١] - سقط من ز .

[٢] - سقط من ز ، خ .

[٣] - سقط من خ .

[٤] - في ز : وفدت .

رشْد فاقبلوها . فقال رجل منهم من بني كنانة : دعوني آته . فقالوا :ائته . فلما أشرف علىٰ النبي صلىٰ اللّه عليه وسلم وأصحابه قال النبي صلىٰ اللّه عليه وسلم : « **هذا فلان ، وهو من قوم يعظمون البُدْن ، فابعثوها له** » ، فبُعثَتْ له ، واستقبله الناس يُلَبّون ، فلما رأىٰ ذلك قال : سبحان اللّه ! ما ينبغي لهؤلاء أن يصدوا عن البيت . فلما رجع إلىٰ أصحابه قال : رأيت البُدْن قد قُلّدت وأشْعرَت ، فما أرىٰ أن يُصَدُّوا عن البيت . فقام[١] رجل منهم يقال له : « **مكرَز بن حفص** » ، فقال : دعوني آته . فقالوا : ائته . فلما أشرف عليهم قال النبي صلىٰ اللّه عليه وسلم : « **هذا مكرز ، وهو رجل فاجر[٢]** » . فجعل يكلم النبي صلىٰ اللّه عليه وسلم فبينما هو يكلمه إذ جاء سهيل بن عمرو .

وقال معمر : أخبرني أيوب ، عن عكرمة أنه قال : لما جاء سهيل بن عمرو قال النبي صلىٰ اللّه عليه وسلم : « **قد سَهُل لكم من أمركم** » .

قال معمر : قال الزهري في حديثه : فجاء سهيل بن عمرو فقال : هات اكتب بيننا و بينك كتابًا . فدعا النبي صلىٰ اللّه عليه وسلم الكاتب فقال النبي صلىٰ اللّه عليه وسلم : « **اكتب[٣] بسم اللّه الرحمن الرحيم** » . فقال سهيل : أما « **الرحمن** » فواللّه ما أدري ما هو ؟ ، ولكن اكتب : باسمك اللّهم ، كما كنت تكتب . فقال المسلمون : واللّه لا[٤] نكتبها إلا : « **بسم اللّه الرحمن الرحيم** » . فقال النبي صلىٰ اللّه عليه وسلم : « **اكتب : باسمك اللّهم** » . ثم قال :هذا ما قاضىٰ عليه محمد رسول اللّه » . فقال سهيل : واللّه لوْ كنا نعلم أنك رسول اللّه ما صددناك عن البيت ولا قاتلناك ، ولكن اكتب : محمد بن عبد اللّه » . فقال النبي صلىٰ اللّه عليه وسلم : « **واللّه إني لرسول اللّه وإن كذبتموني . اكتب محمد بن عبد اللّه** » . قال الزهري : وذلك لقوله : « **واللّه لا يسألوني خطة يعظمون فيها حرمات اللّه إلا أعطيتهم إياها** » . فقال له النبي صلىٰ اللّه عليه وسلم : « **علىٰ أن تخلوا بيننا وبين البيت فنطوف به** » . فقال سهيل : واللّه لا تتحدث العرب أنا أخذنَا ضُغْطَة ، ولكن ذلك من العام المقبل . فكتب ، فقال سهيل : وعلىٰ أنه لا يأتيك منا رجل وإن كان علىٰ دينك إلا رددتَه إلينا . فقال المسلمون : سبحان اللّه ! كيف يُرَد إلىٰ المشركين وقد جاء مسلمًا ؟ ! فبينما هم كذلك إذ جاء أبو جندل بن سهيل بن عمرو يرسُفُ في قيوده ، قد خرج من أسفل مكة حتىٰ رمىٰ بنفسه بين أظهر[٥] المسلمين ، فقال سهيل : هذا يا محمد أول من أقاضيك عليه أن تَرُدّه إليّ . فقال النبي صلىٰ اللّه عليه وسلم « **إنا لم نَقْضِ الكتاب بعد** » . قال : فواللّه إذا لا أصالحك علىٰ شيء أبدًا . فقال النبي صلىٰ اللّه عليه وسلم :

---

[١] - في ت : فقال .
[٢] - في خ : تاجر .
[٣] - سقط من ت .
[٤] - في ز : ما .
[٥] - سقط من خ .

« **فَأجزه لي** » . فقال : ما أنا بمجيز ذلك لك . قال : « **بل**[١] **فافعل** » . قال : ما أنا بفاعل . قال مكْرَز : بلىٰ قد أجزناه لك . قال أبو جندل : أي معشر المسلمين ، أُرَدّ إلى المشركين وقد جئت مسلمًا ؟ ألا ترون ما قد لقيت ؟ ! وكان قد عُذِّب عذابًا شديدًا في الله عز وجل . قال عمر رضي الله عنه : فأتيت نبي الله صلىٰ الله عليه وسلم فقلتُ : ألستَ نبي الله حقًّا ؟ قال صلىٰ الله عليه وسلم : « **بلىٰ** » . قلت : ألسنا علىٰ الحق وعدونا علىٰ الباطل ؟ قال : « **بلىٰ** » . قلت : فلم نعطي الدنية في ديننا إذًا ؟ قال : إني رسول الله ؛ ولستُ أعصيه ، وهو ناصري . قلت : أولست كنت تحدثنا أنا سنأتي البيت ونطوف به ؟ قال : « **بلىٰ ، أفأخبرتك**[٢] **أنا نأتيه العام ؟** » . قلت : لا . قال : « **فإنك آتيه ومُطَّوِّف به** » . قال : فأتيت أبا بكر فقلت : يا أبا بكر ؛ أليس هذا نبي الله حقًّا ؟ قال : بلىٰ . قلت : ألسنا علىٰ الحق وعدونا علىٰ الباطل ؟ قال : بلىٰ . قلت : فلم نعطي الدنية في ديننا إذًا ؟ قال : أيها الرجل ؛ إنه رسول الله ، وليس يعصي ربه ، وهو ناصره ، فاستمسك بغَرْزه ، فو الله إنه علىٰ الحق . قلت : أو ليس كان يحدثنا أنا سنأتي البيت ونطوف به ؟ قال : بلىٰ . قال : [أفأخبرك أنك تأتيه][٣] العام ؟ قلت : لا . قال : فإنك تأتيه وتطوف به .

قال الزهري : قال عمر : فعملت لذلك أعمالًا . قال : فلما فرغ من قضية الكتاب قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم لأصحابه : « **قوموا فانحروا ثم احلقوا** » . قال : فوالله ما قام منهم رجل حتىٰ قال ذلك ثلاث مرات ! ! فلما لم يقم منهم أحد دخل علىٰ أم سلمة ، فذكر لها ما لقي من الناس ، قالت له أم سلمة : يا نبي الله ؛ أتحب ذلك ؟ اخرج ثم لا تكلم أحدًا منهم كلمة حتىٰ تنحر بدنك وتدعو حالقك فيحلقك . فخرج فلم يكلم أحدًا منهم حتىٰ فعل ذلك ، نحر بدنه ، ودعا حالقه فحلقه ، فلما رأوا ذلك قاموا فنحروا وجعل بعضهم يحلق بعضًا ، حتىٰ كاد بعضهم يقتل بعضا غمًّا ، ثم جاءه نسوة مؤمنات ، فأنزل الله عز وجل : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات** ﴾ حتىٰ بلغ : ﴿ **بعِصَم الكوافر** ﴾ . فطلّق عمر يومئذ امرأتين كانتا له في الشرك ، فتزوج إحداهما معاوية ابن أبي سفيان ، والأخرىٰ صفوان بن أمية . ثم رجع النبي صلىٰ الله عليه وسلم إلىٰ المدينة فجاءه أبو بصير - رجل من قريش - وهو مسلم ، فأرسلوا في طلبه رجلين ، فقالوا : العهدَ الذي جعلت لنا ؟ . فدفعه إلىٰ الرجلين فخرجا به حتىٰ بلغا ذا الحليفة ، فنزلوا يأكلون من تمر لهم ، فقال أبو بصير لأحد الرجلين : والله إني لأرىٰ سيفك هذا يا فلان جيدًا . فاستلّه الآخر . فقال : أجَل والله إنه لجيد ، لقد جرّبت منه ثم جربت . فقال أبو بصير : أرني أنظر

---

[١] - في ز : بلى . [٢] - في ز : فأخبرتك .

[٣] - في ز : فأخبرك أنه يأتيه » .

إليه . فأمكنه منه فضربه حتىٰ بَرَد ، وفرّ الآخر حتىٰ أتىٰ المدينة ، فدخل المسجد يعدو ، فقال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم حين رآه : « **لقد رأىٰ هذا ذُعْرًا** » . فلما انتهىٰ إلىٰ النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم قال : قُتل واللَّه صاحبي ، وإني لمقتول . فجاء أبو بصير فقال : يا رسول اللَّه ؛ قد - واللَّه - أوفىٰ اللَّه ذمتك ، قد رددتني إليهم ثم نجاني اللَّه منهم . فقال النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **ويل أمّه مِسْعَرُ حرب ! لو كان له أحد** » . فلما سمع ذلك عرف أنه سيرده إليهم ، فخرج حتىٰ أتىٰ سِيفَ البحر : قال : وتفلت منهم أبو جندل بن سهيل ، فلحق بأبي بصير ، فجعل لا يخرج من قريش رجل قد أسلم إلا لحق بأبي بصير ، حتىٰ اجتمعت منهم عصابة ، فواللَّه ما يسمعون بعِيْرٍ خرجت لقريش إلىٰ الشام إلا اعترضوا لها فقتلوهم ، وأخذوا أموالهم . فأرسلت قريش إلىٰ النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم تناشده اللَّه والرحم لمَّا أرسل إليهم : « **فمن أتاه منهم فهو آمن** » . فأرسل النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم إليهم وأنزل اللَّه عز وجل : ﴿ **وهو الذي كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم ببطن مكة** ﴾ حتىٰ بلغ : ﴿ **حمية الجاهلية** ﴾ ، وكانت حميتهم أنهم لم يُقروا أنه رسول اللَّه ، ولم يقروا بسم اللَّه الرحمن الرحيم ، وحالوا بينهم وبين البيت .

هكذا ساقه البخاري هاهنا . وقد أخرجه في التفسير . وفي عُمرة الحديبية ، وفي الحج ، وغير ذلك من حديث معمر وسفيان بن عيينة ، كليهما[١] عن الزهري به . ووقع في بعض الأماكن عن الزهري ، عن عروة ، عن[٢] مروان والمسور ، عن رجال من أصحاب النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم بذلك . وهذا أشبه واللَّه أعلم . ولم يسقه أبسط من هاهنا ، وبينه وبين سياق ابن إسحاق تباين في مواضع ، وهناك فوائد ينبغي إضافتها إلىٰ ما هاهنا ، ولذلك سقنا تلك الرواية وهذه ، واللَّه المستعان وعليه التكلان ، ولا حول ولا قوة إلا باللَّه العزيز الحكيم .

وقال البخاري في التفسير(٦٥) : حدثنا أحمد بن إسحاق السّلَمي ، حدثنا يعلىٰ ، حدثنا عبد العزيز بن سياه ، عن حبيب بن أبي ثابت ؛ قال : أتيت أبا وائل أسأله فقال : كنا بصفين فقال رجل : ألم تر إلىٰ الذين يُدعون إلىٰ كتاب اللَّه ؟ فقال علي بن أبي طالب : نعم . فقال سهل بن حُنَيف : اتّهِمُوا[٣] أنفسكم ، فلقد رأيتنا يوم الحديبية - يعني الصلح الذي كان بين النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم و[بين][٤] المشركين - ولو نرىٰ قتالًا لقاتلنا ،

(٦٥) - صحيح البخاري كتاب التفسير ، باب : (إذ يبايعونك تحت الشجرة) حديث (٤٨٤٤) ، وأخرجه البخاري أيضاً في الجزية والموادعة ، حديث (٣١٨٢) ومسلم في الجهاد والسير ، حديث (١٧٨٥) والنسائي في التفسير (٥٢٤) من طريق عبد العزيز بن سيارة به وأخرجه البخاري في (٤١٨٩-٧٣٠٨) ، ومسلم في (١٧٨٥) من طرق عن أبي وائل به .

[١] - في ز : كلاهما .
[٢] - في ز : بن .
[٣] - في ز : إنهم .
[٤] - سقط من ت .

فجاء عمر فقال : ألسنا علىٰ الحق وهم علىٰ الباطل ؟ أليس قتلانا في الجنة وقتلاهم في النار ؟ فقال : « **بلىٰ** » . قال : ففيم نُعطي الدنية في ديننا ونرجع ولمَّا يحكم اللَّه بيننا ؟ فقال : « **يا بن الخطاب ؛ إني رسول اللَّه ، ولن يضيعني اللَّه أبدًا** » . فرجع مُتَغَيِّظًا فلم يصبر حتىٰ جاء[١] أبا بكر فقال : يا أبا بكر ؛ ألسنا علىٰ الحق وهم علىٰ الباطل ؟ فقال : يا بن الخطاب ؛ إنه رسول اللَّه ، ولن يضيعه اللَّه[٢] أبدًا . فنزلت سورة الفتح .

وقد رواه البخاري أيضًا في مواضع أخر ، ومسلم والنسائي من طرق أخر عن أبي وائل سفيان[٣] بن سلمة ، عن سهيل[٤] بن حنيف به . وفي بعض ألفاظه : يا أيها الناس ؛ اتهموا الرأي ، فلقد رأيتني يوم أبي جندل ولو أقدر علىٰ أن أرد علىٰ رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم أمره لرددته . وفي رواية : فنزلت سورة الفتح ، فدعا رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم عمر بن الخطاب فقرأها عليه .

وقال الإمام أحمد(٦٦) : حدثنا عفان ، حدثنا حماد ، عن ثابت ، عن أنس أن قريشا صالحوا النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم فيهم سهيل[٥] بن عمرو ، فقال النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم لعليّ : « **اكتب : بسم اللَّه الرحمن الرحيم** » . فقال سهيل : لا ندري ما بسم اللَّه الرحمن الرحيم ، ولكن اكتب ما نعرف : باسمك اللَّهم . فقال : « **اكتب من محمد رسول اللَّه** » . قال : لو نعلم[٦] أنك رسول اللَّه لاتبعناك ، ولكن اكتب اسمك واسم أبيك . فقال النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **اكتب من محمد بن عبد اللَّه** » . واشترطوا علىٰ النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم أن من جاء منكم لا[٧] نرده عليكم ، ومن جاءكم[٨] منا رددتموه علينا . فقال : يا رسول اللَّه ؛ أنكتب[٩] هذا ؟ قال : « **نعم ، إنه من ذهب منا إليهم فأبعده اللَّه** » . رواه مسلم من حديث حماد بن سلمة به[١٠] .

وقال أحمد أيضًا(٦٧) : حدثنا عبد الرحمن بن مهدي ، حدثنا عكرمة بن عمار

---

(٦٦) - المسند (٣/٢٦٨) ، وأخرجه مسلم في الجهاد والسير ، حديث (١٧٨٤) عن أبي بكر بن أبي شيبة عن عفان به .

(٦٧) - المسند (١/٣٤٢) ، وأخرجه النسائي في الكبرى كما في تحفة الأشراف (٥٦٨٠) عن عمرو بن على الفلاس عن عبدالرحمن بن مهدي به .

---

[١] - في ز : أتى . [٢] - سقط من ز ، خ .

[٣] - كذا في كل الأصول سفيان ، ولعل الصواب : شقيق .

[٤] - في ز ، خ : سهل . [٥] - في خ : سهل .

[٦] - في ز : علمنا . [٧] - في ز : لم .

[٨] - في خ : جاء . [٩] - في ت : أتكتب .

[١٠] - سقط من خ .

قال[١] : حدثني سماك ، عن عبد الله بن عباس قال : لما خرجت الحرورية اعتزلوا[٢] ، فقلت لهم : إن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم يوم الحديبية صالح المشركين ، فقال لعليّ : « **اكتب يا عليّ ؛ هذا ما صالح عليه محمد رسول الله** » . قالوا : لو نعلم أنك رسول الله ما قاتلناك . فقال رسول الله : « **امح يا علي ؛ اللهم ؛ إنك تعلم أني رسولك ، امح يا عليّ واكتب : هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله** » . والله لرسول الله خير من علي ، وقد محا نفسه ، ولم يكن محوه ذلك يمحاه من النبوة ، أخرجت من هذه ؟ قالوا : نعم .

ورواه أبو داود من حديث عكرمة بن عمار اليمامي ، بنحوه .

وروىٰ الإمام أحمد(٦٨) ، عن يحيىٰ بن آدم : [حدثنا زهير][٣] ، عن محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلىٰ ، عن الحكم ، عن مقْسم ، عن ابن عباس رضي الله عنهما ؛ قال : نحر رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم يوم الحديبية سبعين بدنة فيها جمل لأبي جهل ، فلما صُدّت عن البيت حَنَّت كما تَحِنّ إلىٰ أولادها .

لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ ۖ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ ۖ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا۟ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿٢٧﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿٢٨﴾

كان رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم قد أُرِيَ في المنام أنه دخل مكة وطاف [ ][٤] بالبيت ، فأخبر أصحابه بذلك وهو بالمدينة ، فلما ساروا عام الحديبية لم يشك جماعة منهم أن هذه الرؤيا تتفسر هذا العام ، فلما وقع ما وقع من قضية الصلح ، ورجعوا عامهم ذلك علىٰ أن يعودوا من قابل ، وقع في نفوس بعض الصحابة من ذلك شيء ، حتىٰ سأل عمر بن الخطاب رضي الله عنه في ذلك ، فقال له فيما قال : أفلم تكن تخبرنا أنا سنأتي البيت ونطوف به ؟ قال : « **بلىٰ** ، [ ][٥] **أفأخبرتك أنك تأتيه[٦] عامك هذا ؟** » . قال : لا ، قال : « **فإنك آتيه ومُطَوِّف به** » . وبهذا أجاب الصديق ، رضي الله عنه ، أيضا حَذْو [القُذَّة

(٦٨) - المسند (٣١٤/١) وقد حسن إسناده العلامة أحمد شاكر في تعليقه على المسند .

[١] - سقط من خ .
[٢] - في ز : اعزلوا .
[٣] - في ز ، خ : عن ابن نمير .
[٤] - في ز : بها .
[٥] - في ز : قال .
[٦] - في ز : آتيه .

بالقُدّة][١] . ولهذا قال تعالىٰ : ﴿ **لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله** ﴾ : هذا لتحقيق الخبر وتوكيده ، وليس هذا من الاستثناء في شيء ، ﴿ **آمنين** ﴾ أي : في حال دخولكم . وقوله : ﴿ **محلقين رءوسكم ومقصرين** ﴾ ، حال مقدرة ، لأنهم في حال حرمهم لم يكونوا محلقين ومقصرين ، وإنما كان هذا في ثاني الحال ، كان منهم من حلق رأسه ومنهم من قصره .

وثبت في الصحيحين(٦٩) أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم قال : « **رحم الله المحلقين** » . قالوا : والمقصرين يا رسول الله ؟ قال : « **رحم الله المحلقين** » . قالوا : والمقصرين يا رسول الله ؟ قال : « **رحم الله المحلقين** » . قالوا : والمقصرين يا رسول الله ؟ قال : « **والمقصرين** » في الثالثة أو الرابعة .

وقوله : ﴿ **لا تخافون** ﴾ : حال مؤكدة في المعنىٰ ، فأثبت لهم الأمن حال الدخول ، ونفى عنهم الخوف حال استقرارهم في البلد لا يخافون من أحد . وهذا كان في عمرة القضاء في ذي القعدة سنة سبع ، فإن النبي صلىٰ الله عليه وسلم لما رجع من الحديبية في ذي القعدة رجع إلىٰ المدينة فأقام بها ذا الحجة والمحرم ، وخرج في صفر إلىٰ خيبر ففتحها الله عليه بعضها عَنوة وبعضها صلحًا ، وهي إقليم عظيم كثير النخيل[٢] والزروع ، فاستخدم من فيها من اليهود عليها علىٰ الشطر ، وقسمها بين أهل الحديبية وحدهم ، ولم يشهدها أحد غيرهم إلا الذين قدموا من الحبشة ، جعفر ابن أبي طالب وأصحابه ، وأبو موسىٰ الأشعري وأصحابه ، ولم يغب منهم أحد - قال ابن زيد : إلا أبا دجانة [سماك بن خرشة][٣] ، كما هو مقرر في موضعه - ثم رجع إلىٰ المدينة . فلما كان في ذي القعدة سنة سبع خرج إلىٰ مكة معتمرًا هو وأهل الحديبية ، فأحرم من ذي الحُلَيفة ، وساق معه الهَدْي ، قيل : كان ستين بدنة . فَلَبَّىٰ وسار وأصحابه يُلَبّون . فلما كان قريبا من مَرّ الظهران بعث محمد بن مسلمة بالخيل والسلاح أمامه . فلما رآه المشركون رُعبوا رعبًا شديدًا وظنوا[٤] أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم يغزوهم ، وأنه قد نكث العهد الذي بينه وبينهم من وضع القتال عشر سنين ، وذهبوا فأخبروا أهل مكة ، فلما جاء رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم فنزل بمر[٥] الظهران حيث ينظر إلىٰ أنصاب الحرم بعث السلاح من[٦] القسي والنبل والرماح إلىٰ بطن يَأجج ، وسار إلىٰ مكة بالسيوف مغمدة في قربها ، كما شارطهم عليه . فلما كان في أثناء

---

(٦٩) - تقدم في تفسير سورة البقرة عن الآية (١٩٦) .

---

[١] - في خ : بعده .
[٢] - في ت : النخل .
[٣] - بياض في ز ، خ .
[٤] - في ز : فظنوا .
[٥] - في ز : مر .
[٦] - في ز : مع .

الطريق بعثت قريش مكرز بن حفص فقال : يا مُحمد ، ما عرفناك تنقض العهد . قال : « وما ذاك ؟ » قال : دخلت علينا بالسلاح والقسي والرماح . فقال : « **لم يكن**[١] **ذلك ، وقد بعثنا به إلىٰ يأجج** » . فقال : بهذا عرفناك ، بالبر والوفاء . وخرجت رءوس الكفار من مكة لئلا ينظروا إلىٰ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم وإلىٰ أصحابه غيظًا وحنقًا . وأما بقية أهل مكة من الرجال والنساء والولدان فجلسوا في الطرق وعلىٰ البيوت ينظرون إلىٰ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم وأصحابه ، فدخلها عليه الصلاة والسلام وبين يديه أصحابه يُلبّون ، والهدي قد بعثه إلىٰ ذي طُوَىٰ وهو راكب ناقته القصواء[٢] التي كان راكبها يوم الحديبية ، وعبد الله بن رَوَاحة الأنصاري آخذ بزمام ناقة رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم يقودها ، وهو يقول :

باسْم الذي لا دينَ إلا دينُهُ ‏ ‏ ‏ باسْم الذي محمدٌ رَسُولُه
خَلّوا بَني الكُفَّار عَنْ سَبِيله ‏ ‏ ‏ اليَوْمَ نَضْرِبكُم عَلَىٰ تَأْوِيله
كَمَا ضَرَبْنَاكُم عَلىٰ تَنْزِيله ‏ ‏ ‏ ضَرْبًا يُزِيلُ الهَام عَنْ مَقِيله
وَيُذْهِلُ الخَلِيلَ عَن خليله ‏ ‏ ‏ قَدْ أَنْزَلَ الرّحْمَنُ في تَنْزِيله
في صُحُف تُتْلَىٰ عَلىٰ رَسُوله ‏ ‏ ‏ بِأَن خَير القَتْل في سَبِيله
يارَب إنـي مُؤْمـنٌ بِقِيلـه

فهذا مجموع من روايات متفرقة .

قال يونس بن بكير (٧٠) ، عن محمد بن إسحاق : حدثني عبد الله بن أبي بكر بن حزم قال : لما دخل رسول الله - صلىٰ الله عليه وسلم - مكة في عُمرة القضاء ، دخلها وعبد الله بن رواحة آخذ بخطام ناقته صلىٰ الله عليه وسلم ، وهو يقول :

خَلّوا بَني الكُفّار عَنْ سَبِيله ‏ ‏ ‏ إنّي شَهِيدٌ أنه رَسُولُه
خَلّوا فَكلّ الخَيْر في رَسُوله ‏ ‏ ‏ يَارَبّ إنّي مُؤْمنٌ بقيله
نَحن قَتَلْنَاكُم عَلىٰ تأويله ‏ ‏ ‏ كَمَا قَتَلْنَاكُمْ عَلَىٰ تَنْزِيله
ضَربًا يُزيل الهَام عَنْ مَقيله ‏ ‏ ‏ وَيُذهِلُ الخَليلَ عَن خَلِيله

وقال عبد الرزاق(٧١) : أخبرنا معمر ، عن الزهري ، عن أنس بن مالك ؛ قال : لما دخل رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم مكة في عمرة[٣] القضاء ، مشىٰ عبد الله بن رواحة بين

(٧٠) - سيرة ابن هشام (٣/٣٢٠-٣٢١) ، ومن طريقه أخرجه البيهقي في دلائل النبوة (٤/٣٢٣) .
(٧١) - أخرجه البيهقي في دلائل النبوة (٤/٣٢٢) بسنده إلى عبدالرزاق به .

[١] - سقط من ز ، خ . ‏ ‏ ‏ [٢] - في ز : القصوى .
[٣] - في ز ، خ : غزوة .

يديه ، وفي رواية : وابن رواحة آخذ بغرْزه ، وهو يقول :

خَلّوا بَنِي الكُفّار عَن سَبيله قَدْ نَزّل الرّحمَنُ في تنزِيله
بأَنّ خَيْر القَتْل في سَبيله يارَبّ إنّي مُؤمنٌ بقيله
نَحن قَتَلنَاكمْ علىٰ تَأوِيله كَمَا قَتَلنَاكُم علىٰ تَنزِيله
ضَربًا يُزِيل الهَام عَنْ مَقيله ويُذهِل الخَليل عَنْ خَليله

وقال الإمام أحمد (٧٢) : حدثنا محمد بن الصباح ، حدثنا إسماعيل - يعني ابن زكريا - عن عبد الله - يعني ابن عثمان - عن أبي الطفيل ، عن ابن عباس ؛ أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم لما نزل مَرّ الظهران في عمرته ، بلغ أصحابَ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم أن قريشًا ما يتباعثون من العَجَف ، فقال أصحابه : لو انتحرنا[١] من ظهرنا فأكلنا من لحمه ، وحَسَونا من مَرَقه ، أصبحنا غدًا حين ندخل علىٰ القوم وبنا جَمَامَة . قال : « **لا تفعلوا ولكن اجمعوا لي من أزوادكم** » . فجمعوا له وبسطوا الأنطاع ، فأكلوا حتىٰ تركوا ، وحثا[٢] كل واحد منهم في جرَابه . ثم أقبل رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم حتىٰ دخل المسجد وقعدت قريش نحو الحجر ، فاضطبع[٣] بردائه ، ثم قال : « **لا يرىٰ القوم فيكم غميزة** » . فاستلم الركن ثم رمل حتىٰ إذا تغيب بالركن اليماني مشىٰ إلىٰ الركن الأسود ، فقالت قريش : ما ترضون بالمشي أما إنكم [لتنقُزُون نَقْزَ][٤] الظباء ، [ففعل ذلك ثلاثة أشواط][٥] ، فكانتْ سُنّة . قال أبو الطفيل : فأخبرني ابن عباس أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم فعل ذلك في حجة الوداع .

وقال أحمد أيضًا(٧٣) : حدثنا يونس ، حدثنا حماد بن زيد ، حدثنا أيوب ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : قدم رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم وأصحابه مكة [][٦]

---

(٧٢) - المسند (١/٣٠٥) ، وأخرجه أيضاً في (١/٢٤٧،٢٩٥،٣٠٦،٣١٤) ، وأبو داود في المناسك ، باب في الرمل حديث (١٨٨٩،١٨٩٠) - مختصراً - ، وابن ماجه في المناسك باب : الرمل حول البيت ، حديث (٢٩٥٣) - مختصراً - من طريق عبدالله بن عثمان بن خيثم به .

(٧٣) - المسند (١/٢٩٤) ، وأخرجه أحمد في (١/٢٩٠) والبخاري في كتاب الحج ، باب : كيف كان بدء الرمل ؟ حديث (١٦٠٢) ومسلم في كتاب الحج ، حديث (١٢٦٦) وأبو داود في كتاب المناسك ، باب : في الرمل ، حديث (١٨٨٦) والنسائي في مناسك الحج ، باب العلة التي من أجلها سعى النبي صلى الله عليه وسلم بالبيت (٥/٢٣٠-٢٣١) من حديث حماد بن زيد به .

---

[١] - في خ : استخرنا .
[٢] - في ز : وحسا .
[٣] - في ز : فاضطجع .
[٤] - في ز ، خ : لتنقرون نقر .
[٥] - في ز ، خ : « يفعل ذلك ثلاثة أطواف » .
[٦] - في ز : عن .

وقد وَهَنتهم حُمَّىٰ يثرب ، ولقوا منها سوءًا ، فقال المشركون : إنه يقدم عليكم قوم قد وهنتهم حمىٰ يثرب ولقوا منها شرًّا . وجلس المشركون من الناحية التي تلي الحجر ، فأطلع الله نبيه صلىٰ الله عليه وسلم علىٰ ما قالوا ، فأمر رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم أن يَرمُلوا الأشواط الثلاثة ليرىٰ المشركون جَلَدهم ، قال : فرملوا ثلاثة أشواط ، وأمرهم أن يمشوا بين الركنين حيث لا يراهم المشركون ، ولم يمنع النبي صلىٰ الله عليه وسلم أن يرملوا الأشواط كلها إلا إبقاء عليهم ، فقال المشركون : أهؤلاء الذين زعمتم أن الحمىٰ قد[١] وهنتهم ؟ هؤلاء أجلد من كذا وكذا .

أخرجاه في الصحيحين من حديث حماد بن زيد ، به . وفي لفظ : قدم النبي صلىٰ الله عليه وسلم وأصحابه صبيحة رابعة ، أي من ذي القعدة ، فقال المشركون : إنه يقدم عليكم و[فد][٢] قد وهنتهم حمىٰ يثرب . فأمرهم النبي صلىٰ الله عليه وسلم أن يرملوا الأشواط الثلاثة ، ولم يمنعهم أن يرملوا الأشواط كلها إلا الإبقاء عليهم .

قال البخاري (٧٤) : وزاد ابن[٣] سلمة - يعني حماد بن سلمة - عن أيوب ، عن سعيد ابن جبير ، عن ابن عباس؛ قال : لما قدم النبي صلىٰ الله عليه وسلم لعامه الذي استأمن قال : « ارملوا » . ليُرِيَ المشركين[٤] قوتهم ، والمشركون من قبل قُعَيقِعَان[٥] .

وحدثنا محمد(٧٥) ، حدثنا سفيان بن عيينة ، عن عمرو بن دينار ، عن عطاء ، عن ابن عباس؛ قال : إنما سعىٰ النبي صلىٰ الله عليه وسلم بالبيت وبالصفا والمروة ، ليرىٰ المشركون[٦] قوته .

ورواه في مواضع أخر ، ومسلم والنسائي ، من طرق ، عن سفيان بن عيينة به .

وقال أيضًا(٧٦) : حدثنا علي بن عبد الله ، حدثنا سفيان ، حدثنا إسماعيل بن أبي خالد سمع ابن أبي أوفىٰ؛ يقول : لما اعتمر رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم سترناه من غلمان المشركين . ومنهم ؛ أن يؤذوا رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم. انفرد به البخاري دون مسلم .

---

(٧٤) - صحيح البخاري في المغازي ، باب : عمرة القضاء حديث (٤٢٥٦) ، وانظر السابق .

(٧٥) - صحيح البخاري في المغازي ، باب : عمرة القضاء ، حديث (٤٢٥٧) ، انظر الحديث (٢٨) .

(٧٦) - صحيح البخاري كتاب المغازي ، باب : عمرة القضاء ، حديث (٤٢٥٥) وأطراف الحديث عند البخاري في (١٦٠٠،١٧٩١،٤١٨٨) .

---

[١] - سقط من ز ، خ .

[٢] - سقط من ز .

[٣] - في ز : أبو .

[٤] - في ز : المشركون .

[٥] - في ز ، خ : قيقعان .

[٦] - في ز : المشركين .

وقال البخاري أيضًا (٧٧) : حدثنا محمد بن رافع ، حدثنا سُرَيج بن النعمان ، حدثنا فُلَيح (ح)[١] وحدثني محمد بن الحسين بن إبراهيم ، حدثنا أبي ، حدثنا فُليح بن سليمان ، عن نافع ، عن ابن عمر ؛ أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم خرج معتمرا ، فحال كفار قريش بينه وبين البيت ، فنحر هديه وحلق رأسه بالحديبية ، وقاضاهم علىٰ أن يعتمر العام المقبل ، ولا يحمل سلاحًا عليهم إلا سيوفًا ، ولا يقيم بها إلا ما أحبوا . فاعتمر من العام المقبل ، فدخلها كما كان صالحهم ، فلما أن أقام بها ثلاثًا[٢] أمروه أن يخرج ، فخرج .

وهو في صحيح مسلم أيضًا .

وقال البخاري أيضًا(٧٨) : حدثنا عبيد الله بن موسىٰ ، عن إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن البراء ؛ قال : اعتمر النبي صلىٰ الله عليه وسلم في ذي القعدة ، فأبىٰ أهل مكة أن يَدعوه يدخل مكة حتىٰ قاضاهم علىٰ أن يُقيم[٣] بها ثلاثة أيام ، فلما كتبوا الكتاب كتبوا : « **هذا ما قاضانا عليه محمد رسول الله** » . قالوا : لا نقر بهذا ، ولو نعلم أنك رسول الله ما منعناك شيئًا ، ولكن أنت محمد بن عبد الله . قال : « **أنا رسول الله ، وأنا محمد بن عبد الله** » . ثم قال لعلي بن أبي طالب : « **امحُ رسول الله** » . قال : لا ، والله لا أمحوك أبدًا ؛ فأخذ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم الكتاب ، وليس يحسن يكتبُ ، فكتب : « **هذا ما قاضىٰ عليه محمد بن عبد الله : لا يُدْخِلُ مكة السلاحَ إلا السيف في القِرَاب ، وأن لا يخرج من أهلها بأحد أراد أن يتبعه ، وأن لا يمنع من أصحابه أحدًا إن أراد أن يقيم بها** » . فلما دخلها ومضىٰ الأجل ، أتوا عليًا فقالوا : قل لصاحبك : اخرج عنا فقد مضىٰ الأجل . فخرج النبي صلىٰ الله عليه وسلم فتبعته ابنة حمزة تنادي : يا عمّ يا عمّ . فتناولها عليّ فأخذ بيدها ، وقال لفاطمة : دونك ابنةَ عمك . فحملتها[٤] ، فاختصم فيها علي وزيد وجعفر ، فقال عليّ : أنا أخذتها وهي ابنة عمي . وقال جعفر : ابنة عمي وخالتها تحتي . وقال زيد : ابنة أخي . فقضىٰ بها النبي صلىٰ الله عليه وسلم لخالتها ، وقال : « **الخالة بمنزلة الأم** » . وقال لعلي : « **أنت مني وأنا منك** » . وقال لجعفر : « **أشبهت خَلقي وخُلُقي** » . وقال لزيد : « **أنت أخونا ومولانا** » . قال علي : ألا تتزوج ابنة حمزة ؟

---

(٧٧) - صحيح البخاري كتاب الصلح ، باب : الصلح مع المشركين ، حديث (٢٠٧١) ، وفي المغازي ، باب عمرة القضاء ، حديث (٤٢٥٢) وأخرجه مسلم في الحج ، حديث (١٢٢٧) من طريق سالم عن ابن عمر به .

(٧٨) - صحيح البخاري في المغازي ، باب عمرة القضاء ، حديث (٤٢٥١) .

---

[١] - سقط من خ .
[٢] - سقط من ز ، خ .
[٣] - في ز ، خ : يقيموا .
[٤] - في ز : فاحتملتها .

قال : « إنها ابنة أخي من الرضاعة » . انفرد به من هذا الوجه .

وقوله : ﴿ فعلم ما لم تعلموا فجعل من دون ذلك فتحًا قريبًا ﴾ أي فعلم[١] اللَّه تعالىٰ من الخيرة والمصلحة في صَرْفكم عن مكة ودخولكم إليها عامكم ذلك ما لم تعلموه أنتم ، ﴿ فجعل من دون ذلك ﴾ أي : قبل دخولكم الذي وعدتم به في رؤيا النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم فتحًا قريبًا ، وهو الصلح الذي كان بينكم وبين أعدائكم من المشركين .

ثم قال تعالىٰ مبشرًا للمؤمنين بنصرة الرسول صلوات اللَّه عليه علىٰ عدوه وعلىٰ سائر أهل الأرض : ﴿ هو الذي أرسل رسوله بالهدىٰ ودين الحق ﴾ ، أي : بالعلم النافع والعمل الصالح ، فإن الشريعة تشتمل علىٰ شيئين : علم وعمل ، فالعلم الشرعي صحيح ، والعمل الشرعي مقبول ، فإخباراتها حق وإنشاءاتها عدل ، ﴿ ليظهره علىٰ الدين كله ﴾ ، أي : علىٰ أهل جميع الأديان من سائر أهل الأرض ، من عرب وعجم ، ومليين[٢] ومشركين ، ﴿ وكفىٰ باللَّه شهيدًا ﴾ ، أي : أنه رسوله ، وهو ناصره .

مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴿٢٩﴾

يخبر تعالىٰ عن محمد - صلوات اللَّه وسلامه عليه - أنه رسوله حقًّا بلا شك ولا ريب ، فقال : ﴿ محمد رسول اللَّه ﴾ ، وهذا مبتدأ وخبر[٣] ، وهو مشتمل علىٰ كل وصف جميل . ثم ثنىٰ بالثناء علىٰ أصحابه فقال : ﴿ والذين معه أشداء علىٰ الكفار رحماء بينهم ﴾ ، كما قال تعالىٰ : ﴿ فسوف يأتي اللَّه بقوم يحبهم ويحبونه أذلة علىٰ المؤمنين أعزة علىٰ الكافرين ﴾ . وهذه صفة المؤمنين أن يكون أحدهم شديدًا عنيفًا علىٰ الكفار ، رحيمًا برًّا بالأخيار ، غضوبًا عبوسًا في وجه الكافر ، ضحوكًا بشوشًا في وجه أخيه المؤمن ، كما قال تعالىٰ : ﴿ يا أيها الذين آمنوا ، قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة ﴾ . وقال النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم

---

[١] - في ز : يعلم . [٢] - في خ : مسلمين .

[٣] - في خ : وخبره .

كمثل الجسد الواحد إذا اشتكىٰ منه عضو تداعىٰ له سائر الجسد بالحمىٰ والسهر » . وقال : « **المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضًا** » . وشبك بين أصابعه . كلا الحديثين في الصحيح .

وقوله : ﴿ **تراهم ركعًا سجدًا يبتغون فضلًا من اللّه ورضوانًا** ﴾ ، وصفهم بكثرة العمل وكثرة الصلاة ، وهي خير الأعمال ، ووصفهم بالإخلاص فيها للّه - عز وجل - والاحتساب عند اللّه جزيل الثواب ، وهو الجنة المشتملة علىٰ فضل اللّه ، وهو سعة الرزق عليهم ، ورضاه تعالىٰ عنهم وهو أكبر من الأول[١] ، كما قال : ﴿ **ورضوان من اللّه أكبر** ﴾ .

وقوله : ﴿ **سيماهم في وجوههم من أثر السجود** ﴾ : قال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : سيماهم في وجوههم يعني : السمت الحسن .

وقال مجاهد وغير واحد : يعني الخشوع والتواضع .

وقال ابن أبي حاتم (٧٩) : حدثنا أبي ، حدثنا علي بن محمد الطنافسي ، حدثنا حسين الجعفي ، عن زائدة ، عن منصور ، عن مجاهد : ﴿ **سيماهم في وجوههم من أثر السجود** ﴾ ، قال : الخشوع . قلت : ما كنت أراه إلا هذا الأثر في الوجه . فقال : ربما كان بين عيني من هو أقسىٰ قلبًا من فرعون .

وقال السدي : الصلاة تحسن وجوههم .

وقال بعض السلف : من كثرت صلاته بالليل حَسُن وجهه بالنهار .

وقد أسنده ابن ماجة في سننه (٨٠) ، عن إسماعيل بن محمد الطّلْحي[٢] ، عن ثابت بن موسىٰ ، عن شريك ، عن الأعمش ، عن أبي سفيان ، عن جابر قال : قال رسول اللّه صلىٰ اللّه عليه وسلم : « **من كثرت صلاته بالليل حسن وجهه بالنهار** » . والصحيح أنه[٣] موقوف .

وقال بعضهم : إن للحسنة نورًا[٤] في القلب ، وضياء في الوجه ، وسعة في الرزق ، ومحبة في قلوب الناس .

---

(٧٩) - أخرجه أيضاً الطبري في تفسيره (١١١/٢٦) ، وانظر الدرالمنثور (٩١/٦) .

(٨٠) - سنن ابن ماجه في كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها ، باب : ما جاء في قيام الليل ، حديث (١٣٣٣)،

---

[١] - في ز : الأولى .

[٢] - في ز : الصالحي .

[٣] - سقط من ز ، خ .

[٤] - في ز ، خ : لنورًا .

وقال أمير المؤمنين عثمان[١] : ما أسر أحد سريرة إلا أبداها اللّٰه علىٰ صفحات وجهه ، وفلتات لسانه .

والغرض أن الشيء الكامن في النفس يظهر علىٰ صفحات الوجه ، فالمؤمن إذا كانت سريرته صحيحة مع اللّٰه أصلح اللّٰه ظاهره للناس ، كما روي عن عمر بن الخطاب رضي اللّٰه عنه أنه قال : من أصلح سريرته أصلح اللّٰه علانيته .

وقال[٢] أبو القاسم الطبراني : حدثنا محمود بن محمد المروزي ، حدثنا حامد بن آدم المروزي ، حدثنا الفضل بن موسىٰ ، عن محمد بن عبيد اللّٰه العَرْزَمي ، عن سلمة بن كُهَيل ، عن جندَب بن سفيان البجلي ؛ قال : قال النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **ما أسر أحد سريرة إلا ألبسه اللّٰه رداءها ، إن خيرًا فخير ، وإن شرًّا فشر** » . العرزمي متروك .

وقال الإمام أحمد(٨١) : حدثنا حسن بن موسىٰ ، حدثنا ابن لهيعة ، حدثنا دراج ، عن أبي الهيثم ، عن أبي سعيد ، عن رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم أنه قال : « **لو أن أحدكم يعمل في صخرة صماء ليس لها باب ولا كوة ، لخرج عمله للناس كائنًا ما كان** » .

وقال الإمام أحمد(٨٢) : حدثنا حسن ، حدثنا زُهير ، حدثنا قابوس بن أبي ظبيان ؛ أن أباه حدثه عن ابن عباس ، عن النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم؛ قال : « **إن الهدي الصالح ، والسمت الصالح ، والاقتصاد جزء من خمسة وعشرين جزءًا من النبوة** » . ورواه أبو داود عن عبد اللّٰه بن محمد النفيلي ، عن زهير به .

فالصحابة ، رضي الله عنهم ، خلصت نياتهم وحسنت أعمالهم ، فكل من نظر إليهم أعجبوه في سمتهم وهديهم .

وقال[٣] مالك -رحمه اللّٰه- : بلغني أن النصارىٰ كانوا إذا رأوا الصحابة الذين فتحوا الشام يقولون : « **واللّٰه لهؤلاء[٤] خير من الحواريين فيما بلغنا[٥]** » . وصدقوا في ذلك ،

وأخرجه العقيلي في الضعفاء (١٧٦/١) وابن عدي في الكامل (٣٠٤/٢) ، (٢٠١/٣) ، والخطيب في التاريخ (٣٤١/١) من طريق شريك به وهو حديث لا أصل له ، انظر الفوائد الحيدعة (ص٣٥) .

(٨١) - المسند (٢٨/٣)

(٨٢) - المسند (٢٩٦/١) ، واخرجه في (٢٩٦/١) ، والبخاري في الأدب المفرد (٤٦٨،٧١٩) ، وأبو داود في الأدب ، باب : في الوقار حديث (٤٧٧٦) من طرق عن قابوس بن أبي ظبيان به .

---

[١] - سقط من ز ، خ .

[٢] - في ز : قال .

[٣] - في ز : قال .

[٤] - في ز : هؤلاء .

[٥] - في خ : بلغوا .

فإن هذه الأمة معظمة في الكتب المتقدمة ، وأعظمها وأفضلها أصحاب رسول اللّه صلىٰ اللّه عليه وسلم وقد نوه اللّه بذكرهم في الكتب المنزلة والأخبار المتداولة ؛ ولهذا قال هاهنا : ﴿ **ذٰلك مثلهم في التوراة** ﴾ ، ثم قال : ﴿ **ومثلهم في الإنجيل كزرع أخرج شطأه** ﴾ أي : فراخه ، ﴿ **فآزره** ﴾ أي : شده ﴿ **فاستغلظ** ﴾ أي : شب وطال ﴿ **فاستوىٰ علىٰ سوقه يعجب الزراع** ﴾ أي : فكذلك أصحاب محمد صلىٰ اللّه عليه وسلم آزروه وأيدوه ونصروه فهم معه كالشطء مع الزرع ، ﴿ **ليغيظ بهم الكفار** ﴾ .

ومن هذه الآية انتزع الإمام مالك - رحمه اللّه في رواية عنه - بتكفير الروافض الذين يبغضون الصحابة ، قال : لأنهم يغيظونهم ، ومن غاظ الصحابة فهو كافر لهذه الآية . ووافقه طائفة من العلماء علىٰ ذلك . والأحاديث في فضائل الصحابة والنهي عن التعرض لهم[١] بمساءة كثيرة ، ويكفيهم ثناء اللّه عليهم ، ورضاه عنهم .

ثم قال : ﴿ **وعد اللّه الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم** ﴾ ، «من» هذه لبيان الجنس ﴿ **مغفرة** ﴾ أي : لذنوبهم ، ﴿ **وأجرًا عظيمًا** ﴾ أي : ثوابًا جزيلًا ورزقًا كريمًا ، ووعد اللّه حق وصدق ، لا يُخْلَف ولا يبدل ، وكل من اقتفى أثر الصحابة فهو في حكمهم[٢] ، ولهم[٣] الفضل والسبق والكمال الذي لا يلحقهم فيه أحد من هذه الأمة ، رضي اللّه عنهم وأرضاهم ، وجعل جنات الفردوس مأواهم ، وقد فعل .

قال مسلم في صحيحه(٨٣) : حدثنا يحيىٰ بن يحيىٰ ، حدثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة ؛ قال : قال رسول اللّه صلىٰ اللّه عليه وسلم : « **لا تسبوا أصحابي ، فوالذي نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبًا ، ما أدرك مُدّ أحدهم ولا نَصِيفه** » .

آخر تفسير سورة الفتح ، وللّه الحمد والمنة .

☆ ☆ ☆

(٨٣) - صحيح مسلم في فضائل الصحابة ، حديث (٢٥٤٠) ، وأخرجه أيضاً النسائي في فضائل الصحابة (٢٠٤) وابن ماجه في المقدمة ، فضل أهل بدر ، حديث (١٦١) من طريق أبي صالح به .

[١] - سقط من خ .
[٢] - في ز ، خ : جملتهم .
[٣] - في ز : وله .

تفسير سورة الحجرات

وهي مدنية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (١) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ (٢) إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ ۚ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ (٣)

هذه آدابٌ أدّب الله بها عباده المؤمنين فيما يعاملون به الرسول صلى الله عليه وسلم من التوقير والاحترام والتبجيل والإعظام، فقال: ﴿ **يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله** ﴾ أي: لا تتسرعوا[١] في الأشياء بين يديه، أي قبله، بل كونوا تبعًا له في جميع الأمور، حتى يدخل في عموم هذا الأدب الشرعي حديثُ معاذ (١)، قال له النبي صلى الله عليه وسلم حين بعثه إلى اليمن: « **بم تحكم ؟** » قال: بكتاب الله. قال: « **فإن لم تجد ؟** ». قال: بسنة رسول الله. قال: « **فإن لم تجد ؟** ». قال: أجتهد رأيي. فضرب

(١) - أخرجه أحمد (٥/ ٢٣٠، ٢٤٢) برقم (٢٢١٠٥، ٢٢١٩٩). وأبو داود في كتاب الأقضية (٣/ ٣٠٣). والترمذي في كتاب الأحكام برقم (١٣٢٨) (٥/٨)، والبيهقي في السنن (١٠/١١٤). وأبو داود الطيالسي في مسنده - كما في منحة المعبود (١/٢٨٦) - وابن سعد في الطبقات (٢/٢٦٤ - ٢٦٥)، (٣/٤٣٨). والعقيلي في الضعفاء الكبير (١/٢١٥) في ترجمة الحارث بن عمرو بن أخي المغيرة الثقفي. كلهم من طريق شعبة، عن أبي عون، عن الحارث بن عمرو، عن أصحاب معاذ، عن معاذ.

وأخرجه أبو داود (٣٥٩٢)، والترمذي (١٣٢٧)، وأحمد (٥/٢٣٦) برقم (٢٢١٦٠) من طريق شعبة ولم يذكرا معاذًا. قال البخاري في تاريخه الكبير (٢/٢٧٧): الحارث بن عمرو بن أخي المغيرة بن شعبة الثقفي، عن أصحاب معاذ، عن معاذ، روى عنه أبو عون ولا يصح، ولا يعرف إلا بهذا الإسناد، وهو مرسل. وقال الترمذي: هذا حديث لا نعرفه إلا من هذا الوجه وليس إسناده عندي بمتصل.

وعلى هذا ففيه ثلاث علل كما ذكر ذلك الحافظ العراقي ونقل ذلك الألباني في الضعيفة برقم (٨٨١) وهي: الأولى: الإرسال. الثانية: جهالة الحارث. الثالثة: جهالة أصحاب معاذ.

[١] - في ت: لا تسرعوا

في صدره وقال : « **الحمد لله الذي وفق رسول رسول الله ، لما يرضي رسول الله** » . وقد رواه أحمد ، وأبو داود ، والترمذي ، وابن ماجه . فالغرض منه أنه أخر رأيه ونظره واجتهاده إلىٰ ما بعد الكتاب والسنة ، ولو قدمه قبل البحث عنهما لكان من باب التقديم بين يدي الله ورسوله .

قال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : ﴿ **لا تقدموا بين يدي الله ورسوله** ﴾ ، لا تقولوا خلاف الكتاب والسنة(٢) .

وقال العوفي عنه : نهى أن يتكلموا بين يدي كلامه (٣) .

وقال مجاهد : لا تفتاتوا علىٰ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم بشيء حتىٰ يقضي الله علىٰ لسانه (٤) .

وقال الضحاك : لا تقضوا أمرًا دون الله ورسوله في[١] شرائع دينكم (٥) .

وقال سفيان الثوري : ﴿ **لا تقدموا بين يدي الله ورسوله** ﴾ بقول ولا فعل (٦) .

وقال الحسن البصري : ﴿ **لا تقدموا بين يدي الله ورسوله** ﴾ ، قال : لا تدعوا قبل الإمام .

---

(٢) -أخرجه الطبري (١١٦/٢٦) ، وابن المنذر ، وابن مردويه ، وأبو نعيم في الحلية كما في الدر المنثور للسيوطي (٨٥/٦) من طريق علي أبي طلحة ، عن ابن عباس .

قال العلائي في جامع التحصيل : علي بن أبي طلحة ؛ قال دحيم : لم يسمع التفسير من ابن عباس .

وقال أبو حاتم : علي بن أبي طلحة عن ابن عباس مرسل ؛ إنما يروى عن مجاهد والقاسم بن محمد .

(٣) - أخرجه الطبرى (١١٦/٢٦) قال : حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبي ، قال : ثني عمى ، قال : ثنى أبي ، عن أبيه عن ابن عباس . ومحمد بن سعد لينه الخطيب كما في المغني في الضعفاء (٥٨٤/٢) . وعطية بن سعد العوفي ، قال في التقريب : صدوق يخطئ كثيرًا ، وكان شيعيًا مدلسًا وبقية الإسناد مجاهيل . والحديث ذكره السيوطي في الدر (٨٥/٦) وزاد نسبته إلى ابن أبي حاتم وابن مردويه عن ابن عباس - رضي الله عنه .

(٤) - أخرجه الطبري (١١٦/٢٦) . والبيهقي في شعب الإيمان (١٩٥/٢) (١٥١٦) كلاهما من طريق ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد . وزاد السيوطي في الدر نسبته إلى عبد بن حميد وابن المنذر وابن مردويه (٨٦/٦).

(٥) - أخرجه الطبري (١١٧/٢٦) بنحوه .

(٦) - أخرجه الطبري (١١٧/٢٦) بنحوه .

---

[١] - في ت : من .

وقال قتادة : ذكر لنا أن ناسًا كانوا يقولون : لو أنزل في كذا كذا . وكذا لو صنع كذا ، فكره الله ذلك وتقدم فيه (٧) .

﴿ **واتقوا الله** ﴾ أي : فيما أمركم به ، ﴿ **إن الله سميع** ﴾ أي : لأقوالكم ، ﴿ **عليم** ﴾ بنياتكم .

وقوله : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي** ﴾ : هذا أدب ثانٍ أدّب الله به المؤمنين أن لا يرفعوا أصواتهم بين يدي النبي صلىٰ الله عليه وسلم وقد روي [أنها نزلت][١] في الشيخين أبي بكر وعمر - رضي الله عنهما - .

وقال البخاري(٨) : حدثنا بَسْرَة بن صفوان اللخمي ، حدثنا نافع بن عمر ، عن ابن أبي مليكة ؛ قال : كاد الخيّران أن يَهْلكا ، أبو بكر وعمر - رضي الله عنهما - رفعا أصواتهما عند النبي صلىٰ الله عليه وسلم حين قدم عليه ركب بني تميم ، فأشار أحدهما بالأقرع بن حابس أخي بني مجاشع ، وأشار الآخر برجل آخر - قال نافع : لا أحفظ اسمه - فقال أبو بكر لعمر : ما أردتَ إلا خلافي . قال : ما أردتُ خلافك[٢] . فارتفعت أصواتهما في ذلك ، فأنزل الله : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض** ﴾ ، الآية . قال ابن الزبير : فما كان عمر يُسمعُ رسولَ الله صلىٰ الله عليه وسلم بعد هذه الآية حتىٰ يستفهمه[٣] ، ولم يذكر ذلك عن أبيه ؛ يعني أبا بكر رضي الله عنه . انفرد به دون مسلم .

ثم قال البخاري (٩) : حدثنا الحسن بن محمد ، حدثنا حجاج ، عن ابن جرَيج ، حدثني ابن أبي مليكة ؛ أن عبد الله بن الزبير أخبره ؛ أنه قَدم ركب من بني تميم علىٰ النبي صلىٰ الله عليه وسلم فقال أبو بكر : أمّر القعقاع بن معبد . وقال عمر : بل أمّر الأقرع بن حابس . فقال أبو بكر : ما أردت إلىٰ - أو : إلا - خلافي . فقال عمر : ما أردتُ خلافَك . فتماريا حتىٰ ارتفعت أصواتهما ، فنزلت في ذلك : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا لا**

---

(٧) - أخرجه الطبري (١١٦/٢٦ - ١١٧) .

(٨) - أخرجه البخاري في كتاب التفسير ، في تفسير سورة الحجرات ، باب : ﴿ **لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي** ﴾ برقم (٤٨٤٥) (٥٩٠/٨) .

(٩) - أخرجه البخاري في كتاب التفسير ، باب : ﴿ **إن الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون** ﴾ برقم (٤٨٤٧) (٥٩٢/٨) .

---

[١] - في ز : أنه أنزلت .

[٢] - سقط من ز .

[٣] - في ز : يستفهم .

تقدموا بين يدي الله ورسوله ﴾ ، حتىٰ انقضت الآية ، ﴿ **ولو أنهم صبروا حتىٰ تخرج إليهم** ﴾ الآية .

وهكذا رواه هاهنا منفردًا به أيضًا .

وقال الحافظ أبو بكر البزار في مسنده(١٠) : حدثنا الفضل بن سهل[١] ، حدثنا إسحاق ابن منصور ، حدثنا حصين بن عُمَر ، عن مُخارق ، عن طارق بن شهاب ، عن أبي بكر الصديق قال : لما نزلت هذه الآية : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي** ﴾ ، قلت : يا رسول الله ، والله ؛ لا أكلمك إلا كأخي السِّرار .

حصين بن عمر هذا - وإن كان ضعيفًا - لكن قد رويناه من حديث عبد الرحمن بن عوف ، وأبي هريرة ، بنحو ذلك ، والله أعلم .

وقال البخاري : حدثنا علي بن عبد الله ، حدثنا أزهر بن سعد ، أخبرنا ابن عون ، أنبأني موسىٰ بن أنس ، عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - أن النبي صلىٰ الله عليه وسلم افتقد ثابت ابن قيس، فقال رجل : يا رسول الله ؛ أنا أعلم لك علْمه . فأتاه فوجده في بيته مُنَكِّسًا رأسه ، فقال له : ما شأنك ؟ فقال : شرّ ، كان يَرْفَعُ صوته فوق صوت النبي صلىٰ الله عليه وسلم ، فقد حبط عمله ، فهو من أهل النار . فأتىٰ الرجل النبي صلىٰ الله عليه وسلم فأخبره أنه قال كذا وكذا . قال موسىٰ : فرجع إليه المرة الآخرة ببشارة عظيمة فقال : « **اذهب إليه فقل له : إنك لست من أهل النار ، ولكنك من أهل الجنة** » . تفرد به البخاري من هذا الوجه(١١) .

وقال الإمام أحمد(١٢) : حدثنا هاشم ، حدثنا سليمان بن المغيرة ، عن ثابت ، عن أنس قال : لما نزلت هذه الآية : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي** ﴾ إلىٰ : ﴿ **وأنتم لا تشعرون** ﴾ : وكان ثابت بن قيس بن الشماس رفيع الصوت فقال : أنا

---

(١٠) - أخرجه البزار (٢/١٠٦ مختصر زوائد مسند البزار) برقم (١٥٠٥) من طريق حصين بن عمر ، وحصين هذا متروك كما في التقريب . والحديث ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/١١١) ، وقال : رواه البزار ، وفيه حصين بن عمر الأحمسي ، وهو متروك ، وقد وثقه العجلي ، وبقيه رجاله رجال الصحيح .

(١١) - أخرجه البخاري في كتاب التفسير ، في تفسير سورة الحجرات ، باب : ﴿ **لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي** ﴾ برقم (٤٨٤٦) (٨/٥٩٠) .

(١٢) - رجاله رجال الشيخين ؛ غير هاشم بن القاسم فمن رجال مسلم . والحديث أخرجه أحمد (٣/١٣٧) برقم (١٢٤٢١) .

---

[١] -

الذي كنت أرفع صوتي على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حبط عملي ، أنا من أهل النار ، وجلس في أهله حزينًا ففقده رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فانطلق بعض القوم إليه فقالوا له : تفقدك رسول الله - صلى الله عليه وسلم - مالك ؟ قال : أنا الذي أرفع صوتي فوق صوت النبي صلى الله عليه وسلم وأجهر له بالقول ، حبط عملي ، أنا من أهل النار . فأتوا النبي صلى الله عليه وسلم، فأخبروه بما قال.. فقال : « **لا ، بل هو من أهل الجنة** » . قال أنس : فكنا نراه يمشي بين أظهرنا ونحن نعلم أنه من أهل الجنة . فلما كان يوم اليمامة كان فينا بعض الانكشاف ، فجاء ثابت بن قيس ابن شماس وقد تحنط ولبس كفنه ، فقال : بئسما تُعوّدون أقرانكم . فقاتلهم حتى قُتل .

وقال مسلم : حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة ، حدثنا الحسن بن موسى ، حدثنا حماد بن سلمة ، عن ثابت البُناني ، عن أنس بن مالك ، قال : لما نزلت هذه الآية : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي** ﴾ .. إلى آخر الآية جلس ثابت في بيته ، قال : أنا من أهل النار ، واحتبس عن النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم لسعد بن معاذ : « **يا أبا عمرو ، ما شأن ثابت ؟ أشتكى ؟** » فقال سعد : إنه لجاري ، وما علمت له بشكوى . قال : فأتاه سعد فذكر له قولَ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال ثابت : أُنزلَت هذه الآية ، ولقد علمتم أني من أرفعكم صوتًا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنا من أهل النار ، فذكر ذلك سعد للنبي صلى الله عليه وسلم؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **بل هو**[١] **من أهل الجنة** »(١٣) .

ثم رواه مسلم عن أحمد بن سعيد الدارمي ، عن حَبّان بن هلال ، عن سليمان بن المغيرة ، به قال : ولم يذكر سعدَ بن معاذ . وعن [قطن بن نُسير][٢] عن جعفر بن سليمان ، عن ثابت ، عن أنس ، بنحوه . وقال : ليس فيه ذكر سعد بن معاذ(١٤) .

حدثنا هُرَيم بن عبد الأعلى الأسدي ، حدثنا المعتمر[٣] بن سليمان ، سمعت أبي يذكر [عن ثابت][٤] عن أنس قال : لما نزلت هذه الآية ... واقتص[٥] الحديث ، ولم يذكر سعدَ ابن معاذ وزاد : فكنا نراه يمشي بين أظهرنا رجلٌ من أهل الجنة (١٥) .

---

(١٣) - أخرجه مسلم في كتاب الإيمان ، باب : ومخافة المؤمن أن يحبط عمله ، حديث (١١٩/١٨٧) (١٧٥/٢ - ١٧٦) .

(١٤) - أخرجه مسلم في الموضع السابق (١٨٨م/١١٩) (١٧٦/٢) .

(١٥) - أخرجه مسلم (١١٩/١٨٨) (١٧٧/٢) .

[١] - سقط من ز .

[٢] - في ز : مطر بن بشير .

[٣] - في ز : زهير .

[٤] - سقط من ز .

[٥] - في ز : فاقتص .

فهذه الطرق الثلاث مُعَلّلة لرواية حماد بن سلمة فيما تفرد به من ذكر سعد بن معاذ . والصحيح أن حال نزول هذه الآية لم يكن سعد بن معاذ موجودًا ، لأنه كان قد مات بعد بني قريظة بأيام قلائل [سنة خمس][١] ، وهذه الآية نزلت في وفد بني تميم ، والوفود إنما تواتروا في سنة تسع من الهجرة ، والله أعلم .

وقال ابن جرير : حدثنا أبو كريب ، حدثنا زيد بن الحباب ، حدثنا أبو ثابت بن ثابت بن قيس بن شَمَّاس ، حدثني عمي إسماعيل بن محمد بن ثابت بن قيس بن شماس ، عن أبيه قال : لما نزلت هذه الآية : ﴿ **لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول** ﴾ ، قال : قعد ثابت بن قيس في الطريق يبكي ، قال : فمر به عاصم بن عدي من بني العجلان فقال : ما يبكيك يا ثابت ؟ قال : هذه الآية أتخوف أن تكون نزلت فيّ وأنا صَيِّتٌ رفيع الصوت . قال : فمضىٰ عاصم بن عدي إلىٰ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم قال : وغلبه البكاء ، فأتىٰ امرأته جميلة ابنة[٢] عبد الله بن أبي بن سلول فقال لها : إذا دخلت بين فَرَسي فشدّي عَليّ الضبَّة بمسمار ، فضربته بمسمار حتىٰ إذا خرج عطفه ، وقال : لا أخرج حتىٰ يتوفاني الله - عز وجل - أو يرضى عني رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم . قال : وأتىٰ عاصم رسولَ الله صلىٰ الله عليه وسلم فأخبره خبره ، فقال : « **اذهب فادعه لي** » . فجاء عاصم إلىٰ المكان فلم يجده ، فجاء إلىٰ أهله فوجده في بيت الفَرَس ، فقال له : إن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم يدعوك . فقال : اكسر الضبة . قال : فخرجا فأتيا النبي صلىٰ الله عليه وسلم، فقال له رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **ما يبكيك يا ثابت ؟** » فقال : أنا صيّت وأتخوف أن تكون هذه الآية نزلت فيّ : ﴿ **لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول** ﴾ . فقال له النبي صلىٰ الله عليه وسلم : « **أما ترضى أن تعيش حميدًا ، وتقتل شهيدًا ، وتدخل الجنة ؟** » فقال : رضيت ببشرىٰ[٣] الله ورسوله صلىٰ الله عليه وسلم ، ولا أرفع صوتي أبدًا علىٰ صوت رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم . قال : وأنزل الله : ﴿ **إن الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوىٰ** ﴾ الآية(١٦) .

---

(١٦) - في إسناده إسماعيل بن محمد بن ثابت بن قيس بن الشماس ؛ ذكره ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل (١٩٥/٢) ولم يذكر فيه جرحًا ولا تعديلًا .

وأبو ثابت من ولد ثابت بن قيس بن شماس ذكره ابن أبي حاتم أيضًا في الجرح والتعديل (٣٥١/٩) ولم يذكر فيه جرحًا ولا تعديلًا وبقية رجاله ثقات .

والحديث أخرجه الطبري (١١٨/٢٦) .

---

[١] - سقط من ز . [٢] - في ز : ابن .

[٣] - في ز : بشير .

وقد ذكر هذه القصة غير واحد من التابعين كذلك، فقد نهىٰ الله - عز وجل - عن رفع الأصوات بحضرة رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم، وقد روينا عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب أنه سمع صَوتَ رجلين في مسجد رسول الله - صلىٰ الله عليه وسلم - قد ارتفعت أصواتهما، فجاء فقال: أتدريان أين أنتما؟ ثم قال: مِن أين أنتما؟ قالا: من أهل الطائف. فقال: لو كنتما من أهل المدينة لأوجعتكما ضربًا.

وقال العلماء: يكره رفع الصوت عند قبره، كما كان يكره في حياته، لأنه محترم حيًّا وفي قبره صلوات الله وسلامه عليه دائمًا. ثم نهى عن الجهر له بالقول كما يجهر الرجل لمخاطبه ممن عداه، بل يخاطب بسكينة ووقار وتعظيم؛ ولهذا قال: ﴿ **ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض** ﴾، كما قال: ﴿ **لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضًا** ﴾.

وقوله: ﴿ **أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون** ﴾، أي: إنما نهيناكم عن رفع الصوت عنده خشية أن يغضب من ذلك، فيغضب الله لغضبه، فيحبط الله عمل من أغضبه وهو لا يدري، كما جاء في الصحيح: « **إن الرجل ليتكلم بالكلمة من رضوان الله لا يُلقي لها بالاً يكتب له بها الجنة، وإن الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله لا يُلقي لها بالاً يهوي بها في النار أبعد ما بين السماوات والأرض** »(١٧).

ثم ندب الله - عز وجل - إلىٰ خفض الصوت عنده، وحَثّ علىٰ ذلك وأرشد إليه ورغّب فيه، فقال: ﴿ **إن الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوىٰ** ﴾ أي: أخلصها لها وجَعَلَها أهلاً ومحلاً، ﴿ **لهم مغفرة وأجر عظيم** ﴾.

و[قد][١] قال الإمام أحمد في كتاب الزهد: حدثنا عبد الرحمن، حدثنا سفيان، عن منصور، عن مجاهد قال: كُتب إلىٰ عمر: يا أمير المؤمنين، رجل لا يشتهي المعصية ولا يعمل بها أفضل، أم رجل يشتهي المعصية ولا يعمل بها؟ فكتب عمر رضي الله عنه: إن الذين يشتهون المعصية ولا يعملون بها ﴿ **أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوىٰ لهم مغفرة وأجر عظيم** ﴾(١٨).

إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ

(١٧) - أخرجه البخاري في كتاب الرقاق، باب: حفظ اللسان، برقم (٦٤٧٨) (٣٠٨/١١).

(١٨) - إسناده صحيح إلى مجاهد.

[١] - سقط من ز.

صَبَرُوا حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥﴾

ثم إنه تعالىٰ ذَمّ الذين ينادونه من وراء الحجرات ، وهي بيوت نسائه ، كما يصنع أجلاف الأعراب ، فقال : ﴿ **أكثرهم لا يعقلون** ﴾ .

ثم أرشد إلىٰ الأدب في ذلك فقال : ﴿ **ولو أنهم صبروا حتىٰ تخرج إليهم لكان خيرًا لهم** ﴾ ، أي : لكان لهم في ذلك الخِيرَةُ والمصلحة في الدنيا والآخرة .

ثم قال داعيًا لهم[١] إلىٰ التوبة والإنابة : ﴿ **والله غفور رحيم** ﴾ .

وقد ذُكر أنها نزلت في الأقرع بن حابس التميمي فيما أورده غير واحد ، قال الإمام أحمد :

حدثنا عفان ، حدثنا وُهَيب ، حدثنا موسىٰ بن عقبة ، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن ، عن الأقرع بن حابس أنه نادىٰ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم [من وراء الحجرات][٢] فقال : يا محمد ؛ يا محمد - وفي رواية : يا رسول الله - فلم يجبه . فقال : يا رسول الله ؛ إن حمدي لزين ، وإن ذمي لشين ، فقال[٣] : « **ذاك الله عز وجل** »(١٩) .

وقال ابن جرير : حدثنا أبو عمار[٤] الحسين بن حريث المروزي ، حدثنا الفضل بن موسىٰ ، عن الحسين بن واقد ، عن أبي إسحاق ، عن البراء في قوله : ﴿ **إن الذين ينادونك من وراء الحجرات** ﴾ قال : جاء رجل إلىٰ رسول الله فقال : يا محمد ؛ إن حمدي زين وذمي شين . فقال : « **ذاك الله - عز وجل** »(٢٠) .

وهكذا ذكره الحسن البصري ، وقتادة مرسلًا .

---

(١٩) - صحيح لغيره ، أخرجه أحمد (٤٨٨/٣) ، والطبراني (٣٠٠/١) (٨٧٨) . كلاهما من طريق أبي سلمة بن عبد الرحمن عن الأقرع بن حابس به . قال الهيثمي في مجمع الزوائد (١١١/٧) : رواه أحمد والطبراني وأحد إسنادي أحمد رجاله رجال الصحيح ؛ إن كان أبو سلمة سمع من الأقرع وإلا فهو مرسل كإسناد أحمد الآخر . ويشهد له حديث البراء بن عازب الآتي بعده .

(٢٠) - أخرجه الطبري (١١٢١/٢٦) . والترمذي في كتاب التفسير ، باب : ومن سورة الحجرات ، برقم (٣٢٦٣) (١٩/٩) ، والنسائي في الكبرى ، في كتاب التفسير باب : قوله تعالى ﴿ **إن الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون** ﴾ برقم (١١٥١٥) (٤٦٦/٦) . وأبو نعيم في « تاريخ أصبهان » (٢٩٦/٢) كلهم من طريق الحسين بن واقد عن أبي إسحاق عن البراء به . والحسين ثقة له أوهام ، وأبو إسحاق ثقة اختلط بأخرة . والحديث صححه الألباني في صحيح الترمذي برقم (٢٦٠٥) .

---

[١] - سقط من ز .
[٢] - سقط من ز .
[٣] - في ز : قال .
[٤] - في ز : عار . كذا .

وقال سفيان الثوري ، عن حبيب بن أبي عَمْرَة ؛ قال : كان بشر بن غالب ولَبِيد بن عطارد - أو بشر بن عطارد ولبيد بن غالب - وهما عند الحجاج جالسان - فقال بشر بن غالب للبيد بن عُطارد : نزلت في قومك بني تميم : ﴿ **إن الذين ينادونك من وراء الحجرات** ﴾ ، قال : فذكرت ذلك لسعيد بن جبير فقال : أما إنه لو علم بآخر الآية أجابه : ﴿ **يمنون عليك أن أسلموا** ﴾ ، قالوا : أسلمنا ، ولم يقاتلك[١] بنو أسد .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا عمرو بن علي الباهلي ، حدثنا المعتمر بن سليمان : سمعت داود الطفاوي[٢] يحدّث عن أبي مسلم البجلي ، عن زيد بن أرقم ؛ قال : اجتمع أناس من العرب فقالوا : انطلقوا بنا إلىٰ هذا الرجل ، فإن يك نبيًا فنحن أسعد [الناس به][٣] ، وإن يك مَلِكًا نَعِشْ بجناحه . قال : فأتيت رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم فأخبرته بما قالوا ، فجاءوا إلىٰ حجرته فجعلوا ينادونه وهو في حجرته : يا محمد ؛ يا محمد ؛ فأنزل اللَّه : ﴿ **إن الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون** ﴾ . قال : فأخذ رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم [بأذني فَمَدَّها فجعل][٤] يقول : « **لقد صدق اللَّه قولك يا زيد ؛ لقد صدق اللَّه قولك يا زيد** »(٢١) .

ورواه ابن جرير ، عن الحسن بن عرفة ، عن المعتمر بن سليمان ، به (٢٢) .

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوْمًۢا بِجَهَـٰلَةٍ فَتُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَـٰدِمِينَ ﴿٦﴾ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ ٱللَّهِ ۚ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِى كَثِيرٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَـٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ ۚ أُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ﴿٧﴾

يأمر تعالىٰ بالتثبت في خبر[٥] الفاسق ليُحتَاطَ له ، لئلا يحكم بقوله فيكون - في نفس الأمر - كاذبًا أو مخطئًا فيكون الحاكم بقوله قد اقتفى وراءه . وقد نهى اللَّه عن اتباع سبيل

(٢١) - داود الطفاوي ، وهو داود بن راشد بن بحر الطفاوي : لين الحديث . وأبو مسلم البجلي ، قال الحافظ في التقريب : مقبول .

(٢٢) - أخرجه الطبري (١٢١/٢٦) .

[١] - في ز : يناطك . بلا نقط في ز .

[٢] - في ز : الطائي .

[٣] - سقط من ز .

[٤] - سقط من ز .

[٥] - في ز : أمر .

المفسدين ، ومن هاهنا امتنع طوائف من العلماء من قبول[١] رواية مجهول الحال لاحتمال فسقه في نفس الأمر ، وقبلها آخرون لأنا إنما أمرنا بالتثبت عند خبر الفاسق ، وهذا ليس بمحقق الفسق لأنه مجهول الحال . وقد قررنا هذه المسألة في كتاب العلم من شرح البخاري ، ولله الحمد والمنة .

وقد ذكر كثير من المفسرين أن هذه الآية نزلت في الوليد بن عقبة بن أبي مُعَيْط ، حين بعثه رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم علىٰ صدقات بني المصطلق . وقد روي ذلك من طرق ، ومن أحسنها ما رواه الإمام أحمد في مسنده من رواية ملك[٢] بني المصطلق ؛ وهو الحارث بن ضِرَار [ ][٣] ، والد جُوَيرية[٤] بنت الحارث أم المؤمنين رضي الله عنها ، قال الإمام أحمد :

حدثنا محمد بن سابق ، حدثنا عيسىٰ بن دينار ، حدثني أبي أنه سمع الحارث بن ضرار الخزاعي، يقول : قدمت علىٰ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم فدعاني إلىٰ الإسلام ، فدخلت فيه وأقررت به . ودعاني إلىٰ الزكاة فأقررت بها ، وقلت : يا رسول الله ؛ أرجع إليهم[٥] فأدعوهم إلىٰ الإسلام وأداء الزكاة ، فمن استجاب لي جمعت زكاته . ويُرسل إليّ رسول الله رسولًا لإِبّان[٦] كذا وكذا ليأتيك ما جمعتُ من الزكاة . فلما جمع الحارث الزكاة ممن استجاب له ، وبلغ الإِبّان[٧] الذي أراد رسولُ الله صلىٰ الله عليه وسلم أن يبعث إليه ، احتبس عليه الرسول فلم يأته ، فظن الحارث أنه قد حدث فيه سَخْطَةٌ من الله ورسوله ، فدعا بسَرَوات قومه فقال لهم : إن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم كان وَقّت لي وقتًا يرسل إليّ رسوله ليقبض[٨] ما كان عندي من الزكاة ، وليس من رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم الخُلف ، ولا أرىٰ حبس رسوله إلا من سَخطة كانت[٩] ، فانطلقوا فنأتي رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم، وبعث رسولُ الله صلىٰ الله عليه وسلم الوليد بن عقبة إلىٰ الحارث ليقبض ما كان عنده مما جمع من الزكاة ، فلما أن سار الوليد حتىٰ بلغ بعض الطريق فَرِق - [أي : خاف][١٠] - فرجع فأتىٰ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله ؛ إن الحارث منعني الزكاة وأراد قتلي . فضَرَب رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم البعث إلىٰ

---

[١] - في ز : قول .

[٢] - في ز : مالك .

[٣] - في ز : بن أبي ضرار .

[٤] - في ز : ميمونة .

[٥] - سقط من ز .

[٦] - في ز : لاتيان . كذا .

[٧] - في ز : الاتيان . كذا .

[٨] - في ز : فيقبض .

[٩] - سقط من ز .

[١٠] - سقط من ز .

الحارث ، وأقبل الحارث بأصحابه حتىٰ إذا استقبل البعث وفَصَل عن المدينة لقيهم الحارث ، فقالوا : هذا الحارث . فلما غشيهم قال لهم : إلىٰ من بُعثتم ؟ قالوا : إليك . قال : ولم ؟ قالوا : إن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم كان[١] بعث إليك الوليد بن عقبة ، فزعم أنك منعته الزكاة وأردت قتله . قال : لا ، والذي بعث محمدًا بالحق ما رأيته بَتَّةً ولا أتاني . فلما دخل الحارث علىٰ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم قال : « **منعت الزكاة وأردت قتلَ رسولي ؟** » . قال : لا . والذي بعثك بالحق ما رأيته ولا أتاني ، وما أقبلت إلا حين احتبس عليّ رسولُ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ، خشيت أن يكون كانت سخطة من الله ورسوله . قال : فنزلت الحجرات : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا ؛ إن جاءكم فاسق بنبأ** ﴾ إلىٰ قوله : ﴿ **حكيم** ﴾ (٢٣) .

ورواه ابن أبي حاتم ، عن المنذر[٢] بن شاذان التمار ، عن محمد بن سابق ، به . ورواه الطبراني من حديث محمد بن سابق ، به ، غير أنه سماه الحارث بن سرار ، والصواب : الحارث ابن ضرار ، كما تقدم(٢٤) .

وقال ابن جرير : حدثنا أبو كريب ، حدثنا جعفر بن عون ، عن موسىٰ بن عُبيدة ، عن ثابت مولىٰ أم سلمة ، عن أم سلمة قالت : بعث رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم رجلًا في صدقات بني المصطلق بعد الوقيعة ، فسمع بذلك القوم ، فتلقوه يعظمون أمر رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ، قالت : فحدثه الشيطان أنهم يريدون قتله ، قالت[٣] : فرجع إلىٰ رسول الله فقال : إن بني المصطلق قد منعوني صدقاتهم . فَغَضب رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم والمسلمون ، قالت : فبلغ القومَ رجوعُه ، فأتوا رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ، فصفوا له حين صلىٰ الظهر ، فقالوا : نعوذ بالله من سَخَط الله وسَخَط رسوله ، بعثت إلينا رجلًا مُصَدِّقًا فسررنا بذلك ، وقَرت به أعيننا . ثم إنه رجع من بعض الطريق ، فخشينا أن يكون ذلك غضبًا من الله ومن رسوله ، فلم يزالوا يكلمونه حتىٰ جاء بلال فأذن بصلاة العصر ، قالت : ونزلت : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا ؛ إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قومًا بجهالة فتصبحوا علىٰ ما فعلتم نادمين** ﴾(٢٥) .

---

(٢٣) - دينار الكوفي ، قال عنه الحافظ في التقريب مقبول . والحديث أخرجه أحمد (٢٧٩/٤) برقم (١٨٥١٠) ، والطبراني في الكبير (٣/ ٣١٠ - ٣١١) برقم (٣٣٩٥) . قال الهيثمي في « مجمع الزوائد » (١١٢/٧) : رواه أحمد والطبراني - إلا أنه قال : الحارث بن سرار بدل ضرار ، ورجال أحمد ثقات .

(٢٤) - ينظر تخريج الحديث السابق .

(٢٥) - موسى بن عبيدة : ضعيف كما في التقريب . وثابت مولى أم سلمة ، ذكره ابن أبي حاتم في =

---

[١] - سقط من ز .

[٢] - في ز : البدر .

[٣] - في ز : قال .

وروىٰ ابن جرير أيضًا من طريق العَوفي ، عن ابن عباس في هذه الآية ؛ قال : كان رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم بعث الوليد بن عقبة بن أبي مُعَيط إلىٰ بني المصطلق ليأخذ منهم الصدقات ، وإنهم لما أتاهم الخبر فَرِحُوا وخرجوا يتلقون رسول رسولِ اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم وإنه لما حُدِّث الوليد أنهم خرجوا يتلقونه ، رجع الوليد إلىٰ رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم؛ فقال : يا رسول اللّٰه ؛ إن بني المصطلق قد منعوا الصدقة . فغضب رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم من ذلك غضبًا شديدًا ، فبينا هو يحدث نفسه أن يغزوهم إذ أتاه الوفد فقالوا : يا رسول اللّٰه ، إنا[١] حُدِّثنا أن رسولك رجع من نصف الطريق ، وإنا خشينا أن ما رَدَّه كتاب جاء منك لغضب غضبته علينا ، وإنا نعوذ باللّٰه من غَضَبه وغضب رسوله . وإن النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم استغشهم وهَمّ بهم ، فأنزل اللّٰه عذرهم في الكتاب ، فقال : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا ؛ إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا** ...﴾ إلىٰ آخر الآية(٢٦) .

وقال مجاهد وقتادة : أرسل رسول اللّٰه الوليد بن عقبة إلىٰ بني المصطلق ليُصَدِّقهم ، فتلقوه بالصدقة ، فرجع فقال : إن بني المصطلق قد جمعت لك لتقاتلك - زاد قتادة : وإنهم قد ارتدوا عن الإِسلام - فبعث رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم خالد بن الوليد إليهم ، وأمره أن يتثبت ولا يعجل . فانطلق حتىٰ أتاهم ليلًا ، فبعث عيونه ، فلما جاءوا أخبروا خالدًا أنهم مستمسكون بالإِسلام ، وسمعوا أذانهم وصلاتهم ، فلما أصبحوا أتاهم خالد فرأىٰ الذي يعجبه ، فرجع إلىٰ رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم فأخبره الخبر ، فأنزل اللّٰه هذه الآية . قال قتادة : فكان رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم يقول : « **التبين[٢] من اللّٰه ، والعجلة من الشيطان** »(٢٧) .

وكذا ذكر غير واحد من السلف ، منهم : ابن أبي ليلىٰ ، ويزيد[٣] بن رومان ، والضحاك ، ومقاتل بن حَيّان ، وغيرهم في هذه الآية : أنها نزلت في الوليد بن عقبة ، واللّٰه أعلم .

= الجرح والتعديل (٤٦١/٢) ولم يذكر فيه جرحًا ولا تعديلًا . والحديث أخرجه الطبري (١٢٣/٢٦) .

(٢٦) - وأخرجه الطبري (١٢٣/١٦ - ١٢٤) من طريق محمد بن سعد ، قال : ثنى أبي ، قال : ثنى عمي ، قال : ثنى أبي ، عن أبيه عن ابن عباس . وقد تقدم الكلام على هذا الإسناد .

(٢٧) - وأخرجه الطبري (١٢٤/٢٦) والمرفوع منه ضعفه الألباني في ضعيف الجامع وعزاه إلى الخرائطى في مكارم الأخلاق وابن أبي الدنيا في ذم الغضب . وللحديث شاهد من حديث أنس أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : « التأني من الرحمن والعجلة من الشيطان » أخرجه أبو يعلى (٢٤٨/٧) برقم (١٥٠١) . والبيهقي (١٠٤/١٠) . كلاهما من طريق سعد بن سنان عن أنس ، وهو ضعيف .

---

[١] - في ز : إنما .

[٢] - في ز : التبيين .

[٣] - في ز : زيد .

وقوله : ﴿ **واعلموا أن فيكم رسول الله** ﴾ أي : اعلموا أن بين أظهركم رسولَ الله فعظِّموه ووقروه ، وتأدبوا معه ، وانقادوا لأمره ، فإنه أعلم بمصالحكم ، وأشفق عليكم منكم ، ورأيه فيكم أتمّ من رأيكم لأنفسكم ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **النبي أولىٰ بالمؤمنين من أنفسهم** ﴾ .

ثم بَيَّن أن رأيهم سخيف بالنسبة إلىٰ مراعاة مصالحهم فقال : ﴿ **لو يطيعكم في كثير من الأمر لعنتم** ﴾ ، أي : لو أطاعكم في جميع ما تختارونه لأدّىٰ ذلك إلىٰ عنتكم وحَرَجكم ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السموات والأرض ومن فيهن بل أتيناهم بذكرهم ، فهم عن ذكرهم معرضون** ﴾ .

وقوله : ﴿ **ولكن الله حبب إليكم الإيمان وزينه في قلوبكم** ﴾ أي : حببه إلىٰ نفوسكم وحَسّنه في قلوبكم .

قال الإمام أحمد (٢٨) : حدثنا بهز ، حدثنا علي بن مسعدة ، حدثنا قتادة ، عن أنس قال : كان رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم يقول : « **الإسلام علانية ، والإيمان في القلب** » . قال : ثم يشير بيده إلىٰ صدره ثلاث مرات ، ثم يقول : « **التقوىٰ هاهنا التقوىٰ هاهنا** » .

﴿ **وكره إليكم الكفر والفسوق** [**والعصيان** ﴾ أي : وبَغَّض إليكم الكفر والفسوق وهي][١] الذنوب الكبار والعصيان ، وهي جميع المعاصي . وهذا تدريج لكمال النعمة .

وقوله : ﴿ **أولئك هم الراشدون** ﴾ أي : المتصفون بهذه الصفة هم الراشدون الذين قد آتاهم الله رشدهم .

قال الإمام أحمد(٢٩) : حدثنا مروان بن معاوية الفَزَاري ، حدثنا عبد الواحد بن أيمن[٢]

---

(٢٨) - إسناده ضعيف ؛ لعنعنة قتادة ، وفيه أيضًا على بن مسعدة ؛ ضعفه أبو داود وقال النسائي ليس بالقول وقال البخاري فيه نظر ، ووثقه الطيالسى وقال يحيى بن معين : صالح ، وضعف به الألباني هذا الحديث . والحديث أخرجه أحمد (١٣٥/٣) (١٢٤٠٣) ، وأبو يعلى (٣٠١/٥ - ٣٠٢) (٢٩٢٣) ، والعقيلي (٢٥٠/٣) في ترجمة علي بن مسعدة . كلهم من طريق علي بن مسعدة عن قتادة عن أنس .
قال الهيثمي في المجمع (٥٧/١) : رواه أحمد وأبو يعلى بتمامه والبزار باختصار ، ورجاله رجال الصحيح ، ما خلا علي بن مسعدة وقد وثقه ابن حبان ، وأبو داود ، وأبو حاتم ، وابن معين ، وضعفه آخرون .اهـ .

(٢٩) - أخرجه أحمد (٤٢٤/٣) ، والنسائي في الكبرى في كتاب عمل اليوم والليلة ، باب : الاستنصار عند اللقاء ، حديث (١٠٤٤٥) (١٥٦/٦) ، والطبراني (٤٧/٥) (٤٥٤٩)، والحاكم (٥٠٦/١ - ٥٠٧) ، وأبو نعيم في الحلية (١٢٧/١٠) . =

---

[١] - ما بين المعكوفين في ز : وهو .   [٢] - في ز : أنس .

المكي ، عن أبي[١] رفاعة الزرقي ، عن أبيه قال : لما كان يوم أحد وانكفأ المشركون ، قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « استووا حتىٰ أثني علىٰ ربي عز وجل » . فصاروا خلفه صفوفًا ، فقال : « اللّهم ، لك الحمد[٢] كله . اللّهم ، لا قابض لما بسطت ، ولا باسط لما قبضت ، ولا هاديَ لمن أضللتَ ، ولا مُضِلّ لمن هَدَيتَ ، ولا مُعطِيَ لما منعت ، ولا مانع لما أعطيت ، ولا مقرب لما باعدت ، ولا مباعد لما قربت . اللّهم ؛ ابسط علينا من بركاتك ورحمتك وفضلك ورزقك . اللّهم ؛ إني أسألك النعيم المقيم الذي لا يَحول ولا يَزُول . اللّهم ؛ إني أسألك النعيم يوم العَيلة ، والأمن يوم الخوف . اللّهم ، إني[٣] عائذ بك من شر ما أعطيتنا ، ومن شر ما منعتنا . اللّهم ؛ حبب إلينا الإيمان وزينه في قلوبنا ، وكرّه إلينا الكفر والفسوق والعصيان ، واجعلنا من الراشدين . اللّهم ، توفنا مسلمين ، وأحينا مسلمين ، وألحقنا بالصالحين غير خزايا ولا مفتونين . اللّهم ، قاتل الكفرة الذين يكذبون رسلك ويصدون عن سبيلك ، واجعل عليهم رجْزَك وعذابك . اللّهم ، قاتل الكفرة الذين أوتوا الكتاب ، إلَهَ الحق » .

ورواه النسائي في اليوم والليلة عن زياد بن أيوب ، عن مَروان بن معاوية ، عن عبد الواحد ابن أيمن ، عن عُبيد بن رفاعة ، عن أبيه ، به(٣٠) .

وفي الحديث المرفوع : « من سرته حسنته وساءته سيئته فهو مؤمن »(٣١) .

ثم قال : ﴿ فضلًا من الله ونعمة ﴾ أي : هذا العطاء الذي منحكموه هو فضل منه عليكم ونعمة من لدنه .

﴿ والله عليم حكيم ﴾ أي : عليم بمن يستحق الهداية ممن يستحق الغواية ، حكيم في

= كلهم من طريق عبد الواحد بن أيمن عن عبيد بن رفاعة - في الحلية بن دفيعة - ولعله تصحيف - عن أبيه به . قال الحاكم : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه . وتعقبه الذهبي ؛ بأنهما لم يخرجا لعبيد ، وهو ثقة ، والحديث مع نظافة إسناده منكر أخاف ألّا يكون موضوعًا رواه عن خلاد بن أبي سبرة .

قال الألباني في تعليقه على فقه السيرة (٢٧٥) : ولم أعرف لقوله وجهًا .

قال الهيثمي في المجمع (١٢٥/٦) : رواه أحمد والبزار ، ورجال أحمد رجال الصحيح .

(٣٠) - ينظر تخريج الحديث السابق .

(٣١) - أخرجه أحمد (٢٦/١) قال : ثنا جرير - وهو ابن عبد الحميد عن عبد الملك بن عمير عن جابر بن سمرة ، قال : خطب عمر الناس بالجابية ... فذكر حديثًا طويلًا وفي آخره « ومن كان منكم تسره حسنته .....» إلخ ، ورجاله كلهم ثقات . =

[١] - في ت : ابن . [٢] - سقط من ز .

[٣] - سقط من ز .

أقواله وأفعاله، وشرعه وقدره.

﴿فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً ۚ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٨﴾ وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا ۖ فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ ۚ فَإِن فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا ۖ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٩﴾ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٠﴾﴾

يقول تعالىٰ آمرًا بالإصلاح بين المسلمين الباغين بعضهم علىٰ بعض: **﴿وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما﴾** فسماهم مؤمنين مع الاقتتال. وبهذا استدل البخاري وغيره علىٰ أنه لا يخرج من الإيمان بالمعصية وإن عظمت، لا[١] كما يقوله الخوارج ومن تابعهم من المعتزلة ونحوهم. وهكذا ثبت في صحيح البخاري من حديث الحسن، عن أبي بكرة أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم خطب يومًا ومعه علىٰ المنبر الحسن بن علي، فجعل ينظر إليه مرة وإلىٰ الناس أخرىٰ ويقول: **«إن ابني هذا سيّد ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين»**(٣٢). فكان كما قال صلوات الله وسلامه عليه، أصلح الله به بين أهل الشام وأهل العراق بعد الحروب الطويلة والواقعات[٢] المهولة.

وقوله: **﴿فإن بغت إحداهما علىٰ الأخرىٰ فقاتلوا التي تبغي حتىٰ تفيء إلىٰ أمر الله﴾** أي: حتىٰ ترجع إلىٰ أمر الله وتسمع للحق وتطيعه، كما ثبت في الصحيح عن أنس؛ أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم؛ قال: **«انصر أخاك ظالمًا أو مظلومًا»**. قلت: يا رسول الله، هذا نصرته مظلومًا فكيف أنصره ظالمًا؟ قال: **«تمنعه من الظلم؛ فذاك نصرك**

= والحديث أخرجه الترمذي، في كتاب الفتن، باب: ما جاء في لزوم الجماعة، حديث (٢١٦٦)(٦/ ٣٣٣)، والحاكم (١/ ١١٤)، والطيالسي (ص ٧)، والحميدي (١/ ١٩، ٢٠) (٣٢).

قال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

وصحح الشيخ أحمد شاكر إسناد هذا الحديث في تعليقه على المسند.

(٣٢) - أخرجه البخاري في كتاب: الصلح، باب: قول النبي - صلى الله عليه وسلم - للحسن بن علي - رضي الله عنهما -: **«إن ابني هذا سيد ...»** حديث (٢٧٠٤) (٥/ ٣٠٦ - ٣٠٧).

---

[١] - في ز: إلا.

[٢] - في ز: والوقعات.

إياه »(٣٣) .

قال[١] الإمام أحمد : حدثنا عارم ، حدثنا معتمر ؛ قال[٢] : سمعت أبي يحدث أن أنسًا قال : قيل للنبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم : لو أتيت عبد اللَّه بن أبيّ ؟ فانطلق إليه نبي اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم وركب حمارًا ، وانطلق المسلمون يمشون ، وهي أرض سَبخَةٌ ، فلما انطلق إليه النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم قال : « **إليك عني ، فواللَّه لقد آذاني ريح حمارك . فقال رجل من الأنصار : واللَّه لحمار رسول اللَّه أطيب ريحًا منك . قال : فغضب لعبد اللَّه رجال من قومه ، فغضب لكل واحد منهما أصحابه ، قال : فكان بينهم ضرب بالجريد والأيدي والنعال ، فبلغنا أنه أنزلت فيهم : ﴿ وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما** »(٣٤) .

ورواه البخاري في « **الصلح** » عن مسدد(٣٥) ، ومسلم(٣٦) في المغازي عن محمد بن عبد الأعلىٰ ، كلاهما عن المعتمر بن سليمان ، عن أبيه ، به نحوه .

وذكر سعيد بن جبير ؛ أن الأوس والخزرج كان بينهما قتال بالسعف والنعال ، فأنزل اللَّه هذه الآية ، فأمر بالصلح بينهما .

وقال السدي : كان رجل من الأنصار يقال له « **عمران** » ، كانت له امرأة تدعىٰ أم زيد ، وإن المرأة أرادت أن تزور أهلها فحبسها زوجها ، وجعلها في عُلّيّة له لا يدخل عليها أحد من أهلها ، وإن المرأة بعثت إلى أهلها فجاء قومها [وأنزلوها لينطلقوا][٣] بها ، وإن الرجل قد كان خرج ، فاستعان أهل الرجل ، فجاء بنو عمه ليحولوا[٤] بين المرأة وبين أهلها ، فتدافعوا واجتلدوا بالنعال ، فنزلت فيهم هذه الآية . فبعث إليهم رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم وأصلح بينهم ، وفاءوا إلىٰ أمر اللَّه .

---

(٣٣) - أخرجه البخاري في كتاب : المظالم ، باب : انصر أخاك ظالمًا أو مظلومًا حديث (٢٤٤٣) (٥/ ٩٨) ، وأطرافه في (٢٤٤٤، ٦٩٥٢) .

(٣٤) - أخرجه أحمد (١٥٧/٣) برقم (١٢٦٢٨) .

(٣٥) - أخرجه البخاري في كتاب : الصلح ، باب : ما جاء في الإصلاح بين الناس ، حديث (٢٦٩١) (٢٩٧/٥) .

(٣٦) - أخرجه مسلم في كتاب : الجهاد والسير ، باب : في دعاء النبي - صلى الله عليه وسلم - وصبره على أذى المنافقين ، حديث (١١٧/١٧٩٩) (٢٢٠/١٢ - ٢٢١) .

---

[١] - في ت : وقال .

[٢] - سقط من ز .

[٣] - في ز : وأهلوها ينطلبوا .

[٤] - في ز : ليمونوا . كذا .

وقوله : ﴿ **فإن فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا إن الله يحب المقسطين** ﴾ أي : اعدلوا بينهم فيما كان أصاب بعضهم لبعض ، بالقسط ، وهو العدل ، ﴿ **إن الله يحب المقسطين** ﴾ .

قال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو زرعة ، حدثنا محمد بن أبي بكر المقدمي ، حدثنا عبد الأعلىٰ ، عن معمر ، عن الزهري ، عن سعيد بن المسيب ، عن عبد الله بن عمرو؛ أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم؛ قال : « **إن المقسطين في الدنيا علىٰ منابر من لؤلؤ بين يدي الرحمن ، بما أقسطوا في الدنيا** »(٣٧) .

ورواه النسائي عن محمد بن المثنىٰ عن عبد الأعلىٰ به(٣٨) . وهذا إسناد جيد قوي رجاله علىٰ شرط الصحيح.

وحدثنا محمد بن عبد الله بن يزيد ، حدثنا سفيان بن عيينة ، عن عمرو بن دينار ، عن عمرو بن أوس ، عن عبد الله بن عمرو ، عن النبي صلىٰ الله عليه وسلم، قال : « **المقسطون عند الله يوم القيامة علىٰ منابر من نور علىٰ يمين العرش ، الذين يعدلون في حكمهم وأهاليهم وما وَلُوا** » .

ورواه مسلم والنسائي من حديث سفيان بن عيينة به(٣٩) .

وقوله : ﴿ **إنما المؤمنون إخوة** ﴾ أي : الجميع إخوة في الدين ، كما قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه** »(٤٠) .

---

(٣٧) - أخرجه أحمد (١٥٩/٢) ، وابن أبي شيبة في مصنفه في كتاب الجنة ، باب : ما ذكر في الجنة وما فيها مما أعد لأهلها ، حديث (٨٣) (٨١/٨) ومن طريقه الحاكم (٨٨/٤) .
وصححه ووافقه الذهبي .
كلهم يرونه من طريق عبد الأعلى عن معمر عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن عبد الله بن عمرو - رضي الله عنه - به .
والحديث صححه الشيخ أحمد شاكر في تعليقه على المسند .
وللحديث طريق آخر عن عبد الله بن عمرو عند مسلم في كتاب الإمارة ، باب : فضيلة الإمام العادل ، حديث (١٨٢٧/١٨) (٢٩١/١٢) بلفظ « إن المقسطين عند الله على منابر من نور عن يمين الرحمن - عز وجل - وكلتا يديه يمين ؛ الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولوا » .

(٣٨) - أخرجه النسائي في الكبرى في كتاب القضاء ، باب : ذكر الاختلاف على الزهري في هذا الحديث ، حديث (٥٩١٧) (٤٦٠/٣) بنحو رواية مسلم السالفة في الحديث السابق .

(٣٩) - أخرجه مسلم ١٨٢٧/١٨) ، والنسائي (٢٢١/٨) كلاهما من طريق سفيان بن عيينة بالإسناد السابق .

(٤٠) - متفق عليه ، أخرجه البخاري في كتاب المظالم ، باب : لا يظلم المسلم المسلم ولا يسلمه ، =

وفي الصحيح: «والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه»(٤١) .

وفي الصحيح أيضًا : « إذا دعا المسلم لأخيه بظهر الغيب قال الملك : آمين ، ولك بمثله »(٤٢) .

والأحاديث في هذا كثيرة ، وفي الصحيح : « مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتواصلهم كمثل الجسد الواحد ، إذا اشتكىٰ منه عضو تداعىٰ له سائر الجسد بالحمىٰ والسهر »(٤٣) .

وفي الصحيح أيضًا: «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضًا- وشبك بين أصابعه»(٤٤) .

وقال أحمد : حدثنا أحمد بن الحجاج ، حدثنا عبد الله ، أخبرنا مصعب بن[١] ثابت ، حدثني أبو [حازم؛ قال][٢] : سمعت سهل بن سعد الساعدي يُحدّث عن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم؛ قال : « إن المؤمن من أهل الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد ، يألم المؤمن لأهل الإيمان كما يألم الجسد لما في الرأس » تفرد به(٤٥) ، ولا بأس بإسناده.

= حديث (٢٤٤٢) (٩٧/٥) وطرفه في (٦٩٥١) ، ومسلم في البر والصلة ، باب : « تحريم الظلم » ، حديث (٥٨/٢٥٨٠) (٢٠٣/١٦) .

(٤١) - أخرجه مسلم في كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار ، باب : فضل الاجتماع على تلاوة القرآن ، حديث (٣٨/٢٦٩٩) (٣٤/١٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

(٤٢) - أخرجه مسلم في كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار ، باب : فضل الدعاء للمسلمين بظهر الغيب ، حديث (٨٥، ٢٧٣٢/٨٦) (١٧/ ٧٧، ٧٨) عن أبي الدرداء - رضي الله عنه ، (٢٧٣٣/٨٧) (٧٨/١٧ - ٧٩) من حديث أم الدرداء - رضي الله عنها .

(٤٣) - أخرجه البخاري في كتاب الأدب ، باب : رحمة الناس والبهائم ، حديث (٦٠١١) . ومسلم في كتاب البر والصلة والآداب ، باب : « تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم ، حديث (٦٦ و ٢٥٨٦/٦٧) (١٦/ ٢١٠، ٢١١) . كلاهما من حديث النعمان بن بشير - رضي الله عنه .

(٤٤) - أخرجه البخاري في كتاب الصلاة ، باب : تشبيك الأصابع في المسجد وغيره ، حديث (٤٨١) (٥٦٥/١) وطرفاه في (٢٤٤٦، ٦٠٢٦) . ومسلم في كتاب البر والصلة والآداب ، باب : تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم ، حديث (٢٥٨٥/٦٥) (٢١٠/١٦) . كلاهما من حديث أبي موسى الأشعرى - رضي الله عنه .

(٤٥) - رجاله رجال الصحيح عدا مصعب بن ثابت لين الحديث كما في التقريب . والحديث أخرجه أحمد (٣٤٠/٥) ، والطبراني في الكبير (١٣١/٦) (٥٧٤٣) كلاهما من طريق أحمد بن الحجاج بهذا الإسناد .

---

[١] - في ز : عن . [٢] - ما بين المعكوفين في ز : حاتم .

وقوله : ﴿ **فأصلحوا بين أخويكم** ﴾ ، يعني : الفئتين المقتتلتين ، ﴿ **واتقوا الله** ﴾ أي : في جميع أموركم ﴿ **لعلكم ترحمون** ﴾ ، وهذا تحقيق منه تعالىٰ للرحمة لمن اتقاه .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ بِئۡسَ ٱلِٱسۡمُ ٱلۡفُسُوقُ بَعۡدَ ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن لَّمۡ يَتُبۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿١١﴾ ﴾

ينهى تعالىٰ عن السخرية بالناس ، وهو احتقارهم[١] والاستهزاء بهم ، كما ثبت في الصحيح عن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم أنه قال : « **الكبر بَطَر الحق وغمص الناس** »(٤٦) ويروىٰ « **وغمط الناس** » . والمراد من ذلك احتقارهم واستصغارهم ، وهذا حرام ، فإنه قد يكون المحتقر أعظم قدرًا عند الله وأحب إليه من الساخر منه المحتقر له ، ولهذا قال : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا ؛ لا يسخر قوم من قوم عسىٰ أن يكونوا خيرًا منهم ولا نساء من نساء عسىٰ أن يكن خيرًا منهن** ﴾ ، فنص علىٰ نهي الرجال وعطف بنهي النساء .

وقوله : ﴿ **ولا تلمزوا أنفسكم** ﴾ أي : لا تلمزوا الناس . والهماز اللماز من الرجال مذموم ملعون ، كما قال : ﴿ **ويل لكل همزة لمزة** ﴾ فالهمز بالفعل واللمز بالقول ، كما قال : ﴿ **همّاز مشّاء بنميم** ﴾ أي : يحتقر الناس ويهمزهم طاعنًا عليهم ، ويمشي بينهم بالنميمة وهي[٢] : اللمز بالمقال ، ولهذا قال هاهنا : ﴿ **ولا تلمزوا أنفسكم** ﴾ ، كما قال : ﴿ **ولا تقتلوا أنفسكم** ﴾ أي : لا يقتل بعضكم بعضًا .

قال ابن عباس ، ومجاهد ، وسعيد بن جُبَير ، وقتادة ، ومقاتل بن حيان : ﴿ **ولا تلمزوا أنفسكم** ﴾ أي[٣] : لا يطعن[٤] بعضكم علىٰ بعض .

وقوله : ﴿ **ولا تنابزوا بالألقاب** ﴾ أي : لا تتداعوا بالألقاب ، وهي التي يسوء الشخصَ

= وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (١٩٠/٨) وقال : رواه أحمد والطبراني في الكبير والأوسط ورجال أحمد رجال الصحيح وهو وهم .

(٤٦) - أخرجه مسلم في كتاب الإيمان ، باب : تحريم الكبر وبيانه ، حديث (٩١/١٤٧) (١١٧/٢ - ١١٨) بلفظ « وغمط » . وأخرجه الترمذي في كتاب « البر والصلة » باب : ما جاء في الكبر ، حديث (٢٠٠٠) (٢١١/٦) بلفظ « وغمص » .

---

[١] - في ز : استحقارهم .
[٢] - في ز : وهو .
[٣] - سقط من ز .
[٤] - في ز : يطفر . كذا .

سماعُها .

قال الإِمام أحمد : حدثنا إسماعيل ، حدثنا داود بن أبي هند ، عن الشعبي ؛ قال[١] : حدثني أبو جَبيرة بن الضحاك قال : فينا نزلت في بني سَلمة : ﴿ ولا تنابزوا بالألقاب ﴾ ، قال : قدم رسول الله - صلىٰ الله عليه وسلم - المدينة وليس فينا رجل إلا وله اسمان أو ثلاثة ، فكان إذا دُعِيَ أحدٌ منهم باسم من تلك الأسماء قالوا : يا رسول الله ، إنه يغضب من هذا . فنزلت : ﴿ ولا تنابزوا بالألقاب ﴾(٤٧) .

ورواه أبو داود عن موسى بن إسماعيل عن وهيب عن داود ، به(٤٨) .

وقوله : ﴿ بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان ﴾ أي : بئس الصفةُ والاسم الفسوقُ وهو : التنابز بالألقاب ، كما كان أهل الجاهلية يتناعتون[٢] بعد ما دخلتم في الإِسلام وعَقَلتموه .

﴿ ومن لم يتب ﴾ أي : من هذا ﴿ فأولئك هم الظالمون ﴾ .

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ ۖ وَلَا تَجَسَّسُوا۟ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾

يقول تعالىٰ ناهيًا عباده المؤمنين عن كثير من الظن ، وهو التهمة والتخون[٣] للأهل والأقارب والناس في غير محله ؛ لأن بعض ذلك يكون إثمًا محضًا ، فليجتنب كثير منه احتياطًا ، وروينا عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب -رضي الله عنه - أنه قال : ولا تظنن بكلمة خرجت من أخيك[٤] المسلم إلا خيرًا ، وأنت تجد لها في الخير محملًا .

وقال أبو عبد الله بن ماجه : حدثنا أبو القاسم بن أبي ضَمْرة نصر بن محمد بن سليمان الحمصي ، حدثنا أبي ، حدثنا عبد الله بن أبي قيس النصري[٥] ، حدثنا عبد الله بن عمر ، قال : رأيت النبي صلىٰ الله عليه وسلم يطوف بالكعبة ويقول : « ما أطيبك وأطيب

---

(٤٧) - إسناده صحيح ، أخرجه أحمد (٤/٦٩) برقم (١٦٦٩٧) .

(٤٨) - أخرجه أبو داود في كتاب : الأدب ، باب : في الألقاب ، حديث (٤٩٦٢) (٤/٢٩٠ - ٢٩١) . وانظر السابق .

---

[١] - سقط من ز .

[٢] - في ز : يتعانون .

[٣] - في ز : والتمرن . كذا . بلا نقط .

[٤] - في ز : أصل .

[٥] - في ز : النضري .

ويحك ! ما أعظمك وأعظم حرمتك ! والذي نفس محمد بيده لحرمة المؤمن أعظم عند الله حرمةً منك ، ماله ودمه ، وأن يظن به إلا خيرًا »(٤٩) . تفرد به ابن ماجة [من هذا الوجه][١] .

وقال مالك : عن أبي[٢] الزناد ، عن الأعرج ، عن أبي هريرة ؛ قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **إياكم والظنّ ، فإن الظن أكذب الحديث ، ولا تجسسوا [ولا تحسسوا][٣] ولا تنافسوا ولا تحاسدوا ولا تباغضوا ، ولا تدابروا ، وكونوا عباد الله إخوانًا** »(٥٠) .

رواه البخاري عن عبد الله بن يوسف ، ومسلم عن يحيى بن يحيى ، وأبو داود [عن العتبي][٤] ، عن مالك به(٥١) .

وقال سفيان بن عُيَيْنَة ، عن الزهري ، عن أنس ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **لا تقاطعوا ولا تدابروا ولا تباغضوا ولا تحاسدوا ، وكونوا عباد الله إخوانًا . ولا يحل للمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاثة أيام** » .

رواه مسلم والترمذي - وصححه - من حديث سفيان بن عيينة به(٥٢) .

وقال الطبراني : حدثنا محمد بن عبد الله القرمطي العدوي ، حدثنا بكر بن عبد الوهاب

---

(٤٩) - إسناده ضعيف ؛ لضعف نصر بن محمد بن أبي سليمان بن أبي ضمرة . أخرجه ابن ماجة في كتاب : الفتن ، باب : حرمة دم المؤمن وماله ، حديث (٣٩٣٢) (١٢٩٧/٢) ، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع (٥٠٠٨) .

(٥٠) - أخرجه مالك في كتاب حسن الخلق ، باب : ما جاء في المهاجرة ، حديث (١٥) (٦٩٢/٢ - ٦٩٣) .

(٥١) - أخرجه البخاري في كتاب الأدب ، باب : ﴿ يأيها الذين أمنوا اجتنبوا كثيرًا من الظن إن بعض الظن إثم ولا تجسسوا ﴾ ، حديث (٦٠٦٦) (٤٨٤/١٠) . ومسلم في كتاب البر والصلة ، باب : تحريم الظن والتجسس والتنافس والتناجش ونحوهما ، حديث (٢٥٦٣/٢٨) (١٧٩/١٦) . وأبو داود في كتاب الأدب ، باب : في الظن ، حديث (٤٩١٧) (٢٨٠/٤) كلهم من طريق مالك ، لكن رواه عن مالك عند أبي داود عبد الله بن مسلمة .

(٥٢) - أخرجه مسلم في كتاب : البر والصلة ، باب : تحريم التحاسد والتباغض والتدابر ، حديث (٢٣/ ٢٥٥٩) (١٧٥/١٦) . والترمذي في كتاب : البر والصلة ، باب : ما جاء في الحسد ، حديث (١٩٣٦) (١٧٨/٦) ، وقال : حسن صحيح . =

---

[١] - سقط من ز .
[٢] - في ز : ابن .
[٣] - سقط من ز .
[٤] - في ز : وغيره والعنسي ثلاثتهم .

المدني ، حدثنا إسماعيل بن قيس الأنصاري ، حدثني عبد الرحمن بن محمد بن أبي الرجال ، عن أبيه ، عن جده حارثة بن النعمان ؛ قال : قال رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **ثلاث لازمات لأمتي : الطيرة ، والحسد ، وسوء الظن** » . فقال رجل : ما يذهبهن يا رسول اللّٰه ممن هُنّ فيه ؟ قال : « **إذا حَسَدت فاستغفر اللّٰه ، وإذا ظننت فلا تحقق ، وإذا تَطَيّرت فَامض**[١] » (٥٣) .

وقال أبو داود : حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة ، حدثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن زيد قال : أتي ابن مسعود -رضي اللّٰه عنه- برجل ، فقيل له : هذا فلان تقطر لحيته خمرًا ، فقال عبد اللّٰه : إنا قد نُهينا عن التجسس ، ولكن إن يظهر لنا شيء نأخذ به سماه ابن أبي حاتم في روايته الوليد بن عقبة بن أبي معيط(٥٤) .

قال[٢] الإمام أحمد : حدثنا هاشم ، حدثنا ليث ، عن إبراهيم بن نشيط[٣] الخَوْلاني ، عن كعب بن علقمة ، عن أبي الهيثم ، عن دخين[٤] كاتب عقبة ؛ قال : قلت لعقبة : إن لنا جيرانًا يشربون الخمر ، وأنا داع لهم الشُّرطَ فيأخذونهم . قال : لا تفعل ، ولكن عظهم وتهددهم . قال : ففعل فلم ينتهوا . قال : فجاءه دُخَين[٥] فقال : إني قد[٦] نهيتهم فلم ينتهوا ، وإني داع لهم الشرط فتأخذهم . فقال له عقبة : ويحك لا تفعل ، فإني سمعت رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم يقول : « **من ستر عورة مؤمن فكأنما استحيا موءودة من قبرها** »(٥٥) ورواه أبو داود والنسائي من حديث الليث بن سعد به نحوه(٥٦) .

= والحديث أخرجه البخاري (٦٠٧٦) ، ومسلم (٢٥٥٩/٢٣) كلاهما من طريق مالك عن الزهري عن أنس بنحوه .

(٥٣) - أخرجه الطبراني (٢٥٨/٣) برقم (٣٢٢٧) . قال الهيثمي في « المجمع » (٨١/٨) : رواه الطبراني وفيه : إسماعيل بن قيس الأنصاري وهو ضعيف .

(٥٤) - إسناده صحيح ، رجاله ثقات رجال الشيخين ، وأخرجه أبو داود في كتاب الأدب ، باب : النهي عن التجسس ، حديث (٤٨٩٠) (٢٧٢/٤ - ٢٧٣) . وصححه الألباني في صحيح أبي داود برقم (٤٠٩٠) .

(٥٥) - إسناده ضعيف ؛ من أجل أبي الهيثم ؛ قال ابن حجر في التهذيب (٦٨١/٢) : مقبول ، أي عند المتابعة وإلا فلين . والحديث أخرجه أحمد (١٥٣/٤) (١٧٤٤٤) ، وانظر التالي .

(٥٦) - إسناده ضعيف كسابقه ، وأخرجه أبو داود في كتاب الأدب ، باب : في الستر عن المسلم ، حديث (٤٨٩٢) (٢٧٣/٤) . والنسائي في الكبرى في كتاب : الرجم ، باب : الترغيب في ستر العورة ، حديث (٧٢٨٣) (٣٠٧/٤ - ٣٠٨) . وضعفه الألباني في الضعيفة برقم (١٢٦٥) .

[١] - في ز : فأغض .

[٢] - في ز : وقال .

[٣] - في ز : مشيط .

[٤] - في ز : دحين .

[٥] - في ز : دحين .

[٦] - سقط من ز .

وقال سفيان الثوري ، عن ثور ، عن راشد بن سعد ، عن معاوية ؛ قال : سمعت النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم؛ يقول : « **إنك إن اتبعت عورات الناس أفسدتهم ، أو : كدت أن تفسدهم** » . فقال أبو الدرداء : كلمة سمعها معاوية من رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم نفعه اللّٰه بها . رواه أبو داود منفردًا[١] به من حديث الثوري ، به (٥٧) .

وقال أبو داود أيضًا : حدثنا سعيد بن عَمْرو الحضرمي ، حدثنا إسماعيل بن عياش ، حدثنا ضمضم بن زرعة ، عن شريح بن عبيد ، عن جبير بن نفير ، وكَثِير بن مرة ، وعمرو ابن الأسود ، والمقدام بن معد يكرب ، وأبي أمامة ، عن النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم؛ قال : « **إن الأمير[٢] إذا ابتغىٰ الريبة[٣] في الناس ، أفسدهم** »(٥٨) .

﴿ **ولا تجسسوا** ﴾ أي : علىٰ بعضكم بعضًا . والتجسس غالبًا يطلق في الشر ، ومنه الجاسوس . وأما التحسس فيكون غالبًا في الخير ، كما قال تعالىٰ إخبارًا عن يعقوب أنه قال : ﴿ **يا بني؛ اذهبوا فتحسسوا من يوسف وأخيه ولا تيأسوا من روح اللّٰه** ﴾ ، وقد يستعمل كل منهما في الشر ، كما ثبت في الصحيح أن رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم قال : « **لا تجسسوا ولا تحسسوا ولا تباغضوا ولا تدابروا ، وكونوا عباد اللّٰه إخوانًا** »(٥٩) .

وقال الأوزاعي : التجسس : البحث عن الشيء . والتحسس : الاستماع إلىٰ حديث القوم وهم له كارهون ، [أن يستمع على أدبارهم][٤] . والتدابر : الصَّرْم .رواه ابن أبي حاتم [عنه][٥] .

وقوله : ﴿ **ولا يغتب بعضكم بعضًا** ﴾ : فيه نهي عن الغيبة ، وقد فسرها الشارع كما جاء في الحديث الذي رواه أبو داود : حدثنا القعنبي ، حدثنا عبد العزيز بن محمد ، عن

---

(٥٧) – إسناده صحيح ، وأخرجه أبو داود في كتاب الأدب ، باب : في النهي عن التجسس حديث (٤٨٨٨) (٢٧٢/٤) . وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود برقم (٤٠٨٨) .

(٥٨) – أخرجه أبو داود في الموضع السابق برقم (٤٨٨٩) ، وفيه سعيد بن عمرو الحضرمي ، قال عنه الحافظ في التقريب : مقبول : أي عند المتابعة وإلا فلين . لكن يشهد له الحديث الذي قبله . والحديث صححه الألباني في صحيح سنن أبي داود برقم (٤٠٨٩) بما قبله .

(٥٩) – أخرجه البخاري في كتاب الأدب ، باب : ما ينهى عن التحاسد والتدابر » ، حديث (٦٠٦٤) (٤٨١/١٠) . ومسلم في كتاب : البر والصلة ، باب : تحريم الظن والتجسس ، حديث (٢٥٦٣/٢٨) (١٧٩/١٦) . كلاهما من حديث أبي هريرة – رضي الله عنه – .

---

[١] – في ز : متفردًا .
[٢] – في ز : الأمر .
[٣] – في ز : القرينة .
[٤] – في ت : أو يتسمع على أبوابهم .
[٥] – سقط من ت .

العلاء ، عن أبيه ، عن أبي هريرة ؛ قال : قيل : يا رسول الله ، ما الغيبة ؟ قال : **« ذكرك أخاك بما يكره »** . قيل : أفرأيت إن كان في أخي ما أقول ؟ قال : **« إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته ، وإن لم يكن فيه ما تقول فقد بَهَتَّه »** (٦٠) .

ورواه الترمذي عن قتيبة عن الدراوردي ، به (٦١) . وقال : **« حسن صحيح »** . ورواه ابن جرير عن بندار عن غندر عن شعبة عن العلاء (٦٢) . وهكذا قال ابن عمر ، ومسروق ، وقتادة ، وأبو إسحاق ، ومعاوية بن قرة .

وقال أبو داود : حدثنا مسدد ، حدثنا يحيىٰ ، عن سفيان[١] حدثني علي بن الأقمر[٢] ، عن أبي حذيفة ، عن عائشة ؛ قالت : قلت[٣] للنبي صلىٰ الله عليه وسلم : حسبك من صفية كذا وكذا ! - قال غير مسدد : تعني قصيرة - فقال : **« لقد قلت كلمة لو مُزِجت بماء البحر لَمَزَجَتْه »** . قالت : وحكيت له إنسانًا فقال صلىٰ الله عليه وسلم : **« ما أحب أني حكيت إنسانًا وإن لي كذا وكذا »** (٦٣) .

ورواه الترمذي من حديث يحيىٰ القطان ، وعبد الرحمن بن مهدي ، ووكيع ، ثلاثتهم عن سفيان الثوري ، عن علي بن الأقمر ، عن أبي حذيفة سلمة بن صُهَيبة الأرحبي ، عن عائشة به . وقال : **« حسن صحيح »** (٦٤) .

وقال ابن جرير : حدثني ابن أبي الشوارب : حدثنا عبد الواحد بن زياد ، حدثنا سليمان الشيباني ، حدثنا حسان بن المخارق أن امرأة دخلت علىٰ عائشة ، فلما قامت لتخرج أشارت عائشة بيدها إلىٰ النبي صلىٰ الله عليه وسلم أي : إنها قصيرة - فقال النبي صلىٰ الله عليه

---

(٦٠) - صحيح ، أخرجه أبو داود في كتاب الأدب ، باب : في الغيبة ، حديث (٤٨٧٤) (٤/٢٦٩) . والحديث بنحوه عند مسلم في كتاب البر والصلة ، باب : تحريم الغيبة ، حديث (٧٠/٢٥٨٩) (١٦/ ٢١٤) من طريق إسماعيل عن العلاء عن ابيه عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا .

(٦١) - أخرجه الترمذي في كتاب البر والصلة ، باب : ما جاء في الغيبة ، حديث (١٩٣٥) (٦/١٧٨) . قال الترمذي : حديث حسن صحيح .

(٦٢) - أخرجه الطبري (٢٦/١٣٦) .

(٦٣) - إسناده صحيح ، وأخرجه أبو داود في كتاب الأدب ، باب : في الغيبة ، حديث (٤٨٧٥) (٤/ ٢٦٩)

(٦٤) - إسناده صحيح ، وأخرجه الترمذي في كتاب : صفة القيامة ، باب : تحريم الغيبة ، حديث (٢٤٠٥) (٧/١٩٢ - ١٩٤) .

---

[١] - في ز : بياض .

[٢] - في ز : الأحمر .

[٣] - سقط من ز .

وسلم : « **اغتبتيها** »(٦٥).

والغيبة محرمة بالإجماع ، ولا يستثنىٰ من ذلك إلا ما رَجحت مصلحته ، كما في الجرح والتعديل والنصيحة ، كقوله صلىٰ الله عليه وسلم لما استأذن عليه ذلك الرجل الفاجر : « **ائذنوا له ، بئس أخو العشيرة** »(٦٦) . وكقوله لفاطمة بنت قيس وقد خطبها معاوية وأبو الجهم : « **أما معاوية فصُعلوك ، وأما أبو الجهم فلا يضع عصاه عن عاتقه** »(٦٧) . وكذا ما جَرَىٰ مجرىٰ ذلك . ثم بقيتها علىٰ التحريم الشديد ، وقد ورد فيها الزجر الأكيد ، ولهذا شبهها تعالىٰ بأكل اللحم من الإنسان الميت ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتًا فكرهتموه** ﴾ أي : كما تكرهون هذا طبعًا[١] ، فاكرهوا ذاك شرعًا ، فإن عقوبته أشد من هذا . وهذا من التنفير عنها والتحذير منها ، كما قال - عليه السلام - في العائد في هبته : « **كالكلب يقيء ثم يرجع في قيئه** »(٦٨) ، وقد قال : « **ليس لنا مثل السوء** »(٦٩) . وثبت في الصحاح والحسان والمسانيد من غير وجه أنه - عليه السلام - قال في خطبة الوداع : « **إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا** »(٧٠) .

---

(٦٥) - أخرجه الطبرى في « تفسيره » (١٣٦/١٦) وفيه حسان بن مخارق ذكره ابن أبي حاتم في « الجرح والتعديل » (٢٣٥/٣) ولم يذكر فيه جرحًا ولا تعديلا ، وبقية رجاله ثقات .

(٦٦) - أخرجه البخاري في كتاب الأدب ، باب : ما يجوز من اغتياب أهل الفساد والريب ، حديث (٦٠٥٤) (٤٧١/١٠) ، ومسلم في كتاب : البر والصلة ، باب : مداراة من يتقى فحشه ، حديث (٧٣/ ٢٥٩١) (٢١٧/١٦) .

كلاهما من حديث عائشة - رضي الله عنها .

(٦٧) - أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب : الطلاق ، باب : المطلقة ثلاثًا لا نفقة لها ، حديث (٣٦/ ١٤٨٠) (١٣٤/١٠ - ١٣٨) ، (٤٧، ٤٨ /١٤٨٠) (١٠/ ١٤٧، ١٤٨) .

(٦٨) - أخرجه البخاري في كتاب : الهبة ، باب : لا يحل لأحد أن يرجع في هبته وصدقته ، حديث (٢٦٢٢) (٢٣٥/٥) ، ومسلم في كتاب « الهبات » ، باب : تحريم الرجوع في الصدقة والهبة ، حديث (١٦٢٢/٥ وما بعده) (٩٢/١١ - ٩٤) . كلاهما من حديث ابن عباس .

(٦٩) - أخرجه البخاري وهو جزء من الحديث السابق .

(٧٠) - متفق عليه من حديث أبي بكرة - رضي الله عنه - أخرجه البخاري في كتاب : العلم ، باب : قول النبي - صلى الله عليه وسلم - « رب مبلغ أوعى من سامع » حديث (٦٧) (١٥٧/١ - ١٥٨) ، وأطرافه في [١٠٥، ١٧٤١، ٣١٩٧، ٤٤٠٦، ٤٦٦٢، ٥٥٥٠، ٧٠٧٨، ٧٤٤٧] . ومسلم في كتاب : القسامة والمحاربين والقصاص والديات ، باب : تغليظ تحريم الدماء والأعراض والأموال ، حديث (٢٩، ٣٠/١٦٧٩) (٢٤١/١١ - ٢٤٧) .

---

[١] - سقط من ز .

وقال أبو داود : حدثنا واصل بن عبد الأعلىٰ ، حدثنا أسباط بن محمد ، عن هشام بن سعد ، عن زيد بن أسلم ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة ؛ قال : قال رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **كل المسلم علىٰ المسلم حرام : ماله وعرضه ودمه ، حسب امرئٍ من الشر أن يحقر أخاه المسلم** »(٧١) .

ورواه الترمذي عن عُبَيد بن أسباط بن محمد ، عن أبيه ، به (٧٢) . وقال : « **حسن غريب** » .

وحدثنا عثمان بن أبي شيبة ، حدثنا الأسود بن عامر ، حدثنا أبو بكر بن عياش ، عن الأعمش ، عن سعيد بن عبد اللّٰه بن جُرَيج[١] ، عن أبي بَرْزَةَ الأسلمي ؛ قال : قال رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **يا معشر من آمن بلسانه ولم يدخل الإيمان قلبه ، لا تغتابوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم ، فإنه من يتبع عوراتهم يتبع اللّٰه عورته ، ومن يتبع اللّٰه عورته يفضحه في بيته** » . تفرد به أبو داود(٧٣) .

وقد روي من حديث البراء بن عازب ، فقال الحافظ أبو يعلىٰ في مسنده : حدثنا إبراهيم ابن دينار ، حدثنا مصعب بن سلام ، عن حمزة بن حبيب[٢] الزيات ، عن أبي إسحاق [ ][٣] السبيعي ، عن البراء بن عازب ؛ قال : خطبنا رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم حتىٰ أسمع العواتق في بيوتها - أو قال : في خدورها[٤] - فقال : « **يا معشر من آمن بلسانه ، لا تغتابوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم ، فإنه من يتبع عورة أخيه يتبع اللّٰه عورته ، ومن يتبع اللّٰه عورته يفضحه في جوف بيته** » (٧٤) .

---

(٧١) - إسناده صحيح ، وأخرجه أبو داود في كتاب الأدب ، باب : في الغيبة ، حديث (٤٨٨٢) (٤/ ٢٧٠) .

(٧٢) - والترمذي في كتاب : البر والصلة ، باب : « ما جاء في شفقة المسلم على المسلم ، حديث (١٩٢٨) (١٧٤/٦) . والحديث بنحوه عند مسلم في كتاب : البر ، باب : تحريم ظلم المسلم وخذله ، حديث (٢٥٦٤/٣٢) (١٨٢/١٦) .

(٧٣) - إسناده حسن ، سعيد بن عبد الله بن جريج صدوق ربما وهم . والحديث أخرجه أبو داود في كتاب الأدب باب : في الغيبة ، حديث (٤٨٨٠)
وذكره الألباني في صحيح أبي داود ، وقال : حسن صحيح .

(٧٤) - أخرجه أبو يعلى (٢٣٧/٣ - ٢٣٨) برقم (١٦٧٥) ، وهو شاهد لما قبله .
قال الهيثمي في « مجمع الزوائد » (٩٦/٨) ، رواه أبو يعلى ورجاله ثقات .

---

[١] - في ز : خديج .

[٢] - في ز : حنيف .

[٣] - في ز : الزيات .

[٤] - في ز : خدرها .

(طريق أخرىٰ) ، عن ابن عمر ، قال أبو بكر أحمد بن إبراهيم الإسماعيلي : أخبرنا عبد الله بن ناجية ، حدثنا يحيىٰ بن أكثم ، حدثنا الفضل بن موسىٰ الشيباني ، عن الحسين بن واقد ، عن [أوفىٰ بن دلهم][١] ، عن نافع ، عن ابن عمر ، أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم؛ قال : **« يا معشر من آمن بلسانه ولم يُفْضِ الإيمانُ إلىٰ قلبه ، لا تغتابوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم ؛ فإنه من يتبع عورات المسلمين يتبع الله عورته ، ومن يتبع الله عورته يفضحه ولو في جوف رحله »** . قال : ونظر ابن عمر يومًا إلىٰ الكعبة فقال : ما أعظمك وأعظم حرمتك ، وللمؤمن أعظمُ حرمة عند الله منك .

قال أبو داود : وحدثنا حيوة بن شريح ، حدثنا بقية ، عن ابن[٢] ثوبان ، عن أبيه ، عن مكحول ، عن وقاص بن ربيعة ، عن المستورد أنه حدثه : أن النبي صلىٰ الله عليه وسلم؛ قال : **« من أكل برجل مسلم أكلة فإن الله يطعمه مثلها في جهنم ، ومن كُسي ثوبًا برجل مسلم فإن الله يكسوه مثله في جهنم . ومن قام برجل مقام سمعة ورياء فإن الله يقوم به مقام سمعة ورياء يوم القيامة »** . تفرد به أبو داود(٧٥)

وحدثنا ابن مصفى ، حدثنا بقية وأبو المغيرة ، قالا[٣] : حدثنا صفوان ، حدثني راشد بن سعد وعبد الرحمن بن جبير ، عن أنس بن مالك؛ قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : **« لما عُرج بي مررت بقوم لهم أظفار من نحاس يخمشون وجوههم وصدورهم ، قلت : من هؤلاء يا جبريل[٤] ؟ قال : هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس ، ويقعون في أعراضهم »** .

تفرد به أبو داود (٧٦) ، وهكذا رواه الإمام أحمد ، عن أبي المغيرة عبد القدوس بن الحجاج الشامي به (٧٧) .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا أحمد بن عبدة ، حدثنا أبو عبد الصمد عبد

(٧٥) - أخرجه أبو داود في كتاب : الأدب ، باب : في الغيبة ، حديث (٤٨٨١) وفيه مكحول وقد أطلق الذهبي أنه كان يدلس ، وبقية بن الوليد مدلس أيضًا وقد عنعنا ، إلا أن الشيخ الألباني صححه بطرقه في السلسلة الصحيحة برقم (٩٣٤) .

(٧٦) - إسناده حسن ، من أجل ابن مصفى فإنه صدوق له أوهام ، وقد صرح بالتحديث ، وأبو المغيرة تابع بقية ، وعبد الرحمن بن جبير تابع راشد بن سعد .

والحديث أخرجه أبو داود في كتاب : الأدب ، باب : في الغيبة ، حديث (٤٨٧٨) (٤/٢٦٩ - ٢٧٠) .

(٧٧) - أخرجه أحمد (٣/٢٢٤) برقم (١٣٣٦٤) .

[١] - في ز : أول بن وهم .
[٢] - سقط من ز .
[٣] - سقط من ز .
[٤] - في ت : جبرائيل .

العزيز ابن عبد الصمد العمي ، حدثنا أبو هارون العَبْديّ ، عن أبي سعيد الخدري؛ قال : قلنا : يا رسول الله ، حَدّثنا ما رأيت ليلةَ أسريَ بك ؟ ... قال : « **ثم انطلق بي إلىٰ خلق من خلق الله كثير ، رجال ونساء مُوَكَّل بهم رجال يعمدون إلىٰ عُرْض جَنب أحدهم فَيَحْذُون منه الحُذْوَة من مثل النعل ثم يضعونه في فِيِّ أحدهم ، فيقال له : كل كما أكلت . وهو يجد من أكله الموت - يا محمد - لو[١] يجد الموت وهو يكره عليه . فقلت : يا جبريل[٢] ، من هؤلاء ؟ قال : هؤلاء الهمازون اللمازون أصحاب النميمة . فيقال : ﴿ أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتًا فكرهتموه ﴾** وهو يكره علىٰ أكل لحمه ...(٧٨)

هكذا أورد هذا الحديث ، وقد سقناه بطوله في أول تفسير « **سورة سبحان** » ولله الحمد .

وقال أبو داود الطيالسي في مسنده : حدثنا الربيع ، عن يزيد ، عن أنس ؛ أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم أمر الناس أن يصوموا يومًا ولا يُفطِرَنّ أحد حتىٰ آذن له . فصام الناس فلما أمسوا[٣] جعل الرجل يجيء إلىٰ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم فيقول : ظللت[٤] منذ اليوم صائما ، فائذن لي فأفطرَ . فيأذن له ، ويجيء الرجل فيقول ذلك ، فيأذن له ، حتىٰ جاء رجل فقال : يا رسول الله ، إن فتاتين من أهلك ظلتا منذ اليوم صائمتين ، فائذن لهما فَلْيفطرا . فأعرض عنه ، ثم أعاد ، فقال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **ما صامتا ، وكيف صام من ظل يأكل لحوم الناس ؟ ! اذهب فمرهما إن كانتا صائمتين أن يستقيئا** » . ففعلتا ، فقاءت كل واحدة منهما عَلَقة علقةً[٥] فأتىٰ النبي صلىٰ الله عليه وسلم فأخبره ،فقال رسول الله -صلىٰ الله عليه وسلم - : « **لو ماتتا وهما فيهما لأكلتهما النار** »(٧٩) .

إسناد ضعيف ، ومتن غريب . وقد رواه الحافظ البيهقي من حديث يزيد بن هارون : حدثنا سليمان التيمي ؛ قال : سمعت رجلا يحدث في مجلس أبي عثمان النهدي عن عبيد مولى رسول الله أن امرأتين صامتا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم - وأن رجلًا أتىٰ رسول الله فقال : يا رسول الله ، إن هاهنا امرأتين صامتا ، وإنهما كادتا تموتان من

---

(٧٨) - إسناده ضعيف ؛ أبو هارون العبدي متروك ومنهم من كذبه .

(٧٩) - إسناده ضعيف ؛ يزيد وهو بن أبان الرقاشي زاهد ضعيف .

وأخرجه الطيالسي في مسنده (ص ٢٨٢) برقم (٢١٠٧) .

---

[١] - في ز : وهو .

[٢] - في ت : جبرائيل .

[٣] - في ز : أمنوا .

[٤] - سقط من ز .

[٥] - سقط من ز .

العطش - أَرَاهُ قال : بالهاجرة - فأعرض عنه - أو : سكت عنه - فقال : يا نبي الله ؛ إنهما - والله - قد ماتتا أو كادتا تموتان. فقال : « **ادعهما** » . فجاءتا ، قال : فجيء بقدح - أو عُسّ - فقال لإحداهما : « **قيئي** » . فقاءت من قيح ودم وصديد ، حتى قاءت نصف القدح .ثم قال للأخرى : قيئي . فقاءت قيحًا ودمًا وصديدًا ولحمًا ودمًا عَبيطًا وغيره حتى ملأت القدح . فقال : « **إن هاتين صامتا عما أحل الله لهما ، وأفطرتا على ما حرم الله عليهما ، جلست إحداهما إلى[١] الأخرى فجعلتا تأكلان لحوم الناس** »(٨٠) .

وهكذا قد رواه الإمام أحمد عن يزيد بن هارون ، وابن أبي عدي كليهما[٢] عن سليمان ابن طرخان[٣] التيمي به مثله أو نحوه(٨١) .

ثم رواه أيضًا من حديث مسدد ، عن يحيى القطان ، عن عثمان بن غياث ، حدثني رجل أظنه في حلقة أبي عثمان ،عن سعد مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ أنهم أمروا بصيام ، فجاء رجل في نصف النهار فقال : يا رسول الله؛ فلانة وفلانة قد بلغتا الجهد .فأعرض عنه مرتين أو ثلاثًا ، ثم قال : « **ادعهما** » . فجاء بعُسٍّ - أو : قَدَحٍ - فقال لإحداهما : « **قيئي** » . فقاءت لحمًا ودَمًا عبيطًا وقيحًا ، وقال للأخرى مثل ذلك ، فقال : « **إن هاتين صامتا عما أحل الله لهما ، وأفطرتا على ما حرم الله عليهما ، أتت إحداهما للأخرى فلم تزالا تأكلان لحوم الناس حتى امتلأت أجوافهما قيحًا** »(٨٢) .

قال البيهقي : كذا قال عن سعد ، والأول - وهو عبيد - أصح .

وقال الحافظ أبو يعلى : حدثنا عمرو بن الضحاك بن مخلد ، حدثنا أبي أبو عاصم ، حدثنا ابن جريج ، أخبرني أبو الزبير عن ابن عَمّ لأبي هريرة أن ماعزًا جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله ؛ إني قد زنيت . فأعرض عنه - قالها أربعا - فلما كان في الخامسة قال : « **زنيت ؟** » . قال : نعم . قال : « **وتدري ما الزنا** » ؟ قال : نعم ، أتيت منها حراما ما يأتي الرجل من امرأته حلالًا . قال : « **ما تريد إلى هذا**

(٨٠) - إسناده ضعيف ؛ لجهالة الرجل الذي يحدث في مجلس أبي عثمان . وأخرجه البيهقي في دلائل النبوة (٦/ ١٨٦، ١٨٧) .

(٨١) - وأحمد (٤٣١/٥) برقم (٢٣٧٦٥) . قال الهيثمي في « المجمع » (١٧٤/٣) : رواه أحمد كله ورواه أبو يعلى نحوه (١٤٦/٣ - ١٤٧) وفيه رجل لم يسم .

(٨٢) - وأخرجه أحمد (٤٣١/٥) برقم (٢٣٧٦٧) ، (٤٣٢/٥) برقم (٢٣٧٧٤) من طريقين آخرين إلا أن مدار الحديث على هذا الرجل المجهول .

[١] - في ز : على .

[٢] - في ز : كلاهما .

[٣] - في ز : طوعان .

القول » ؟ قال : أريد أن تطهرني . قال : فقال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **أدخلتَ ذلك منك في ذلك منها كما يغيب الميل في المكحلة والعصا[1] في البئر ؟** » . قال : نعم ، يا رسول اللَّه . قال : فأمر برجمه فرُجِمَ ، فسمع النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم رجلين يقول أحدهما لصاحبه : ألم تر إلىٰ هذا الذي ستر اللَّه عليه فلم تدعه نفسه حتىٰ رُجِم رجم الكلب . ثم سار النبي - صلىٰ اللَّه عليه وسلم - حتىٰ مَرّ بجيفة حمار فقال : « **أين فلان وفلان ؟ انزلا فكلا من جيفة هذا الحمار** » . قالا : غفر اللَّه لك يا رسول اللَّه ، وهل يُؤكل هذا ؟ قال : « **فما نلتما من أخيكما آنفًا أشد أكلًا منه ، والذى نفسي بيده إنه الآن لفي أنهار الجنة ينغمس فيها** »(٨٣) .

وقال الإِمام أحمد : حدثنا عبد الصمد ، حدثني أبي ، حدثنا واصل مولى ابن عيينة حدثني خالد بن عرفطة ، عن طلحة بن نافع ، عن جابر بن عبد اللَّه ؛ قال : كنا مع النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم فارتفعت ريح جيفة منتنة ، فقال رسول الله صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **أتدرون ما هذه الريح ؟هذه ريح الذين يغتابون المؤمنين[2]** »(٨٤) .

طريق أخرىٰ ، قال عَبْد بن حُمَيد في مسنده : حدثنا إبراهيم بن الأشعث ، حدثنا الفُضَيل ابن عياض ، عن سليمان ، عن[3] أبي سفيان - وهو طلحة بن نافع - عن جابر ؛ قال : كنا مع النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم في سفر فهاجت ريح منتنة ، فقال النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **إن نفرًا من المنافقين اغتابوا ناسًا من المسلمين ، فلذلك بعثت هذه الريح** » . وربما قال : « **فلذلك هاجت هذه الريح** »(٨٥) .

---

(٨٣) - إسناده ضعيف ، من أجل عبد الرحمن بن الصامت ، وهو ابن عم أبي هريرة - رضي الله عنه - قال عنه الحافظ في التقريب : مقبول ، أي عند المتابعة وإلا فلين . والحديث أخرجه من طريق ابن جريج أيضًا : أبو داود في كتاب « الحدود » باب : رجم ماعز بن مالك ، حديث (٤٤٢٨) (١٤٨/٤) . والنسائي في الكبرى في : الرجم ، باب : ذكر استقصاء الإمام على المعترف عنده بالزنا ، حديث (٧١٦٤) ، (٧١٦٥) (٢٧٦/٤ - ٢٧٧) . وابن حبان (٤٣٩٩) (٢٤٤/١٠ - ٢٤٥) ، والدارقطني (٣/ ١٩٦، ١٩٧) في كتاب الحدود (٣٣٩) ، والبيهقي (٢٢٧/٨) في كتاب الحدود ، باب : من قال : لا يقام عليه الحد حتى يعترف أربع مرات . والحديث ذكره الزيلعي في « نصب الراية » (٣٠٨/٣ - ٣٠٩) ، وأعله بعبد الرحمن هذا ، وقال : قال البخاري : وعبد الرحمن بن الصامت لا أراه محفوظًا . وضعفه الألباني في الإرواء برقم (٢٣٥٤) .

(٨٤) - أخرجه أحمد (٣٥٠/٣) برقم (١٤٨٢٧) .

وفيه خالد بن عرفطة وهو : مجهول ، لكنه لم يتفرد به بل تابعه أبو سفيان كما في الحديث التالي .

(٨٥) - حديث حسن .

---

[1] - في ت : والرشاء . [2] - سقط من ز .

[3] - في ز : بن .

وقال السدي في قوله : ﴿ أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتًا ﴾ : زعم أن سلمان[١] الفارسي كان مع رجلين من أصحاب النبي صلىٰ الله عليه وسلم [في سفر][٢] يخدمهما ويخف لهما ، وينال من طعامهما ، وأن سلمان لما سار الناس ذات يوم وبقي سلمان نائمًا ، لم يسر معهم ، فجعل صاحباه يكلمانه[٣] فلم يجداه ، فضربا الخباء فقالا : ما يريد سلمان - أو[٤] : هذا العبد - شيئًا غير هذا : أن يجيء إلىٰ طعام مقدور ، وخباء مضروب ! فلما جاء سلمان أرسلاه إلىٰ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم يطلب لهما إدامًا ، فانطلق فأتىٰ رسول الله ومعه قَدَح له ، فقال : يا رسول الله ؛ بعثني أصحابي لتؤدمهم إن كان عندك ؟ قال : « **ما يصنع أصحابك بالأدم ؟ قد ائتدموا** » . فرجع سلمان يخبرهما بقول رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم فانطلقا حتىٰ أتيا رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم فقالا : لا ، والذي بعثك بالحق ما أصبنا طعامًا منذ نزلنا . قال : « **إنكما قد ائتدمتما بسلمان بقولكما** » . قال : ونزلت : ﴿ **أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتًا** ﴾ ، إنه كان نائمًا(٨٦) .

وروى الحافظ الضياء المقدسي[٥] في كتابه « **المختارة** »[٦] من طريق حَبَّان[٧] بن هلال ، عن حماد[٨] بن سلمة ، عن ثابت ، عن أنس بن مالك ؛ قال : كانت العرب تخدم بعضها بعضًا في الأسفار ، وكان مع أبي بكر وعمر رجل يخدمهما ، فناما فاستيقظا ولم يهيئ لهما طعامًا ، فقالا : إن هذا لنئوم[٩] ؛ فأيقظاه فقالا له : ائت رسول الله فقل له : إن أبا بكر وعمر يقرئانك السلام ، ويستأدمانك . فقال : « **إنهما قد ائتدما** » . فجاءا فقالا : يا رسول الله ، بأي شيء ائتدمنا ؟ فقال : « **بلحم أخيكما ، والذي نفسي بيده إني لأرىٰ لحمه بين ثناياكما** » . فقالا : استغفر لنا يا رسول الله . فقال : « **مرَاه فليستغفر لكما** » .

وقال الحافظ أبو يعلىٰ : حدثنا الحكم[١٠] بن موسىٰ ، حدثنا محمد بن مسلم ، عن

= أخرجه عبد بن حميد كما في « المنتخب » (ص ٣١٥) برقم (١٠٢٨) .
وقد تابع فيه أبو سفيان وهو : طلحة بن نافع خالد بن عرفطة وهو صدوق ، غير أنه من طريق إبراهيم بن الأشعث البخاري ، إلا أن إبراهيم لم يتفرد به بل تابعه مسدد عند البخاري في الأدب المفرد (٧٣٣) .
والحديث حسنه الألباني في صحيح الأدب المفرد ، وفي غاية المرام برقم (٤٢٩) .

---

[١] - في ز : سليمان .
[٢] - سقط من ز .
[٣] - في ز : يكلماه .
[٤] - في ز : أن .
[٥] - في ز : الذي .
[٦] - في ز : المختار .
[٧] - في ز : حسان .
[٨] - بياض في ز .
[٩] - في ز : « ليواتيهم يوم بينكم » .
[١٠] - في ز : الحاكم .

محمد بن إسحاق ، عن عمه موسىٰ بن يسار ، عن أبي هريرة ؛ قال : قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **من أكل من لحم أخيه في الدنيا ، قرب له لحمه في الآخرة ، فيقال له : كله ميتًا كما أكلته حيًّا** » . قال : « **فيأكله ويَكْلَح ويصيح** »(٨٧) غريب جدًّا .

وقوله : ﴿ **واتقوا اللَّه** ﴾ أي : فيما أمركم به ونهاكم عنه ، فراقبوه في ذلك واخشوا منه ، ﴿ **إن اللَّه تواب رحيم** ﴾ ، أي : تواب علىٰ من تاب إليه ، رحيم بمن رجع إليه ، واعتمد عليه .

قال الجمهور من العلماء : طريق المغتاب للناس في توبته أن يقلع عن ذلك ، ويعزم علىٰ أن لا يعود . وهل يشترط الندم علىٰ ما فات ؟ فيه نزاع ، وأن يتحلل من الذي اغتابه . وقال آخرون : لا يشترط أن يتحللّه فإنه إذا أعلمه بذلك ربما تأذىٰ أشد مما إذا لم يعلم بما كان منه ، فطريقه إذًا أن يثني عليه بما فيه في المجالس التي كان يذمه فيها ، وأن يرد عنه الغيبة بحسبه وطاقته ، فتكون تلك بتلك ، كما قال الإمام أحمد :

حدثنا أحمد بن الحجاج ، أخبرنا[١] عبد اللَّه ، أخبرنا [يحيىٰ بن][٢] أيوب ، عن عبد اللَّه بن سليمان ؛ أن إسماعيل بن يحيىٰ المعافري أخبره أن سهل بن معاذ بن أنس الجهني أخبره ، عن أبيه ، عن النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم ؛ قال : « **من حمى مؤمنًا من منافق يعيبه**[٣] ، **بعث اللَّه إليه**[٤] **ملكًا يحمي لحمه يوم القيامة من نار جهنم . ومن رمىٰ مؤمنًا بشيء يريد شينه**[٥] ، **حبسه اللَّه علىٰ جسر جهنم حتىٰ يخرج مما**[٦] **قال** »(٨٨) .

وكذا رواه أبو داود من حديث عبد اللَّه – وهو ابن المبارك – به بنحوه(٨٩) .

---

(٨٦) – أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره كما في الدر المنثور للسيوطي (١٠٢/٦) .

(٨٧) – إسناده ضعيف ؛ لعنعنة ابن إسحاق وأخرجه الطبراني في « الأوسط » (١٨٢/٢) (١٦٥٦) من طريق محمد بن مسلمة بهذا الإسناد . قال الهيثمي في « مجمع الزوائد » (٩٥/٨) : رواه الطبراني في الأوسط وفيه ابن إسحاق وهو مدلس .

(٨٨) – إسناده ضعيف ؛ من أجل إسماعيل بن يحيى المعافري فإنه مجهول كما في التقريب . والحديث أخرجه أحمد (٤٤١/٣) برقم (١٥٦٩١) .

(٨٩) – سنن أبي داود كتاب : الأدب ، باب : من رد عن مسلم غيبة ، حديث (٤٨٨٣) (٢٧٠/٤ – ٢٧١) . وحسنه الألباني في صحيح أبي داود برقم (٤٠٨٦) .

---

[١] – في ز : حدثنا .

[٢] – بياض في ز .

[٣] – في ز : يغتبه .

[٤] – بياض في ز .

[٥] – في ز : سبته .

[٦] – في ز : بما .

وقال أبو داود أيضًا : حدثنا إسحاق بن الصباح ، حدثنا ابن أبي مريم ، أخبرنا الليث : حدثني يحيىٰ بن سليم أنه سمع إسماعيل بن بَشِير ؛ يقول : سمعت جابر بن عبد اللَّه ، وأبا طلحة ابن سهل الأنصاري ؛ يقولان : قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **ما من امرئ يخذل امرءًا مسلمًا في موضع تُنتَهك فيه حُرمته ويُنتَقص فيه من عرضه ، إلا خذله اللَّه في مواطن يحب فيها نصرته . وما من امرئ ينصر امرءًا**[١] **مسلمًا في موضع ينتقص فيه من عرضه ، [وينتهك فيه من حرمته]**[٢] **، إلا نصره اللَّه في مواطن يحب فيها نصرته** » . تفرد به أبو داود (٩٠) .

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَـٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾ ﴾

يقول تعالىٰ مخبرًا للناس أنه خلقهم من نفس واحدة ، وجعل منها زوجها ، وهما آدم وحواء ، وجعلهم شعوبًا وهي أعم من القبائل ، وبعد[٣] القبائل مراتب أخر كالفصائل والعشائر [والعمائر والأفخاذ][٤] وغير ذلك .

وقيل : المراد بالشعوب بطون العجم ، وبالقبائل بطون العرب ، كما أن الأسباط بطون بني إسرائيل . وقد لخصت هذا في مقدمة مفردة جمعتها من كتاب « **الإنباه** »[٥] لأبىٰ عمر بن عبد البر ، ومن كتاب « **القَصْد والأمم ، في معرفة أنساب العرب والعجم** » . فجميع الناس في الشرف بالنسبة الطينية[٦] إلىٰ آدم وحواء سواء ، وإنما يتفاضلون بالأمور الدينية ، وهي طاعة اللَّه ومتابعة رسوله صلىٰ اللَّه عليه وسلم ؛ ولهذا قال تعالىٰ بعد النهي عن الغيبة واحتقار بعض الناس بعضًا ، منبهًا علىٰ تساويهم في البشرية : ﴿ **يا أيها الناس ؛ إنا خلقناكم من ذكر وأنثىٰ وجعلناكم شعوبًا وقبائل لتعارفوا** ﴾ أي : ليحصل التعارف بينهم ، كل يرجع إلىٰ قبيلته .

---

(٩٠) - إسناده ضعيف .

أخرجه أبو داود في كتاب : الأدب ، باب : من رد عن مؤمن غيبة ، حديث (٤٨٨٤) (٤/٢٧١) .

وفيه إسماعيل بن بشير ، وهو مولى بني مَغَالة ، والراوي عنه يحيى بن سليم - وهو ابن زيد - كلاهما مجهولان .

---

[١] - سقط من ز .

[٢] - سقط من ز .

[٣] - في ز : ويعرفه .

[٤] - في ز : والعماء والاتخاذ .

[٥] - في ز : الأشباه .

[٦] - في ز : اللطيفة .

وقال مجاهد في قوله: ﴿لتعارفوا﴾ كما يقال فلان بن فلان من كذا وكذا. أي: من قبيلة كذا وكذا.

وقال سفيان الثوري: كانت حمير ينتسبون إلى مخاليفها[١]، وكانت عرب الحجاز ينتسبون إلىٰ قبائلها.

وقد قال أبو عيسىٰ الترمذي: حدثنا أحمد بن[٢] محمد، حدثنا عبد الله بن المبارك عن عبد الملك بن عيسىٰ الثقفي، عن يزيد[٣] مولى المنبعث عن أبي هريرة، عن النبي صلىٰ الله عليه وسلم قال: «**تَعَلَّموا من أنسابكم ما تصلون به[٤] أرحامكم، فإن صلة الرحم مَحَبَّةٌ في الأهل، مَثْرَاة في المال، مَنْسَأة في الأثر**». ثم قال: غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه(٩١).

وقوله: ﴿**إن أكرمكم عند الله أتقاكم**﴾ أي: إنما تتفاضلون عند الله بالتقوى لا بالأحساب. وقد وردت الأحاديث بذلك عن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم:

قال البخاري - رحمه الله -: حدثنا محمد بن سلام، حدثنا عبدة، عن عبيد الله، عن سعيد بن أبي سعيد، عن أبي هريرة؛ قال: سئل رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم: أيّ الناس أكرم؟ قال: «**أكرمهم عند الله أتقاهم**». قالوا: ليس عن هذا نسألك. [قال: «**فأكرم الناس يوسف نبي الله، ابن نبي الله، ابن خليل الله**». قالوا: ليس عن هذا نسألك!][٥]. قال: «**فعن معادن العرب تسألوني؟**» قالوا: نعم. قال: «**فخياركم في الجاهلية خياركم في الإسلام إذا فقهوا**»(٩٢).

---

(٩١) - أخرجه الترمذي في كتاب: البر والصلة باب: ما جاء في تعليم النسب، حديث (١٩٨٠) (٦/٣٠٠). وفيه عبد الملك بن عيسى الثقفي، قال فيه الحافظ: مقبول - أي عند المتابعة. وضعف الترمذي هذا الحديث بقوله: غريب. ولعجز الحديث شاهد في الصحيح من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «**من سره أن يبسط له في رزقه وأن ينسأ له في أثره فليصل رحمه**». أخرجه البخاري في كتاب: الأدب، باب: من بسط له في الرزق بصلة الرحم، حديث (٥٩٨٥) (١٠/٤١٥).

(٩٢) - أخرجه البخاري في كتاب: التفسير، باب: ﴿**لقد كان في يوسف وإخوته آيات للسائلين**﴾، حديث (٤٦٨٩) (٨/٣٦٢).

---

[١] - في ز: محاليفها.

[٢] - في ز: حدثنا.

[٣] - في ز: زيد.

[٤] - سقط من ز.

[٥] - ما بين المعكوفين سقط من ز.

وقد رواه البخاري في غير موضع من طرق عن عَبْدَة[١] بن سليمان(٩٣) . ورواه النسائي في التفسير من حديث عُبيد الله - وهو ابن عُمَر العُمَري -به(٩٤) .

(حديث آخر) ، قال مسلم -رحمه الله- : حدثنا عَمْرو[٢] الناقد، حدثنا كثير بن هشام ، حدثنا جعفر بن بُرْقان ، عن يزيد بن الأصَمّ ، عن أبي هريرة ؛ قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **إن الله لا ينظر إلىٰ صوركم وأموالكم ، ولكن ينظر إلىٰ قلوبكم وأعمالكم** »(٩٥) . ورواه ابن ماجة عن أحمد بن سنان عن كثير بن هشام به(٩٦) .

(حديث آخر) ، وقال الإمام أحمد : حدثنا وكيع ، عن أبي هلال ، عن بكر ، عن أبي [ذر؛ قال][٣] : إن النبي صلىٰ الله عليه وسلم قال [ ][٤] : « **انظر ، فإنك لست بخير من أحمر ولا أسود إلا أن تفضله بتقوىٰ** »(٩٧) . تفرد به أحمد .

(حديث آخر) ، وقال الحافظ أبو القاسم الطبراني : حدثنا أبو عُبَيدة عبد الوارث بن إبراهيم العسكري ، حدثنا عبد الرحمن بن عمرو بن جَبَلة ، حدثنا عُبيد بن حُنَين الطائي ، سمعت محمد ابن حَبيب بن خَرَاش العَصَري[٥] يحدث عن أبيه ؛ أنه سمع رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم؛ يقول : « **المسلمون إخوة ، لا فضل لأحد علىٰ أحد إلا بالتقوىٰ** »(٩٨) .

---

(٩٣) - أخرجه البخاري في كتاب : أحاديث الأنبياء ، باب : قول الله تعالى : ﴿ **واتخذ الله إبراهيم خليلًا** ﴾ ، حديث (٣٣٥٣) (٦/٣٨٧) قال : حدثنا علي بن عبد الله ، حدثنا يحيى بن سعيد ، حدثنا عبيد الله ، قال : حدثني سعيد بن أبي سعيد ، عن أبيه عن أبي هريرة .. فذكره . وأطرافه في [٣٣٧٤، ٣٣٨٣، ٣٤٩٠] .

(٩٤) - وأخرجه النسائي في الكبرى في كتاب : التفسير ، تفسير سورة يوسف ، باب : قوله تعالى : ﴿ **لقد كان في يوسف وإخوته** ﴾ ، حديث (١١٢٤٩) (٦/٣٦٧) .

(٩٥) - أخرجه مسلم في كتاب : البر والصلة ، باب : تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره ..، حديث (٢٥٦٤/٣٤) .

(٩٦) - وابن ماجة في كتاب « الزهد » ، باب : القناعة ، حديث (٤١٤٣) (٢/١٣٨٨) .

(٩٧) - مرسل . أخرجه أحمد في مسنده (٥/١٥٨) برقم (٢١٤٨٧) . قال في جامع التحصيل (١٥٠) : بكر بن عبد الله المزني عن أبي ذر ، قال أبو حاتم : هو مرسل . قال الهيثمي في « مجمع الزوائد » (٨/ ٨٧) : رواه أحمد ورجاله ثقات ، إلا أن بكر بن عبد الله المزني لم يسمع من أبي ذر .

=

(٩٨) - ضعيف جدًا .

---

[١] - في ز : عبيدة .

[٢] - في ز : عمر .

[٣] - في ز : ذكر .

[٤] - في ت : له .

[٥] - في ز : المعصري .

(حديث آخر) ، قال أبو بكر البزار في مسنده : حدثنا أحمد بن يحيىٰ الكوفي ، حدثنا الحسن بن الحسين ، حدثنا قيس - يعني ابن الربيع - عن شبيب بن غرقدة ، عن المستظل ابن حُصين ، عن حذيفة قال : قال رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **كلكم بنو آدم ، وآدم خلق من تراب ، ولَيَنتهِينّ قوم يفخرون بآبائهم أو ليكونُنّ أهونَ علىٰ اللّٰه من الجِعْلان**»(٩٩) . ثم قال : لا نعرفه عن حذيفة إلا من هذا الوجه .

(حديث آخر) ؛ قال ابن أبي حاتم : حدثنا الربيع بن سليمان ، حدثنا أسد بن موسىٰ ، حدثنا يحيىٰ بن زكريا القطان[١] ، حدثنا موسىٰ بن عُبيدة ، عن عبد اللّٰه بن دينار ، عن ابن عمر؛ قال : طاف رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم يوم فتح مكة علىٰ ناقته القَصواء يستلم الأركان بِمِحْجَن في يده ، فما وجد لها مُنَاخًا في المسجد حتىٰ نزل صلىٰ اللّٰه عليه وسلم علىٰ أيدي الرجال ، فخرج بها إلىٰ بطن المسيل فأُنيخَت . ثم إن رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم خَطَبهم علىٰ راحلته ، فحمد اللّٰه وأثنىٰ عليه بما هو له أهل ثم قال : « **يا أيها الناس ؛ إن اللّٰه قد أذهب عنكم عُبِّيّة[٢] الجاهلية وتعظمها بآبائها ، فالناس رجلان : رجل بَرّ تقي كريم علىٰ اللّٰه . وفاجر شقي[٣] هين علىٰ اللّٰه ، إن اللّٰه يقول : ﴿ يا أيها الناس ؛ إنا خلقناكم من ذكر وأنثىٰ وجعلناكم شعوبًا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند اللّٰه أتقاكم إن اللّٰه عليم خبير ﴾** » . ثم قال : « **أقول قولي هذا وأستغفر اللّٰه لي ولكم** »(١٠٠) .

وهكذا رواه عبد بن حميد عن أبي عاصم الضحاك بن مخلد عن موسى بن عبيد به(١٠١) .

= أخرجه الطبراني في « الكبير » (٢٥/٤) برقم (٣٥٤٧) . قال الهيثمي في « مجمع الزوائد » (٨٧/٨) : رواه الطبراني وفيه عبد الحميد بن عمرو بن جبله ، وهو متروك . قال ابن أبي حاتم في « الجرح والتعديل » (٢٦٧/٥) : كتبت عنه بالبصرة ، وكان يكذب فضربت على حديثه .

(٩٩) - إسناده ضعيف . أخرجه البزار - كما في مختصر زوائد المسند (٢٢٤/١ - ٢٢٥) (١٧٤٦) . وقال : الحسن هو العرني : ضعيف . قال الحافظ : وشيخه لين .

(١٠٠) - إسناده ضعيف ؛ من أجل موسى بن عبيدة قال عنه الحافظ في التقريب : ضعيف ولا سيما في عبد الله بن دينار (٥٥٢/٢) .

(١٠١) - وأخرجه عبد بن حميد في مسنده (ص ٢٥٣ - منتخب) (٧٩٥) . ويشهد لبعض معاني الحديث ما رواه أبو داود في كتاب الأدب ، باب : في التفاخر بالأحساب ، حديث (٥١١٦) (٣٣١/٤) . والترمذي في كتاب : المناقب ، باب : فضل الشام واليمن ، حديث (٣٩٥٠) . =

[١] - في ز : لفظا .

[٢] - في ز : عتبة . [٣] - في ز : يتقى .

(حديث آخر) ، قال الإمام أحمد : حدثنا يحيىٰ بن إسحاق ، حدثنا ابن لهيعة ، عن الحارث ابن يزيد ، عن علي بن رَبَاح ، عن عقبة[١] بن عامر ؛ أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ؛ قال [٢] : « **إن أنسابكم هذه ليست بمَسبّة علىٰ أحد ، كلكم بنو آدم طَفُّ الصاع لم يملؤه ، ليس لأحد على أحد فضل إلا بدين[٣] وتقوى وكفى بالرجل أن يكون بذيًّا[٤] بخيلًا فاحشًا** »(١٠٢) .

وقد رواه ابن جرير ، عن يونس ، عن ابن وهب ، عن ابن لهيعة به . ولفظه : « **الناس لآدم وحواء ، طَفّ الصاع لم يملؤه ، إن الله لا يسألكم عن أحسابكم ولا عن أنسابكم يوم القيامة ، إن أكرمكم عند الله أتقاكم** »(١٠٣) . وليس هو في شيء من الكتب الستة من هذا الوجه .

(حديث آخر) ، قال الإمام أحمد : حدثنا أحمد بن عبد الملك ، حدثنا شريك ، عن سماك ، عن عبد الله بن عَميرة زوج دُرة بنة أبي لهب عن درة بنة أبي لهب ؛ قالت : قام رجل إلىٰ النبي صلىٰ الله عليه وسلم وهو علىٰ المنبر فقال : يا رسول الله ؛ أي الناس خير ؟ فقال صلىٰ الله عليه وسلم : « **خير الناس أقرؤهم ، وأتقاهم لله - عز وجل - وآمرهم بالمعروف ، وأنهاهم عن المنكر ، وأوصلهم للرحم** »(١٠٤) .

(حديث آخر) ، قال الإمام أحمد : حدثنا حسن ، حدثنا ابن لهيعة ، حدثنا أبو الأسود ، عن القاسم بن محمد ، عن عائشة ؛ قالت : ما أعجب رسول الله صلىٰ الله عليه

= وكلاهما حسنه الألباني في صحيح السنن من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه.

(١٠٢) - حسن إسناده ضعيف ؛ لضعف ابن لهيعة . أخرجه أحمد (١٥٨/٤) برقم (١٧٤٩٤) ، وأخرجه أيضًا (١٤٥/٤) برقم (١٧٣٦١) . والطبراني في الكبير (٢٩٥/١٧) برقم (٨١٤) من طريقين عن ابن لهيعة . قال الهيثمي في « مجمع الزوائد » (٨٧/٨) : رواه أحمد والطبراني ، وفيه ابن لهيعة وفيه لين ، وبقية رجاله وثقوا .

(١٠٣) - إسناده حسن ؛ لأن ابن وهب لم يرو عن ابن لهيعة بعد الاختلاط . أخرجه الطبري (٢٦/ ١٤٠) .

(١٠٤) - إسناده ضعيف . أخرجه أحمد (٤٣٢/٦) ، والطبراني (٢٥٧/٢٤ - ٢٥٨) برقم (٦٥٧) . كلاهما من طريق شريك . وفيه شريك بن عبد الله النخعي ضُعِّف في الحديث . وعبد الله بن عميرة ذكره ابن حجر في التعجيل ، ولم يذكر فيه جرحًا ولا تعديلًا .

وزوج درة لعله دحية بن خليفة الكلبي ، فقد ذكر الحافظ في الإصابة أنه تزوجها بعد مقتل زوجها =

---

[١] - في ز : عيينة .
[٢] - سقط من ز .
[٣] - في ت : بلين .
[٤] - في ز : بدنا .

وسلم شيء من الدنيا ، ولا أعجبه أحد قط ، إلا ذو تقى . تفرد به أحمد ، رحمه الله (١٠٥) .

وقوله : ﴿ إن الله عليم خبير ﴾ أي : عليم بكم ، خبير بأموركم ، فيهدي من يشاء ، ويضل من يشاء ، ويرحم من يشاء ، ويعذب من يشاء ، ويفضل من يشاء على من يشاء ، وهو الحكيم العليم الخبير في ذلك كله . وقد استدل بهذه الآية الكريمة ، وهذه الأحاديث الشريفة ، من ذهب من العلماء إلى أن الكفاءة في النكاح لا تشترط ، ولا يشترط سوى الدين ، لقوله : ﴿ إن أكرمكم عند الله أتقاكم ﴾ . وذهب الآخرون إلى أدلة أخرى مذكورة في كتب الفقه ، و[قد ذكرنا][١] طرفًا من ذلك في « كتاب الأحكام » ، ولله الحمد والمنة . وقد[٢] روى الطبراني عن عبد الرحمن أنه سمع رجلًا من بني هاشم يقول : أنا أولى الناس برسول الله . فقال : غيرك أولى به منك ولك منه نسبه[٣] (١٠٦) .

﴿ قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ ۖ وَإِن تُطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَٰلِكُمْ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿١٥﴾ قُلْ أَتُعَلِّمُونَ

= بيدر كافرًا .

قال ابن الأثير في « أسد الغابة » (١٠٤/٧) : وقد روى عن شريك ، عن عبد الله بن عميرة ، عن رجل عن زوج درة بنت أبي لهب عن بنت أبي جهل وهو وهم .

أخرجه الثلاثة .اهـ .

قال الهيثمي في « المجمع » (٢٦٦/٧) : رواه أحمد ، والطبراني ورجالهما ثقات وفي بعضهم كلام لا يضر .

(١٠٥) - إسناده ضعيف ؛ لضعف ابن لهيعة ، أخرجه أحمد (٦٩/٦) برقم (٢٤٥١١) .

قال الهيثمي في « المجمع » (٨٧/٨) : رواه أحمد وفيه ابن لهيعة وهو لين ، وبقية رجاله رجال الصحيح .

(١٠٦) - إسناده ضعيف . أخرجه الطبراني في « الكبير » (١/ ١٣٤ - ١٣٥) برقم (٢٨٣) .

قال الهيثمي في « مجمع الزوائد » (٨٧/٨) : رواه الطبراني عن شيخه المقدام بن داود وهو ضعيف .

[١] - سقط من ز . [٢] - سقط من ز .

[٣] - سقط من ز .

ٱللَّهَ بِدِينِكُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ
(١٦) يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُل لَّا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَٰمَكُم بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ
هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَٰنِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ (١٧) إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ
وَٱللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (١٨)

يقول تعالىٰ منكرًا علىٰ الأعراب الذين أول ما دخلوا في الإسلام ادّعوا لأنفسهم مقام الإيمان ، ولم يتمكن الإيمان في قلوبهم بعد : ﴿ **قالت الأعراب آمنا ، قل لم تؤمنوا ولكن قولوا : أسلمنا ولما يدخل الإيمان في قلوبكم** ﴾ .وقد استفيد من هذه الآية الكريمة أن الإيمان أخص من الإسلام كما هو مذهب أهل السنة والجماعة ، ويدل عليه حديث جبريل - عليه السلام - حين سأل عن الإسلام ، ثم عن الإيمان ، ثم عن الإحسان(١٠٧) ، فترقىٰ من الأعم إلىٰ الأخص ، ثم للأخص منه .

قال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرزاق ، أخبرنا معمر ، عن الزهري ، عن عامر بن سعد ابن أبي وقاص ، عن أبيه قال : أعطىٰ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم رجالًا ولم يعط رجلًا منهم شيئًا ، فقال سعد : يا رسول الله ، أعطيت فلانًا وفلانًا ولم تُعط فلانًا شيئًا ، وهو مؤمن ؟ فقال النبي صلىٰ الله عليه وسلم : « **أوْ مُسْلِم** » . حتىٰ أعادها سعد ثلاثًا ، والنبي صلىٰ الله عليه وسلم يقول : « **أوْ مسلم** » . ثم قال النبي صلىٰ الله عليه وسلم : « **إني لأعطي رجالًا وأدع من هو أحب إليّ منهم فلا أعطيه شيئًا مخافة أن يكبوا في النار على وجوههم** »(١٠٨) .

أخرجاه في الصحيحين من حديث الزهري به(١٠٩) .

فقد فرق النبي صلىٰ الله عليه وسلم بين المسلم والمؤمن فَدَلّ علىٰ أن الإيمان أخص من الإسلام . وقد قررنا ذلك بأدلته في أول شرح كتاب الإيمان من « **صحيح البخاري** » ولله الحمد والمنة . ودَلّ ذلك علىٰ أن ذاك الرجل كان مسلمًا ليس منافقًا ؛ لأنه تركه من العطاء،

(١٠٧) - أخرجه بطوله مسلم في الصحيح في كتاب الإيمان ، باب : بيان الإسلام والإيمان والإحسان ، حديث (٨) (٢١٣/١ - ٢٢٥) .

(١٠٨) - صحيح . أخرجه أحمد (١٧٦/١) .

(١٠٩) - والبخاري في كتاب : الإيمان ، باب : إذا لم يكن الإسلام على الحقيقة ، حديث (٢٧) (٧٩/١) وطرفه في [١٤٧٨] . ومسلم في كتاب : الإيمان ، باب : تأليف قلب من يخاف على إيمانه لضعفه ، برقم (٢٣٦، ١٥٠/٢٣٧) (٢٣٧/٢ - ٢٣٨) .

ووكله إلىٰ ما هو فيه من الإِسلام ، فدل هذا علىٰ أن هؤلاء الأعراب المذكورين في هذه الآية ليسوا بمنافقين ، وإنما هم مسلمون لم يستحكم الإِيمان في قلوبهم ، فادعوا لأنفسهم مقامًا أعلىٰ مما وصلوا إليه ، فأدبوا في ذلك . وهذا معنىٰ قول ابن عباس وإبراهيم النَّخْعي ، وقتادة ، واختاره ابن جرير . وإنما قلنا هذا لأن البخاري - رحمه الله - ذهب إلىٰ أن هؤلاء كانوا منافقين يُظهرون الإيمان وليسوا كذلك . وقد رُوي عن سعيد بن جُبير ، ومجاهد ، وابن زيد أنهم قالوا في قوله : ﴿ ولكن قولوا أسلمنا ﴾ أي : استسلمنا خوف القتل والسّباء . قال مجاهد : نزلت في بني أسد بن خزيمة . وقال قتادة : نزلت في قوم امتنوا[١] بإيمانهم علىٰ رسول الله صلى الله عليه وسلم .

والصحيح الأول : أنهم قوم ادعوا لأنفسهم مقام الإِيمان ، ولم يحصُل لهم بعد ، فأدّبوا وأعلموا أن ذلك لم يصلوا إليه بعد ، ولو كانوا منافقين لعنّفوا وفُضِحوا ، كما ذكر المنافقون[٢] في سورة براءة . وإنما قيل لهؤلاء تأديبًا : ﴿ قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الإِيمان في قلوبكم ﴾ أي : لم تصلوا إلىٰ حقيقة الإِيمان بعد .

ثم قال : ﴿ وإن تطيعوا الله ورسوله لا يلتكم[٣] من أعمالكم ﴾ أي : لا ينقصكم من أجوركم[٤] ﴿ شيئًا ﴾ ، كقوله : ﴿ وما ألتناهم من عملهم من شيء ﴾ وقوله : ﴿ إن الله غفور رحيم ﴾ أي : لمن تاب إليه وأناب .

وقوله : ﴿ إنما المؤمنون ﴾ أي : إنما المؤمنون الكُمل ﴿ الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا ﴾ أي : لم يشكوا ولا تزلزلوا بل ثبتوا علىٰ حال واحدة ، وهي التصديق المحض ، ﴿ وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله ﴾ أي : وبذلوا مهجهم[٥] ونفائس أموالهم في طاعة الله ورضوانه ، ﴿ أولئك هم الصادقون ﴾ أي : في قولهم إذا قالوا : إنهم مؤمنون ، لا كبعض الأعراب الذين ليس معهم من الدين إلا الكلمة الظاهرة .

وقال الإِمام أحمد : حدثنا يحيىٰ بن غَيلان ، حدثنا رشدين ، حدثني عمرو بن الحارث ، عن أبي السّمح ، عن أبي الهيثم ، عن أبي سعيد ؛ قال[٦] : إن النبي صلىٰ الله عليه وسلم ؛ قال : « المؤمنون في الدنيا علىٰ ثلاثة أجزاء : [الذين][٧] آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله . والذي يأمنه الناس علىٰ أموالهم وأنفسهم . ثم الذي إذا أشرف علىٰ طمع تركه[٨] لله عز وجل »(١١٠) .

---

(١١٠) - إسناده ضعيف . أخرجه أحمد (٣/٨) برقم (١١٠٦٤) وفيه رشدين بن سعد وهو ضعيف .

---

[١] - في ز : أمنوا .
[٢] - في ز : المنافقين .
[٣] - في ز : يالتكم .
[٤] - في ز : أجورها .
[٥] - في ز : مهجتهم .
[٦] - سقط من ز .
[٧] - سقط من ت .
[٨] - في ز : يذكر .

وقوله : ﴿ **قل أتعلمون الله بدينكم** ﴾ أي أتخبرونه بما في ضمائركم ، ﴿ **والله يعلم ما في السموات وما في الأرض** ﴾ أي : لا يخفىٰ عليه من مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء ، ولا أصغر من ذلك ولا أكبر ، ﴿ **والله بكل شيء عليم** ﴾ .

ثم قال : ﴿ **يمنون عليك أن أسلموا** ﴾ ، يعني الأعراب يمنون بإسلامهم ومتابعتهم ونصرتهم علىٰ الرسول ، يقول الله ردًا[١] عليهم : ﴿ **قل لا تمنوا عليّ إسلامكم** ﴾ . فإن نفع ذلك إنما يعود عليكم ، ولله المنة عليكم فيه ، ﴿ **بل الله يمن عليكم أن هداكم للإيمان إن كنتم صادقين** ﴾ أي : في دعواكم ذلك ، كما قال النبي صلىٰ الله عليه وسلم للأنصار يوم حنين : « **يا معشر الأنصار ، ألم أجدكم ضُلالاً فهداكم الله بي؟ وكنتم متفرقين فألفكم الله بي؟ وعالة فأغناكم الله بي** » . **كلما قال شيئًا قالوا : الله ورسوله أمن**(١١١) .

وقال الحافظ أبو بكر البزار : حدثنا إبراهيم بن سعيد الجوهري ، حدثنا يحيىٰ بن سعيد الأموي ، عن محمد بن قيس ، عن أبي عون ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس؛ قال : جاءت بنو أسد إلىٰ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم فقالوا : يا رسول الله ؛ أسلمنا وقاتلتك العرب ، ولم نقاتلك ، فقال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **إن فقههم قليل ، وإن الشيطان ينطق**[٢] **علىٰ ألسنتهم** » . ونزلت هذه الآية : ﴿ **يمنون عليك أن أسلموا قل لا تمنوا عليّ إسلامكم بل الله يمن عليكم أن هداكم للإيمان إن كنتم صادقين** ﴾(١١٢) .

ثم قال : لا نعلمه يروىٰ إلا من هذا الوجه ، ولا نعلم روىٰ أبو عون محمد بن عبيد الله ، عن سعيد بن جبير ، غير هذا الحديث .

ثم كرر الإخبار بعلمه بجميع الكائنات ، وبَصَره بأعمال المخلوقات فقال : ﴿ **إن الله يعلم غيب السموات والأرض والله بصير بما تعملون** ﴾ .

آخر تفسير سورة الحجرات ، ولله الحمد والمنة .

☆ ☆ ☆

= وأبو السمح - دراج - في روايته عن أبي الهيثم ضعف . قال الهيثمي في « مجمع الزوائد » (١/٥٧ - ٥٨) ، رواه أحمد وفيه دراج وقد وثق وضعفه غير واحد .

(١١١) - متفق عليه من حديث عبد الله بن زيد بن عاصم - رضي الله عنه - أخرجه البخاري في كتاب : المغازي ، باب : غزوة الطائف ، حديث (٤٣٣٠) (٨/٤٧) . ومسلم في كتاب « الزكاة » ، باب : إعطاء المؤلفة قلوبهم على الإسلام ، وتصبر من قوى إيمانه ، برقم (١٠٦١/١٣٩) (٧/٢٢٠ - ٢٢١) .

(١١٢) - إسناده صحيح رجاله ثقات .

[١] - في ز : رادًا .
[٢] - في ت : ينطلق .

تفسير سورة ق

وهي مكية

وهذه السورة هي أول الحزب المُفصَّل علىٰ الصحيح ، وقيل : من الحجرات . وأما ما يقوله العامة : إنه من ﴿ عَمّ ﴾ فلا أصل له ، ولم يقله أحد من العلماء المعتبرين فيما نعلم . والدليل علىٰ أن هذه السورة هي أول المفصَّل ما رواه أبو داود(١) في سُننه ، باب « تحزيب القرآن » ثم قال :

حدثنا مسدد ، حدثنا قرّان[١] بن تمام ، (ح) وحدثنا عبد اللّٰه بن سعيد أبو سعيد الأشج ، حدثنا أبو خالد سليمان بن حَيّان - وهذا لفظه - عن عبد اللّٰه بن عبد الرحمن بن يعلىٰ ، عن عثمان بن عبد اللّٰه بن أوس ، عن جده - قال عبد اللّٰه بن سعيد : [حدثنيه][٢] أوس[٣] بن حذيفة - ثم اتفقا قال : قَدمنا علىٰ رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم في وفد ثقيف ، قال : فنزلت الأحلاف علىٰ المغيرة بن شعبة ، وأنزل رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم بني مالك في قُبَّة له . - قال مسدد : وكان في الوفد الذين قدموا علىٰ رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم من ثقيف - قال : كان رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم يأتينا كل ليلة بعد العشاء يحدثنا . قال أبو سعيد : قائمًا علىٰ رجليه حتىٰ يُراوح بين رجليه من طول القيام ، فأكثر ما يحدثنا ما لقي من قومه[٤] قريش ثم يقول : [لا سواء][٥] ، وكنا مستضعفين مستذلين - قال مسدد : بمكة - فلما خرجنا إلى المدينة كانت سجال الحرب بيننا وبينهم ، نُدَال عليهم ويدالون علينا » . فلما كانت ليلة أبطأ [عنا][٦] الوقت الذي كان يأتينا فيه ، فقلنا : لقد أبطأت عنا الليلة ! قال : « **إنه طَرأ عليّ جزئي[٧] من القرآن ، فكرهت أن أجيء حتىٰ أتمه** » . قال أوس : سألتُ أصحاب رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : كيف تحزبون[٨] القرآن ؟ فقالوا : ثلاث ، وخمس ، وسبع ، وتسع ، وإحدىٰ عشرة ، وثلاث عشرة ، وحزب المفصل وحده .

---

(١) - أخرجه أبو داود في كتاب الصلاة ، باب : تحزيب القرآن ، حديث (١٣٩٣) (٢/٥٥ - ٥٦) ، وابن ماجة في كتاب : الإقامة ، باب : في كم يستحب يختم القرآن ، حديث (١٣٤٥) (١/٤٢٧) ، وأحمد في مسنده (٤/ ٩، ٣٤٣) برقم (١٦٢١٤، ١٩٠٧٥) . وضعفه الألباني في ضعيف سنن أبي داود برقم (٢٩٧) .

---

[١] - في ز : فرات .
[٢] - في ت : « في حديثه » .
[٣] - في خ : أويس .
[٤] - سقط من خ .
[٥] - في ز : لا أساء .
[٦] - في ت : عن .
[٧] - في خ : حزبي .
[٨] - في ز : تجزئون .

ورواه ابن ماجة عن أبي بكر بن أبي شيبة ، عن أبي خالد الأحمر به . ورواه الإمام أحمد ، عن عبد الرحمن بن مهدي ، عن عبد الله بن عبد الرحمن ، هو ابن يعلىٰ الطائفي به .

إذا علم هذا فإذا عَدَدتَ ثمانيًا وأربعين سورة فالتي بعدهن سورة « ق » . بيانه

ثلاث : البقرة ، وآل عمران ، والنساء .

وخمس : المائدة ، والأنعام ، والأعراف ، والأنفال ، وبراءة . وسبع : يونس ، وهود ، ويوسف ، والرعد ، وإبراهيم ، والحجر ، والنحل .

وتسع : سبحان ، والكهف ، ومريم ، وطه ، والأنبياء ، والحج ، والمؤمنون ، والنور ، والفرقان .

وإحدىٰ عشرة : الشعراء ، والنمل ، والقصص ، والعنكبوت ، والروم ، ولقمان ، وألم السجدة ، والأحزاب ، وسبأ ، وفاطر ، ويس .

وثلاث عشرة : الصافات ، وص ، والزمر ، وغافر ، وحم السجدة ، وعسق ، والزخرف ، والدخان ، والجاثية ، والأحقاف ، والقتال ، والفتح ، والحجرات . ثم بعد ذلك الحزب المفصل كما قاله الصحابة رضي الله عنهم . فتعين أن أوله سورة « ق » وهو الذي قلناه ، ولله الحمد والمنة .

قال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرحمن بن مهدي ، حدثنا مالك ، عن ضَمرَة بن سعيد عن عُبيد[١] الله بن عبد الله ؛ أن عمر بن الخطاب سأل أبا واقد الليثي : ما كان رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم يقرأ في العيد ؟ قال : بقاف .

واقتربت(٢) . ورواه مسلم وأهل السنن الأربعة من حديث مالك به . وفي رواية لمسلم عن

(٢) – المسند (٢١٧/٥ – ٢١٨) برقم (٢١٩٩١) . وأخرجه مسلم في كتاب : صلاة العيدين ، باب : ما يقرأ به في صلاة العيدين ، حديث (٨٩١/١٤) (٢٥٨/٦) . وأبو داود في كتاب : الصلاة ، باب : ما يقرأ في الأضحى والفطر ، حديث (١١٥٤) ، والترمذي في كتاب : الصلاة ، باب : ما جاء في القراءة في العيدين ، حديث (٥٣٤) (١٥١/٢) ، والنسائي في الكبرى في كتاب « التفسير » ، باب : سورة القمر ، حديث (١١٥٥٠) (٤٧٥/٦) ، وأخرجه النسائي في الصغرى (١٨٣/١ – ١٨٤) كتاب : صلاة العيدين ، باب : القراءة في العيدين بقاف واقتربت . وابن ماجة في كتاب الإقامة ، باب : القراءة في صلاة العيدين ، حديث (١٢٨٢) (٤٠٨/١) .

[١] – في ز ، خ : عبد .

فليح[١] عن ضمرة عن عبيد[٢] الله عن أبي واقد؛ قال: سألني عمر، فذكره(٣).

(حديث آخر) وقال أحمد: حدثنا يعقوب، حدثنا أبي، عن ابن[٣] إسحاق: حدثني عبد الله بن محمد بن أبي بكر بن عمرو[٤] بن حزم، عن يحيى[٥] بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أسعد[٦] بن زرارة، عن أم هشام بنت حارثة؛ قالت: لقد كان تنُّورنا وتَنورُ النبي صلى الله عليه وسلم واحدًا سنتين، أو سنة وبعض سنة، وما أخذت ﴿ **ق والقرآن المجيد** ﴾ إلا على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم، كان يقرؤها كل يوم جمعة على المنبر إذا خطب الناس(٤). [رواه مسلم][٧] [من حديث ابن إسحاق به][٨].

وقال أبو داود: حدثنا محمد بن بشار، حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا شعبة، عن [خُبَيب، عن][٩] عبد الله بن محمد بن مَعْن، عن ابنة الحارث بن النعمان؛ قالت: ما حفظت «ق» إلا من في رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب بها كل جمعة. قالت: وكان تنُّورنا وتنور رسول الله صلى الله عليه وسلم واحدًا(٥).

و[١٠] كذا رواه مسلم والنسائي وابن ماجة من حديث شعبة به.

والقصد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقرأ بهذه السورة في المجامع الكبار، كالعيد والجمع، لاشتمالها على ابتداء الخلق والبعث والنشور، والمعاد والقيام، والحساب، والجنة والنار، والثواب والعقاب، والترغيب والترهيب.

---

(٣) – صحيح مسلم في الموضع السابق برقم (٨٩١/١٥) (٦/٢٥٨ – ٢٥٩).

(٤) – أخرجه أحمد (٦/٤٣٥) برقم (٢٧٥٦٣). ومسلم في كتاب الجمعة، باب: تخفيف الصلاة والخطبة، حديث (٨٧٣/٥٢).

(٥) – سنن أبي داود كتاب: الصلاة، باب: الرجل يخطب على قوس، حديث (١١٠٠) (١/٢٨٨). وأخرجه مسلم في كتاب: الجمعة، باب: تخفيف الصلاة والخطبة، حديث (٨٧٣/٥١). وأخرجه النسائي (٣/٧) كتاب: الجمعة، باب: القراءة في الخطبة، من طريق ابن المبارك عن يحيى عن محمد بن عبد الرحمن عن ابنة حارثة به.

---

[١] – في ز، خ: مالك.

[٢] – في ز: عبد.

[٣] – في ز، خ: أبي.

[٤] – في خ: عمر.

[٥] – في ز، خ: أبي. كذا.

[٦] – في ت: سعد.

[٧] – ما بين المعكوفين سقط من ز.

[٨] – ما بين المعكوفين سقط من ز، خ.

[٩] – في ز: حبيب بن.

[١٠] – سقط من ز.

﴿ قٓ ۚ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْمَجِيدِ ۝١ بَلْ عَجِبُوٓا۟ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ فَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا شَىْءٌ عَجِيبٌ ۝٢ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ۖ ذَٰلِكَ رَجْعٌۢ بَعِيدٌ ۝٣ قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ ٱلْأَرْضُ مِنْهُمْ ۖ وَعِندَنَا كِتَٰبٌ حَفِيظٌۢ ۝٤ بَلْ كَذَّبُوا۟ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ فَهُمْ فِىٓ أَمْرٍ مَّرِيجٍ ۝٥ ﴾

﴿ ق ﴾ حرف من حروف الهجاء المذكورة في أوائل السور ، كقوله : (ص ، ن [وألم وحم ،][١] طس) ونحو ذلك[٢] ، قاله مجاهد وغيره . وقد أسلفنا الكلام عليها ، في أول « سورة البقرة » بما أغنىٰ عن إعادته .

وقد روي عن بعض السلف أنهم قالوا : ﴿ ق ﴾ : جبل محيط بجميع الأرض ، يقال له: جبل قاف . وكأن هذا - والله أعلم - من خرافات بني إسرائيل التي أخذها عنهم بعض الناس ، لما رأىٰ من جواز الرواية عنهم فيما لا يصدق ولا يكذب . وعندي أن هذا وأمثاله وأشباهه من اختلاق بعض زنادقتهم ، يُلبِسون به علىٰ الناس أمر دينهم ، كما افتري في هذه الأمة - مع جلالة قدر علمائها وحفاظها وأئمتها - أحاديث ، عن النبي صلىٰ الله عليه وسلم وما بالعهد من قدم ، فكيف بأمة بني إسرائيل مع طول المدىٰ ، وقلة الحفاظ النقاد فيهم ، وشربهم الخمور ، وتحريف علمائهم الكلم عن مواضعه ، وتبديل كتب الله وآياته ! وإنما أباح الشارع الرواية عنهم في قوله : « **وحَدثوا عن بني إسرائيل ، ولا حَرَجَ** »[٦] فيما قد يجوزه العقل ، فأما فيما [تحيله العقول][٣] ويُحكم عليه بالبطلان . ويغلب علىٰ الظنون كذبه ، فليس من هذا القبيل ، والله أعلم .

وقد أكثر كثير من السلف من المفسرين ، وكذا طائفة كثيرة من الخلف ، من الحكاية عن كتب أهل الكتاب في تفسير القرآن المجيد ، وليس بهم احتياج إلىٰ أخبارهم ، ولله الحمد والمنة ، حتىٰ إن الإمام أبا محمد [ ][٤] عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي رحمه الله أورد هاهنا أثرًا غريبًا لا يصح سنده عن ابن عباس فقال :

حدثنا أبي ، قال : حدثت عن محمد بن إسماعيل المخزومي ، حدثنا ليث بن أبي سليم ، عن مجاهد ، عن ابن عباس قال : خلق الله من وراء هذه الأرض بحرًا محيطًا ، ثم خلق من وراء ذلك [البحر][٥] جبلًا يقال له : « ق » ، السماء الدنيا مرفوفة عليه ، ثم خلق الله

---

[١] - في خ ، ت : ألم حم .
[٢] - سقط من خ .
[٣] - في ز : « يحيله المعقول » .
[٤] - في ز ، خ : بن .
[٥] - سقط من ز ، ت .

من وراء ذلك الجبل أرضًا مثل تلك الأرض سبع مرات . ثم خلق من وراء ذلك بحرًا محيطًا بها ، ثم خلق من[١] وراء ذلك [ ][٢] جبلًا يقال له « ق » ، السماء الثانية مَرْفُوفة عليه ، حتىٰ عد سبع أرضين ، [وسبعة أبحر][٣] ، وسبعة أجبل ، وسبع سماوات . قال : وذلك قوله : ﴿ والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ﴾ .

فإسناد هذا الأثر فيه انقطاع(٧) ، والذي رواه ابن أبي طلحة ، عن ابن عباس في قوله : ﴿ ق ﴾ قال : هو اسم من أسماء اللّٰه ، عز وجل(٨) .

والذي ثبت من مجاهد ، أنه حرف من حروف الهجاء ، كقوله : (ص - ن - حم - طس - [طسم][٤] - ألم) ونحو ذلك . فهذه تبعد ما تقدم عن ابن عباس .

وقيل : المراد

« قُضي الأمر واللّٰهِ »

وأن قوله : ﴿ ق ﴾ دلت علىٰ المحذوف من بقية الكلم كقول الشاعر :

قلت لها : قفي فقالت قاف

وفي هذا التفسير نظر ؛ لأن الحذف في الكلام إنما يكون إذا دلّ دليل عليه ، ومن أين يفهم هذا من ذكر هذا الحرف ؟

وقوله : ﴿ والقرآن المجيد ﴾ أي : الكريم العظيم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، تنزيل من حكيم حميد .

واختلفوا في جواب القسم ما هو ؟ فحكىٰ ابن جرير عن بعض النحاة أنه قوله : ﴿ قد علمنا ما تنقص الأرض منهم وعندنا كتاب حفيظ ﴾ .

---

(٦) - أخرجه البخاري في أحاديث الأنبياء ، باب : ما ذكر عن بني إسرائيل ، حديث (٣٤٦١) (٦/ ٤٩٦) .

(٧) - في إسناده أيضًا ليث بن أبي سليم : اختلط جدًّا ولم يتميز حديثه فترك .

(٨) - أخرجه ابن جرير (١٤٧/٢٦) من طريق علي بن داود ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنا معاوية ، عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس به . والحديث أخرجه الحاكم (٥٥٢/١) من طريق زيد بن المبارك الصنعاني ، ثنا سلام بن وهب الجندي ، حدثني أبي ، عن طاوس ، عن ابن عباس . وصححه ووافقه الذهبي . وقال عنه ابن أبي حاتم في العلل (١٨٧/٢) (٢٠٢٩) : حديث منكر .

---

[١] - سقط من ز ، خ . [٢] - في ز : بها .

[٣] - سقط من ز ، خ . [٤] - سقط من ت .

وفي هذا نظر ؛ بل الجواب هو مضمون الكلام بعد القسم ، وهو إثبات النبوة ، وإثبات المعاد ، وتقريره وتحقيقه وإن لم يكن القسم مُتلقًّى لفظًا ، وهذا كثير في أقسام القرآن كما تقدم في قوله : ﴿ **ص والقرآن ذي الذكر * بل الذين كفروا في عزة وشقاق** ﴾ وهكذا قال هاهنا : ﴿ **ق والقرآن المجيد * بل عجبوا أن جاءهم منذر منهم فقال الكافرون هذا شيء عجيب** ﴾ أي : تعجبوا من إرسال رسول إليهم من البشر ، كقوله تعالىٰ : ﴿ **أكان للناس عجبًا أن أوحينا إلىٰ رجل منهم أن أنذر الناس** ﴾ أي : وليس هذا بعجيب فإن الله يصطفي من الملائكة رسلًا ومن الناس .

ثم قال مخبرًا عنهم في تعجبهم أيضًا من المعاد واستبعادهم لوقوعه[١] : ﴿ **أئذا متنا وكنا ترابًا ذلك رجع بعيد** ﴾ أي يقولون : أئذا متنا وبَلينا ، وتقطعت الأوصال منا ، وصرنا ترابًا كيف يمكن الرجوع بعد ذلك إلىٰ هذه البنية والتركيب ؟ ﴿ **ذلك رجع بعيد** ﴾ أي : بعيد الوقوع . ومعنىٰ هذا أنهم يعتقدون استحالته وعدم إمكانه ، قال الله تعالىٰ رادًّا عليهم : ﴿ **قد علمنا ما تنقص الأرض منهم** ﴾ أي : ما تأكل من أجسادهم في البلىٰ ، نعلم[٢] ذلك ولا يخفىٰ علينا أين تفرقت الأبدان ، وأين ذهبت ، وإلىٰ أين صارت ؟ ﴿ **وعندنا كتاب حفيظ** ﴾ أي : حافظ لذلك ، فالعلم شامل ، والكتاب أيضًا فيه كل الأشياء مضبوطة .

قال العوفي ، عن ابن عباس في قوله : ﴿ **قد علمنا ما تنقص الأرض منهم** ﴾ أي : ما تأكل من لحومهم وأبشارهم ، وعظامهم وأشعارهم، وكذا قال مجاهد وقتادة والضحاك وغيرهم .

ثم بين تعالىٰ سبب كفرهم وعنادهم واستبعادهم ما ليس ببعيد؛ فقال : ﴿ **بل كذبوا بالحق لما جاءهم فهم في أمر مريج** ﴾ أي : وهذا حال كل من خرج عن الحق ، مهما قال بعد ذلك فهو باطل . والمريج : المختلف المضطرب الملتبس المنكر[٣] خلاله ، كقوله : ﴿ **إنكم لفي قول مختلف * يؤفك عنه من أفك** ﴾ .

أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَـٰهَا وَزَيَّنَّـٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴿٦﴾
وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَـٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ تَبْصِرَةً
وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٨﴾ وَنَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً مُّبَـٰرَكًا فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ جَنَّـٰتٍ

---

[١] - في ز : بوقوعه . [٢] - في ز : لعلم .
[٣] - في ز : منكر .

وَحَبَّ ٱلْحَصِيدِ ﴿٩﴾ وَٱلنَّخْلَ بَاسِقَٰتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ ﴿١٠﴾ رِّزْقًا لِّلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا كَذَٰلِكَ ٱلْخُرُوجُ ﴿١١﴾

يقول تعالىٰ منبهًا للعباد علىٰ قدرته العظيمة التي أظهر بها ما هو أعظم مما تعجبوا مستبعدين لوقوعه : ﴿ **أفلم ينظروا إلىٰ السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها** ﴾ أي : بالمصابيح ، ﴿ **وما لها من فروج** ﴾ . قال مجاهد : يعني من شقوق . وقال غيره : فتوق . وقال غيره : من[١] صدوع . والمعنىٰ متقارب ؛ كقوله تعالىٰ : ﴿ **الذي خلق سبع سموٰت طباقًا ما ترىٰ في خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترىٰ من فطور * ثم ارجع البصر كرتين ينقلب إليك البصر خاسئًا وهو حسير** ﴾ أي : كليل ، أي : عن [أن يرى][٢] عيبًا أو نقصًا .

وقوله : ﴿ **والأرض مددناها** ﴾ أي : وسعناها وفرشناها ، ﴿ **وألقينا فيها رواسي** ﴾ ، وهي الجبال ، لئلا تميد بأهلها وتضطرب ، فإنها مُقَرة علىٰ تيار الماء المحيط بها من جميع جوانبها ، ﴿ **وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج** ﴾ أي : من جميع الزروع والثمار والنبات والأنواع ، ﴿ **ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون** ﴾ . وقوله : ﴿ **بهيج** ﴾ أي : حسن نَضِر ﴿ **تبصرة وذكرىٰ لكل عبد منيب** ﴾ أي : ومشاهدة خلق السماوات والأرض[٣] وما جُعل فيهما من الآيات العظيمة تبصرة ودلالة وذكرىٰ ﴿**لكل عبد منيب**﴾ أي: خاضع خائف وَجِل رَجّاع إلىٰ الله عز وجل .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **ونزلنا من السماء ماء مباركًا** ﴾ ، أي : نافعًا ﴿ **فأنبتنا به جنات** ﴾ ، أي : حدائق من بساتين ونحوها ﴿ **وحب الحصيد** ﴾ ، وهو : الزرع الذي يُرادُ لحبّه وادخاره .

﴿ **والنخل باسقات** ﴾ أي: طوالًا شاهقات . وقال ابن عباس ، ومجاهد ، وعكرمة ، والحسن ، وقتادة ، والسدي ، وغيرهم : الباسقات الطوال ﴿ **لها طلع نضيد** ﴾ ، أي : منضود ﴿ **رزقًا للعباد** ﴾ أي : للخلق ، ﴿ **وأحيينا به بلدة ميتًا** ﴾ ، وهي الأرض التي كانت هامدة ، فلما نزل عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج ، من أزاهير وغير ذلك ، مما يحار الطَّرْفُ في حسنها ، وذلك بعد ما كانت لا نباتَ بها[٤] ، فأصبحت تهتز خضراء ، فهذا مثال للبعث بعد الموت والهلاك ، كذلك يحيي الله الموتىٰ . وهذا

---

[١] - سقط من خ .
[٢] - في ز : ترى .
[٣] - سقط من ت .
[٤] - سقط من ز ، خ .

المُشَاهَدُ من عظيم قدرته بالحس أعظمُ مما أنكره الجاحدون للبعث ، كقوله تعالىٰ : ﴿ لخلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس ﴾ . وقوله : ﴿ [أو لم يروا أن الله الذي خلق السموات والأرض ولم يعي بخلقهن][١] بقادر علىٰ أن يحيي الموتىٰ بلىٰ إنه علىٰ كل شيء قدير ﴾ . وقال تعالىٰ : ﴿ ومن آياته أنك ترىٰ الأرض خاشعة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت إن الذي أحياها لمحيي الموتىٰ إنه علىٰ كل شيء قدير ﴾ .

كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَـٰبُ ٱلرَّسِّ وَثَمُودُ ﴿١٢﴾ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَٰنُ لُوطٍ ﴿١٣﴾ وَأَصْحَـٰبُ ٱلْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ كُلٌّ كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ ﴿١٤﴾ أَفَعَيِينَا بِٱلْخَلْقِ ٱلْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٥﴾

يقول تعالىٰ متهددًا لكفار قريش بما[٢] أحله بأشباههم ونظرائهم وأمثالهم من المكذبين قبله ، من النقمات والعذاب الأليم في الدنيا ، كقوم نوح وما عذبهم الله به[٣] من الغرق العام لجميع أهل الأرض ، وأصحاب الرس وقد تقدمت قصتهم في « **سورة الفرقان** » ﴿ **وثمود * وعاد وفرعون وإخوان لوط** ﴾ ، وهم أمته الذين بعث إليهم من أهل سَدُوم ومعاملتها من الغور ، وكيف خسف الله بهم الأرض ، وأحال أرضهم بحيرة منتنة خبيثة ؛ بكفرهم وطغيانهم ومخالفتهم الحق ، ﴿ **وأصحاب الأيكة** ﴾ وهم قوم شعيب - عليه السلام - ﴿ **وقوم تبع** ﴾ ، وهو اليماني . وقد ذكرنا من شأنه في « **سورة الدخان** » بما أغنى عن إعادته هاهنا ، ولله الحمد .

﴿ **كل كذب الرسل** ﴾ أي : كل من هذه الأمم وهؤلاء القرون كذب رسوله ، ومن كذب برسول[٤] فكأنما كذب بجميع[٥] الرسل ، كقوله : ﴿ **كذبت قوم نوح المرسلين** ﴾ ، وإنما جاءهم رسول واحد ، فهم في نفس الأمر لو جاءهم جميع الرسل كذبوهم ، ﴿ **فحق وعيد** ﴾ أي : فحق عليهم ما أوعدهم الله علىٰ التكذيب من العذاب والنكال . فليحذر المخاطبون أن يصيبهم ما أصابهم ؛ فإنهم قد كذبوا رسولهم كما كذب أولئك .

وقوله : ﴿ **أفعيينا بالخلق الأول** ﴾ أي : أفأعجزنا ابتداء الخلق حتىٰ هم في شك من الإعادة ، ﴿ **بل هم في لبس من خلق جديد** ﴾ : والمعنىٰ أن ابتداء الخلق لم يعجزنا

---

[١] - ما بين المعكوفين في ز : « أوليس الذي خلق السماوات والأرض » . وهو خطأ .

[٢] - في ز : مما .

[٣] - سقط من ز .

[٤] - في خ : رسولًا .

[٥] - في خ : جميع .

والإعادة أسهل منه ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه** ﴾ وقال اللّٰه تعالىٰ : ﴿ **وضرب لنا مثلا ونسي خلقه قال من يحيى العظام وهي رميم * قل يحييها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم** ﴾ . وقد تقدم في الصحيح : « **يقول اللّٰه تعالىٰ : يؤذيني ابن آدم ، يقول : لن يعيدني كما بدأني . وليس أول الخلق بأهون عليّ من إعادته** » (٩) .

وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ
﴿١٦﴾ إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ
رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾ وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ۖ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴿١٩﴾ وَنُفِخَ
فِى ٱلصُّورِ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْوَعِيدِ ﴿٢٠﴾ وَجَآءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ ﴿٢١﴾ لَّقَدْ
كُنتَ فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَـٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴿٢٢﴾

يخبر تعالىٰ عن قدرته علىٰ الإنسان بأنه خالقه ، وعلْمهُ محيط بجميع أموره ، حتىٰ إنه تعالىٰ يعلم ما توسوس به نفوس بني آدم من الخير والشر . وقد ثبت في الصحيح عن رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم أنه قال : « **إن اللّٰه تجاوز لأمتي ما حدثت به أنفسها ما لم تقل أو تعمل** » (١٠) .

وقوله : ﴿ **ونحن أقرب إليه من حبل الوريد** ﴾ ، يعني ملائكته تعالىٰ أقربُ إلىٰ الإنسان من حبل وريده إليه . ومن تأوله علىٰ العلم فإنما فرّ لئلا يلزم حلول[١] أو اتحاد ، وهما منفيان بالإجماع ، تعالىٰ اللّٰه وتقدس ، ولكن اللفظ لا يقتضيه فإنه لم يقل : وأنا أقرب إليه من حبل الوريد ، وإنما قال : ﴿ **ونحن أقرب إليه من حبل الوريد** ﴾ ، كما قال في المحتَضِر : ﴿ **ونحن أقرب إليه منكم ولكن لا تبصرون** ﴾ يعني : ملائكته ؛ وكما قال : ﴿ **إنّا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون** ﴾ فالملائكة نزلت بالذكر - وهو القرآن - بإذن اللّٰه عز وجل . وكذلك الملائكة أقرب إلىٰ الإنسان من حبل وريده إليه بإقدار[٢] اللّٰه لهم علىٰ ذلك ،

---

(٩) - أخرجه البخاري في كتاب : التفسير ، باب : في تفسير سورة : ﴿ **قل هو اللّٰه أحد** ﴾ ، حديث (٤٩٧٤) (٨/٧٣٩) ، وأخرجه بنحوه برقم (٤٩٧٥) .

(١٠) - أخرجه البخاري في كتاب : العتق ، باب : الخطأ والنسيان في العتاقة والطلاق ونحوه ، حديث (٢٥٢٨) (٥/١٦٠) من حديث أبي هريرة .

---

[١] - في خ : طول . [٢] - في ز ، خ : باقتدار .

فللملك لَمَّةٌ في الإنسان كما أن للشيطان لمة ، وكذلك : « **الشيطان يجري من ابن آدم مجرىٰ الدم** »(١١). كما أخبر بذلك الصادق المصدوق ؛ ولهذا قال هاهنا : ﴿ **إذ يتلقىٰ المتلقيان** ﴾ ، يعني الملكين اللذين يكتبان عمل الإنسان . ﴿ **عن اليمين وعن الشمال قعيد** ﴾ أي مترصد ﴿ **ما يلفظ** ﴾ أي[١] : ابن آدم ﴿ **من قول** ﴾ أي : ما يتكلم بكلمة ﴿ **إلا لديه رقيب عتيد** ﴾ أي : إلا ولها من يراقبها مُعْتَدّ لذلك يكتبها ، لا يترك كلمة ولا حركة ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **وإن عليكم لحافظين * كرامًا كاتبين * يعلمون ما تفعلون** ﴾ .

وقد اختلف العلماء : هل يكتب الملك كل شيء من الكلام ، وهو قول الحسن وقتادة ، أو إنما يكتب ما فيه ثواب وعقاب كما هو قول ابن عباس ؟ علىٰ قولين ، وظاهر الآية الأول ؛ لعموم قوله : ﴿ **ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد** ﴾ .

وقد قال الإمام أحمد : حدثنا أبو[٢] معاوية ، حدثنا محمد بن عمرو بن علقمة الليثي ، عن أبيه ، عن جَدّه علقمة ، عن بلال بن الحارث المزني ؛ قال : قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **إن الرجل ليتكلم بالكلمة من رضوان اللَّه تعالىٰ ما يظن أن تبلغ ما بلغت ، يكتب اللَّه له بها رضوانه إلىٰ يوم يلقاه . وإن الرجل ليتكلم بالكلمة من سَخَط اللَّه ما يظن أن تبلغ ما بلغت ، يكتب اللَّه عليه بها سَخَطه إلىٰ يوم يلقاه** »(١٢). قال : فكان علقمة يقول : كم من كلام قد منعنيه حديث بلال بن الحارث .

ورواه الترمذي والنسائي وابن ماجة ، من حديث محمد بن عمرو ، به(١٣) . وقال

---

(١١) - أخرجه البخاري في كتاب : الاعتكاف ، باب : هل يخرج المعتكف لحوائجه إلى باب المسجد ؟ حديث (٢٠٣٥) (٤/٢٧٨) .

وأطرافه في : [٢٠٣٨، ٢٠٣٩، ٣١٠١، ٣٢٨١، ٦٢١٩، ٧١٧١] .

ومسلم في كتاب : السلام ، باب : بيان أنه يستحب لمن رُئي خاليًا بامرأة ، وكانت زوجته ، أو محرمًا له ، أن يقول : هذه فلانة ؛ ليدفع ظن السوء به ، حديث (٢٤، ٢٥/٢١٧٥) (٤/٢٢٤ - ٢٢٥) .

(١٢) - أخرجه أحمد (٣/٤٦٩) برقم (١٥٨٩٥) وفيه عمرو بن علقمة الليثي ، قال فيه الحافظ : مقبول . لكن للحديث شاهد صحيح من حديث أبي هريرة .

أخرجه البخاري في كتاب : الرقاق ، باب : حفظ اللسان ، حديث (٦٤٧٧) (١١/٣٠٨) وطرفه في [٦٤٧٨] . ومسلم في كتاب الزهد والرقائق ، باب : التكلم بالكلمة يهوي بها في النار ، حديث (٤٩، ٥٠/٢٩٨٨) .

(١٣) - أخرجه الترمذي في كتاب « الزهد » ، باب : في قلة الكلام ، حديث (٢٣٢٠) (٧/٧٨) . والنسائي في الكبرى كما في تحفة الأشراف (٢/٥٥٥) (٢٠٢٨) ، وابن ماجة في كتاب : الفتن ، باب : كف اللسان في الفتنة ، حديث (٣٩٦٩) (٢/١٣١٢ - ١٣١٣) . وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي برقم (١٨٨٨ - ٢٤٣٥) .

---

[١] - سقط من خ . [٢] - في ز ، خ : ابن .

الترمذي : « حسن صحيح » . وله شاهد في الصحيح(١٤) .

وقال الأحنف بن قيس : صاحب اليمين يكتب الخير ، وهو أمير علىٰ صاحب الشمال ، فإن أصاب العبد خطيئة[١] قال له : أمسك فإن استغفر اللّه تعالىٰ نهاه أن يكتبها ، وإن أبىٰ كتبها(١٥) . رواه ابن أبي حاتم .

وقال الحسن البصري - وتلا هذه الآية : ﴿ **عن اليمين وعن الشمال قعيد** ﴾ : يا ابن آدم ، بُسطت لك صحيفة ، ووكل[٢] بك ملكان كريمان ، أحدهما عن يمينك ، والآخر عن شمالك ، فأما الذي عن يمينك فيحفظ حسناتك ، وأما الذي عن يسارك فيحفظ سيئاتك ، [فاعمل][٣] ما شئت ، أقلل أو أكثر حتىٰ إذا مت طُويت صحيفتك ، وجُعلت في عنقك معك في قبرك ، حتىٰ تخرج يوم القيامة ، فعند ذلك يقول : ﴿ **وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه ونُخرج له يوم القيامة كتابًا يلقاه منشورًا * اقرأ كتابك كفىٰ بنفسك اليوم عليك حسيبًا** ﴾ . ثم يقول : عَدَل - واللّه - فيك مَنْ جعلك حسيبَ نفسك .

وقال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : ﴿ **ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد** ﴾ ، قال : يكتب كل ما تكلم به من خير أو شر ، حتىٰ إنه ليكتب قوله : « **أكلت ، شربت ، ذهبت ، جئت ، رأيت** » ، حتىٰ إذا كان يوم الخميس عُرض قوله وعمله ، فأقر منه ما كان فيه من خير أو شر ، وألقي سائره ، وذلك قوله : ﴿ **يمحو اللّه ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب** ﴾ . وذكر عن الإمام أحمد أنه كان يئن في مرضه ، فبلغه عن طاوس

---

(١٤) - أخرجه البخاري (٦٤٧٧) ، ومسلم (٤٩، ٥٠ /٢٩٨٨) ، كلاهما من حديث أبي هريرة وقد تقدم قريبًا .

(١٥) - أخرجه الطبراني (٢١٧/٨ - ٢١٨) برقم (٧٧٦٥) ، (٢٢٥/٨) برقم (٧٧٨٧) . والبيهقي في الشعب (٣٩٠/٥ - ٣٩١) برقم (٧٠٤٩، ٧٠٥٠) . كلاهما من طريق القاسم بن عبد الرحمن أبو عبد الرحمن الأموى ، عن أبي أمامة مرفوعًا به ، نحوه . والقاسم قال عنه الحافظ : صدوق يغرب كثيرًا . وفي إسناد الطبراني الأول إسماعيل بن عياش ، وقد رواه عن عاصم بن رجاء بن حيوة ، وفي روايته عن الحجازيين ضعف . وفي إسناده الثاني : الوليد بن مسلم وهو مدلس ويسوي . وفي إسناد البيهقي الأول : جعفر بن الزبير وهو متروك . وفي إسناده الثاني بشر بن نمير متروك . فهذا الحديث رغم تعدد طرقه عن القاسم ؛ إلا أن أحدها لا يخلو من مقال . قال الهيثمي في المجمع (٢١١/١٠) : رواه الطبراني وفيه جعفر ابن الزبير ، وهو كذاب ، ولكنه موافق لما قبله وليس فيه شيء زائد غير أن الحسنة يكتبها بعشر أمثالها وقد دل القرآن والسنة على ذلك .اهـ . وقد ذكر الهيثمي حديثًا قبله بنحوه وقال : رواه الطبراني بأسانيد رجال أحدها وثقوا .

---

[١] - سقط من خ .

[٢] - في خ : ووكلت .

[٣] - في ز ، خ : فاملك .

أنه قال : يكتب الملك كل شيء حتىٰ الأنين . فلم يئن أحمد حتىٰ مات رحمه اللَّه .

وقوله : ﴿ **وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد** ﴾ ، يقول تعالىٰ وجاءت - أيها الإِنسان - سكرة الموت بالحق ، أي : كَشَفَت لك عن اليقين الذي كنت تمتري فيه ﴿ **ذلك ما كنت منه تحيد** ﴾ أي : هذا هو الذي كنت تفر منه قد جاءك ، فلا محيد ولا مناص ، ولا فكاك ولا خلاص .

وقد اختلف المفسرون في المخاطب بقوله : ﴿ **وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد** ﴾ ، فالصحيح أن المخاطب بذلك الإِنسان من حيث هو . وقيل : الكافر ، وقيل غير ذلك .

وقال أبو بكر بن أبي الدنيا : حدثنا إبراهيم بن زياد - سَبَلان - أخبرنا عَبَّاد بن عَبَّاد عن محمد بن عمرو بن علقمة ، عن أبيه ، عن جده علقمة بن وقاص؛ أن عائشة -رضي اللَّه عنها- قالت : حضرت أبي وهو يموت وأنا جالسة عند رأسه ، فأخذته غشية فتمثلت ببيت من الشعر :

من لا يزال دمعه مقنعًا فإنه لا بد مرة مدفوق[١]

قالت : فرفع رأسه فقال : يا بنية[٢] ؛ ليس كذلك ، ولكن كما قال اللَّه تعالىٰ : ﴿ **وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد** ﴾ (١٦).

وحدثنا خَلَف بن هشام ، حدثنا أبو شهاب ، عن إسماعيل بن أبي خالد ، عن البَهِيّ قال : لما أن ثقل أبو بكر -رضي اللَّه عنه- جاءت عائشة -رضي اللَّه عنها- فتمثلت بهذا البيت :

لعمرك ما يغني الثراء عن الفتىٰ إذا حشرجت يومًا وضاق بها الصدر

فكشف عن وجهه وقال : ليس كذلك ، ولكن قولي : ﴿ **وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد** ﴾ (١٧). وقد أوردت لهذا الأثر طُرقًا في سيرة الصديق عند ذكر وفاته رضي اللَّه عنه .

وقد ثبت في الصحيح عن النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم أنه[٣] لما تغشاه الموت جعل يمسح

(١٦) - في إسناده عمرو بن علقمة قال عنه الحافظ : مقبول .

(١٧) - في إسناده البهي ، وقد ذكره ابن حبان في الثقات .

[١] - في ز ، خ : مدفون . [٢] - في ز : بني .

[٣] - سقط من ت .

العرق عن وجهه ويقول : « **سبحان الله ! إن للموت لَسَكَرَات** »(١٨).

وفي قوله : ﴿ **ذلك ما كنت منه تحيد** ﴾ قولان :

أحدهما : أن « ما » هاهنا موصولة ، أي : الذي كنت منه تحيد - بمعنىٰ : تبتعد وتنأىٰ وتفر - قد حَلّ بك ونزل بساحتك .

والقول الثاني : أن « ما » نافية بمعنى ذلك ما كنت تقدر على الفرار منه ولا [الحيد عنه][١] .

وقد قال الطبراني في « المعجم الكبير » : حدثنا محمد بن علي الصائغ المكي ، حدثنا حفص [ ][٢] بن عُمر الحدي ، حدثنا معاذ بن محمد الهذلي ، عن يونس بن عبيد ، عن الحسن ، عن سمرة قال : قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **مثل الذي يفر من الموت مثل الثعلب ، تطلبه الأرض بدين ، فجاء يسعىٰ حتىٰ إذا أعيى وأسهر دخل جُحره ، فقالت له الأرض : يا ثعلب ؛ ديني . فخرج وله حُصَاص(*) فلم يزل كذلك حتى تقطعت عنقه ومات** »(١٩).

ومضمون هذا المثل : كما لا انفكاك له ولا محيد عن الأرض كذلك الإنسان لا محيد له عن الموت .

وقوله : ﴿ **ونفخ في الصور ذلك يوم الوعيد** ﴾ . قد تقدم الكلام علىٰ حديث النفخ في الصور [والفَزَع][٣] والصعق والبعث ، وذلك يوم القيامة . وفي الحديث أن رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم قال : « **كيف أنعم وصاحب القَرْن قد التقم القرن وحنىٰ جبهته ، وانتظر أن يؤذن له** » . قالوا : يا رسول اللَّه ؛ كيف نقول ؟ قال : « **قولوا : حسبنا اللَّه ونعم الوكيل** » . فقال القوم : حسبنا اللَّه ونعم الوكيل(٢٠) .

---

(١٨) - أخرجه البخاري في كتاب : الرقائق ، باب : سكرات الموت ، حديث (٦٥١٠) (٣٦١/١١) .

(*) الحُصاص : شدة العدو وحدته . وقيل : هو أن يمصع بذنبه ويصر بأذنيه ويعدو . وقيل : هو الضراط . النهاية (٣٩٦/١) .

(١٩) - أخرجه الطبراني في الكبير (٢٦٨/٧) (٦٩٢٢) . قال الهيثمي في « المجمع » (٣٢٣/٢) : رواه الطبراني في الكبير والأوسط ، وفيه معاذ بن محمد الهذلي ؛ قال العقيلي : لايتابع على رفع حديثه .

(٢٠) - أخرجه أبو يعلى في مسنده (٣٣٩/٢ - ٣٤٠) (١٠٨٤) . وابن حبان في صحيحه (١٠٥/٣) كتاب : الرقائق ، باب : « الأذكار » ، حديث (٨٢٣) . كلاهما من طريق ابن أبي شيبة ، عن جرير=

---

[١] - في ت : تحيد . وفي ز : الحيد .

[٢] - في ز : عن .

[٣] - في ز : للفزع .

﴿ **وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد** ﴾ ، أي : ملك يسوقه إلىٰ المحشر ، وملك يشهد عليه بأعماله . هذا هو الظاهر من الآية الكريمة . وهو اختيار ابن جرير ثم روىٰ من حديث إسماعيل بن أبي خالد ، عن يحيىٰ بن رافع - مولىٰ لثقيف - قال : سمعت عثمان ابن عفان يخطب ، فقرأ هذه الآية : ﴿ **وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد** ﴾ ، فقال : سائق يسوقها إلىٰ الله، وشاهد يشهد عليها بما عملت(٢١) . وكذا قال مجاهد وقتادة وابن زيد .

وقال مُطَرِّف ، عن[١] أبي جعفر - مولىٰ أشجع - عن أبي هُريرة : السائق الملك ، والشهيد العمل . وكذا قال الضحاك والسدي .

وقال العوفي ، عن ابن عباس : السائق من الملائكة ، والشهيد الإنسان نفسه يشهد على نفسه . وبه قال الضحاك بن مزاحم أيضًا .

وحكىٰ ابن جرير ثلاثة أقوال في المراد بهذا الخطاب في قوله : ﴿ **لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد** ﴾ ، أحدها أن المراد بذلك الكافر . رواه علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس . وبه يقول الضحاك بن مُزاحم وصالح بن كيسان .

والثاني : أن المراد بذلك كل أحد من برّ وفاجر ؛ لأن الآخرة بالنسبة إلىٰ الدنيا كاليقظة والدنيا كالمنام[٢] . وهذا اختيار ابن جرير ، ونقله عن حُسين بن عبد الله بن عبيد الله بن عباس .

والثالث : أن المخاطب بذلك النبي صلىٰ الله عليه وسلم . وبه يقول زيد بن أسلم وابنه . والمعنىٰ علىٰ قولهما : لقد كنت في غفلة من هذا الشأن قبل أن يُوحىٰ إليك ، فكشفنا عنك غطاءك بإنزاله إليك ، فبصرك اليوم حديد .

والظاهر من السياق خلاف هذا ، بل الخطاب مع الإنسان من حيث هو ، والمراد بقوله : ﴿ **لقد كنت في غفلة من هذا** ﴾ ، يعني من هذا اليوم ، ﴿ **فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد** ﴾ ، أي : قوي ؛ لأن كل واحد يوم القيامة يكون مستبصرًا ، حتىٰ الكفار في الدنيا يكونون[٣] يوم القيامة علىٰ الاستقامة ، لكن لا ينفعهم ذلك ، قال الله تعالىٰ :

= عن الأعمش ، عن أبي صالح عن أبي سعيد الخدري به ، وهو إسناد صحيح . وللحديث طرق أخرى عند أحمد وغيره .

(٢١) - أخرجه الطبري في تفسيره (١٦١/٢٦) . ومهران : صدوق له أوهام .

---

[١] - في ز ، خ : و . [٢] - في ز ، خ : كمنام .

[٣] - في ز ، خ : يدركون .

﴿ أسمع بهم وأبصر يوم يأتوننا ﴾ . وقال تعالىٰ : ﴿ ولو ترىٰ إذ المجرمون ناكسو رءوسهم عند ربهم ربنا أبصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحًا إنا موقنون ﴾ .

وَقَالَ قَرِينُهُۥ هَٰذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ ﴿٢٣﴾ أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٢٤﴾ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُّرِيبٍ ﴿٢٥﴾ ٱلَّذِي جَعَلَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِي ٱلْعَذَابِ ٱلشَّدِيدِ ﴿٢٦﴾ ۞ قَالَ قَرِينُهُۥ رَبَّنَا مَآ أَطْغَيْتُهُۥ وَلَٰكِن كَانَ فِي ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ ﴿٢٧﴾ قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِٱلْوَعِيدِ ﴿٢٨﴾ مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٢٩﴾

يقول تعالىٰ مخبرًا[١] عن الملك الموكل بعمل ابن آدم : إنه يشهد عليه يوم القيامة بما فعل ، ويقول : ﴿ هذا ما لدي عتيد ﴾ أي : مُعتَدٌ محضر بلا زيادة ولا نقصان .

وقال مجاهد : هذا كلام الملك السائق يقول : هذا ابن آدم الذي وكلتني به قد أحضرته .

وقد اختار ابن جرير أنه يعم السائق والشهيد ، وله اتجاه[٢] وقوة .

فعند ذلك يحكم اللّٰه سبحانه وتعالى في الخليقة بالعدل فيقول : ﴿ ألقيا في جهنم كل كفار عنيد ﴾ .

وقد اختلف النحاة في قوله : ﴿ ألقيا ﴾ ، فقال بعضهم : هي لغة لبعض العرب يخاطبون المفرد بالتثنية ، كما روي عن الحجاج أنه كان يقول : يا حرسي ، اضربا عنقه . ومما[٣] أنشد ابن جرير علىٰ هذه اللغة قول الشاعر :

فإن تزجراني - يا بن عفان - أنزجر وإن تتركاني أحم عرضًا ممنعًا

وقيل : بل هي نون التوكيد ، سهلت إلىٰ الألف . وهذا بعيد ؛ لأن هذا إنما يكون في الوقف ، والظاهر أنها مخاطبة مع السائق والشهيد ، فالسائق أحضره إلىٰ عرصة الحساب ، فلما أدىٰ الشهيد عليه ، أمرهما اللّٰه تعالىٰ بإلقائه في نار جهنم وبئس المصير .

﴿ ألقيا في جهنم كل كفار عنيد ﴾ أي : كثير الكفر والتكذيب بالحق ، ﴿ عنيد ﴾ :

---

[١] - سقط من ز ، خ .

[٢] - في ز : الحياة .

[٣] - في ز ، خ : وفيما .

معاند للحق ، معارض له بالباطل مع علمه بذلك . ﴿ **مناع للخير** ﴾ أي : لا يؤدي ما عليه من الحقوق ، ولا بر فيه ولا صِلة ولا صدقة ، ﴿ **معتد** ﴾ أي فيما ينفقه ويصرفه ، يتجاوز فيه الحد .

وقال قتادة : معتد في منطقه وسيرته وأمره .

﴿ **مريب** ﴾ أي : شاك في[١] أمره ، مريب لمن نظر في أمره . ﴿ **الذي جعل مع الله إلهًا آخر** ﴾ أي : أشرك بالله فعبد معه غيره ، ﴿ **فألقياه في العذاب الشديد** ﴾ . وقد تقدم في الحديث أن[٢] عُنُقًا من النار يبرز للخلائق فينادي بصوت يسمع الخلائق : إني وكلت بثلاثة ؛ بكل جبار عنيد ، ومن جعل مع الله إلهًا آخر ، وبالمصورين . ثم تلوىٰ عليهم (٢٢) .

قال الإمام أحمد : حدثنا معاوية - هو ابن هشام - حدثنا شيبان ، عن فِرَاس ، عن عطية ، عن أبي سعيد الخدري ، عن نبي الله صلىٰ الله عليه وسلم ؛ أنه قال : « **يخرج عُنُق من النار يتكلم ، يقول : وكلت اليوم بثلاثة : بكل جبار ، ومن جعل مع الله إلهًا آخر ، ومن قتل نفسًا بغير نفس . فتنطوي عليهم ، فتقذفهم في غمرات جهنم** » (٢٣) .

﴿ **قال قرينه** ﴾ . قال ابن عباس ، ومجاهد ، وقتادة ، وغيرهم : هو الشيطان الذي وُكِّل به . ﴿ **ربنا ما أطغيته** ﴾ أي : يقول عن الإنسان الذي قد وافىٰ القيامة كافرًا ، يتبرأ منه شيطانه ، فيقول : ﴿ **ربنا ما أطغيته** ﴾ أي : ما أضللته ، ﴿ **ولكن كان في ضلال بعيد** ﴾ أي : بل كان هو في نفسه ضالًا قابلًا للباطل معاندًا للحق . كما أخبر تعالىٰ في

(٢٢) - أخرجه الترمذي في كتاب : صفة جهنم ، باب : ما جاء في صفة النار ، حديث (٢٥٧٧) (٧/ ٢٤٧- ٢٤٨) . وأحمد (٢/ ٣٣٦) . كلاهما من طريق عبد العزيز بن مسلم عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة بإسناد صحيح . والحديث مخرج في الصحيحة برقم (٥١٢) .

(٢٣) - أخرجه أحمد (٣/ ٤٠) (١١٣٧٠) . وأخرجه عبد بن حميد في « المنتخب » (٨٩٦) ، وابن أبي شيبة في المصنف ، كتاب ذكر النار ، باب : ما ذكر فيما أعد لأهل النار وشدته (٢٥) (٨/ ٩٥) ، وأبو يعلى في مسنده (١١٣٨ ، ١١٤٦) ، والطبراني في « الأوسط » (٣٩٨١) (٤/ ٢٠٣) ، والبزار (٣٥٠٠) (٤/ ١٨٥) . من طرق عن عطية به .

وأخرجه الطبراني (٣١٨) (١٠٣/٦) من طريق موسى بن أعين عن الأعمش عن سعد بن عبيدة عن أبي سعيد به . وهذا إسناد صحيح لو كان سعد بن عبيدة سمع من أبي سعيد ، فإني لم أجد من صرح أنه روى عنه غير أنه روى عن البراء بن عازب والمغيرة بن شعبة .

وذكره الهيثمي في « المجمع » (١٠/ ٣٩٥) وقال : رواه البزار .. وأحمد باختصار وأبو يعلى بنحوه ، والطبراني في الأوسط ، وأحد إسنادي الطبراني رجاله رجال الصحيح . =

[١] - سقط من ز ، خ . [٢] - في ز : أي .

الآية الأخرىٰ في قوله : ﴿ **وقال الشيطان لما قضي الأمر إن الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم وما كان لي عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لي فلا تلوموني ولوموا أنفسكم ما أنا بمصرخكم وما أنتم بمصرخي إني كفرت بما أشركتمون من قبل إن الظالمين لهم عذاب أليم** ﴾ .

وقوله : ﴿ **قال لا تختصموا لدي** ﴾ ، يقول الرب - عز وجل - للإنسي وقرينه من الجن، وذلك أنهما يختصمان بين يدي الحق، فيقول الإنسي : يارب ، هذا أضلني عن الذكر بعد إذ جاءني . ويقول الشيطان : ﴿ **ربنا ما أطغيته ولكن كان في ضلال بعيد** ﴾ ، أي[١] : عن منهج الحق . فيقول الرب - عز وجل - لهما : ﴿ **لا تختصموا لدي** ﴾ أي : عندي ﴿ **وقد قدمت إليكم بالوعيد** ﴾ أي : قد أعذرت إليكم علىٰ ألسنة الرسل ، وأنزلت الكتب ، وقامت عليكم الحجج والبينات والبراهين .

﴿ **ما يبدل القول لدي** ﴾ . قال مجاهد : يعني قد قضيتُ ما أنا قاض ، ﴿ **وما أنا بظلام للعبيد** ﴾ أي[٢] : لست أعذب أحدًا بذنب أحد ، ولكن لا أعذب أحدًا إلا بذنبه ، بعد قيام الحجة عليه .

يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ ﴿٣٠﴾ وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴿٣١﴾ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ﴿٣٢﴾ مَّنْ خَشِيَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ﴿٣٣﴾ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُلُودِ ﴿٣٤﴾ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴿٣٥﴾

يخبر تعالىٰ أنه يقول لجهنم يوم القيامة : ﴿ **هل امتلأت** ﴾ ؟ وذلك أنه وعدها أن سيملؤها من الجِنَّة والناس أجمعين ، فهو سبحانه يأمر بمن يأمر به إليها ، ويلقىٰ وهي تقول : ﴿ **هل من مزيد** ﴾ أي : هل بقي شيء تزيدوني ؟ هذا هو الظاهر من سياق الآية ، وعليه تدل الأحاديث :

قال البخاري عند تفسير هذه الآية : حدثنا عبد الله بن أبي الأسود ، حدثنا [حَرَمي بن

= وقال المنذري في « الترغيب والترهيب » (٢٩٨/٣) ... ورواه الطبراني بإسنادين رواة أحدهما رواة الصحيح، وقد روي عن أبي سعيد من قوله موقوفًا .
وزاد نسبته السيوطي في الدر المنثور (١٣٨/٤) إلى ابن مردويه .

[١] - في ز ، خ : نهى . [٢] - سقط من ت .

عُمَارة][١] ، حدثنا شعبة ، عن قتادة ، عن أنس بن مالك ، عن النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ؛ قال : « **يُلقَىٰ في النار وتقول : هل من مزيد ؟ حتىٰ يضع قدمه فيها ، فتقول : قَطْ قَطْ** »(٢٤).

وقال الإمام أحمد : حدثنا عبد الوهاب ، عن سعيد ، عن قتادة ، عن أنس ؛ قال : قال رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **لا تزال جهنم يلقىٰ فيها وتقول : هل من مزيد ؟ حتىٰ يضع رب العزة فيها قدمه ، فينزوي بعضها إلىٰ بعض ، وتقول : قَطْ قَطْ ، وعزتك وكرمك . ولا يزال في الجنة فضل حتىٰ ينشئ اللّٰه لها خلقًا آخر ، فيسكنهم[٢] في فضول الجنة**(٢٥) .

ثم رواه مسلم من حديث قتادة بنحوه(٢٦) . و[قد][٣]رواه أبان العطار وسليمان التيمي ، عن قتادة ، بنحوه (٢٧).

(حديث آخر) قال البخاري : حدثنا محمد بن موسىٰ القَطّان ، حدثنا أبو سفيان الحِميري سَعيد بن يحيىٰ بن مهدي ، حدثنا عوف ، عن محمد ، عن أبي هريرة - رفعه ، وأكثر ما كان يوقفه أبو سفيان - : « **يقال لجهنم : هل امتلأت ، وتقول : هل من مزيد ، فيضع الرب - عز وجل - قدمه عليها ، فتقول : قَطْ قَطْ** » (٢٨).

[ورواه أيوب][٤] ، وهشام بن حسان[٥] ، عن محمد بن سيرين به .

(طريق أخرىٰ) قال البخاري : وحدثنا عبد اللّٰه بن محمد ، حدثنا عبد الرزاق ، أخبرنا

---

(٢٤) - أخرجه البخاري في كتاب : التفسير ، باب : ﴿ **وتقول هل من مزيد** ﴾ ، حديث (٤٨٤٨) (٨/ ٥٩٤) .

(٢٥) - أخرجه أحمد (٣/ ٢٣٤) (١٣٤٨٢) بهذا الإسناد ، وسعيد هو ابن أبي عروبة وهو من أثبت الناس في قتادة . وعبد الوهاب : هو ابن عطاء ، صدوق ربما أخطأ . وانظر التالي .

(٢٦) - وأخرجه البخاري في كتاب : التفسير ، باب : ﴿ **وتقول هل من مزيد** ﴾ ، حديث (٤٨٤٨) (٨/ ٥٩٤) . ومسلم في كتاب : الجنة ، باب : النار يدخلها الجبارون ، والجنة يدخلها الضعفاء ، حديث (٢٨٤٨/٣٧) (١٧/ ٢٦٨) . كلاهما من طريق قتادة بنحو حديث أحمد .

(٢٧) - أخرجه مسلم عقب الحديث السابق .

(٢٨) - أخرجه البخاري في كتاب : التفسير ، باب : ﴿ **وتقول هل من مزيد** ﴾ ، حديث (٤٨٤٩) (٨/ ٥٩٥) ، وطرفاه في [٤٨٥٠ ، ٧٤٤٩] .

---

[١] - ما بين المعكوفين في ز ، خ : حربي .

[٢] - في ز : فيسكنه .

[٣] - سقط من ت .

[٤] - في خ : ورواه أبو أيوب .

[٥] - في ز ، خ : عيان .

معمر عن همّام[١] ، عن أبي هريرة ؛ قال : قال النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **تحاجَّت الجنة والنار ، فقالت النار : أوثِرْتُ بالمتكبِرين والمتجبرين . وقالت الجنة : مالي[٢] لا يدخلني إلا ضعفاء الناس وسَقَطُهم . قال اللَّه - عز وجل - للجنة : أنت رحمتي ، أرحم بك من أشاء من عبادي . وقال للنار : إنما أنت عذابي ، أعذب بك من أشاء من عبادي ، ولكل واحدة منكما ملؤها ، فأما النار فلا تمتلئ حتىٰ يضع رجله ، فتقول : قَطْ قَطْ قَطْ[٣] ، فهنالك تمتلئ [ويُزوَىٰ بعضها إلىٰ بعض][٤] ، ولا يظلم اللَّه من خلقه أحدًا ، وأما الجنة فإن اللَّه ينشئ لها خلقًا[٥]** »(٢٩) .

(حديث آخر) قال مسلم في صحيحه : حدثنا عثمان بن أبي شيبة ، حدثنا جرير ، عن الأعمش ، عن أبي صالح ، عن أبي[٦] سعيد ؛ قال : قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **احتجت الجنة والنار ، فقالت النار : فيَّ الجبارون والمتكبرون . وقالت الجنة : في ضعفاء الناس ومساكينهم . فقضى بينهما ، فقال للجنة : إنما[٧] أنت رحمتي ، أرحم بك من أشاء من عبادي . وقال للنار : إنما أنت عذابي ، أعذب بك من أشاء من عبادي ، ولكل واحدة منكما ملؤها** »(٣٠) .

انفرد به مسلم دون البخاري ، من هذا الوجه ، واللَّه سبحانه وتعالىٰ أعلم . وقد رواه الإمام أحمد من طريق أخرىٰ ، عن أبي سعيد بأبسط من هذا السياق ؛ فقال :

حدثنا حسن وروح ؛ قالا : حدثنا حماد بن سلمة ، عن عطاء بن السائب ، عن عبيد اللَّه ابن عبد اللَّه بن عُتْبة[٨] ، عن أبي سعيد الخُدري ؛ أن رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم ؛ قال : « **افتخرت الجنة والنار ، فقالت النار : يارب ؛ يدخلني الجبابرة والمتكبرون والملوك والأشراف . وقالت الجنة : أيْ رب ؛ يدخلني الضعفاء والفقراء والمساكين . فيقول اللَّه عز وجل للنار : أنت عذابي ، أصيب بك من أشاء . وقال للجنة : أنت رحمتي ، وسعت كل شيء ، ولكل واحدة منكما ملؤها ، فيلقىٰ في النار أهلها فتقول : هل من**

(٢٩) - أخرجه البخاري (٤٨٥٠) .

(٣٠) - أخرجه مسلم في كتاب : الجنة وصفة نعيمها وأهلها ، باب : النار يدخلها الجبارون ، والجنة يدخلها الضعفاء ، حديث (٢٨٤٧) (١٧/٢٦٧ - ٢٦٨) .

[١] - في ز : تمام .
[٢] - سقط من ز .
[٣] - سقط من ت .
[٤] - سقط من ز .
[٥] - بعده في ت : آخر .
[٦] - سقط من خ .
[٧] - سقط من ز ، خ .
[٨] - في ز ، خ : عقبة .

مزيد ؟ » قال : « **ويلقى فيها**[١] **وتقول : هل من مزيد ؟ ويلقىٰ فيها وتقول : هل من مزيد حتىٰ يأتيها - عز وجل - فيضع قدمه عليها ، فتُزْوَىٰ وتقول : قَدْني ، قَدْني ! وأما الجنة فيبقى فيها ما شاء اللَّه أن يبقى ، فينشئ اللَّه لها خلقًا ما يشاء** » (٣١).

حديث آخر ، وقال الحافظ أبو يعلىٰ في مسنده : حدثنا عقبة بن مُكْرم ، حدثنا يونس ، حدثنا عبد الغفار بن القاسم ، عن عدي بن ثابت ، عن زرّ بن حُبَيش ، عن أبي بن كعب ؛ أن رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم؛ قال : « **يعرِّفني**[٢] **اللَّه - عز وجل - نفسه يوم القيامة ، فأسجد سجدة يرضىٰ بها عني ، ثم أمدحه مِدْحَة يرضىٰ بها عني، ثم يؤذن لي في الكلام ، ثم تمر أمتي علىٰ الصراط - مضروب بين ظهراني جهنم - فيمرون أسرع من الطرف والسهم ، وأسرع من أجود الخيل ، حتىٰ يخرج الرجل منها يحبو ، وهي الأعمال . وجهنم تسأل المزيد ، حتىٰ يضع فيها قدمه ، فينزوي بعضها إلىٰ بعض وتقول : قَطْ قَطْ ! وأنا علىٰ الحوض** » . قيل : وما الحوض يا رسول اللَّه ؟ قال : « **والذي نفسي بيده ، إن شرابه أبيض من اللبن ، وأحلىٰ من العسل ، وأبرد من الثلج ، وأطيب ريحًا من المسك ، وآنيته أكثر من عدد النجوم ، لا يشرب منه إنسان فيظمأ أبدًا ، ولا يصرف فَيَرْوَىٰ أبدًا** » (٣٢). وهذا القول هو اختيار ابن جرير .

وقد قال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو سعيد الأشج ، حدثنا أبو يحيىٰ[٣] الحمَّاني عن [نَضْر الخزَّاز][٤] ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ﴿ **يوم نقول لجهنم هل امتلأت وتقول هل من مزيد** ﴾ ؟ ، قال : ما امتلأت ، قال : تقول : وهل فيَّ من مكان يزاد في .

وكذا روىٰ الحكم[٥] بن أبان عن عكرمة : ﴿**وتقول هل من مزيد**﴾ : وهل فيَّ مدخل واحد ؟ قد امتلأت .

قال الوليد بن مسلم ، عن يزيد بن أبي مريم : أنه سمع مجاهدًا يقول : لا يزال يُقذف فيها حتىٰ تقول : قد امتلأت فتقول : هل من مزيد . وعن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم

(٣١) - أخرجه أحمد (١٣/٣) (١١١١٣) وإسناده ثقات .

قال الهيثمي في « المجمع » (١١٥/٧) : رواه أحمد ورجاله ثقات ؛ لأن حماد بن سلمة روى عن عطاء بن السائب قبل الاختلاط .

(٣٢) - ذكره ابن حجر في المطالب العالية (٣٨٣/٤) (٤٦٣٥) وعزاه لأبي يعلى من حديث أبي بن كعب .

[١] - سقط من خ .

[٢] - في ز ، خ : بعثني .

[٣] - في ز ، خ : بكر .

[٤] - في ز : نصر الجزار .

[٥] - في ز : الحاكم .

نحو هذا(٣٣).

فعند هؤلاء أن قوله تعالىٰ : ﴿ هل امتلأت ﴾ إنما هو بعد ما يضع عليها قدمه ، فتنزوي وتقول حينئذ : هل بقي فيّ [مزيد يسع][١] شيئًا ؟ قال العوفي ، عن ابن عباس : وذلك حين لا يبقىٰ فيها موضع يسع[٢] إبرة . فاللّٰه أعلم .

وقوله : ﴿ وأزلفت الجنة للمتقين غير بعيد ﴾ ، قال قتادة ، وأبو مالك ، والسدي : ﴿ أزلفت ﴾ أدنيت وقُرِّبت من المتقين ﴿ غير بعيد ﴾ ، وذلك يوم القيامة ، وليس ببعيد لأنه واقع لا محالة ، وكل ما هو آت آت .

﴿ هذا ما توعدون لكل أواب ﴾ أي : رجّاع ، تائب مقلع ﴿ حفيظ ﴾ أي : يحفظ العهد فلا ينقضه وينكثه[٣] .

وقال عبيد بن عمير : الأواب الحفيظ الذي لا يجلس مجلسًا حتىٰ يستغفر اللّٰه عز وجل .

﴿ من خشي الرحمن بالغيب ﴾ أي : من خاف اللّٰه[٤] في سره حيث لا يراه أحد إلا اللّٰه ؛ كقوله - عليه السلام - : « ورجل ذكر اللّٰه خاليًا ، ففاضت عيناه »(٣٤).

﴿ وجاء بقلب منيب ﴾ أي : ولقي اللّٰه يوم القيامة بقلب سليم منيب إليه خاضع لديه .

﴿ ادخلوها ﴾ أي : الجنة ﴿ بسلام ﴾ . قال قتادة : سَلموا من عذاب اللّٰه ، وسلم عليهم ملائكة اللّٰه .

وقوله : ﴿ ذلك يوم الخلود ﴾ أي : يخلدون في الجنة فلا يموتون أبدًا ، ولا يظعنون أبدًا ، ولا يبغون عنها حولًا .

وقوله : ﴿ لهم ما يشاءون فيها ﴾ أي : مهما اختاروا وجدوا ، من أيّ أصناف الملاذ طلَبوا أحضِر لهم .

---

(٣٣) - الوليد بن مسلم يدلس ويسوي ، وقد عنعن .

(٣٤) - أخرجه البخاري في كتاب : الأذان ، باب : من جلس في المسجد ينتظر الصلاة ، وفضل المساجد ، حديث (٦٦٠) (١٤٣/٢) . وأطرافه في : [١٤٢٣، ٦٤٧٩، ٦٨٠٦] . ومسلم في كتاب : الزكاة ، باب : فضل إخفاء الصدقة ، حديث (٩١/١٠٣١) (١٦٩/٧ - ١٧٠) .

---

[١] - في ز ، خ : من ولع .

[٢] - سقط من ت .

[٣] - في خ : يجليه .

[٤] - في خ : الرحمن .

قال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو زرعة ، حدثنا عمرو بن عثمان ، حدثنا بقية ، عن بَحير[١] ابن سعد[٢] ، عن خالد بن معدان ، عن كثير بن مرة؛ قال : [من المزيد][٣] أن تمر السحابة بأهل الجنة فتقول : ماذا تريدون فأمطره لكم ؟ فلا يدعون بشيء إلا أمطرتهم . قال كثير : لئن[٤] أشهدني الله ذلك لأقولن : أمطرينا جواري مزينات(٣٥) .

وفي الحديث عن ابن مسعود أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم قال له : « **إنك لتشتهي الطير في الجنة ، فيخر بين يديك مشويًا** »(٣٦) .

وقال الإمام أحمد : حدثنا علي بن عبد الله ، حدثنا معاذ بن هشام ، حدثني أبي ، عن عامر الأحول ، عن أبي الصديق ، عن أبي سعيد الخدري؛ أن رسول صلىٰ الله عليه وسلم؛ قال : « **إذا اشتهىٰ المؤمن الولد في الجنة ، كان حمله ووضعه وسِنّه في ساعة واحدة** »(٣٧) .

ورواه الترمذي وابن ماجة عن بندار ، عن معاذ بن هشام به(٣٨) . وقال الترمذي : « حسن غريب » . وزاد : « **كما[٥] يشتهي** » .

(٣٥) - في إسناده بقية بن الوليد وهو مدلس وقد عنعن .

(٣٦) - أخرجه البزار في مسنده (٥/٤٠١) برقم (٢٠٣٢) . والعقيلي في « الضعفاء الكبير » (١/٢٦٨) (٣٣١) في ترجمة حميد الأعرج . وابن عدي في « الكامل » (٢/٦٨٧) . كلهم من طريق حميد الأعرج عن عبد الله بن الحارث عن ابن مسعود مرفوعًا . وحميد بن علي الأعرج قال العقيلي : سمعت يحيى ابن معين يقول : حميد بن عطاء ليس بشيء . وقال أحمد بن حنبل : ضعيف ا.هـ « الكامل » . والحديث ذكره الهيثمي في « المجمع » (١٠/٤١٧) وقال : رواه البزار وفيه حميد بن عطاء الأعرج ، وهو ضعيف . وذكره ابن حجر في المطالب العالية (٤/٤٠٤) (٤٦٩١) وعزاه لأبي يعلى والبزار .

(٣٧) - أخرجه أحمد (٣/٩) برقم (١١٠٧٧) ، وفي إسناده عامر بن عبد الواحد الأحول . وضعفه أحمد حنبل والنسائي . وقال ابن معين : ليس به بأس . وقال أبو حاتم : ثقة ، لا بأس به . وذكره ابن حبان في الثقات . تهذيب الكمال (١٤/٦٦ - ٦٧) . وبقية رجاله ثقات .

(٣٨) - وأخرجه الترمذي في كتاب : صفة الجنة ، باب : ما جاء ما لأدنى أهل الجنة من الكرامة ، حديث (٢٥٦٦) (٧/٢٤٠) من طريق عامر الأحول . قال الترمذي : وقد اختلف أهل العلم في هذا ؛ فقال بعضهم : في الجنة جماع ولا يكون ولد ؛ هكذا روى عن طاوس ومجاهد وإبراهيم النخعي . وقال محمد : قال إسحاق بن إبراهيم : في حديث النبي - صلى الله عليه وسلم - : « **إذا اشتهى المؤمن الولد في الجنة كان في ساعة واحدة كما يشتهي** » ولكن لا يشتهي » . قال محمد : وقد روي عن =

[١] - في ز ، خ : يحيى . [٢] - في خ : سعيد .

[٣] - في ز : مر الزيد . بلا نقط . وفي خ : « مر الرمد » .

[٤] - في ز : لا . [٥] - بياض في ز ، خ .

وقوله: ﴿**ولدينا مزيد**﴾ كقوله تعالى: ﴿**للذين أحسنوا [الحسنى][١] وزيادة**﴾. وقد تقدم في صحيح مسلم عن صهيب بن سنان الرومي: أنها النظر إلى وجه ا الكريم(٣٩).

وقد روىٰ البزار وابن أبي حاتم، من حديث شريك القاضي[٢]، عن عثمان بن عمير[٣] أبي اليقظان، عن أنس بن مالك في قوله عز وجل: ﴿ **ولدينا مزيد** ﴾، قال: يظهر لهم الرب عز وجل في كل جمعة(٤٠).

وقد رواه الإمام أبو عبد اللّٰه الشافعي مرفوعًا فقال في مسنده: أخبرنا إبراهيم بن محمد، حدثني موسىٰ بن عبيدة، حدثني أبو الأزهر معاوية بن إسحاق بن طلحة، عن [عبيد بن عمير][٤] أنه سمع أنس بن مالك يقول: [أتىٰ جبرائيل][٥] بمرآة بيضاء فيها نكتة إلىٰ رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم، [فقال النبي، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم][٦] : « **ما هذه ؟** » . فقال: هذه الجمعة، فُضّلت بها أنت وأمتك، فالناس [لكم فيها تبع][٧] ، اليهود والنصارىٰ، ولكم[٨] فيها خير، ولكم فيها ساعة لا يوافقها مؤمن يدعو [ ][٩] اللّٰه بخير إلا استجيب له، وهو عندنا يوم المزيد. قال النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم: « **يا جبريل؛ وما يوم المزيد ؟** » . قال إن: ربك اتخذ في الفردوس واديًا أفيح فيه كُثُب المسك، فإذا كان يوم الجمعة أنزل اللّٰه ما شاء من ملائكته، وحوله منابر من نور، عليها

= أبي رزين العقيلي عن النبي - صلى الله عليه وسلم - : « **إن أهل الجنة لا يكون لهم فيها ولد** » .
وأبو الصديق الناجي: اسمه بكر بن عمرو، ويقال: بكر بن قيس .اهـ .

قال ابن القيم في « حادي الأرواح » (٣٤٨) : إسناد حديث أبي سعيد على شرط الصحيح؛ فرجاله محتج بهم فيه، ولكنه غريب جدًّا، وتأويل إسحاق فيه نظر، فإنه قال: « إذا اشتهى المؤمن الولد » ، فـ «إذا» للمتحقق الوقوع، ولو أريد ما ذكره من المعنى لقال: لو اشتهى المؤمن الولد لكان حمله في ساعة؛ فإن ما لا يكون - أحقُ بأداة لو، كما أن المحقق الوقوع أحق بأداة إذا .اهـ .

والحديث صححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢٠٧٧ - ٢٧٠١) .

(٣٩) - أخرجه مسلم في كتاب: الإيمان، باب: إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة ربهم - سبحانه وتعالى- حديث (٢٩٧، ١٨١/٢٩٨) (٢١/٣ - ٢٢) .

(٤٠) - ذكره الهيثمي في « مجمع الزوائد » (١١٥/٧) ، وقال: رواه البزار، وفيه عثمان بن عمير وهو ضعيف .

---

[١] - في ت: الحسنة .
[٢] - في ز، خ: والقاضي .
[٣] - في ز: عمر .
[٤] - في ز: « عبيد الله بن عمير » .
[٥] - في ز، خ: أتانا جبريل .
[٦] - ما بين المعكوفين سقط من ز، خ .
[٧] - ما بين المعكوفين في ز: « نعم فيها مع » . وفي خ: « لكم فيها مع » .
[٨] - سقط من خ .
[٩] - في خ: فيها .

مقاعد النبيين ، وَحَفّ تلك[١] المنابر بمنابر[٢] من ذهب ، مكللة بالياقوت والزبرجد ، عليها الشهداء والصديقون، فجلسوا من ورائهم علىٰ تلك الكثُب ، فيقول اللّٰه -عز وجل- : أنا ربكم ، قد صَدَقْتُكُمْ وعدي ، فسلوني أعطكم . فيقولون : ربنا ؛ نسألك رضوانك ، فيقول : قد رَضِيتُ عنكم ، ولكم عَلَيّ ما تمنّيتم ، ولديّ مزيد . فهم يحبون يوم الجمعة لما يعطيهم فيه[٣] ربهم من الخير ، وهو اليوم الذي استوىٰ فيه ربكم علىٰ العرش ، وفيه خلق آدم ، وفيه تقوم الساعة (٤١).

هكذا أورده الإمام الشافعي في كتاب الجمعة من « الأم » ، وله طرق عن[٤] أنس بن مالك رضي اللّٰه عنه : وقد أورد ابن جرير هذا من رواية عثمان بن عمير ، عن أنس بأبسط من هذا(٤٢) ، وذكر هاهنا أثرًا مطولًا عن أنس بن مالك موقوفًا وفيه غرائب كثيرة(٤٣) .

وقال الإمام أحمد : حدثنا حسن ، حدثنا ابن لهيعة ، حدثنا دَرّاج عن [أبي الهيثم][٥] ، عن أبي سعيد ، عن رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم؛ قال : « **إن الرجل في الجنة ليتكئ[٦] في الجنة سبعين سنة [قبل أن يتحول][٧] ثم تأتيه امرأة فتضرب علىٰ منكبه ، فينظر وجْهَه في خَدّها أصفى من المرآة ، وإن أدنىٰ لؤلؤة عليها تضيء ما بين المشرق والمغرب ؛ فتسلم عليه ، فيرد السلام ، فيسألها : من أنت ؟ فتقول : أنا من المزيد . وإنه ليكون عليها سبعون حلة ، أدناها مثل النعمان ، من طوبىٰ ، فيَنفذها بَصَره حتىٰ يرىٰ مخ ساقها من وراء ذلك ، وإن عليها من التيجان ، إن أدنىٰ لؤلؤة منها لتضيء ما بين المشرق والمغرب** »(٤٤) .

وهكذا رواه عبد اللّٰه بن وهب عن عمرو بن الحارث[٨] عن دراج به .

---

(٤١) - أخرجه الشافعي في مسنده (ص ٧٠ - ٧١) ، وفيه موسى بن عبيدة وهو ضعيف .

(٤٢) - أخرجه الطبرى في تفسيره (١٧٥/٢٦) وفيه عثمان بن عمير وهو ضعيف .

(٤٣) - أخرجه الطبرى (١٧٣/٢٦ - ١٧٤) .

(٤٤) - أخرجه أحمد (٧٥/٣) (١١٧٣٢) وفي إسناده ابن لهيعة وهو ضعيف ، وفي رواية دراج عن أبي الهيثم أيضًا ضعف . قال الهيثمي في « مجمع الزوائد » (٤٢٢/١٠) : رواه أحمد ، وأبو يعلى (١٣٨٦) وإسنادهما حسن .

---

[١] - في خ : بتلك .

[٢] - بياض في ز ، وسقط من خ .

[٣] - سقط من ز ، خ .

[٤] - في ت : على .

[٥] - في ز ، خ : إبراهيم .

[٦] - في ز : ليسل . كذا بلا نقط .

[٧] - بياض في ز ، خ .

[٨] - في ز ، خ : قطرب .

وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُم بَطْشًا فَنَقَّبُوا۟ فِى ٱلْبِلَـٰدِ هَلْ مِن مَّحِيصٍ ﴿٣٦﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴿٣٨﴾ فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ ﴿٣٩﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَـٰرَ ٱلسُّجُودِ ﴿٤٠﴾

يقول تعالىٰ : ﴿ **وكم أهلكنا** ﴾ قبل هؤلاء المنكرين : ﴿ **من قرن هم أشد منهم بطشًا** ﴾ أي : كانوا أكثر منهم وأشد قوة ، وأثاروا الأرض وعَمَرُوها أكثر مما عمروها ؛ ولهذا قال هاهنا : ﴿ **فنقبوا في البلاد** ﴾ . قال ابن عباس : أَثَّروا فيها . وقال مجاهد : ﴿ **فنقبوا في البلاد** ﴾ : ضربوا[١] في الأرض . وقال قتادة : فساروا في البلاد : أي ساروا فيها يبتغون الأرزاق والمتاجر والمكاسب أكثر مما طفتم أنتم فيها . ويقال لمن[٢] طوف في البلاد : نقب فيها . قال امرؤ القيس :

لَقَدْ نَقَّبْتُ فِي الْآفَاقِ حَتَّىٰ رَضِيتُ مِنَ الْغَنِيمَةِ بِالْإِيَابِ

وقوله : ﴿ **هل من محيص** ﴾ أي : هل من مفر كان لهم من قضاء اللّٰه وقدره ؟ وهل نفعهم ما جمعوه وردّ عنهم عذاب اللّٰه إذ جاءهم لما كذبوا الرسل ؟ فأنتم أيضًا لا مفر لكم ولا محيد ولا مناص ولا محيص .

وقوله : ﴿ **إن في ذلك لذكرى** ﴾ أي : لعبرة ﴿ **لمن كان له قلب** ﴾ أي : لب يعي به . وقال مجاهد : عقل . ﴿ **أو ألقىٰ السمع وهو شهيد** ﴾ أي استمع الكلام فوعاه ، وتعقله بقلبه وتفهمه بلبه .

وقال مجاهد : ﴿ **أو ألقى السمع** ﴾ يعني : لا يحدث نفسه [بغيره ، ﴿ **وهو شهيد** ﴾ وقال : شاهد بالقلب][٣] . وقال الضحاك : العرب تقول : ألقى فلان سمعه : إذا استمع بأذنيه وهو شاهد ، يقول[٤] : غير غائب . وهكذا قال الثوري وغير واحد .

---

[١] - في ز ، خ : خربوا . [٢] - في ز : إن .
[٣] - ما بين المعكوفين في ز ، خ : « في هذا بقلب » .
[٤] - في ز ، خ : لقول .

وقوله : ﴿ **ولقد خلقنا السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام وما مسنا من لغوب** ﴾ فيه تقرير المعاد ، لأن من قدر علىٰ خلق السماوات والأرض ولم يعي بخلقهن ، قادر على أن يحيي الموتىٰ بطريق الأولىٰ والأحرىٰ .

وقال قتادة : قالت اليهود - عليهم لعائن اللَّه - خلق اللَّه السماوات والأرض في ستة أيام ، ثم استراح في اليوم السابع ، وهو يوم السبت ، وهم يسمونه يوم الراحة ، فأنزل اللَّه تكذيبهم فيما قالوه وتأولوه : ﴿ **وما مسنا من لغوب** ﴾ أي : من إعياء ولا نصب ولا تعب ، كما قال في الآية الأخرىٰ : ﴿ **أو لم يروا أن اللَّه الذي خلق السماوات والأرض ولم يعي بخلقهن بقادر علىٰ أن يحيي الموتىٰ بلىٰ إنه علىٰ كل شيء قدير** ﴾ وكما[١] قال : ﴿ **لخلق السماوات والأرض أكبر من خلق الناس** ﴾ وقال : ﴿ **أأنتم أشد خلقًا أم السماء بناها** ﴾ .

وقوله : ﴿ **فاصبر على ما يقولون** ﴾ يعني : المكذبين ، اصبر عليهم ، واهجرهم هجرًا جميلًا ، ﴿ **وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس [وقبل الغروب** ﴾ ، وكانت الصلاة المفروضة قبل الإسراء ، ثنتان قبل طلوع الشمس][٢] في وقت الفجر ، وقبل الغروب في وقت العصر ، وقيام الليل كان واجبًا علىٰ النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم [وعلىٰ أمته][٣] حولًا ، ثم نسخ في حق الأمة وجوبُه . ثم بعد ذلك نسخ اللَّه ذلك كله ليلة الإسراء بخمس صلوات ، ولكن منهن صلاة الصبح والعصر ، فهما قبل طلوع الشمس وقبل الغروب .

وقد قال الإمام أحمد : حدثنا وكيع ، حدثنا إسماعيل بن أبي خالد ، عن قيس بن أبي حازم ، عن جرير بن عبد اللَّه ؛ قال : كنا جلوسًا عند النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، فنظر إلىٰ القمر ليلة البدر[٤] فقال : « **أما إنكم ستعرضون علىٰ ربكم فترونه كما ترون هذا القمر ، لا تُضارون[٥] فيه ، فإن استطعتم أن لا تغلبوا علىٰ صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها ، فافعلوا** » . ثم قرأ :﴿ **وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب** ﴾(٤٥) .

ورواه البخاري ومسلم وبقية الجماعة ، من حديث إسماعيل به (٤٦) .

---

(٤٥) - أخرجه أحمد (٣٦٥/٤) .

(٤٦) - البخاري في كتاب : مواقيت الصلاة ، باب : فضل صلاة العصر ، حديث (٥٥٤) (٣٣/٢) . وأطرافه في : [٥٧٣، ٤٨٥١، ٧٤٣٤، ٧٤٣٥، ٧٤٣٦] . ومسلم في كتاب : المساجد ،=

---

[١] - في ز : كما .

[٢] - ما بين المعكوفين سقط من ز ، خ .

[٣] - سقط من ز ، خ .

[٤] - سقط من ز ، خ .

[٥] - في خ : تضامون .

وقوله : ﴿ **ومن الليل فسبحه** ﴾ أي : فصلِّ له ، كقوله : ﴿ **ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسىٰ أن يبعثك ربك مقامًا محمودًا** ﴾ .

﴿ **وأدبار السجود** ﴾ قال ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، عن ابن عباس : هو التسبيح بعد الصلاة .

ويؤيد هذا ما ثبت في الصحيحين عن أبي هريرة أنه قال : جاء فقراء[١] المهاجرين فقالوا : يا رسول اللَّه ؛ ذهب أهل الدثور بالدرجات العلىٰ والنعيم المقيم . فقال : « **وما ذاك ؟** » قالوا : يصلون كما نصلي ، ويصومون كما نصوم ، ويتصدقون ولا نتصدق ، ويعتقون ولا نعتق ! قال : « **أفلا أعلمكم شيئًا إذا فعلتموه سبقتم من بعدكم ، ولا يكون أحد أفضل منكم إلا من فعل مثل ما فعلتم ؟ تسبحون وتحمدون وتكبرون دبر[٢] كل صلاة ثلاثًا وثلاثين** » . قال : فقالوا : يا رسول اللَّه ، سمع إخواننا أهل الأموال [بما[٣] فعلنا][٤] ، ففعلوا مثله[٥] . قال : « **ذلك فضل اللَّه يؤتيه من يشاء** » (٤٧) .

والقول الثاني : أن المراد بقوله : ﴿ **وأدبارالسجود** ﴾ ، هما الركعتان بعد المغرب ، روي ذلك عن عمر وعليّ ، وابنه الحسن ، وابن عباس ، وأبي هريرة ، وأبي أمامة ، وبه يقول مجاهد ، وعكرمة ، والشعبي ، والنخَعي ، والحسن ، وقتادة ، وغيرهم .

= باب : فضل صلاتي الصبح والعصر والمحافظة عليهما ، حديث (٦٣٣/٢١١) (١٨٧/٥) . وأبو داود في كتاب : السنة ، باب : في الرؤية ، حديث (٤٧٢٩) (٢٣٣/٤) . والترمذي في كتاب : صفة الجنة ، باب : ما جاء في رؤية الرب تبارك وتعالى ، حديث (٢٥٥٤) (٢٢٩/٧ - ٢٣٠) . والنسائي في الكبرى في كتاب : التفسير ، باب قوله تعالى : ﴿ **وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها** ﴾ ، حديث (١١٣٣٠) (٤٠٧/٦) . وابن ماجة في المقدمة ، باب : فيما أنكرت الجهمية ، حديث (١٧٧) (٦٣/١) . قال الترمذي : حديث حسن صحيح .

فائدة : ما جاء في الحديث هنا من كون المؤمنين يرون ربهم هو عقيدة أهل السنة ، ومعنى تشبيه ذلك بالقمر هو من قبيل تشبيه الرؤية بالرؤية لا من قبيل تشبيه المرئي بالمرئي ، فإنه تعالى ليس كمثله شيء ، فيكون المعنى أنهم يرون الله بأعينهم كما يرون القمر بأعينهم بدون إحاطة فإنه تعالى لا يحيط به شيء فانتبه ، والله أعلم بالصواب .

(٤٧) - أخرجه البخاري في كتاب : الأذان ، باب : الذكر بعد الصلاة ، حديث (٨٤٣) (٣٢٥/٢) ، وطرفه في [٦٣٢٩] . ومسلم في كتاب : المساجد ، باب : استحباب الذكر بعد الصلاة وبيان صفته ، حديث (٥٩٥/١٤٢) .

[١] - في ز : نفر من .
[٢] - سقط من ز ، خ .
[٣] - في ز : ما .
[٤] - سقط من خ .
[٥] - في خ : « مثل مفعلنا » .

قال الإمام أحمد : حدثنا وكيع وعبد الرحمٰن ، عن سفيان ، عن أبي إسحاق ، عن عاصم ابن ضمرة ، عن علي ؛ قال : كان رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم يصلي علىٰ أثر كل صلاة مكتوبة ركعتين إلا الفجر والعصر . وقال عبد الرحمن : دُبُر كل صلاة (٤٨).

ورواه أبو داود والنسائي ، من حديث سفيان الثوري به . زاد النسائي : ومطرف ، عن أبي إسحاق ، به (٤٩).

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا هارون بن إسحاق الهمداني ، حدثنا ابن[١] فضيل ، عن رشدين بن كريب ، عن أبيه عن ابن[٢] عباس ؛ قال : بت ليلة عند رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم فصلىٰ ركعتين خفيفتين ، اللتين قبل الفجر . ثم خرج إلىٰ الصلاة فقال : « **يا بن عباس ؛ ركعتين قبل صلاة الفجر إدبار النجوم ، وركعتين بعد المغرب أدبار السجود** » .

ورواه الترمذي عن أبي[٣] هشام الرّفاعي ، عن محمد بن فضيل به . وقال : غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه(٥٠) .

وحديث ابن عباس وأنه بات في بيت خالته ميمونة ، وصلىٰ تلك الليلة مع النبي صلىٰ الله عليه وسلم ثلاث عشرة ركعة - ثابت في الصحيحين وغيرهما(٥١) . فأما هذه الزيادة فغريبة لا تعرف إلا من هذا الوجه ، ورشدين بن كريب ضعيف ، ولعله من كلام ابن عباس موقوفًا عليه ، والله أعلم .

(٤٨) - أخرجه أحمد (١٢٤/١) . وقد صححه الشيخ أحمد شاكر في تعليقه على المسند .

(٤٩) - وأخرجه أبو داود في كتاب الصلاة ، باب : الصلاة بعد العصر ، حديث (١٢٧٥) (٢٤/٢) . والنسائي في الكبرى في كتاب : الصلاة الأول ، باب : ذكر اختلاف الناقلين لخبر أبي إسحاق عن عاصم ابن ضمرة عن علي في ذلك ، حديث (٣٤١) (١٤٨/١) . وضعفه الألباني في ضعيف سنن أبي داود برقم (٢٧٧) .

(٥٠) - وأخرجه الترمذي في كتاب : تفسير القرآن ، باب : ومن سورة الطور ، حديث (٣٢٧١) . وقد أخرج ابن عدي هذا الحديث من طريق رشدين هذا في الكامل (١٠٠٨/٣) ونقل تضعيف رشدين عن يحيى بن معين وغيره . وضعف الحديث أيضًا ابن حجر في الفتح (٥٩٨/٨) بعد أن عزاه للطبري (٢٦/ ١٨١) .

(٥١) - أخرجه البخاري في : الوضوء ، باب : التخفيف في الوضوء ، حديث (١٣٨) (٢٣٨/١ - ٢٣٩) . ومسلم في كتاب : صلاة المسافرين ، باب : الدعاء في صلاة الليل وقيامه ، حديث (٧٦٣) (٦/ ٦٤ وما بعدها) .

[١] - سقط من خ . [٢] - سقط من ز .

[٣] - سقط من ز ، خ .

وَٱسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ ٱلْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٤١﴾ يَوْمَ يَسْمَعُونَ ٱلصَّيْحَةَ بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُرُوجِ ﴿٤٢﴾ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِۦ وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا ٱلْمَصِيرُ ﴿٤٣﴾ يَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ ﴿٤٤﴾ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ﴿٤٥﴾

يقول تعالىٰ : ﴿ **واستمع** ﴾ يا محمد ﴿ **يوم يناد المناد من مكان قريب** ﴾ قال قتادة : قال كعب الأحبار : يأمر اللَّه ملكًا أن ينادي علىٰ صخرة بيت المقدس : أيتها[١] العظام البالية ، والأوصال المتقطعة ، إن اللَّه يأمركن أن تجتمعن لفصل القضاء ﴿ **يوم يسمعون الصيحة بالحق** ﴾ ، يعني النفخة في الصور التي تأتي بالحق الذي[٢] كان أكثرهم فيه[٣] يمترون .

﴿ **ذلك يوم الخروج** ﴾ أي : من الأجداث ، ﴿ **إنا نحن نحي ونميت وإلينا المصير** ﴾ أي : هو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده ، وهو أهون عليه ، وإليه مصير الخلائق كلهم ، فيجازي كلًّا بعمله ، إن خيرًا فخير وإن شرًّا فشر .

وقوله : ﴿ **يوم تشقق الأرض عنهم سراعا** ﴾ ، وذلك أن اللَّه تعالىٰ ينزل مطرًا من السماء تنبت به أجساد الخلائق في قبورها ، كما ينبت الحب في الثرىٰ بالماء ، فإذا تكاملت الأجساد أمر اللَّه إسرافيل [فينفخ في الصور ، وقد أودعت الأرواح في ثقب في الصور ، فإذا نفخ إسرافيل][٤] فيه خرجت الأرواح تتوهج بين[٥] السماء والأرض ، فيقول اللَّه عز وجل : وعزتي وجلالي ، لترجعَن كل روح إلىٰ الجسد الذي كانت تعمره ، فترجع كل روح إلىٰ جسدها ، فتدب فيه كما يدب السم في اللديغ [وتنشق الأرض عنهم فيقومون إلىٰ موقف الحساب سراعًا مبادرين إلىٰ أمر اللَّه - عز وجل - ﴿ **مهطعين إلىٰ الداع**][٦] **يقول الكافرون هذا يوم عسر** ﴾ .

وقال اللَّه تعالى : ﴿**يوم يدعوكم فتستجيبون بحمده وتظنون إن لبثتم إلا قليلًا**﴾ وفي صحيح مسلم عن أنس قال : قال رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم : « **أنا أول من تنشق عنه**

---

[١] - في ز ، خ : أيها .
[٢] - سقط من ز ، خ .
[٣] - في ز ، خ : به .
[٤] - ما بين المعكوفين سقط من ز ، خ .
[٥] - في ز ، خ : من .
[٦] - ما بين المعكوفين سقط من ز ، خ .

الأرض »(٥٢).

وقوله : ﴿ **ذلك حشر علينا يسير** ﴾ أي تلك إعادة سهلة علينا ، يسيرة لدينا ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **وما أمرنا إلا واحدة كلمح بالبصر** ﴾ .

وقال تعالى : ﴿**ما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة إن الله سميع بصير**﴾.

وقوله : ﴿**نحن أعلم بما يقولون**﴾ أي : نحن علمنا محيط بما يقول لك المشركون من التكذيب فلا يهيدنك[١] ذلك ، كقوله : ﴿ **ولقد نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون * فسبح بحمد ربك وكن من الساجدين * واعبد ربك حتىٰ يأتيك اليقين** ﴾.

وقوله : ﴿ **وما أنت عليهم بجبار** ﴾ أي : ولست بالذي تجبر هؤلاء علىٰ الهدىٰ ، وليس ذلك مما كلفت به .

وقال قتادة ، ومجاهد ، والضحاك : ﴿**وما أنت عليهم بجبار**﴾ أي : لا تتجبر عليهم . والقول الأول أولىٰ ، ولو أراد ما قالوه لقال : ولا تكن جبارًا عليهم ، وإنما قال : ﴿ **وما أنت عليهم بجبار** ﴾ ، بمعنىٰ : وما أنت بمجبرهم علىٰ الإيمان إنما أنت مبلغ .

قال الفراء : سمعت العرب تقول : جبر فلان فلانًا على كذا بمعنى أجبره .

ثم قال تعالىٰ ﴿ **فذكر بالقرآن من يخاف وعيد** ﴾ أي : بلغ أنت رسالة ربك ، فإنما يتذكر من يخاف الله ووعيده ويرجو وعده ، كقوله : ﴿ **فإنما عليك البلاغ وعلينا الحساب** ﴾ ، وقوله : ﴿**فذكر إنما أنت مذكر لست عليهم بمسيطر**﴾ ﴿**ليس عليك هداهم ولكن الله يهدي من يشاء** ﴾ ﴿**إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء**﴾ ولهذا قال هاهنا : ﴿ **وما أنت عليهم بجبار ، فذكر بالقرآن من يخاف وعيد** ﴾ . كان قتادة يقول : اللّهم اجعلنا ممن يخاف وعيدك ، [ويرجو موعودك][٢] ، يا بار يا رحيم .

آخر تفسير سورة (ق) ، والحمد لله وحده وحسبنا الله ونعم الوكيل ».

☆ ☆ ☆

(٥٢) - أخرجه مسلم في كتاب الفضائل ، باب : تفضيل نبينا - صلى الله عليه وسلم - على جميع الخلائق ، حديث (٢٢٧٨) (١٥/٥٤) بلفظ : « **ينشق عنه القبر** » .

[١] - في خ : يهدينك .

[٢] - في ز ، : « المدحر عن عودك » . كذا .

تفسير سورة الذاريات

وهي مكية

﴿وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا (١) فَالْحَامِلَاتِ وِقْرًا (٢) فَالْجَارِيَاتِ يُسْرًا (٣) فَالْمُقَسِّمَاتِ أَمْرًا (٤) إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ (٥) وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ (٦) وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ (٧) إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُخْتَلِفٍ (٨) يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ (٩) قُتِلَ الْخَرَّاصُونَ (١٠) الَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرَةٍ سَاهُونَ (١١) يَسْأَلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ الدِّينِ (١٢) يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ (١٣) ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ (١٤)﴾

قال شعبة بن الحجاج عن سماك ، عن خالد بن عَرْعَرَة أنه سمع عليًا .

وشعبة أيضًا ، عن القاسم بن أبي بَزَّة ، عن أبي الطفيل ، سمع عليًا .

وثبت أيضًا من غير وجه ، عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ؛ أنه صعد منبر الكوفة فقال : لا تسألوني عن آية في كتاب اللَّه ، ولا عن سنة [عن][١] رسول اللَّه ، إلا أنبأتكم بذلك . فقام إليه ابن الكواء فقال : يا أمير المؤمنين؛ ما معنى قوله تعالى : ﴿ **والذاريات ذروًا** ﴾ ؟ قال : الريح . ﴿ **فالحاملات وقرًا** ﴾ ؟ قال : السحاب . ﴿ **فالجاريات يسرًا** ﴾ ؟ قال : السفن . ﴿ **فالمقسمات أمرًا** ﴾ ؟ قال : الملائكة(١) .

وقد رُويَ في ذلك حديث مرفوع، فقال الحافظ أبو بكر البزار(٢) : حدثنا إبراهيم بن هانئ، حدثنا سعيد بن سلام العطار ، حدثنا أبو بكر بن أبي سبرة ، عن يحيى بن سعيد ، عن سعيد بن المسيب ؛ قال : جاء صَبيغ[٢] التميمي[٣] إلى عمر بن الخطاب ؛ فقال : يا

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (١٨٦/٢٦) ، والحاكم (٤٦٦/٢ - ٤٦٧) . وصححه ووافقه الذهبي . وعزاه السيوطي في « الدر المنثور » (١٣٣/٦) إلى عبد الرزاق والفريابي وسعيد بن منصور والحارث بن أبي أسامة وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن الأنباري في المصاحف والبيهقي في شعب الإيمان .

(٢) - **ضعيف جدًا** ، أخرجه البزار (٤٢٣/١ - ٤٢٤) (٢٩٩) . وقال الهيثمي في « المجمع » =

---

[١] - سقط من ز .

[٢] - في ز ، خ : « صنيع » ، وهو صبيغ بن عسل . انظر ترجمته في الإصابة (١٩٨/٢)

[٣] - في ز ، خ : اليمني .

أمير المؤمنين؛ أخبرني عن « الذاريات ذروًا » ؟ فقال : هي الرياح ، ولولا أني سمعت رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم يقوله ما قلته . قال : فأخبرني عن « المقسّمات أمرًا » ؟ قال : هي الملائكة ، ولولا أني سمعت رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم يقوله ما قلته . قال : فأخبرني عن « الجاريات يسرًا » ؟ قال : هي السفن ، ولولا أني سمعت رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم يقوله ما قلته . ثم أمر به فضرب مائة ، وجعل في بيت ، فلما برَأ ضربه مائة أخرىٰ ، وحمله علىٰ قَتَب وكتب إلىٰ أبي موسىٰ الأشعري : امنع الناس من مجالسته . فلم يزل كذلك حتىٰ أتىٰ أبا موسىٰ فحلف بالأيمان الغليظة ما يجد في نفسه مما كان يجد شيئًا . فكتب في ذلك إلىٰ عمر ، فكتب عمر : ما إخاله إلا صدق ، فخلِّ بينه وبين مجالسة الناس.

قال أبو بكر البزار: فأبو بكر بن أبي[١] سبرة لين، وسعيد بن سلام ليس من أصحاب الحديث .

قلت : فهذا الحديث ضعيف رفعه ، وأقرب ما فيه أنه موقوف علىٰ عمر ، فإن قصة صَبيغ[٢] بن عسل مشهورة مع عمر ، وإنما ضربه لأنه ظهر له من أمره فيما يسأل تعنتًا وعنادًا ، والله أعلم .

وقد ذكر الحافظ ابن عساكر هذه القصة في ترجمة صبيغ مطولة ، وهكذا فسرها ابن عباس ، وابن عمر ، ومجاهد ، وسعيد بن جبير ، والحسن ، وقتادة ، والسدي ، وغير واحد . ولم يحك ابن جرير وابن أبي حاتم غير ذلك .

وقد قيل : إن المراد بالذاريات : الريح ، كما تقدم ، وبالحاملات وقرًا : السحاب ، كما تقدم ، لأنها تحمل الماء كما قال زيد بن عمرو بن نُفَيل :

وَأَسْلَمْتُ نَفْسِي لِمَنْ أَسْلَمَتْ لَهُ الْمُزْنُ تَحْمِلُ عَذْبًا زُلَالًا

فأما الجاريات يسرًا [فالمشهور عن الجمهور - كما تقدم - أنها السفن تجري ميسرة في الماء جريًا سهلًا . وقال بعضهم : هي النجوم تجري يسرًا][٣] في أفلاكها ، ليكون ذلك ترقيًا من الأدنىٰ إلىٰ الأعلىٰ ، إلىٰ ما هو أعلىٰ منه ، فالرياح فوقها السحاب ، والنجوم فوق ذلك ، والمقسمات أمرًا الملائكة فوق ذلك ، تنزل بأوامر الله الشرعية والكونية . وهذا قسم من الله

= (١١٦/٧) : رواه البزار ، وفيه أبو بكر بن أبي سبرة وهو متروك . وأخرجه الدارقطني في الأفراد وقال : غريب من حديث يحيى الأنصاري عنه . تفرد به أبو بكر بن أبي سبرة .

[١] - سقط من ز .
[٢] - في ز : صنيع .
[٣] - ما بين المعكوفين سقط من ز ، خ .

- عز وجل - على وقوع المعاد ؛ ولهذا قال : ﴿ إنما توعدون لصادق ﴾ أي : لخبر صدق ، ﴿ وإن الدين ﴾ وهو : الحساب ﴿ لواقع ﴾ أي : لكائن لا محالة .

ثم قال : ﴿ والسماء ذات الحبك ﴾ . قال ابن عباس : ذات البهاء والجمال والحسن والاستواء . وكذا قال مجاهد ، وعكرمة ، وسعيد بن جُبَير ، وأبو مالك ، وأبو صالح ، والسدي وقتادة ، وعطية العوفي ، والربيع بن أنس ، وغيرهم .

و[١] قال الضحاك ، والمنهال بن عمرو ، وغيرهما : مثل تجعد الماء والرمل والزرع إذا ضربته الريح ، فينسج بعضه بعضًا طرائق ، فذلك الحبك .

قال ابن جرير : حدثني يعقوب بن إبراهيم ، [حدثنا ابن عُلّية][٢] ، حدثنا أيوب ، عن أبي قلابة ، عن رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إن من ورائكم الكذاب المضل ، وإن رأسه من ورائه [حُبُكٌ حُبُكٌ][٣] » . يعني بالحبك : الجعودة(٣) .

وعن أبي صالح ﴿ ذات الحبك ﴾ : الشدة . وقال خُصيف : ﴿ ذات الحبك ﴾ : ذات الصفاقة . وقال الحسن بن أبي الحسن البصري : ﴿ ذات الحبك ﴾ : حبكت بالنجوم .

وقال قتادة : عن سالم بن أبي الجعد ، عن معدان بن أبي طلحة ، عن عمرو البَكَالي ، عن عبد الله بن عمرو[٤] : ﴿ والسماء ذات الحبك ﴾ ، يعني : السماء السابعة . وكأنه ، والله أعلم - أراد بذلك السماء التي فيها الكواكب الثابتة ، وهي عند كثير من علماء الهيئة في الفلك الثامن الذي فوق السابع ، والله أعلم . وكل هذه الأقوال ترجع إلى شيء واحد ، وهو الحسن والبهاء ، كما قال ابن عباس - رضي الله عنهما - فإنها من حسنها مرتفعة شفافة صفيقة ، شديدة البناء ، متسعة الأرجاء ، أنيقة البهاء ، مكللة بالنجوم الثوابت والسيارات ، موشحة بالشمس والقمر والكواكب الزاهرات .

وقوله : ﴿ إنكم لفي قول مختلف ﴾ أي : إنكم أيها المشركون المكذبون للرسل لفي قول مختلف مضطرب ، لا يلتئم ولا يجتمع .

وقال قتادة : إنكم لفي قول مختلف ، ما بين مصدق بالقرآن ومكذب به .

---

(٣) - أخرجه الطبري (١٩٠/٢٦) وفيه عبد الله بن زيد بن عمرو وهو أبو قلابة ، ثقة فاضل ، كثير الإرسال ، وبقية رجاله ثقات ، وجهالة الصحابي لا تضر .

---

[١] - سقط من ز .
[٢] - سقط من ز ، خ .
[٣] - في ز ، خ : حبكًا حبكًا .
[٤] - في ز : عمر .

﴿ يؤفك عنه من أفك ﴾ أي : إنما يروج علىٰ من هو ضال في نفسه ؛ لأنه قول باطل ، إنما ينقاد له ويضل بسببه ويؤفك عنه من هو مأفوك ضال غُمْر ، لا فهم له ، كما قال تعالىٰ : ﴿ فإنكم وما تعبدون ۝ ما أنتم عليه بفاتنين ۝ إلا من هو صال الجحيم ﴾ قال ابن عباس ، والسدي : ﴿ يؤفك عنه من أفك ﴾ : يضل عنه من ضل . وقال مجاهد : ﴿ يؤفك عنه من أفك ﴾ : يُؤفَن عنه من أُفِنَ. وقال الحسن البصري: يصرف عن هذا القرآن من كذب به .

وقوله : ﴿ قتل الخرّاصون ﴾ . قال مجاهد : الكذابون . قال : وهي مثل التي في عبس : ﴿ قتل الإنسان ما أكفره ﴾ والخراصون الذين يقولون : لا نبعث . ولا يوقنون . وقال عليّ بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : ﴿ قتل الخراصون ﴾ ، أي : لعن المرتابون .

وهكذا كان معاذ -رضي الله عنه- يقول في خطبه: هلك المرتابون. وقال قتادة: ﴿ الخراصون ﴾ أهل الغرة[١] والظنون.

وقوله : ﴿ الذين هم في غمرة ساهون ﴾ . قال ابن عباس وغير واحد : في[٢] الكفر والشك غافلون لاهون .

﴿ يسألون أيان يوم الدين ﴾ وإنما يقولون هذا تكذيبًا وعنادًا وشكًّا واستبعادًا . قال الله تعالىٰ : ﴿ يوم هم علىٰ النار يفتنون ﴾ .

قال ابن عباس، ومجاهد، والحسن وغير واحد : ﴿ يفتنون ﴾ : يعذبون كما يفتن الذهب على النار.

وقال جماعة[٣] آخرون كمجاهد أيضًا ، وعكرمة ، وإبراهيم النخعي ، وزيد بن أسلم ، وسفيان الثوري : ﴿ يفتنون ﴾ يحرقون .

﴿ ذوقوا فتنتكم ﴾ ، قال مجاهد : حريقكم . وقال غيره : عذابكم . ﴿ هذا الذي كنتم به تستعجلون ﴾ أي : يقال لهم ذلك تقريعًا وتوبيخًا وتحقيرًا وتصغيرًا .

إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٥﴾ ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ ﴿١٦﴾ كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾

---

[١] - بياض في ز ، خ .
[٢] - سقط من ز ، خ .
[٣] - في ز : جماعات .

﴿وَفِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴿١٩﴾ وَفِى ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾ وَفِى ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾ فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ ﴿٢٣﴾﴾

يقول تعالىٰ مخبرًا عن المتقين للّٰه عز وجل : إنهم يوم معادهم يكونون في جنات وعيون، بخلاف ما أولئك الأشقياء فيه من العذاب والنكال والحريق والأغلال .

وقوله : ﴿ **آخذين ما آتاهم ربهم** ﴾ . قال ابن جرير : أي[١] عاملين بما آتاهم اللّٰه من الفرائض : ﴿ **إنهم كانوا قبل ذلك محسنين** ﴾ أي : قبل أن يفرض عليهم الفرائض كانوا محسنين في الأعمال أيضًا . ثم روي عن ابن حميد ، حدثنا مِهْرَان ، عن سفيان ، عن أبي[٢] عمر ، عن مسلم البطين ، عن ابن عباس في قوله : ﴿ **آخذين ما آتاهم ربهم** ﴾ ، قال : من الفرائض ، ﴿ **إنهم كانوا قبل ذلك محسنين** ﴾ : قبل الفرائض يعملون (٤). وهذا الإسناد ضعيف ، ولا يصح عن ابن عباس . وقد رواه عثمان بن أبي شيبة ، عن معاوية بن هشام ، عن سفيان ، عن أبي عمر البزار ، عن مسلم البَطِين ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، فذكره(٥) . والذي فسر به ابن جرير فيه نظر ؛ لأن قوله : ﴿ **آخذين** ﴾ حال من قوله : ﴿ **في جنات وعيون** ﴾ ، فالمتقون في حال كونهم في الجنات والعيون آخذون ما آتاهم ربهم ، أي[٣] : من النعيم والسرور والغبطة .

وقوله : ﴿ **إنهم كانوا قبل ذلك** ﴾ أي : في الدار الدنيا ﴿ **محسنين** ﴾ ، كقوله : ﴿ **كلوا واشربوا هنيئًا بما أسلفتم في الأيام الخالية** ﴾ . ثم إنه تعالىٰ بَيّنَ إحسانهم في العمل فقال : ﴿ **كانوا قليلًا من الليل ما يهجعون** ﴾ ، اختلف المفسرون في ذلك علىٰ قولين :

أحدهما : أن « ما » نافية تقديره : كانوا قليلًا من الليل لا يهجعونه . قال ابن عباس : لم تكن تمضي عليهم ليلة إلا يأخذون منها ولو شيئًا .

وقال قتادة ، عن مطرف بن عبد اللّٰه : قَلَّ ليلة [ ][٤] تأتي عليهم لا يصلون فيها للّٰه -

---

(٤) - أخرجه الطبري (١٩٦/٢٦) وفي إسناده : أبو عمر وهو حفص بن سليمان : متروك الحديث مع إمامته في القراءة .

(٥) - في إسناده أبو عمر البزار متروك .

---

[١] - سقط من خ .

[٢] - في خ : ابن .

[٣] - سقط من ز .

[٤] - في ز : لا .

عز وجل - إما من أولها وإما من أوسطها .

وقال مجاهد : قَلّ ما يرقدون ليلة حتىٰ الصباح لا يتهجدون . وكذا قال قتادة .

وقال أنس بن مالك ، وأبو العالية : كانوا يصلون بين المغرب والعشاء .

وقال أبو جعفر الباقر : كانوا لا ينامون حتىٰ يصلوا العتمة .

و[١] القول الثاني : أن « ما » مصدرية ، تقديره : كانوا قليلًا من الليل هجوعهم ونومهم . واختاره ابن جرير .

وقال الحسن البصري : ﴿ **كانوا قليلًا من الليل ما يهجعون** ﴾ ، كابدوا قيام الليل ، فلا ينامون من الليل إلا أقله ، ونشطوا فمدّوا[٢] إلىٰ السحر ، حتىٰ كان الاستغفار بسحر .

وقال قتادة : قال الأحنف بن قيس : ﴿ **كانوا قليلًا من الليل ما يهجعون** ﴾ ، كانوا لا ينامون إلا قليلًا . ثم يقول : لست من أهل هذه الآية !

وقال الحسن البصري : كان الأحنف بن قيس يقول[٣] : عرضت عملي علىٰ عمل أهل الجنة ، [فإذا قوم][٤] قد باينونا بَونًا بعيدًا ، إذا قوم لا نبلغ أعمالهم ، كانوا قليلًا من الليل ما يهجعون . وعرضت عملي علىٰ عمل أهل النار فإذا قوم لا خير فيهم ، يكذبون[٥] بكتاب اللَّه وبرسل اللَّه ، يكذبون بالبعث بعد الموت ، فوجَدتُ من خيرنا منزلة قومًا خلطوا عملًا صالحًا وآخر سيئًا .

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : قال رجل من بني تميم لأبي : يا أبا أسامة ؛ صفة لا أجدها فينا ، ذكَرَ اللَّه قومًا فقال : ﴿ **كانوا قليلًا من الليل ما يهجعون** ﴾ [ونحن والله قليلًا من الليل][٦] ما نقوم . فقال له أبي : طوبىٰ لمن رقد إذا نَعَس ، واتقىٰ اللَّه إذا استيقظ .

وقال عبد الله بن سلام : لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة انجفل الناس إليه ، فكنت فيمن انجفل . فلما رأيت وجهه عرفت أن وجهه ليس بوجه رَجُل كذاب ، فكان أول ما سمعته يقول : « يا أيها الناس ؛ أطعموا الطعام ، وصلوا الأرحام ، وأفشوا السلام ، وصلوا بالليل والناس نيام ، تدخلوا الجنة بسلام »(٦) .

(٦) - أخرجه أحمد (٥/٤٥١) (٢٣٨٩٧) ، والترمذي في كتاب : صفة الكتاب ، باب : « أفشوا=

[١] - سقط من ز .
[٢] - في ز ، خ : عدوا .
[٣] - سقط من ز ، خ .
[٤] - سقط من ز ، خ .
[٥] - في ز : فيكذبون .
[٦] - ما بين المعكوفين سقط من ت .

وقال الإمام أحمد : حدثنا حسن بن موسىٰ ، حدثنا ابن لهيعة ، حدثني حُيَيّ بن عبد الله ، عن أبي عبد الرحمن الحُبُلي ، عن عبد الله بن عَمْرو ؛ أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم قال : « إن في الجنة غرفًا يرىٰ ظاهرها من باطنها ، وباطنها من ظاهرها » . فقال أبو موسىٰ الأشعري : لمن هي يا رسول الله ؟ قال : « لمن ألان الكلام ، وأطعم الطعام ، وبات لله قائمًا ، والناس نيام »(٧) .

وقال معمر في قوله: ﴿ **كانوا قليلًا من الليل ما يهجعون** ﴾ : كان الزهري والحسن يقولان : كانوا كثيرًا من الليل ما يصلون .

وقال ابن عباس ، وإبراهيم النخعي : ﴿ **كانوا قليلًا من الليل ما يهجعون** ﴾ : ما ينامون .

وقال الضحاك : ﴿ **إنهم كانوا قبل ذلك محسنين. كانوا قليلًا** ﴾ . ثم ابتدأ فقال : ﴿ **من الليل ما يهجعون وبالأسحار هم يستغفرون** ﴾ .

[وقوله عز وجل : ﴿ **وبالأسحار هم يستغفرون** ﴾][١] . قال مجاهد ، وغير واحد : يصلون . وقال آخرون : قاموا الليل ، وأخروا الاستغفار إلي الأسحار . كما قال تعالي : ﴿ **والمستغفرين بالأسحار** ﴾ ، فإن كان الاستغفار في صلاة فهو أحسن. وقد ثبت في الصحاح(٨) وغيرها عن جماعة من الصحابة ، عن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم؛ أنه قال : « إن الله ينزل كل ليلة إلىٰ سماء الدنيا حين يبقىٰ ثلث الليل الآخر[٢] ، فيقول : هل من

= السلام ، وأطعموا الطعام ... » ، حديث (٢٤٨٧) (١٨٢/٧ - ١٨٣) ، وابن ماجة في كتاب : الإقامة ، باب : ما جاء في قيام الليل ، حديث (١٣٣٤) (٤٢٣/١) . والدارمي في كتاب : الصلاة ، باب : فضل صلاة الليل ، حديث (١٤٦٨) (٢٨٠/١) ، والبغوي في « شرح السنة » (٤٠/٤) (٩٢٦) ، قال الترمذي : حديث صحيح . وهو كما قال ، وقد صححه الألباني في الصحيحة برقم (٥٦٩) .

(٧) - أخرجه أحمد (١٧٣/٢) وفيه ابن لهيعة وهو ضعيف . قال الهيثمي في « مجمع الزوائد » (١٠/ ٤٢٣) : رواه أحمد ورجاله وثقوا على ضعف في بعضهم . لكن يشهد له حديث أبي مالك الأشعري أخرجه أحمد (٣٤٣/٥) (٢٣٠١٢) ، والطبراني في « الكبير » (٣٤٢/٣) (٣٤٦٦) ، وابن حبان (٢/ ٢٦٢) (٥٠٩) .

كلهم من طريق عبد الرزاق ، عن معمر ، عن يحيى بن أبي كثير ، عن ابن معانق عن أبي مالك الأشعري بنحو حديث ابن عمرو ، وإسناده رجاله كلهم ثقات غير ابن معانق ، وهو عبد الله ، قال أبو بكر البرقاني : قلت لأبي الحسن الدارقطني : ابن معانق أو أبو معانق عن أبي مالك الأشعري ؟ فقال : لا شيء ، مجهول . [التهذيب (١٦١/١٦)] . ووثقه العجلي وابن حبان . قال الهيثمي في « مجمع الزوائد » (١٠/ ٤٢٣) : رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح ، غير عبد الله بن معانق ووثقه ابن حبان .

(٨) - أخرجه البخاري في كتاب : التهجد ، باب : الدعاء والصلاة من آخر الليل ، حديث =

[١] - سقط من ز ، خ . [٢] - في خ ، ت : الأخير .

تائب فأتوب عليه ؟ هل من مستغفر فأغفر له ؟ هل من سائل فَيُعطىٰ سؤله ؟ حتىٰ يطلع الفجر » .

وقال كثير من المفسرين في قوله تعالي إخبارًا عن يعقوب : إنه قال لبنيه : ﴿ **سوف أستغفر لكم ربي** ﴾ ، قالوا : أخَّرَهُم إلى وقت السحر .

وقوله : ﴿ **وفي أموالهم حق للسائل والمحروم** ﴾ : لما وصفهم بالصلاة ثَنَّىٰ بوصفهم بالزكاة والبر والصلة ، فقال : ﴿ **وفي أموالهم حق** ﴾ أي : جزء مقسوم قد أفرزوه للسائل والمحروم ، أما السائل فمعروف ، وهو الذي يبتدئ بالسؤال وله حق ؛ كما قال الإمام أحمد :

حدثنا وكيع وعبد الرحمن؛ قالا : حدثنا سفيان ، عن مصعب بن محمد ، عن يعلىٰ ابن[١] أبي يحيىٰ ، عن فاطمة بنت الحسين ، عن أبيها الحسين بن علي ؛ قال : قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « للسائل حق وإن جاء علىٰ فرس »(٩) . ورواه أبو داود من حديث سفيان الثوري به(١٠) . ثم أسنده من وجه آخر عن علي بن أبي طالب(١١) . وروي من حديث الهرماس بن زياد مرفوعًا(١٢) .

= (١١٤٥) (٣/٢٩) . وطرفاه في [٦٣٢١، ٧٤٩٤] . ومسلم في كتاب : صلاة المسافرين ، باب : الترغيب في الدعاء والذكر في آخر الليل والإجابة فيه ، حديث (٧٥٨/١٦٨) . وأبو داود في كتاب : الصلاة ، باب : أي الليل أفضل ، حديث (١٣١٥) (٢/٣٤) ، وفي كتاب : السنة (٤٧٣٣) (٤/ ٣٣٤) . والترمذي في كتاب : الدعوات ، باب : استحباب الدعاء في الثلث الأخير من الليل ، حديث (٣٤٩٣) (٩/١٦٧) . والنسائي في الكبرى في كتاب النعوت ، باب : المعافاة والعقوبة ، حديث (٧٧٦٨) (٤/٤٢٠) . وفي كتاب : عمل اليوم والليلة ، باب : الوقت الذي يستحب فيه الاستغفار ، حديث (١٠٣٦٣) (٦/١٢٣) . وابن ماجة في كتاب : الإقامة ، باب : ما جاء في أي ساعات الليل أفضل ، حديث (١٣٦٦) . كلهم من حديث أبي هريرة ، رضي الله عنه . قال الترمذي : حديث حسن صحيح ، وفي الباب عن علي ، وعبد الله بن مسعود ، وأبي سعيد ، وجبير بن مطعم ، ورفاعة الجهني ، وأبي الدرداء ، وعثمان بن أبي العاص .

(٩) - أخرجه أحمد (١/٢٠١) ، وفي إسناده يعلى بن أبي يحيى وهو مجهول . ومصعب بن محمد وثقه ابن معين . وقال أبو حاتم : صالح ، يكتب حديثه ولا يحتج به . وذكره ابن حبان في كتاب الثقات .

(١٠) - سنن أبي داود ، كتاب : الزكاة ، باب : حق السائل ، حديث (١٦٦٥) (٢/١٢٦) .

(١١) - سنن أبي داود في الموضع السابق برقم (١٦٦٦) (٢/١٢٦) من طريق زهير ، عن شيخ ، قال : رأيت سفيان عنده ، عن فاطمة بنت حسين ، عن أبيها عن علي ، عن النبي - صلى الله عليه وسلم - مثله . وهو إسناد ضعيف لجهالة هذا الشيخ .

(١٢) - أخرجه الطبراني في « الكبير » (٢٢/٢٠٣ - ٢٠٤) (٥٣٥) . =

---

[١] - في خ : عن .

وأما المحروم فقال ابن عباس ، ومجاهد : هو المحارَف[١] الذي ليس له في الإسلام سهم . يعني لا سهم له في بيت المال ، ولا كسب له ، ولا حرفة يتقوت منها .

وقالت أم المؤمنين عائشة : هو المحارف[٢] الذي لا يكاد يتيسر له مكسبه .

وقال الضحاك : هو الذي لا يكون له مال إلا ذهبَ ، قضىٰ الله له ذلك .

وقال أبو قلابة : جاء سيل باليمامة فذهب بمال رجل ، فقال رجل من الصحابة : هذا المحروم .

وقال ابن عباس أيضًا ، وسعيد بن المسيب ، وإبراهيم النخعي ، ونافع مولي ابن عمر ، وعطاء بن أبي رباح : المحروم : المحَارَف .

وقال قتادة ، والزهري : المحروم : الذي لا يسأل الناس شيئًا . قال الزهري : وقد قال رسول الله ، صلي الله عليه وسلم : « **ليس المسكين بالطواف الذي ترده اللقمة واللقمتان ، والتمرة والتمرتان ، ولكن المسكين الذي لا يجد غنىٰ يغنيه ، ولا يُفطَن له فَيُتصدّقَ عليه** »(١٣).

وهذا الحديث قد أسنده الشيخان في صحيحيهما من وجه آخر(١٤).

وقال سعيد بن جبير : هو الذي يجيء وقد قسم المغنم فيرضخ[٣] له .

وقال محمد بن إسحاق : حدثني بعض أصحابنا ؛ قال : كنا مع عمر بن عبد العزيز في طريق مكة [فجاء كلب][٤] فانتزع عمر كتف شاة فرمىٰ بها إليه ، وقال : يقولون : إنه المحروم .

وقال الشعبي : أعياني أن أعلم ما المحروم ؟

= من طريق عثمان بن فايد عن عكرمة بن عمار عن الهرماس بن زياد مرفوعًا به . قال الهيثمي في « مجمع الزوائد » (١٠٤/٣) : رواه الطبراني في الصغير والأوسط ، وفيه عثمان بن فايد وهو ضعيف . وقد ضعف الألباني طرق هذا الحديث في السلسلة الضعيفة (١٣٧٨/٣) وفيها زيادة فائدة فارجع إليها .

(١٣) - أخرجه الطبرى (٢٠٢/٢٦) من حديث الزهري هكذا مرفوعًا ، وقد وصله الشيخان من حديث أبي هريرة من طريق آخر ، ويأتي في الحديث التالى .

(١٤) - أخرجه البخاري في كتاب : الزكاة ، باب : قول الله تعالى : ﴿ **لا يسألون الناس إلحافا** ﴾ وكم الغنى ... ، حديث (١٤٧٦) (٣٤٠/٣) . وطرفاه في : [١٤٧٩، ٤٥٣٩] . ومسلم في كتاب : الزكاة ، باب : المسكين الذي لا يجد غنى ، ولا يفطن له فيتصدق عليه ، حديث (١٠١، ١٠٢/ ١٠٣٩) . كلاهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

[١] - في ز ، خ : المحارب .
[٢] - في ز ، خ : المحارب .
[٣] - في ز ، خ : فرضخ .
[٤] - بياض في ز ، خ .

واختار ابن جرير أن المحروم الذي لا مال له بأي سبب كان قد ذهب ماله ، سواء كان لا يقدر علىٰ الكسب ، أو قد هلك ماله أو نحوه بآفة أو نحوها .

وقال الثوري ، عن قيس بن مسلم ، عن الحسن بن محمد ؛ أن رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم بعث سرية فغنموا ، فجاء قوم لم يشهدوا الغنيمة فنزلت هذه الآية : ﴿ **وفي أموالهم حق للسائل والمحروم** ﴾(١٥) وهذا يقتضي أن هذه مدنية ، وليس كذلك ، بل هي مكية شاملة لما بعدها .

وقوله : ﴿ **وفي الأرض آيات للموقنين** ﴾ ، أي : فيها من الآيات الدالة علىٰ عَظَمة خالقها وقدرته الباهرة ، مما قد ذرأ فيها من صنوف النبات والحيوانات ، والمهاد والجبال ، والقفار[١] والأنهار والبحار ، واختلاف ألسنة الناس وألوانهم ، وما جبلوا عليه من الإِرادات والقُوَىٰ ، وما بينهم من التفاوت في العقول والفهوم والحركات ، والسعادة والشقاوة ، وما في تركيبهم من الحكم في وضع كل عضو من أعضائهم في المحَلّ الذي هو محتاج إليه فيه ، ولهذا قال : ﴿ **وفي أنفسكم أفلا تبصرون** ﴾ . قال قتادة : من تفكر في خلق نفسه عَرَف أنه إنما خلق ولينت مفاصله للعبادة .

ثم قال : ﴿ **وفي السماء رزقكم** ﴾ ، يعني المطر ، ﴿ **وما توعدون** ﴾ ، يعني الجنة . قاله ابن عباس ، ومجاهد ، وغير واحد .

وقال سفيان الثوري : قرأ واصل الأحدب هذه الآية : ﴿ **وفي السماء رزقكم وما توعدون** ﴾ ، فقال[٢] : ألا إني[٣] أرىٰ رزقي[٤] في السماء وأنا أطلبه في الأرض ؟ فدخل خَربة فمكث ثلاثًا لا يصيب شيئًا ، فلما أن كان في اليوم الثالث إذا هو بدَوخَلَة(*) من رطب ، وكان له أخ أحسن نية منه ، [فدخل معه][٥] فصارتا دَوخلَتَين ، فلم يزل ذلك دأبهما حتى فرق الموت بينهما .

وقوله : ﴿ **فورب السماء والأرض إنه لحق مثل ما أنكم تنطقون** ﴾ ، يقسم تعالىٰ بنفسه الكريمة أنّ ما وعدهم به من أمر القيامة والبعث والجزاء ، كائن لا محالة ، وهو حق لا مرية فيه ، فلا[٦] تشكوا فيه كما لا تشكوا في نطقكم حين تنطقون . وكان معاذ - رضي اللّٰه عنه - إذا حَدّث بالشيء يقول لصاحبه : إن هذا لحق كما أنك هاهنا .

---

(١٥) - أخرجه الطبري (٢٦/٢٠٢ - ٢٠٣) .

(*) الدوخلة : سقيفة من خوص كالزنبيل والقوصرة ، يترك فيها التمر وغيره . النهاية (١٣٨/٢) .

---

[١] - سقط من خ .
[٢] - سقط من ز ، خ .
[٣] - سقط من ز ، خ .
[٤] - سقط من خ .
[٥] - سقط من ز .
[٦] - في ز : ولا .

قال مسدد ، عن ابن أبي عدي ، عن عوف ، عن الحسن البصري ؛ قال : بلغني أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم قال : « **قاتل الله أقوامًا أقسم لهم ربهم ثم لم يصدقوا** » .

ورواه ابن جرير عن بندار عن ابن أبي عدي[١] عن عوف عن الحسن فذكره مرسلًا(١٦) .

هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٤﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَـٰمًا ۖ قَالَ سَلَـٰمٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٢٥﴾ فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴿٢٦﴾ فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٢٧﴾ فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ۖ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ ۖ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَـٰمٍ عَلِيمٍ ﴿٢٨﴾ فَأَقْبَلَتِ ٱمْرَأَتُهُۥ فِى صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ﴿٢٩﴾ قَالُوا۟ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٠﴾

هذه القصة قد تقدمت في سورة « هود » والحجر أيضًا . وقوله : ﴿ **هل أتاك حديث ضيف إبراهيم المكرمين** ﴾ أي : الذين أرصد لهم الكرامة . وقد ذهب الإمام أحمد وطائفة من العلماء إلىٰ وجوب الضيافة للنزيل ، وقد وردت السنة بذلك كما هو ظاهر التنزيل .

وقوله : ﴿ **قالوا سلامًا قال سلام** ﴾ ، الرفع أقوىٰ وأثبت من النصب ، فردُّه أفضل من التسليم ، ولهذا قال تعالىٰ : ﴿ **وإذا حُيّيتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها** ﴾ فالخليل اختار الأفضل .

وقوله : ﴿ **قوم منكرون** ﴾ ، وذلك أن الملائكة وهم : جبريل وإسرافيل وميكائيل قَدموا عليه في صُور شباب حسان ، عليهم مهابة عظيمة ؛ ولهذا قال : ﴿ **قوم منكرون** ﴾ .

وقوله : ﴿ **فراغ إلى أهله** ﴾ أي : انسل خفية في سرعة ، ﴿ **فجاء بعجل سمين** ﴾ أي: من خيار ماله . وفي الآية الأخرىٰ ﴿ **فما لبث أن جاء بعجل حنيذ** ﴾ أي : مشويّ علي الرَّضْف ، ﴿ **فقربه إليهم** ﴾ أي : أدناه منهم ، ﴿ **قال ألا تأكون** ﴾ ؟ : تَلَطّفٌ[٢] في العبارة وعَرْضٌ حسن .

---

(١٦) - تفسير الطبري (٢٠٦/٢٦) .
والحديث ذكره السيوطي في الدر (١٣٨/٦) وزاد نسبته إلى ابن أبي حاتم .

---

[١] - في ز : علي . [٢] - في ز : بلطف .

وهذه الآية انتظمت آداب الضيافة ، فإنه جاء بطعامه من حيث لا يشعرون بسرعة ، ولم يمتن عليهم أولا فقال : « نأتيكم بطعام ؟ » بل جاء به بسرعة وخفاء ، وأتىٰ بأفضل ما وجد من ماله ، وهو عجل فتي سمين مشوي ،فقربه إليهم ، لم يضعه . وقال : اقتربوا ، بل وضعه بين أيديهم ، ولم يأمرهم أمرًا يشق علىٰ سامعه بصيغة الجزم ، بل قال : ﴿ **ألا تأكلون** ﴾ ؟ علي سبيل العرض و التلطف ، كما يقول القائل اليوم : إن رأيت أن تتفضل وتحسن وتتصدق ، فافعل .

وقوله : ﴿ **فأوجس منهم خيفة** ﴾ ، هذا محال علىٰ ما تقدم في القصة في السورة الأخرىٰ[١] ، وهو قوله : ﴿ **فلما رأىٰ أيديهم لا تصل إليه نكِرهم وأوجس منهم خيفة قالوا لا تخف إنا أرسلنا إلى قوم لوط وامرأته قائمة فضحكت** ﴾ ، أي : استبشرت بهلاكهم ، لتمَردهم وعتوهم علىٰ الله . فعند ذلك بشرتها الملائكة بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب . ﴿ **قالت يا ويلتا أألد وأنا عجوز وهذا بعلي شيخًا إن هذا لشيء عجيب * قالوا أتعجبين من أمر الله رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت إنه حميد مجيد** ﴾ . ولهذا قال هاهنا : ﴿ **وبشروه بغلام عليم** ﴾ ، فالبشارة له هي بشارة لها ؛ لأن الولد [منهما ، فكل منهام][٢] بُشّر به .

وقوله : ﴿ **فأقبلت امرأته في صَرّة** ﴾ أي : في صرخة عظيمة ورَنَّة . قاله ابن عباس ، ومجاهد وعكرمة ، وأبو صالح ، والضحاك ، وزيد بن أسلم ، والثوري ، والسُّدي . وهي قولها : ﴿ **يا ويلتا** ﴾ . ﴿ **فصكت وجهها** ﴾ أي : ضربت بيدها علي جبينها . قاله مجاهد وابن سابط .

وقال ابن عباس : لطمت ، أي تعجبًا كما تتعجب النساء من الأمر الغريب ، ﴿ **وقالت عجوز عقيم** ﴾ ، أي كيف ألد وأنا عجوز ، وقد كنت في حال الصبا عقيمًا لا أحبل ؟ ﴿ **قالوا كذلك قال ربك إنه هو الحكيم العليم** ﴾ ، أي : عليم بما تستحقون من الكرامة ، حكيم في أقواله و أفعاله .

۞ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٣١﴾ قَالُوٓاْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾ لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن طِينٍ ﴿٣٣﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ ﴿٣٤﴾ فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٥﴾ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٦﴾ وَتَرَكْنَا فِيهَآ

---

[١] - في خ : الأولى . [٢] - في ز : « منها ، فكل منهم » .

ءَايَةً لِّلَّذِينَ يَخَافُونَ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٣٧﴾

قال اللّٰه مخبرًا عن إبراهيم - عليه السلام - : ﴿ **فلما ذهب عن إبراهيم الروع وجاءته البشرىٰ يجادلنا في قوم لوط * إن إبراهيم لحليم أواه منيب * يا إبراهيم أعرض عن هذا إنه قد جاء أمر ربك وإنهم آتيهم عذاب غير مردود** ﴾ . وقال هاهنا : ﴿ **قال فما خطبكم أيها المرسلون** ﴾ ؟ ، أي ماشأنكم وفيم جئتم ؟ ﴿ **قالوا إنا أرسلنا إلي قوم مجرمين** ﴾ ، يعنون قوم لوط ، ﴿ **لنرسل عليهم حجارة من طين * مسومة** ﴾ أي : مُعْلمة ﴿ **عند ربك للمسرفين** ﴾ أي: مكتتبة عنده بأسمائهم ، كل حجر عليه اسم صاحبه ، فقال في سورة العنكبوت : ﴿ **قال إن فيها لوطًا قالوا نحن أعلم بمن فيها لننجينه وأهله إلا امرأته كانت من الغابرين** ﴾ . وقال هاهنا : ﴿ **فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين** ﴾ ، وهم لوط وأهل بيته إلا امرأته ، ﴿ **فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين** ﴾ . احتج بهذه من ذهب إلىٰ رأي المعتزلة ، ممن لا يفرق بين[١] مسمىٰ الإيمان والإسلام ، لأنه أطلق عليهم المؤمنين والمسلمين . وهذا الاستدلال ضعيف ، لأن هؤلاء كانوا قومًا مؤمنين ، وعندنا أن كل مؤمن مسلم ولا ينعكس ، فاتفق الاسمان هاهنا لخصوصية الحال ، ولا يلزم ذلك في كل حال .

وقوله : ﴿ **وتركنا فيها آية للذين يخافون العذاب الأليم** ﴾ أي :جعلناها عبرة ، لما أنزلنا بهم من العذاب و النكال وحجارة السجيل ، وجعل[٢] محلتهم بحيرة منتنة خبيثة ، ففي ذلك عبرة للمومنين ، ﴿ **الذين يخافون العذاب الأليم** ﴾ .

وَفِي مُوسَىٰٓ إِذْ أَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾ فَتَوَلَّىٰ بِرُكْنِهِۦ وَقَالَ سَٰحِرٌ أَوْ
مَجْنُونٌ ﴿٣٩﴾ فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿٤٠﴾ وَفِى عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا
عَلَيْهِمُ ٱلرِّيحَ ٱلْعَقِيمَ ﴿٤١﴾ مَا تَذَرُ مِن شَىْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَٱلرَّمِيمِ ﴿٤٢﴾
وَفِى ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا۟ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٤٣﴾ فَعَتَوْا۟ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذَتْهُمُ
ٱلصَّٰعِقَةُ وَهُمْ يَنظُرُونَ ﴿٤٤﴾ فَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟ مِن قِيَامٍ وَمَا كَانُوا۟ مُنتَصِرِينَ ﴿٤٥﴾ وَقَوْمَ
نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٤٦﴾

يقول تعالى : ﴿ **وفي موسىٰ إذ أرسلناه إلى فرعون بسلطان مبين** ﴾ أي : بدليل باهر

[١] - في ز : من . [٢] - في ت : وجعلنا .

وحجة قاطعة ، ﴿ فتولىٰ بركنه ﴾ أي : فأعرض فرعون عما جاءه به موسىٰ من الحق المبين استكبارًا وعنادًا .

وقال مجاهد : تعزز بأصحابه . وقال قتادة : غلب عَدُوّ الله على قومه . وقال ابن زيد : ﴿ فتولىٰ بركنه ﴾ أي : بجموعه التي معه ، ثم قرأ : ﴿ لو أن لي بكم قوة أو آوي إلىٰ ركن شديد ﴾ .

والمعنى الأول قوي كقوله: ﴿ثاني عطفه ليضل عن سبيل الله﴾ أي : معرض عن الحق مستكبر . ﴿ وقال ساحر أو مجنون ﴾ ، أي : لايخلو أمرك فيما جئتني به من أن تكون ساحرًا أو مجنونًا ، قال الله تعالى : ﴿ فأخذناه وجنوده فنبذناهم ﴾ أي ألقيناهم ﴿ في اليم﴾ وهو البحر ، ﴿ وهو مليم ﴾ أي : وهو ملوم كافر جاحد[١] فاجر معاند .

ثم قال : ﴿ وفي عاد إذ أرسلنا عليهم الريح العقيم ﴾ أي : المفسدة التي لا تنتج شيئًا . قاله الضحاك ، وقتادة ، وغيرهما .

ولهذا قال : ﴿ ما تذر من شيء أتت عليه ﴾ أي : مما تفسده الريح ﴿ إلا جعلته كالرميم ﴾ ، أي : كالشيء الهالك البالي .

وقد قال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو عبيد الله [ابن أخي ابن وهب ، حدثنا عمي عبد الله ابن وهب ، حدثني عبد الله][٢] - يعني ابن عياش القِتْباني[٣] حدثني عبد الله بن سليمان ، عن دَرّاج ، عن عيسىٰ بن هلال الصدَفي ، عن عبد الله بن عمرو قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « الريح مسخرة من الثانية - يعني من الأرض الثانية - فلما أراد الله أن يهلك عادًا أمر خازن الريح أن يرسل عليهم ريحًا تهلك عادًا ، قال : أيْ رَبّ ؛ أرسل عليهم من[٤] الريح قدر منخر الثور ؟ قال له الجبار : لا إذًا تكفأ الأرض ومن عليها ولكن أرسل بقدر خاتم . فهي التي يقول الله في كتابه : ﴿ ما تذر من شيء أتت عليه إلا جعلته كالرميم ﴾ » .

هذا الحديث رفعه منكر ، والأقرب أن يكون موقوفًا على عبد الله بن عمرو من زاملتيه اللتين أصابهما يوم اليرموك . والله أعلم .

قال سعيد بن المسيب وغيره في قوله : ﴿[إذ أرسلنا][٥] عليهم الريح العقيم﴾ قالوا :

---

[١] - سقط من ز ، خ .

[٢] - ما بين المعكوفين سقط من ز ، خ .

[٣] - في ز : القتبان . وفي خ : العنان .

[٤] - سقط من ت .

[٥] - في ز : فأرسلنا .

هي الجنوب . وقد ثبت في الصحيح من رواية شعبة ، عن الحكم ، عن مجاهد ، عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **نصرت بالصبا ، وأهلكت عاد بالدَّبُور** »(١٧) .

﴿ **وفي ثمود إذ قيل لهم تمتعوا حتى حين** ﴾ ، قال ابن جرير : يعني إلىٰ وقت فناء آجالكم . والظاهر أن هذه كقوله : ﴿ **وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمىٰ علىٰ الهدىٰ فأخذتهم صاعقة العذاب الهون** ﴾ وهكذا قال هاهنا : ﴿ **وفي ثمود إذ قيل لهم تمتعوا حتى حين * فعتوا عن أمر ربهم فأخذتهم الصاعقة وهم ينظرون** ﴾ ، وذلك أنهم انتظروا العذاب ثلاثة أيام ، وجاءهم في صبيحة اليوم الرابع بُكرَةَ النهار ، ﴿ **فما استطاعوا من قيام** ﴾ أي : من هَرَب ولا نهوض ، ﴿ **وما كانوا منتصرين** ﴾ أي : ولا يقدرون علىٰ أن ينتصروا[١] مما هم فيه .

وقوله : ﴿ **وقوم نوح من قبل** ﴾ أي : وأهلكنا قوم نوح من قبل هؤلاء ﴿ **إنهم كانوا قومًا فاسقين** ﴾ . وكل هذه القصص قد تقدمت مبسوطة في أماكن كثيرة ، من سور متعددة .

وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴿٤٧﴾ وَٱلْأَرْضَ فَرَشْنَٰهَا فَنِعْمَ ٱلْمَٰهِدُونَ ﴿٤٨﴾ وَمِن كُلِّ شَىْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٤٩﴾ فَفِرُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۖ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ وَلَا تَجْعَلُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ۖ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥١﴾

يقول تعالىٰ منبهًا علىٰ خلق العالم العلوي والسفلي : ﴿ **والسماء بنيناها** ﴾ أي : جعلناها سقفًا رفيعًا ﴿ **بأيد** ﴾ أي : بقوة . قاله ابن عباس ، ومجاهد ، وقتادة ، والثوري ، وغير واحد . ﴿ **وإنا لموسعون** ﴾ أي : و[٢] قد وسعنا أرجاءها ورفعناها بغير عَمَد ، حتىٰ استقلت كما هي ، ﴿ **والأرض فرشناها** ﴾ أي : جعلناها فراشًا للمخلوقات ، ﴿ **فنعم الماهدون** ﴾ أي : وجعلناها مهدًا لأهلها ، ﴿ **ومن كل شيء خلقنا زوجين** ﴾ ، أي : جميع المخلوقات أزواجٌ : سماء وأرض ، وليل ونهار ، وشمس وقمر ، وبر وبحر ، وضياء وظلام ، وإيمان وكفر ، وموت وحياة ، وشقاء وسعادة ، وجنة ونار ، حتىٰ الحيوانات والنباتات ؛ ولهذا قال : ﴿ **لعلكم تذكرون** ﴾ ، أي : لتعلموا أن الخالق واحدٌ لا شريك

(١٧) - أخرجه البخاري في كتاب : الاستسقاء ، باب : قول النبي - صلى الله عليه وسلم - : « **نصرت بالصبا** » ، حديث (١٠٣٥) (٢/٥٢٠) . وأطرافه في : [٣٢٠٥، ٣٣٤٣، ٤١٠٥] .

[١] - في ز : ينصروا . [٢] - سقط من خ .

له ، ﴿ ففروا إلى الله ﴾ ، أي : الجئوا إليه ، واعتمدوا في أموركم عليه ، ﴿ إني لكم منه نذير مبين [﴿ ولا تجعلوا مع الله إلهًا آخر ﴾ ، أي : لا تشركوا به شيئًا ، ﴿ إني لكم منه نذير مبين ﴾][١] .

كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُواْ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴿٥٢﴾ أَتَوَاصَوْاْ بِهِۦ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٥٣﴾ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَآ أَنتَ بِمَلُومٍ ﴿٥٤﴾ وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٥﴾ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾ فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ ذَنُوبًا مِّثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَٰبِهِمْ فَلَا يَسْتَعْجِلُونِ ﴿٥٩﴾ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن يَوْمِهِمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ ﴿٦٠﴾

يقول تعالى مسليًا نبيه صلى الله عليه وسلم : وكما قال لك[٢] هؤلاء المشركون ، قال المكذبون الأولون لرسلهم : ﴿ كذلك ما أتى الذين من قبلهم من رسول إلا قالوا ساحر أو مجنون ﴾ ! . قال الله تعالى : ﴿ أتواصوا به ﴾ ؟ أي : أوصى بعضهم بعضًا بهذه المقالة ؟ ﴿ بل هم قوم طاغون ﴾ أي : لكن هم قوم طغاة ، تشابهت قلوبهم ، فقال متأخرهم كما قال متقدمهم . قال الله تعالى : ﴿ فتول عنهم ﴾ أي : فأعرض عنهم يا محمد ، ﴿ فما أنت بملوم ﴾ ، يعني : فما نلومك على ذلك ، ﴿ وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين ﴾ ، أي : إنما تنتفع بها القلوب المؤمنة .

ثم قال تعالى : ﴿ وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ﴾ أي : إنما خلقتهم لآمرهم بعبادتي لا لاحتياجي إليهم .

وقال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : ﴿ إلا ليعبدون ﴾ أي : إلا ليقروا بعبادتي طوعًا أو كرهًا . وهذا اختيار ابن جرير .

وقال ابن جريج : إلا ليعرفون . وقال الربيع بن أنس : ﴿ إلا ليعبدون ﴾ أي : إلا للعبادة . وقال السدي : من العبادة ما ينفع ومنها مالا ينفع ، ﴿ ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله ﴾ ، هذا منهم عبادة ، وليس ينفعهم مع الشرك . وقال

---

[١] - سقط من ز . [٢] - سقط من خ .

الضحاك : المراد بذلك المؤمنون .

وقوله : ﴿ **ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون * إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين**﴾ . قال الإمام أحمد :

حدثنا يحيىٰ بن آدم وأبو سعيد ؛ قالا : حدثنا إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن عبد الرحمن بن يزيد ، عن عبد الله بن مسعود ؛ قال : أقرأني رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : (إني أنا[١] الرزاق ذو القوة المتين)(١٨) .

ورواه أبو داود ، والترمذي ، والنسائي ، من حديث إسرائيل(١٩) ، وقال الترمذي : حسن صحيح .

ومعنىٰ الآية أنه تعالىٰ خلق العباد ليعبدوه وحده لا شريك له ، فمن أطاعه جازاه أتم الجزاء ، ومن عصاه عذبه أشد العذاب . وأخبر أنه غير محتاج إليهم ، بل هم الفقراء إليه في جميع أحوالهم ؛ فهو خالقهم ورازقهم .

قال الإمام أحمد : حدثنا محمد بن عبد الله ، حدثنا عمران - يعنى ابن زائدة بن نشيط - عن أبيه ، عن أبي خالد - هو الوالبي[٢] - عن أبي هُرَيرة ؛ قال : قال رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم : [ ][٣] «**قال الله : [يا بن][٤] آدم ؛ تفرغ لعبادتي أملأ صدرك غنىٰ ، وأسدّ فقرك ، وإلا تفعل ملأت صدرك شغلاً ولم أسد فقرك**»(٢٠) .

ورواه الترمذي وابن ماجة ، من حديث عمران بن زائدة (٢١)، وقال الترمذي : حسن

(١٨) - أخرجه أحمد (٣٩٤/١) ، وفيه أبو إسحاق السبيعي ثقة إلا أنه اختلط بأخرة وكان يدلس ، وقد عنعن .

(١٩) - سنن أبي داود في كتاب : الحروف والقراءات ، حديث (٣٩٩٣) (٣٥/٣) . والترمذي في كتاب : القراءات ، باب : ومن سورة الذاريات ، حديث (٢٩٤١) (١٣٧/٨ - ١٣٨) . والنسائي في الكبرى في كتاب : التفسير ، باب : قوله تعالى : ﴿ **وفي عاد إذا أرسلنا عليهم الريح العقيم**﴾ ، حديث (١١٥٢٧) . كلهم من طريق أبي إسحاق . قال الترمذي : حسن صحيح . والحديث صححه الشيخ أحمد شاكر في تعليقاته على المسند . وصحح متنه الشيخ الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢٣٤٣ - ٣١٢٢) .

(٢٠) - أخرجه أحمد (٣٥٨/٢) . وفي إسناده أبو خالد الوالبي والراوي عنه زائدة بن نشيط كلاهما قال عنه الحافظ : مقبول .

(٢١) - أخرجه الترمذي في كتاب : صفة القيامة ، باب : من كانت الآخرة همه جاءته الدنيا راغمة ، حديث (٢٤٦٨) (١٧١/٧) . =

[١] - في خ : لأنا .

[٢] - في ز ، خ : النواي . كذا .

[٣] - في ز ، خ : يعني .

[٤] - في ز ، خ : ابن .

غريب .

وقد روىٰ الإمام أحمد عن وكيع وأبي معاوية ، عن الأعمش ، عن سلام أبي[١] شرحبيل ، سمعت حَبّة[٢] وسواء ابني خالد يقولان : أتينا رسول اللَّه - صلىٰ اللَّه عليه وسلم وهو يعمل عملًا - أو[٣] يبني بناء - وقال أبو معاوية : يصلح شيئًا - فأعناه عليه ، فلما فرغ دعا لنا وقال : « لا تيأسا من الرزق ما تَهَزّزت[٤] رءوسكما ، فإن الإنسان تلده[٥] أمه أحمر ليس عليه قشْرة[٦] ، ثم يعطيه اللَّه ويرزقه »(٢٢) .

وفي بعض الكتب الإلهية[٧] يقول اللَّه تعالىٰ : « ابن آدم ؛ خلقتك لعبادتي فلا تلعب . وتكفلت[٨] برزقك فلا تتعب . فاطلبني[٩] تجدني ، فإن وجدتني وجدت كل شيء ، وإن فُتّك فاتك كل شيء ، وأنا أحب إليك من كل شيء » .

وقوله : ﴿ **فإن للذين ظلموا ذنوبًا** ﴾ أي : نصيبًا من العذاب ، ﴿ **مثل ذنوب أصحابهم فلا يستعجلون** ﴾ أي : فلا يستعجلوا ذلك ، فإنه واقع بهم[١٠] لا محالة ﴿ **فويل للذين كفروا من يومهم الذي يوعدون** ﴾ يعني : يوم القيامة .

[آخر تفسير سورة الذاريات] .

☆ ☆ ☆

= وابن ماجة في كتاب : الزهد ، باب : الهم بالدنيا ، حديث (٤١٠٧) (١٣٧٦/٢) . وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (١٣٥٩) .

(٢٢) - أخرجه أحمد (٤٦٩/٣) برقم (١٥٨٩٨، ١٥٨٩٩) .

وفيه سلام أبو شرحبيل ، قال فيه الحافظ : مقبول .

[١] - في ز ، خ : ابن .

[٢] - في ز : حية .

[٣] - في ز ، خ : و .

[٤] - في ز ، خ : تهزهزت .

[٥] - في ز ، خ : هذه .

[٦] - في ز : بُرّة . وفي خ : بسرة .

[٧] - بياض في ز . وسقط في خ .

[٨] - في خ : وتكلفت .

[٩] - في ز : واطلبني .

[١٠] - سقط من ت ، خ .

تفسير سورة الطور

وهي مكية

قال مالك (١) : عن الزهري ، عن محمد بن جُبَير بن مطعم ، عن أبيه : سمعت النبي صلىٰ الله عليه وسلم يقرأ في المغرب بالطور ، فما سمعت أحدًا أحسن صوتًا - أو : قراءة - منه . أخرجاه من طريق مالك .

وقال البخاري(٢) : حدثنا عبد الله بن يوسف ، أخبرنا مالك ، عن محمد بن عبد الرحمن بن نوفل ، عن عروة ، عن زينب بنت أبي[١] سلمة ، عن أم سلمة قالت : شكوت إلىٰ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم أني أشتكي ، فقال : « **طوفي من وراء الناس وأنت راكبة** » . فطفت ورسول الله صلىٰ الله عليه وسلم يصلي إلىٰ جنب البيت يقرأ بالطور وكتاب مسطور.

﴿ وَالطُّورِ ۝١ وَكِتَٰبٍ مَّسْطُورٍ ۝٢ فِى رَقٍّ مَّنشُورٍ ۝٣ وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ ۝٤ وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ ۝٥ وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ ۝٦ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَٰقِعٌ ۝٧ مَا لَهُۥ مِن دَافِعٍ ۝٨ يَوْمَ تَمُورُ السَّمَآءُ مَوْرًا ۝٩ وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا ۝١٠ فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ۝١١ الَّذِينَ هُمْ فِى خَوْضٍ يَلْعَبُونَ ۝١٢ يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا ۝١٣ هَٰذِهِ النَّارُ الَّتِى كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ۝١٤ أَفَسِحْرٌ هَٰذَآ أَمْ أَنتُمْ لَا تُبْصِرُونَ ۝١٥ اصْلَوْهَا فَاصْبِرُوٓا أَوْ لَا تَصْبِرُوا سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ

(١) أخرجه مالك في الموطأ ، كتاب : الصلاة ، باب : القراءة في المغرب والعشاء ، حديث (٢٣) (١/ ٨٨) . ومن طريقه البخاري في كتاب الأذان ، باب : الجهر في المغرب ، حديث (٧٦٥) . وأطرافه في : (٣٠٥٠، ٤٠٢٣، ٤٨٥٤) . ومسلم في كتاب الصلاة ، حديث ١٦٤ - (٤٦٣) (٢٣٩/٤) بنحوه .

(٢) - أخرجه البخاري في كتاب الصلاة ، باب : إدخال البعير في المسجد للعلة ، حديث (٤٦٤) . وأطرافه في : (١٦١٩، ١٦٢٦، ١٦٣٣، ٤٨٥٣) . ومسلم في كتاب الحج ، باب : جواز الطواف على بعير وغيره ، واستلام الحجر بمحجن ونحوه للراكب . حديث ٢٥٨ - (١٢٧٦) .

[١] - في خ : أم .

﴿مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۝١٦﴾

يقسم تعالىٰ بمخلوقاته الدالة علىٰ قدرته العظيمة ، أن عذابه واقع بأعدائه ، وأنه لا دافع له عنهم . فالطور هو : الجبل الذي يكون فيه أشجار ، مثل الذي كلم اللّٰه عليه موسىٰ ، وأرسل منه عيسىٰ . وما لم يكن فيه شجر لا يسمىٰ طورًا ، إنما يقال له : جبل .

﴿ وكتاب مسطور ﴾ قيل : هو اللوح المحفوظ . وقيل : الكتب المنزلة المكتوبة التي تقرأ علىٰ الناس جهارًا ؛ ولهذا قال : ﴿ في رق منشور * والبيت المعمور ﴾ . و[١] ثبت في الصحيحين أن رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم قال في حديث الإسراء بعد مجاوزته إلىٰ السماء السابعة : « ثم رفع بي إلىٰ البيت المعمور ، وإذا هو يدخله في كل يوم سبعون ألفًا لا يعودون إليه آخر ما عليهم »(٣) . يعني : يتعبدون فيه ويطوفون به ، كما يطوف أهل الأرض بكعبتهم . كذلك ذاك البيت ، هو كعبة أهل السماء السابعة ؛ ولهذا وجد إبراهيم الخليل - عليه السلام - مسندًا ظهره إلىٰ البيت المعمور ؛ لأنه باني الكعبة الأرضية ، والجزاء من جنس العمل ، وهو بحيال الكعبة ، وفي كل سماء بيت يتعبد فيه أهلها ، ويصلون إليه ، والذي في السماء الدنيا يقال له : بيت العزة . واللّٰه أعلم .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا هشام بن عمار ، حدثنا الوليد [بن مسلم][٢]، حدثنا روح بن جَنَاح[٣] ، عن الزهري ، عن سعيد بن المسيب ، عن أبي هريرة ، عن النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم؛ قال : « في السماء السابعة[٤] بيت يقال له: المعمور ، بحيال الكعبة ، وفي السماء الرابعة نهر يقال له : الحيوان ، يدخله جبريل كل يوم ، فينغمس فيه انغماسة ، ثم يخرج فينتفض انتفاضة يخرّ عنه سبعون ألف قطرة ، يخلق اللّٰه من كل قطرة ملكًا يؤمرون أن يأتوا البيت المعمور ، فيصلوا فيه فيفعلون ، ثم يخرجون فلا يعودون إليه أبدًا ، ويولى عليهم أحدهم ، يؤمر أن يقف بهم من السماء موقفا يسبحون اللّٰه فيه إلىٰ أن تقوم الساعة »(٤) .

---

(٣) - أخرجه البخاري في كتاب : بدء الخلق ، باب : ذكر الملائكة ، حديث (٣٢٠٧) (٦/٣٠٢ - ٣٠٣) . وأطرافه في : [٣٣٩٣، ٣٤٣٠، ٣٨٨٧] . ومسلم في كتاب : الإيمان ، باب : الإسراء برسول الله - صلى الله عليه وسلم - حديث (١٦٤/٢٦٤) (٢/٢٩٠ - ٢٩٢) .
من حديث مالك بن صعصعة .

(٤) - أخرجه العقيلي (٢/٥٩ - ٦٠) في ترجمة روح بن جناح . وابن عدي في الكامل (٣/١٠٠٤) في ترجمة روح أيضًا . كلاهما من طريق الوليد بن مسلم - زاد ابن عدي ثنا أبو سعد - ثنا روح ... بهذا=

---

[١] - سقط من ز .
[٢] - سقط من ز ، خ .
[٣] - في ز ، خ : حاج . كذا .
[٤] - سقط من ز ، خ .

هذا حديث غريب جدًّا تفرد به روح بن جناح[١] هذا ، وهو القرشي الأموي مولاهم أبو سعد[٢] الدمشقي ، وقد أنكر هذا الحديث عليه جماعة من الحفاظ منهم : الجَوْزَجَاني ، والعقيلي ، والحاكم أبو عبد اللَّه النيسابوري ، وغيرهم . قال الحاكم : لا أصل له من حديث أبي هريرة ، ولا سعيد ، ولا الزهري [ ][٣] .

وقال ابن جرير : حدثنا هناد بن السري ، حدثنا أبو الأحوص ، عن سماك بن حرب ، عن خالد بن عرعرة ؛ أن رجلًا قال لعليٍّ : ما البيت المعمور ؟ قال : بيت في السماء يقال له « الضّراح » ، وهو بحيال الكعبة من فوقها ، حرمته في السماء كحرمة البيت في الأرض ، يصلي فيه كل يوم سبعون ألفًا من الملائكة ، لا يعودون فيه أبدًا (٥).

وكذا رواه شعبة وسفيان الثوري ، عن سماك . وعندهما أن ابن الكواء هو السائل عن ذلك . ثم رواه ابن جرير عن أبي كريب ، عن طلق بن غنام ، عن زائدة ، عن عاصم ، عن علي بن ربيعة ؛ قال : سأل ابن الكواء عليًا عن البيت المعمور ؟ قال : مسجد في السماء يقال له « الضّراح » ، يدخله كل يوم سبعون ألفًا من الملائكة ، ثم لا يعودون فيه أبدًا . ورواه من حديث أبي الطفيل ، عن علي بمثله (٦).

وقال العوفي عن ابن[٤] عباس : هو بيت حذاء العرش تعمره الملائكة ويصلي فيه كل ليلة[٥] سبعون ألفًا من الملائكة ثم لا يعودون إليه . وكذا قال عكرمة ، ومجاهد ، والربيع ابن أنس ، والسدي ، وغير واحد من السلف .

وقال قتادة : ذكر لنا أن رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم قال يومًا لأصحابه : « هل

= الإسناد . قال العقيلي : لا يحفظ من حديث الزهري إلا عن روح بن جناح هذا ، وفيه رواية من غير هذا الوجه بإسناد صالح في ذكر البيت المعمور . قال ابن عدي : ولا يعرف هذا الحديث إلا بروح بن جناح عن الزهري . ونقل عن السعدي أنه قال : روح بن جناح ذكر عن الزهري حديثًا معضلًا في البيت المعمور . قال الحافظ في التقريب : روح بن جناح : ضعيف اتهمه ابن حبان . والحديث فيه الوليد بن مسلم أيضًا وهو يدلس ويسوي .

(٥) - أخرجه الطبري (١٦/٢٧) . وفي إسناده خالد بن عرعرة ذكره ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل (٣/ ٣٤٣) ولم يذكر فيه جرحًا ولا تعديلًا .

(٦) - أخرجه الطبري (١٧/٢٧) وفيه عاصم بن بهدلة وهو ابن أبي النجود قال عنه الحافظ : صدوق له أوهام .

---

[١] - في خ : حاج .
[٢] - في ز ، خ : سعيد .
[٣] - في ز ، خ : به .
[٤] - سقط من ت .
[٥] - في خ : يوم .

تدرون ما البيت المعمور ؟ » . قالوا : اللّٰه ورسوله أعلم . قال : « فإنه مسجد في السماء بحيال الكعبة[١] ، لو خرّ لخر عليها ، يصلي فيه كل يوم سبعون ألف ملك ، إذا خرجوا منه لم يعودوا آخر ما عليهم »(٧) .

وزعم الضحاك أنه يعمره طائفة من الملائكة يقال لهم الحن[٢] من قبيلة إبليس، فالله أعلم.

وقوله : ﴿ والسقف المرفوع ﴾ قال سفيان الثوري ، وشعبة ، وأبو الأحوص ، عن سماك ، عن خالد بن عرعرة ، عن علي : ﴿ والسقف المرفوع ﴾ يعني : السماء . قال سفيان : ثم تلا : ﴿ وجعلنا السماء سقفًا محفوظًا وهم عن آياتها معرضون ﴾ . وكذا قال مجاهد ، وقتادة ، والسدي ، وابن جريج ، وابن زيد ، واختاره ابن جرير .

وقال الربيع بن أنس : هو العرش . يعني : أنه سقف لجميع المخلوقات ، وله اتجاه ، وهو يُراد مع غيره كما قاله الجمهور .

وقوله : ﴿ والبحر المسجور ﴾ . قال الربيع بن أنس : هو الماء الذي تحت العرش ، الذي ينزل الله[٣] منه المطر الذي يحيي به الأجساد في قبورها يوم معادها . وقال الجمهور : هو هذا البحر . واختلف في معنىٰ قوله : ﴿ المسجور ﴾ فقال بعضهم : المراد أنه يوقد يوم القيامة نارًا كقوله : ﴿ وإذا البحار سجرت ﴾ ، أي : أضرمت فتصير نارًا تتأجج ، محيطة بأهل الموقف . رواه سعيد بن المسيب ، عن علي بن أبي طالب ، ورُوي عن ابن عباس . وبه يقول سعيد بن جبير ، ومجاهد ، وعبد اللّٰه بن عُبيد بن عُمَير ، وغيرهم .

وقال العلاء بن بدر : إنما سمي البحر المسجور ؛ لأنه لا يُشرب منه ماء ، ولا يسقىٰ به زرع ، وكذلك البحار يوم القيامة . كذا رواه عنه ابن أبي حاتم .

وعن سعيد بن جبير: ﴿والبحر المسجور﴾ يعني: المرسل وقال قتادة: المسجور: المملوء واختاره ابن جرير، ووجهه بأنه ليس موقدًا[٤] اليوم فهو مملوء. وقيل : المراد به الفارغ[٥] ، قال الأصمعي ، عن أبي[٦] عمرو بن العلاء ، عن ذي الرمة ، عن ابن عباس في قوله : ﴿ والبحر المسجور ﴾ قال : الفارغ ؛ خرجت أمَة تستسقي فرجعت فقالت : إن الحوض مسجور . تعني : فارغًا . رواه ابن مردويه في مسانيد الشعراء .

---

(٧) - أخرجه الطبرى (١٧/٢٧) . وقتادة مدلس وقد أرسل هذا الحديث أيضًا .

---

[١] - في ز : البيت .
[٢] - في ز : الجن .
[٣] - سقط من ت .
[٤] - في ت : موجودًا .
[٥] - في ت : الفراغ .
[٦] - في خ : ابن .

وقيل: المراد بالمسجور الممنوع المكفوف عن الأرض؛ لئلا[١] يغمرها فيغرق أهلها. قاله علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس. وبه يقول السدي وغيره، وعليه يدل الحديث الذي رواه الإمام أحمد رحمه الله في مسنده، فإنه قال:

حدثنا يزيد، حدثنا العوام، حدثني شيخ كان مرابطًا بالساحل؛ قال: لقيت أبا صالح مولىٰ عمر بن الخطاب فقال: حدثنا عمر بن الخطاب، عن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم قال: «ليس من ليلة إلا والبحر يشرف فيها ثلاث مرات، يستأذن الله أن ينفضخ عليهم فيكفه[٢] الله عز وجل»(٨).

وقال الحافظ أبو بكر الإسماعيلي: حدثنا الحسن بن سفيان، عن إسحاق بن راهويه، عن يزيد - وهو ابن هارون - عن العوام بن حوشب، حدثني شيخ مرابط؛ قال: خرجت ليلة لحرسي لم يخرج أحد من الحرس غيري، فأتيت الميناء فصعدت، فجعل يخيل إليَّ أن البحر يشرف يحاذي رءوس[٣] الجبال، فعل ذلك مرارًا وأنا مستيقظ، فلقيت أبا صالح فقال: حدثنا عمر بن الخطاب؛ أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم؛ قال: «ما من ليلة إلا والبحر يشرف ثلاث مرات يستأذن الله أن ينفضخ عليهم، فيكفه الله عز وجل»(٩). فيه رجل مُبهم لم يسم.

وقوله: ﴿إن عذاب ربك لواقع﴾ هذا هو المقسم عليه، أي: واقع[٤] بالكافرين، كما قال في الآية الأخرىٰ: ﴿ماله من دافع﴾ أي: ليس له دافع يدفعه عنهم إذا أراد الله بهم ذلك.

قال الحافظ أبو بكر بن أبي الدنيا: حدثنا أبي، حدثنا موسى بن داود، عن صالح المرّي[٥]، عن جعفر بن زيد العبدي؛ قال: خرج عمر يعسُّ المدينة ذات ليلة، فمر بدار رجل من المسلمين، فوافقه قائمًا يصلي، فوقف يستمع قراءته فقرأ: ﴿والطور﴾ حتىٰ بلغ: ﴿إن عذاب ربك لواقع * ماله من دافع﴾، قال: قَسَمٌ - ورب الكعبة - حَقٌّ. فنزل عن حماره، واستند إلىٰ حائط، فمكث مليًا ثم رجع إلىٰ منزله، فمكث شهرًا يعوده

(٨) - أخرجه أحمد (٤٣/١). وإسناده ضعيف لجهالة هذا الشيخ. وقد ضعف هذا الحديث أحمد شاكر في تعليقه على المسند.

(٩) - إسناده كسابقه.

[١] - في ز، خ: لا.

[٢] - في ت: فيكفيه.

[٣] - في ز، خ: برءوس.

[٤] - في ت: الواقع.

[٥] - في ز: المزي. وفي خ: المزني.

الناس لا يدرون ما مرضه رضي الله عنه(١٠) .

وقال الإمام أبو عُبَيد في « فضائل القرآن » : حدثنا محمد بن صالح ، حدثنا هشام بن حسان ، عن الحسن ؛ أن عمر قرأ : ﴿ إن عذاب ربك لواقع ﴾ ، فربا لها ربوة عِيدَ منها عشرين يومًا(١١) .

وقوله : ﴿ يوم تمور السماء مورًا ﴾ قال ابن عباس وقتادة : تتحرك تحريكًا . وعن ابن عباس : هو تشققها ، وقال مجاهد : تدور دورًا . وقال الضحاك : استدارتها وتحريكها لأمر الله ، وموج بعضها في بعض . وهذا اختيار ابن جرير أنه التحرك في استدارة . قال : وأنشد أبو عبيدة[١] معمر بن المثنى بيت الأعشى[٢] .

كَأَنَّ مِشْيَتَهَا مِنْ بَيْتِ جَارَتِهَا مَوْرُ[٣] السَّحَابَةِ لَا رَيْثٌ وَلَا عَجَلُ

﴿ وتسير الجبال سيرًا ﴾ أي : تذهب فتصير هباء منبثًا ، وتنسف نسفًا ، ﴿ فويل يومئذ للمكذبين ﴾ أي : ويل لهم ذلك اليوم من عذاب الله ونكاله بهم ، وعقابه لهم ، ﴿ الذين هم في خوض يلعبون ﴾ أي : هم في الدنيا يخوضون في الباطل ، ويتخذون دينهم هزوًا ولعبًا ، ﴿ يوم يُدَعّون ﴾ أي : يدفعون ويساقون ﴿ إلىٰ نار جهنم دَعًّا ﴾ . وقال مجاهد ، والشعبي ، ومحمد بن كعب ، والضحاك ، والسدي ، والثوري : يدفعون فيها دفعًا : ﴿ هذه النار التي كنتم بها تكذبون ﴾ أي : تقول لهم الزبانية ذلك تقريعًا وتوبيخًا ، ﴿ أفسحر هذا أم أنتم لا تبصرون * اصلوها ﴾ أي : ادخلوها دخول من تغمره من جميع جهاته ، ﴿ فاصبروا أو لا تصبروا [ ][٤] سواء عليكم ﴾ أي : سواء صبرتم علىٰ عذابها ونكالها أم لم تصبروا ، لا محيد لكم عنها ولا خلاص لكم منها ، ﴿ إنما تجزون ما كنتم تعملون ﴾ أي : ولا يظلم الله أحدًا ، بل يجازي كلًّا بعمله .

إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَعِيمٍ ﴿١٧﴾ فَٰكِهِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ وَوَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٨﴾ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ

(١٠) - في إسناده صالح المري وهو ضعيف .

(١١) - أخرجه أبو عبيد في فضائل القرآن (١٣٦ - ١٣٧) . والحسن لم يسمع من عمر بن الخطاب ولم يره .

[١] - في ز ، خ : عبيد .

[٢] - في ز ، خ : الأعمش .

[٣] - في ز ، خ : مرُّ .

[٤] - في ز : أي .

﴿ سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ وَزَوَّجْنَاهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴾ (٢٠)

يخبر تعالىٰ عن حال السعداء فقال : ﴿ إن المتقين في جنات ونعيم ﴾ ، وذلك بضد ما أولئك فيه من العذاب والنكال ، ﴿ فاكهين بما آتاهم ربهم ﴾ أي : يتفكهون بما آتاهم الله من النعيم ، من أصناف الملاذ ؛ من مآكل ومشارب وملابس ومساكنَ ومراكب وغير ذلك ، ﴿ ووقاهم ربهم عذاب الجحيم ﴾ أي : وقد نجاهم من عذاب النار ، وتلك نعمة مستقلة بذاتها علىٰ حِدَتها مع ما أضيف إليها من دخول الجنة ، التي فيها من السرور ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خَطَر علىٰ قلب بشر .

وقوله : ﴿ كلوا واشربوا هنيئًا بما كنتم تعملون ﴾ ، كقوله : ﴿ كلوا واشربوا هنيئًا بما أسلفتم في الأيام الخالية ﴾ أي : هذا بذاك ، تفضلًا منه وإحسانًا .

وقوله : ﴿ متكئين علىٰ سرر مصفوفة ﴾ ، قال الثوري ، عن حصين ، عن مجاهد ، عن ابن عباس : السرر[١] في الحجَال .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا أبو[٢] اليمان ، حدثنا صفوان بن عمرو ؛ أنه سمع الهيثم بن مالك الطائي يقول : إن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم يقول[٣] : « **إن الرجل ليتكئ[٤] المتكأ مقدار أربعين سنة ما يتحول عنه[٥] [ولا يمله][٦] يأتيه ما اشتهت نفسه ولذت عينه** »(١٢) .

وحدثنا أبي ، حدثنا هُدْبَة بن خالد ، عن سليمان بن المغيرة ، عن ثابت قال : بلغنا أن الرجل ليتكئ[٧] في الجنة سبعين سنة ، عنده من أزواجه وخَدمه وما أعطاه الله من الكرامة والنعيم ، فإذا حانت منه نظرة فإذا أزواج له لم يكن رَآهُنّ[٨] قبل ذلك ، فيقلن : قد آن[٩] لك أن تجعل لنا منك نصيبًا .

ومعنى ﴿ مصفوفة ﴾ أي : وجوه بعضهم إلى بعض ؛ كقوله : ﴿ على سرر متقابلين ﴾ . ﴿ وزوجناهم بحور عين ﴾ أي : وجعلنا لهم قرينات صالحات ، وزوجات حسانًا[١٠] من

---

(١٢) - إسناده مرسل ؛ فالهيثم بن مالك الطائي تابعي .

---

[١] - في خ : السرور .
[٢] - في ز ، خ : ابن .
[٣] - في خ : قال .
[٤] - في ز : ليلى .
[٥] - في ت : عنها .
[٦] - سقط من خ .
[٧] - في ز : ليلى .
[٨] - في ز ، خ : رآهم .
[٩] - في ز : أنا .
[١٠] - في ز : حسان .

الحور العين .

وقال مجاهد : ﴿وزوجناهم﴾ أنكحناهم بحور عين . وقد تقدم [ ][١] وصفهن في غير موضع بما أغنى عن إعادته .

وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَآ أَلَتْنَٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَيْءٍ ۚ كُلُّ امْرِيٍٕ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ (٢١) وَأَمْدَدْنَٰهُم بِفَٰكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ (٢٢) يَتَنَٰزَعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَّا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ (٢٣) ۞ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ (٢٤) وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ (٢٥) قَالُوٓا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِيٓ أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ (٢٦) فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ السَّمُومِ (٢٧) إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ (٢٨)

يخبر تعالىٰ عن فضله وكرمه ، وامتنانه ولطفه بخلقه وإحسانه ؛ أن المؤمنين إذا اتبعتهم ذرياتهم في الإيمان يُلحقهم بآبائهم[٢] في المنزلة وإن لم يبلغوا عملَهم ، لتقرّ أعين الآباء بالأبناء عندهم في منازلهم ، فيجمع بينهم علىٰ أحسن الوجوه ، بأن يرفع الناقص العمل بكامل العمل ، ولا ينقص ذاك من عمله ومنزلته ، للتساوي بينه وبين ذاك ؛ ولهذا قال : ﴿ [ألحقنا بهم ذريتهم][٣] وما ألتناهم من عملهم من شيء﴾ قال الثوري ، عن عمرو بن مرة ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس؛ قال : إن الله ليرفع ذرية المؤمن في درجته ، وإن كانوا دونه في العمل ، لتقرّ بهم[٤] عينه . ثم قرأ : ﴿ والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان ألحقنا بهم ذريتهم وما ألتناهم من عملهم من شيء﴾ رواه ابن جرير وابن أبي حاتم من حديث سفيان الثوري به(١٣) . وكذا رواه ابن جرير من حديث شعبة ، عن عمرو بن مُرّة به(١٤) . ورواه البزار ، عن سهل[٥] بن بحر ، عن الحسن بن حماد الوراق ، عن قيس بن

(١٣) - أخرجه الطبري (٢٧/٢٤) . وفي إسناده مؤمل وهو ابن إسماعيل البصري قال عنه الحافظ : صدوق سيئ الحفظ . وبقية رجاله ثقات .

(١٤) - أخرجه الطبري (٢٧/٢٤) .

[١] - في ز : في .

[٢] - في خ : بإيمانهم .

[٣] - في ز : « ألحقناهم ذرياتهم » .

[٤] - في ز ، خ : به .

[٥] - في خ : سهيل .

الربيع ، عن[١] عمرو[٢] بن مُرّة ، عن سعيد ، عن ابن عباس مرفوعًا ، فذكره(١٥) ، ثم قال : وقد رواه الثوري ، عن عمرو بن مُرّة ، عن سعيد ، عن ابن عباس موقوفًا .

وقال ابن أبي حاتم، حدثنا العباس بن الوليد بن مزيد[٣] البيروتي ، أخبرني محمد بن شُعَيب[٤] ، أخبرني شيبان ، أخبرني ليث ، عن[٥] حبيب بن أبي ثابت الأسدي ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس في قول الله عز وجل : ﴿ **والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان ألحقنا بهم ذريتهم**[٦] ﴾ قال : هم ذرية المؤمن ، يموتون على الإيمان ، فإن كانت منازل آبائهم أرفع من منازلهم ألحقوا بآبائهم ، ولم ينقصوا من أعمالهم التي عملوا شيئًا(١٦) .

وقال الحافظ الطبراني : حدثنا الحسين بن إسحاق التُّستري ، حدثنا محمد بن عبد الرحمن بن غزوان ، حدثنا شريك ، عن سالم الأفطس ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس - أظنه عن النبي صلى الله عليه وسلم - قال : « إذا دخل الرجل الجنة سأل عن أبويه وزوجته وولده ، فيقال : إنهم لم يبلغوا درجتك . فيقول : يارب ؛ قد عملتُ لي ولهم . فيؤمر بإلحاقهم به ، وقرأ ابن عباس : ﴿ **والذين آمنوا [واتبعتهم ذريتهم] بإيمان ...** ﴾ الآية(١٧) .

وقال العوفي ، عن ابن عباس في هذه الآية : يقول : والذين أدرك ذريتهم الإيمان فعملوا بطاعتي ، ألحقتهم بإيمانهم إلى الجنة ، وأولادهم الصغار تلحق بهم . وهذا راجع إلى التفسير الأول ، فإن ذاك مفسر أصرح من هذا . وهكذا يقول الشعبي ، وسعيد بن جبير ، وإبراهيم ، وقتادة ، وأبو صالح ، والربيع بن أنس ، والضحاك ، وابن زيد . وهو اختيار ابن

(١٥) - أخرجه البزار كما في مختصر الزوائد (١٠٨/٢) (١٥٠٨) . قال الهيثمي في « مجمع الزوائد » (١١٧/٧) : رواه البزار وفيه قيس بن الربيع ؛ وثقه شعبة والثوري وفيه ضعف . قال ابن حجر بعد عبارة البزار التي ذكرها ابن كثير : وهو أحفظ من قيس وأوثق.

(١٦) - ليث : هو ابن أبي سليم : اختلط حديثه جدًا ولم يتميز فترك ، وبقية إسناده ثقات .

(١٧) - أخرجه الطبراني في الكبير (٤٤٠/١١ - ٤٤١) (١٢٢٤٨) ، وفي الصغير (٢٢٩/١) . كلاهما من طريق محمد بن عبد الرحمن بن غزوان به . قال الهيثمي في « مجمع الزوائد » (١١٧/٧) : رواه في الصغير والكبير ، وفيه محمد بن عبد الرحمن بن غزوان وهو ضعيف .اهـ . قلت : وشريك تكلم فيه من قبل حفظه .

[١] - في ز : بن .

[٢] - في ت : عمر .

[٣] - في ز : يزيد .

[٤] - في ز ، خ : شعبة .

[٥] - في ز ، خ : بن .

[٦] - في ز في هذا الموضع وما سيأتي من مواضع [وأتبعناهم ذرياتهم ألحقنا بهم ذرياتهم] وهي قراءة ابن عامر انظر السبعة في القراءات لابن مجاهد ص ٦١٢.

جرير . وقد قال عبد الله ابن الإمام أحمد :

حدثنا عثمان بن أبي شيبة ، حدثنا محمد بن فُضَيل[١] ، عن محمد بن عثمان ، عن زاذان ، عن علي ؛ قال : سألتْ خديجةُ النبيَّ صلىٰ الله عليه وسلم عن ولدين ماتا لها في الجاهلية ؟ فقال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « هما في النار » . فلما رأىٰ الكراهة في وجهها قال : « لو رأيت مكانهما لأبغضتهما » . قالت : يا رسول الله ؛ فولدي منك ؟ قال : « في الجنة » . قال : ثم قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « إن المؤمنين وأولادهم في الجنة ، وإن المشركين وأولادهم في النار » . ثم قرأ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : ﴿ **والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان ألحقنا بهم ذريتهم** ﴾ الآية(١٨) .. هذا فضله تعالىٰ علىٰ الأبناء ببركة عمل الآباء ، وأما فضله علىٰ الآباء ببركة دعاء الأبناء ، فقد قال الإمام أحمد :

حدثنا يزيد ، حدثنا حماد بن سلمة ، عن عاصم بن أبي النّجُود ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة ؛ قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « إن الله ليرفع الدرجة للعبد الصالح في الجنة فيقول : يارب ؛ أنىٰ لي هذه ؟ فيقول : باستغفار ولدك لك »(١٩) .

إسناده صحيح ولم يخرجوه من هذا الوجه ، ولكن له شاهد في صحيح مسلم ، عن أبي هريرة ، عن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث : صدقة جارية ، أو علم ينتفع به ، أو ولد صالح يدعو له »(٢٠) .

وقوله : ﴿ **كل امرئ بما كسب رهين** ﴾ ، لما أخبر عن مقام الفضل ، وهو رفع درجة الذرية إلىٰ منزلة الآباء من غير عمل يقتضي ذلك ، أخبر عن مقام العدل ، وهو أنه لا يؤاخذ

(١٨) - أخرجه عبد الله بن أحمد في زوائد المسند (١/١٣٤ - ١٣٥) . والحديث ذكره ابن حجر في التعجيل في ترجمته لمحمد بن عثمان ثم قال : قال الذهبي في الميزان : لا يدرى من هو ؛ فتشت عليه في أماكن وخبره منكر . قال شيخنا الهيثمي : ذكره ابن حبان في الثقات وأغفله الحسيني .

قلت : وذكره الأزدي في الضعفاء ، والخبر الذي أشار إليه الذهبي ساقه في الميزان ، وهو المذكور في زيادات عبد الله في المسند .اهـ .

قال الهيثمي في « المجمع (٧/٢٢٠) : رواه عبد الله بن أحمد ، وفيه محمد بن عثمان ولم أعرفه ، وبقية رجاله رجال الصحيح .اهـ .

(١٩) - أخرجه أحمد (٢/٥٠٩) وفي إسناده عاصم بن بهدلة وهو ضعيف لكن يشهد له ما بعده .

(٢٠) - أخرجه مسلم في كتاب : الوصية ، باب : ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته ، حديث (٤/١٦٣١) (١١/١٢٢) .

[١] - في ز : فضل .

أحدًا بذنب أحد ، بل ﴿ **كل امرئ بما كسب رهين** ﴾ أي : مرتهن بعمله ، لا يحمل عليه ذنب غيره من الناس ، سواء كان أبًا أو ابنًا ، كما قال : ﴿ **كل نفس بما كسبت رهينة * إلا أصحاب اليمين * في جنات يتساءلون * عن المجرمين** ﴾ .

وقوله : ﴿ **وأمددناهم بفاكهة ولحم مما يشتهون** ﴾ أي : وألحقناهم بفواكه ولحوم من أنواع شتّى ، مما يستطاب ويشتهى .

وقوله : ﴿ **يتنازعون فيها كأسًا** ﴾ أي : يتعاطون فيها كأسًا أي : من الخمر ؛ قاله الضحاك ﴿ **لا لغو فيها ولا تأثيم** ﴾ أي : لا يتكلمون عنها[١] بكلام لاغ ، أي : هَذيان وإثم[٢] أي : فُحْش ، كما[٣] تتكلم به الشربة من أهل الدنيا .

وقال ابن عباس : اللغو : الباطل ، والتأثيم : الكذب . وقال مجاهد : لا يستبون ولا يؤثمون . وقال قتادة : كان ذلك في الدنيا مع الشيطان .

فنزه الله خمر الآخرة عن قاذورات خمر الدنيا وأذاها ، فنفي عنها - كما تقدم - صداع الرأس ، ووجع البطن وإزالة العقل بالكلية ، وأخبر أنها لا تحملهم على الكلام السيئ الفارغ عن الفائدة المتضمن هَذَيانًا وفُحشًا ، وأخبر بحسن منظرها وطيب طعمها ومخبرها فقال : ﴿ **بيضاء لذة للشاربين * لا فيها غول ولا هم عنها يُنزَفون** ﴾ وقال : ﴿ **لا يصدعون عنها ولا يُنزِفون** ﴾ وقال هاهنا : ﴿ **يتنازعون فيها كأسًا لا لغو فيها ولا تأثيم** ﴾ .

وقوله : ﴿ **ويطوف عليهم غلمان لهم كأنهم لؤلؤ مكنون** ﴾ : إخبار عن خَدَمهم وحَشَمهم في الجنة كأنهم اللؤلؤ الرطب ، المكنون في حُسنهم وبهائهم ونظافتهم[٤] وحسن ملابسهم ؛ كما قال : ﴿ **يطوف عليهم ولدان مخلدون بأكواب وأباريق وكأس من معين** ﴾ .

وقوله : ﴿ **وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون** ﴾ أي : أقبلوا يتحادثون ويتساءلون عن أعمالهم وأحوالهم في الدنيا ، وهذا كما يتحادث أهل الشراب على شرابهم إذا أخذ فيهم الشراب بما كان من أمرهم ، ﴿ **قالوا إنا كنا قبل في أهلنا مشفقين** ﴾ أي قد كنا في الدار الدنيا ونحن بين أهلنا خائفين من ربنا مشفقين من عذابه وعقابه ، ﴿ **فمن الله علينا ووقانا عذاب السموم** ﴾ أي : فتصدق علينا وأجارنا مما نخاف ، ﴿ **إنا كنا من قبل ندعوه** ﴾ ، أي : نتضرع إليه ، فاستجاب لنا وأعطانا سؤلنا ، ﴿ **إنه هو البر الرحيم** ﴾ .

---

[١] - في خ : فيها .

[٢] - في ز ، خ : ولا إثم .

[٣] - سقط من خ .

[٤] - في ز ، خ : وتصافيهم .

وقد ورد في هذا المقام حديث ، رواه الحافظ أبو بكر البزار في مسنده فقال : حدثنا سلمة ابن شَبيب ، حدثنا سعيد بن دينار ، حدثنا الربيع بن صبيح ، عن الحسن ، عن أنس ؛ قال : قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « إذا دخل أهل الجنة الجنة اشتاقوا إلىٰ الإخوان ، فيجيء سرير هذا[١] حتى يحاذي سرير هذا فيتحدثان فيتكئ هذا ويتكئ هذا فيتحدثان بما كان في الدنيا ، فيقول أحدهما لصاحبه : يا فلان ؛ تدري أي يوم غفر اللَّه لنا ؟ يوم كنا في موضع كذا وكذا ، فدعونا اللَّه - عز وجل - فغفر لنا »(٢١) .

ثم قال البزار : لا نعرفه يروى[٢] إلا بهذا الإسناد .

قلت : وسعيد بن دينار الدمشقي ، قال أبو حاتم : هو مجهول وشيخه الربيع بن صبيح قد تكلم فيه غير واحد من جهة حفظه ، وهو رجل صالح ثقة في نفسه .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا عمرو بن عبد اللَّه الأودي ، حدثنا وكيع ، عن الأعمش ، عن أبي الضحىٰ ، عن مسروق ، عن عائشة ؛ أنها قرأت هذه الآية : ﴿ **فمن اللَّه علينا ووقانا عذاب السموم * إنا كنا من قبل ندعوه إنه هو البر الرحيم** ﴾ ، فقالت : اللَّهم ؛ مُنّ علينا وقنا عذاب السموم ، إنك أنت البر الرحيم . قيل للأعمش : في الصلاة ؟ قال : نعم(٢٢) .

فَذَكِّرْ فَمَآ أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ ﴿٢٩﴾ أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيْبَ ٱلْمَنُونِ ﴿٣٠﴾ قُلْ تَرَبَّصُوا۟ فَإِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُتَرَبِّصِينَ ﴿٣١﴾ أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَٰمُهُم بِهَٰذَآ ۚ أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٣٢﴾ أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥ ۚ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾ فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ ﴿٣٤﴾

يقول تعالىٰ آمرًا رسوله صلوات اللَّه وسلامه عليه بأن يبلغ رسالته إلىٰ عباده ، وأن

(٢١) - أخرجه البزار كما في : « مختصر الزوائد » (٢/٤٨٦ - ٤٨٧) (٢٢٧٠) ثم قال : تفرد به أنس بهذا الإسناد الضعيف .

قال الهيثمي في « مجمع الزوائد » (١٠/٤٢٤) : رواه البزار ورجاله رجال الصحيح ، غير سعيد بن دينار والربيع بن صبيح وهما ضعيفان وقد وثقا .اهـ . وأخرجه العقيلي (٢/١٠٣) في ترجمة سعيد بن دينار التمار ، وقال : لا يتابع عليه ولا يعرف إلا به .

(٢٢) - إسناده صحيح .

[١] - سقط من خ . [٢] - في ز ، خ : مروي .

يذكرهم بما أنزل الله عليه . ثم نفىٰ عنه ما يرميه[١] به أهل البهتان والفجور فقال : ﴿ فذكر فما أنت بنعمة ربك بكاهن ولا مجنون ﴾ أي : لست بحمد الله بكاهن كما تقوّله الجهلة من كفار قريش . والكاهن : الذي يأتيه الرَّئِيّ من الجان بالكلمة يتلقاها من خبر السماء ، ﴿ ولا مجنون ﴾ وهو الذي يتخبطه الشيطان من المس .

ثم قال تعالىٰ منكرًا عليهم [في قولهم][٢] في الرسول - صلوات الله وسلامه عليه : ﴿ أم يقولون شاعر نتربص به ريب المنون ﴾ أي : قوارع الدهر . والمنون : الموت . يقولون: ننظره[٣] ونصبر عليه حتىٰ يأتيه الموت فنستريح منه ومن شأنه ، قال الله تعالىٰ : ﴿ قل تربصوا فإني معكم من المتربصين ﴾ أي : انتظروا فإني منتظر معكم ، وستعلمون لمن تكون العاقبة والنّصرة في الدنيا والآخرة .

قال محمد بن إسحاق ، عن عبد الله بن أبي نَجيح ، عن مجاهد ، عن ابن عباس : إن قريشًا لما اجتمعوا في دار الندوة في أمر النبي ، صلىٰ الله عليه وسلم، قال قائل منهم : احتبسوه في وثاق ، ثم[٤] تربصوا به ريب المنون حتىٰ يهلك ، كما هلك من هلك قبله من الشعراء : زهير والنابغة ، إنما هو كأحدهم . فأنزل الله في[٥] ذلك من قولهم : ﴿ أم[٦] يقولون شاعر نتربص به ريب المنون ﴾ ثم قال تعالىٰ : ﴿ أم تأمرهم أحلامهم بهذا ﴾ أي : عقولهم تأمرهم بهذا الذي يقولونه فيك من الأقوال الباطلة التي يعلمون في أنفسهم أنها كَذب وزور ﴿ أم هم قوم طاغون ﴾ أي : ولكن هم قوم ضلال معاندون ، فهذا هو الذي يحملهم علىٰ ما قالوه فيك(٢٣) .

وقوله : ﴿ أم يقولون تقوله ﴾ أي : اختلقه وافتراه من عند نفسه ، يعنون القرآن . قال الله : ﴿ بل لا يؤمنون ﴾ أي : كفرهم هو الذي يحملهم علىٰ هذه المقالة ، ﴿ فليأتوا بحديث مثله إن كانوا صادقين ﴾ أي : إن كانوا صادقين في قولهم : تَقَوّله وافتراه ، فليأتوا بمثل ما جاء به محمد من هذا القرآن ، فإنهم لو اجتمعوا هم[٧] وجميع أهل الأرض من الجن والإنس ، ما جاءوا بمثله ، ولا بعشر سور مثله ، ولا بسورة من مثله .

أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَـٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۚ بَل لَّا

(٢٣) - سيرة ابن هشام (٢/٣٣١ - ٣٣٢) .

[١] - في ز ، خ : يريبه .
[٢] - سقط من خ .
[٣] - في خ : ننتظره .
[٤] - سقط من ز ، خ .
[٥] - سقط من ز ، خ .
[٦] - في ز : بل .
[٧] - سقط من خ .

يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ ٱلْمُصَيْطِرُونَ ﴿٣٧﴾ أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُم بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾ أَمْ لَهُ ٱلْبَنَٰتُ وَلَكُمُ ٱلْبَنُونَ ﴿٣٩﴾ أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ ﴿٤٠﴾ أَمْ عِندَهُمُ ٱلْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ ﴿٤١﴾ أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هُمُ ٱلْمَكِيدُونَ ﴿٤٢﴾ أَمْ لَهُمْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٣﴾

هذا المقام في إثبات الربوبية وتوحيد الألوهية[١] ، فقال تعالىٰ : ﴿ **أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون** ﴾ أي : أوجدوا من غير موجد ؟ أم هم أوجدوا أنفسهم ؟ أي : لا هذا ولا هذا ، بل اللّٰه هو الذي خلقهم وأنشأهم بعد أن لم يكونوا شيئًا مذكورًا .

قال البخاري : حدثنا الحُميدي ، حدثنا سفيان ؛ قال : حدثوني عن الزهري ، عن محمد ابن جبير بن مُطعم ، عن أبيه ؛ قال : سمعت النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم يقرأ في المغرب بالطور[٢] ، فلما بلغ هذه الآية : ﴿ **أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون أم خلقوا السماوات والأرض بل لا يوقنون * أم عندهم خزائن ربك أم هم المسيطرون** ﴾ كاد قلبي أن يطير(٢٤) .

وهذا الحديث مخرج في الصحيحين من طرق ، عن الزهري به(٢٥) . وجبير بن مطعم كان قد[٣] قدم علىٰ النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم بعد وقعة بدر في فداء الأسارىٰ ، وكان إذ ذاك مشركًا ، وكان سماعه هذه[٤] الآية من هذه السورة من جملة ما حمله علىٰ الدخول في الإسلام بعد ذلك .

ثم قال تعالىٰ : ﴿ **أم خلقوا السماوات والأرض بل لا يوقنون** ﴾ ؟ أي : أهم خلقوا

(٢٤) - أخرجه البخاري في كتاب : التفسير ، تفسير سورة الطور ، باب : (١) ، حديث (٤٨٥٤) (٨/ ٦٠٣) . وزاد : قال سفيان : فأما أنا فإنما سمعت الزهري يحدث عن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه : سمعت النبي - صلى الله عليه وسلم - يقرأ في المغرب بالطور لم أسمعه زاد الذي قالوا لي .

(٢٥) - أخرجه البخاري في كتاب : التفسر ، باب : سورة الطور ، حديث (٤٨٥٤) (٨/٤٦٩) . وأطرافه في [٧٦٥ ، ٣٠٥٠، ٤٠٢٣] . ومسلم في كتاب : الصلاة ، باب : القراءة في الصبح ، حديث (٤٦٣/١٧٤) (٢٣٩/٤) .

[١] - في ز : الإلهية .
[٢] - في ز : والطور .
[٣] - سقط من ز ، خ .
[٤] - سقط من خ .

السماوات والأرض ؟ ، وهذا إنكار عليهم في شركهم بالله ، وهم يعلمون أنه الخالق وحده ، لا شريك له . ولكن عدم إيقانهم هو الذي[١] يحملهم علىٰ ذلك ، ﴿ **أم عندهم خزائن ربك أم هم المسيطرون** ﴾ ؟ أي[٢] : أهم يتصرفون في الملك وبيدهم مفاتيح الخزائن ، ﴿ **أم هم المسيطرون** ﴾ ؟ أي : المحاسبون للخلائق ، ليس الأمر كذلك ، بل الله - عز وجل - هو المالك المتصرف الفعال لما يريد .

وقوله : ﴿ **أم لهم سُلَّم يستمعون فيه** ﴾ أي : مرقاة إلىٰ الملأ الأعلىٰ ، ﴿ **فليأت مستمعهم بسلطان مبين** ﴾ أي : فليأت الذي يستمع لهم بحجة ظاهرة علىٰ صحة ما هم فيه من الفعال والمقال ، أي : وليس لهم سبيل إلىٰ ذلك ، فليسوا علىٰ شيء ، ولا لهم دليل .

ثم قال منكرًا عليهم فيما نسبوه إليه من البنات ، وجَعلهم الملائكة إناثًا ، واختيارهم لأنفسهم الذكور علىٰ الإناث ، بحيث إذا بُشّر أحدهم بالأنثىٰ ظل وجهه مسودًّا وهو كظيم . هذا وقد جعلوا الملائكة بنات الله ، وعبدوهم[٣] مع الله ، فقال : ﴿ **أم له البنات ولكم البنون** ﴾ ؟ . وهذا تهديد شديد[٤] ووعيد أكيد[٥] ، ﴿ **أم تسألهم أجرًا** ﴾ ؟ أي : أجرة علىٰ إبلاغك إياهم رسالة الله ؟ أي : لست تسألهم علىٰ ذلك شيئًا ، ﴿ **فهم من مغرم مثقلون** ﴾ أي : فإنهم[٦] من أدنىٰ شيء يتبرمون منه ، ويثقلهم ويشق عليهم ، ﴿ **أم عندهم الغيب فهم يكتبون** ﴾ ، أي : ليس الأمر كذلك ، فإنه لا يعلم أحد من أهل السماوات والأرض الغيب إلا الله ، ﴿ **أم يريدون كيدًا فالذين كفروا هم المكيدون** ﴾ يقول تعالىٰ : أم يريدُ هؤلاء بقولهم هذا في الرسول وفي الدين غرور الناس وكيد الرسول وأصحابه ، فكيدُهم إنما يرجع وباله علىٰ أنفسهم ، فالذين كفروا هم المكيدون ، ﴿ **أم لهم إله غير الله سبحانَ الله عما يشركون** ﴾ . وهذا إنكار شديد علىٰ المشركين في عبادتهم الأصنام والأنداد مع الله . ثم نزه نفسه الكريمة عما يقولون ويفترون ويشركون ، فقال : ﴿ **سبحان الله عما يشركون** ﴾ .

وَإِن يَرَوْاْ كِسْفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ سَاقِطًا يَقُولُواْ سَحَابٌ مَّرْكُومٌ ﴿٤٤﴾ فَذَرْهُمْ حَتَّىٰ يُلَٰقُواْ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى فِيهِ يُصْعَقُونَ ﴿٤٥﴾ يَوْمَ لَا يُغْنِى عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ

---

[١] - سقط من ز .

[٢] - سقط من ز .

[٣] - في ز ، خ : وعنادهم .

[٤] - سقط من ز ، خ .

[٥] - سقط من ز ، خ .

[٦] - في ت : فهم .

﴿وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٧﴾ وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ۖ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٤٨﴾ وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَارَ النُّجُومِ ﴿٤٩﴾﴾

يقول تعالىٰ مخبرًا عن المشركين بالعناد والمكابرة للمحسوس : ﴿ **وإن يروا كسفًا من السماء ساقطًا** ﴾ أي : عليهم يعذبون به ، لمَا صدقوا ، ولمَا أيقنوا ، بل يقولون : هذا ﴿ **سحاب مركوم** ﴾ أي : متراكم . وهذا كقوله تعالىٰ : ﴿ **ولو فتحنا عليهم بابًا من السماء فظلوا فيه يعرجون لقالوا إنما سكرت أبصارنا بل نحن قوم مسحورون** ﴾ . قال الله تعالىٰ : ﴿ **فذرهم** ﴾ أي : دعهم يامحمد ﴿ **حتىٰ يلاقوا يومهم الذي فيه يصعقون** ﴾ ، وذلك يوم القيامة ، ﴿ **يوم لا يغني عنهم كيدهم شيئًا** ﴾ أي : لا ينفعهم كيدهم ولا[١] مكرهم الذي استعملوه في الدنيا ، لا يجدي[٢] عنهم يوم القيامة شيئًا ، ﴿ **ولا هم ينصرون** ﴾ .

ثم قال : ﴿ **وإن للذين ظلموا عذابًا دون ذلك** ﴾ أي : قبل ذلك في الدار الدنيا ، كقوله : ﴿ **ولنذيقنهم من العذاب الأدنىٰ دون العذاب الأكبر لعلهم يرجعون** ﴾ ؛ ولهذا قال : ﴿ **ولكن أكثرهم لا يعلمون** ﴾ أي : نعذبهم في الدنيا ، ونبتليهم فيها بالمصائب ، لعلهم يرجعون وينيبون ، فلا يفهمون ما يُرَاد بهم ، بل إذَا جَلَّىٰ عنهم مما كانوا فيه ، عادوا إلىٰ أسوأ ما كانوا عليه ، كما جاء في بعض الأحاديث : « إن المنافق إذا مرض وعُوفي مَثَلُه في ذلك كمثل البعير ، لا يدري فيما عَقَلُوه[٣] ولا فيما أرسلوه »(٢٦) . وفي الأثر الإلٰهى : كم أعصيك ولا تعاقبنى؟ قال الله : يا عبدي كم أعافيك وأنت لا تدري؟

---

(٢٦) - أخرجه أبو داود في كتاب الجنائز ، باب : الأمراض المكفرة للذنوب ، حديث (٣٠٨٩) (٣/١٨٢ - ١٨٣) .

والبغوي في شرح السنة (٥/٢٥٠ - ٢٥١) (١٤٤٠) . كلاهما من طريق محمد بن إسحاق قال : حدثني رجل من أهل الشام يقال له : أبو منظور عن عمه ، قال : حدثني عمي ، عن عامر الرامي أخى الخضر ... فذكره مرفوعًا في حديث طويل .

وأبو منظور هذا مجهول كما في التقريب . والحديث ذكره المنذري في الترغيب والترهيب ، وقال : رواه أبو داود وفي إسناده رجل لم يسم . وضعفه الألباني في ضعيف سنن أبي داود برقم (٦٧٩) .

---

[١] - سقط من ت . [٢] - في خ : يجزي .

[٣] - في ز : أعقلوه .

وقوله : ﴿ **فاصبر لحكم ربك فإنك بأعيننا** ﴾ ، أي : اصبر علىٰ أذاهم ولا تُبَالهم ، فإنك بمرأىٰ منا وتحت كَلاءتنا ، والله يعصمك من الناس .

وقوله : ﴿ **وسبح بحمد ربك حين تقوم** ﴾ قال الضحاك : أي إلىٰ الصلاة : سبحانك اللَّهم وبحمدك ، وتبارك اسمك ، وتعالىٰ جدك ، ولا إله غيرك . فقد روى مثله عن الربيع ابن أنس وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم وغيرهما .

ورورىٰ مسلم في صحيحه ، عن عمر أنه كان يقول هذا في ابتداء الصلاة(٢٧) . ورواه أحمد وأهل السنن ، عن أبي سعيد وغيره ، عن النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم أنه كان يقول ذلك(٢٨) .

وقال أبو الجوزاء : ﴿ **وسَبّح بحمد ربك حين تقوم** ﴾ أي : من نومك من فراشك . واختاره ابن جرير . ويتأيد هذا القولُ بما رواه الإمام أحمد :

حدثنا الوليد بن[١] مسلم ؛ حدثنا الأوزاعي ، حدثني عمير[٢] بن هانئ ، حدثني جنادة ابن أبي أمية ،حدثنا عبادة بن الصامت ؛ أن[٣] رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ؛ قال : « **من تَعَارّ من الليل فقال : لا إله إلا اللَّه ، وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد ، وهو علىٰ كل شيءٍ قدير ، سبحان اللَّه ، والحمد للَّه ، ولا إله إلا اللَّه ، واللَّه أكبر ، ولا حول ولا قوة إلا باللَّه ، ثم قال : رَب اغفر لي - أو قال - : ثم دعا استُجيب له ، فإن عزم فتوضأ[٤] ثم صلىٰ تُقبلت صلاته** »(٢٩) . وأخرجه البخاري في صحيحه وأهل السنن

(٢٧) - أخرجه مسلم في كتاب : الصلاة ، باب : حجة من قال : لا يجهر بالبسملة ، حديث (٥٢/ ٣٩٩) (١٤٦/٤) .

(٢٨) - أخرجه أحمد (٥٠/٣) (١١٤٨٩) وأبو داود في كتاب : الصلاة ، باب : من رأى الاستفتاح بسبحانك اللهم وبحمدك ، حديث (٧٧٥) (٢٠٦/١) . والترمذي في كتاب : الصلاة ، باب : ما يقول عند افتتاح الصلاة ، حديث (٢٤٢) (٣٢٤/١) . والنسائي في كتاب : الافتتاح ، باب : نوع آخر من الذكر بين افتتاح الصلاة وبين القراءة . وابن ماجة في كتاب : الإقامة ، باب : افتتاح الصلاة ، حديث (٨٠٤) (٢٦٤/١) . كلهم من طريق جعفر بن سليمان الضبعي ، حدثني علي بن علي الرفاعي عن أبي المتوكل الناجي عن أبي سعيد - رضي الله عنه - فذكره . قال أبو داود : وهذا الحديث يقولون هو عن علي بن علي عن الحسن مرسلًا . الوهم من جعفر .اهـ . قال الترمذي : وقد تكلم في إسناد حديث أبي سعيد ، كان يحيى بن سعيد يتكلم في علي بن علي الرفاعي . وقال أحمد : لا يصح هذا الحديث .

(٢٩) - أخرجه أحمد (٣١٣/٥) (٢٢٧٧٦) ورجاله كلهم ثقات ، والوليد بن مسلم قد صرح بالتحديث في كل الإسناد .

[١] - في خ : أبو .

[٢] - في ز ، خ : عمر .

[٣] - في ز : عن .

[٤] - في ز ، خ : ثم توضأ .

من حديث الوليد بن مسلم به[١] (٣٠).

وقال ابن أبي نجيح عن مجاهد: ﴿وسبح بحمد ربك حين تقوم﴾ قال: من كل مجلس. وقال الثوري، عن أبي إسحاق، عن أبي الأحوص: ﴿وسبح بحمد ربك حين تقوم﴾، قال: إذا أراد الرجل أن يقوم من مجلسه قال: سبحانك اللّهم وبحمدك.

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا أبو النضر إسحاق بن إبراهيم الدمشقي، حدثنا محمد بن شعيب، أخبرني طلحة بن عمرو الحضرمي، عن عطاء بن أبي رباح؛ أنه حدثه عن قول اللّه: ﴿وسبح بحمد ربك حين تقوم﴾ يقول: حين تقوم من كل مجلس، إن كنت أحسنت ازددت خيرًا، وإن كان[٢] غير ذلك كان هذا كفارة له(٣١).

وقد قال عبد الرزاق في «جامعه»: أخبرنا معمر، عن عبد الكريم الجزَري، عن أبي عثمان الفقير؛ أن جبريل علّم النبي صلىٰ اللّه عليه وسلم إذا قام من مجلسه أن يقول: سبحانك اللّهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك. قال معمر: وسمعت غيره يقول: هذا القول كفارة المجالس(٣٢).

وهذا مرسل، وقد وردت أحاديث مسندة من طرق يقوي بعضها بعضًا بذلك، فمن ذلك حديث ابن جريج، عن سُهَيل[٣] بن أبي صالح، عن أبيه، عن أبي هريرة، عن النبي صلىٰ اللّه عليه وسلم؛ أنه قال: «من جلس في مجلس فكثر فيه لَغطُه فقال قبل أن يقوم من مجلسه: سبحانك اللّهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك، إلا غُفر له ما كان في مجلسه ذلك[٤]»(٣٣).

(٣٠) - وأخرجه البخاري في كتاب: التهجد، باب: فضل من تعار من الليل فصلى، حديث (١١٥٤) (٣٩/٣).

وأبو داود في كتاب الأدب، باب: ما يقول الرجل إذا تعار من الليل، حديث (٥٠٦٠) (٣١٤/٤).

والترمذي في كتاب: الدعوات، باب: ما جاء في الدعاء إذا انتبه من الليل، حديث (٣٤١١) (١١٥/٩ - ١١٦).

وابن ماجة في كتاب: الدعاء، باب: ما يدعو به إذا انتبه من الليل، حديث (٣٨٧٨) (١٣٧٦/٢).

(٣١) - في إسناده طلحة بن عمرو بن عثمان الحضرمي المكي: متروك.

(٣٢) - أخرجه عبد الرزاق في مصنفه (٢٤/١١) (١٩٧٩٦) وهو حديث معضل؛ فأبو عثمان الفقير هو: يزيد بن صهيب وهو ثقة من الرابعة دون الطبقة الوسطى من التابعين.

(٣٣) - أخرجه الترمذي في كتاب: الدعوات، باب: ما يقول إذا قام من مجلسه، حديث (٣٤٢٩) (٩/ ١٣١).

[١] - سقط من ز، خ.
[٢] - في خ: كنت.
[٣] - في ز: سهل.
[٤] - سقط من ت.

رواه الترمذي - وهذا لفظه - والنسائي في اليوم والليلة من حديث ابن جريج[١] . وقال الترمذي : « حسن صحيح » . وأخرجه الحاكم في مستدركه وقال : « إسناد على شرط مسلم إلا أن البخاري علله » .

قلت : علله الإمام أحمد ، والبخاري ، ومسلم ، وأبو حاتم ، وأبو زرعة ، والدارقطني ، وغيرهم . ونسبوا الوهم فيه إلىٰ ابن جُرَيج ، علىٰ أن أبا داود قد رواه في سننه من طريق غير ابن جريج إلىٰ أبي هُرَيرة - رضي اللّٰه عنه - عن النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم بنحوه(٣٤) . ورواه أبو داود - واللفظ له - والنسائي ، والحاكم في المستدرك ، من طريق الحجاج بن دينار ، عن أبي [٢] هاشم ، عن أبي العالية ، عن أبي بَرْزَةَ الأسلمي ؛ قال : كان رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم يقول بأَخَرَة إذا أراد أن يقوم من المجلس : « سبحانك اللّٰهم وبحمدك ، أشهد أن لا إله إلا أنت ، أستغفرك وأتوب إليك » . فقال رجل : يا رسول اللّٰه ؛ إنك لتقول قولًا ما كنت تقوله فيما مضى ؟ ! قال : « كفارة لما يكون في المجلس »(٣٥) .

وقد روي مرسلًا عن أبي العالية(٣٦) ، واللّٰه أعلم . وهكذا رواه النسائي والحاكم ، من

والنسائي في الكبرى في كتاب : عمل اليوم والليلة ، باب : ما يقول إذا جلس في مجلس كثر فيه لغطه ، حديث (١٠٢٣٠) (٦/١٠٥ - ١٠٦) . والحاكم في مستدركه (١/٥٣٦ - ٥٣٧) . كلهم من طريق حجاج بن محمد عن ابن جريج به . قال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه ، لا نعرفه من حديث سهيل إلا من هذا الوجه . قال الحاكم : صحيح على شرط مسلم إلا أن البخاري قد علله بحديث وهيب بن موسى بن عقبة عن سهيل عن أبيه عن كعب الأحبار من قوله ، فالله أعلم . ولهذا الحديث شواهد عن جبير بن مطعم وأبي برزة الأسلمي ورافع بن خديج .اهـ . والحديث صححه الألباني في صحيح سنن الترمذي برقم (٢٧٣٠ - ٣٦٧٤) .

(٣٤) - أخرجه أبو داود في كتاب : الأدب ، باب : في كفارة المجلس ، حديث (٤٨٥٨) (٤/٢٦٥) . وفي إسناده عبد الرحمن بن أبي عمرو ، قال فيه الحافظ : مقبول . وبقية إسناده ثقات . وقد صححه الألباني في صحيح سنن أبي داود برقم (٤٠٦٧) .

(٣٥) - أخرجه أبو داود في كتاب : الأدب ، باب : في كفارة المجلس ، حديث (٤٨٥٩) (٤/٢٦٥) . والنسائي في الكبرى في كتاب : عمل اليوم والليلة ، باب : كفارة ما يكون في المجلس ، حديث (١٠٢٥٩) (٦/١١٢ - ١١٣) ، والحاكم (١/٥٣٧) .
كلهم من طريق حجاج بن دينار عن أبي هاشم ، عن أبي العالية ، عن أبي برزة الأسلمي رضي الله عنه به . وإسناده حسن من أجل الحجاج بن دينار فقد قال عنه الحافظ في التقريب : لا بأس به ، وله ذكر في مقدمة مسلم .اهـ . وقال الشيخ الألباني في صحيح أبي داود : حسن صحيح .

(٣٦) - أخرجه النسائي في الكبرى في كتاب : عمل اليوم والليلة ، باب : كفارة ما يكون في المجلس ، حديث (١٠٢٦١، ١٠٢٦٢) (٦/١١٣) ، (١٠٢٦٤) (٦/١١٣ - ١١٤) .

---

[١] - في ت : جرير . [٢] - سقط من ت.

حديث الربيع بن أنس ، عن أبي العالية ، عن رافع بن خَديج ، عن النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم مثله سواء[٣٧] . ورُوي مرسلًا أيضًا ، واللَّه أعلم . وكذا رواه أبو داود عن عبد اللَّه بن عمرو أنه قال : « كلمات لا يتكلم بهن أحد في مجلسه عند قيامه ثلاث مرات إلا كُفر بهن عنه ، ولا يقولهن في مجلس خير ومجلس ذكر إلا خُتم له بهن كما يختم بالخاتم [علىٰ الصحيفة][١] : سبحانك اللَّهم وبحمدك لا إله إلا أنت ، أستغفرك وأتوب إليك »[٣٨] . وأخرجه الحاكم من حديث أم المؤمنين عائشة ، وصححه[٣٩] ، ومن رواية جُبَير بن مطعم[٤٠] . ورواه أبو بكر الإسماعيلي عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، كلهم عن النبي ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم . وقد أفردت لذلك جزءًا لىٰ حِدَة بذكر طُرقه وألفاظه وعلله ، وما يتعلق به ، وللَّه الحمد والمنة .

وقوله : ﴿ **ومن الليل فسبحه** ﴾ أي : اذكره واعبده بالتلاوة والصلاة في الليل ، كما قال تعالى : ﴿ **ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسىٰ أن يبعثك ربك مقامًا محمودًا** ﴾ .

وقوله : ﴿ **وإدبار النجوم** ﴾ قد تقدم في حديث ابن عباس أنهما الركعتان اللتان قبل صلاة الفجر[٤١] ، فإنهما مشروعتان عند إدبار النجوم ، أي :عند جنوحها[٢] للغيبوبة . وقد روىٰ ابن سِيلانَ[٣] ، عن أبي هريرة مرفوعًا : « لا تَدَعوهما ، وإن طردتكم الخيل »[٤٢] ، يعني : ركعتي الفجر . رواه أبو داود . ومن هذا الحديث حكي عن بعض أصحاب الإمام أحمد القولُ بوجوبهما ، وهو ضعيف لحديث : « خمس صلوات في اليوم والليلة » . قال : هل

---

(٣٧) - أخرجه النسائي في الكبرى في كتاب : عمل اليوم والليلة ، باب : كفارة ما يكون في المجلس ، حديث (١٠٢٦٣) (٦/١١٣) . والحاكم (١/٥٣٧) .

(٣٨) - أخرجه أبو داود في كتاب : الأدب ، باب : في كفارة المجلس ، حديث (٤٨٥٧) (٤/٢٦٤ - ٢٦٥) . وصححه الشيخ الألباني في صحيح سنن أبي داود دون لفظة : ثلاث مرات .

(٣٩) - أخرجه الحاكم (١/٤٩٦ - ٤٩٧) . قال الحاكم : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه . ووافقه الذهبي .

(٤٠) - أخرجه الحاكم (١/٥٣٧) وقال : صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبي .

(٤١) - تقدم تخريجه في آخر سورة (ق) .

(٤٢) - أخرجه أحمد (٢/٤٠٥) ، وأبو داود في كتاب : الصلاة ، باب : في تخفيفهما ، حديث (١٢٥٨) (٢/٢٠) .

كلاهما من طريق ابن سيلان وهو جابر ، وقيل : عبد ربه بن سيلان قال عنه الحافظ : مقبول . وضعفه الألباني في ضعيف سنن أبي داود برقم (٢٧٢) .

---

[١] - سقط من ز ، خ . [٢] - في ز ، خ : خروجها .

[٣] - في ز : سبلان .

علي غيرها ؟ قال : « لا ، إلا أن تطوع »[٤٣] . وقد ثبت في الصحيحين عن عائشة - رضي الله عنها - أنها قالت : لم يكن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم علىٰ شيء من النوافل أشد تَعاهُدًا منه علىٰ ركعتي الفجر[٤٤] وفي لفظ لمسلم: **« ركعتا الفجر خير من الدنيا وما فيها »**[٤٥] .

[آخر تفسير سورة الطور ولله الحمد والمنة] .

☆ ☆ ☆

(٤٣) - أخرجه البخاري في كتاب : الإيمان ، باب : الزكاة من الإسلام ، حديث (٤٦) (١/١٠٦) .
وأطرافه في : [١٨٩١، ٢٦٧٨، ٦٩٥٦] .
ومسلم في كتاب : الإيمان ، باب : بيان الصلوات التي هي أحد أركان الإسلام ، حديث (٨/١١) (١/ ٢٣٣ - ٢٣٤) .
كلاهما من حديث طلحة بن عبيد الله أن رجلًا من أهل نجد أتى النبي - صلى الله عليه وسلم - وسأل عن الإسلام ، الحديث .

(٤٤) - أخرجه البخاري في كتاب : التهجد ، باب : تعاهد ركعتي الفجر ومن سماهما تطوعًا ، حديث (١١٦٩) (٣/٤٥) .
ومسلم في كتاب : صلاة المسافرين وقصرها ، باب : استحباب ركعتي سنة الفجر ، والحث عليهما وتخفيفهما ، حديث (٩٤/٧٢٤) .

(٤٥) - أخرجه مسلم في كتاب : صلاة المسافرين ، في الباب السابق ، حديث (٢٦/٧٢٥) (٦/٧ - ٨) .

تفسير سورة النجم

وهي مكية

قال البخاري(١) : حدثنا نصر بن علي ، أخبرني أبو أحمد ، حدثنا إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن الأسود بن يزيد ، عن عبد الله قال : أولُ سورة أنزلت فيها سجدة ﴿ والنجم ﴾ ، قال[١] : فسجد رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم وسجد من خلفه ، إلا رجلًا رأيته أخذ كفًّا من تراب فسجد عليه ، فرأيته بعد ذلك قُتل كافرًا ، وهو أمية بن خلف .

وقد رواه البخاري أيضًا(٢) في مواضع ، ومسلم وأبو داود والنسائي ، من طرق ، عن أبي إسحاق ، به . وقوله في الممتنع : إنه أمية بن خلف في هذه الرواية - مشكل ، فإنه قد جاء من غير هذه الطريق أنه عتبة بن ربيعة[٢] .

﴿ وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ ﴾

قال الشعبي وغيره : الخالق يُقسم بما شاء من خلْقه ، والمخلوق لا ينبغي له أن يقسم إلا بالخالق . رواه ابن أبي حاتم .

واختلف المفسرون في معنىٰ قوله تعالىٰ : ﴿ والنجم إذا هوىٰ ﴾ فقال ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : يعني بالنجم : الثريا إذا سقطت مع الفجر . وكذا رُوي عن ابن عباس وسفيان الثوري . واختاره ابن جرير . وزعم السدي أنها الزهرة .

وقال الضحاك : ﴿ والنجم إذا هوىٰ ﴾ إذا رمي به[٣] الشياطين ، وهذا القول له اتجاه .

---

(١) - أخرجه البخاري في كتاب : التفسير ، باب : ﴿ فاسجدوا لله واعبدوا ﴾ ، حديث (٤٨٦٣) .

(٢) - أخرجه البخاري في كتاب : سجود القرآن ، باب : ما جاء في سجود القرآن وسنتها ، حديث (١٠٦٧) . وأطرافه في (١٠٧٠، ٣٨٥٣، ٣٩٧٢، ٤٨٦٣) . ومسلم في كتاب : المساجد ومواضع الصلاة ، حديث ١٠٥ - (٥٧٦) . وأبو داود في كتاب : الصلاة ، باب : من رأى فيها السجود ، حديث (١٤٠٦) . والنسائي في الكبرى ، في كتاب : التفسير ، باب : قوله تعالى : ﴿فاسجدوا لله واعبدوا﴾ ، حديث (١١٥٤٩) . كلهم من طريق شعبة عن أبي إسحاق .

---

[١] - سقط من ز ، خ .

[٢] - في ز ، خ : شيبة .

[٣] - في ز : بها .

وروىٰ الأعمش ، عن مجاهد في قوله : ﴿ **والنجم إذا هوىٰ** ﴾ ، يعني : القرآن إذا نزل . وهذه الآية[١] كقوله تعالىٰ : ﴿ **فلا أقسم بمواقع النجوم * وإنه لقسم لو تعلمون عظيم * إنه لقرآن كريم * في كتاب مكنون * لا يمسه إلا المطهرون * تنزيل من رب العالمين** ﴾ .

وقوله : ﴿ **ما ضل صاحبكم وما غوىٰ** ﴾ : هذا هو المقسم عليه ، وهو الشهادة للرسول - صلوات الله وسلامه عليه - بأنه بارّ راشد تابع للحق ليس بضال ، وهو : الجاهل الذي يسلك علىٰ غير طريق بغير علم . والغاوي : هو العالم بالحق العادل عنه قصدًا إلىٰ غيره ، فنزه الله رسوله وشرعَه عن مشابهة أهل الضلال كالنصارىٰ وطرائق اليهود ، وعن علم الشيء وكتمانه والعمل بخلافه ، بل هو صلوات الله وسلامه عليه ، وما بعثه الله به من الشرع العظيم في غاية الاستقامة والاعتدال والسداد ؛ ولهذا قال : ﴿ **وما ينطق عن الهوىٰ** ﴾ ، أي : ما يقول قولًا عن هوى وغرض ﴿ **إن هو إلّا وحي يوحىٰ** ﴾ أي : إنما يقول ما أمر به ، يبلغه إلى الناس كاملًا موفّرًا من غير زيادة ولا نقصان ، كما رواه الإمام أحمد(٣) :

حدثنا يزيد ، حدثنا حَرِيز[٢] بن عثمان ، عن عبد الرحمن بن ميسرة ، عن أبي أمامة ؛ أنه سمع رسول الله - صلىٰ الله عليه وسلم - يقول : « **ليدخلن[٣] الجنة بشفاعة رجلٍ ليس بنبي مثلُ الحيين - أو مثل أحد الحيين - : ربيعة ومضر** » . فقال رجل : يا رسول الله ؛ أوَ مَا ربيعة من مضر ؟ قال : « **إنما أقول ما أقول** » .

وقال الإمام أحمد (٤) :حدثنا يحيىٰ بن سعيد ، عن عُبيَد الله بن الأخنس ، أخبرنا الوليد ابن عبد الله ، عن يوسف بن مَاهَك ، عن عبد الله بن عمرو ؛ قال : كنت أكتب كل شيء أسمعه من رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم أريد حفظه ، فنهتني قريش فقالوا : إنك تكتب كل شيء تسمعه من رسول الله ، ورسول الله صلىٰ الله عليه وسلم بشر[٤] ، يتكلم في الغضب .

---

(٣) - أخرجه أحمد (٥/٢٥٧) (٥/٢٢٣) والطبراني (٨/١٦٩)(٧٦٣٨) وفي إسناده : عبد الرحمن بن ميسرة وهو الحضرمي ، قال الحافظ : مقبول . وأخرجه أحمد أيضًا (٥/٢٥٧) (٢٢٣١٦) ، (٥/٢٦٧) (٢٢٣٩٦) . قال الهيثمي في « مجمع الزوائد » (١٠/٣٨٤) : رواه أحمد والطبراني بأسانيد ورجال أحمد وأحد أسانيد الطبراني رجالهم رجال الصحيح غير عبد الرحمن بن ميسرة وهو ثقة . وأخرجه الطبراني بنحوه من طرق أخرى (٨/ ٢٨٠، ٣٣٠) (٧٩١٩، ٨٠٥٨) .

(٤) - أخرجه أحمد (٥/ ١٦٢، ١٩٢) . وصحح إسناد هذا الحديث أحمد شاكر في تعليقاته على المسند .

---

[١] - في ز ، خ : اللام .

[٢] - في ز : جرير .

[٣] - في ز : ليدخل .

[٤] - سقط من ز .

فأمسكت عن الكتاب .

[فذكرت ذلك لرسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، فقال : « **اكتب ؛ فوالذي نفسي بيده ما خرج مني إلا الحق** » . ورواه أبو داود عن مسدد وأبي بكر بن أبي شيبة كلاهما عن يحيى بن سعيد القطان][١] .

وقال الحافظ أبو بكر البزار(٥) : حدثنا أحمد بن منصور ، حدثنا عبد الله بن صالح ، حدثنا الليث ، عن ابن عجلان ، عن زيد بن أسلم ، عن أبي صالح ، عن أبي هُريرة ، عن النبي صلىٰ الله عليه وسلم قال : « **ما أخبرتكم أنه الذي من عند الله ، فهو الذي لا شَكَّ فيه** » . ثم قال : لا نعلمه يُروىٰ إلا بهذا الإِسناد .

وقال الإِمام أحمد (٦) : حدثنا يونس ، حدثنا ليث ، عن بحر[٢] ، عن سعيد بن أبي سعيد[٣] ، عن أبي هريرة ، عن رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم؛ أنه قال : « **لا أقول إلا حقًّا** » . قال بعض أصحابه : فإنك تداعبنا يا رسول الله ؟ قال : « **إني لا أقول إلا حقًّا** » .

عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ﴿٥﴾ ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ ﴿٦﴾ وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٧﴾ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴿٨﴾ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴿٩﴾ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ﴿١٠﴾ مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ﴿١١﴾ أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ﴿١٢﴾ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ﴿١٥﴾ إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ﴿١٦﴾ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ﴿١٨﴾

(٥) - أخرجه البزار كما في مختصر الزوائد (١٣٩/١) (١٢١) وقال : لا نعلمه يروى عن أبي هريرة - رضي الله عنه - إلا بهذا الإسناد .

قال الشيخ : رجاله رجال الصحيح . قلت - أي ابن حجر - : عادة الشيخ يتكلم في عبد الله بن صالح .اهـ . وقال الهيثمي في « مجمع الزوائد » (٧٩/١) : رواه البزار وفيه أحمد بن منصور الرمادي ، وهو ثقة وفيه كلام لا يضر ، وبقية رجاله رجال الصحيح ، وعبد الله بن صالح مختلف فيه . والحديث في كشف الأستار (١١٢/١) حديث (٢٠٣) ، ومجمع الزوائد (١٧٩/١) .

(٦) - أخرجه أحمد (٣٤٠/٢) وإسناده حسن .

[١] - ما بين المعكوفين سقط من ت .

[٢] - في ت : محمد .

[٣] - في ز : سعد .

يقول تعالى مخبرًا عن عبده ورسوله محمد صلىٰ الله عليه وسلم أنه عَلّمه الذي جاء به إلىٰ الناس ﴿ **شديد القوىٰ** ﴾ ، وهو جبريل - عليه السلام - كما قال : ﴿ **إنه لقول رسول كريم * ذي قوة عند ذي العرش مكين * مطاع ثَم أمين** ﴾ ، وقال هاهنا : ﴿ **ذو مرة** ﴾ ، أي : ذو قوة . قاله مجاهد ، والحسن ، وابن زيد . وقال ابن عباس : ذو منظر[١] حسن ، [وقال قتادة : ذو خلق طويل حسن .

ولا منافاة بين القولين ، فإنه - عليه السلام - ذو منظر حسن][٢] وقوة شديدة . وقد ورد الحديث الصحيح من رواية أبي هريرة وابن عمر أن رسول الله - صلىٰ الله عليه وسلم - قال : « **لا تحل الصدقة لغني ، ولا لذي مرّة سوي** »(٧) .

وقوله : ﴿ **فاستوىٰ** ﴾ يعني : جبريل - عليه السلام - . قاله مجاهد والحسن وقتادة ، والربيع بن أنس . ﴿ **وهو بالأفق الأعلىٰ** ﴾ ، يعني : جبريل ، استوىٰ في الأفق الأعلىٰ .

---

(٧) - أما حديث أبي هريرة :

فأخرجه النسائي (٩٩/٥) كتاب : الزكاة ، باب : إذا لم يكن له دراهم وله عدلها . وابن ماجة في كتاب : الزكاة ، باب : من سأل عن ظهر غني ، حديث (١٨٣٩) (٥٨٩/١) . وابن حبان (٨٤/٨) (٣٢٩٠) كلهم من طريق أبي بكر بن عياش عن أبي حصين عن سالم بن أبي الجعد عن أبي هريرة . قال الزيلعي في : « نصب الراية » (٣٩٩/٢) : قال صاحب التنقيح : رواته ثقات إلا أن أحمد بن حنبل قال : سالم بن أبي الجعد لم يسمع من أبي هريرة . اهـ . لكن قال الشيخ الألباني في الإرواء (٣٨٣/٣) : وقول أحمد هذا لم يذكر في ترجمة سالم من التهذيب ، وقد جاء فيه نقول كثيرة عن الأئمة تبين أسماء الصحابة الذين لم يلقهم سالم أو لم يسمع منهم وليس فيهم أبو هريرة ، بل جاء ذكره في الصحابة الذين روى عنهم سالم ، ولم يعل بالانقطاع . فالله أعلم . والحديث أخرجه الحاكم (٤٠٧/١) عن ابن عيينة عن منصور عن أبي حازم عن أبي هريرة فذكره . قال الحاكم : صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه . ووافقه الذهبي . وساق شاهدًا له حديث ابن عمر الآتي بإذن الله .

وللحديث طريق آخر أخرجه البزار كما في « نصب الراية » عن إسرائيل عن منصور عن سالم بن أبي الجعد عن أبي هريرة . ثم قال : قال البزار : وهذا الحديث رواه ابن عيينة عن منصور عن أبي حازم عن أبي هريرة رضي الله عنه ، والصواب حديث إسرائيل ، وقد تابع إسرائيل على روايته أبو حصين ، فرواه عن سالم عن أبي هريرة ، ثم أخرجه كذلك ، وهذا مخالف لكلام الحاكم . اهـ .

وقد صحح هذا الحديث الشيخ الألباني في الإرواء .

وأما حديث ابن عمرو : فأخرجه أبو داود في كتاب : الزكاة ، باب : من يعطى من الصدقة وحد الغنى ، حديث (١٦٣٤) (١١٨/٢) . والترمذي في كتاب : الزكاة ، باب : ما جاء من لا تحل له الصدقة ، حديث (٦٥٢) (١٣/٣ - ١٤) . كلاهما من طريق سعد بن إبراهيم عن ريحان بن يزيد عن عبد الله بن عمرو .

قال الترمذي : حديث حسن ، وقد روى شعبة عن سعد بن إبراهيم هذا الحديث بهذا الإسناد =

---

[١] - في ز ، خ : منطق . [٢] - ما بين المعكوفين سقط من ز ، خ .

قاله عكرمة وغير واحد . قال عكرمة : والأفق الأعلىٰ : الذي يأتي منه الصبح . وقال مجاهد : هو مطلع الشمس . وقال قتادة : هو الذي يأتي منه النهار . وكذا قال ابن زيد ، وغيرهم .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو زرعة ، حدثنا مُصَرِّف بن عمرو اليامي[١] أبو القاسم ، حدثنا عبد الرحمن بن محمد بن طلحة بن مصرف ، حدثني أبي ، عن الوليد - هو ابن قيس - عن إسحاق ابن أبي الكَهْتَلَة - أظنه ذكره عن عبد الله بن مسعود - أن رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، لم ير جبريل في صورته إلا مرتين ، أما واحدة فإنه سأله أن يراه في صورته فسد الأفق . وأما الثانية فإنه كان معه حيث صعد ، فذلك قوله : ﴿ **وهو بالأفق الأعلى** ﴾(٨) .

وقد قال ابن جرير هاهنا قولًا لم أره لغيره ، ولا حكاه هو عن أحد ، وحاصله : أنه ذهب إلى أن المعنىٰ : ﴿ **فاستوىٰ** ﴾ ، أي : هذا الشديد القوي ذو المرة هو ومحمد صلىٰ الله عليهما وسلم بالأفق الأعلىٰ ، أي : استويا جميعًا بالأفق ، وذلك ليلة الإسراء . كذا قال ، ولم يوافقه أحد على ذلك . ثم شرع يوجه[٢] ما قال من حيث العربية فقال : وهذا كقوله تعالىٰ : ﴿ **أئذا[٣] كنا ترابًا وآباؤنا** ﴾ ، فعطف بالآباء علىٰ المكنى في ﴿ **كنا** ﴾ من غير إظهار « **نحن** » ، فكذلك قوله : ﴿ **فاستوىٰ وهو** ﴾ . قال : وذكر الفراء عن بعض العرب أنه أنشده

ألم تر أن النبع[٤] يصلب عودُه ولا يستوي والخروع[٥] المتقصّف

وهذا الذي قاله من جهة العربية متجه ، ولكن لا يساعده المعنىٰ علىٰ ذلك ، فإن هذه الرؤية لجبريل لم تكن ليلة الإسراء ، بل قبلها ورسولُ الله صلىٰ الله عليه وسلم في الأرض ، فهبط عليه جبريل - عليه السلام - وتدلىٰ إليه ، فاقترب[٦] منه وهو علي الصورة التي خلقه

= ولم يرفعه .اهـ . قال الزيلعي (٢/٣٩٩) : قال صاحب التنقيح : وريحان بن يزيد ، قال أبو حاتم : شيخ مجهول . ووثقه ابن معين . وقال ابن حبان : كان أعرابيًا صدوقًا . اهـ . وصححه الألباني في الإرواء (٣/ ٣٨٢) بشواهده . ومن أراد زيادة فائدة فليراجع الإرواء فقد فصل الشيخ فيه تفصيلًا مفيدًا .

(٨) - في إسناده مصرف بن عمرو اليامي : مجهول . ومحمد بن طلحة بن مصرف اليامي : صدوق له أوهام ، وأنكروا سماعه من أبيه لصغره كما في التقريب . وإسحاق بن أبي الكهتلة ذكره ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل (٢/٢٣٢) ولم يذكر فيه جرحًا ولا تعديلًا .

---

[١] - في ز ، خ : اليمامي .
[٢] - في ز ، خ : فوجه .
[٣] - في ز : إذا .
[٤] - في ز ،خ : البتع .
[٥] - في ز : والخردع .
[٦] - في ز : فأقرب .

اللَّه عليها ، له ستمائة جناح ، ثم رآه بعد ذلك نزلة أخرىٰ عند سدرة المنتهىٰ - يعني ليلة الإسراء - وكانت هذه الرؤية[١] الأولىٰ في أوائل البعثة بعد ما جاءه جبريل - عليه السلام - أول مرة ، فأوحىٰ اللَّه إليه صدر « سورة اقرأ » ، ثم فتر الوحي فترة ذهب النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم - فيها مرارًا ليتردىٰ من رءوس الجبال ، فكلما هَمّ بذلك ناداه جبريل من الهواء : « **يا محمد ، أنت رسول اللَّه حقًا ، وأنا جبريل** » . فيسكن لذلك جأشه ، وتقر عينه ، وكلما طال عليه الأمر عاد لمثلها(٩) ، حتىٰ تَبَدّىٰ له جبريل ورسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، في الأبطح في صورته التي خلقه اللَّه عليها ، له ستمائة جناح قد سد عُظْم[٢] خلقه الأفق ، فاقترب[٣] منه وأوحىٰ إليه عن اللَّه - عز وجل - ما أمره به ، فعرف عند ذلك

(٩) - وردت قصة محاولة تردي النبي - صلى الله عليه وسلم - في صحيح البخاري في كتاب : التعبير ، باب : أول ما بدء به رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من الوحي الرؤيا الصادقة ، حديث (٦٩٨٢) (٣٥١/٢ - ٣٥٢) . قال ابن حجر في الفتح (٣٦٠/١٢) : قال الإسماعيلي : موه بعض الطاعنين على المحدثين ، فقال : كيف يجوز للنبي أن يرتاب في نبوته حتى يرجع إلى ورقة ويشكو لخديجة ما يخشاه ، وحتى يوفى بذروة جبل ليلقى منها نفسه على ما جاء في رواية معمر ؟!.

قال : ولئن جاز أن يرتاب مع معاينة النازل عليه من ربه فكيف ينكر على من ارتاب فيما جاء به مع عدم المعاينة ؟ قال : والجواب أن عادة الله جرت بأن الأمر الجليل إذا قضي بإيصاله إلى الخلق ؛ أن يَقْدُمَه ترشيح وتأسيس ؛ فكان ما يراه النبي - صلى الله عليه وسلم - من الرؤية الصادقة ومحبة الخلوة والتعبد من ذلك ؛ فلما فجئه الملك فجئه بغتة أمرٌ خالف العادة والمألوف فنفر طبعه البشرى منه وهاله ذلك ، ولم يتمكن من التأمل في تلك الحال ؛ لأن النبوة لا تزيل طباع البشرية كلها ؛ فلا يتعجب أن يجزع مما لم يألفه وينفر طبعه منه ، حتى إذا تدرج عليه وألفه استمر عليه ؛ فلذلك رجع إلى أهله التى ألف تأنيسها له فأعلمها بما وقع له ؛ فهونت عليه خشيته بما عرفته من أخلاقه الكريمة وطريقته الحسنة ؛ فأرادت الاستظهار بمسيرها به إلى ورقة ؛ لمعرفتها بصدقه ومعرفته وقراءته الكتب القديمة ؛ فلما سمع كلامه أيقن بالحق واعترف به ، ثم كان من مقدمات تأسيس النبوة فترةُ الوحى ليتدرج فيه ويمرن عليه ؛ فشق عليه فتوره إذ لم يكن خوطب عن الله بعد : أنك رسول من الله ومبعوث إلى عباده ، فأشفق أن يكون ذلك أمر بدئ به ثم لم يرد استفهامه فحزن لذلك ، حتى تدرج على احتمال أعباء النبوة ، والصبر على ثقل ما يرد عليه فتح الله له من أمره بما فتح .

قال : ومثال ما وقع له أول ما خوطب ولم يتحقق الحال على جليتها مثل رجل سمع آخر يقول : « الحمد لله » فلم يتحقق أنه يقرأ حتى إذا وصلها بما بعدها من الآيات تحقق أنه يقرأ ، وكذا لو سمع قائلًا يقول : « خلت الديار » لم يتحقق أنه ينشد شعرًا حتى يقول : « محلها فمقامها » انتهى ملخصًا .

ثم قال : وأما إرادته إلقاء نفسه من رءوس الجبال بعد ما نبئ فلضعف قوته عن تحمل ما حمله من أعباء النبوة ، وخوفًا مما يحصل له من القيام بها من مباينة الخلق جميعًا ؛ كما يطلب الرجل الراحة من غم يناله في العاجل بما يكون فيه زواله عنه ، ولو أفضى إلى إهلاك نفسه عاجلًا ، حتى إذا تفكر فيما فيه صبره على ذلك من العقبى المحمودة صبر ، واستقرت نفسه . =

[١] - في ت : الرؤيا .

[٢] - بياض في ز ، خ .

[٣] - في ز : واقترب .

عظمة الملَك الذي جاءه بالرسالة ، وجلالة قَدْره وعلوّ مكانته عند خالقه الذي بعثه إليه . فأما الحديث الذي رواه الحافظ أبو بكر البزار في مسنده حيث قال :

حدثنا سلمة بن شبيب ، حدثنا سعيد بن منصور ، حدثنا الحارث بن عبيد ، عن أبي عمران الجَوْني ، عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم « **بينا أنا قاعد إذ جاء جبريل - عليه السلام - فوكز بين كتفي ، فقمت إلىٰ شجرة فيها كَوَكْرَي الطير ، فقعد في أحدهما[١] وقعدت في الآخر . فَسَمَت[٢] وارتفعت حتىٰ سَدّت الخافقين وأنا أقلب طرفي ، ولو شئت أن أمس السماء لمسست ، فالتفت إليّ جبريل كأنه حلس لاطٍ فعرفتُ فضلَ علمه بالله عليّ ، وفُتح لي باب من أبواب السماء ورأيت النور الأعظم ، وإذا دون الحجاب رفرفة[٣] الدرّ والياقوت . وأوحىٰ إلي ما شاء الله أن يوحي** »(١٠) .

ثم[٤] قال البزار: لا يرويه إلا الحارث بن عبيد ، وكان رجلًا مشهورًا[٥] من أهل البصرة .

قلت : الحارث بن عُبَيد هذا هو أبو قدامة الإيادي ، أخرج له مسلم في صحيحه إلا أن ابن[٦] معين ضعَّفه ، وقال : ليس هو بشيء . وقال الإمام أحمد : مضطرب الحديث . وقال أبو حاتم الرازي : يكتب حديثه ولا يحتج به . وقال ابن حبان : كَثُر وهمه فلا يجوز الاحتجاج به إذا انفرد . فهذا الحديث من غرائب رواياته ، فإن فيه نكارة وغرابة ألفاظ وسياقًا عجيبًا ، ولعله منام ، والله أعلم .

وقال الإمام أحمد(١١) : حدثنا حجاج ، حدثنا شريك ، عن عاصم ، عن أبي وائل ، عن

= قلت - أي ابن حجر - : أما الإرادة المذكورة في الزيادة الأولى ففي صريح الخبر أنها كانت حزنا على ما فاته من الأمر الذي بشره به ورقة ، وأما الإرادة الثانية بعد أن تبدى له جبريل ، وقال له : إنك رسول الله حقًّا فيحتمل ما قاله ، والذي يظهر لى أنه بمعنى الذي قبله ، وأما المعنى الذي ذكره الإسماعيلي فوقع قبل ذلك في ابتداء مجيء جبريل .اهـ من الفتح .

(١٠) - أخرجه البزار كما في : « مختصر الزوائد » (١/٩٤ - ٩٥) (٣٥) . : وقال ابن حجر عن الحارث : أخرج له الشيخان ، وهو مع ذاك له مناكير ، هذا منها . والحديث في كشف الأستار (٥٨) ومجمع الزوائد (١/٧٥) وقال : رواه البزار والطبراني في الأوسط ، وبقية رجاله رجال الصحيح .

(١١) - المسند (١/٣٩٥) . وفي إسناده شريك بن عبد الله النخعي تغير حفظه بعد أن ولي القضاء .=

---

[١] - في خ : أحدها .

[٢] - بياض في ز ، خ .

[٣] - في ز : رعرعة . وفي خ : زعزعة .

[٤] - سقط من ت ، خ .

[٥] - في ز : مشهودًا .

[٦] - سقط من ز ، خ .

عبد الله قال : رأىٰ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم جبريلَ في صورته وله[١] ستمائة جناح ، كل جناح منها قد سَدّ الأفق ، يسقط من جناحه من التهاويل والدر والياقوت ما الله به عليم ، انفرد به أحمد .

وقال أحمد(١٢) : حدثنا يحيىٰ بن آدم ، حدثنا أبو بكر بن عياش عن إدريس بن منبه عن وهب بن منبه ، عن ابن عباس قال : سأل النبي صلىٰ الله عليه وسلم جبريل أن يراه في صورته ، فقال : ادع ربك . فدعا ربه - عز وجل - فطلع عليه سواد من قبل المشرق ، فجعل يرتفع وينتشر ، فلما رآه النبي - صلىٰ الله عليه وسلم - صعِق ، فأتاه فبعشه[٢] ، ومسح البزاق عن شدقه . انفرد به أحمد .

وقد رواه ابن عساكر في ترجمة « **عتبة بن أبي لهب** » من طريق محمد بن إسحاق عن عثمان بن عروة بن الزبير عن أبيه عن هبار[٣] بن الأسود قال : كان أبو لهب وابنه عتبة قد تجهزا إلىٰ الشام ، فتجهزت معهما ، فقال ابنه عتبة : والله لأنطلقن إلىٰ محمد ولأوذينّه في ربه - سبحانه - فانطلق حتىٰ أتىٰ النبي صلىٰ الله عليه وسلم فقال : يا محمد ، هو يكفر بالذي دنىٰ فتدلىٰ ، فكان قاب قوسين أوأدنىٰ . فقال النبي - صلىٰ الله عليه وسلم - : « **اللّهم ابعث إليه كلبًا من كلابك** » . ثم انصرف عنه فرجع إلىٰ أبيه فقال : يا بني ، ما قلت له ؟ فذكر له ما قال له ، قال : فما قال لك ؟ قال : قال : « **اللّهم سلط عليه كلبًا من كلابك** » . قال : يا بني ، والله ما آمنُ عليك دُعاءه . فسرنا حتىٰ نزلنا [الشراة - وهي مأسدة -][٤]ونزلنا إلىٰ صومعة راهب ، فقال الراهب : يا معشر العرب ، ما أنزلكم هذه البلاد ، فإنما[٥] تسرح الأُسْدُ فيها كما تسرح الغنم ؟ فقال لنا أبو لهب : إنكم قد عرفتم كبر سني وحقي ، وإن هذا الرجل قد دعا علىٰ ابني دعوةً - والله - ما آمنها عليه ، فاجمعوا

= وعاصم بن بهدلة صدوق له أوهام . وصحح إسناد هذا الحديث العلامة أحمد شاكر في تعليقه على المسند(٥/٢٨٢) .

وأخرجه (١/٤٠٧) من طريق عاصم بن بهدلة .

ولكن له شاهد في الصحيح من طريق ذر : أخرجه البخاري في كتاب التفسير ، باب : ﴿ **فكان قاب قوسين أو أدنى** ﴾ ، باب : ﴿ **فأوحى إلى عبده ما أوحى** ﴾ حديث (٤٨٥٦، ٤٨٥٧) (٨/٦١٠) . ومسلم (٢٨٠ - ١٧٤/٢٨٢) (٣/٤ - ٨) فذكر بعضه .

(١٢) - المسند (١/٣٢٢) (٢٩٦٧) قال الهيثمي في « المجمع » (٨/٢٦٠) : رواه أحمد والطبراني ورجالهما ثقات . وفي إسناده إدريس بن سنان : أبو إلياس الصنعاني ابن بنت وهب بن منبه : ضعيف .

---

[١] - في ز : له .

[٢] - في . ، خ : فبعثه .

[٣] - في ز ، خ : هناد .

[٤] - في ز : « أسراه وهي بأسدة » .

[٥] - في ت : فإنها .

متاعكم إلىٰ هذه الصومعة ، وافرشوا لابني عليها ثم افرشوا حولها . ففعلنا ، فجاء الأسد فَشَمّ وجوهنا ، فلما لم يجد [ما يريد][١] تَقَبّض ، فوثب وثبة[٢] ، فإذا هو فوق المتاع ، فشم وجهه ثم هزمه هَزْمة ففتح[٣] رأسه . فقال أبو لهب : قد عرفت أنه لا ينفلت عن دعوة محمد (١٣) .

وقوله : ﴿ فكان قاب قوسين أو أدنىٰ ﴾ ، أي[٤] : فاقترب جبريل إلىٰ محمد لما هبط عليه إلىٰ الأرض ، حتىٰ كان بينه وبين محمد صلىٰ الله عليه وسلم قاب قوسين ، أي : بقدرهما إذا مُدّا . قاله مجاهد ، وقتادة .

وقد قيل : إن المراد بذلك بُعد ما بين وتد القوس إلى كبدها .

وقوله : ﴿ أو أدنىٰ ﴾ ، قد تقدم أن هذه الصيغة تستعمل في اللغة لإثبات المخبر عنه و نفي ما زاد عليه ، كقوله : ﴿ ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة أو أشد قسوة ﴾ ، أي : ما هي بألين[٥] من الحجارة ، بل هي مثلها أو تزيد عليها في الشدة والقسوة . وكذا قوله : ﴿ يخشون الناس كخشية الله أو أشد خشية ﴾ وقوله : ﴿وأرسلناه إلى مائة ألف أو يزيدون﴾ أي : ليسوا أقل منها بل هم مائة ألف حقيقة ، أو يزيدون عليها . فهذا تحقيق للمخبر به لا شك و[لا][٦] تردد[٧] ، فإن هذا ممتنع هاهنا ، وهكذا هذه الآية : ﴿ فكان قاب قوسين أو أدنىٰ ﴾ .

وهذا الذي قلناه من أن هذا المقترب[٨] الداني الذي صار بينه وبين محمد صلىٰ الله عليه وسلم إنما هو جبريل - عليه السلام - هو قول أم المؤمنين عائشة ، وابن مسعود ، وأبي ذر ، وأبي هريرة ، كما سنورد أحاديثهم قريبًا إن شاء الله .

ورویٰ مسلم في صحيحه ، عن ابن عباس أنه قال : « **رأىٰ محمد ربه بفؤاده مرتين** »(١٤) .

---

(١٣) - أخرجه الحاكم (٥٣٩/٢) . وأبو نعيم في دلائل النبوة (٣٨٩ - ٣٩٢) . قال الحاكم : صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي . وحسنه الحافظ ابن حجر في الفتح (٣٩/٤) .

(١٤) - أخرجه مسلم في كتاب : الإيمان ، باب : معنى قول الله - عز وجل - : ﴿ ولقد رآه نزلة أخرى ﴾ ، حديث (١٧٦/٢٨٥) .

---

[١] - سقط من خ .
[٢] - سقط من ت .
[٣] - في ت ، خ : ففضخ .
[٤] - في ز : أو .
[٥] - في ز ، خ : بأكثر .
[٦] - بياض في ز .
[٧] - في ز ، خ : ترديد .
[٨] - في ز ، خ : القرب .

فجعل هذه إحداهما[١] . وجاء في حديث شريك بن أبي نمر ، عن أنس في حديث الإسراء : « ثم دنا الجبار رب العزة فتدلىٰ »(١٥) . ولهذا تكلم كثير[٢] من الناس في متن هذه الرواية ، وذكروا أشياء فيها من الغرابة ، فإن صح فهو محمول علىٰ وقت آخر وقصة أخرىٰ ، لا أنها تفسير لهذه الآية ، فإن هذه كانت ورسول الله صلىٰ الله عليه وسلم في الأرض لا ليلة الإسراء ، ولهذا قال بعده : ﴿ ولقد رآه نزلة أخرىٰ * عند سدرة المنتهىٰ ﴾ ، فهذه هي ليلة الإسراء ، والأولىٰ كانت في الأرض .

وقد قال ابن جرير : حدثنا محمد بن عبد الملك بن أبي الشوارب ، حدثنا عبد الواحد ابن زياد ، حدثنا سليمان الشيباني ، حدثنا زر بن حبيش قال : قال عبد الله بن مسعود في هذه الآية : ﴿ فكان قاب قوسين أو أدنىٰ ﴾ ، قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « رأيت جبريل له ستمائة جناح »(١٦) .

وقال ابن وهب : حدثنا ابن لَهيعة ، عن أبي الأسود ، عن عروة ، عن عائشة قالت : كان أولَ شأن رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، أنه رأىٰ في منامه جبريل بأجياد ، ثم إنه خرج ليقضي حاجته فصرخ به جبريل : يا محمد . يا محمد ، فنظر رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، يمينًا وشمالاً فلم ير شيئًا - ثلاثًا - ثم رفع بصره فإذا هو ثان[٣] إحدىٰ رجليه مع الأخرىٰ علىٰ أفق السماء فقال : يا محمد ، جبريل جبريلُ - يُسَكنه - فهرب النبي ، صلىٰ الله عليه وسلم ، حتىٰ دخل في الناس ، فنظر فلم ير شيئًا ، ثم خرج من الناس ، ثم نظر فرآه ، فدخل في الناس فلم ير شيئًا ، ثم خرج فنظر فرآه ، فذلك قول الله عز وجل : ﴿ والنجم إذا هوىٰ ﴾ . إلىٰ قوله : ﴿ ثم دنا فتدلىٰ ﴾ ؛ يعني جبريل إلىٰ محمد ، ﴿ فكان قاب قوسين أو أدنىٰ ﴾ . ويقولون القاب نصف الأصبع . وقال بعضهم : ذراعين كان بينهما(١٧) . رواه ابن جرير . وابن أبي حاتم ، من حديث ابن وهب . وفي حديث الزهري ، عن أبي سلمة ، عن جابر شاهد لهذا .

---

(١٥) - تقدم تخريجه في أوائل سورة الإسراء .

(١٦) - أخرجه الطبري (٢٧/٤٥) . وإسناده صحيح . وقد تقدم تخريجه من طريق عبد الواحد بن زياد في الصحيحين قبل هذا الحديث بأربعة أحاديث .

(١٧) - أخرجه الطبرى (٢٧/٤٩) .

وعبد الله بن وهب قد روى عن ابن لهيعة قبل الاختلاط ، غير أن سفيان بن وكيع لا يعتد بروايته وهو شيخ الطبرى .

---

[١] - في ز : أحدهما . [٢] - في خ : بعض .

[٣] - في ز : ثاني رجليه .

[وروىٰ البخاري عن طلق بن غنام ، عن زائدة ، عن الشيباني قال : سألت زرًّا عن قوله : ﴿ فكان قاب قوسين أو أدنىٰ * فأوحىٰ إلىٰ عبده ما أوحىٰ ﴾ ، قال : حدثنا عبد اللّٰه أن محمدًا صلىٰ اللّٰه عليه وسلم رأىٰ جبريل له ستمائة جناح(١٨) .

وقال ابن جرير : حدثني ابن بزيع البغدادي ، حدثنا إسحاق بن منصور ، حدثنا إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن عبد الرحمن بن يزيد ، عن عبد اللّٰه : ﴿ ما كذب الفؤاد ما رأىٰ ﴾ ، قال : رأىٰ رسول اللّٰه ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، جبريل عليه حلتا رفرفٍ قد ملأ ما بين السماء والأرض][١](١٩) . فعلىٰ ما ذكرناه يكون قوله : ﴿ فأوحىٰ إلىٰ عبده [ما أوحىٰ ﴾ ، معناه : فأوحىٰ جبريل إلىٰ عبد اللّٰه محمد ما أوحىٰ ، أو : فأوحىٰ اللّٰه إلىٰ عبده][٢] محمد ما أوحىٰ بواسطة جبريل . وكلا المعنيين صحيح . وقد ذكر عن سعيد بن جبير في قوله : ﴿ فأوحىٰ إلىٰ عبده ما أوحىٰ ﴾ ، قال : أوحى إليه : (ألم أجدك يتيمًا) ، ﴿ ورفعنا لك ذكرك ﴾ .

وقال غيره : أوحىٰ إليه أن الجنة محرمة على الأنبياء حتى تدخلها ، وعلى الأمم حتى تدخلها أمتك .

وقوله : ﴿ ما كذب الفؤاد ما رأىٰ * أفتمارونه علىٰ ما يرىٰ ﴾ . قال مسلم : حدثنا أبو سعيد الأشج ، حدثنا وكيع ، حدثنا الأعمش ، عن زياد بن حُصَين ، عن أبي العالية ، عن ابن عباس : ﴿ ما كذب الفؤاد ما رأىٰ ﴾ ، ﴿ ولقد رآه نزلة أخرىٰ ﴾ ، قال : رآه بفؤاده مرتين(٢٠) .

وكذا رواه سماك عن عكرمة عن ابن عباس مثله . وكذا قال أبو صالح والسدي وغيرهما : إنه رآه بفؤاده مرتين . [وقد خالفه ابن مسعود وغيره][٣] ، وفي رواية عنه أنه أطلق الرؤية ، وهي محمولة علىٰ المقيدة بالفؤاد . ومن روىٰ عنه بالبصر فقد أغرب ، فإنه لايصح في ذلك شيء عن الصحابة رضي اللّٰه عنهم . وقول البغوي في تفسيره : وذهب

(١٨) - أخرجه البخاري (٤٨٥٦، ٤٨٥٧) ، ومسلم (٢٨٠ - ١٧٤/٢٨٢) .

(١٩) - أخرجه الطبرى (٤٩/٢٧) ، وابن بزيع هو محمد بن عبد الله ، وأخرجه البخاري من طريق آخر بنحوه في التفسير برقم (٤٨٥٨) .

(٢٠) - أخرجه مسلم في كتاب : الإيمان ، باب : قوله تعالى : ﴿ ولقد رآه نزلة أخرى ﴾ حديث (٢٨٥/ ١٧٦) (١٠/٣) .

[١] - ما بين المعكوفين سقط من ز ، خ .
[٢] - ما بين المعكوفين سقط من ز ، خ .

[٣] - ما بين المعكوفين سقط من ز . وبياض في خ .

جماعة إلىٰ آنه رآه بعينه - وهو قول أنس والحسن وعكرمة - فيه نظر ، والله أعلم .

وقال الترمذي : حدثنا محمد بن عمرو بن نَبْهان[١] بن صفوان ، حدثنا يحيىٰ بن كثير العنبري ، عن سَلْم[٢] بن جعفر ، عن الحكم بن أبان ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : رأىٰ محمد ربه ! قلت : أليس الله يَقول : ﴿ **لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار** ﴾ ؟ قال : ويحك ! ذاك إذا تَجَلّىٰ بنوره الذي هو نوره وقد رأى ربه مرتين(٢١) .

ثم قال : « **حسن غريب** » .

وقال أيضًا : حدثنا ابن أبي عمر ، حدثنا سفيان ، عن مجالد ، عن الشعبي قال : لقي ابن عباس كعبًا بعرفة[٣] ، فسأله عن شيء فكَبّر[٤] حتىٰ جاوبته الجبال ، فقال ابن عباس : إنا بنو هاشم . فقال كعب : إن الله قسم رؤيته وكلامه بين محمد وموسىٰ ، فكلم موسىٰ مرتين ورآه محمد مرتين .

وقال مسروق : دخلتُ علىٰ عائشة فقلت : هل رأىٰ محمد ربه ؟ فقالت : لقد تكلمت بشيء قَفّ له شعري . فقلت : رُوَيدًا ! ثم قرأتُ : ﴿ **لقد رأىٰ من آيات ربه الكبرىٰ** ﴾ . فقالت : أين يُذهَبُ بك ؟ إنما هو جبريل ، من أخبرك أن محمدًا رأىٰ ربه أو[٥] كتم شيئًا مما [أمر به][٦] ، [أو يعلم الخمس التي][٧] [ ][٨] قال الله تعالى : ﴿ **إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث** ... ﴾ الآيات[٩] . فقد أعظم الفرية ، [ولكنه رأىٰ][١٠] [ ][١١]جبريل ، لم يره في صورته إلا مرتين ، مرة عند سدرة المنتهىٰ ومرة في جيَاد ، وله ستمائة جناح قد سد الأفق(٢٢) .

---

(٢١) - أخرجه الترمذي في كتاب : التفسير ، باب : ومن سورة النجم ، حديث (٣٢٧٥) (٩/٢٩) .
قال الترمذي : حديث حسن غريب ، قلت : في إسناده محمد بن عمرو بن نبهان ، قال الحافظ : مقبول .
والحديث ضعفه الألباني في ضعيف سنن الترمذي (٦٤٧ - ٣٥١٠) .

(٢٢) - أخرجه الترمذي في كتاب : تفسير القرآن ، باب : ومن سورة النجم ، حديث (٣٢٧٤) (٩/٢٨) . وفي إسناده مجالد ليس بالقوي وقد تغير في آخر عمره . وابن أبي عمر هو محمد بن يحيى بن أبي عمر قال الحافظ : صدوق لازم ابن عيينة لكن قال أبو حاتم : كانت فيه غفلة . وقد ورد عن عائشة في الصحيح نحو عجز هذا الحديث ، وسيأتي بإذن الله .

---

[١] - في ز ، خ : منهال .
[٢] - في ز ، خ : مسلم .
[٣] - في ز ، خ : فعرفه .
[٤] - في ز : قلت .
[٥] - في ز ، خ : و .
[٦] - في خ : أمره .
[٧] - ما بين المعكوفين بياض في ز ، خ .
[٨] - ما بين المعكوفين في ز ، خ : لكن .
[٩] - سقط من ز ، خ .
[١٠] - بياض في ز ، خ .
[١١] - في ز ، خ : التي .

وقال النسائي : حدثنا إسحاق بن إبراهيم ، حدثنا معاذ بن هشام ، حدثني أبي ، عن قتادة ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : أتعجبون أن تكون الخلّة[١] لإبراهيم ، والكلام لموسىٰ ، والرؤية لمحمد عليهم السلام ؟ !(٢٣) .

وفي صحيح مسلم ، عن أبي ذر قال : سألت رسول الله صلىٰ الله عليه وآله وسلم : هل رأيتَ ربك ؟ فقال : « **نور أنَّىٰ أراه** »(٢٤) . وفي رواية : « **رأيت نورًا** »(٢٥) .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو سعيد الأشج ، حدثنا أبو[٢] خالد ، عن موسىٰ بن عبيدة ، عن محمد بن كعب قال : قالوا : يا رسول الله ، رأيت ربك ؟ قال : « **رأيته بفؤادي مرتين** » ثم قرأ : ﴿ **ما كذب الفؤاد ما رأىٰ** ﴾(٢٦) .

ورواه ابن جرير عن ابن حميد عن مهران عن موسى بن عبيدة عن محمد بن كعب ، عن بعض أصحاب النبي صلىٰ الله عليه وسلم قال : قلنا : يا رسول الله ، هل رأيت ربك ؟ قال : « **لم أره بعيني ، ورأيته بفؤادي مرتين** » . ثم تلا : ﴿ **ثم دنا فتدلىٰ** ﴾(٢٧) .

ثم قال ابن أبي حاتم : وحدثنا الحسن بن محمد بن الصباح ، حدثنا محمد بن عبد الله الأنصاري ، أخبرني عَبّاد بن منصور قال : سألت عكرمة : ﴿ **ما كذب الفؤاد ما رأىٰ** ﴾ ؟ فقال عكرمة : تريد أن أخبرك أنه قد رآه ؟ قلت : نعم . قال : قد رآه ، ثم قد رآه . قال[٣] : فسألت عنه الحسن فقال : قد[٤] رأىٰ جلاله وعظمته ورداءه(٢٨) .

---

(٢٣) - أخرجه النسائي في « الكبرى » في كتاب : التفسير ، باب : قوله تعالى : ﴿ **ما كذب الفؤاد ما رأى** ﴾ حديث (١١٥٣٩) (٦/٤٧٢) ، وابن أبي عاصم في السنة (١/١٩٢/٤٤٢) ، وابن خزيمة في التوحيد (١٩٧) ، وعبد الله بن أحمد في السنة . والآجرى في الشريعة ، والحاكم في المستدرك (٢/٤٦٩) ، وابن منده (٧٦٢) واللالكائي (٩٠٥) .

(٢٤) - أخرجه مسلم في كتاب : الإيمان ، باب : قوله عليه السلام : « **نور أنى أراه** » حديث (٢٩١/١٧٨) (٣/١٥) .

(٢٥) - أخرجه مسلم في الموضع السابق (٢٩٢/١٧٨) (٣/١٦) .

(٢٦) - في إسناده موسى بن عبيدة وهو ضعيف .

(٢٧) - وأخرجه الطبرى (٢٧/٤٩ - ٥٠) .

(٢٨) - إن كان محمد بن عبد الله الأنصاري هو ابن زيد فقد كذبوه وإلا فإسناده صحيح إلى عكرمة .

ورواه ابن جرير الطبري من حديث خلاد بن أسلم قال : أخبرني النضر بن شميل قال : أخبرني عباد بن منصور ... فذكره دون ذكر الحسن .

---

[١] - في ز ، خ : الحكمة .

[٢] - في ز : ابن .

[٣] - سقط من خ .

[٤] - سقط من ز ، ت .

وحدثنا أبي ، حدثنا محمد بن مجاهد ، حدثنا أبو عامر العَقَدي ، أخبرنا أبو خلدة ، عن أبي العالية قال : سُئِل رسولُ اللّه صلىٰ اللّه عليه وسلم : هل رأيت ربك ؟ قال : **« رأيت نهرًا ، ورأيت وراء النهر حجابًا ، ورأيت وراء الحجاب نورًا لم أر غير ذلك[١] »** .

وذلك[٢] غريب جدًا ، فأمّا الحديث الذي رواه الإمام أحمد :

حدثنا أسود بن عامر ، حدثنا حماد بن سلمة ، عن قتادة ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : قال رسول اللّه صلىٰ اللّه عليه وسلم : **« رأيت ربي عز وجل »**(٢٩) . فإنه حديث إسناده علىٰ شرط الصحيح ، لكنه مختصر من حديث المنام ، كما رواه الإمام أحمد أيضًا :

حدثنا عبد الرزاق ، حدثنا معمر ، عن أيوب ، عن أبي قلابة ، عن ابن عباس أن رسول اللّه ، صلىٰ اللّه عليه وسلم ، قال : **« أتاني ربي الليلة في أحسن صورة - أحسبه يعني في النوم - فقال : يا محمد ، أتدري فيم يختصم الملأ الأعلىٰ ؟ قال : قلت : لا . فوضع يده بين كتفي حتىٰ وجدت بَرْدَها بين ثدييّ - أو قال : نحري - فعلمت ما في السماوات وما في الأرض ، ثم قال : يا محمد ، هل تدري فيم يختصم الملأ الأعلى ؟ قال : قلت : نعم ، يختصمون في الكفارات والدرجات[٣] . قال : وما الكفارات والدرجات قال : قلت : المكث[٤] في المساجد بعد الصلوات ، والمشي علىٰ الأقدام إلىٰ الجمعات[٥] ، وإبلاغ الوضوء في المكاره . من فعل ذلك عاش بخير ومات بخير ، وكان من خطيئته كيوم ولدته أمه . وقال : قل يا محمد إذا صليت : اللّهم ، إني أسألك الخيرات ، وترك المنكرات ، وحبّ المساكين ، وإذا أردت بعبادك فتنة أن تقبضني إليك غير مفتون . قال : والدرجات بذلُ الطعام ، وإفشاء السلام ، والصلاة بالليل والناس نيام »**(٣٠) . وقد تقدم في آخر سورة « ص » عن معاذ نحوه . وقد رواه ابن جرير من وجه آخر عن ابن عباس ، وفيه سياق آخر وزيادة غريبة فقال :

حدثني أحمد بن عيسىٰ التميمي ، حدثني سليمان بن عمر بن سيار[٦] ، حدثني أبي ،

---

(٢٩) - أخرجه أحمد (٢٨٥/١) (٢٥٨٠) وصححه الشيخ أحمد شاكر في تعليقاته على المسند ، والشيخ الألباني في كتاب السنة لابن أبي عاصم (٤٦٩) .

(٣٠) - أخرجه أحمد (٣٦٨/١) (٣٤٨٤) وصحح إسناده الشيخ أحمد شاكر في تعليقه على المسند ، والشيخ الألباني في تعليقاته على السنة برقم (٣٨٨) .

---

[١] - سقط من ت ، خ .
[٢] - سقط من ز .
[٣] - سقط من ز ، خ .
[٤] - في ز ، خ : الكثرة .
[٥] - في ز ، خ : الجماعات .
[٦] - في خ : يسار .

عن سعيد بن زربي[١] ، عن عمر بن سليمان ، عن عطاء ، عن ابن عباس قال : قال النبي صلىٰ اللّه عليه وسلم : « **رأيت ربي في أحسن صورة فقال لي : يا محمد ، هل تدري فيم يختصم الملأ الأعلىٰ ؟ فقلت : لا ، يا رب . فوضع يده بين كتفي فوجدت بَرْدَها بين ثديي ، فعلمت ما في السماوات والأرض ، فقلت : يا رب ، في الدرجات والكفارات ، ونقل الأقدام إلىٰ الجماعات[٢] وانتظار الصلاة بعد الصلاة . فقلت : يا رب ؛ إنك اتخذت إبراهيم خليلًا ، وكلمتَ موسىٰ تكليمًا ، وفعلت وفعلت . فقال : ألم أشرح لك صدرك ؟ ألم أضع عنك وزرك ؟ ألم أفعل بك ؟ ألم أفعل ؟ قال : فأفضىٰ إليَّ بأشياء لم يؤذن لي أن أحدثكموها . قال : فذاك قوله في كتابه : ﴿ ثم دنا فتدلىٰ * فكان قاب قوسين أو أدنىٰ * فأوحىٰ إلىٰ عبده ما أوحىٰ * ما كذب الفؤاد ما رأىٰ ﴾ ، فجُعل نور بصري في فؤادي ، فنظرت إليه بفؤادي** »(٣١) . إسناده[٣] ضعيف .

وقد ذكر الحافظ ابن عساكر بسنده إلى هبار بن الأسود - رضي اللّه عنه - : أن عتبة[٤] ابن أبي لهب لما خرج في تجارة إلىٰ الشام قال لأهل مكة : اعلموا أني كافر بالذي دنا فتدلىٰ . فبلغ قوله رسول اللّه ، صلىٰ اللّه عليه وسلم ، فقال : « **سَلَّطَ اللّه عليه كلبًا من كلابه** » . قال هبار : فكنت معهم ، فنزلنا بأرض كثيرة الأسد ، قال : فلقد رأيت الأسد جاء فجعل يَشَمّ رءوس القوم واحدًا واحدًا ، حتىٰ تخطىٰ إلىٰ عتبة فاقتطع رأسه من بينهم (٣٢) .

وذكر ابن[٥] إسحاق وغيره في السيرة : أن ذلك كان بأرض الزرقاء ، وقيل بالشراة ، وأنه خاف[٦] ليلتئذ ، وأنهم جعلوه بينهم وناموا من حوله ، فجاء الأسد فجعل يزأر ، ثم تخطاهم إليه فضغم رأسه ، لعنه الله .

وقوله : ﴿ **ولقد رآه نزلة أخرىٰ * عند سدرة المنتهىٰ * عندها جنة المأوىٰ** ﴾ ، هذه هي المرة الثانية التي رأىٰ رسول اللّه صلىٰ اللّه عليه وسلم فيها جبريل علىٰ صورته التي خلقه اللّه عليها ، وكانت ليلة الإِسراء . [وقد][٧] قدمنا الأحاديث الواردة في الإِسراء بطرقها وألفاظها في أول سورة « **سبحان** » بما أغنىٰ عن إعادته هاهنا ، وتقدم أن ابن عباس رضي اللّه عنهما

(٣١) - أخرجه الطبرى (٤٨/٢٧) ، وفي إسناده سعيد بن زربي ، منكر الحديث .

(٣٢) - تقدم تخريجه قريبًا وهو حديث حسن ؛ حسنه الحافظ ابن حجر في الفتح .

[١] - في ز ، خ : زرعي .
[٢] - في ت : الجمعات .
[٣] - في ت : إسناد .
[٤] - في ز : عيينة .
[٥] - في خ : ابن أبي .
[٦] - في ز ، خ : كان .
[٧] - في خ : و .

كان يثبت الرؤية ليلة الإسراء ، ويستشهد بهذه الآية . وتابعه جماعة من السلف والخلف ، وقد خالفه جماعات من الصحابة رضي الله عنهم والتابعين وغيرهم .

وقال الإمام أحمد : حدثنا حسن بن موسىٰ ، حدثنا حماد بن سلمة ، عن عاصم بن[١] بهدلة ، عن زرّ بن حُبَيْش ، عن ابن مسعود في هذه الآية : ﴿ **ولقد رآه نزلة أخرىٰ * عند سدرة المنتهي** ﴾ ، قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **رأيت جبريل وله ستمائة جناح ، ينتثر من ريشه التهاويل : الدر والياقوت** »(٣٣) . وهذا إسناد جيد قوي .

وقال أحمد أيضًا : حدثنا يحيىٰ بن آدم ، حدثنا شريك ، عن جامع بن أبي راشد ، عن أبي وائل ، عن عبد الله قال : رأىٰ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم جبريل في صورته وله ستمائة جناح ، كل جناح منها قد سد الأفق ، يسقط من جناحه من التهاويل والدر والياقوت ما الله به عليم(٣٤) . إسناده حسن أيضًا .

وقال أحمد أيضًا : حدثنا زيد بن الحباب ، حدثني حسين ، حدثني عاصم بن بهدلة قال : سمعت شقيق[٢] بن سلمة يقول : سمعت ابن مسعود يقول : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **رأيت جبريل علىٰ سدرة[٣] المنتهىٰ ، وله ستمائة جناح** » . سألت عاصمًا عن الأجنحة ؟ فأبىٰ أن يخبرني . قال : فأخبرني بعض أصحابه أن الجناح ما بين المشرق والمغرب(٣٥) . وهذا أيضًا إسناد جيد .

وقال أحمد : حدثنا زيد بن الحباب ، حدثني حسين ، حدثني حصين[٤] حدثني شقيق[٥] قال : سمعت ابن مسعود يقول : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **أتاني جبريل - عليه السلام - في خُضر[٦] معلق به الدر** »(٣٦) . إسناده جيد أيضًا .

وقال الإمام أحمد : حدثنا يحيىٰ ، عن إسماعيل ، حدثنا عامر قال : أتىٰ مسروقٌ عائشة فقال : يا أم المؤمنين ، هل رأىٰ محمد - صلىٰ الله عليه وسلم - ربه عز وجل؟ قالت : سبحان الله ! لقد قَفَّ شعري لما قلت ، أين أنت من ثلاث من حَدَّثكهُنَّ فقد كذب : من

(٣٣) - أخرجه أحمد (٤٦١/١) (٤٣٩٦) . وصححه أحمد شاكر في المسند .
(٣٤) - ذكره ابن حجر في « أطراف المسند » (١٥٨/٤) .
(٣٥) - أخرجه أحمد (٤٠٧/١) (٣٨٦٢) وصححه أحمد شاكر .
(٣٦) - أخرجه أحمد (٤٠٧/١) وصححه أحمد شاكر أيضًا .

[١] - في خ : عن .
[٢] - في ز ، خ : منصور .
[٣] - في ز : السدرة .
[٤] - في ت : عاصم بن بهداة .
[٥] - في ز ، خ : سفيان .
[٦] - في ز : حصر .

حدثك أن محمدًا رأىٰ ربه فقد كذب ، ثم قرأت : ﴿ **لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار** ﴾ ، ﴿ **وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيًا أو من وراء حجاب** ﴾ ، ومن أخبرك أنه يعلم ما في غد فقد كذب ، ثم قرأت : ﴿ **إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام** ﴾ .. الآية . ومن أخبرك أن محمدًا قد كتم ، فقد كذب ، ثم قرأت : ﴿ **يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك** ﴾ . ولكنه رأىٰ جبريل [في صورته][١] مرتين(٣٧) .

وقال أحمد أيضًا : حدثنا محمد بن أبي عدي ، عن داود ، عن الشعبي ، عن مسروق قال : كنت عند عائشة فقلت : أليس الله يقول : ﴿ **ولقد رآه بالأفق المبين** ﴾ ، ﴿ **ولقد رآه نزلة أخرىٰ** ﴾ ؟ فقالت : أنا أول هذه الأمة[٢] سأل[٣] رسولَ الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، عنها ، فقال : « **إنما ذاك جبريل** » . لم يره في صورته التي خلق عليها إلا مرتين ، رآه منهبطًا من السماء إلىٰ الأرض ، سادًّا عُظْمُ خلقه ما بين السماء والأرض(٣٨) . أخرجاه في الصحيحين من حديث الشعبي به(٣٩) .

(رواية أبي ذر) قال الإمام أحمد : حدثنا عفان ، حدثنا همام ، حدثنا قتادة ، عن عبد الله بن شقيق قال : قلت لأبي ذر : لو رأيتُ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم لسألته . قال : وما كنت تسأله ؟ قال : كنت أسأله : هل رأىٰ ربه عز وجل ؟ فقال : إني قد سألته فقال : « **قد رأيته نورًا أنَّىٰ أراه** »(٤٠) .

هكذا وقع في رواية الإمام أحمد ، وقد أخرجه مسلم من طريقين بلفظين فقال : حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة ، حدثنا وكيع ، عن يزيد بن إبراهيم ، عن قتادة ، عن عبد الله بن شقيق ، عن أبي ذر قال : سألت رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : هل رأيت ربك ؟ فقال :

---

(٣٧) - أخرجه أحمد (٤٩/٦) برقم (٢٤٣٣٨) ، وهو عند البخاري برقم (٤٨٥٥) (٦٠٦/٦) .

(٣٨) - أخرجه أحمد (٢٤٠/٦) برقم (٢٦١٤٩) .

(٣٩) - أخرجه البخاري في كتاب : التوحيد ، باب : قول الله تعالى : ﴿ **عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدًا** ﴾ حديث (٧٣٨٠) (٣٦١/١٣) . وباب : قول الله تعالى : ﴿ **يأيها النبي بلغ ما أنزل إليك من ربك** ﴾ حديث (٧٥٣١) (٥٠٣/١٣) مقطعًا . ومسلم في كتاب : الإيمان ، باب : معنى قول الله - عز وجل - : ﴿ **ولقد رآه نزلة أخرى** ﴾ حديث (١٧٧/٢٨٧) (١١/٣ - ١٢) .

(٤٠) - أخرجه أحمد (١٤٧/٥) (٢١٣٩٣) وهو عند مسلم من طريق عفان بهذا الإسناد بلفظ : « رأيت نورًا » ولم يزد (١٧٨/٢٩٢) .

---

[١] - سقط من خ .

[٢] - في ز ، خ : الآية .

[٣] - في خ : سألت .

« نور أنَّىٰ أراه »(٤١) .

وقال : حدثنا محمد بن بشار ، حدثنا معاذ بن هشام ، حدثنا أبي ، عن قتادة ، عن عبد الله بن شقيق قال : قلت لأبي ذر : لو رأيت رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم لسألته . فقال : عن أي شيء كنت تسأله ؟ قال : قلت : كنت أسأله : هل رأيت ربك ؟ قال أبو ذر : قد سألت ؛ فقال : « رأيت نورًا »(٤٢) .

وقد حكىٰ الخلال في علله أن الإمام أحمد سئل عن هذا الحديث ؟ فقال : ما زلتُ منكرًا له ، وما أدري ما وجهه .

وقد قال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا عمرو بن عون الواسطي ، أخبرنا هشيم ، عن منصور ، عن الحكم ، عن إبراهيم ، عن أبيه ، عن أبي ذر قال : رآه بقلبه ، ولم يره بعينه(٤٣) .

وحاول ابن خزَيمة أن يدعي انقطاعه بين عبد الله بن شقيق وبين أبي ذر ، وأما ابن الجوزي فتأوله علىٰ أن أبا ذر لعله سأل رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، قبل الإسراء ، فأجابه بما أجابه به ، ولو سأله بعد الإسراء لأجابه بالإثبات . وهذا ضعيف جدًا ، فإن[١] عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قد سألت عن ذلك بعد الإسراء ، ولم يثبت لها الرؤية .

ومن قال : إنه خاطبها علىٰ قدر عقلها ، أو حاول تخطئتها فيما ذهبت إليه - كابن خُزيمة في « **كتاب التوحيد** » - فإنه هو المخطئ، والله أعلم.

وقال النسائي : حدثنا يعقوب بن إبراهيم ، حدثنا هشام ، عن منصور ، عن الحكم ، عن يزيد بن شريك ، عن أبي ذر قال : رأىٰ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ربه بقلبه ، ولم يره ببصره (٤٤) .

وقد ثبت في صحيح مسلم ، عن أبي بكر بن أبي شيبة ، عن علي بن مُسْهر ، عن عبد الملك بن أبي سليمان ، عن عطاء بن أبي رباح ، عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أنه قال

(٤١) - أخرجه مسلم (١٧٨/٢٩١) (١٥/٣) .
(٤٢) - أخرجه مسلم (١٧٨/٢٩٢) (٩٦/٣) .
(٤٣) - في إسناده هشيم وهو ثقة إلا أنه كثير التدليس وقد عنعن .
(٤٤) - أخرجه النسائي في الكبرى في كتاب : التفسير ، باب : ﴿ **ما كذب الفؤاد ما رأى** ﴾ حديث (١١٥٣٦) (٤٧٢/٦) . وفي إسناده هشيم ذكره ابن حجر في الطبقة الثالثة من المدلسين وقد عنعن ، وبقية رجال الإسناد ثقات .

[١] - في ز ، خ : قالت .

في قوله : ﴿ ولقد رآه نزلة أخرىٰ ﴾ ، قال : رأىٰ جبريل عليه السلام (٤٥) .

وقال مجاهد في قوله : ﴿ ولقد رآه نزلة أخرىٰ ﴾ ، قال : رأىٰ رسول اللَّه - صلىٰ اللَّه عليه وسلم - جبريل في صورته مرتين . وكذا قال قتادة والربيع بن أنس وغيرهم .

وقوله تعالىٰ : ﴿ إذ يغشىٰ السدرة ما يغشىٰ ﴾ ، قد تقدم في أحاديث الإِسراء أنه غشيتها الملائكة مثل الغِرْبان ، وغشيها نور الرب ، وغشيها ألوان ما أدري ما هي ؟

وقال الإِمام أحمد : حدثنا مالك بن مغْوَل ، حدثنا الزبير بن عدي ، عن طلحة ، عن مرة ، عن عبد اللَّه - هو ابن مسعود - قال : لما أسري برسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم انتهي به إلىٰ سدرة المنتهىٰ ، وهي في السماء السابعة[١] ، إليها ينتهي ما يعرج به من الأرض فيقبض[٢] منها ، وإليها ينتهي ما يهبط[٣] به من فوقها فيقبض منها ، ﴿ إذ يغشىٰ السدرة ما يغشىٰ ﴾ ، قال : فراش من ذهب . قال : وأعطي رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم ثلاثًا[٤] : أعطي الصلوات الخمسَ ، وأُعطيَ خواتيم سورة البقرة ، وغُفر لمن لا يشرك باللَّه شيئًا من أمته المقحمات (٤٦) . انفرد به مسلم .

وقال أبو جعفر الرازي ، عن الربيع ، عن أبي العالية ، عن أبي هريرة أو غيره - شك أبو جعفر - قال : لما أسري برسول اللَّه انتهىٰ إلىٰ السدرة ، فقيل له : هذه السدرة ، فغشيها نور الخلاق وغشيتها الملائكة مثل الغربان حين يقعن على الشجر[٥] ، قال : فكلمه عند ذلك فقال له : سل ... إلخ[٦] (٤٧) .

وقال ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : ﴿ إذ يغشىٰ السدرة ما يغشىٰ ﴾ ، قال : كان أغصان السدرة لؤلؤًا وياقوتًا وزبرجدًا ، فرآها محمد ، ورأىٰ ربه بقلبه .

وقال ابن زيد : قيل : يا رسول اللَّه ، أي شيء رأيت يغشىٰ تلكِ السدرة ؟ قال : « رأيت يغشاها فَرَاش من ذهب ، ورأيت علىٰ كل ورقة من ورقها مَلَكًا قائمًا يسبح اللَّه

(٤٥) - أخرجه مسلم في كتاب : الإيمان ، باب : معنى قول الله - عز وجل - : ﴿ ولقد رآه نزلة أخرىٰ ﴾ ، حديث (١٧٥/٢٨٣) (٩/٣) .

(٤٦) - أخرجه أحمد (٤٢٢/١) ، ومسلم في كتاب : الإيمان ، باب : في ذكر سدرة المنتهى ، حديث (١٧٣/٢٧٩) (٣/٣ -٤) .

(٤٧) - أبو جعفر الرازي : سيئ الحفظ .

[١] - في خ : السادسة .

[٢] - في خ : فتفيض .

[٣] - في خ : يقبض .

[٤] - في خ : صلبا .

[٥] - في خ : الشجرة .

[٦] - سقط من ز ، خ .

عز وجل»(٤٨) .

وقوله : ﴿ ما زاغ البصر وما طغىٰ ﴾ ، قال ابن عباس : ما ذهب يمينًا ولا شمالًا ، ﴿ وما طغىٰ ﴾ : ما جاوز ما أمر به .

وهذه صفة عظيمة في الثبات والطاعة ، فإنه ما فعل إلا ما أمر به ، ولا سأل فوق ما أعطي . وما أحسن ما قال الناظم :

رأى جنة المأوى وما فوقها ولو رأى غيره ما قد رآه لتاها

وقوله : ﴿ لقد رأىٰ من آيات ربه الكبرىٰ ﴾ ، كقوله : ﴿ لنريه[١] من آياتنا ﴾ ، أي : الدالة علىٰ قدرتنا وعظمتنا . وبهاتين الآيتين استدل من ذهب من أهل السنة أن الرؤية تلك الليلة لم تقع ، لأنه قال : ﴿ لقد رأىٰ من آيات ربه الكبرىٰ ﴾ ، ولو كان رأىٰ ربه لأخبر بذلك ولقال ذلك للناس ، وقد تقدم تقرير ذلك في سورة « سبحان » . و[قد][٢] قال الإمام أحمد :

حدثنا أبو النضر ، حدثنا محمد بن طلحة ، عن الوليد بن قيس ، عن إسحاق بن أبي الكَهْتَلَة[٣] - قال محمد : أظنه عن ابن مسعود - أنه قال : إن محمدًا لم ير جبريل في صورته إلا مرتين ، أما مرة فإنه سأله أن يُريه نفسه في صورته ، فأراه صورته فسد الأفق . وأما الأخرىٰ فإنه صَعد معه حين صعد به .

وقوله : ﴿ وهو بالأفق الأعلىٰ * ثم دنا فتدلىٰ * فكان قاب قوسين أو أدنىٰ * فأوحىٰ إلىٰ عبده ما أوحىٰ ﴾ . قال[٤] : فلما أحس[٥] جبريل ربه - عز وجل - عاد في صورته وسجد ، فقوله : ﴿ ولقد رآه نزلة أخرىٰ * عند سدرة المنتهىٰ * عندها جنة المأوىٰ * إذ يغشىٰ السدرة ما يغشىٰ * ما زاغ البصر وما طغىٰ * لقد رأىٰ من آيات ربه الكبرىٰ ﴾ ، قال : خَلْقَ جبريل عليه السلام(٤٩) . هكذا رواه الإمام أحمد وهو غريب .

---

(٤٨) - تقدم تخريج أحاديث المعراج في أول سورة الإسراء .

(٤٩) - أخرجه أحمد (٤٠٧/١) (٣٨٦٤) وفي إسناده إسحاق بن أبي الكهتلة ، قال ابن حجر في التعجيل (٢٩) : قال البخاري : حديثه في الكوفيين ، ولم يذكر فيه جرحًا ، وتبعه ابن أبي حاتم ، وذكره ابن حبان في الثقات .

---

[١] - في ت ، خ : لنريك .
[٢] - سقط من ز ، خ .
[٣] - في ز : الكهيلة .
[٤] - سقط من خ .
[٥] - في ز ، خ : أخبر .

أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴿٢٠﴾ أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ
﴿٢١﴾ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ ﴿٢٢﴾ إِنْ هِىَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ
أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن
رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ ﴿٢٣﴾ أَمْ لِلْإِنسَٰنِ مَا تَمَنَّىٰ ﴿٢٤﴾ فَلِلَّهِ ٱلْءَاخِرَةُ وَٱلْأُولَىٰ ﴿٢٥﴾ ۞ وَكَم
مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ
وَيَرْضَىٰٓ ﴿٢٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ لَيُسَمُّونَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ تَسْمِيَةَ ٱلْأُنثَىٰ ﴿٢٧﴾

يقول تعالىٰ مُقَرِّعًا للمشركين في عبادتهم الأصنام والأنداد والأوثان ، واتخاذهم لها البيوت مضاهاة[١] للكعبة التي بناها خليل الرحمٰن - عليه السلام - : ﴿ **أفرأيتم اللات** ﴾ ، وكانت « **اللات** » صخرةً بيضاء منقوشة وعليها بيت بالطائف له أستار وسَدَنة ، وحوله فناء معظّم عند أهل الطائف ، وهم ثقيف ومن تابعها يفتخرون بها علىٰ من عداهم من أحياء العرب بعد قريش .

قال ابن جرير : وكانوا قد اشتقوا اسمها من اسم اللَّه ، فقالوا : اللات ، يعنون مؤنثة منه ، تعالىٰ اللَّه عن قولهم علوًّا كبيرًا . وحكي عن ابن عباس ، ومجاهد ، والربيع بن أنس : أنهم قرءوا : (**اللاتّ**) بتشديد التاء ، وفسروه بأنه كان رجلًا يلت للحجيج في الجاهلية السويق ، فلما مات عكفوا على قبره فعبدوه .

وقال البخاري : حدثنا مسلم - هو ابن إبراهيم - حدثنا أبو الأشهب ، حدثنا أبو الجوزاء ، عن ابن عباس [عن][٢]: ﴿ **اللات والعزىٰ** ﴾ ، قال : كان اللات رجلًا يلت السويق سويق الحاج (٥٠) .

قال ابن جرير : وكذا العُزَّىٰ من العزيز . وكانت شجرة عليها بناء وأستار بنخلة ، وهي بين مكة والطائف ، كانت قريش يعظمونها كما قال أبو سفيان يوم أحد : لنا العزىٰ ولا عزّىٰ لكم . فقال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **قولوا : اللَّه[٣] مولانا ولا مولىٰ**

(٥٠) - أخرجه البخاري في كتاب : التفسير ، باب : ﴿ **أفرأيتم اللات والعزى** ﴾ ، حديث (٤٨٥٩) (٦١١/٨) .

[١] - في ز : مطاهاو . كذا .

[٢] - سقط من ت .

[٣] - سقط من ز .

لكم »(٥١) .

وروىٰ البخاري من حديث الزهري ، عن حُمَيد بن عبد الرحمن ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **من حلف فقال في حلفه : واللات والعزىٰ فليقل : لا إله إلا الله . ومن قال لصاحبه : تعال أقامِرْك فليتصدق** »(٥٢) .

وهذا محمول علىٰ من سبق لسانه إلى[١] ذلك ، كما كانت ألسنتهم قد اعتادته في زمن الجاهلية ، كما قال النسائي : أخبرنا أحمد بن بكار وعبد الحميد بن محمد قالا : حدثنا مَخْلد ، حدثنا يونس[٢] ، عن أبيه : حدثني مصعب بن سعد بن أبي وقاص ، عن أبيه قال : حلفت باللات والعزىٰ ، فقال لي أصحابي : بئس ما قلت ! قلت هجرًا . فأتيت رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم فذكرت ذلك له ، فقال : « **قل : لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد ، وهو علىٰ كل شيء قدير . وانفث عن شمالك ثلاثًا ، وتعوَّذ بالله من الشيطان الرجيم ، ثم لا تعد** »(٥٣) .

وأما مناة فكانت بالمُشَلَّل[٣] - عند قُدَيد ، بين مكة والمدينة - وكانت خزاعة والأوس والخزرج في جاهليتها يعظمونها ، و[٤]يهلون منها للحج إلى الكعبة . وروى البخاري عن عائشة نحوه(٥٤) . وقد كانت بجزيرة العرب وغيرها طواغيت أُخَر تعظمها العرب كتعظيم الكعبة غير[٥] هذه الثلاثة التي نص عليها في كتابه العزيز ، وإنما أفرد هذه بالذكر لأنها أشهر

---

(٥١) - أخرجه البخاري بطوله في كتاب المغازي باب : غزوة أحد ، حديث (٤٠٤٣) (٣٤٩/٧ - ٣٥٠) .

(٥٢) - أخرجه البخاري في كتاب : التفسير ، باب : ﴿ **أفرأيتم اللات والعزى** ﴾ حديث (٤٨٦٠) (٨/ ٦١١) .

(٥٣) - أخرجه النسائي (٨/٧) في كتاب : الأيمان والنذور ، باب : الحلف باللات والعزى ، من طريق عبد الحميد بن محمد . وفي الكبرى في كتاب : عمل اليوم والليلة ، باب : ما يقول من حلف باللات والعزى ، حديث (١٠٨٢٦) (٢٤٥/٦ - ٢٤٦) . وفيه يونس بن أبي إسحاق . قال الذهبي : قال ابن مهدي : لم يكن به بأس . وقال أبو حاتم : صدوق ، لا يحتج به . وقال النسائي : ليس به بأس . وقال ابن خراش : في حديثه لين . وقال ابن حزم : ضعفه يحيى بن القطان وأحمد بن حنبل جدًّا . قلت - أي الذهبي - : بل هو صدوق ما به بأس ، ما هو في قوة مسعر ولا شعبة . وعن يحيى بن سعيد : فيه غفلة . وقال أحمد : حديثه مضطرب . وعن ابن معين : ثقة . (ميزان الاعتدال ١٥٦/٦ - ١٥٧) .

(٥٤) - أخرجه البخاري في كتاب : التفسير ، باب : ﴿ **ومناة الثالثة الأخرى** ﴾ ، حديث (٤٨٦١) (٨/ ٦١٣) .

---

[١] - في ت : في .

[٢] - في ز : قريش .

[٣] - في ز : بالسلل . وفي خ : بالسكك .

[٤] - سقط من ت .

[٥] - في ز ، خ : عن .

من غيرها .

قال ابن إسحاق في السيرة : وقد كانت العرب اتخذت مع الكعبة طواغيت ، وهي بيوت تعظمها كتعظيم الكعبة ، لها[١] سدنة وحجاب ، وتهدي لها كما يهدىٰ للكعبة ، وتطوف بها كطَوافِها بها ، وتنحر عندها ، وهي تعرف فضل الكعبة عليها ، لأنها كانت قد عرفت أنها بيت إبراهيم - عليه السلام - ومسجده . فكانت لقريش وبني كنانة العُزَّىٰ بنخلة ، وكانت سدنتها وحجابها بني شيبان من سليم حلفاء بني هاشم .

قلت : بعث إليها رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، خالد بن الوليد فهدمها ، وجعل يقول :

يا عزء كفرانك لاسبحانك إني رأيت الله قد أهانك .

وقال النسائي : أخبرنا علي بن المنذر ، أخبرنا ابن فُضيل ، حدثنا الوليد بن جُمَيع ، عن أبي الطفيل قال : لما فتح رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم مكة بعث خالد بن الوليد إلىٰ نخلة ، وكانت بها العزىٰ ، فأتاها خالد وكانت علىٰ ثلاث سَمُرات ، فقطع السَّمرات ، وهدم البيت الذي كان عليها . ثم أتىٰ النبي صلىٰ الله عليه وسلم فأخبره ، فقال : « ارجع فإنك لم تصنع شيئًا » . فرجع خالد ، فلما أبصرته السدنة - وهم حَجَبتها - أمعنوا في الحِيَل[٢] وهم يقولون : يا عزىٰ ، يا عزىٰ . فأتاها[٣] خالد فإذا امرأة عريانة ناشرة شعرها تحفن التراب علىٰ رأسها ، فغمسها بالسيف حتىٰ قتلها . ثم رجع إلىٰ رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، فأخبره ، فقال : « تلك العزىٰ »(٥٥) .

قال ابن إسحاق : وكانت اللات لثقيف بالطائف ، وكان سدنتها وحجابها بني معتِّب .

قلت : وقد بعث إليها رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم المغيرة بن شعبة وأبا سفيان صخر ابن حرب ، فهدماها وجعلا مكانها مسجد الطائف .

قال ابن إسحاق : وكانت مناة للأوس والخزرج ومن دان بدينهم من أهل يثرب علىٰ ساحل البحر من ناحية المُشَلّل بقديد ، فبعث رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم أبا سفيان صخر[٤] بن حرب فهدمها . ويقال : علي بن أبي طالب. قال : وكانت ذو الخلصة[٥]

---

(٥٥) - أخرجه النسائي في الكبرى في كتاب التفسير ، باب : قوله تعالى : ﴿ أفرأيتم اللات والعزى﴾ ، حديث (١١٥٤٧) (٦/٤٧٤) ورجاله وثقوا .

---

[١] - في ت : بها .
[٢] - في خ : الجبل .
[٣] - في ز : فأتاه .
[٤] - سقط من ز ، خ .
[٥] - في خ : لحصة .

لدوس، وخثعم، وبجيلة، ومن كان ببلادهم من العرب بتبالة. قلت: وكان يقال لها: الكعبة اليمانية، وللكعبة التي بمكة: الكعبة الشامية.

فبعث إليه رسول اللّه، صلىٰ اللّه عليه وسلم، جرير بن عبد اللّه البجلي فهدمه.

قال: وكانت فلس[١] لطيئ ولمن يليها بجبلي[٢] طيئ من سلمى وأجاء.

قال ابن هشام: فحدثني بعض أهل العلم أن رسول اللّه صلىٰ اللّه عليه وسلم بعث إليه علي ابن أبي طالب فهدمه، واصطفىٰ منه سيفين: [الرسُوب][٣]والمِخْذَم، فنفَّله إياهما رسول اللّه صلىٰ اللّه عليه وسلم فهما[٤] سيفا علي.

قال ابن إسحاق: وكان لحمير وأهل اليمن بيت بصنعاء يقال له: رئام، وذكر أنه كان به كلب أسود، وأن الحبرين اللذين ذهبا مع تبع[٥] استخرجاه وقتلاه، وهدما البيت.

قال ابن إسحاق: وكانت «رُضَاء» بيتًا لبني ربيعة بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم، ولها يقول المستوغر[٦] بن ربيعة بن كعب بن سعد حين هدمها في الإسلام:

ولقد شددت على رضاء شدة فتركتها قفرًا بقاع أسحما

قال ابن هشام: يقال[٧]: إنه عاش ثلاثمائة وثلاثين سنة، وهو القائل:

وَلَقَدْ سَئِمْتُ مِنَ الحَيَاةِ وَطُولِهَا وَعُمِّرْتُ مِنْ عَدَدِ السِّنِينَ مِئِينَا
مائَةً حَدَتْهَا بَعْدَهَا مِئَتَان لي وازْدَدتُ[٨] من عدد الشهور سنينًا
هل ما بقي إلا كَمَا قَدْ فَاتَنَا يَومٌ يَمُرّ وَلَيْلَةٌ تَحْدُونَا

قال ابن إسحاق: وكان ذو الكعبات لبكر وتغلب ابني وائل، وإياد بسنداد وله يقول أعشىٰ بني قيس بن ثعلبة:

بين الخورنق والسدير وبارق والبيت ذي الكعبات من[٩] سنداد

ولهذا قال: ﴿ أفرأيتم اللات والعزىٰ * ومناة الثالثة الأخرىٰ ﴾؟.

ثم قال: ﴿ ألكم الذكر وله الأنثىٰ ﴾؟، أي: أتجعلون له ولدًا، وتجعلون ولده أنثىٰ،

---

[١] - في خ: قلس. وكذا في البداية [٢/٢٤٢].
[٢] - في خ: بجبل.
[٣] - في ز، خ: الرسوف.
[٤] - في ز: لهما.
[٥] - بياض في ز، خ.
[٦] - في ز، خ: المستوعد.
[٧] - سقط من ت.
[٨] - في ز، خ: وعمرت.
[٩] - في ز: في.

وتختارون لأنفسكم الذكور ، فلو اقتسمتم أنتم ومخلوق مثلكم هذه القسمة لكانت ﴿ **قسمة ضيزىٰ** ﴾ ، أي : جورًا باطلة ، فكيف تقاسمون ربكم هذه القسمة التي لو كانت بين مخلوقين كانت جورًا وسفهًا .

ثم قال منكرًا عليهم فيما ابتدعوه وأحدثوه من الكذب والافتراء والكفر ، من عبادة الأصنام وتسميتها آلهة : ﴿ **إن هي إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم** ﴾ ، أي : من تلقاء أنفسكم ، ﴿ **ما أنزل الله بها من سلطان** ﴾ ، أي : من حجة ، ﴿ **إن يتبعون إلا الظن ، وما تهوىٰ الأنفس** ﴾ ، أي : ليس لهم مستند إلا حسن ظنهم بآبائهم الذين سلكوا هذا المسلك الباطل قبلهم ، وإلا حظ نفوسهم في رياستهم وتعظيم آبائهم الأقدمين ، ﴿ **ولقد جاءهم من ربهم الهدىٰ** ﴾ ، أي : ولقد أرسل الله إليهم الرسل بالحق المنير والحجة القاطعة ، ومع هذا ما اتبعوا ما جاءوهم به ، ولا انقادوا له .

ثم قال : ﴿**أم للإنسان ما تمنى**﴾ أي : ليس كل من تمنى خيرًا حصل له ، ﴿**ليس بأمانيكم ولا أماني أهل الكتاب**﴾ ما كل من زعم أنه مهتد يكون كما قال ، ولا كل من ودَّ شيئًا يحصل له .

قال الإمام أحمد : حدثنا إسحاق ، حدثنا أبو عَوَانة ، عن عمر بن أبي سلمة ، عن أبيه ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **إذا تمنىٰ أحدكم فلينظر ما تمنىٰ**[١] ، **فإنه لا يدري ما يكتب له من أمنيته** »(٥٦) تفرد به أحمد .

وقوله : ﴿ **فلله الآخرة والأولىٰ** ﴾ ، أي : إنما الأمر كله لله ، مالك الدنيا والآخرة ، والمتصرف في الدنيا والآخرة ، فهو الذي ما شاء كان ، وما لم يشأ لم يكن .

وقوله : ﴿ **وكم من ملك في السمٰوات لا تغني شفاعتهم شيئًا إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضىٰ** ﴾ ، كقوله : ﴿ **من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه** ﴾ ﴿**ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له**﴾ ، فإذا كان هذا في حق الملائكة المقربين ، فكيف ترجون أيها الجاهلون شفاعة هذه الأصنام والأنداد عند الله ، وهو لم يشرع عبادتها ولا أذن فيها ، بل قد نهىٰ عنها علىٰ ألسنة جميع رسله ، وأنزل بالنهي عن ذلك جميع كتبه ؟ !

---

(٥٦) - أخرجه أحمد (٢/٣٥٧) . وفي إسناده عمر بن أبي سلمة ، وهو ابن عبد الرحمن ، قال : ابن الجوزي في « الضعفاء والمتروكين » (٢/٢١٠) : ضعفه شعبة ويحيى . وقال الرازي : لا يحتج به . وقال النسائي : ليس بالقوي . والحديث ضعفه الشيخ الألباني في الضعيفة برقم (٢٢٥٥) .

---

[١] - في ت : يتمنى .

﴿ وَمَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍۖ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّۖ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ﴿٢٨﴾ فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱهْتَدَىٰ ﴿٣٠﴾ ﴾

يقول تعالىٰ منكرًا علىٰ المشركين في تسميتهم الملائكة تسمية الأنثىٰ، وجعلهم لها أنها بنات الله كما قال: ﴿ **وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثًا أشهدوا خلقهم ستكتب شهادتهم ويسألون** ﴾. ولهذا قال: ﴿ **وما لهم به من علم** ﴾ أي: ليس لهم علم صحيح يُصَدِّق ما قالوه، بل هو كذب وزور وافتراء وكفر شنيع. ﴿ **إن يتبعون إلا الظن وإن الظن لا يغني من الحق شيئًا** ﴾، أي: لا يجدي شيئًا، ولا يقوم أبدًا مقام الحق. وقد ثبت في الصحيح أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم قال: « **إياكم والظن! فإن الظن أكذب الحديث** »(٥٧).

وقوله: ﴿ **فأعرض عمَّن تولىٰ عن ذكرنا** ﴾، أي: أعرض عن الذي أعرض[١] عن الحق واهجره.

وقوله: ﴿ **ولم يرد إلا الحياة الدنيا** ﴾، أي: وإنما أكثر همه ومبلغ علمه الدنيا، فذلك[٢] هو غاية ما لا خير فيه. ولذلك قال: ﴿ **ذلك مبلغهم من العلم** ﴾، أي: طلب الدنيا والسعي لها هو غاية ما وصلوا إليه. وقد روىٰ الإمام أحمد عن أم المؤمنين عائشة قالت: قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم: « **الدنيا دار من لا دار له، ومال من لا مال له، ولها يجمع من لا عقل له** »(٥٨). وفي الدعاء المأثور: « **اللّهم لا تجعل الدنيا أكبر همنا ولا مبلغ علمنا** »(٥٩).

---

(٥٧) - أخرجه البخاري في كتاب: الأدب، باب: ﴿ **يأيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرًا من الظن إن بعض الظن إثم ولا تجسسوا** ﴾ حديث (٦٠٦٦). ومسلم في كتاب: البر والصلة والآداب، باب: تحريم الظن والتجسس والتنافس والتناجش ونحوها، حديث (٢٨/٢٥٦٣) (١٧٩/١٦). كلاهما من حديث أبي هريرة.

(٥٨) - أخرجه أحمد (٧١/٦). وذكره الهيثمي في « المجمع » (٢٩١/١٠) وقال: رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح غير دويد وهو ثقة. وضعفه الألباني في الضعيفة (١٩٣٣)، ونقل عن ابن قدامة في المنتخب أنه قال: هذا حديث منكر. ونقل العراقي في تخريج الإحياء (١٨٥٨/٤) قول المنذري بأن إسناده جيد.

(٥٩) - أخرجه الترمذي في كتاب: الدعوات، باب: الدعاء حين يقوم من مجلسه، حديث (٣٤٩٧) (١٦٩/٩ - ١٧٠). وحسنه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢٧٨٨ - ٣٧٥٨).

---

[١] - في خ: تولى. [٢] - في ز: فذاك.

وقوله : ﴿ **إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بمن اهتدىٰ** ﴾ ، أي : هو الخالق لجميع المخلوقات ، والعالم بمصالح عباده ، وهو الذي يهدي من يشاء ، ويضل من يشاء ، وذلك كله عن قدرته وعلمه وحكمته ، وهو العادل الذي لا يجور أبدًا ، لا في شرعه ولا في قَدَره .

وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَٰٓـُٔوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى ﴿٣١﴾ الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَٰحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ الْمَغْفِرَةِ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ فَلَا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَىٰٓ ﴿٣٢﴾

يخبر تعالىٰ أنه مالك السماوات والأرض ، وأنه الغني عما سواه ، الحاكم في خلقه بالعدل ، وخَلَق الخلق بالحق ، ﴿ **ليجزي الذين أساءوا بما عملوا ويجزي الذين أحسنوا بالحسنىٰ** ﴾ ، أي : يجازي كلًّا بعمله ، إن خيرًا فخير ، وإن شرًّا فشر ، ثم فسر المحسنين بأنهم ﴿ **الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش** ﴾ أي : لا يتعاطون المحرمات والكبائر وإن وقع منهم بعض الصغائر فإنه يغفر لهم ويستر عليهم ، كما قال في الآية الأخرىٰ : ﴿ **إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم وندخلكم مدخلًا كريمًا** ﴾ . وقال هاهنا : ﴿ **الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش إلا اللمم** ﴾ . وهذا استثناء منقطع ؛ لأن اللمم من صغائر الذنوب ومحقرات الأعمال .

قال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرزاق ، حدثنا معمر ، عن ابن طاوس ، [عن أبيه ، عن ابن عباس قال : ما رأيت شيئًا أشبَهَ باللَمَم مما قال أبو هريرة عن النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم][١] قال : « **إن اللَّه تعالىٰ كتب علىٰ ابن آدم حظه من الزنا ، أدرك ذلك لا محالة ، فزنا العين النظر ، وزنا اللسان النطق ، والنفس تَمَنّىٰ وتشتهي ، والفرج يُصَدِّق ذلك أو يكذبه** »(٦٠) .

أخرجاه في الصحيحين من حديث عبد الرزاق به(٦١) .

(٦٠) - أخرجه أحمد (٢/٣١٧ - ٣٧٩) .
(٦١) - أخرجه البخاري في كتاب : الاستئذان ، باب : زنا الجوارح دون الفرج ، (٦٣٤٣) (١١/٢٦) .
ومسلم في كتاب : القدر ، باب : قدر على ابن آدم حظه من الزنى وغيره (٢٠/٢٦٥٧) (١٦/٣١٥) .

[١] - ما بين المعكوفين سقط من ز ، خ .

وقال ابن جرير : حدثنا محمد بن عبد الأعلىٰ ، أخبرنا ابن ثور ، حدثنا معمر ، عن الأعمش ، عن أبي الضحىٰ : أن ابن مسعود قال : « **زنا العينين النظر ، وزنا الشفتين التقبيل ، وزنا اليدين البطش ، وزنا الرجلين المشي ، ويُصدّق ذلك الفرجُ أو يُكذبه ، فإن تقدم بفرجه كان زانيًا ، وإلا فهو اللّمم** »(٦٢) وكذا قال مسروق والشعبي ، وقال عبد الرحمن بن نافع - الذي يقال له[١] : ابن لبابة[٢] الطائفي - قال : سألت أبا هريرة عن قول الله : ﴿ **إلا اللمم** ﴾ ؟ قال : القبلة ، والغمزة ، والنظرة ، والمباشرة ، فإذا مس الختان الختان فقد وجب الغسل ، وهو الزنا .

وقال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : ﴿ **إلا اللمم** ﴾ إلا ما سلف . وكذا قال زيد ابن أسلم .

وقال ابن جرير: حدثنا ابن المثنى[٣] ، حدثنا محمد بن جعفر ، حدثنا شعبة ، عن منصور ، عن مجاهد أنه قال : في هذه الآية : ﴿ **إلا اللمم** ﴾ ، قال : الذي يلم بالذنب ثم يَدعُه ، قال الشاعر :

إن تغفر اللّهم تغفر جمّا وأي عبد لك ما ألمّا(٦٣)

وقال ابن جرير : حدثنا ابن حميد ، حدثنا جرير ، عن منصور ، عن مجاهد في قول الله : ﴿ **إلا اللمم** ﴾ ، قال : الرجل يلمّ بالذنب ثم ينزع عنه . قال : وكان أهل الجاهلية يطوفون بالبيت وهم يقولون :

إن [تغفر اللّهم تغفر][٤] جمّا وأي عبد لك ما ألمّا(٦٤)

وقد رواه ابن جرير وغيره مرفوعًا . قال ابن جرير : حدثني سليمان بن عبد الجبار ، حدثنا أبو عاصم ، حدثنا زكريا بن إسحاق ، عن عمرو بن دينار ، عن عطاء ، عن ابن عباس : ﴿ **الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش إلا اللمم** ﴾ ، قال : هو الرجل يلم بالفاحشة ثم يتوب .

وقال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(٦٢) - تفسير الطبرى (٢٧/٦٥) .
(٦٣) - تفسير الطبرى (٢٧/٦٦) .
(٦٤) - تفسير الطبرى (٢٧/٦٧) .

[١] - سقط من ت . [٢] - في ز : لبانة .
[٣] - في ز : عيسى . وبعده في خ : ثنا ابن عيسى .
[٤] - في ز : « يغفر الله يغفر » .

إن تغفر اللهم تغفر جمًّا وأي عبد لك ما ألمَّا(٦٥)

وهكذا رواه الترمذي ، عن أحمد بن عثمان أبي عثمان البصري ، عن أبي عاصم النبيل(٦٦) . ثم قال : هذا حديث حسن صحيح غريب ، لا نعرفه إلا من حديث زكريا بن إسحاق . وكذا قال البزار : لا نعلمه يُروىٰ متصلًا إلا من هذا الوجه . وساقه ابن أبي حاتم والبغوي من حديث أبي عاصم النبيل . وإنما ذكره البغوي في تفسير[١] « **سورة تنزيل** » ، وفي صحته مرفوعًا - نظر .

ثم قال ابن جرير : حدثنا محمد بن عبد الله بن بزيع ، حدثنا يزيد بن زُرَيع ، حدثنا يونس ، عن الحسن ، عن أبي هريرة - أراه رفعه - : [ ][٢]﴿ **الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش إلا اللمم** ﴾ ، قال : اللمَّةُ[٣] من الزنا ثم[٤] يتوب ولا يعود ، واللمة من السرقة ثم يتوب ولا يعود ، واللمة من شرب الخمر ثم يتوب ولا يعود ، قال : ذلك الإلمام(٦٧) .

وحدثنا ابن بشار ، حدثنا ابن أبي عَديّ ، عن عوف ، عن الحسن في قول الله : ﴿ **الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش إلا اللمم** ﴾ ، قال : اللمم من الزنا أو السرقة أو شرب الخمر ، ثم لا يعود(٦٨) .

وحدثني يعقوب ، حدثنا ابن علية ، عن أبي رجاء ، عن الحسن في قول الله : ﴿ **الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش إلا اللمم** ﴾ ، قال : كان أصحاب رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم يقولون : هو الرجل يصيب اللمة من الزنا ، واللمة من شرب الخمر ، فيجتنبها ويتوب منها(٦٩) .

وقال ابن جرير[٥] ، عن عطاء ، عن ابن عباس : ﴿ **إلا اللمم** ﴾ : يلم بها في الحين .

---

(٦٥) - تفسير الطبرى (٦٦/٢٧) .

(٦٦) - أخرجه الترمذي في كتاب : تفسير القرآن ، باب : ومن سورة النجم ، حديث (٣٢٨٠) (٩/ ٣١) . وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي برقم (٢٦١٨) .

(٦٧) - تفسير الطبرى (٦٦/٢٧ - ٦٧) وفيه انقطاع بين الحسن وأبي هريرة . وقد ورد في الطبرى : حدثني محمد بن عبد الله بن بزيع ، قال : ثنا يونس ، وقد أثبت ابن كثير هنا يزيد بن زريع بين ابن بزيع ويونس .

(٦٨) - تفسير الطبرى (٦٧/٢٧) .

(٦٩) - تفسير الطبرى (٦٧/٢٧) .

---

[١] - سقط من ز ، خ .

[٢] - في ز : إن .

[٣] - في خ : اللمم .

[٤] - سقط من خ . وفي ز : من .

[٥] - في ز ، خ : جريج .

قلت : الزنا ؟ قال : الزنا ثم يتوب .

وقال ابن جرير أيضًا : حدثنا أبو كريب ، حدثنا ابن عيينة ، عن عمرو ، عن عطاء ، عن ابن عباس قال : اللمم : الذي يلم المرّة(٧٠) .

وقال السدي : قال أبو صالح : سُئِلتُ عن اللمم ؟ فقلت : هو الرجل يصيب الذنب ثم يتوب . وأخبرتُ بذلك ابن عباس فقال : لقد أعانك عليها مَلَك كريم . حكاه البغوي .

وروىٰ ابن جرير من طريق المثنىٰ بن الصباح - وهو ضعيف - عن عمرو بن شعيب : أن عبد اللّٰه بن عمرو[١] قال : اللمم : ما دون الشرك (٧١) .

وقال سفيان الثوري ، عن جابر الجُعفي ، عن عطاء ، عن ابن الزبير : ﴿ **إلا اللمم** ﴾ ، قال : ما بين الحدين : حد الدنيا[٢] وعذاب الآخرة ، وكذا رواه شعبة عن الحكم عن ابن عباس مثله سواء .

وقال العوفي ، عن ابن عباس في قوله : ﴿ **إلا اللمم** ﴾ : كل شيء بين الحدين : حد الدنيا وحد الآخرة ، تكفره[٣] الصلوات ، وهو اللمم ، وهو دون كل موجب ، فأما حد الدنيا فكل حد فرض اللّٰه عقوبته في الدنيا ، وأما حد الآخرة فكل شيء ختمه اللّٰه بالنار ، وأخر عقوبته إلىٰ الآخرة . وكذا قال عكرمة وقتادة والضحاك .

وقوله : ﴿ **إن ربك واسع المغفرة** ﴾ ، أي رحمته وَسعَت كل شيء ، ومغفرته تَسَع الذنوب كلها لمن تاب منها ، كقوله : ﴿ **قل يا عبادي الذين أسرفوا علىٰ أنفسهم لا تقنطوا من رحمة اللّٰه إن اللّٰه يغفر الذنوب جميعًا إنه هوالغفور الرحيم** ﴾ .

وقوله : ﴿ **هو أعلم بكم إذ أنشأكم من الأرض** ﴾ ، أي : هو بصير بكم ، عليم بأحوالكم وأفعالكم وأقوالكم [التي تصدر][٤] عنكم[٥] وتقع منكم ، حين أنشأ أباكم آدم من الأرض ، واستخرج ذريته من صلبه أمثال الذرّ ، ثم قسمهم فريقين : فريقًا للجنة ، وفريقًا للسعير . وكذا قوله : ﴿ **وإذ أنتم أجنة في بطون أمهاتكم** ﴾ : قد كتب الملك الذي يُوكَّل به رزقَه وأجلَه وعمله ، وشقي أم سعيد .

---

(٧٠) - تفسير الطبرى (٦٧/٢٧) .

(٧١) - تفسير الطبرى (٦٧/٢٧) والمثنى بن الصباح ضعيف اختلط بأخره وكان عائدًا كما في التقريب .

---

[١] - في خ : عمر .

[٢] - في ز ، خ : الزنا .

[٣] - في ز : تكفرها .

[٤] - في ز ، خ : الذي يقدر .

[٥] - في خ : منكم .

قال مكحول : كنا أجنة في بطون أمهاتنا ، فسقط منا من سقط ، وكنا فيمن بقي ، ثم كنا مراضع فهلك منا من هلك ، وكنا فيمن بقي ، ثم صرنا يَفَعة ، فهلك منا من هلك . وكنا فيمن بقي ثم صرنا شبابًا فهلك منا من هلك . وكنا فيمن بقي ثم صرنا شيوخًا - لا أبا لك - فماذا بعد هذا ننتظر[١] ؟ رواه ابن أبي حاتم عنه .

وقوله : ﴿ فلا تزكوا أنفسكم ﴾ ، أي : تمدحوها وتشكروها و[٢]تمنوا بأعمالكم ، ﴿ هو أعلم بمن اتقىٰ ﴾ . كما قال : ﴿ ألم تر إلىٰ الذين يزكون أنفسهم بل اللَّه يزكي من يشاء ولا يظلمون فتيلًا ﴾ .

وقال مسلم في صحيحه : حدثنا عَمْرو الناقد ، حدثنا هاشم بن القاسم ، حدثنا الليث ، عن يزيد بن أبي حبيب ، عن محمد بن عمرو بن عطاء قال : سميتُ ابنتي بَرّةَ ، فقالت لي زينب بنت أبي سلمة : إن رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم نهىٰ عن هذا الاسم ، وسُميت بَرّة فقال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **لا تزكوا أنفسكم ، إن اللَّه أعلم بأهل البر منكم** » . فقالوا : بم نسميها ؟ قال : « **سموها زينب** »(٧٢) وقد ثبت أيضًا في الحديث الذي رواه الإِمام أحمد حيث قال : حدثنا عفان ، حدثنا وُهيب[٣] ، حدثنا خالد الحذاء ، عن عبد الرحمن بن أبي بكرة ، عن أبيه قال : مدح رجل رجلًا عند النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم فقال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم :« **ويلك[٤] ! قطعتَ عنق صاحبك - مرارًا - إذا كان أحدكم مادحًا صاحبه لا محالة فليقل : أحسب فلانًا واللَّه حسيبه ، ولا أزكي علىٰ اللَّه أحدًا ، أحسبه كذا وكذا ، إن كان يعلم ذلك** » (٧٣) .

ثم رواه عن [غندر عن][٥]شعبة عن خالد الحذاء به(٧٤) . [وكذا رواه البخاري ، وأبو داود ، وابن ماجة ، من طرق ، عن خالد الحذاء ، به][٦](٧٥) .

(٧٢) - صحيح مسلم في كتاب : الأداب ، باب : استحباب تغيير الاسم القبيح إلى حسن ، حديث (١٩/ ٢١٤٢) (١٧١/١٤) .

(٧٣) - مسند أحمد (٤٦/٥) (٢٠١٧) .

(٧٤) - المسند (٤١/٥) (٢٠٤٧٥) .

(٧٥) - صحيح البخاري في كتاب : الشهادات ، باب : إذا زكى رجل رجلًا كفاه ، حديث (٢٦٦٢) (٢٧٤/٥) . ومسلم في كتاب : الزهد والرقائق ، باب : النهي عن المدح إذا كان فيه إفراط ، حديث=

[١] - في خ : أنتظر .
[٢] - سقط من ز .
[٣] - في ز ، خ : وهب .
[٤] - سقط من ز ، خ .
[٥] - ما بين المعكوفين في خ : « عبيد عن » .وفي ز : « عبيد وعن » .
[٦] - سقط من ز ، خ .

وقال الإمام أحمد : حدثنا وكيع ، وعبد الرحمن قالا : حدثنا سفيان ، عن منصور ، عن إبراهيم ، عن همام بن الحارث قال : جاء رجل إلىٰ عثمانَ فأثنىٰ عليه في وجهه ، قال : فجعل المقداد بن الأسود يحثو في وجهه التراب ويقول : أمَرَنا رسولُ اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم إذا لقينا المداحين أن نحثوَ في وجوههم التراب (٧٦) .

ورواه مسلم وأبو داود من حديث الثوري عن منصور به(٧٧) .

أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى تَوَلَّىٰ ﴿٣٣﴾ وَأَعْطَىٰ قَلِيلًا وَأَكْدَىٰٓ ﴿٣٤﴾ أَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْغَيْبِ فَهُوَ يَرَىٰٓ ﴿٣٥﴾ أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِى صُحُفِ مُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ ﴿٣٧﴾ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴿٣٨﴾ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ ﴿٤٠﴾ ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ ﴿٤١﴾

يقول تعالى ذامًّا لمن تولّىٰ عن طاعة الله : ﴿ فلا صدق ولا صلى ولكن كذب وتولّىٰ ﴾ ، ﴿ وأعطىٰ قليلًا وأكدىٰ ﴾ قال ابن عباس : أطاع قليلًا ثم قطعه . وكذا قال مجاهد ، وسعيد بن جبير ، وعكرمة ، وقتادة ، وغير واحد .

قال عكرمة ، وسعيد : كمثل القوم إذا كانوا يحفرون بئرًا ، فيجدون في أثناء الحَفر صخرةً تمنعهم من تمام العمل ، فيقولون : أكدينا ، ويتركون العمل .

وقوله : ﴿ أعنده علم الغيب فهو يرىٰ ﴾ أي : أعند هذا الذي قد أمسك يده خشية الإنفاق ، وقطع معروفه ، أعنده علم الغيب أنه سينفد ما في يده ، حتىٰ قد أمسك عن معروفه ، فهو يرىٰ ذلك عيانًا ؟ ! أي : ليس الأمر كذلك ، وإنما أمسك عن الصدقة والمعروف والبر والصلة بخلًا وشحًّا وهلعًا ؛ ولهذا جاء في الحديث : « أنفق بلال[١] ولا

= (٦٥، ٦٦/٣٠٠٠) (١٨/١٧١ - ١٧٢) . وأبو داود في كتاب : الأدب ، باب : في كراهية التمادح ، حديث (٤٨٠٥) (٤/٢٥٤) . وابن ماجة في كتاب : الأدب ، باب : المدح ، حديث (٣٧٤٤) (٢/ ١٢٣٢) .

(٧٦) - المسند (٦/٥) (٢٣٩٣٩) . وإسناده رجاله ثقات .

(٧٧) - صحيح مسلم في كتاب : الزهد والرقائق ، باب : النهي عن المدح إذا كان فيه إفراط ، حديث (٦٩م/ ٣٠٠٢) (١٨/١٧٣ - ١٧٤) . وأبو داود في كتاب : الأدب ، باب : في كراهية التمادح ، حديث (٤٨٠٤) (٤/٢٥٤) .

[١] - في ت ، خ : بلالًا .

تخش[١] من ذي العرش إقلالًا »(٧٨) وقد قال الله تعالىٰ : ﴿ **وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه وهو خير الرازقين** ﴾ .

وقوله : ﴿ **أم لم ينبأ بما في صحف موسىٰ * وإبراهيم الذي وفىٰ** ﴾ ، قال سعيد بن جبير ، والثوري : أي بَلّغ جميع ما أمر به .

وقال ابن عباس : ﴿ **وفىٰ** ﴾ لله[٢] بالبلاغ . وقال سعيد بن جُبيَر : ﴿ **وفىٰ** ﴾ ما أمر به . وقال قتادة : ﴿ **وفىٰ** ﴾ طاعة الله ، وأدىٰ رسالته إلىٰ خلقه . وهذا القول هو اختيار ابن جرير ، وهو يشمل الذي قبله ، ويشهد له قوله تعالىٰ : ﴿ **وإذ ابتلىٰ إبراهيم ربه بكلمات فأتمهن قال إني جاعلك للناس إمامًا** ﴾ ، فقام بجميع الأوامر ، وترك جميع النواهي ، وبَلّغ الرسالة علىٰ التمام والكمال ، فاستحق بهذا أن يكون للناس إمامًا يُقْتَدىٰ به في جميع أحواله وأفعاله وأقواله ؛ قال الله تعالىٰ : ﴿ **ثم أوحينا إليك أن اتبع ملة إبراهيم حنيفًا وما كان من المشركين** ﴾.

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا محمد بن عوف الحمصي، حدثنا[ ][٣] حدثنا آدم بن أبي إياس العسقلاني ، حدثنا حماد بن سلمة ، حدثنا جعفر بن الزبير ، عن القاسم ، عن أبي أمامة قال : تلا رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم هذه الآية : ﴿ **وإبراهيم الذي وفىٰ** ﴾ ، قال : « **أتدري[٤]ما وفىٰ ؟** » قلت : الله ورسوله أعلم . قال : « **وَفّىٰ عمل يومه بأربع ركعات من أول النهار** » .

ورواه ابن جرير من حديث جعفر بن الزبير وهو ضعيف(٧٩) .

(٧٨) أخرجه الطبراني في : الكبير (٣٤٠/١) (١٠٢٠) ، والبزار كما في المختصر (٤٩٣/٢) (٢٢٧٨) . كلاهما من طريق قيس بن الربيع عن أبي حصين عن يحيى بن وثاب عن مسروق عن عبد الله ... فذكر الحديث . قال الهيثمي في « المجمع » (١٢٩/٣) : رواه كله الطبراني في الكبير ، وفيه قيس بن الربيع وثقه شعبة والثوري وفيه كلام .اهـ . قال المنذري في « الترغيب والترهيب » (٥١/١) : رواه البزار بإسناد حسن .
وأخرجه الطبراني في الكبير (٣٤١/١ - ٣٤٢) (١٠٢٤) ، وأبو يعلى (٤٢٩/١٠) (٦٠٤٠) ، والبزار (٢/ ٤٩٤) (٢٢٨٠) . كلهم من طريق محمد بن سيرين عن أبي هريرة . قال البزار : تفرد به مبارك وإسناده حسن . قال الهيثمي في « المجمع » (٢٤٤/١٠) : رواه البزار وأبو يعلى والطبراني في الكبير والأوسط وإسناده حسن .

(٧٩) - تفسير الطبري (٧٣/٢٧) .

[١] - في ت : تخف .
[٢] - في ز ، خ : بينه .
[٣] - بياض في ز ، خ .
[٤] - في ز ، خ : أتدرون .

وقال الترمذي في جامعه : حدثنا أبو جعفر السِّمناني ، حدثنا أبو مسهر ، حدثنا إسماعيل بن عياش ، عن بَحير[١] بن سعد ، عن خالد بن معدان ، عن جبير بن نُفَير ، عن أبي الدرداء و[٢]أبي ذر ، عن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، عن الله - عز وجل - أنه قال : « **ابن آدم ، اركع لي أربع ركعات من أول النهار ، أكفك آخره** »(٨٠) .

قال ابن أبي حاتم رحمه الله : حدثنا أبي ، حدثنا الربيع بن سليمان ، حدثنا أسد بن موسى ، حدثنا ابن لهيعة ، حدثنا زبان[٣] بن فائد ، عن سهل بن معاذ بن أنس ، عن أبيه ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « **ألا أخبركم لم سمى الله إبراهيم خليله الذي وفى ؟ إنه كان يقول كلما أصبح وأمسى : ﴿ فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون ﴾** » . حتى ختم الآية(٨١) . ورواه ابن جرير عن أبي كريب [عن رشدين بن سعد ، عن زَبَّان به][٤](٨٢) .

ثم شرع تعالى يبين ما كان أوحاه في صحف إبراهيم وموسى فقال : **﴿ ألَّا تزر وازرة وزر أخرى ﴾** ، أي : كل نفس ظلمت نفسها بكفر أو شيء من الذنوب فإنما عليها وزرها ، لا يحمله عنها أحد ، كما قال : **﴿ وإن تدع مثقلة إلى حملها لا يحمل منه شيء ولو كان ذا قربى ﴾** ، **﴿ وأن ليس للإنسان إلا ما سعى ﴾** أي : كما لا يحمل عليه وزر غيره ، كذلك لا يحصل من الأجر إلا ما كسب هو لنفسه .

ومن هذه الآية الكريمة استنبط الشافعي رحمه الله ومن اتبعه أن القراءة لا يصل إهداء ثوابها إلى الموتى ، لأنه ليس من عملهم ولا كسبهم . ولهذا لم يندب إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم أمته ولا حَثَّهم عليه ، ولا أرشدهم إليه بنص ولا إيماء ، ولم ينقل ذلك عن أحد من الصحابة - رضي الله عنهم - ولو كان خيرًا لسبقونا إليه ، وباب القربات يقتصر فيه على النصوص ، ولا يتصرف فيه بأنواع الأقيسة والآراء ، فأما الدعاء والصدقة فذاك مجمع على وصولهما ، ومنصوص من الشارع عليهما .

---

(٨٠) - أخرجه الترمذي في كتاب : الصلاة ، باب : ما جاء في صلاة الضحى ، حديث (٤٧٥) (٢/ ١١٥) . وإسناده رجاله ثقات . وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي برقم (٣٩٥ - ٤٧٨) .

(٨١) - في إسناده زبان بن فائد وهو ضعيف وكذا ابن لهيعة . وأسد بن موسى : صدوق يغرب وفيه نصب .

(٨٢) - تفسير الطبري (٢٧/٧٣) وفي إسناده رشدين بن سعد وهو ضعيف في زبان ، وزبان ضعيف .

---

[١] - في ز ، خ : يحيى .
[٢] - في ز : أو .
[٣] - في ز ، خ : زياد .
[٤] - بياض في ز ، خ .

وأما الحديث الذي رواه مسلم في صحيحه ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث : من ولد صالح يدعو له ، أو صدقة جارية من بعده ، أو علم ينتفع به** »[٨٣] فهذه الثلاثة في الحقيقة هي من سعيه وكده وعمله ، كما جاء في الحديث : « **إن أطيب ما أكل الرجل من كسبه ، وإن ولده من كسبه** »[٨٤] . والصدقة الجارية كالوقف ونحوه هي من آثار عمله ووقفه ، وقد قال تعالىٰ : ﴿ **إنا نحن نحيي الموتىٰ ونكتب ما قدموا وآثارهم** ﴾ ... الآية . والعلم الذي نشره في الناس فاقتدىٰ به الناس بعده ، هو أيضًا من سعيه وعمله ، وثبت في الصحيح : « **من دعا إلىٰ هدىً كان له من الأجر مثل أجور من اتبعه ، من غير أن ينقص من أجورهم شيئًا** »[٨٥]

وقوله : ﴿ **وأن سعيه سوف يرىٰ** ﴾ ، أي : يوم القيامة كما قال تعالىٰ : ﴿ **وقل اعملوا فسيرىٰ الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون إلىٰ عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون** ﴾ ، أي : فيخبركم به ، ويجزيكم عليه أتم الجزاء ، إن خيرًا فخير ، وإن شرًا فشر . وهكذا[١] قال هاهنا : ﴿ **ثم يجزاه الجزاء الأوفىٰ** ﴾ ، أي : الأوفر .

وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿٤٢﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ ﴿٤٣﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا ﴿٤٤﴾ وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰ ﴿٤٥﴾ مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ ﴿٤٦﴾ وَأَنَّ عَلَيْهِ

---

(٨٣) - صحيح مسلم كتاب : الوصية ، باب : ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته ، حديث (١٤/ ١٦٣١) (١٢٢/١١) .

(٨٤) - أخرجه أبو داود في كتاب : البيوع ، باب : في الرجل يأكل من مال ولده ، حديث (٣٥٢٨، ٣٥٢٩) (٢٨٨/٣ - ٢٨٩) . والترمذي في كتاب الأحكام ، باب : ما جاء أن الوالد يأخذ من مال ولده ، حديث (١٣٥٨) (٣٩/٥) . والنسائي (٢٤١/٧) كتاب : البيوع ، باب : الحث على الكسب . وابن ماجة في كتاب : التجارات ، باب : ما للرجل من مال ولده ، حديث (٢٢٩٠) (٧٦٩/٢) . كلهم من طريق عمارة بن عمير ، عن عمته ، عن عائشة - رضي الله عنها . وأخرجه النسائي (٢٤١/٧) كتاب : البيوع ، باب : الحث على الكسب . وابن ماجة في كتاب : التجارات ، باب : الحث على المكاسب ، حديث (٢١٣٧) (٧٢٣/٢) . وأحمد (٤٢/٦) . كلهم من طريق الأعمش عن إبراهيم عن الأسود عن عائشة - رضي الله عنها - به . وصححه الشيخ الألباني في الإرواء برقم (١٦٢٦) .

(٨٥) - أخرجه مسلم في كتاب : العلم ، باب : من سن سنة حسنة أو سيئة ، حديث (٢٦٧٤/١٦) (٣٤٧/١٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

---

[١] - في خ : كما .

ٱلنَّشۡأَةَ ٱلۡأُخۡرَىٰ ﴿٤٧﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَغۡنَىٰ وَأَقۡنَىٰ ﴿٤٨﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ رَبُّ ٱلشِّعۡرَىٰ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّهُۥٓ أَهۡلَكَ عَادًا ٱلۡأُولَىٰ ﴿٥٠﴾ وَثَمُودَاْ فَمَآ أَبۡقَىٰ ﴿٥١﴾ وَقَوۡمَ نُوحٖ مِّن قَبۡلُۖ إِنَّهُمۡ كَانُواْ هُمۡ أَظۡلَمَ وَأَطۡغَىٰ ﴿٥٢﴾ وَٱلۡمُؤۡتَفِكَةَ أَهۡوَىٰ ﴿٥٣﴾ فَغَشَّىٰهَا مَا غَشَّىٰ ﴿٥٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكَ تَتَمَارَىٰ ﴿٥٥﴾

يقول تعالىٰ : ﴿وأن إلى ربك المنتهىٰ﴾ أي : المعاد يوم القيامة .

قال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا سُويد بن سَعيد ، حدثنا مسلم بن خالد ، عن عبد الرحمن بن سابط ، عن عمرو بن ميمون الأوْديّ قال : قام فينا معاذ بن جبل فقال : يا بني أود ، إني رسول رسول الله إليكم ، تعلمون أن المعاد إلىٰ الله ، إلىٰ الجنة أو إلىٰ النار(٨٦) .

وذكر البغوي من رواية أبي جعفر الرازي ، عن الربيع بن أنس ، عن أبي العالية ، عن أبي ابن كعب ، عن النبي صلىٰ الله عليه وسلم في قوله : ﴿ وأن إلىٰ ربك المنتهىٰ ﴾ ، قال : « **لا فكرةَ في الرب** »(٨٧) .

قال البغوي : وهذا مثلُ ما رُوي عن أبي هُرَيرة مرفوعًا : « **تفكروا في الخلق ولا تفكروا في الخالق ، فإنه لا تحيط به الفكرة** »(٨٨) .

كذا أورده وليس بمحفوظ بهذا اللفظ ، وإنما الذي في الصحيح : « **يأتي الشيطان أحدكم فيقول : من خلقَ كذا ؟ من خلق كذا ؟ حتىٰ يقول : من خلق ربك ؟ فإذا بلغ أحدكم ذلك فليستعذ بالله ولينته** » . وفي الحديث الآخر الذي في السنن[١] : « **تفكروا في**

(٨٦) - في إسناده سويد بن سعيد الهروي ، صدوق في نفسه إلا أنه عمي فصار يتلقن ما ليس من حديثه فأفحش فيه ابن معين القول .

(٨٧) - أخرجه الدارقطني في الأفراد كما في فتح القدير (١٣٩/٥) ، وأبو جعفر الرازي صدوق إلا أنه سيئ الحفظ ، والربيع بن أنس صدوق له أوهام .

(٨٨) - ذكره العراقي في تخريج الإحياء (٢٤٥٨/٦) بنحو هذا في حديث طويل دون قوله : « فإنه لا تحيط به الفكرة » وعزاه إلى أبي الشيخ عن أبي هريرة - رضي الله عنه - وبنحو ذلك أخرجه أبو الشيخ في العظمة (٢٠٩/١ - ٢١٦) من حديث ابن عمر وابن عباس وأبي ذر . قال السخاوي في المقاصد الحسنة : وهذه الأخبار أسانيدها ضعيفة لكن اجتماعها يكتسب قوة ، والمعنى صحيح ، وفي صحيح مسلم من حديث =

[١] - بياض في ز ، خ .

مخلوقات الله ، ولا تفكروا في ذات الله ، فإن الله خلق ملكًا ما بين شحمة أذنه إلىٰ عاتقه مسيرةُ ثلاثمائة سنة » ، أو كما قال(٨٩) .

وقوله : ﴿ وأنه هو أضحك وأبكىٰ ﴾ ، أي : خلق في عباده الضحك والبكاء وسببهما وهما مختلفان ، ﴿ وأنه هو أمات وأحيا ﴾ ، كقوله : ﴿ الذي خلق الموت والحياة ﴾ . ﴿ وأنه خلق الزوجين الذكر والأنثىٰ * من نطفة إذا تُمنَىٰ ﴾ ، كقوله : ﴿ أيحسب الإنسان أن يترك سدى * ألم يك نطفة من مني يُمنىٰ * ثم كان علقة فخلق فسوىٰ * فجعل منه الزوجين الذكر والأنثىٰ * أليس ذلك بقادر علىٰ أن يحيي الموتىٰ ﴾ .

وقوله : ﴿ وأن عليه النشأة الأخرىٰ ﴾ ، أي : كما خلق البداءة هو قادر علىٰ الإعادة ، وهي النشأة الآخرة يوم القيامة ﴿ وأنه هو أغنىٰ وأقنىٰ ﴾ ، أي : مَلَّك عباده المال ، وجعله لهم قُنْيَةً مقيمًا عندهم ، لا يحتاجون إلىٰ بيعه ، فهذا تمام النعمة عليهم . وعلىٰ هذا يدور كلام كثير من المفسرين ، منهم أبو صالح ، وابن جرير ، وغيرهما .

وعن مجاهد : ﴿ أغنىٰ ﴾ : مَوّل ، ﴿ وأقنىٰ ﴾ : أخدم . وكذا قال قتادة .

وقال ابن عباس، ومجاهد أيضًا: ﴿أغنىٰ﴾ أعطىٰ ﴿وأقنىٰ﴾ رضىٰ.

وقيل : معناه أغنىٰ نفسه وأفقر الخلائق إليه . قاله الحضرمي بن لاحق .

وقيل: ﴿أغنىٰ﴾ من شاء من خلقه و ﴿أقنىٰ﴾: أفقر من شاء منهم. قاله ابن زيد. حكاهما ابن جرير، وهما بعيدان من حيث اللفظ.

وقوله : ﴿ وأنه هو رب الشعرىٰ ﴾ ، قال ابن عباس ، ومجاهد ، وقتادة ، وابن زيد وغيرهم : هو هذا النجم الوقاد الذي يقال له : « مرزَم الجوزاء » ، كانت طائفة من العرب يعبدونه .

﴿ وأنه أهلك عادًا الأولىٰ ﴾ ، وهم : قوم هود . ويقال لهم : عاد بن إرم بن سام بن نوح ، كما قال تعالىٰ : ﴿ ألم تر كيف فعل ربك بعاد * إرم ذات العماد * التي لم يخلق مثلها في البلاد ﴾ ، فكانوا من أشد الناس وأقواهم وأعتاهم علىٰ الله وعلىٰ رسوله ، فأهلكهم الله ﴿بريح صرصر عاتية * سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسومًا ﴾ .

= أبي هريرة - رضي الله عنه - لا يزال الناس يتساءلون ... فذكر الحديث التالى . وقد أورد الألباني في الصحيحة برقم (١٧٨٨) بلفظ : « تفكروا في آلاء الله ، ولا تفكروا في الله عز وجل » .

(٨٩) - أخرجه مسلم في كتاب : الإيمان ، باب : الوسوسة من الإيمان وما يقوله من وجدها ، حديث (٢١٢ - ١٣٤/٢١٤) (٢/ ٢٠٢، ٢٠٣) .

وقوله : ﴿ **وثمود فما أبقىٰ** ﴾ ، أي : دمرهم فلم يبق منهم أحدًا ، ﴿ **وقوم نوح من قبل** ﴾ ، أي : من قبل هؤلاء ﴿ **إنهم كانوا هم أظلم وأطغىٰ** ﴾ ، أي : أشد تمردًا من الذين من بعدهم ، ﴿ **والمؤتفكة أهوىٰ** ﴾ ، يعني : مدائن لوط ، قلبها عليهم فجعل عاليها سافلها ، وأمطر عليها[١] حجارة من سجيل منضود ؛ ولهذا قال : ﴿ **فغشاها ما غشىٰ** ﴾ ، يعني من الحجارة التي أرسلها عليهم ﴿ **وأمطرنا عليهم مطرًا فساء مطر المنذرين** ﴾ .

قال قتادة : كان في مدائن لوط أربعة آلاف ألف إنسان فانضرم عليهم الوادي شيئًا من نار ونِفْط وقَطران كفم الأتون . رواه ابن أبي حاتم ، عن أبيه ، عن محمد بن وهب بن عطية ، عن الوليد بن مسلم ، عن خليد ، عنه ، به .وهو غريب جدًّا .

﴿ **فبأي آلاء ربك تتمارىٰ** ﴾ أي: ففي أي نعم الله عليك أيها الإنسان تمتري؟ قاله قتادة .

وقال ابن جريج[٢] : ﴿ **فبأي آلاء ربك تتمارىٰ** ﴾ ؟ يا محمد . والأول[٣] أولىٰ ، وهو اختيار ابن جرير .

هَٰذَا نَذِيرٌ مِّنَ ٱلنُّذُرِ ٱلْأُولَىٰٓ ﴿٥٦﴾ أَزِفَتِ ٱلْءَازِفَةُ ﴿٥٧﴾ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ كَاشِفَةٌ ﴿٥٨﴾ أَفَمِنْ هَٰذَا ٱلْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ ﴿٥٩﴾ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ ﴿٦٠﴾ وَأَنتُمْ سَٰمِدُونَ ﴿٦١﴾ فَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ وَٱعْبُدُوا۟ ۩ ﴿٦٢﴾

﴿ **هذا نذير** ﴾ . يعني : محمدًا صلىٰ الله عليه وسلم ﴿ **من النذر الأولىٰ** ﴾ ، أي : من جنسهم ، أرسل كما أرسلوا ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **قل ما كنت بدعًا من الرسل** ﴾ ﴿ **أزفت الآزفة** ﴾ ، أي : اقتربت القريبة ، وهي القيامة ، ﴿ **ليس لها من دون الله كاشفة** ﴾ ، أي : لا يدفعها إذًا [من دون][٤] الله أحد ، ولا يطلع علىٰ علمها سواه .

ثم[٥] قال تعالىٰ منكرًا علىٰ المشركين في استماعهم القرآن وإعراضهم عنه وتلهيهم : ﴿ **تعجبون** ﴾ من أن يكون صحيحًا ، ﴿ **وتضحكون** ﴾ منه استهزاء وسخرية ، ﴿ **ولا تبكون** ﴾ ، أي :كما يفعل الموقنون به ، كما أخبر عنهم[٦] : ﴿ **ويخرون للأذقان يبكون ويزيدهم خشوعًا** ﴾ .

---

[١] - في خ : عليهم .
[٢] - في ز ، خ : جرير .
[٣] - في ز : والأولى .
[٤] - بياض في ز ، خ .
[٥] - في ز ، خ : كما .
[٦] - في ز : عنه .

وقوله: ﴿وأنتم سامدون﴾ قال سفيان الثوري عن أبيه عن ابن عباس قال: الغناء هي [يمانية اسمد لنا: غنّ لنا][١]. وكذا قال عكرمة.

وفي رواية عن ابن عباس: ﴿ سامدون ﴾ : معرضون. وكذا قال مجاهد، وعكرمة. وقال الحسن: غافلون. وهو رواية عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب. وفي رواية عن ابن عباس: تستكبرون. وبه يقول السدي[٢].

ثم قال آمرًا لعباده بالسجود له، والعبادة [والمتابعة][٣] لرسوله، صلى الله عليه وسلم، والتوحيد والإخلاص: ﴿ فاسجدوا لله واعبدوا ﴾، أي: فاخضعوا له وأخلصوا ووحدوا.

قال البخاري: حدثنا أبو معمر، حدثنا عبد الوارث، حدثنا أيوب، عن عكرمة، عن ابن عباس قال: سجد النبي صلى الله عليه وسلم بالنجم، وسَجَد معه المسلمون والمشركون والجن والإنس(٩٠). انفرد به دون مسلم.

وقال الإمام أحمد: حدثنا إبراهيم بن خالد، حدثنا رباح، عن معمر، عن ابن طاوس، عن عكرمة بن خالد، عن جعفر بن المطلب بن أبي وَدَاعة، عن أبيه قال: قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة سورة النجم، فسجد وسَجَد من عنده، فرفعتُ رأسي وأبيتُ أن أسجد، ولم يكن أسلم يومئذ المطلب، فكان بعد ذلك لا يسمع أحدًا يقرؤها إلا سجد معه(٩١).

وقد رواه النسائي في الصلاة، عن عبد الملك بن عبد الحميد، عن أحمد بن حنبل به(٩٢).

[آخر سورة النجم، ولله الحمد والمنة].

ذكر حديث له مناسبة بما تقدم من قوله تعالى: ﴿ هذا نذير من النذر الأولى * أزفت

(٩٠) - أخرجه البخاري في كتاب: التفسير، باب: ﴿فاسجدوا لله واعبدوا﴾، حديث (٤٨٦٢) (٨/٦١٤).

(٩١) - المسند (٦/٣٩٩) (٢٧٣٥٣) وإسناده رجاله ثقات، غير جعفر بن المطلب بن أبي وداعة قال الحافظ: مقبول، لكن رواه الإمام أحمد في الحديث الذي يلى هذا عن المطلب دون ذكر جعفر، وانظر الحديث التالى.

(٩٢) - وأخرجه النسائي (٢/١٦٠) في سجود القرآن، باب: السجود في ﴿ والنجم ﴾ من طريق جعفر، وحسنه الألباني في صحيح سنن النسائي برقم (٩١٨).

[١] - في ز، خ: « ثمانية اشهر لنا يغن لنا ».

[٢] - سقط من ز، خ.

[٣] - في ز، خ: التابعة.

الآزفة ﴾ ، فإن النذير هو : الحذرُ لما يعاين[١] من الشر ، الذي يخشىٰ وقوعه فيمن[٢] أنذرهم ، كما قال : ﴿ [إن هو إلا][٣] **نذير لكم بين يدي عذاب شديد** ﴾ .

وفي الحديث : « **أنا النذير العريان** »(٩٣) . أي : الذي أعجله شدةُ ما عاين من الشر عن أن يلبس عليه شيئًا ، بل بادر ، إلىٰ إنذار قومه قبل ذلك ، فجاءهم عُريانًا مسرعًا ، مناسب لقوله : ﴿ **أزفت الآزفة** ﴾ ، أي : اقتربت القريبة . يعني يوم القيامة ، كما قال في أول السورة التي بعدها : ﴿ **اقتربت الساعة** ﴾ قال الإمام أحمد :

حدثنا أنس بن عياض ، حدثني أبو حازم[٤] - لا أعلم إلا عن سهل بن سعد - قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **إياكم ومحقرات الذنوب ! فإنما مثل محقرات الذنوب كمثل قوم نزلوا بطن واد ، فجاء ذا بعود وجاء ذا بعود ،حتىٰ أنضجوا خُبَزتهم ، وإن محقرات الذنوب متىٰ يؤخذ بها صاحبها تهلكه** »(٩٤) .

وقال أبو حازم : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم قال أبو ضَمْرَةَ : لا أعلم إلا عن سهل بن سعد قال : « **مثلي ومثل الساعة كهاتين** » - وفرق[٥] بين إصبعيه الوسطىٰ والتي تلي الإبهام - ثم قال : « **مثلي ومثل الساعة كمثل فَرَسي رهَان** » ، ثم قال : « **مثلي ومثل الساعة كمثل رجل بعثه قومه طَليعةً ، فلما خشي أن يسبقَ ألاح بثوبه : أُتيتم أُتيتم** » . ثم يقول رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم « **أنا ذلك** »(٩٥) . [وله شواهد][٦] من وجوه أخر من صحاح وحسان ، ولله الحمد والمنة ، وبه الثقة والعصمة .

☆ ☆ ☆

(٩٣) - أخرجه البخاري في كتاب : الرقاق ، باب : الانتهاء عن المعاصي ، حديث (٦٤٨٢) (١١/ ٣١٦) . وطرفه في [٧٢٨٣] . ومسلم في كتاب : الفضائل ، باب : شفقته - صلى الله عليه وسلم - على أمته ، ومبالغته في تحذيرهم مما يضرهم ، حديث (٢٢٨٣/١٦) (١٥/٧٠) .

(٩٤) - أخرجه أحمد (٥/٣٣١) (٢٢٩١٦) وإسناده صحيح رجاله رجال الشيخين .

(٩٥) - هو تتمة الحديث السابق عند أحمد ، ولفظ « **ومثلي ومثل الساعة كهاتين** » أخرجه البخاري من طريق أبي حازم في كتاب : الطلاق ، باب : اللعان ، حديث (٥٣٠١) (١١/٤٣٩) .

[١] - في ز ، خ : عاين .

[٢] - في ز ، خ : ممن .

[٣] - في ز : إني .

[٤] - في ز ، خ : حاتم .

[٥] - في ز : قرن .

[٦] - في ز ، خ : له شاهد .

تفسير سورة اقتربت

وهي مكية

قد تقدم في حديث أبي واقد[1] : أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم كان يقرأ بقاف واقتربت الساعة ، في الأضحىٰ والفطر ، وكان يقرأ بهما في المحافل الكبار ، لاشتمالهما علىٰ ذكر الوعد والوعيد ، وبدء الخلق وإعادته ، والتوحيد وإثبات النبوات ، وغير ذلك من المقاصد العظيمة .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ (١) وَإِن يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ (٢) وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ ۚ وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ (٣) وَلَقَدْ جَاءَهُم مِّنَ الْأَنبَاءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ (٤) حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ ۖ فَمَا تُغْنِ النُّذُرُ (٥)

يخبر تعالىٰ عن اقتراب الساعة وفراغ الدنيا وانقضائها ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **أتىٰ أمر الله فلا تستعجلوه** ﴾ ، وقال : ﴿ **اقترب للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون** ﴾ . وقد وردت الأحاديث بذلك ، قال الحافظ أبو بكر البزار [2] : حدثنا محمد بن المثنىٰ وعمرو بن علي قالا : حدثنا خلف بن موسىٰ ، حدثني أبي ، عن قتادة ، عن أنس أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم خَطَب أصحابَه ذات يوم ، وقد كادت الشمس أن تَغْرُبَ فلم يبق منها إلا شفّ يسير ، فقال : « **والذي نفسي بيده ، ما بقي من الدنيا فيما مضىٰ منها إلا كما بقي من يومكم هذا فيما مضىٰ منه** » وما نرىٰ من الشمس إلا يسيرًا » .

قلت : هذا حديث مداره علىٰ خلف بن موسىٰ بن خلف العَمِّي ، عن أبيه . وقد ذكره

---

(١) تقدم تخريجه في أوائل سورة « ق » .

(٢) - خلف بن موسى : وثقه العجلي وابن خلفون ، وقال الذهبي : صدوق . وموسى بن خلف العمي : وثقه العجلي ويعقوب بن شيبة ، وقال أبو حاتم : صالح الحديث . واختلف فيه قول يحيى ، فرُوي عنه أنه قال : ليس به بأس . وفي رواية : ضعيف . وقال أبو داود : ليس به بأس . ليس بذاك القوي . وقال الدارقطني : ليس بالقوي ، يعتبر به . وضعفه ابن حبان . وقال ابن عدي : لا أرى بروايته بأسًا .

والحديث ذكره الهيثمي في « مجمع الزوائد » (٣١٤/١٠) ، وقال : رواه البزار من طريق خلف بن موسى ، عن أبيه ، وقد وثق ، وبقية رجاله ثقات .اهـ .

ابن حِبّان في الثقات ، وقال : ربما أخطأ .

حديث آخر يعضد الذي قبله ويفسره ، قال[١] الإمام أحمد : حدثنا الفضل بن دكين ، حدثنا شريك ، حدثنا سَلَمة بن كهيل ، عن مجاهد ، عن ابن عمر قال : كنا جلوسًا عند النبي صلىٰ الله عليه وسلم والشمس علىٰ قُعَيْقِعان[٢] بعد العصر فقال : **« ما أعماركم في أعمار من مضىٰ إلا كما بقي من نهاري فيما مضى »**(٣) .

وقال الإمام أحمد : حدثنا حسين ، حدثنا محمد بن مُطَرِّف ، عن أبي حازم ، عن سهل ابن سعد قال : سمعت رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، يقول : **« بُعِثتُ والساعة هكذا »**(٤) . وأشار بأصبعيه : السبابة والوسطىٰ . أخرجاه من حديث أبي حازم سلمة بن دينار(٥) .

وقال الإمام أحمد : حدثنا محمد بن عُبَيد[٣] ، حدثنا الأعمش ، عن أبي خالد ، عن وهب السُّوَائي قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : **« بعثت أنا والساعة كهذه من هذه ، إن [كادت لتسبقها[٤] »]**[٥]وجمع الأعمش بين السبابة والوسطىٰ(٦) .

وقال الإمام أحمد : حدثنا أبو المغيرة ، حدثنا الأوزاعي ، حدثني إسماعيل بن عبيد[٦] الله قال : قدم أنس بن مالك علىٰ الوليد بن عبد الملك ، فسأله : ماذا سمعت من رسول الله

(٣) - أخرجه أحمد (١١٥/٢ - ١١٦) وحسن هذا الإسناد ابن حجر في الفتح (٣٥٠/١١) ، وصححه الشيخ أحمد شاكر في تعليقه على المسند . وأخرج البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء ، باب : ما ذكر عن بني إسرائيل ، حديث (٣٤٥٩) من حديث نافع عن ابن عمر : **« إنما أجلكم في أجل من خلا من الأمم ما بين صلاة العصر إلى مغرب الشمس ، وإنما مثلكم ومثل اليهود والنصارى كرجل .... »** الحديث .

(٤) - أخرجه أحمد (٣٣٨/٥) (٢٢٩٦٩) .

(٥) - البخاري في كتاب : الطلاق ، باب : اللعان ، حديث (٥٣٠١) (٤٣٩/٩) ، وطرفاه في [٤٩٣٦، ٦٥٠٣] . ومسلم في كتاب : الفتن وأشراط الساعة ، باب : قرب الساعة ، حديث (٢٩٥٠/١٣٢) (١١٨/١٨) .

(٦) - أخرجه أحمد (٣٠٩/٤) (١٨٨٢٤) . قال الهيثمي في « مجمع الزوائد » (٣١٥/١٠) : رواه أحمد والطبراني ، ورجالهما رجال الصحيح غير أبي خالد الوالبي وهو ثقة .اهـ .

قلت : قال الحافظ في التقريب : مقبول ؛ لكن يشهد لهذا الحديث الذي قبله فيكون به صحيحًا إن شاء الله .

[١] - في ز : وقال .

[٢] - في ز ، خ : قيقعان . وقيقعان : جبل بمكة . [٣] - في ز : عبد .

[٤] - بياض في ز .

[٥] - ما بين المعكوفين في خ : كانت . [٦] - في ز ، خ : عبد .

صلىٰ اللَّه عليه وسلم يذكر به الساعة ؟ فقال : سمعت رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم يقول : « أنتم والساعة كهاتين[١] » . تفرد به أحمد(٧) - رحمه اللَّه - وشاهد ذلك أيضًا في الصحيح في أسماء رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : أنه الحاشر الذي يُحشَر الناس علىٰ قدمه[٢] (٨) .

وقال الإمام أحمد : حدثنا بهز بن أسد ، حدثنا سليمان بن المغيرة ، حدثنا حميد بن هلال ، عن خالد بن عمير[٣] قال : خطب عتبة بن غزوان - قال بهز : وقال قبل[٤] هذه المرة : خَطَبَنا رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، قال : فحمد اللَّه وأثنىٰ عليه ، ثم قال : « أما بعد ، فإن الدنيا قد آذنت بصَرْم[٥] وولت حَذّاء ، ولم يبق منها إلا صُبَابة كصُبَابة الإناء يَتَصَابُّها صاحبها ، وإنكم منتقلون[٦] منها إلىٰ دار لا زوال لها ، فانتقلوا بخير ما بحَضْرَتكم ، فإنه قد ذكر لنا أن الحجر يُلقَىٰ من شَفِير جهنم فيهوي فيها سبعين عامًا ما يدرك لها قعرًا ، واللَّه لتملؤنه ، أفعجبتم ! واللَّه لقد ذكر لنا أن ما بين مصراعي الجنة مسيرة أربعين عامًا ، وليأتين عليه يوم وهو كظيظ الزحام ...»(٩) وذكر تمام الحديث انفرد به مسلم(١٠) .

وقال أبو جعفر بن جرير : حدثني يعقوب ، حدثني ابن علية ، أخبرنا عطاء بن السائب ، عن أبي عبد الرحمن السّلَمي قال : نزلنا المدائن فكنا منها علىٰ فرسخ ، فجاءت الجمعة ، فحضر أبي وحضرت معه ، فخَطَبنا حذيفة فقال : ألا إن اللَّه يقول : ﴿ اقتربت الساعة وانشق القمر ﴾ ، ألا وإن الساعة قد اقتربت ، ألا وإن القمر قد انشق ، ألا وإن الدنيا قد آذنت بفراق ، ألا وإن اليوم المضمار وغدًا السباق . فقلت لأبي : أيستبق[٧] الناس غدًا ؟

---

(٧) - أخرجه أحمد (٣/٢٢٣) (١٣٣٦٠) .
وفيه إسماعيل بن عبيد الله ؛ قال العلائي في « جامع التحصيل » لم يسمع من الصحابة إلا من السائب بن يزيد ، لكن يشهد له ما قبله .

(٨) - ويشهد له أيضًا حديث البخاري : « لي خمسة أسماء ... وأنا الحاشر الذى يحشر الناس على قدمي ، وأنا العاقب » ، أخرجه البخاري في كتاب المناقب ، باب : ما جاء في أسماء رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حديث (٣٥٣٢) (٧/٥٥٤) وطرفه في [٤٨٩٦] .

(٩) - أخرجه أحمد (٤/١٧٤) (١٧٦٢٥) .

(١٠) - مسلم في كتاب الزهد والرقائق ، حديث (١٤/٢٩٦٧) (١٨/١٣٥ - ١٣٦) .

---

[١] - في ز : كتين .

[٢] - في ت : قدميه .

[٣] - في ز ، خ : عمر .

[٤] - في ز ، خ : مثل .

[٥] - في ز : بصرمة . وفي خ : مصرمة .

[٦] - في ز : منقلون .

[٧] - في ز ، خ : ليستبق .

فقال : يا بني ، إنك لجاهل ، إنما هو السباق بالأعمال . ثم جاءت الجمعة الأخرىٰ فحضرنا فَخَطب حذيفة فقال : ألا إن اللَّه - عز وجل - يقول : ﴿ **اقتربت الساعة وانشق القمر** ﴾ ، ألا وإن الدنيا قد آذنت بفراق ، ألا وإن اليوم المضمار وغدًا السباق ، ألا وإن الغاية النار ، والسابق من سبق إلىٰ الجنة(١١) .

وقوله : ﴿ **وانشق القمر** ﴾ : قد كان هذا[١] في زمان رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، كما ثبت ذلك في الأحاديث المتواترة بالأسانيد الصحيحة . وقد ثبت في الصحيح عن ابن مسعود أنه قال : « **خمس قد مضين : الروم ، والدخان ، واللزام ، والبطشة ، والقمر** »(١٢) . وهذا أمر متفق عليه بين العلماء أن انشقاق القمر قد وقع في زمان النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم وأنه كان إحدى[٢] المعجزات الباهرات .

ذكر الأحاديث الواردة في ذلك

رواية أنس بن مالك :

قال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرزاق ، حدثنا معمر ، عن قتادة ، عن أنس بن مالك قال : سأل أهل مكة النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم آية ، فانشق القمر بمكة مرتين ، فقال : ﴿**اقتربت الساعة وانشق القمر**﴾(١٣) . ورواه[٣] مسلم عن محمد بن رافع عن عبد الرزاق(١٤) .

وقال البخاري : حدثني عبد اللَّه بن عبد الوهاب ، حدثنا بشر بن المفضل ، حدثنا سعيد ابن أبي عَروبة ، عن قتادة ، عن أنس بن مالك ؛ أن أهل مكة سألوا رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم أن يُريَهم آية ، فأراهم القمر شِقَّين ،حتىٰ رأوا حراء بينهما(١٥) .

---

(١١) - أخرجه الطبري (٨٦/٢٧) وفي إسناده عطاء بن السائب كان قد اختلط .

(١٢) - أخرجه البخاري في كتاب : التفسير ، باب : ﴿ **فسوف يكون لزامًا** ﴾ ، حديث (٤٧٦٧) (٨/ ٤٩٦) . وفي باب : ﴿ **فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين** ﴾ ، حديث (٤٨٢٠) (٥٧١/٨) .

(١٣) - أخرجه أحمد (١٦٠/٣) (١٢٧١١) .

(١٤) - صحيح مسلم كتاب : صفات المنافقين وأحكامهم ، باب : انشقاق القمر ، حديث (٤٦/٢٨٠٢م) (٢١١/١٧) .

(١٥) - أخرجه البخاري في كتاب : مناقب الأنصار ، باب : انشقاق القمر ، حديث (٣٨٦٨) (١٨٢/٧) .

---

[١] - في خ : ذلك .

[٢] - في ز : أحد . [٣] - في ت : رواه .

وأخرجاه أيضًا من حديث يونس بن محمد المؤدب، عن شيبان، عن قتادة(١٦). ورواه مسلم أيضًا من حديث أبي داود الطيالسي ويحيىٰ القطان وغيرهما عن شعبة عن قتادة به(١٧).

رواية جبير بن مطعم، رضي الله عنه:

قال الإمام أحمد: حدثنا محمد بن كثير، حدثنا سليمان بن كثير، عن حُصَين بن عبد الرحمن، عن محمد بن جبير بن مطعم، عن أبيه قال: انشق القمر علىٰ عهد رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم فصار فرقتين: فرقة علىٰ هذا الجبل، وفرقة علىٰ هذا الجبل، فقالوا: سحرنا[١] محمد. فقالوا: إن كان سحرنا[٢] فإنه لا يستطيع أن يسحر الناس كلهم. تفرد به الإمام أحمد من هذا الوجه(١٨). وأسنده البيهقي في «**الدلائل**» من طريق محمد ابن كثير، عن أخيه سليمان بن كثير، عن حصين بن عبد الرحمن(١٩).

وهكذا رواه ابن جرير من حديث محمد بن فضيل[٣] وغيره، عن حصين، به(٢٠).

ورواه البيهقي[٤] أيضًا من طريق إبراهيم بن طهمان وهشيم، كلاهما[٥] عن حُصَين، عن جبير بن محمد بن جبير بن مطعم، عن أبيه، عن جده فذكره(٢١).

(١٦) - أخرجه البخاري في كتاب: المناقب، باب: سؤال المشركين أن يريهم النبي صلى الله عليه وسلم آية، فأراهم انشقاق القمر، حديث (٣٦٣٧) (٦٣١/٦).

ومسلم في كتاب: صفات المنافقين، باب: انشقاق القمر، حديث (٢٨٠٢/٤٦) (٢١١/١٧).

(١٧) - أخرجه مسلم في كتاب: صفات المنافقين، باب: انشقاق القمر، حديث (٢٨٠٢/٤٧) (١٧/ ٢١١ - ٢١٢).

(١٨) - أخرجه أحمد (٨١/٤ - ٨٢) (١٦٨٠٠).

وحصين بن عبد الرحمن هو السلمي؛ ثقة تغير حفظه في الآخر، وبقية رجاله ثقات.

والحديث أخرجه الترمذي في كتاب: تفسير القرآن، باب: ومن سورة القمر، حديث (٣٢٨٥) (٣٢/٩) من طريق محمد بن كثير بهذا الإسناد.

وصحح إسناده الألباني في صحيح سنن الترمذي برقم (٢٦٢٢ - ٣٥٢٠).

(١٩) - الدلائل (٢٦٨/٢).

(٢٠) - تفسير الطبري (٨٦/٢٧) من طريق أبي كريب قال: ثنا ابن فضيل به مختصرًا.

(٢١) - الدلائل (٢٦٨/٢).

[١] - في ز، خ: سحره.
[٢] - في ز: سحره.
[٣] - في ز: فضل.
[٤] - سقط من ز، خ.
[٥] - في خ: كليهما.

رواية عبد الله بن عباس :

قال البخاري : حدثنا يحيىٰ بن بكير ، حدثنا بكر ، عن جعفر ، عن عِرَاك بن مالك ، عن عبيد[١] الله بن عبد الله بن عتبة ، عن ابن عباس قال : انشق القمر في زمان رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم(٢٢) .

ورواه البخاري أيضًا ومسلم ، من حديث بكر بن مضر ، عن جعفر بن ربيعة ، عن عِراك ، به مثله(٢٣) .

وقال ابن جرير : حدثنا ابن مثنىٰ[٢] ، حدثنا عبد الأعلىٰ ، حدثنا داود بن أبي هند[٣] ، عن عليّ بن أبي طلحة ، عن ابن عباس قوله : ﴿ **اقتربت الساعة وانشق القمر * وإن يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر** ﴾ ، قال : قد مضىٰ ذلك ، كان قبل الهجرة ، انشق القمر حتىٰ رأوا شقيه[٤](٢٤) . وروىٰ العوفي عن ابن عباس نحو هذا.

وقال الطبراني : حدثنا أحمد[٥] بن عمرو البَزّار[٦] ، حدثنا محمد بن يحيىٰ القُطَعي ، حدثنا محمد بن بكر ، حدثنا ابن جُرَيج ، عن عمرو بن دينار ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : كُسِفَ القمر علىٰ عهد رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم فقالوا : سُحِر القمر . فنزلت : ﴿ **اقتربت الساعة وانشق القمر** ﴾ إلىٰ قوله : ﴿ **مستمر** ﴾ (٢٥) .

رواية عبد الله بن عمر :

قال الحافظ أبو بكر البيهقي : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ، وأبو بكر أحمد بن الحسن القاضي قالا : حدثنا أبو العباس الأصم ، حدثنا العباس بن محمد الدوري ، حدثنا وَهْب بن

(٢٢) - أخرجه البخاري في « الصحيح » في كتاب : التفسير ، باب : ﴿ **وانشق القمر وإن يروا آية يعرضوا** ﴾ ، حديث (٤٨٦٦) (٨/٦١٧) .

(٢٣) - أخرجه البخاري في كتاب : مناقب الأنصار ، باب : وانشقاق القمر ، حديث (٣٨٧٠) (٧/ ١٨٢) .

ومسلم في كتاب : صفات المنافقين وأحكامهم ، باب : وانشقاق القمر ، حديث (٢٨٠٣/٤٨) (١٧/ ٢١٢) .

(٢٤) - تفسير الطبري (٢٧/٨٦) .

(٢٥) - المعجم الكبير (١١/٢٥٠) (١١٦٤٢) وفي إسناده عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج ، =

[١] - في ز ، خ : عبد .

[٢] - في ز ، خ : عيسى .

[٣] - في ز ، خ : عبيد .

[٤] - في خ : سببه .

[٥] - في خ : محمد .

[٦] - في ز ، خ : الزوار .

جَرير ، عن شُعْبة ، عن الأعمش ، عن مجاهد ، عن عبد اللّٰه بن عُمَرَ في قوله تعالىٰ : ﴿اقتربت الساعة وانشق القمر﴾ قال : وقد كان ذلك علىٰ عهد رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم انشق فلقتين : فلقة من دون الجبل ، وفلقة من خلف الجبل ، فقال النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **اللّهمّ اشهد** »(٢٦) .

وهكذا رواه مسلم والترمذي ، من طُرُق عن شعبة ، عن الأعمش ، عن مجاهد ، به(٢٧) . قال مسلم كرواية مجاهد عن أبي معمر عن ابن مسعود . وقال الترمذي: حسن صحيح .

رواية عبد الله بن مسعود :

قال الإمام أحمد : حدثنا سفيان ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، عن أبي معمر ، عن ابن مسعود قال : انشق القمر علىٰ عهد رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم شِقَّتين[١] حتىٰ نظروا إليه ، فقال رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **اشهدوا** »(٢٨) .

وهكذا رواه البخاري ومسلم ، من حديث سفيان بن عُيَينة ، به(٢٩) . وأخرجاه من حديث الأعمش ، عن إبراهيم ، عن أبي معمر عبد اللّٰه بن سَخْبَرَة ، عن ابن مسعود به[٢](٣٠) .

وقال ابن جرير : حدثني عيسىٰ بن عثمان بن عيسىٰ الرملي ، حدثنا عمي يحيىٰ بن

=وصفه النسائي وغيره بالتدليس .

قال الدارقطني : شر التدليس تدليس ابن جريج ، فإنه قبيح التدليس ، لا يدلس إلا فيما سمعه من مجروح . « طبقات المدلسين » وبقية رجاله ثقات .

(٢٦) - أخرجه البيهقي في « الدلائل » (٢/٢٦٧) .

(٢٧) - صحيح مسلم ، كتاب : صفات المنافقين وأحكامهم ، باب : انشقاق القمر ، حديث (٢٨٠١) (١٧/٢١٠ -٢١١) .

والترمذي في كتاب : تفسير القرآن ، باب : ومن سورة القمر ، حديث (٣٢٨٤) (٩/٣٢) .

(٢٨) - أخرجه أحمد (١/٣٧٧) (٣٥٨٤) .

(٢٩) - البخاري في كتاب : التفسير ، باب : ﴿ **وانشق القمر وإن يروا آية يعرضوا** ﴾ ، حديث (٤٨٦٥) (٨/٦١٧) .

ومسلم في كتاب : صفات المنافقين ، باب : انشقاق القمر ، حديث (٤٣/٢٨٠٠) (١٧/٢٠٩) .

(٣٠) - أخرجه البخاري في كتاب : التفسير ، باب : ﴿ **وانشق القمر وإن يروا آية يعرضوا** ﴾ ، =

---

[١] - في ز : شقين .

[٢] - سقط من ز ، خ .

عيسىٰ ، عن الأعمش ، عن إبراهيم ، عن رجل ، عن عبد اللَّه قال : كنا مع رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم بمنىٰ فانشق القمر ، فأخذت فرقة خلف الجبل ، فقال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **اشهدوا ، اشهدوا** »(٣١) . قال البخاري : وقال أبو الضحىٰ ، عن مسروق ، عن عبد الله : بمكة(٣٢) .

وقال أبو داود الطيالسي : حدثنا أبو عَوَانة ، عن المغيرة ، عن أبي الضحىٰ ، عن مسروق ، عن عبد اللَّه بن مسعود قال : انشق القمر علىٰ عهد رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم فقالت قريش : هذا سِحْرُ ابن أبي كبشة . قال : فقالوا : انظروا ما يأتيكم به السفار ، فإنّ محمدًا لا يستطيع أن يسحرَ الناس كلَّهم . قال : فجاء السّفَّار فقالوا ذلك(٣٣) .

وقال البيهقي : أخبرنا أبو عبد اللَّه الحافظ ، أخبرنا أبو العباس محمد بن يعقوب ، حدثنا العباس بن محمد الدوري ، حدثنا سعيد بن سليمان ، حدثنا هُشَيم[١] ، حدثنا مغيرة ، عن أبي الضحىٰ ، عن مسروق ، عن عبد اللَّه قال : انشق القمر بمكة حتىٰ صار فرقتين ، فقال كفار قريش أهل مكة : هذا سحر سحركم به ابن أبي كبشة ، انظروا السّفَّار ؛ فإن كانوا رأوا ما رأيتم فقد صدق ، وإن كانوا لم يروا مثل ما رأيتم فهو سحر سحركم به . قال : فسُئل السّفَّار ، قال : وقدموا من كل وجهة ، فقالوا : رأينا[٢](٣٤) .

رواه ابن جرير من حديث المغيرة ، به[٣] وزاد : فأنزل اللَّه عز وجل : ﴿ **اقتربت الساعة وانشق القمر** ﴾(٣٥) . ثم قال ابن جرير :

حدثني يعقوب بن إبراهيم ، حدثنا ابن[٤] علية ، أخبرنا أيوب ، عن محمد - هو ابن

= حديث (٤٨٦٤) (٨/٦١٧) .
ومسلم في كتاب : صفات المنافقين ، باب : انشاق القمر ، حديث (٤٤، ٤٥/٢٨٠٠) (١٧/٢١٠) .
كلاهما من طريق سفيان .

(٣١) - تفسير الطبري (٢٧/٨٥) .
وفي إسناده رجل مجهول ، لكن يشهد له ما قبله وما بعده .

(٣٢) - أخرجه البخاري في كتاب : مناقب الأنصار ، باب : انشقاق القمر ، حديث (٣٨٦٩) (٧/١٨٢) .

(٣٣) - أخرجه الطيالسي (٣٨) برقم (٢٩٥) . وإسناده رجاله ثقات .

(٣٤) - الدلائل (٢/٢٦٦ - ٢٦٧) وهشيم صرح بالتحديث ، وبقية إسناده موثقون .

(٣٥) - تفسير الطبري (٢٧/٨٥) من طريق الحسن بن يحيى المقدسي عن يحيى بن حماد عن أبي عوانة عن المغيرة .

[١] - في ز ، خ : هشام .
[٢] - في خ ، ت : رأيناه .
[٣] - سقط من ز ، خ .
[٤] - في ز : أبو .

سيرين - قال : نبئت أن ابن مسعود - رضي الله عنه - كان يقول : لقد انشق القمر(٣٦) .

وقال ابن جرير أيضًا : حدثني محمد بن عمارة ، حدثنا عمرو بن حماد ، حدثنا أسباط ، عن سماك ، عن إبراهيم ، عن الأسود ، عن عبد الله قال : لقد رأيت الجبل من فَرْج القمر حين انشق(٣٧) .

ورواه الإمام أحمد عن مُؤمل[١] ، عن إسرائيل ، عن سماك ، عن إبراهيم ، عن الأسود ، عن عبد الله قال : انشق القمر علىٰ عهد رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم حتىٰ رأيت الجبل من بين فرجتي القمر(٣٨) .

وقال ليث ، عن مجاهد : انشق القمر علىٰ عهد رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم فصار فرقتين ، فقال النبي صلىٰ الله عليه وسلم لأبي بكر : « **اشهد يا أبا بكر** » . فقال المشركون : سُحر القمر حتىٰ انشق(٣٩) .

وقوله : ﴿ **وإن يروا آية** ﴾ أي : دليلًا وحجة وبرهانًا ﴿ **يعرضوا** ﴾ . أي : لا ينقادون له ، بل يعرضون عنه ويتركونه وراء ظهورهم ، ﴿ **ويقولوا سحر مستمر** ﴾ ، أي : ويقولون : هذا الذي شاهدنا[٢] من الحجج ، سحر سحرنا به .

ومعنى ﴿ **مستمر** ﴾ أي : ذاهب . قاله مجاهد وقتادة وغيرهما . أي : باطل مضمحل لا دوام له .

﴿ **وكذبوا واتبعوا أهواءهم** ﴾ ، أي : كذبوا بالحق إذ جاءهم ، واتبعوا ما أمرتهم به آراؤهم وأهواؤهم من جهلهم وسخافة عقلهم .

وقوله : ﴿ **وكل أمر مستقر** ﴾ قال قتادة : معناه أن الخير واقع بأهل الخير ، والشر واقع بأهل الشر .

وقال ابن جُرَيج : مستقر بأهله .

---

(٣٦) - تفسير الطبري (٨٦/٢٧) .

(٣٧) - أخرجه الطبري (٨٥/٢٧) .

(٣٨) - أخرجه أحمد (٤١٣/١) (٣٩٢٤) . وصححه الشيخ أحمد شاكر في تعليقه على المسند .

(٣٩) - أخرجه الطبري (٨٧/٢٧) وإسناده مرسل .

---

[١] - في ز : مويل .

[٢] - في خ ، ت : شاهدناه .

وقال مجاهد : ﴿ **وكل أمر مستقر** ﴾ ، أي : يوم القيامة .

وقال السدي : ﴿**مستقر**﴾ أي : واقع .

وقوله : ﴿ **ولقد جاءهم من الأنباء** ﴾ ، أي : من الأخبار عن قصص الأمم المكذبين بالرسل ، وما حل بهم من العقاب والنكال والعذاب ، مما يتلىٰ عليهم في هذا القرآن ، ﴿ **ما فيه مزدجر** ﴾ ، أي : ما فيه واعظ لهم عن الشرك والتمادي علىٰ التكذيب .

وقوله : ﴿ **حكمة بالغة** ﴾ ، أي : في هدايته تعالىٰ لمن هداه وإضلاله لمن أضله ، ﴿ **فما تغني النذر** ﴾ يعني أي شيء تغني النذر عمن كتب الله عليه الشقاوة ، وختم علىٰ قلبه ؟ فمن الذي يهديه من بعد الله ؟ وهذه الآية كقوله تعالىٰ : ﴿ **قل فللّه**[١] **الحجة البالغة فلو شاء لهداكم أجمعين** ﴾ . وكذلك قوله تعالى : ﴿**وما تغني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون**﴾ .

فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ ٱلدَّاعِ إِلَىٰ شَيْءٍ نُّكُرٍ ﴿٦﴾ خُشَّعًا أَبْصَٰرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ ﴿٧﴾ مُّهْطِعِينَ إِلَى ٱلدَّاعِ يَقُولُ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ ﴿٨﴾

يقول تعالىٰ : فتولّ يا محمد عن هؤلاء الذين إذا رأوا آية يعرضون ويقولون : هذا سحر مستمر ، أعرض عنهم وانتظرهم ﴿ **يوم يدع الداع إلىٰ شيء نكر** ﴾ ، أي : إلىٰ شيء منكر فظيع ، وهو موقف الحساب ، وما فيه من [البلاء ، بل][٢]والزلازل والأهوال ، ﴿ **خشعًا أبصارهم** ﴾ ، أي : ذليلة أبصارهم ، ﴿ **يخرجون من الأجداث** ﴾ ، وهي القبور ، ﴿ **كأنهم جراد منتشر** ﴾ ، أي : كأنهم في انتشارهم وسرعة سيرهم إلىٰ موقف الحساب إجابة للداعي[٣] ﴿ **جراد منتشر** ﴾ في الآفاق ، ولهذا قال : ﴿ **مهطعين** ﴾ ، أي : مسرعين ﴿ **إلىٰ الداع** ﴾ ، لا يخالفون ولا يتأخرون ، ﴿ **يقول الكافرون هذا يوم عسر** ﴾ ، أي : يوم شديد الهول عبوس قمطرير ﴿ **فذلك يومئذ يوم عسير * علىٰ الكافرين غير يسير** ﴾ .

۞ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا۟ عَبْدَنَا وَقَالُوا۟ مَجْنُونٌ وَٱزْدُجِرَ ﴿٩﴾ فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّي

---

[١] - في ز : لله .
[٢] - في خ : والتلاتل .
[٣] - في ز : الداعي .

مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ ﴿١٠﴾ فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ ﴿١١﴾ وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴿١٢﴾ وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ ﴿١٣﴾ تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا جَزَآءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ ﴿١٤﴾ وَلَقَد تَّرَكْنَٰهَآ ءَايَةً فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٥﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿١٦﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٧﴾

يقول تعالىٰ : ﴿ **كذبت** ﴾ قبل قومك يا محمد ﴿ **قوم نوح فكذبوا عبدنا** ﴾ ، أي : صرحوا له بالتكذيب واتهموه بالجنون ، ﴿ [**وقالوا مجنون**][١]**وازدجر** ﴾ . قال مجاهد : ﴿ **وازدجر** ﴾ ، أي : استطير جنونًا . وقيل : ﴿ **وازدجر** ﴾ ، أي : انتهروه وزجروه وأوعدوه ؛ ﴿ **لئن لم تنته يا نوح لتكونن من المرجومين** ﴾ . قاله ابن زيد ، وهذا متوجه حسن . ﴿ **فدعا ربه أني مغلوب فانتصر** ﴾ ، أي : إني ضعيف عن هؤلاء وعن مقاومتهم ﴿ **فانتصر** ﴾ أنت لدينك . قال الله تعالىٰ : ﴿ **ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر** ﴾ . قال السدي : هو الكثير . ﴿ **وفجرنا الأرض عيونًا** ﴾ ، أي : نبعت جميع أرجاء الأرض ، حتىٰ التنانير التي هي محال[٢] النيران نبعت عيونًا ، ﴿ **فالتقىٰ الماء** ﴾ أي : من السماء ومن الأرض ﴿ **علىٰ أمر قد قدر** ﴾ ، أي : أمر مقدر .

قال ابن جريج ، عن ابن عباس : ﴿ **ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر** ﴾ كثير ، لم تمطر السماء قبل ذلك اليوم ولا بعده ، ولا من السحاب ، فتحت أبواب السماء بالماء من غير سحاب ذلك اليوم ، فالتقىٰ الماءان علي أمر قد قدر .

وروىٰ ابن أبي حاتم أن ابن الكواء سأل عليًا عن المجرة ؟ فقال : هي شرج[٣] السماء ، ومنها فتحت السماء بماء منهمر .

﴿ **وحملناه علىٰ ذات ألواح ودسر** ﴾ ، قال ابن عباس ، وسعيد بن جبير ، والقرظي ، وقتادة ، وابن زيد : هي المسامير . واختاره ابن جرير ، قال : وواحدها دسار ، ويقال : دسير كما يقال : حَبِيك[٤] وحباك ، والجمع حُبك .

وقال مجاهد : الدُّسر : أضلاع السفينة . وقال عكرمة والحسن : هو صدرها الذي

---

[١] - سقط من ز .

[٢] - في ز : محل .

[٣] - في ز : شرخ .

[٤] - في ز ، خ : حبك .

تضربُ[١] به الموج .

وقال الضحاك : الدسر: طرفاها وأصلها .

وقال العوفي عن ابن عباس : هو كلكلها .

وقوله : ﴿ **تجري بأعيننا** ﴾ ، أي : بأمرنا بمرأىٰ منا وتحت حفظنا وكلاءتنا ، ﴿ **جزاء لمن كان كفر** ﴾ ، أي : جزاء لهم علىٰ كفرهم بالله وانتصارًا لنوح عليه السلام .

وقوله : ﴿ **ولقد تركناها آية** ﴾ ، قال قتادة : أبقىٰ الله سفينة نوح حتىٰ أدركها أول هذه الأمة . والظاهر أن المراد من ذلك جنس السفن ، كقوله تعالىٰ : ﴿ **وآية لهم أنا حملنا ذريتهم في الفلك المشحون * وخلقنا لهم من مثله ما يركبون** ﴾ . وقال : ﴿ **إنا لما طغىٰ الماء حملناكم في الجارية * لنجعلها لكم تذكرة وتعيها أذن واعية** ﴾ . ولهذا قال هاهنا : ﴿ **فهل من مُدّكر** ﴾ ، أي : فهل من يتذكر ويتعظ ؟

قال الإمام أحمد : حدثنا حجاج ، حدثنا إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن الأسود ، عن ابن مسعود قال : أقرأني رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : ﴿ **فهل من مُدّكر** ﴾ .

[فقال رجل: يا أبا عبد الرحمن؛ مدّكر أو مذّكر؟ قال: أقرأني رسول الله صلى الله عليه وسلم مدّكر][٢] (٤٠) .

وهكذا رواه البخاري : حدثنا يحيىٰ ، حدثنا وكيع ، عن إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن الأسود بن يزيد ، عن عبد الله قال : قرأت علىٰ النبي صلىٰ الله عليه وسلم : (فهل من مُذّكر[٣]) . فقال النبي صلىٰ الله عليه وسلم : ﴿ **فهل من مُدّكر** ﴾(٤١) .

وروىٰ البخاري أيضًا من حديث شعبة ، عن أبي إسحاق ، عن الأسود ، عن عبد الله قال : كان رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم يقرأ : ﴿ **فهل من مُدّكر** ﴾(٤٢) .

وقال : حدثنا أبو نعيم حدثنا زهير، عن أبي إسحاق : أنه سمع رجلًا يسأل[٤] الأسود :

---

(٤٠) - أخرجه أحمد (٣٩٥/١) (٣٧٥٥) .

(٤١) - صحيح البخاري ، كتاب : التفسير ، باب : ﴿ **ولقد صبحهم بكرة عذاب مستقر ...** ﴾ ، حديث (٤٨٧٤) (٦١٨/٨) .

(٤٢) - أخرجه في الموضع السابق برقم (٤٨٧٣) . وفي الباب الذي قبله برقم (٤٨٧٢) من طريق شعبة .

---

[١] - في ت : يضرب .

[٢] - سقط من ز ، خ .

[٣] - في ز : مذكر .

[٤] - في ز ، خ : سأل .

﴿ **فهل من مُدكر** ﴾ ، أو : (مُذكر) ؟ قال : سمعت عبد الله يقرأ : ﴿ **فهل من مُدّكر** ﴾ . وقال سمعت رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم يقرؤها : ﴿ **فهل من مُدّكر** ﴾ دالًا[٤٣] .

وقد أخرج مسلم هذا الحديث وأهل السنن إلّا ابن ماجة ،من حديث أبي إسحاق[٤٤] .

وقوله : ﴿ **فكيف كان عذابي ونذر** ﴾ ، أي : كيف كان عذابي لمن كفر بي وكذب رسلي ولم يتعظ بما جاءت به نُذُري ، وكيف انتصرت لهم ، وأخذت لهم بالثأر ؟

﴿ **ولقد يسرنا القرآن للذكر** ﴾ ، أي : سهلنا لفظه ، ويسرنا معناه لمن أراده ، ليتذكر الناس . كما قال : ﴿ **كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولو الألباب** ﴾ .

وقال تعالى : ﴿ **فإنما يسرناه بلسانك لتبشر به المتقين وتنذر به قومًا لدًا** ﴾ .

قال مجاهد : ﴿ **ولقد يسرنا القرآن للذكر** ﴾ يعني : هونًا قراءته .

وقال السدي : يسرنا تلاوته على الألسن .

وقال الضحاك ، عن ابن عباس : لولا أن الله يسره علىٰ لسان الآدميين ، ما استطاع أحد من الخلق أن يتكلم بكلام الله عز وجل .

قلت : ومن تيسيره تعالىٰ علىٰ الناس تلاوة القرآن ما تَقدّم عن النبي - صلىٰ الله عليه وسلم - أنه قال : « **إن هذا القرآن أنزل علىٰ سبعة أحرف** »[٤٥] . وأوردنا الحديث بطرقه وألفاظه بما أغنىٰ عن إعادته هاهنا ، ولله الحمد والمنة .

وقوله : ﴿ **فهل من مدكر** ﴾ ، أي : فهل من متذكر بهذا القرآن الذي قد يَسَّر الله حفظه ومعناه ؟

وقال محمد بن كعب القرظي : فهل من منزجر عن المعاصي ؟

---

(٤٣) - أخرجه البخاري في كتاب : التفسير ، باب : ﴿ **أعجاز نخل منقعر فكيف كان عذابي ونذر** ﴾ ، حديث (٤٨٧١) (٦١٨/٨) .

(٤٤) - أخرجه مسلم في كتاب : صلاة المسافرين ، باب : ما يتعلق بالقراءات ، حديث (٢٨٠، ٢٨١/ ٨٢٣) . وأبو داود في كتاب : الحروف والقراءات ، حديث (٣٩٩٤) (٣٥/٤) . والترمذي في كتاب : القراءات ، باب : ومن سورة الروم ، حديث (٢٩٣٨) (١٣٥/٨) . والنسائي في الكبرى في كتاب : التفسير ، باب : ﴿ **ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مُدَّكِر** ﴾ ، حديث (١١٥٥٥) (٤٧٦/٦) . قال الترمذي : حديث حسن صحيح .

(٤٥) - أخرجه البخاري في كتاب : فضائل القرآن ، باب : أنزل القرآن على سبعة أحرف ، حديث=

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا الحسن بن رافع ، حدثنا ضمرة ، عن ابن شَوذب ، عن مطر - هو الورّاق - في قوله تعالىٰ : ﴿ **فهل من مدكر** ﴾ : هل من طالب علم فيعان عليه ؟

وكذا علقه البخاري بصيغة الجزم عن مطر الوراق(٤٦) . ورواه ابن جرير(٤٧) ، وروي عن قتادة مثله .

كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿١٨﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ ﴿١٩﴾ تَنزِعُ ٱلنَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ ﴿٢٠﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿٢١﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٢٢﴾

يقول تعالىٰ مخبرًا عن عاد قوم هود أنهم كذبوا رسولهم أيضًا ، كما صنع قوم نوح ، وأنه تعالىٰ أرسل ﴿ **عليهم ريحًا صرصرًا** ﴾ ، وهي الباردة الشديدة البرد ، ﴿ **في يوم نحس** ﴾ ، أي : عليهم . قاله الضحاك ، وقتادة ، والسدي ، ﴿ **مستمر** ﴾ عليهم نحسه ودماره[١] ، لأنه يوم اتصل فيه عذابهم الدنيوي بالأخروي .

وقوله : ﴿ **تنزع الناس كأنهم أعجاز نخل منقعر** ﴾ ، وذلك أن الريح كانت تأتي أحدهم فترفعه حتىٰ تغيبه عن الأبصار ، ثم تنكسه علىٰ أم رأسه ، فيسقط إلىٰ الأرض ، فتثلغ رأسه فيبقىٰ جثة بلا رأس ، ولهذا قال : ﴿ **كأنهم أعجاز نخل منقعر * فكيف كان عذابي ونذر * ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر** ﴾ .

كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِٱلنُّذُرِ ﴿٢٣﴾ فَقَالُوٓاْ أَبَشَرًا مِّنَّا وَٰحِدًا نَّتَّبِعُهُۥٓ إِنَّآ إِذًا لَّفِي ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ ﴿٢٤﴾ أَءُلْقِيَ ٱلذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنۢ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ ﴿٢٥﴾ سَيَعْلَمُونَ غَدًا مَّنِ

= (٤٩٩١) (٩/٢٣) .

ومسلم في كتاب : صلاة المسافرين ، باب : بيان أن القرآن على سبعة أحرف ، حديث (٢٧٢/٨١٩) (٦/١٤٦) كلاهما من حديث عبد الله بن عباس .

(٤٦) - أخرجه البخاري في كتاب : التوحيد ، باب : قول الله تعالى : ﴿ **ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر** ﴾ .

(٤٧) - تفسير الطبري (٢٧/٩٧) .

---

[١] - في ز : ودمارهم .

ٱلْكَذَّابُ ٱلْأَشِرُ ﴿٢٦﴾ إِنَّا مُرْسِلُوا۟ ٱلنَّاقَةِ فِتْنَةً لَّهُمْ فَٱرْتَقِبْهُمْ وَٱصْطَبِرْ ﴿٢٧﴾ وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ ٱلْمَآءَ قِسْمَةٌۢ بَيْنَهُمْ ۖ كُلُّ شِرْبٍ مُّحْتَضَرٌ ﴿٢٨﴾ فَنَادَوْا۟ صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَىٰ فَعَقَرَ ﴿٢٩﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿٣٠﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَكَانُوا۟ كَهَشِيمِ ٱلْمُحْتَظِرِ ﴿٣١﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٣٢﴾

وهذا إخبار عن ثمود أنهم كذبوا رسولهم صالحاً ، ﴿ **فقالوا أبشرًا منا واحدًا نتبعه إنا إذًا لفي ضلال وسعر** ﴾ ، يقولون : لقد خبنا وخسرنا إن سلمنا كُلنا قيادنا لواحد منا ! ثم تعجبوا من إلقاء الوحي عليه خاصة من دونهم ، ثم رموه بالكذب فقالوا : ﴿ **بل هو كذاب أشر** ﴾ ، أي : متجاوز في حد الكذب . قال اللَّه تعالىٰ : ﴿ **سيعلمون غدًا من الكذاب الأشر** ﴾ . وهذا تهديد لهم شديد ووعيد أكيد .

ثم قال تعالىٰ : ﴿ **إنا مرسلو الناقة فتنة لهم** ﴾ ، أي : اختبارًا لهم ، أخرج اللَّه لهم ناقة عظيمة عُشراء من صخرة صَمَّاء طبق ما سألوا ، لتكون حجة اللَّه عليهم في تصديق صالح عليه السلام فيما جاءهم به .

ثم قال آمرًا لعبده ورسوله صالح : ﴿ **فارتقبهم واصطبر** ﴾ ، أي : انتظر ما يئول إليه أمرهم ، واصبر عليهم ، فإن العاقبة والنصر لك في الدنيا والآخرة . ﴿ **ونبئهم أن الماء قسمة بينهم** ﴾ ، أي[١] : يوم لهم ويوم للناقة ؛ كقوله : ﴿ **قال هذه ناقة لها شربٌ ولكم شرب يوم معلوم** ﴾ .

وقوله : ﴿ **كل شرب محتضر** ﴾ . قال مجاهد : إذا غابت حضروا الماء ، وإذا جاءت حضروا اللبن .

ثم قال تعالىٰ : ﴿ **فنادوا صاحبهم فتعاطىٰ فعقر** ﴾ . قال المفسرون : هو عاقر الناقة ، واسمه قُدَار بن سالف ، وكان أشقىٰ قومه ؛ كقوله : ﴿ **إذ انبعث أشقاها** ﴾ ، ﴿ **فتعاطىٰ** ﴾ أي : فجسر[٢] ﴿ **فعقر * فكيف كان عذابي ونذر** ﴾ ؟ أي : فعاقبتهم فكيف كان عقابي علىٰ كفرهم بي وتكذيبهم رسولي ؟ ﴿ **إنا أرسلنا عليهم صيحة واحدة فكانوا كهشيم المحتظر** ﴾ ، أي : فبادوا عن آخرهم لم تبق منهم باقية ، وخَمَدوا وهَمَدوا كما يهمد يَبِيس الزرع والنبات . قاله غير واحد من المفسرين . والمحتظر - قال السدي - : هو المرعىٰ

---

[١] - في ز : يعني .   [٢] - سقط من خ .

بالصحراء حين ييس وتحرّق ونسفته الريح .

وقال ابن زيد : كانت العرب يجعلون حِظارًا على الإبل [والمواشي من][١] يَبِيس الشّوك ، فهو المراد من قوله : ﴿ كهشيم المحتظر ﴾ .

وقال سعيد بن جُبَير : هشيم المحتظر : هو التراب المتناثر من الحائط . وهذا قول غريب ، والأول أقوىٰ ، والله أعلم .

﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِالنُّذُرِ ﴿٣٣﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّا آلَ لُوطٍ نَجَّيْنَاهُمْ بِسَحَرٍ ﴿٣٤﴾ نِعْمَةً مِنْ عِنْدِنَا كَذَٰلِكَ نَجْزِي مَنْ شَكَرَ ﴿٣٥﴾ وَلَقَدْ أَنْذَرَهُمْ بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا بِالنُّذُرِ ﴿٣٦﴾ وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ عَنْ ضَيْفِهِ فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿٣٧﴾ وَلَقَدْ صَبَّحَهُمْ بُكْرَةً عَذَابٌ مُسْتَقِرٌّ ﴿٣٨﴾ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿٣٩﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ ﴿٤٠﴾ ﴾

يقول تعالىٰ مخبرًا عن قوم لوط كيف كذبوا رسولهم وخالفوه ، وارتكبوا المكروه من إتيان الذكور ، وهي الفاحشة التي لم يسبقهم بها أحد من العالمين . ولهذا أهلكهم الله هلاكًا لم يُهلكه أمةً من الأمم . فإنه تعالىٰ أمر جبريل - عليه السلام - فحمل مدائنهم حتىٰ وصل بها إلىٰ عَنَان السماء ، ثم قلبها عليهم وأرسلها ، وأتبعت بحجارة من سجيل منضود ، ولهذا قال هاهنا . ﴿ إنا أرسلنا عليهم حاصبًا ﴾ ، وهي : الحجارة ، ﴿ إلا آل لوط نجيناهم بسحر ﴾ ، أي : خرجوا من آخر الليل فنجوا مما أُصاب قومهم ، ولم يؤمن بلوط من قومه أحد ولا رجل واحد ، حتىٰ ولا امرأته ، أصابها ما أصاب قومها ، وخرج نبي الله لوط وبنات له من بين أظهرهم سالمًا لم يمسَسْه سوء .

ولهذا قال تعالىٰ : ﴿ كذلك نجزي من شكر * ولقد أنذرهم بطشتنا ﴾ ، أي : ولقد كان قبل حلول العذاب بهم قد أنذرهم بأس الله وعذابه ، فما التفتوا إلىٰ ذلك ، ولا أصغوا إليه ، بل شكوا فيه وتماروا به ، ﴿ ولقد راودوه عن ضيفه ﴾ ، وذلك ليلة وَرَد عليه الملائكة : جبريل ، وميكائيل ، وإسرافيل في صورة شباب مُرد حسان محنةً[٢] من الله بهم ،

---

[١] - في ز : الرابي ثم . وفي خ : الداني ثم .

[٢] - في ز ، خ : حجية . بلا نقط .

فأضافهم لوط [وبعثت امرأته العجوزُ السوءُ إلىٰ قومها ، فأعلمتهم بأضياف لوط][١] فأقبلوا يُهْرَعُون إليه من كل مكان ، فأغلق لوط دونهم الباب ، فجعلوا يحاولون كسر الباب ، وذلك عشية ، ولوط - عليه السلام - يدافعهم ويمانعهم دون أضيافه ، ويقول لهم : ﴿ **هؤلاء بناتي** ﴾ يعني : نساءهم ، ﴿ **إن كنتم فاعلين * قالوا لقد علمت ما لنا في بناتك من حق** ﴾ ، أي : ليس لنا فيهن أَرَبٌ ، ﴿ **وإنك لتعلم ما نريد** ﴾ : فلما اشتد الحال وأبوا إلا الدخول ، خرج عليهم جبريل - عليه السلام - فضرب أعينهم بطرف جناحه ، فانطمست أعينهم . يقال : إنها غارت من وجوههم . وقيل : إنه لم تبق لهم عيون بالكلية ، فرجعوا علىٰ أدبارهم يتحسسون بالحيطان ، ويتوعدون لوطًا عليه السلام إلىٰ الصباح .

قال اللّٰه تعالىٰ : ﴿ **ولقد صبحهم بكرة عذاب مستقر** ﴾ ، أي : لا محيد لهم عنه ، ولا انفكاك لهم منه ، ﴿ **فذوقوا عذابي ونذر * ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر** ﴾ .

وَلَقَدْ جَآءَ ءَالَ فِرْعَوْنَ ٱلنُّذُرُ ﴿٤١﴾ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَٰهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿٤٢﴾ أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أُو۟لَٰٓئِكُمْ أَمْ لَكُم بَرَآءَةٌ فِى ٱلزُّبُرِ ﴿٤٣﴾ أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنتَصِرٌ ﴿٤٤﴾ سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ﴿٤٥﴾ بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَٱلسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ ﴿٤٦﴾

يقول تعالىٰ مخبرًا عن فرعون وقومه أنهم جاءهم رسول اللّٰه موسىٰ وأخوه هارون بالبشارة إن آمنوا ، والنذارة إن كفروا ، وأيدهما بمعجزات عظيمة وآيات متعددة ، فكذبوا بها كلها ، فأخذهم اللّٰه أخذ عزيز مقتدر ، أي : فأبادهم اللّٰه ولم يُبق منهم مخبرًا ولا عينًا ولا أثرًا .

ثم قال : ﴿ **أكفاركم** ﴾ ، أي : أيها المشركون من كفار قريش ﴿ **خير من أولئكم** ﴾ يعني من الذين تقدم ذكرهم ممن أهلكوا بسبب تكذيبهم الرسل ، وكفرهم بالكتب : أأنتم خير أم أولئك ؟ ﴿ **أم لكم براءة في الزبر** ﴾ ، أي : أم معكم[٢] من اللّٰه براءة أن لا ينالكم عذاب ولا نكال[٣] ؟ .

ثم قال تعالى مخبرًا عنهم : ﴿ **أم يقولون نحن جميع منتصر** ﴾ ، أي : يعتقدون أنهم مناصرون بعضهم بعضًا ، وأن جمعهم يغني عنهم مَن أرادهم بسوء ، قال اللّٰه تعالىٰ :

---

[١] - سقط من ز ، خ .

[٢] - في ز ، خ : معهم .

[٣] - سقط من خ .

﴿ سيهزم الجمع ويولون الدبر ﴾ ، أي : سيتفرق شملهم ويغلبون .

قال البخاري : حدثنا إسحاق ، حدثنا خالد ، عن خالد . وقال أيضًا : حدثنا [محمد ، حدثنا عفان بن مسلم][١] ، عن وُهَيب ، عن خالد ، عن عكرمة ، عن ابن عباس : أن النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم قال : وهو في قُبَّة له يوم بدر : « **أنشدك عهدك ووعدك ، اللَّهم إن شئت لم تعبد بعد اليوم أبدًا** » . فأخذ أبو بكر رضي اللَّه عنه بيده وقال : حسبك يا رسول اللَّه ، ألححت علىٰ ربك . فخرج وهو يثب في الدرع وهو يقول : « **﴿ سيهزم الجمع ويولون الدبر * بل الساعة موعدهم والساعة أدهىٰ وأمر ﴾**(٤٨) » . وكذا رواه البخاري والنسائي في غير موضع ، من حديث خالد - وهو ابن[٢] مهران - الحذاء به .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا أبو الربيع الزّهراني ، حدثنا حماد ، عن أيوب[٣] ، عن عكرمة قال : لما نزلت : **﴿ سيهزم الجمع ويولون الدبر ﴾** ، قال[٤] عمر : أيّ جَمْع يهزم ؟ أيّ جَمْع يغلب ؟ قال عمر : فلما كان يوم بدر رأيت رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، يثب في الدرع ، وهو يقول : « **﴿ سيهزم الجمع ويولون الدبر ﴾** » . فعرفت تأويلها يومئذ (٤٩) .

وقال البخاري : حدثنا إبراهيم بن موسىٰ ، حدثنا هشام بن يوسف ؛ أن ابن جُرَيج أخبرهم ، أخبرني يوسف بن ماهَكَ قال : إني عند عائشة أم المؤمنين ، قالت : نزل علىٰ محمد صلىٰ اللَّه عليه وسلم بمكة وإني لجارية ألعب : **﴿ بل الساعة موعدهم ، والساعة أدهىٰ وأمر ﴾**(٥٠) هكذا رواه هاهنا مختصرًا ، ورواه في فضائل القرآن مطولًا(٥١) ، ولم يخرجه مسلم .

---

(٤٨) - أخرجه البخاري في كتاب : التفسير ، باب : **﴿ بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر ﴾** حديث (٤٨٧٧) (٨/٦١٩) . وباب : **﴿ سيهزم الجمع ويولون الدبر ﴾** ، حديث (٤٨٧٥) (٨/٦١٩) . والنسائي في الكبرى في كتاب : التفسير ، باب : **﴿ سيهزم الجمع ويولون الدبر ﴾** ، حديث (١١٥٥٧) (٦/٤٧٧) .

(٤٩) - تفسير الطبري (٢٧/١٠٨) .

(٥٠) - أخرجه البخاري في كتاب : التفسير ، باب : **﴿ بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر ﴾** ، حديث (٤٨٧٦) (٨/٦١٩) .

(٥١) - أخرجه البخاري في كتاب : فضائل القرآن ، باب : تأليف القرآن ، حديث (٤٩٩٣) (٩/٣٨ - ٣٩) .

---

[١] - ما بين المعكوفين في ز ، خ : « محمد بن عفان » .

[٢] - سقط من ز ، خ ، ت .

[٣] - في خ ، ت : أبي أيوب .

[٤] - في ز : قال : قال .

﴿إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ ﴿٤٧﴾ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِى ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا۟ مَسَّ سَقَرَ ﴿٤٨﴾ إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾ وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍۭ بِٱلْبَصَرِ ﴿٥٠﴾ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَآ أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٥١﴾ وَكُلُّ شَىْءٍ فَعَلُوهُ فِى ٱلزُّبُرِ ﴿٥٢﴾ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ ﴿٥٣﴾ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍۭ ﴿٥٥﴾﴾

يخبر[١] تعالىٰ عن المجرمين أنهم في ضلال عن الحق، وسُعُر مما هم فيه من الشكوك والاضطراب في الآراء، وهذا يشمل كل من اتصف بذلك من كافر ومبتدع[٢] من سائر الفرق.

ثم قال: ﴿ يوم يسحبون في النار علىٰ وجوههم ﴾، أي: كما كانوا في سُعُر وشك وتردد أورثهم ذلك النار، وكما كانوا ضلالًا سحبوا[٣] فيها على وجوهم، لا يدرون أين يذهبون، ويقال لهم تقريعًا وتوبيخًا: ﴿ذوقوا مس سقر﴾.

وقوله: ﴿ إنا كل شيء خلقناه بقدر ﴾، كقوله: ﴿ وخلق كل شيء فقدره تقديرًا ﴾ وكقوله: ﴿سبح اسم ربك الأعلى الذي خلق فسوّى والذي قدر فهدىٰ﴾ أي: قدّر قدرًا، وهدىٰ الخلائق إليه. ولهذا يستدل بهذه الآية الكريمة أئمةُ السنة علىٰ إثبات قَدَر الله السابق لخلقه، وهو علمه الأشياء قبل[٤] كونها، وكتابته لها قبل برئها[٥]، وردوا بهذه الآية وبما شاكلها من الآيات، وما ورد في معناها من الأحاديث الثابتات علىٰ الفِرْقة القَدَرية الذين نبغوا في أواخر عصر الصحابة، وقد تكلمنا على هذا المقام مفصلًا، وما ورد فيه من الأحاديث في شرح « **كتاب الإيمان** » من « **صحيح البخاري** » رحمه الله ولنذكر هاهنا الأحاديث المتعلقة بهذه الآية الكريمة.

قال أحمد: حدثنا وكيع، حدثنا سفيان[٦] الثوري، عن زياد بن[٧] إسماعيل السهمي، عن محمد بن عباد بن جعفر، عن أبي هُرَيرة قال: جاء مشركو قريش إلىٰ النبي صلىٰ الله

---

[١] - في ت: يخبرنا.
[٢] - في ز: مبتدع.
[٣] - في خ: يسحبون.
[٤] - سقط من ز، خ.
[٥] - في خ تبرمها.
[٦] - سقط من خ.
[٧] - في ز، خ: عن.

عليه وسلم يخاصمونه في القدر ، فنزلت : ﴿ **يوم يسحبون في النار علىٰ وجوههم ذوقوا مس سقر * إنا كل شيء خلقناه بقدر** ﴾(٥٢) .

[وهكذا رواه مسلم والترمذي وابن ماجة من حديث وكيع عن سفيان الثوري به][١] .

وقال البزار : حدثنا عمرو بن علي ، حدثنا الضحاك بن مخلد ، حدثنا يونس بن الحارث ، عن عمرو بن شعيب ، عن أبيه ، عن جده قال : ما[٢] نزلت هذه الآيات[٣] : ﴿ **إن المجرمين في ضلال وسعر * يوم يسحبون في النار علىٰ وجوههم ذوقوا مس سقر * إنا كل شيء خلقناه بقدر** ﴾ ، إلا في أهل القدر(٥٣) .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا سهل بن صالح الأنطاكي ، حدثني قرة بن حبيب ، عن كنانة ، حدثنا جرير بن حازم ، عن سعيد[٤] بن عمرو بن جَعدَةَ ، عن ابن[٥] زُرارة ، عن أبيه ، عن النبي - صلىٰ اللّٰه عليه وسلم - أنه تلا هذه الآية : ﴿ **ذوقوا مس سقر * إنا كل شيء خلقناه بقدر** ﴾ . قال : « **نزلت في أناس من أمتي يكونون[٦] في آخر الزمان ، يكذبون بقدر اللّٰه** » (٥٤) .

وحدثنا الحسن بن عرفة ، حدثنا مَرْوان بن شجاع الجَزَري ، عن عبد الملك بن جُرَيج ، عن عطاء بن أبي رَبَاح قال : أتيت ابن عباس، وهو يَنْزِع من زمزم ، وقد ابتلت أسافل ثيابه ، فقلت له : قد تُكُلِّم في القدر . فقال : أو فعلوها ؟ قلت : نعم . قال : فواللّٰه ما نزلت هذه الآية إلا فيهم : ﴿ **ذوقوا مس سقر * إنا كل شيء خلقناه بقدر** ﴾ ، أولئك شرار هذه الأمة ، فلا تعودوا مرضاهم ، ولا تُصَلّوا علىٰ موتاهم ، إن رأيت أحدًا منهم فقأت عينيه بأصبعي هاتين (٥٥) .

(٥٢) - أخرجه أحمد (٢/٤٤٤) . ومسلم في كتاب : القدر ، باب : كل شيء بقدر ، حديث (١٩/ ٢٦٥٦) (١٦/٣١٣ - ٣١٤) كلاهما من طريق وكيع .

(٥٣) - أخرجه البزار (٢/١١٠) (١٥١٣) . قال الهيثمي في « مجمع الزوائد » (٧/١٢٠) : رواه البزار وفيه يونس بن الحارث وثقه ابن معين وابن حبان وفيه ضعف ، وبقية رجاله ثقات .

(٥٤) - أخرجه الطبراني في « الكبير » (٥/٢٧٦) (٥٣١٦) من طريق جرير بن حازم .
قال الهيثمي في « مجمع الزوائد » (٧/١٢٠) : رواه الطبراني وفيه من لم أعرفه .
والحديث صححه الألباني بالذي قبله في الصحيحة برقم (١٥٣٩) .

(٥٥) - في إسناده ابن جريج وهو مدلس .

[١] - سقط من ت .
[٢] - في ز : لما .
[٣] - في ز : الآية .
[٤] - في ز ، خ : سعد .
[٥] - في ز ، خ : أبي .
[٦] - في ز : يكذبون .

وقد رواه الإمام أحمد من وجه آخر، وفيه مرفوع فقال:

حدثنا أبو المغيرة، حدثنا الأوزاعي، عن بعض إخوته عن محمد بن عبيد المكي، عن عبدالله ابن عباس قال: قيل له: إن رجلًا قدم علينا يُكَذِّب بالقدر. فقال: دلوني عليه - وهو أعمىٰ - قالوا: وما تصنع به يا أبا عباس. قال: والذي نفسي بيده، لئن استمكنت منه لأعضنَّ أنفه حتىٰ أقطعه، ولئن وقعت رقبته في يدي لأدُقنَّها، فإني سمعت رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم يقول: « **كأني بنساء بني فِهْر يَطُفْنَ بالخزرج، تصطفق ألياتهن مشركات، هذا أول شرك هذه الأمة، والذي نفسي بيده لينتهين بهم سوء رأيهم حتىٰ يخرجوا الله من أن يكون قَدّر خيرًا، كما أخرجوه من أن يكون قَدّر شرًّا** »(٥٦).

ثم رواه أحمد عن أبي المغيرة، عن الأوزاعي، عن العلاء بن الحجاج، عن محمد بن عبيد، فذكر مثله(٥٧). لم يخرجوه.

وقال الإمام أحمد: حدثنا عبد الله بن يزيد، حدثنا سعيد بن[١] أبي أيوب، حدثني أبو صخر، عن نافع قال: كان لابن عمر صديق من أهل الشام يكاتبه، فكتب إليه عبد الله بن عمر: إنه بلغني أنك تكلمت في شيء من القدر، فإياك أن تكتب إليَّ، فإني سمعتُ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم يقول: « **سيكون في أمتي أقوام يكذبون بالقدر** »(٥٨). [رواه أبو داود(٥٩) عن أحمد بن حنبل، به][٢].

وقال أحمد: حدثنا أنس بن عياض، حدثنا عمر بن عبد الله مولىٰ غُفْرَة[٣]، عن عبد الله بن عمر، أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم قال: « **لكل أمة مجوس، ومجوس**

---

(٥٦) - أخرجه أحمد (١/٣٣٠) (٣٠٥٥).
وإسناده ضعيف لجهالة من روى عنهم الأوزاعي لكن يشهد له ما بعده.

(٥٧) - أخرجه أحمد (١/٣٣٠) (٣٠٥٦). وفي إسناده العلاء بن الحجاج؛ ضعفه الأزدي كما في ميزان الاعتدال (٤/١٨) وكذا ذكر ابن حجر في التعجيل.

(٥٨) - أخرجه أحمد (٢/٩٠) (٥٦٣٩). وإسناده حسن من أجل أبي صخر وهو حميد بن زياد، صدوق يهم، وبقية رجاله ثقات. وصححه الشيخ أحمد شاكر في تعليقه على المسند.

(٥٩) - أخرجه أبو داود في كتاب: السنة، باب: في القدر، حديث (٤٧١٠) (٤/٢٢٨) بلفظ: « **لا تجالسوا أهل القدر ولا تفاتحوهم** » من طريق سعيد بن أبي أيوب، قال: حدثني عطاء بن دينار، عن حكيم بن شريك الهذلي، عن يحيى بن ميمون الحضرمي، عن ربيعة الجرشي، عن أبي هريرة عن عمر بن الخطاب، به.

---

[١] - في ز، خ: عن.
[٢] - سقط من ت.
[٣] - في ز: غفر. وفي خ: غفار.

أمتي الذين يقولون : لا قدر . إن مرضوا فلا تعودوهم ، وإن ماتوا فلا تشهدوهم »(٦٠) . لم يخرجه أحد من أصحاب الكتب الستة من هذا الوجه .

وقال أحمد : حدثنا قتيبة ، حدثنا رشْدين ، عن أبي[١] صخر حُميَد بن زياد ، عن نافع ، عن ابن عمر قال : سمعت رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم يقول : **« سيكون في هذه الأمة مَسْخٌ ، ألا وذاك في المكذبين بالقدر والزنديقية »**(٦١) .

ورواه الترمذي وابن ماجه ، من حديث أبي صخر حميد بن زياد ، به(٦٢) . وقال الترمذي : حسن صحيح غريب .

وقال أحمد : حدثنا إسحاق بن الطباع ، أخبرني مالك ، عن زياد بن سعد ، عن عمرو ابن مسلم ، عن طاوس اليماني قال : سمعت ابن عمر قال : قال رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : **« كل شيء بقدر ، حتىٰ العجز والكيس »**(٦٣) . ورواه مسلم منفردًا به ، من حديث مالك(٦٤) .

وفي الحديث الصحيح : **« استعن باللّٰه ولا تَعجز ، فإن أصابك أمر فقل : قَدّر اللّٰه وما شاء فعل ، ولا تقل : لو أني فعلت لكان كذا**[٢] ، **فإن « لو تفتح عمل الشيطان»**(٦٥) .

وفي حديث ابن عباس أن رسول اللّٰه ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، قال له : **« واعلم أن الأمة لو اجتمعوا علىٰ أن ينفعوك بشيء ، لم يكتبه اللّٰه لك ، لم ينفعوك . ولو اجتمعوا**

(٦٠) - أخرجه أحمد (٢/٨٦) . وفي إسناده عمر بن عبد الله مولى غفرة ؛ قال العلائي في « جامع التحصيل » : قال أبو حاتم : لم يلق أنس بن مالك ، وحديثه عن ابن عباس مرسل . وقال ابن معين : لم يسمع من صحابي .اهـ .

(٦١) - أخرجه أحمد (٢/١٠٨) (٥٨٦٧) وفي إسناده رشدين بن سعد وهو ضعيف .

(٦٢) - أخرجه الترمذي في كتاب : القدر ، باب (١٦) ، حديث (٢١٥٤) (٦/٣٢٤) من طريق رشدين .
وأخرجه الترمذي برقم (٢١٥٣) ، وابن ماجة في كتاب : الفتن ، باب : الخسوف ، حديث (٤٠٦١) (٢/١٣٥٠) .
كلاهما من طريق حيوة بن شريح عن حميد بن زياد بنحو حديث رشدين .
وحسن هذا الحديث الألباني في صحيح سنن ابن ماجة (٣٢٨٢) .

(٦٣) - أخرجه أحمد (٢/١١٠) (٥٨٩٣) .

(٦٤) - مسلم في كتاب : القدر ، باب : كل شيء بقدر ، حديث (٢٦٥٥/١٨) (١٦/٣١٣) .

(٦٥) - أخرجه مسلم في كتاب : القدر ، باب : في الأمر بالقوة وترك العجز ، والاستعانة بالله ، وتفويض المقادير لله ، حديث (٢٦٦٤/٣٤) (١٦/٣٢٩) .

---

[١] - في خ : ابن . [٢] - في ز ، خ : هكذا .

علىٰ أن يضروك بشيء ، لم يكتبه اللَّه عليك ، لم يضروك . جفّت الأقلام وطويت الصحف »(٦٦) .

وقال الإمام أحمد : حدثنا الحسن بن سوار ، حدثنا الليث ، عن معاوية ، عن أيوب بن زياد ، حدثني عُبَادة بن الوليد بن عُبَادة ، حدثني أبي قال : دخلتُ علىٰ عبادة وهو مريض أتخايل فيه الموت ، فقلت : يا أبتاه ، أوصني واجتهد لي . فقال : أجلسوني . فلما أجلسوه قال : يا بني ، إنك لم تَطْعَم طَعْم الإيمان ، ولم تبلغ حَقّ حقيقة العلم باللَّه ، حتىٰ تؤمن بالقدر خيره وشره . قلت : يا أبتاه ، وكيف لي أن أعلم ما خيرُ القدر وشره ؟ قال : تعلم أن ما أخطأك لم يكن ليصيبك ، وما أصابك لم يكن ليخطئَك . يا بني ، إني سمعت رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم يقول : « **إن أول ما خلق اللَّه القلم . ثم قال له : اكتب . فجرىٰ في تلك الساعة بما هو كائن إلىٰ يوم القيامة** » . يا بني ، إن متّ ولستَ علىٰ ذلك دخلتَ النار (٦٧) .

ورواه الترمذي عن يحيىٰ بن موسىٰ البلخي ، عن أبي داود الطيالسي ، عن عبد الواحد ابن سليم ، عن عطاء بن أبي رباح ، عن الوليد بن عبادة ، عن أبيه(٦٨) . [و][١]قال : حسن صحيح غريب .

وقال سفيان الثوري ، عن منصور ، عن ربعي بن خراش ، عن رجل ، عن علي بن أبي طالب قال : قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **لا يؤمن عبد**[٢] **حتىٰ يؤمن بأربع : يشهد أن لا إله إلا اللَّه ، وأني رسول اللَّه ، بعثني بالحق [ويؤمن بالموت]**[٣]**، ويؤمن بالبعث بعد الموت ، ويؤمن بالقدر خيره وشره** » . وكذا رواه الترمذي من حديث النضر بن شميل ، عن شعبة ، عن منصور ، به . ورواه من حديث أبي داود الطيالسي ، عن شعبة ، عن منصور ، عن ربعي ، عن علي فذكره(٦٩) وقال : هذا عندي أصح .

---

(٦٦) - أخرجه أحمد (٢٣٣/٤) (٢٦٦٩) . والترمذي في كتاب : صفة القيامة ، باب : ولكن يا حنظلة ساعة وساعة ، حديث (٢٥١٨) (٢٠٣/٧ - ٢٠٤) . كلاهما من طريق ليث بن سعد عن قيس بن الحجاج عن حنش الصنعاني عن ابن عباس - رضي الله عنه - به .

(٦٧) - أخرجه أحمد (٣١٧/٥) (٢٢٨٠٨) . وهو حديث حسن .

(٦٨) - أخرجه الترمذي في كتاب : القدر ، باب : (١٧) ، حديث (٢١٥٦) . وفي إسناده عبد الواحد ابن سليم : ضعيف . قال الترمذي : وهذا حديث غريب . وقد أخرجه أبو داود مختصرًا برقم (٤٧٠٠) من طريق آخر ، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود برقم (٣٩٣٣) .

(٦٩) - أخرجه الترمذي في كتاب : القدر ، باب : ما جاء في الإيمان بالقدر خيره وشره ، حديث =

---

[١] - سقط من ز . [٢] - في خ : أحد .

[٣] - سقط من ز ، خ .

وكذا رواه ابن ماجة من حديث شريك، عن منصور، عن ربعي، عن علي به (٧٠) .

وقد ثبت في صحيح مسلم، من رواية عبد الله بن [وهب وغيره، عن أبي هانيء الخَوْلاني، عن أبي عبد الرحمن الحُبُلي، عن عبد اللّه بن][١] عمرو قال : قال رسول اللّه صلىٰ اللّه عليه وسلم : « **إن اللّه كتب مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة** » . زاد ابن وهب : ﴿ **وكان عرشه علىٰ الماء** ﴾(٧١) . ورواه الترمذي وقال : حسن صحيح غريب (٧٢) .

وقوله : ﴿ **وما أمرنا إلا واحدة كلمح بالبصر** ﴾ . وهذا إخبار عن نفوذ مشيئته في خلقه كما أخبر بنفوذ قَدره فيهم، فقال : ﴿ **وما أمرنا إلا واحدة** ﴾ ، أي : إنما نأمر بالشيء مرة واحدة، لا نحتاج إلىٰ تأكيد بثانية، فيكون ذلك الذي نأمر به حاصلًا موجودًا كلمح البصر، لا يتأخر طرفة عين، وما أحسن ما قال بعض الشعراء :

إذَا مَـا أرَادَ الـلّـه أمْـرًا فَـإنَّـمَـا ... يَـقُـولُ لـهُ : كُـنْ ، قَـولَـةً فَـيَـكُـونُ

وقوله : ﴿ **ولقد أهلكنا أشياعكم** ﴾ ، يعني : أمثالكم وسلفكم من الأمم السالفة المكذبين بالرسل، ﴿ **فهل من مدكر** ﴾ ، أي : فهل من متعظ بما أخزىٰ اللّه أولئك، وقدر لهم من العذاب . كما قال تعالى : ﴿ **وحيل بينهم وبين ما يشتهون كما فعل بأشياعهم من قبل** ﴾.

وقوله : ﴿ **وكل شيء فعلوه في الزبر** ﴾ ، أي : مكتوب عليهم في الكتب التي بأيدي الملائكة عليهم السلام ﴿ **وكل صغير وكبير** ﴾ ، أي[٢] : من أعمالهم ﴿ **مستطر** ﴾ ، أي : مجموع عليهم ومسطر في صحائفهم، لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها .

وقد قال الإمام أحمد : حدثنا أبو عامر، حدثنا سعيد بن [مسلم بن بَانَكَ[٣]][٤] :

= (٢١٤٦) من طريق أبي داود والنضر كلاهما عن شعبة . وإسناده صحيح . وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (١٧٤٤ - ٢٢٤٦) .

(٧٠) - أخرجه ابن ماجة في المقدمة برقم (٨١) من طريق شريك عن منصور (٣٢/١) .

(٧١) - أخرجه مسلم في كتاب : القدر، باب : حجاج آدم وموسى - عليهما السلام - حديث (١٦/ ٢٦٥٣) (٣١٠/١٦ - ٣١١) .

(٧٢) - أخرجه الترمذي في كتاب : القدر، باب : (١٨) ، حديث (٢١٥٧) (٣٢٦/٦) من طريق حيوة ابن شريح عن أبي هانئ - بنحو حديث مسلم .

---

[١] - ما بين المعكوفين سقط من ز، خ . [٢] - سقط من ز .

[٣] - في خ : ماهك .

[٤] - ما بين المعكوفين في ز : « سلم بن ماهك».

سمعت عامر بن عبد الله بن الزبير ، حدثني عوف بن الحارث - وهو ابن أخي عائشة لأمها - عن عائشة أن رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، كان يقول : « **يا عائشة ، إياك ومحقرات الذنوب ؛ فإن لها من الله طالبًا** »(٧٣) . ورواه النسائي وابن ماجة من طريق سعيد بن مسلم بن بانك[١] المدني(٧٤) . وثقه أحمد وابن معين، وأبو حاتم وغيرهم.

وقد رواه الحافظ ابن عساكر في ترجمة سعيد بن مسلم هذا من وجه آخر ، ثم قال سعيد : فحدثت بهذا الحديث عامر بن هشام فقال لي : ويحك يا سعيد بن مسلم ! لقد حدثني سليمان بن المغيرة أنه عمل ذنبا فاستصغره ، فأتاه آت في منامه فقال له : يا سليمان:

لا تَحْقِرَنَّ من الذنوب صغيرًا ... إنّ الصغيرَ غدًا يَعُودُ كَبيرَا
إن الصّغيرَ وَلَو تَقَادَمَ عَهْدُهُ ... عندَ الإلَه مُسَطَّرٌ تَسْطيرَا
فَازْجُرْ هَوَاكَ عَن البَطَالَة ، لا تَكنْ ... صَعْبَ القِيَاد ، وَشَمِّرَنْ تَشْميرَا
إنّ المُحبَّ إذَا أحبّ إلهَهُ ... طَارَ الفُؤادُ وَأُلهِم التَّفْكِيرَا
فَاسْأَلْ هدَايَتَك الإله بِنِيَّة ... فَكَفَىٰ بِرَبّكَ هَاديًا وَنَصِيرَا(٧٥)

وقوله : ﴿ **إن المتقين في جنات ونهر** ﴾ ، أي : بعكس ما الأشقياء فيه من الضلال والسعر ، والسحب في النار علىٰ وجوههم ، مع التوبيخ والتقريع والتهديد .

وقوله : ﴿ **في مقعد صدق** ﴾ ، أي : في دار كرامة الله ورضوانه وفضله ، وامتنانه وجوده وإحسانه ، ﴿ **عند مليك مقتدر** ﴾ ، أي : عند الملك العظيم الخالق للأشياء كلها ومقدرها ، وهو مقتدر علىٰ ما يشاء مما يطلبون ويريدون ، وقد قال الإمام أحمد :

حدثنا سفيان ، عن عمرو بن دينار ، عن عمرو بن أوس ، عن عبد الله بن عَمْرو - يَبْلُغُ به النبي صلىٰ الله عليه وسلم - قال : « **المقسطون عند الله [يوم القيامة][٢]علىٰ منابر من نور ، عن يمين الرحمن ، وكلتا يديه يمين ، الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولوا** »(٧٦) .

---

(٧٣) - أخرجه أحمد (١٥١/٦) . وفي إسناده عوف بن الحارث بن الطفيل ، قال الحافظ : مقبول .

(٧٤) - أخرجه النسائي في الكبرى في كتاب الرقائق كما في تحفة الأشراف للمزي (٢٥٠/١٢) .
وابن ماجة في كتاب : الزهد ، باب : ذكر الذنوب ، حديث (٤٢٤٣) (١٤١٧/٢) .
قال في الزوائد : إسناده صحيح ، رجاله ثقات . وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٥١٣) .

(٧٥) - أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٣٥٣/٧) وانظر السابق .

(٧٦) - أخرجه أحمد (١٦٠/٢) .

---

[١] - في خ : ماهك . [٢] - سقط من ز ، خ .

انفرد بإخراجه مسلم والنسائي من حديث سفيان بن عيينة بإسناده مثله[٧٧] .

آخر تفسير سورة « اقتربت » ولله الحمد والمنة ، وبه التوفيق والعصمة .

[ ][١]

☆ ☆ ☆

(٧٧) - مسلم في كتاب : الإمارة ، باب : فضيلة الإمام العادل ، وعقوبة الجائر ، حديث (١٨٢٧/١٨) (٢٩١/١٢) .

والنسائي في الكبرى في كتاب القضاء ، باب : فضل الحاكم العادل ، حديث (٥٩١٦) (٣/٤٦٠) .

[١] - ما بين المعكوفين في ز : « وصل الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم ، وحسبنا الله ونعم الوكيل ، يتلوه إن شاء الله تعالى في أول السابع تفسير سورة الرحمن - عز وجل - والحمد لله رب العالمين » .

وفي خ : « وحسبنا الله ونعم الوكيل ، وصلي الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم ، وهذا آخر الجزء السادس من تفسير الإمام ابن كثير ويتلوه إن شاء الله الجزء السابع من أول تفسير سورة الرحمن ، والحمد لله رب العالمين - آمين » .

[بسم الله الرحمن الرحيم
رب أعن على إتمامه]
تفسير سورة الرحمن
[وهي مدنية][١]

قال الإمام أحمد(١) : حدثنا عفان ، حدثنا حماد ، عن عاصم ، عن زرّ ؛ أن رجلًا قال [لابن مسعود][٢] : كيف تعرف هذا الحرف : (ماء غير ياسن) أو آسن؟ فقال : كل القرآن قد قرأتُ . قال : إني لأقرأ المفصل أجمعُ[٣] في ركعة واحدة. فقال: أهذًّا كهذ الشعر. لا أبا لك ؟ قد علمت قرائن النبي صلىٰ الله عليه وسلم التي كان يَقْرِنُ قرينتين قرينتين من أول المفصل ، وكان أول مفصل ابن مسعود ﴿ الرحمن ﴾ .

وقال أبو عيسىٰ الترمذي(٢) : حدثنا [عبد الرحمن بن واقد أبو مسلم][٤] ، حدثنا الوليد بن مسلم ، عن زهير بن محمد ، عن محمد بن المنكدر ، عن جابر؛ قال : خرج رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم علىٰ أصحابه فقرأ عليهم « **سورة الرحمن** » ، من أولها إلىٰ آخرها ، فسكتوا فقال : « **لقد قرأتها علىٰ الجن ليلة الجن ، فكانوا أحسن مَردُودًا منكم ، كنت كلما أتيت علىٰ قوله : ﴿ فبأي آلاء ربكما تكذبان ﴾ ، قالوا : لا بشيء من نعمك - رَبَّنا - نكذب ، فلك الحمد** » .

ثم قال : هذا حديث غريب ، لا نعرفه إلا من حديث الوليد بن مسلم ، عن زهير بن محمد . ثم حكي عن الإمام أحمد أنه كان لا يعرفه ، ينكر رواية أهل الشام عن زهير بن محمد هذا .

---

(١) - **إسناده حسن** ، أخرجه أحمد (٤١٢/١) برقم (٣٩١٠) . وقد صححه الشيخ أحمد شاكر في تعليقه على المسند .

(٢) - **حسن** ، أخرجه الترمذي في كتاب : تفسير القرآن ، باب : ومن سورة الرحمن ، حديث (٣٢٨٧) ، وأخرجه الحاكم (٤٧٣/٣) ، والبيهقي في الدلائل (٢٣٢/٢) من طريق عبد الرحمن بن واقد به ، وقال الحاكم : صحيح على شرط الشيخين . وقال أبو عيسى الترمذي : وسمعت محمد بن إسماعيل البخاري يقول : أهل الشام يروون عن زهير بن محمد مناكير ، وأهل العراق يروون عنه أحاديث مقاربة . والحديث حسنه الشيخ الألباني في الصحيحة (٢١٥٠) بطرقه .

---

[١] - في ز، خ : وهي مكية .

[٢] - سقط من ز ، خ .

[٣] - سقط من ز ، خ .

[٤] - ما بين المعكوفين في خ : « واقد حدثنا عبد الرحمن بن مسلم » .

ورواه الحافظ أبو بكر البزار ، عن عمرو بن مالك ، عن الوليد بن مسلم . وعن عبد الله بن أحمد بن شَبويه ، عن هشام بن عمار[١] كلاهما[٢] عن الوليد بن مسلم به . ثم قال : لا نعرفه يروىٰ إلا من هذا الوجه .

وقال أبو جعفر بن جرير (٣) : [حدثنا محمد بن عباد بن موسى وعمرو بن مالك البصري قالا][٣] حدثنا يحيىٰ بن سليم ، عن إسماعيل بن أمية ، عن نافع ، عن ابن عمر ؛ أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم قرأ « **سورة الرحمن** » - أو : قُرِئَت عنده - فقال : « **ما لي أسمع الجن أحسن جوابًا لربها منكم ؟** » . قالوا : وما ذاك يا رسول الله ؟ قال : « **ما أتيت علىٰ قول الله : ﴿ فبأي آلاء ربكما تكذبان؟ ﴾** إلا قالت الجن : لا بشيء [من نعمة][٤] ربنا نكذّب ./

ورواه الحافظ البزار ، عن عمرو بن مالك به . ثم قال : « لا نعلمه يروىٰ عن النبي صلىٰ الله عليه وسلم إلا من هذا الوجه ، بهذا الإسناد .

ٱلرَّحْمَٰنُ ﴿١﴾ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ﴿٢﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ ﴿٣﴾ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ ﴿٤﴾
ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ﴿٥﴾ وَٱلنَّجْمُ وَٱلشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ﴿٦﴾ وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا
وَوَضَعَ ٱلْمِيزَانَ ﴿٧﴾ أَلَّا تَطْغَوْا۟ فِى ٱلْمِيزَانِ ﴿٨﴾ وَأَقِيمُوا۟ ٱلْوَزْنَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا
تُخْسِرُوا۟ ٱلْمِيزَانَ ﴿٩﴾ وَٱلْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ ﴿١٠﴾ فِيهَا فَٰكِهَةٌ وَٱلنَّخْلُ ذَاتُ
ٱلْأَكْمَامِ ﴿١١﴾ وَٱلْحَبُّ ذُو ٱلْعَصْفِ وَٱلرَّيْحَانُ ﴿١٢﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٣﴾

يخبر تعالىٰ عن فضله ورحمته بخلقه ؛ أنه أنزل علىٰ عباده القرآن ، ويسّر حفظه وفهمه علىٰ من رحمه ، فقال : **﴿ الرحمن * علم القرآن * خلق الإنسان * علمه البيان ﴾** . قال الحسن : يعني النطق . وقال الضحاك ، وقتادة ، وغيرهما : يعني الخير والشر . وقول الحسن هاهنا أحسن وأقوىٰ ؛ لأن السياق في تعليمه تعالىٰ القرآن ، وهو أداء تلاوته ، وإنما يكون ذلك بتيسير النطق علىٰ الخلق ، وتسهيل خروج الحروف من مواضعها ، من الحلق واللسان

(٣) - تفسير الطبري (٢٧/١٢٣ - ١٢٤) . وأخرجه البزار كما في مجمع الزوائد (٧/١٢٠) ، وهو حديث حسن بالذي قبله .

[١] - في ت : « عمارة » .
[٢] - في ت : « كليهما » .
[٣] - ما بين المعكوفين سقط من : ت .
[٤] - سقط من ز ، خ .

والشفتين ، علىٰ اختلاف مخارجها وأنواعها .

وقوله : ﴿ **الشمس والقمر بحسبان** ﴾ ، أي : يجريان متعاقبين بحساب مُقَنَّن لا يختلف ولا يضطرب ، ﴿ **لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار، وكل في فلك يسبحون** ﴾ وقال تعالى: ﴿ **فالق الإصباح وجاعل[١] الليل سكنًا والشمس والقمر حسبانًا ذلك تقدير العزيز العليم** ﴾ .

وعن عكرمة أنه قال : لو جعل اللَّه نور جميع أبصار الإِنس والجن والدواب والطير في عيني عبد ، ثم كشف حجابًا واحدًا من سبعين حجابًا دون الشمس ، لما استطاع أن ينظر إليها . و[نور][٢] الشمس جزء من سبعين جزءًا من نور الكرسي ، ونور الكرسي جزء من سبعين جزءًا من نور العرش ، ونور العرش جزء من سبعين جزءًا من نور الستر . فانظر ماذا أعطىٰ اللَّه عبده من النور / في عينيه [وقت][٣] النظر إلىٰ وجه ربه الكريم عيانًا . رواه ابن أبي حاتم .

وقوله : ﴿ **والنجم والشجر يسجدان** ﴾ . قال ابن جرير : اختلف المفسرون في معنىٰ قوله : ﴿ **والنجم** ﴾ بعد إجماعهم علىٰ أن الشجر ما قام علىٰ ساق ، فروىٰ علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس ؛ قال : النجم ما انبسط علىٰ وجه الأرض - يعني من النبات . وكذا قال سعيد بن جبير والسدي ، وسفيان الثوري ، وقد اختاره ابن جرير رحمه الله .

وقال مجاهد : النجم الذي في السماء . وكذا قال الحسن ، وقتادة . وهذا القول هو الأظهر ، واللَّه أعلم ، لقوله تعالىٰ : ﴿ **ألم تر أن اللَّه يسجد له من في السماوات ومن في الأرض، والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب ، وكثير من الناس ...** ﴾ الآية .

وقوله : ﴿ **والسماء رفعها ووضع الميزان** ﴾ ، يعني العدل ، كما قال : ﴿ **لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان؛ ليقوم الناس بالقسط** ﴾ . وهكذا قال هاهنا : ﴿ **ألا تطغوا في الميزان** ﴾ ، أي : خلق السماوات والأرض بالحق والعدل ، لتكون الأشياء كلها بالحق والعدل .

ولهذا قال : ﴿ **وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان** ﴾ ، أي : لا تبخسوا الوزن ، بل زنوا بالحق والقسط ، كما قال : ﴿ **وزنوا بالقسطاس المستقيم** ﴾ .

---

[١] - في ت : « وجاعل » . [٢] - سقط من ز ، خ .

[٣] - سقط من ز ، خ .

وقوله : ﴿ **والأرض وضعها للأنام** ﴾ ، أي : كما رفع السماء وضع الأرض ومَهَدها ، وأرساها بالجبال الراسيات الشامخات ، لتستقر لما علىٰ وجهها من الأنام ، وهم : الخلائق المختلفة أنواعهم وأشكالهم وألوانهم وألسنتهم ، في سائر أقطارها وأرجائها .

قال ابن عباس ، ومجاهد ، وقتادة ، وابن زيد : الأنام : الخلق . ﴿ **فيها فاكهة** ﴾ ، أي : مختلفة الألوان والطعوم والروائح ، ﴿ **والنخل ذات الأكمام** ﴾ : أفرده بالذكر لشرفه ونفعه[١] ، رطبًا ويابسًا . والأكمام قال ابن جريج ، عن ابن عباس - : هي[٢] أوعية الطلع . وهكذا قال غير واحد من المفسرين ، وهو الذي يطلع فيه القنو ثم ينشق عن العنقود ، فيكون بسرًا ، ثم رطبًا ، ثم ينضج ويتناهىٰ نفعه[٣] واستواؤه .

قال ابن أبي حاتم : ذُكرَ عن عمرو بن علي الصيرفي ؛ حدثنا أبو قتيبة ، حدثنا يونس بن الحارث الطائفي ، عن الشعبي قال : كتب قيصر إلىٰ عمر بن الخطاب ، أخبرك أن رسلي أتتني من قبلك ، فزعمت أن قبلكم شجرة ليست بخليقة لشيء من الخير ، تخرج / مثل آذان الحمير ، ثم تشقق مثل اللؤلؤ ، ثم تخضر فتكون مثل الزمرد الأخضر ، ثم تحمر فتكون كالياقوت الأحمر ، ثم تينع وتنضُج فتكون كأطيب فالوذج أكل ، ثم تيبس فتكون عصْمَةً للمقيم وزادًا للمسافر ، فإن تكن رسلي صدقتني فلا أرىٰ هذه الشجرة إلا من شجر الجنة . فكتب إليه عمر بن الخطاب : من عمر أمير المؤمنين إلىٰ قيصر ملك الروم : إن رسلك قد صَدَقُوكَ ، هذه الشجرة عندنا ، وهي الشجرة التي أنبتها الله علىٰ مريم حين نفست بعيسىٰ ابنها ، فاتق الله ولا تتخذ عيسىٰ إلهًا من دون الله فإن ﴿ **مثل عيسىٰ عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له : كن فيكون . الحق من ربك فلا تكن من الممترين** ﴾(٤) .

وقيل : الأكمام : رفاتها ، وهو الليف الذي على عنق النخلة . وهو قول الحسن وقتادة .

﴿ **والحب ذو العصف والريحان** ﴾ ، قال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : ﴿ **والحب ذو العصف** ﴾ ، يعني : التبن .

وقال العوفي عن ابن عباس : ﴿ **العصف** ﴾ : ورق الزرع الأخضر الذي قطع رءوسه ، فهو يسمَّى العصف ، إذا يبس . وكذا قال قتادة والضحاك . وأبو مالك : عصفه : تبنه .

وقال ابن عباس ، ومجاهد ، وغير واحد : ﴿ **والريحان** ﴾ ، يعني : الورق .

---

(٤) - في إسناده يونس بن الحارث الطائفي وهو ضعيف .

---

[١] - في ز : « ونعه » . [٢] - في ز : « هو » .
[٣] - في ت : « ينعه » .

وقال الحسن: هو ريحانكم هذا. وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: ﴿والريحان﴾: خضر الزرع.

ومعنىٰ هذا - والله أعلم - أن الحب كالقمح والشعير ونحوهما له في حال نباته عصف، وهو: ما علىٰ السنبلة، وريحان، وهو: الورق الملتف علىٰ ساقها.

وقيل: العصف: الورق أول ما ينبت الزرع بقلًا. والريحان: الورق، يعني: إذا أدجن وانعقد فيه الحب. كما قال زيد بن عمرو بن نفيل في قصيدته المشهورة:

[وقولا له: مَنْ يُنْبِتُ الحَبَّ في الثَّرىٰ فيُصْبِحَ منه البقلُ يَهْتَزّ رَابيا ؟][١]
وَيُخْرِجُ منه حَبَّه في رُءُوسه ؟ فَفي ذَاك آياتٌ لمَنْ كَانَ وَاعيا

وقوله: ﴿ فبأي آلاء ربكما تكذبان ﴾، أي: فبأي الآلاء - يا معشر الثقلين، من الإنس والجن - تكذبان؟ قاله مجاهد، وغير واحد. ويدل عليه السياق بعده، أي: النِّعَمُ ظاهرة عليكم وأنتم مغمورون بها، لا تستطيعون إنكارها ولا جحودها، فنحن نقول كما قالت الجن المؤمنون: اللَّهم؛ ولا بشيء من آلائك ربنا نكذب، فلك الحمد. وكان[٢] ابن عباس يقول: لا، بأيها[٣] يا رب. أي: لا نكذب بشيء منها.

قال الإمام أحمد: / حدثنا يحيىٰ بن إسحاق، حدثنا ابن لَهِيعة، عن أبي الأسود، عن عروة، عن أسماء بنت أبي بكر؛ قالت: سمعت رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم وهو يقرأ، وهو يصلي نحو الركن قبل أن يَصْدَعَ بما يؤمر، والمشركون يستمعون[٤]: ﴿ فبأي آلاء ربكما تكذبان ﴾ (٥).

﴿ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ كَٱلْفَخَّارِ ﴿١٤﴾ وَخَلَقَ ٱلْجَآنَّ مِن مَّارِجٍ مِّن
نَّارٍ ﴿١٥﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٦﴾ رَبُّ ٱلْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ ٱلْمَغْرِبَيْنِ ﴿١٧﴾ فَبِأَيِّ
ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٨﴾ مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴿١٩﴾ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ ﴿٢٠﴾
فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢١﴾ يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴿٢٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ

(٥) - المسند (٣٤٩/٦) (٢٧٠٦٧)، قال الهيثمي في «المجمع» (١٢٠/٧): رواه أحمد وفيه ابن لهيعة، وفيه ضعف وحديثه حسن، وبقية رجاله رجال الصحيح.

[١] - ما بين المعكوفين سقط من ز، خ.
[٢] - في خ: وقال.
[٣] - في ز: «ما بها» هكذا بدون نقط.
[٤] - في ز: «يسمعون».

رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٣﴾ وَلَهُ ٱلْجَوَارِ ٱلْمُنشَـَٔاتُ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَـٰمِ ﴿٢٤﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٥﴾

يذكر تعالىٰ خَلْقَه الإِنسان من صلصال كالفخار ، وخلقه الجان من مارج من نار ، وهو : طرف لهبها . قاله الضحاك ، عن ابن عباس . وبه يقول عكرمة ومجاهد، والحسن وابن زيد .

وقال العوفي ، عن ابن عباس : ﴿ **من مارج من نار** ﴾ : من لهب النار ، من أحسنها .

وقال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : ﴿ **من مارج من نار** ﴾ : من خالص النار . وكذا قال عكرمة ، ومجاهد ، والضحاك ، وغيرهم .

وقال الإِمام أحمد (٦) : حدثنا عبد الرزاق ، أخبرنا معمر ، عن الزهري ، عن عروة ، عن عائشة؛ قالت : قال رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم : « **خُلقت الملائكة من نور ، وخُلق الجان من مارج [من نار]**[١] **، وخلق آدم مما وصف لكم** » .

ورواه مسلم عن محمد بن رافع وعبد بن حميد كلاهما[٢] عن عبد الرزاق به(٧) .

وقوله : ﴿ **فبأي آلاء ربكما تكذبان** ﴾ ، تقدم تفسيره . ﴿ **رب المشرقين ورب المغربين** ﴾ ، يعني مشرقي الصيف والشتاء ، ومغربي الصيف والشتاء . وقال في الآية الأخرىٰ : ﴿ **فلا أقسم برب المشارق والمغارب** ﴾ ، وذلك باختلاف مطالع الشمس وتنقلها في كل يوم ، وبروزها منه إلىٰ الناس . وقال في الآية الأخرىٰ : ﴿ **رب المشرق والمغرب لا إله إلا هو فاتخذه وكيلا** ﴾ ، وهذا المراد منه جنس المشارق والمغارب ، [ولما كان في اختلاف هذه المشارق والمغارب][٣]مصالح للخلق من الجن والإِنس قال : ﴿ **فبأي آلاء ربكما تكذبان** ﴾ .

وقوله : ﴿ **مرج البحرين يلتقيان** ﴾ قال ابن عباس : أي : أرسلهما .

---

(٦) - المسند أحمد (١٥٣/٦) (٢٥٣٠٣) .

(٧) - مسلم في كتاب : الزهد ، باب : في أحاديث متفرقة ، حديث (٢٩٩٦/٦٠) (١٦٧/١٨) . وعبد ابن حميد (١٤٧٩ - منتخب) .

---

[١] - سقط من ز ، خ .

[٢] - في ت : « كليهما » .

[٣] - ما بين المعكوفين سقط من خ .

[وقوله : ﴿ يلتقيان ﴾ قال ابن زيد : أي منعهما أن يلتقيا ، بما جعل بينهما من البرزخ الحاجز الفاصل بينهما][١] .

والمراد بقوله : ﴿ البحرين ﴾ : الملح والحلو ، فالحلو[٢] هذه الأنهار السارحة بين / الناس . وقد قدمنا الكلام علىٰ ذلك في « سورة الفرقان » عند قوله تعالىٰ : ﴿ **وهو الذي مرج البحرين هذا عذب فرات وهذا ملح أجاج وجعل بينهما برزخًا وحجرًا محجورًا** ﴾ . وقد اختار ابن جرير هاهنا أن المراد بالبحرين : بحر السماء وبحر الأرض . وهو يروى[٣] عن مجاهد ، وسعيد بن جبير ، وعطية ، وابن أبزىٰ .

قال ابن جرير: لأن اللؤلؤ يتولد من ماء السماء وأصداف بحر الأرض.

وهذا وإن كان هكذا ليس المراد ما ذهب إليه ؛ فإنه لا يساعده اللفظ ، فإنه تعالىٰ قد قال : ﴿ **بينهما برزخ لا يبغيان** ﴾ ، أي : وجعل بينهما برزخًا ، وهو : الحاجز من الأرض ، لئلا يبغي هذا علىٰ هذا ، [وهذا علىٰ هذا][٤] ، فيُفسد كل واحد منهما الآخر ، ويزيله عن صفته التي هي مقصودة منه . وما بين السماء والأرض لا يسمىٰ برزخًا وحجرًا محجورًا .

وقوله : ﴿ **يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان** ﴾ ، أي : من مجموعهما ، فإذا وُجدَ ذلك لأحدهما كفىٰ ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **يا معشر الجن والإنس ألم يأتكم رسل منكم** ﴾ . والرسل إنما كانوا في الإِنس خاصة دون الجن ، وقد صح هذا الإِطلاق .

واللؤلؤ [معروف[٥] ، وأما المرجان فقيل : هو][٦]صغار اللؤلؤ.

قاله مجاهد [وقتادة][٧] ، وأبو رزين والضحاك . وروي عن علي .

وقيل : كباره وجَيّده . حكاه ابن جرير عن بعض السلف . ورواه ابن أبي حاتم عن الربيع ابن أنس ، وحكاه عن السدي ، عمن حدثه ، عن ابن عباس . وروى مثله عن علي ، ومجاهد أيضًا ، ومرة[٨] الهمداني .

وقيل: هو نوع من الجواهر أحمر اللون .

---

[١] - ما بين المعكوفين سقط من ز ، خ .
[٢] - سقط من خ .
[٣] - في ت : « مروي » .
[٤] - سقط من خ .
[٥] - في ز : « فردق » .
[٦] - ما بين المعكوفين في خ : « ورق والمرجان يقبل هذا » .
[٧] - سقط من ز ، خ .
[٨] - بياض في ز . وفي خ : وقال .

قال [السدي][١] : عن أبي مالك ، عن مسروق ، عن عبد اللّٰه قال : المرجان : الخرز الأحمر . قال السدي : وهو البسَّذ[٢] بالفارسية .

وأما قوله : ﴿ومن كل تأكلون لحمًا طريًّا وتستخرجون [ ][٣] حلية تلبسونها﴾ فاللحم من كلٍّ من[٤] الأجاج والعذب ، والحلية إنما هي من الملح دون العذب .

قال ابن عباس : ما سقطت قط قطرة من السماء في البحر ، فوقعت في صدفة إلا صار منها لؤلؤة . وكذا قال عكرمة ، وزاد : فإذا لم تقع في صَدَفة نبتت بها عَنْبَرة . ورُوي من غير وجه عن ابن عباس نحوه .

وقد قال ابن أبي حاتم : حدثنا أحمد بن سنان ، حدثنا عبد الرحمن بن مهدي ، حدثنا سفيان ، عن الأعمش عن عبد اللّٰه بن عبد اللّٰه ، عن سعيد بن جُبَير ، عن ابن عباس؛ قال : إذا أمطرت / السماء ، فتحت الأصداف في البحر أفواهها ، فما وقع فيها - يعني من قطر - فهو اللؤلؤ .

إسناده صحيح ، ولما كان اتخاذ هذه الحلية نعمة علىٰ أهل الأرض ، امتن بها عليهم فقال : ﴿ فبأي آلاء ربكما تكذبان ﴾ .

[وقوله : ﴿ وله الجوار المنشآت ﴾ يعني : السفن التي تجري في البحر ، قال مجاهد : ما رفع قلعه من السفن فهي مُنشأة ، وما لم يرفع قلعه فليس بمنشأة . وقال قتادة : ﴿المنشآت﴾ : يعني المخلوقات . وقال غيره : المنشآت - بكسر الشين - : يعني البادئات .

﴿ كالأعلام ﴾ ، أي : كالجبال في كبرها ، وما فيها من المتاجر والمكاسب المنقولة من قطر إلىٰ قطر ، وإقليم إلىٰ إقليم ، مما فيه صلاح للناس في جَلْب ما يحتاجون إليه من سائر أنواع البضائع ، ولهذا قال : ﴿ فبأي آلاء ربكما تكذبان ﴾][٥] .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا موسىٰ بن إسماعيل ، حدثنا حماد بن سلمة ، حدثنا العَرَار[٦] بن سُوَيد ، عن عميرة بن سعد[٧]؛ قال : كنت مع علي بن أبي طالب - رضي اللّٰه عنه على شاطئ الفرات ، إذ أقبلت سفينة مرفوع شراعها ، فبسط عليٌّ يديه ثم قال : يقول اللّٰه عز وجل : ﴿ وله الجوار المنشآت في البحر كالأعلام ﴾ . والذي أنشأها

---

[١] - في ز ، خ : « ابن عياش » .
[٢] - في ز : « الكسد » . وفي خ : « الكسر» .
[٣] - في ز : منه .
[٤] - سقط من خ .
[٥] - ما بين المعكوفين سقط من خ .
[٦] - في خ : الفزار .
[٧] - في ز : « سويد » .

تجري في بحوره ما قتلتُ عثمان ، ولا مالأت[١] علىٰ قتله .

﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٨﴾ يَسْأَلُهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴿٢٩﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٠﴾﴾

يخبر تعالىٰ أن جميع أهل الأرض سيذهبون ويموتون أجمعون ، وكذلك أهل السماوات ، إلا من شاء الله ، ولا يبقىٰ أحد سوىٰ وجهه الكريم ، فإن الرب تعالىٰ وتقدس لا يموت ، بل هو الحي الذي لا يموت أبدًا .

قال قتادة : أنبأ بما خلق ، ثم أنبأ أن ذلك كله فان[٢] .

وفي الدعاء المأثور : يا حي ، يا قيوم ، يا بديع السماوات والأرض ، يا ذا الجلال والإكرام ، لا إله إلا أنت ، برحمتك نستغيث ، أصلح لنا شأننا كله ، ولا تكلنا إلىٰ [أنفسنا طرفة عين ، ولا إلىٰ][٣] أحد من خلقك .

وقال الشعبي : إذا قرأت : ﴿ **كل من عليها فان** ﴾ فلا تسكن[٤] حتى تقرأ : ﴿ **ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام** ﴾ .

وهذه الآية كقوله تعالىٰ : ﴿ **كل شيء هالك إلا وجهه** ﴾ . وقد نعت تعالىٰ وجهه الكريم في هذه الآية الكريمة بأنه ﴿ **ذو الجلال والإكرام** ﴾ ، أي : هو أهل أن يجل فلا يعصىٰ ، وأن يطاع فلا يخالف ، كقوله : ﴿ **واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة / والعشي يريدون وجهه** ﴾ . وكقوله إخبارًا عن المتصدقين : ﴿ **إنما نطعمكم لوجه الله** ﴾ .

قال ابن عباس : ﴿ **ذو الجلال والإكرام** ﴾ : ذو العظمة والكبرياء .

ولما أخبر عن تساوي أهل الأرض كلهم في الوفاة ، وأنهم سيصيرون إلىٰ الدار الآخرة ، فيحكم فيهم ذو الجلال والإكرام بحكمه[٥] العدل قال : ﴿ **فبأي آلاء ربكما تكذبان** ﴾ .

وقوله : ﴿ **يسأله من في السماوات والأرض كل يوم هو في شأن** ﴾ ، وهذا إخبار عن

---

[١] - في ز : « ساءلت » .
[٢] - في ت : كان .
[٣] - سقط من ز ، خ .
[٤] - في خ : تسكت .
[٥] - في ز ، خ : « بعلمه » .

غناه عما سواه ، وافتقار الخلائق إليه في جميع الآنات ، وأنهم يسألونه بلسان حالهم وقالهم ، وأنه كل يوم هو في شأن .

قال الأعمش عن مجاهد ، عن عبيد بن عُمير : ﴿ **كل يوم هو في شأن** ﴾ قال : من شأنه أن يجيب داعيًا ، أو[١] يعطي سائلًا أو يفك عانيًا ، أو يشفي سَقيمًا .

وقال ابن أبي نَجيح ، عن مجاهد ؛ قال : كل يوم هو يجيب داعيًا ، ويكشف كربًا ، ويجيب مضطرًا ، ويغفر ذنبًا .

وقال قتادة : لا يستغني عنه أهل السماوات والأرض ، يُحيي حَيًّا ، ويميت ميتًا ، ويربي صغيرًا ، ويفك أسيرًا ، وهو مُنتَهَىٰ حاجات الصالحين وصريخهم ، ومنتهىٰ شكواهم .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا[٢] أبو اليمان الحمصي ، حدثنا حريز[٣] بن عثمان ، عن سويد بن جَبَلة - هو الفزاري - قال : إن ربكم كل يوم هو في شأن ، فيعتق رقابًا ، ويُعطي رغابًا ، ويقحم عقابًا (٨) .

وقال ابن جرير : حدثني عبد اللّٰه بن محمد بن عمرو[٤] الغَزّي[٥] ، حدثني إبراهيم بن محمد بن يوسف الفريابي ، حدثني عمرو بن بكر السكسكي ، حدثنا الحارث بن عبدة بن رباح الغساني ، عن أبيه ، عن مُنيب بن عبد اللّٰه بن مُنيت الأزدي ، عن أبيه ؛ قال : تلا رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم هذه الآية : ﴿ **كل يوم هو في شأن** ﴾ ، فقلنا : يا رسول اللّٰه ؛ وما ذاك الشأن ؟ قال : « **أن يغفر ذنبًا ، ويفرج كربًا ، ويرفع قومًا ، ويضع آخرين** »(٩) .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا هشام بن عمار ، وسليمان بن أحمد الواسطي ؛ قالا : حدثنا الوزير بن صَبيح الثقفي أبو روح الدمشقي - والسياق لهشام - قال : سمعت يونس[٦] ابن ميسرة بن حَلْبَس يحدث عن أم الدرداء ، عن أبي الدرداء ، عن النبي صلىٰ اللّٰه

(٨) - عزاه السيوطي في الدر (١٥٩/٦) إلى عبد بن حميد .

(٩) - أخرجه الطبري (١٣٥/٢٧) . وأخرجه البزار كما في مختصر ابن حجر (١١١/٢) (١٥١٦) من طريق عمرو ، وقال : في الإسناد مجاهيل . قال الهيثمي في « المجمع » (١٢٠/٧) : رواه الطبراني في الكبير والأوسط والبزار ، وفيه من لم أعرفهم .

[١] - في ز ، خ : « و » .

[٢] - سقط من خ .

[٣] - في ز : « جرير » .

[٤] - في ز : « عمر » .

[٥] - في ز ، خ : « العبدي » .

[٦] - في ز : « يوسف » .

عليه وسلم؛ قال: « **قال الله عز وجل: ﴿كل يوم هو في شأن﴾** ، قال: من شأنه أن يغفر ذنبًا ، ويفرج كربًا ، ويرفع قومًا ، ويضع آخرين »(١٠) .

وقد رواه ابن عساكر من طرق متعددة ، عن / [٧ز / ٦و] هشام بن عمار به . ثم ساقه من حديث أبي [همام][١] الوليد بن شجاع عن الوزير بن صبيح؛ قال: [ودلّنا][٢] عليه الوليد بن مسلم ، عن مُطرف ، عن الشعبي ، عن أم الدرداء ، عن أبي الدرداء ، عن النبي صلىٰ الله عليه وسلم ... فذكره(١١) . قال: والصحيح الأول . يعني: إسناده الأول .

قلت: وقد روي موقوفًا كما [ ][٣] علقه البخاري بصيغة الجزم، فجعله من كلام أبي الدرداء، فالله أعلم(١٢) .

وقال البزار: حدثنا محمد بن المثنىٰ ، حدثنا محمد بن الحارث ، حدثنا محمد بن عبد الرحمن ابن البيلماني[٤] ، عن أبيه ، عن ابن عمر ، عن النبي صلىٰ الله عليه وسلم: **﴿كل يوم هو في شأن﴾** ، قال: « **يغفر ذنبًا ، ويكشف كربًا** »(١٣) .

ثم قال ابن جرير: وحدثنا أبو كريب ، حدثنا عبيد[٥] الله بن موسىٰ ، عن أبي حمزة[٦] الثمالي[٧] ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس؛ أن الله خلق لوحًا محفوظًا من درة بيضاء ، دفتاه ياقوتة حمراء ، قلمه نور ، وكتابته[٨] نور ، عرضه ما بين السماء والأرض ،

---

(١٠) - والحديث أخرجه ابن ماجة برقم (٢٠٢) ، وفي الزوائد: إسناده حسن . والطبراني الأوسط (٣١٤٠) . والوزير فيه ضعف . وانظر تغليق التعليق (٣٣٣/٤) .

(١١) - تاريخ ابن عساكر (٧٧١/١٨ - مخطوط) .

(١٢) - أخرجه البخاري في الصحيح في تفسير سورة الرحمن (٦٢٠/٨) .
ووصله البيهقي في الشعب (٣٦/٢) (١١٠٢) قال: أخبرنا أبو نصر بن قتادة ، أنا أبو عمرو بن مطر ، قال: أنا جعفر بن محمد بن الحسن بن المستفاض ، ثنا إبراهيم بن المستفاض ، ثنا إبراهيم بن هشام ، ثنا سعيد بن عبد العزيز التنوخي ، عن إسماعيل بن عبيد الله ، عن أم الدرداء قالت: قال أبو الدرداء ... فذكره ، وإبراهيم بن هشام هو ابن يحيى الغسان ، قال أبو حاتم: كذاب . « الجرح والتعديل » (٢/ ١٤٣) .

(١٣) - أخرجه البزار كما في مختصر ابن حجر (١١١/٢) (١٥/٥) وقال: البيلماني ضعيف . وكذا ضعفه ابن حجر كما في التقريب .

---

[١] - سقط من ز ، خ .
[٢] - بياض في ز . وسقط من خ .
[٣] - في ز ، خ .
[٤] - في ز: « السلماني » .
[٥] - في ز ، خ : « عبد » .
[٦] - في ز: « حزة » .
[٧] - في ز ، خ: « اليماني » .
[٨] - في ت: « وكتابه » .

ينظر فيه كل يوم ثلاثمائة وستين نظرة ، يخلق في كل نظرة ويحي ويميت ، ويعز ويذل ، ويفعل ما يشاء(١٤) .

﴿ سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ الثَّقَلَانِ ﴿٣١﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٢﴾ يَٰمَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ فَانفُذُوا لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَٰنٍ ﴿٣٣﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٤﴾ يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنتَصِرَانِ ﴿٣٥﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٦﴾

قال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس في قوله : ﴿ **سنفرغ لكم أيها الثقلان** ﴾ ، قال : وعيد من الله للعباد ، وليس بالله شغل وهو فارغ[١] . وكذا قال الضحاك : هذا وعيد . وقال قتادة : قَدْ دَنَا من الله فراغ لخلقه . وقال ابن جريج : ﴿ **سنفرغ لكم** ﴾ ، أي : سنقضي[٢] لكم (١٥) .

وقال البخاري : سيحاسبكم[٣] ، لا يشغله شيء عن شيء ، وهو معروف في كلام العرب ، يقال : لأتفرغَنّ لك وما به شُغْل ، يقول : لآخذنك[٤] على غرّتك .

وقوله : ﴿ **أيها الثقلان** ﴾ الثقلان : الإنس والجن ، كما جاء في الصحيح : « **يسمعها**[٥] **كل شيء إلا الثقلين** »(١٦) . وفي رواية : « **إلا الجن والإنس** » . وفي حديث [الصور : «**الثقلان الإنس والجن**][٦] ﴿ **فبأي آلاء ربكما تكذبان** ﴾(١٧) .

ثم قال : ﴿ **يا معشر الجن والإنس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والأرض**

(١٤) - أخرجه الطبري (١٣٥/٢٧) . وفي إسناده أبو حمزة الثمالي وهو ثابت بن أبي صفية : ضعيف .
(١٥) - البخاري في الصحيح (٦٢١/٨) .
(١٦) - أخرجه البخاري في كتاب : الجنائز ، باب : الميت يسمع قرع النعال ، حديث (١٣٣٨) (٣/ ٣٠٥) ، وطرفه في : [١٣٧٤] .
(١٧) - في حديث فضل الجمعة من حديث أبي هريرة قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « .... وفيه تقوم الساعة والخلائق فيه مصيخة إلا الثقلين : الجن والإنس » . أخرجه أحمد (٤٥٣/٥) (٢٣٩٠٤) .

[١] - في ز : « فاع » .
[٢] - في ز : « سنفضى » .
[٣] - في ت : « سنحاسبكم » .
[٤] - في خ : « لآخذ » .
[٥] - في ز ، خ : « يسمعه » .
[٦] - ما بين المعكوفين بياض في ز ، خ .

فانفذوا لا تنفذون إلا بسلطان ﴾ ، أي : لا تستطيعون هربًا من أمر اللّه وقدره ، بل هو محيط بكم ، لا تقدرون علىٰ التخلص من حكمه ، ولا النفوذ / عن حكمه فيكم ، أينما ذهبتم أحيط بكم .

وهذا في مقام المحشر ؛ الملائكة مُحدقَةٌ بالخلائق ، سبع صفوف من كل جانب ، فلا يقدر أحد علىٰ الذهاب . ﴿ **إلا بسلطان** ﴾ ، أي : إلا بأمر اللّه ، ﴿ **يقول الإنسان يومئذ أين المفر * كلا لا وزر * إلىٰ ربك يومئذ المستقر** ﴾ .

وقال تعالىٰ : ﴿ **والذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها وترهقهم ذلة ما لهم من اللّه من عاصم ، كأنما أغشيت وُجُوههم قطَعًا من الليل مظلمًا أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون** ﴾ ؛ ولهذا قال : ﴿ **يرسل عليكما شواظٌ من نار ونحاس فلا تنتصران** ﴾ .

قال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : الشواظ : هو لهب النار. وقال سعيد بن جبير عن ابن عباس: الشواظ: الدخان . وقال مجاهد : هو اللّهيب الأخضر المنقطع . وقال أبو صالح : الشواظ : هو اللّهيب الذي فوق النار ودون الدخان . وقال الضحاك : ﴿ **شواظ من نار** ﴾ : سيل من نار .

وقوله : ﴿ **ونحاس** ﴾ ، قال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : ﴿ **ونحاس** ﴾ : دخان النار ، ورُوي مثله عن أبي صالح ، وسعيد بن جبير ، وأبي سنان .

قال ابن جرير : والعرب تسمي الدخان نُحَاسًا - بضم النون وكسرها - ، والقراء[١] مجمعة علىٰ الضم ، ومن النحاس [بمعنى][٢] الدخان قول نابغة بني[٣] جعدة :

يضيء كضوء سراج السليـ طِ لم يجعلِ اللّهُ فيه نحاسا

يعني دخانًا ، هكذا قال .

وقد روىٰ الطبراني من طريق جويبر ، عن الضحاك : أن نافع بن الأزرق سأل ابن عباس عن الشواظ فقال : هو اللّهب[٤] الذي لا دخان معه . فسأله شاهدًا علىٰ ذلك من اللغة ، فأنشده قول أمية بن أبي الصلت في حسّان :

= وأخرجه أبو داود في كتاب الصلاة ، باب : فضل يوم الجمعة وليلة الجمعة ، حديث (١٠٤٦) .
ولفظه : « وما من دابة إلا وهى مسيخة يوم الجمعة من حين تصبح حتى تطلع الشمس شفقا من الساعة إلا الجن والإنس .... » . وإسناده صحيح .

---

[١] - في ز : « والقراءة » .
[٢] - في ز : « يعني الرجال » .
[٣] - سقط من ت .
[٤] - في خ : اللهيب .

ألا من مبلّغ حسّان عنّي مُغَلْغَلَةً تَدُبُّ إلىٰ عُكاظِ
أَلَيْسَ أبوكَ فِينَا كَانَ فينا[١] إلى[٢] الْقَيْنَاتِ فلا[٣] بي[٤] الحفَاظِ
يَمَانِيًّا يَظَلُّ يشب[٥] كِيرًا ويَنْفُخُ دَائبًا لَهَبَ الشُّواظ

قال : صدقت ، فما النحاس ؟ قال : هو الدخان الذي لا لهب له . قال : فهل تعرفه العرب ؟ قال : نعم ، أما سمعت نابغة بني ذبيان يقول :

يضيء كضوء سراج السليـ ـط لم يجعل اللَّهُ فيه نحاسا

وقال مجاهد : النحاس : الصفر ، يذاب فيصب علىٰ رءوسهم . وكذا قال قتادة . [وقال][٦] الضحاك : ﴿ونحاس﴾ : سيل من نحاس .

والمعنىٰ علىٰ كل قول : لو ذهبتم هاربين يوم القيامة لردتكم الملائكة والزبانية بإرسال اللّهب من النار والنحاس المذاب عليكم لترجعوا ، ولهذا قال : ﴿ **فلا تنتصران * فبأي آلاء ربكما تكذبان** ﴾ .

فَإِذَا انشَقَّتِ السَّمَآءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ (٣٧) فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٣٨)
فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ (٣٩) فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ
(٤٠) يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَٰهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَٰصِى وَالْأَقْدَامِ (٤١) فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا
تُكَذِّبَانِ (٤٢) هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ الَّتِى يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ (٤٣) يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ
ءَانٍ (٤٤) فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٤٥)

يقول : ﴿ **فإذا انشقت السماء** ﴾ يوم القيامة ، كما دلت عليه هذه الآية مع ما شاكلها من الآيات الواردة في معناها ؛ كقوله : ﴿ **وانشقت السماء فهي يومئذ واهية** ﴾ ، وقوله : ﴿ **ويوم تشقّق السماء بالغمام ونُزّل الملائكة تنزيلاً** ﴾ . وقوله : ﴿ **إذا السماء انشقت وأذنت لربها وحقت** ﴾ .

وقوله : ﴿ **فكانت وردة كالدهان** ﴾ ، أي : تذوب كما يذوب الدّرْدي والفضة في

---

[١] - في ت : « قينا » .
[٢] - في ت : « لدى » .
[٣] - في ت : « فسلا » .
[٤] - في ت : « في » .
[٥] - في ت : « يشد » .
[٦] - بياض في ز . وسقط من خ .

السبك ، وتتلون[١] كما تتلون الأصباغ التي يدهن بها ، فتارة حمراء وصفراء وزرقاء وخضراء ، وذلك من شدّة الأمر وهول يوم القيامة العظيم . وقد قال الإمام أحمد :

حدثنا أحمد بن عبد الملك ، حدثنا عبد الرحمن بن أبي الصهباء ، حدثنا نافع أبو غالب الباهلي ، حدثنا أنس بن مالك قال : قال رسول اللّه صلىٰ اللّه عليه وسلم : « **يبعث الناس يوم القيامة والسماء تَطِشّ عليهم** »(١٨) .

قال الجوهري : الطش : المطر الضعيف .

وقال الضحاك ، عن ابن عباس في قوله : ﴿ **وردة كالدهان** ﴾ ، قال : هو الأديم الأحمر . وقال أبو كُرَيب[٢] ، عن قابوس ، عن أبيه ، عن ابن عباس : ﴿ **فكانت وردة كالدهان** ﴾ : كالفرس[٣] الورد . وقال العوفي ، عن ابن عباس : تغير[٤] لونها . وقال أبو صالح : كالبِرْذَون الورد ، ثم كانت بعد كالدهان .

وحكىٰ البَغَوي وغيره أن الفرس الورد تكون في الربيع صفراء ، وفي الشتاء حمراء ، فإذا اشتد البرد اغبرّ لونها .

وقال الحسن البصري : تكون ألوانًا . وقال السدي : تكون كلون البغلة الوردة ، وتكون كالمهل / كدرِديّ الزيت . وقال مجاهد : ﴿ **كالدهان** ﴾ : كألوان الدهان . وقال عطاء الخراساني : كلون دُهْن الوَرْد في الصفرة . وقال قتادة : هي اليوم خضراء ، ويومئذ لونها إلىٰ الحمرة ، يوم ذي ألوان . وقال أبو الجوزاء : في صفاء الدهن . وقال ابن جريج : تصير السماء كالدّهن الذائب ، وذلك حين يُصِيبها حَرّ جهنم .

وقوله : ﴿ **فيومئذٍ لا يسأل عن ذنبه إنس ولا جان** ﴾ وهذه كقوله : ﴿ **هذا يوم لا ينطقون ، ولا يؤذن لهم فيعتذرون** ﴾ فهذا في حال ، وثم حال يسأل الخلائق [فيها][٥] عن جميع أعمالهم ، قال اللّه تعالىٰ : ﴿ **فوربك لنسألنهم أجمعين * عما كانوا يعملون** ﴾ . ولهذا قال قتادة : ﴿ **فيومئذ لا يسأل عن ذنبه إنس ولا جان** ﴾ ، قال : قد كانت مسألة ، ثم ختم علىٰ أفواه القوم ، وتكلمت أيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون .

---

(١٨) - أخرجه أحمد (٣/٢٦٦ - ٢٦٧) (١٣٨٤٢) وعبد الرحمن بن أبي الصهباء ذكره ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل ولم يذكر فيه جرحًا ولا تعديلًا . وبقية رجاله ثقات .

---

[١] - في ز : « وتلون » .
[٢] - في ت : « كدينة » .
[٣] - في خ : كالغرس .
[٤] - في خ : « غير » . وفي ت : اغبر .
[٥] - سقط من ز ، خ .

وقال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : لا يسألهم : هل عملتم كذا وكذا ؟ لأنه أعلم بذلك منهم ، ولكن يقول : لم عملتم كذا وكذا ؟ فهذا قول ثان .

وقال مجاهد في هذه الآية : لا يسأل الملائكة عن المجرم ، يعرفون بسيماهم .

[وهذا قول ثالث . وكأن هذا بعدما يؤمر بهم إلىٰ النار ، فذلك الوقت لا يسألون عن ذنوبهم ، بل يقادون إليها ويلقون فيها ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **يعرف المجرمون بسيماهم** ﴾][١] ، أي بعلاماتٍ تظهر عليهم .

و[٢] قال الحسن وقتادة : يعرفونهم باسوداد الوجوه وزرقة العيون .

قلت : وهذا كما يعرف المؤمنون بالغرة والتحجيل من آثار الوضوء .

وقوله : ﴿ **فيؤخذ بالنواصي والأقدام** ﴾ أي : تجمع الزبانية ناصيته مع قدميه ، ويلقونه في النار كذلك .

و[٣] قال الأعمش ، عن ابن عباس : يؤخذ بناصيته وقدمه ، فيكسر كما يكسر الحطب في التنور .

وقال الضحاك : يجمع بين ناصيته وقدميه في سلسلة من وراء ظهره .

وقال السدي : يجمع بين ناصية الكافر وقدميه ، فتربط ناصيته بقدمه ، ويفتل ظهره .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا أبو توبة الربيع بن نافع ، حدثنا معاوية بن سلام ، عن أخيه زيد بن سلام : أنه سمع أبا سلام - يعني جده - أخبرني عبد الرحمن ، حدثني رجل من كندة قال : أتيت عائشة فدخلت عليها ، وبيني وبينها حجاب ، فقلت : حدثك رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم أنه يأتي عليه ساعة لا يملك لأحد فيها شفاعة ؟ قالت : نعم ، لقد سألته عن هذا وأنا وهو في شِعَار واحد ، قال : « **نعم ، حين يوضع الصراط ، لا أملك لأحد فيها شفاعة ، حتىٰ أعلم أين يسلك بي ؟ ويوم / تبيض وجوه وتسود وجوه ، حتىٰ أنظر ماذا يفعل بي - أو**[٤] قال : **يوحي - وعند الجسر حين**[٥] **يستحد ويستحر** » فقالت : وما يستحد وما يستحر ؟ قال : « **يستحد حتىٰ يكون مثل شفرة السيف ، ويستحر حتىٰ يكون مثل الجمرة ، فأما المؤمن فَيُجيزُه لا يضره ، وأما**

---

[١] - ما بين المعكوفين سقط من ز ، خ .
[٢] - سقط من : ز .
[٣] - سقط من : ز .
[٤] - في ز : « و » .
[٥] - في ز : « حتى » .

المنافق فيتعلق حتىٰ إذا بلغ أوسطه خرّ من قدمه فيهوي بيده إلىٰ قدميه » . قالت : فهل رأيت من يسعىٰ حافيًا فتأخذه شوكة حتىٰ تكاد تنفذ قدميه ، فإنها كذلك ، يهوي بيده ورأسه إلىٰ قدميه ، فتضربه الزبانية بخطاف في ناصيته وقدمه ، فتقذفه في جهنم ، فيهوي فيها مقدار خمسين عامًا . قلت : ما ثقل الرجل ؟ قالت : ثقل عشر خَلِفات سمان[١] ، فيومئذٍ يعرف المجرمون بسيماهم فيؤخذ بالنواصي والأقدام(١٩) .

هذا حديث غريب ، وفيه ألفاظ منكر رفعها ، وفي الإسناد من لم يسم ، ومثله لا يحتج به ، والله أعلم .

وقوله : ﴿ **هذه جهنم التي يكذب بها المجرمون** ﴾ ، أي : هذه النار التي كنتم تكذبون بوجودها ها هي حاضرة تشاهدونها عيانًا ؛ يقال لهم ذلك تقريعًا وتوبيخًا وتصغيرًا وتحقيرًا .

وقوله : ﴿ **يطوفون بينها وبين حميم آن** ﴾ ، أي : تارة يُعَذَّبون في الجحيم ، وتارة يسقون من الحميم ، وهو الشراب الذي هو كالنحاس المذاب يقطع الأمعاء والأحشاء . وهذه كقوله تعالىٰ : ﴿ **إذ الأغلال في أعناقهم والسلاسل يسحبون * في الحميم ثم في النار يسجرون** ﴾ وقوله : ﴿ **آن** ﴾ ، أي : حار قد[٢] بلغ الغاية في الحرارة ، لا يستطاع من شدة ذلك .

قال ابن عباس في قوله : ﴿ **يطوفون بينها وبين حميم آن** ﴾ أي : قد انتهىٰ غليه واشتدَّ حرّه .. وكذا قال مجاهد ، وسعيد بن جبير ، والضحاك ، والحسن ، والثوري ، والسدي .

وقال قتادة : قد أنى[٣] طبخه منذ خلق [الله][٤] السماوات والأرض . وقال محمد بن كعب القرظي : يؤخذ العبد فيحرّكُ بناصيته في ذلك الحميم ، حتىٰ يذوب اللحمُ ويبقىٰ العظمُ والعينان في الرأس ، وهي كالتي يقول الله تعالىٰ : ﴿ **في الحميم ثم في النار يسجرون** ﴾ . والحميم الآن : يعني الحار . وعن القرظي رواية أخرىٰ : ﴿ **حميم آن** ﴾ ، أي : حاضر . وهو قول ابن زيد أيضًا ، والحاضر ، لا ينافي ما روي عن القرظي أولًا أنه الحار ، كقوله تعالى : ﴿ **تسقىٰ من عين آنية** ﴾ ، أي : حارّة شديدة الحر لا تستطاع ، وكقوله : ﴿ **غير ناظرين / إناه** ﴾ ؛ يعني استواءه ونضجه . فقوله : ﴿ **حميم آن** ﴾ ، أي : حميم حار جدًّا . ولما كان معاقبة العصاة المجرمين وتنعيم المتقين من فضله ورحمته وعدله ولطفه بخلقه ، وكان إنذاره لهم عذابَه وبأسَه مما[٥] يزجرهم عما هم فيه من الشرك

---

(١٩) - إسناده ضعيف لجهالة الراوي عن عائشة .

---

[١] - في ز : « ساني » .
[٢] - في ز : وقد .
[٣] - في ز : « أنا » .
[٤] - سقط من ز ، خ .
[٥] - في ز : « فيما » .

والمعاصي وغير ذلك ، قال ممتنًا بذلك على بَريّته[١] : ﴿ **فبأي آلاء ربكما تكذبان**﴾ .

وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٧﴾ ذَوَاتَآ أَفْنَانٍ ﴿٤٨﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٩﴾ فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ ﴿٥٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥١﴾ فِيهِمَا مِن كُلِّ فَٰكِهَةٍ زَوْجَانِ ﴿٥٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٣﴾

قال ابن شوذب[٢] وعطاء الخراساني : نزلت هذه الآية : ﴿ **ولمن خاف مقام ربه جنتان** ﴾ في أبي بكر الصديق .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا محمد بن مصفىٰ ، [حدثنا بقية][٣] ، عن أبي بكر بن أبي مريم ، عن عطية بن قيس في قوله : ﴿ **ولمن خاف مقام ربه جنتان** ﴾ : نزلت في الذي قال : أحرقوني بالنار لعلي أضل[٤] الله ، قال : تاب يومًا وليلة بعد أن تكلم بهذا ، فقبل الله منه ، وأدخله الجنة (٢٠) .

والصحيح أن هذه الآية عامة كما قاله ابن عباس وغيره ، يقول تعالىٰ : ولمن خاف مقامه بين يدي الله - عز وجل - يوم القيامة ، ﴿ **ونهىٰ النفس عن الهوىٰ** ﴾ ، ولم يطغ ولا آثر الحياة الدنيا ، وعلم أن الآخرة خير وأبقىٰ ، فأدىٰ فرائض الله ، واجتنب محارمه ، فله يوم القيامة عند ربه جنتان ، كما قال البخاري - رحمه الله :

حدثنا عبد الله بن أبي الأسود ، حدثنا عبد العزيز بن عبد الصمد العَمّي ، حدثنا أبو عمران الجَوْني ، عن أبي بكر بن عبد الله بن قيس ، عن أبيه : أن رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم قال : « **جنّتان من فضة ، آنيتهما وما فيهما ، وجنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما ، وما بين القوم وبين أن ينظروا إلىٰ ربهم - عز وجل - إلا رداء الكبرياء علىٰ وجهه في جنة عدن** » (٢١) .

(٢٠) - أبو بكر بن أبي مريم ضعيف ، وكان قد سرق بيته فاختلط . وبقية هو ابن الوليد وهو مدلس . ومحمد بن مصفى : صدوق له أوهام .

(٢١) - صحيح البخاري كتاب : التفسير ، باب : ﴿ **ومن دونهما جنتان** ﴾ ، حديث (٤٨٧٨) (٦٢٣/٨ - ٦٢٤) .

[١] - في ز : « تريته » .

[٢] - في خ : سوزن .

[٣] - غير واضحة في خ .

[٤] - في ز : « أصل » .

وأخرجه بقية الجماعة إلا أبا داود من حديث عبد العزيز به(٢٢) .

[وقال حماد بن سلمة ، عن ثابت ، عن أبي بكر بن أبي موسىٰ ، عن أبيه - قال حماد : ولا أعلمه إلا قد رفعه - في قوله تعالىٰ : ﴿ **ولمن خاف مقام ربه جنتان** ﴾ ، وفي قوله : ﴿ **ومن دونهما جنتان** ﴾ : جنتان من ذهب للمقربين ، وجنتان من وَرِق لأصحاب اليمين][١].(٢٣)

وقال ابن جرير: حدثنا زكريا بن يحيىٰ بن أبان [المصري][٢] ، حدثنا ابن أبي مريم ، أخبرنا محمد بن جعفر ، عن محمد بن [أبي][٣] حرملة ، عن عطاء بن يَسَار ، أخبرني أبو الدرداء : أن رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم قرأ يومًا هذه الآية : ﴿ **ولمن خاف مقام ربه جنتان** ﴾ ، فقلت : وإن زنىٰ وإن سرق ؟ فقال : ﴿ **ولمن خاف مقام ربه جنتان** ﴾ ، [فقلت : وإن زنى وإن سرق ؟][٤] [فقال : ﴿ **ولمن خالف مقام ربه جنتان** ﴾][٥] [فقلت][٦] : وإن زنىٰ وإن سرق] [٧]يا رسول اللَّه ؟ فقال : « **وإن رَغمَ أنف أبي الدرداء** » (٢٤) .

ورواه النسائي من حديث محمد بن [أبي][٨] حرملة ، به(٢٥) . ورواه النسائي أيضًا عن مؤمّل بن هشام ، عن إسماعيل ، عن الجُرَيري ، عن موسىٰ ، عن محمد بن سعد بن أبي وقاص ، عن أبي الدرداء ، به(٢٦) . [وقد روي موقوفًا علىٰ أبي الدرداء][٩]. ورُوي

(٢٢) - مسلم في كتاب : الإيمان ، باب : إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة ربهم - سبحانه وتعالى - حديث (٢٩٦ - ١٨٠) (٣/٢٠ - ٢١) . والترمذي في كتاب : صفة الجنة ، باب : ما جاء في صفة غرف الجنة ، حديث (٢٥٣٠) (٧/٢١٢) . والنسائي في الكبرى في كتاب : التفسير ، باب : قوله تعالى : ﴿**جنات عدن** ﴾ ، حديث (١١٤٤١) (٦/٤٤٣) . وابن ماجة في « المقدمة » ، باب : فيما أنكرت الجهمية ، حديث (١٨٦) (١/٦٦ - ٦٧) .

(٢٣) - تفسير الطبري (٢٧/١٤٦) .

(٢٤) - تفسير الطبري (٢٧/١٤٦) .

(٢٥) - والنسائي في الكبرى في كتاب : التفسير ، باب : سورة الرحمن ، حديث (١١٥٦٠) (٦/ ٤٧٨) . وإسناده ثقات .

(٢٦) - أخرجه النسائي في الكبرى في الموضع السابق حديث (١١٥٦١) (٦/٤٧٨) . وفي إسناده موسى شيخ لسعيد الجريري وهو مجهول ، لكن يقويه ما قبله .

[١] - سقط من ز ، خ .
[٢] - ما بين المعكوفين بياض في ز ، خ .
[٣] - سقط من ز ، خ .
[٤] - سقط من ز .
[٥] - ما بين المعكوفين سقط من ز ، خ .
[٦] - في ز : « قلت » .
[٧] - ما بين المعكوفين سقط من خ .
[٨] - سقط من ز .
[٩] - ما بين المعكوفين سقط من خ .

عنه أنه قال : إن [من][١] خاف مقام ربه لم يزن ولم يسرق .

وهذه الآية[٢] عامة في الإنس والجن ، فهي من أدلّ دليل على أن الجن يدخلون الجنة إذا آمنوا واتقوا ، ولهذا امتن الله تعالى على الثقلين بهذا الجزاء فقال : ﴿ **ولمن خاف مقام ربه جنتان * فبأي آلاء ربكما تكذبان** ﴾ .

ثم نعت هاتين الجنتين فقال : ﴿ **ذواتا أفنان** ﴾ ، أي : أغصان نَضِرة حسنة ، تحمل من كل ثمرة نضيجة فائقة ، ﴿ **فبأي آلاء ربكما تكذبان** ﴾ . هكذا قال عطاء الخراساني وجماعة : إن الأفنان أغصانُ الشجَر ، يمس بعضُها بعضًا .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا عمرو بن علي ، حدثنا مسلم بن قتيبة ، حدثنا عبد الله ابن النعمان ، سمعت عكرمة يقول : ﴿ **ذواتا أفنان** ﴾ ، يقول : ظل الأغصان على الحيطان ، ألم تسمع قول الشاعر حيث يقول :

ما هاجَ شَوقَكَ من هَديل حَمَامَةٍ ... تَدْعُو على فَنَن الغُصُون حَمَاما
تَدْعُو أَبا فَرخين[٣] صادف طاويا[٤] ... ذا مخلبين من الصقور قطاما[٥]

وحكى البغوي عن مجاهد ، وعكرمة ، [والضحاك][٦] والكلبي : إنه [الغصن المستقيم][٧] .

قال[٨] : وحدثنا أبو سعيد الأشج ، حدثنا عبد السلام بن حرب ، حدثنا عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جُبَير عن ابن عباس : ﴿ **ذواتا أفنان** ﴾ : ذواتا ألوان .

قال : وروي عن سعيد بن جبير، والحسن، والسدي [وخُصيف][٩] ، والنضر بن عربي[١٠] ، وأبي سنان مثلُ ذلك . ومعنى هذا القول أن فيهما فنونًا من الملاذ ، واختاره ابن جرير .

وقال عطاء : كل غصن يجمع فنونًا من الفاكهة . وقال الربيع بن أنس : ﴿ **ذواتا أفنان** ﴾ [واسعتا الفناء .

---

[١] - سقط من ز .
[٢] - في ز ، خ : « للأمة » .
[٣] - في ز : « فرص » بدون نقط .
[٤] - في ز ، خ : « طارقا » .
[٥] - في ز ، خ : « فطاما » .
[٦] - بياض في ز ، خ .
[٧] - بياض في ز ، خ .
[٨] - بياض في خ .
[٩] - بياض في : ز .
[١٠] - في ز ، خ : « عدي » .

وكل هذه الأقوال صحيحة، ولا منافات بينها، والله أعلم. وقال قتادة: ﴿ **ذواتا أفنان** ﴾ [١]ينبئ[٢]بفضلها وسعتها ومزيتها علىٰ ما سواها.

وقال محمد بن إسحاق، عن يحيىٰ بن عباد بن عبد الله بن الزبير، عن أبيه، عن أسماء قالت: سمعت رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم - وذكر سدرة المنتهى - فقال: / « **يسير في ظل الفنن منها الراكب مائة سنة - أو قال: يستظل في ظل الفنن منها مائة راكب، فيها فراش الذهب، كأن ثمرها [القلال]**[٣] ».

و[٤]رواه الترمذي من حديث يونس بن بكير[٥] به (٢٧).

[وقال حماد بن سلمة عن ثابت عن أبي بكر بن أبي موسى عن أبيه قال حماد: ولا أعلمه إلا قد رفعه في قوله: ﴿ **ولمن خاف مقام ربه جنتان** ﴾ وفي قوله: ﴿ **ومن دونهما جنتان**﴾ قال: جنتان من ذهب للمقربين وجنتان من ورق لأصحاب اليمين][٦].(٢٨)

﴿ **فيهما عينان تجريان** ﴾ أي: تسرحان لسقي تلك الأشجار والأغصان فتثمر[٧] من جميع الألوان، ﴿ **فبأي آلاء ربكما تكذبان** ﴾، قال الحسن البصري[٨]: إحداهما يقال لها: « **تسنيم** »، والأخرىٰ: « **السلسبيل** ».

وقال عطية: إحداهما من ماء غير آسن، والأخرىٰ [من خمر][٩] لذة للشاربين.

ولهذا قال بعد هذا: ﴿ **فيهما من كل فاكهة زوجان** ﴾، أي: من جميع أنواع الثمار مما يعلمون وخير مما يعلمون، ومما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر علىٰ قلب بشر، ﴿ **فبأي آلاء ربكما تكذبان** ﴾.

قال إبراهيم بن الحكم بن أبان، عن أبيه، عن عكرمة، عن ابن عباس: ما في الدنيا

(٢٧) - أخرجه الترمذي في كتاب: صفة الجنة، باب: ما جاء في صفة ثمار أهل الجنة، حديث (٢٥٤٤) (٧/٢٢٠ - ٢٢١). والحديث ضعفه الألباني في ضعيف سنن الترمذي برقم (٤٥٨ - ٢٦٧٧).

(٢٨) - تقدم تخريجه قبل أربعة أحاديث.

[١] - ما بين المعكوفين سقط من ز، خ.
[٢] - في خ: يعني.
[٣] - بياض في ز، خ.
[٤] - سقط من: ز.
[٥] - في ز: « بكر ».
[٦] - ما بين المعكوفين سقط من ت.
[٧] - في ز، خ: « لتنمو ».
[٨] - سقط من ز.
[٩] - سقط من ز، خ.

ثمرة حلوة ولا مرة إلا وهي في الجنة حتىٰ الحنظلة (٢٩) .

وقال ابن عباس : ليس في الدنيا مما في الآخرة إلا الأسماء . يعني أن بين ذلك بَونًا عظيمًا وفرقًا بينًا في التفاضل[١] .

مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ فُرُشٍۭ بَطَآئِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍۚ وَجَنَى ٱلْجَنَّتَيْنِ دَانٍ ﴿٥٤﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٥﴾ فِيهِنَّ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ﴿٥٦﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٧﴾ كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴿٥٨﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٩﴾ هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ﴿٦٠﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦١﴾

يقول تعالىٰ : ﴿ **متكئين** ﴾ ، يعني أهل الجنة . والمراد بالاتكاء هاهنا : الاضطجاع . ويقال : الجلوس علىٰ صفة التربع ، ﴿ **علىٰ فرش بطائنها من إستبرق** ﴾ ، وهو : ما غلظ من الديباج . قاله عكرمة ، والضحاك ، وقتادة .

وقال أبو عمران الجوني : هو الديباج المغرىٰ بالذهب . فنبه علىٰ شرف الظهارة بشرف البطانة . وهذا من التنبيه بالأدنىٰ علىٰ الأعلىٰ .

قال أبو إسحاق عن هبيرة بن ريم[٢] ، عن عبد الله بن مسعود قال : هذه البطائن ، فكيف لو رأيتم الظواهر؟ وقال مالك بن دينار : / بطائنها من إستبرق ، وظواهرها من نور .

وقال سفيان الثوري - أو شريك - : بطائنها من إستبرق ، وظواهرها من نور جامد .

وقال القاسم بن [محمد][٣] : بطائنها من إستبرق ، وظواهرها من الرحمة .

وقال ابن شوذب ، عن أبي عبد الله الشامي : ذكر الله البطائن ولم يذكر الظواهر ، وعلىٰ الظواهر المحابس[٤] ، و[٥]لا يعلم ما تحت المحابس[٦] إلا الله . ذكر ذلك كله الإمام ابن

(٢٩) - في إسناده الحكم بن أبان : ضعيف ، والحديث ذكره السيوطي في « الدر المنثور » (٦/٢٠٤) وعزاه إلى عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم .

[١] - سقط من خ .
[٢] - في ز : « مريم » .
[٣] - بياض في ز ، خ .
[٤] - في ز ، خ : « المحاسن » .
[٥] - سقط من ت ، خ .
[٦] - في ز ، خ : « المحاسن » .

أبي حاتم .

﴿ **وجنى الجنتين دان** ﴾ ، أي : ثمرهما[١] قريب إليهم ، متى شاءوا تناولوه[٢] ، على أي صفة كانوا ، كما قال : ﴿ **قطوفها دانية** ﴾ وقال : ﴿ **ودانية عليهم ظلالها وذللت قطوفها تذليلًا** ﴾ أي : لا تمتنع ممن[٣] تناولها ، بل تنحط إليه من أغصانها ، ﴿ **فبأي آلاء ربكما تكذبان** ﴾ .

ولما ذكر الفرش وعظمتها قال بعد ذلك : ﴿ **فيهن** ﴾ ، أي : في الفرش ﴿ **قاصرات الطرف** ﴾ ، أي : غضيضات عن غير أزواجهن ، فلا يرين شيئًا أحسن في الجنة من أزواجهن . قاله ابن عباس ، وقتادة ، وعطاء الخراساني ، وابن زيد .

وقد ورد أن الواحدة منهن تقول لبعلها : والله ما أرى في الجنة شيئًا أحسن منك ، ولا في الجنة شيء أحب إليَّ منك ، فالحمد لله الذي جعلك لي وجعلني لك (٣٠) .

﴿ **لم يطمثهن إنس قبلهم ولا جان** ﴾ ، أي : بل هن أبكار عُرُبٌ أتراب ، لم يطأهن [أحد][٤] قبل أزواجهن من الإنس والجن . وهذه أيضًا من الأدلة على دخول مؤمني الجن الجنة .

قال أرطاة بن المنذر : سئل ضمُرة بن حبيب : هل يدخل الجن الجنة؟ قال : نعم وينكحون ، للجن جنيات ،وللإنس إنسيات . وذلك قوله : ﴿ **لم يطمثهن إنس قبلهم ولا جان فبأي آلاء ربكما تكذبان** ﴾ .

ثم قال ينعتهن للخطاب : ﴿ **كأنهن الياقوت والمرجان** ﴾ ، [قال مجاهد ، والحسن ، وابن زيد ، وغيرهم : في صفات الياقوت وبياض المرجان][٥]. فجعلوا المرجان هاهنا اللؤلؤ .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا محمد بن حاتم ، حدثنا عَبيدة بن حُميد ، عن عطاء بن السائب ، عن عمرو بن ميمون الأودي ، عن عبد الله بن مسعود ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « **إن المرأة من [نساء][٦] أهل الجنة ليرى بياض ساقها من وراء سبعين حُلّة من الحَرير[٧] ، [حتى يرى مخّها][٨] وذلك أن الله تعالى يقول : ﴿ كأنهن**

---

(٣٠) - هو جزء من حديث ذكره المنذري في الترغيب والترهيب (٤/٤٤٢ -٤٤٣) وعزاه إلى أبي يعلى والبيهقي من رواية إسماعيل بن رافع أبي رافع ، انفرد به عن محمد بن يزيد بن أبي زياد عن محمد =

---

[١] - في ز : « ثمرها » .
[٢] - في ز : « يتناولوه » .
[٣] - في ز : « من » .
[٤] - سقط من ز .
[٥] - ما بين المعكوفين سقط من ز ، خ .
[٦] - سقط من ز ، خ .
[٧] - في ز : « حرير » .
[٨] - سقط من : ز . وبياض في خ .

الياقوت والمرجان ﴾ ، فأما الياقوت فإنه حَجَرٌ لو أدخلت فيه سلكًا ثم استصفيته لرأيته من ورائه .

وهكذا رواه الترمذي من حديث عَبِيدةَ بن حميد وأبي / [٧ز / ١٠ظ] الأحوص ، عن عطاء بن السائب ، به(٣١) . ورواه موقوفًا (٣٢) ، ثم قال : وهو أصح (٣٣) .

وقال الإِمام أحمد : حدثنا عفان[١] ، حدثنا حماد بن سلمة ، أخبرنا يونس ، عن محمد بن سيرين ، عن أبي هريرة ، عن النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم قال : « **للرجل من أهل الجنة زوجتان من الحور العين ، علىٰ كل واحدة سبعون حلة ، يرىٰ مخ ساقها من وراء الثياب** » (٣٤) .

تفرد به الإِمام أحمد من هذا الوجه . وقد رواه مسلم من حديث إسماعيل ابن عُلَيَّة ، عن أيوب ، عن محمد بن سيرين [قال][٢] : إما تفاخروا وإما[٣] تذاكروا ، الرجال أكثر في الجنة أم النساء ؟ فقال أبو هريرة : أو لم يقل أبو القاسم صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **إن أول زمرة تدخل الجنة علىٰ صورة القمر ليلة البدر ، والتي تليها علىٰ أضوء كوكب دُرِّي في السماء ، لكل امرئ منهم زوجتان اثنتان ، يرىٰ مخ سوقهما[٤] من وراء اللحم ، وما في الجنة أعزب** »(٣٥) .

وهذا الحديث مخرج في الصحيحين من حديث همام بن منبه وأبي زرعة ؛ عن أبي هريرة رضي الله عنه (٣٦) .

= ابن كعب عن رجل من الأنصار عن أبي هريرة . وإسماعيل هذا ضعيف الحفظ .

(٣١) - سنن الترمذي في كتاب : صفة الجنة ، باب : في صفة أهل الجنة ، حديث (٢٥٣٦) (٧/٢١٦) .

(٣٢) - سنن الترمذي في كتاب : صفة الجنة ، باب : في صفة أهل الجنة ، حديث (٢٥٣٥) (٧/٢١٦) .

(٣٣) - وأخرجه برقم (٢٥٣٦) من طريق جرير موقوفًا .

(٣٤) - المسند (٢/٣٤٥) . وإسناده صحيح وقد رواه مسلم من طرق أخرى بمعناه ، انظر التالي .

(٣٥) - صحيح مسلم ، كتاب : صفة الجنة ، باب : أول زمرة تدخل الجنة ، حديث (١٤/٢٨٣٤) (١٧/٢٥٠) .

(٣٦) - صحيح البخاري ، كتاب : أحاديث الأنبياء ، باب : خلق آدم وذريته ، حديث (٣٣٢٧) (٦/٣٦٢) ، ومسلم في كتاب : الجنة ، باب : أول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر ليلة البدر .....، حديث (١٥/٢٨٣٤) (١٧/٢٥١) . كلاهما من حديث أبي زرعة عنه ، به . وأخرجه مسلم برقم (١٧/٢٨٣٤) (١٧/٢٥٣) من حديث همام عنه ، به .

---

[١] - في ز ، خ : « عثمان » .

[٢] - بياض في : ز .

[٣] - في ز : « إما » .

[٤] - في خ : ساقها .

وقال الإمام أحمد : حدثنا أبو النضر ، حدثنا محمد بن طلحة ، عن حميد ، عن أنس أن رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم قال : « **لغدوة في سبيل اللَّه أو رَوحةٌ خيرٌ من الدنيا وما فيها ، ولقاب قوس أحدكم - أو موضع قيده ؛ يعني سوطه - من الجنة خير من الدنيا وما فيها ، ولو اطلعت امرأة من نساء أهل الجنة إلىٰ الأرض لملأت ما بينهما ريحًا ، ولطاب ما بينهما ، ولنَصِيفها على رأسها خيرٌ من الدنيا وما فيها** »(٣٧) .

ورواه البخاري من حديث أبي إسحاق ، عن حُمَيد ، عن أنس بنحوه وقوله : ﴿ **هل جزاء الإِحسان إلا الإِحسان** ﴾ ، أي : ما لمن أحسن في الدنيا العمل إلا الإِحسان إليه في الدار الآخرة ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **للذين أحسنوا الحسنىٰ وزيادة** ﴾(٣٨) .

وقال البغوي : أخبرنا أبو سعيد الشَريحِيّ ، حدثنا أبو إسحاق الثعلبي ، أخبرني ابن فَنجوَيه[١] ، حدثنا ابن شيبة ، حدثنا إسحاق بن إبراهيم بن بهرام ، حدثنا الحجاج بن يوسف المكتب ، حدثنا بشر بن الحسين ، عن الزبير بن عَدي ، عن أنس بن مالك قال : قرأ رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : ﴿ **هل جزاء الإحسان إلا الإِحسان** ﴾ ، وقال : « **هل تدرون ما قال ربكم ؟** » قالوا : اللَّه ورسوله أعلم . قال : « **يقول : هل جزاء من أنعمتُ عليه بالتوحيد إلا الجنة** » .

ولما كان في الذي ذُكِرَ نعمٌ عظيمة لا يقاومها عمل ، / بل مجرد تفضل وامتنان ، قال بعد ذلك كله : ﴿ **فبأي آلاء ربكما تكذبان** ﴾ ؟ .

ومما يتعلق بقوله تعالىٰ : ﴿ **ولمن خاف مقام ربه جنتان** ﴾ ، ما رواه الترمذي والبغوي ، من حديث أبي النضر[٢] هاشم بن القاسم ، عن أبي عَقيل الثقفي ، عن أبي فروة يزيد بن سنَان الرّهاوي ، عن بكير بن فيروز ، عن أبي هريرة قال : قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **من خاف أدلج ، ومن أدلج بلغ المنزل ، ألا إن سلعة اللَّه غالية ، ألا إن سلعة اللَّه الجنة** » (٣٩) .

ثم قال الترمذي : غريب لا نعرفه إلا من حديث أبي النضر .

(٣٧) - المسند (٣/١٤١) (١٢٤٥٨) .

(٣٨) - صحيح البخاري ، كتاب : الجهاد ، باب : الحور العين وصفتهن ، حديث (٢٧٩٦) (٦/١٥) .

(٣٩) - سنن الترمذي ، كتاب : صفة القيامة ، باب : من خاف أدلج وسلعة الله غالية ، حديث (٢٤٥٢) (٧/١٦٠) . وأبو فروة : يزيد بن سنان : ضعيف . وبكير بن فيروز ؛ قال الحافظ : مقبول . وصحح هذا الحديث الشيخ الألباني بشواهده في الصحيحة (٢٣٣٥) .

[١] - في ز : « فتحويه » . [٢] - في ز ، خ : « النضر بن » .

وروىٰ البغوي من حديث علي بن حجر ، عن إسماعيل بن جعفر ، عن محمد بن أبي حرملة - مولىٰ حويطب بن عبد العزىٰ - عن عطاء بن يسار ، عن أبي الدرداء أنه سمع رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم يقص علىٰ المنبر وهو يقول : « ﴿ **ولمن خاف مقام ربه جنتان**﴾ » . قلت : وإن زنىٰ وإن سرق يا رسول اللَّه ؟ فقال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « ﴿ **ولمن خاف مقام ربه جنتان** ﴾ » . [فقلت الثانية : وإن زنىٰ وإن سرق يا رسول اللَّه ؟ فقال : ﴿ **ولمن خاف مقام ربه جنتان** ﴾][١] . فقلت الثالثة : وإن زنىٰ وإن سرق يا رسول اللَّه ؟ [فقال][٢]: « **وإن رَغِم أنف أبي الدرداء** »(٤٠) .

وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴿٦٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٣﴾ مُدْهَآمَّتَانِ ﴿٦٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٥﴾ فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ ﴿٦٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٧﴾ فِيهِمَا فَٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ﴿٦٨﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٩﴾ فِيهِنَّ خَيْرَٰتٌ حِسَانٌ ﴿٧٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧١﴾ حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِى ٱلْخِيَامِ ﴿٧٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٣﴾ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ﴿٧٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٥﴾ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ ﴿٧٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٧﴾ تَبَٰرَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِى ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٧٨﴾

هاتان الجنتان دون اللتين قبلهما في المرتبة والفضيلة والمنزلة بنص القرآن ، قال اللَّه تعالىٰ : ﴿ **ومن دونهما جنتان** ﴾ ، وقد تقدم في الحديث : « **جنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما ، وجنتان من فضة آنيتهما وما فيهما** » . فالأوليان[٣] للمقربين ، والأخريان[٤] لأصحاب اليمين .

وقال أبو موسىٰ : جنتان من ذهب [للمقربين][٥] ، وجنتان من فضة لأصحاب اليمين .

وقال ابن عباس : ﴿ **ومن دونهما جنتان** ﴾ ، من دونهما في الدرج[٦] . وقال ابن زيد :

---

(٤٠) - تقدم تخريجه قريبًا من طريق محمد بن أبي حرملة عند النسائي في الكبرى .

---

[١] - ما بين المعكوفين سقط من خ .
[٢] - سقط من ز ، خ .
[٣] - في ز : « فالأولتان » .
[٤] - في ز : « والأخيرتان » .
[٥] - سقط من : ز .
[٦] - في ز : « المدرج » .

من دونهما في الفضل .

والدليل على شرف الأولين على الأخريين وجوه :

أحدها : أنه نعت الأوليين[١] قبل هاتين ، والتقديم يدل على الاعتناء . / ثم قال : ﴿ **ومن دونهما جنتان** ﴾ وهذا ظاهر في شرف التقدم[٢] وعلوه [على الثاني][٣] .

وقال هناك : ﴿ **ذواتا أفنان** ﴾ ، وهي الأغصان أو[٤] الفنون في الملاذ ، وقال هاهنا : ﴿ **مدهامتان** ﴾ ، أي : سوداوان من شدة [الري .

قال ابن عباس في قوله : ﴿ **مدهامتان** ﴾ : **قد اسودتا من الخضرة من شدة الري**][٥] من الماء .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو سعيد الأشج ، حدثنا ابن فضيل ، حدثنا عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير عن ابن عباس : ﴿ **مدهامتان** ﴾ ، قال : خضراوان . وروي عن أبي أيوب الأنصاري ، وعبد الله بن الزبير ، وعبد الله بن أبي أوفى ، وعكرمة ، وسعيد ابن جُبَير ، ومجاهد - في إحدى الروايات - وعطاء ، وعطية العوفي ، والحسن البصري ، ويحيى بن رافع ، وسفيان الثوري ، نحو ذلك .

وقال محمد بن كعب : ﴿ **مدهامتان** ﴾ : ممتلئتان من الخضرة . وقال قتادة : خضراوان من الري ناعمتان . ولا شك في نضارة الأغصان على الأشجار المشتبكة بعضها في بعض . وقال هناك : ﴿ **فيهما عينان تجريان** ﴾ ، وقال هاهنا : ﴿ **نضاختان** ﴾ ، قال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : أي فياضتان[٦] . والجري أقوى من النضخ .

وقال الضحاك : ﴿ **نضاختان** ﴾ أي : ممتلئتان لا ينقطعان .

وقال هناك : ﴿ **فيهما من كل فاكهة** [**زوجان** ﴾ ، وقال هاهنا : ﴿ **فيهما فاكهة**][٧] **ونخل ورمان** ﴾ ، ولا شك أنّ الأولى[٨] أعم وأكثر في الأفراد والتنويع على فاكهة ، وهي نكرة في سياق الإثبات لا تعم . ولهذا فُسّر قوله : ﴿ **ونخل ورمان** ﴾ من باب عطف الخاص على العام ، كما قرره البخاري وغيره ، وإنما أفرد النخل والرمان بالذكر لشرفهما على غيرهما .

---

[١] - في ز : « الأولتين » .
[٢] - في خ : التقدم .
[٣] - في خ : في الأواني .
[٤] - في خ : و .
[٥] - في خ : الذي .
[٦] - في خ : نضاختان .
[٧] - ما بين المعكوفين سقط من خ .
[٨] - في ز ، خ : « الأول » .

قال عبد بن حميد : حدثنا يحيىٰ بن عبد الحميد ، حدثنا حصين بن عمر ، حدثنا [مخارق][١] ، عن طارق بن[٢] شهاب ، عن عمر بن الخطاب قال : جاء أناس من [اليهود][٣] إلىٰ رسول اللّٰه ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، فقالوا : يا محمد ، أفي الجنة فاكهة ؟ قال : « **نعم ، فيها فاكهة ونخل ورمان** » . قالوا : أفيأكلون كما يأكلون في الدنيا ؟ قال : « **نعم وأضعاف** » . قالوا : فيقضون الحوائج ؟ قال : « **لا ، ولكنهم يَعرقُون ويرشَحُون ، فيذهب اللّٰه ما في بطونهم من أذىٰ** » (٤١) .

و[٤]قال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا الفضل بن دكين ، حدثنا سفيان ، عن حماد ، عن سعيد بن جُبَير ، عن ابن عباس قال : / نخل الجنة سعفها كسوة[٥] لأهل الجنة ، منها مُقَطَّعَاتهم ، ومنها حُلَلهم وكرَبُها[٦] ذهب أحمر ، وجذوعها زمرّد أخضر ، وثمرها أحلىٰ من العسل ، وألين من الزبد ، وليس له عجم (٤٢) .

وحدثنا أبي : حدثنا موسىٰ بن إسماعيل ، حدثنا حماد - هو ابن سلمة[٧] - عن أبي هارون ، عن أبي سعيد الخدري ، أن رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم قال : « **نظرت إلىٰ الجنة فإذا الرّمانة من رمانها كمثل البعير المقّتب** » (٤٣) .

ثم قال : ﴿ **فيهن خيرات حسان** ﴾ . قيل : المراد خيرات كثيرة حسنة في الجنة . قاله قتادة . وقيل : خيرات ، جمع خيرة ، وهي المرأة الصالحة الحسنة الخُلُق الحسنة الوجه . قاله الجمهور . ورُوِي مرفوعًا عن أم سلمة (٤٤) . وفي الحديث الآخر الذي سنورده في « **سورة**

(٤١) - أخرجه عبد بن حميد والحارث كما في المطالب العالية لابن حجر (٤/٤٠١) (٤٦٧٧) . والحصين بن عمر الأحمسي متروك ، وبقية إسناده ثقات .

(٤٢) - إسناده صحيح ، رجاله ثقات .

(٤٣) - في إسناده أبو هارون العبدي ، وهو عمارة بن جوين متروك ومنهم من كذبه .

(٤٤) - أخرجه الطبري (٢٧/١٥٨) . والطبراني في الكبير (٢٣/٣٦٧ - ٣٦٨) (٨٧٠) .

كلاهما من طريق سليمان بن أبي كريمة عن هشام بن حسان عن الحسن عن أمه ، عن أم سلمة - رضي الله عنها - مرفوعًا .

قال الهيثمي في « مجمع الزوائد » (٧/١٢٢) : رواه الطبراني وفيه سليمان بن أبي كريمة ضعفه أبو حاتم وابن عدي .

[١] - في ز ، خ : طارق .

[٢] - في ز ، خ : عن .

[٣] - بياض في ز ، خ .

[٤] - سقط في : ز .

[٥] - في خ : « أكسوة » .

[٦] - في ز : « كونها » .

[٧] - في ز ، خ : « أسلم » .

الواقعة » : أن الحور العين يغنين : نحن الخيرات الحسان ، خلقنا لأزواج كرام . ولهذا قرأ بعضهم : ﴿ **فيهن خيّرات حسان**﴾ بالتشديد . ﴿ **فبأي الاء ربكما تكذبان** ﴾ .

ثم قال : ﴿ **حور مقصورات في الخيام** ﴾ ، وهناك قال : ﴿ **فيهن قاصرات الطرف** ﴾ ، ولا شك أن التي قد قَصرت طرفها بنفسها أفضل ممن قُصرت ، وإن كان الجميع مخدرات .

قال ابن أبي حاتم : حدثنا عمرو بن عبد اللّٰه الأودي ، حدثنا وكيع ، عن سفيان ، عن جابر ، عن القاسم بن أبي بَزة ، عن أبي عبيدة ، عن مسروق ، عن عبد اللّٰه قال : [إن][١] لكل مسلم خَيرة ، ولكل[٢] خَيّرة خيمة ، ولكل خيمة أربعة أبواب ، يدخل عليه كل يوم تحفة وكرامة وهدية لم تكن قبل ذلك ، لا مرَّحات[٣] ولا طماحات[٤] ولا بخرات ولا ذفرات[٥] ، حور عين ، كأنهن بيض مكنون(٤٥) . وقوله : ﴿ **في الخيام** ﴾ ، قال البخاري :

حدثنا محمد بن المثنىٰ ، حدثنا عبد العزيز بن عبد الصمد ، حدثنا أبو عمران الجوني ، عن أبي بكر بن عبد اللّٰه بن قيس ، عن أبيه أن رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم قال : « **إن في الجنة خيمة من لؤلؤة مجوفة ، عرضها ستون ميلًا ، في كل زاوية منها أهلٌ ما يَرون الآخرين ، يطوف عليهم المؤمنون** »(٤٦) . ورواه أيضًا من حديث أبي[٦] عمران به ، وقال : « **ثلاثون ميلًا** »(٤٧) . وأخرجه مسلم من حديث أبي عمران به ولفظه : « **إن للمؤمن في الجنة لخيمة من لؤلؤة واحدة مجوفة ، طولها ستون ميلًا ، للمؤمن[٧] فيها أهله[٨] ، يطوف عليهم المؤمن فلا يرى بعضهم بعضًا** »(٤٨) .

---

(٤٥) - في إسناده جابر وهو ابن يزيد الجعفي : ضعيف .

(٤٦) - أخرجه البخاري في كتاب : التفسير ، باب : ﴿ **حور مقصورات في الخيام** ﴾ حديث (٤٨٧٩) (٦٢٤/٨) .

(٤٧) - أخرجه البخاري في كتاب : بدء الخلق ، باب : ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة ، حديث (٣٢٤٣) (٣١٨/٦) .

(٤٨) - أخرجه مسلم في كتاب : الجنة وصفة نعيمها ، باب : في صفة خيام الجنة ، (٢٨٣٨/٢٣) (١٧/ ٢٥٦) .

---

[١] - سقط من ز ، خ .

[٢] - في ز : « ولعل » .

[٣] - في ز ، خ : مرجان .

[٤] - في ز : « لحماحار » . وغير واضحة في خ .

[٥] - في خ : فرات .

[٦] - سقط من ز ، خ .

[٧] - في ت : « للمؤمن » .

[٨] - في ت : « أهله » .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا الحسن بن أبي الربيع ، حدثنا عبد الرزاق ، أخبرنا معمر ، عن قتادة ، أخبرني / خُليد العَصري ، عن أبي الدرداء قال : الخيمة لؤلؤة واحدة ، فيها سبعون بابًا من در .

وحدثنا أبي ، حدثنا عيسىٰ بن أبي فاطمة ، حدثنا جرير ، عن هشام ، عن محمد بن المثنىٰ ، عن ابن عباس في قوله : ﴿ **حور مقصورات في الخيام** ﴾ ، قال في خيام اللؤلؤ ، وفي الجنة خيمة واحدة من لؤلؤة ، أربعة فراسخ في أربعة فراسخ ، عليها أربعة آلاف مصراع من الذهب (٤٩) .

وقال عبد اللّٰه بن وهب : أخبرنا عمرو أن درّاجًا أبا السَّمْح حدثه ، عن أبي الهيثم ، عن أبي سعيد ، عن النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم قال : « **أدنىٰ أهل الجنة منزلة الذي له ثمانون ألف خادم ، واثنتان وسبعون زوجة ، وتنصب له قبة من لؤلؤ وزبرجد وياقوت ، كما بين الجابية وصنعاء** » .

ورواه الترمذي من حديث عمرو بن الحارث به (٥٠) .

وقوله : ﴿ **لم يطمثهن إنس قبلهم ولا جان** ﴾ : تقدم مثله سواء ، إلا أنه زاد في وصف الأوائل بقوله : ﴿ **كأنهن الياقوت والمرجان * فبأي آلاء ربكما تكذبان** ﴾ .

وقوله : ﴿ **متكئين على رفرف خضر وعبقري حسان** ﴾ ، قال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : الرفرف : المحابس . وكذا قال مجاهد ، وعكرمة ، والحسن ، وقتادة ، والضحاك ، وغيرهم : هي المحابس . وقال العلاء بن بدر : الرفرف علىٰ السرير ، كهيئة المحابس المتدلي .

وقال عاصم الجَحْدَري : ﴿ **متكئين علىٰ رفرف خضر** ﴾ ، يعني : الوسائد . وهو قول الحسن البصري في رواية عنه . وقال أبو داود الطيالسي ، عن شعبة ، عن أبي بشر ، عن سعيد بن جبير في قوله : ﴿ **متكئين علىٰ رفرف خضر** ﴾ قال : الرفرف رياض الجنة .

وقوله : ﴿ **وعبقري حسان** ﴾ ، قال ابن عباس ، وقتادة ، والضحاك ، والسدي : العبقري : الزرابي . وقال سعيد بن جبير : هي عتاق الزرابي ، يعني : جيادها وقال مجاهد :

---

(٤٩) - أخرجه الطبري (١٦١/٢٧) عن شيخه يحيى بن طلحة اليربوعي عن فضيل بن عياش عن هشام به ، ويحيى هذا لين .

(٥٠) - أخرجه الترمذي في كتاب : صفة الجنة ، باب : ما جاء ما لأهل الجنة من الكرامة ، حديث (٢٥٦٥) (٢٣٩/٧) . وفي إسناده رشدين بن سعد وهو ضعيف ، ودراج أبو السمح ضعيف في أبي الهيثم .

العبقري: الديباج وسُئل الحسن البصري عن قوله: ﴿ **وعبقري حسان** ﴾، فقال: هي بُسُط أهل الجنة - لا أبا لكم - فاطلبوها.

وعن الحسن رواية: أنها المرافق. وقال زيد بن أسلم: العبقري: أحمر وأصفر وأخضر. وسئل العلاء بن زيد عن العبقري فقال: البسط أسفل من ذلك. وقال أبو حَزْرَة[١] يَعقوب ابن مجاهد: العبقري: من ثياب أهل الجنة، لا يعرفه أحد. وقال أبو العالية: العبقري: الطنافس المُخملَة، / إلىٰ الرّقة ما هي.

وقال القُتيبي: كل ثوب مُوشي عند العرب عبقري. وقال أبو عُبيدة: هو منسوب إلىٰ أرض يعمل بها الوشي وقال الخليل بن أحمد: كل شيء يُسر من الرجال وغير ذلك يسمىٰ عند العرب عبقريًا. ومنه قول النبي صلىٰ اللّه عليه وسلم في عمر: « **فلم أر عبقريًا يَفْري فَرْيه** » (٥١).

وعلىٰ كل تقدير فصفة [مرافق][٢] أهل الجنتين الأولين أرفعُ وأعلىٰ من هذه الصفة، فإنه قد قال هناك: ﴿ **متكئين علىٰ فرش بطائنها من إستبرق** ﴾، فنعت بطائن فرشهم وسكت عن ظهائرها، اكتفاءً بما مَدَح به البطائن بطريق الأولىٰ والأحرىٰ.

وتمام الخاتمة أنه قال بعد الصفات المتقدمة: ﴿ **هل جزاء الإحسان إلا الإحسان** ﴾ فوصف أهلها بالإحسان وهو أعلىٰ المراتب والنهايات. كما في حديث جبريل لمَا سأل عن الإسلام، ثم الإيمان، ثم الإحسان (٥٢). فهذه وجوه عديدة في تفضيل الجنتين الأولين علىٰ هاتين الأخريين، ونسأل اللّه الكريم الوهاب أن يجعلنا من [أهل][٣] الأولين.

ثم قال: ﴿ **تبارك اسم ربك ذي الجلال والإكرام** ﴾، أي: هو أهل أن يجل فلا يعصىٰ، وأن يكرم فيعبد، ويشكر فلا يكفر، وأن يذكر فلا ينسىٰ.

وقال ابن عباس: ﴿ **ذي الجلال والإكرام** ﴾: ذو العظمة والكبرياء.

---

(٥١) - أخرجه البخاري في كتاب المناقب، باب: علامات النبوة في الإسلام، حديث (٣٦٣٣) (٦/ ٦٣٠) وأطرافه في [٣٦٧٦، ٣٦٨٢، ٧٠١٩، ٧٠٢٠]. ومسلم في كتاب: فضائل الصحابة، باب: فضائل عمر، حديث (٢٣٩٣/١٩) (١٥/٢٣١).

(٥٢) - تقدم تخريجه في تفسير قول الله - عز وجل - من سورة الحجرات: ﴿ **قالت الأعراب آمنا ...** ﴾ الآية.

---

[١] - في ت: « أبو حرزة ».

[٢] - سقط من: ز.

[٣] - سقط من: ز.

وقال الإمام أحمد : حدثنا موسىٰ بن داود ، حدثنا عبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان ، عن عمر[١] بن هانىء.

عن أبي العزراء ، عن أبي الدرداء قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **أجلوا الله يغفر لكم** » (٥٣) .

وفي الحديث الآخر : « **إن من إجلال الله إكرام ذي الشيبة المسلم ، وذي السلطان ، وحامل القرآن غير الغالي فيه ولا الجافي عنه** » (٥٤) .

وقال الحافظ أبو يعلىٰ : حدثنا أبو يوسف الحيري[٢] ، حدثنا مُؤمل بن إسماعيل ، حدثنا حماد ، حدثنا حميد الطويل ، عن أنس أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم [قال][٣] « **ألظوا بيا ذا الجلال والإكرام** » (٥٥) . وكذا رواه الترمذي ، عن محمود بن غَيلان ، عن مُؤمل بن إسماعيل ، عن حماد بن سلمة ، به . ثم قال : « **غلط المؤمل فيه ، وهو غريب وليس بمحفوظ ، وإنما يروىٰ هذا غير[٤] حماد بن سلمة ، عن حميد ، عن الحسن ، عن النبي صلىٰ الله عليه وسلم** » (٥٦) .

---

(٥٣) - أخرجه أحمد (١٩٩/٥) (٢١٨٢٥) وفي إسناده أبو العذراء ، قال ابن حجر في « التعجيل » قال أبوحاتم : مجهول .

وذكر الحديث الهيثمي في « مجمع الزوائد » (٣٦/١) وقال : رواه أحمد وفيه أبو العذراء وهو مجهول .

(٥٤) - أخرجه الطبراني في « الأوسط » (٢١/٧ - ٢٢) (٦٧٣٦) من طريق عبد الرحمن بن سليمان بن أبي الجون عن محمد بن صالح المدني عن محمد بن المنكدر عن جابر بن عبد الله - رضي الله عنه - مرفوعًا .

قال الهيثمي في « مجمع الزوائد » (٢١٨/٥) : وفي إسناده عبد الرحمن بن سليمان بن أبي الجون : وثقه ابن حبان ودحيم وضعفه أبو داود وغيره ، وبقية رجاله ثقات .

(٥٥) - أخرجه أبو يعلى (٤٤٥/٦) (٣٧٣٣) وفي إسناده مؤمل وهو وإن كان صدوقًا - سيئ الحفظ . وانظر التالي .

(٥٦) - أخرجه الترمذي في كتاب : الدعوات ، باب : (٩٩) ، حديث (٣٥٢٣) (١٨٦/٩) وضعفه . وأخرجه من طريق آخر عن أنس قبل هذا الحديث وضعفه أيضًا .

قال أبو حاتم : هذا خطأ ؛ أخطأ المؤمل .اهـ علل الحديث (١٩٢/٢) لكن له شاهد من حديث ربيعة بن عامر سيأتي بعد هذا الحديث .

---

[١] - في ت : « عمير » .

[٢] - في ت : « الحربي » .

[٣] - سقط من : ز .

[٤] - في ت : « عن » .

وقال الإمام أحمد : حدثنا [إبراهيم][١] بن إسحاق ، حدثنا عبد اللّه بن المبارك ، عن يحيىٰ بن حسان المقدسي ، عن ربيعة بن عامر قال : سمعت رسول اللّه صلىٰ اللّه عليه وسلم / يقول : « **أَلِظُّوا بـذي الجلال والإكرام** »(٥٧) . ورواه النسائي من حديث عبد اللّه ابن المبارك ، به (٥٨) .

قال الجوهري : ألظ فلان بفلان : إذا لزمه .

وقول ابن مسعود : ألظوا بيا ذا الجلال والإكرام . أي : الزموا . ويقال : الإلظاظ هو الإلحاح .

قلت : وكلاهما قريب من الآخر - واللّه أعلم - وهو المداومة واللزوم والإلحاح . وفي صحيح مسلم والسنن الأربعة ، من حديث عبد اللّه بن الحارث ، عن عائشة قالت : كان رسول اللّه صلىٰ اللّه عليه وسلم إذا سَلّم لا يقعد - يعني بعد الصلاة - إلا قدر ما يقول : « **اللّهم أنت السلام ومنك السلام ، تباركت ذا الجلال والإكرام** »(٥٩)

[آخر تفسير سورة الرحمن ، وللّه الحمد]

☆ ☆ ☆

(٥٧) - أخرجه أحمد (١٧٧/٤) (١٧٦٤٦) وإسناده حسن .

(٥٨) - سنن النسائي الكبرى ، كتاب : النعوت ، باب : ذو الجلال والإكرام ، حديث (٧٧١٦) (٤/ ٤٠٩) . وفي « التفسير » ، باب : ذي الجلال والإكرام ، حديث (١١٥٦٣) . والحديث صححه الألباني في الصحيحة (١٥٣٦) .

(٥٩) - أخرجه مسلم في كتاب : المساجد ، باب : استحباب الذكر بعد الصلاة وبيان صفته ، حديث (٥٩١/١٣٥) (١٢٥/٥) .

[١] - سقط من : ز .

تفسير سورة الواقعة

وهي مكية

قال أبو إسحاق ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : قال أبو بكر : يا رسول الله ، قد شبتَ ! قال : « **شيبتني هود ، والواقعة ، والمرسلات ، وعَمّ يتساءلون ، وإذا الشمس كورت** » . رواه الترمذي(١) وقال : حسن غريب .

وقال الحافظ ابن عساكر(٢) في ترجمة عبد الله بن مسعود بسنده إلىٰ عمرو بن الربيع بن طارق المصري : حدثنا السري بن يحيىٰ الشيباني ، عن أبي شجاع ، عن أبي ظبية قال : مرض عبد الله مَرَضَه الذي توفي فيه ، فعاده عثمان بن عفان فقال : ما تشتكي ؟ قال : ذنوبي . قال : فما تشتهي ؟ قال : رحمة ربي . قال : ألا آمر لك بطبيب ؟ قال : الطبيب أمرضني . قال : ألا آمر لك بعطاء ؟ قال : لا حاجة لي فيه . قال : يكون [لبناتك][١] من بعدك ؟ قال : أتخشىٰ علىٰ بناتي الفقر ؟ إني أمرت[٢] بناتي [يقرأن][٣] كل ليلة سورة الواقعة ، إني سمعت رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم يقول : « **من قرأ سورة الواقعة كل ليلة لم تصبه فاقة أبدًا** » .

ثم قال ابن عساكر : كذا قال ، والصواب عن « شجاع » ، كما رواه عبد الله بن وهب ، عن السري .

وقال عبد الله بن وهب : أخبرني السري بن يحيىٰ أن شجاعًا حدثه ، عن أبي ظبية ، عن عبد الله بن مسعود قال : سمعت رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم يقول : « **من قرأ**

---

(١) تقدم تخريجه في سورة هود .

(٢) - **ضعيف** ، تاريخ دمشق (ل ٢٩٤) ، ورواه ابن عبد البر في التمهيد (٢٦٩/٥) من طريق حبشي بن عمرو بن الربيع ، عن أبيه عمرو بن الربيع المصري ، به .

ورواه ابن الجوزي في العلل المتناهية (١١٣/١) من طريق خالد بن خداش ، عن عبد الله بن وهب ، به .

ورواه عن أبي يعلى أبو بكر بن السني في عمل اليوم والليلة برقم (٦٧٤) . وذكره ابن حجر في المطالب العالية ، المرفوع منه (٣٨٣/٣) (٣٧٦٥) وعزاه للحارث .

وقال ابن عراق في تنزيه الشريعة (٣٠١/١) : حديث ابن مسعود أخرجه الحارث في مسنده . وأورده ابن الجوزي في الواهيات ، وقال : قال أحمد بن حنبل : هذا حديث منكر والله أعلم . اهـ وضعفه الألباني في السلسلة الضعيفة (٢٨٩) .

---

[١] - في ز : « لسانك » .

[٢] - في ز : « آمر » .

[٣] - في ز : « لله أن » .

سورة الواقعة كل ليلة لم تصبه فاقة أبدًا » . فكان أبو ظبية لا يدعها .

وكذا رواه أبو يعلىٰ ، عن إسحاق بن إبراهيم ، عن محمد بن منيب ، عن السري[١] بن يحيىٰ ، عن شجاع ، عن أبي ظبية ، عن ابن مسعود به . ثم رواه عن إسحاق بن أبي إسرائيل ، عن محمد بن [منيب العَدَني][٢] ، عن السري بن يحيىٰ ، عن أبي ظبية ، عن ابن مسعود : أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم قال : « **من قرأ سورة الواقعة في كل ليلة لم تصبه فاقة أبدًا** » لم يذكر في سنده « شجاعًا » ، قال : وقد أمرت بناتي أن يقرأنها كل ليلة(٣) .

وقد رواه ابن عساكر أيضًا من حديث حجاج بن نصير وعثمان [بن][٣] اليمان ، عن السري بن يحيىٰ ، [عن شجاع][٤] ، عن أبي فاطمة قال : مرض عبد الله فأتاه عثمان بن عفان يعوده ، فذكر الحديث بطوله .

قال عثمان بن اليمان : كان أبو فاطمة هذا مولىٰ لعلي بن أبي طالب :

وقال أحمد : حدثنا عبد الرزاق ، حدثنا إسرائيل ويحيىٰ بن آدم ، حدثنا إسرائيل ، عن سماك بن حرب : أنه سمع جابر بن سمُرة يقول : كان رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم يصلي الصلوات كنحو من صلاتكم التي تصلون اليوم ، ولكنه كان يخفف ، كانت صلاته أخف من صلاتكم ، وكان يقرأ في الفجر « **الواقعة** » ونحوها من السور(٤) .

إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ﴿١﴾ لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ ﴿٢﴾ خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ ﴿٣﴾ إِذَا رُجَّتِ ٱلْأَرْضُ رَجًّا ﴿٤﴾ وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا ﴿٥﴾ فَكَانَتْ هَبَآءً مُّنۢبَثًّا ﴿٦﴾ وَكُنتُمْ أَزْوَٰجًا ثَلَٰثَةً ﴿٧﴾ فَأَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ﴿٨﴾ وَأَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ ﴿٩﴾ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ﴿١٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿١٢﴾

(٣) - ينظر تخريج الحديث السابق .

(٤) - أخرجه أحمد (١٠٤/٥) (٢١٠٧١) . وفي إسناده سماك بن حرب صدوق وروايته عن عكرمة خاصة مضطربة - وليست هذه منها - وقد تغير بأخرة فكان ربما تلقن . وبقية إسناده ثقات .

[١] - سقط من ز .

[٢] - في ز : « المنيب العبدي » .

[٣] - في ز : « بن أبي » .

[٤] - سقط من ز .

الواقعة : اسم[١] من أسماء يوم القيامة ، سميت بذلك لتحقق كونها ووجودها ، كما قال : ﴿ **فيومئذٍ وقعت الواقعة** ﴾ .

وقوله : ﴿ **ليس لوقعتها كاذبة** ﴾ أي : [ليس][٢] لوقوعها إذا أراد اللَّه كونَها صارفٌ يصرفها ولا دافع يدفعها ، كما قال : ﴿ **استجيبوا لربكم من قبل أن يأتي يوم لا مرد له من اللَّه** ﴾ ، وقال : ﴿ **سأل سائل بعذاب واقع للكافرين ليس له دافع** ﴾ ، وقال تعالىٰ : ﴿ **ويوم يقول كن فيكون قوله الحق وله الملك يوم ينفخ في الصور عالم الغيب والشهادة وهو الحكيم الخبير** ﴾ .

ومعنىٰ ﴿ **كاذبة** ﴾ - كما قال محمد بن كعب - : لابد أن تكون . وقال قتادة : ليس فيها [مثنوية][٣] ولا ارتداد ولا رجعة .

قال ابن جرير : والكاذبة : / مصدر كالعاقبة والعافية .

وقوله : ﴿ **خافضة رافعة** ﴾ ، أي : تخفض أقوامًا إلىٰ أسفل السافلين إلىٰ الجحيم ، وإن كانوا في الدنيا أعزاء ، وترفع آخرين إلىٰ أعلىٰ علّيين إلىٰ النعيم المقيم[٤] ، وإن كانوا في الدنيا وُضَعَاء . وهكذا قال الحسن ، وقتادة وغيرهما .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا يزيد بن عبد الرحمن بن مصعب المعنى ، حدثنا حميد بن عبد الرحمن الرؤاسي ، عن أبيه ، عن سماك ، عن عكرمة ، عن ابن عباس : ﴿ **خافضة رافعة** ﴾ : تخفض أناسًا وترفع آخرين (٥).

وقال عبيد اللَّه العَتَكي ، عن عثمان بن سراقة ابن خالة عمر بن الخطاب : ﴿ **خافضة رافعة** ﴾ الساعة خفضت أعداء اللَّه إلىٰ النار ، ورفعت أولياء اللَّه إلىٰ الجنة .

وقال محمد بن كعب : تخفض رجالًا كانوا في الدنيا مرتفعين ، وترفع رجالًا كانوا في الدنيا مخفوضين .

وقال السدي : خفضت المتكبرين ورفعت المتواضعين .

وقال العَوفي ، عن ابن عباس : ﴿ **خافضة رافعة** ﴾ : أسمعت القريب والبعيد .

وقال عكرمة : خفضت فأسمعت الأدنىٰ ، ورفعت فأسمعت الأقصىٰ . وكذا قال

(٥) - في إسناده سماك بن حرب وفي روايته عن عكرمة اضطراب .

[١] - سقط من ت .
[٢] - سقط من ز ، خ .
[٣] - في ز : « تنويه » .
[٤] - سقط من ز ، خ .

الضحاك وقتادة .

وقوله : ﴿ **إذا رجت الأرض رجًا** ﴾ ، أي : حركت تحريكًا فاهتزت واضطربت بطولها وعرضها ؛ ولهذا قال ابن عباس ، ومجاهد ، وقتادة ، وغير واحد في قوله : ﴿ **إذا رجت الأرض رجًا** ﴾ ، أي : زلزلت زلزالًا .

وقال الربيع بن أنس : ترج بما فيها كرج الغربال بما فيه .

وهذه كقوله تعالىٰ : ﴿ **إذا زلزلت الأرض زلزالها** ﴾ ، وقال تعالىٰ : ﴿ **يا أيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شيء عظيم** ﴾ .

وقوله : ﴿ **وبست الجبال بسًا** ﴾ ، أي : فُتِّتت فتًا . قاله ابن عباس ، ومجاهد ، وعكرمة ، وقتادة ، وغيرهم . وقال[١] ابن زيد : صارت الجبال كما قال تعالىٰ : ﴿ **كثيبًا مهيلًا** ﴾ .

وقوله : ﴿ **فكانت هباءً منبثًا** ﴾ ، قال أبو إسحاق ، عن الحارث ، عن علي رضي الله عنه : ﴿ **هباء منبثًا** ﴾ كرهَج الغبار يسطع ثم يذهب ، فلا يبقىٰ منه شيء .

وقال العوفي ، عن ابن عباس في قوله : ﴿ **فكانت هباء منبثًا** ﴾ : الهباء الذي يطير من النار إذا اضطرمت[٢] يطير منه الشرر ، فإذا وقع لم يكن شيئًا .

وقال عكرمة : المنبث : الذي قد ذرته الريح وبثته .وقال / قتادة : ﴿ **هباء منبثًا** ﴾ كيبيس الشجر الذي تذروه[٣] الرياح .

وهذه الآية كأخواتها الدالة علىٰ زوال الجبال عن أماكنها يوم القيامة ، وذهابها وتسييرها ونسفها[٤] وصيرورتها كالعهن المنفوش .

وقوله : ﴿ **وكنتم أزواجًا ثلاثة** ﴾ ، أي : ينقسم الناس يوم القيامة إلىٰ ثلاثة أصناف : قوم عن يمين العرش ، وهم [ ][٥] الذين خرجوا من شق آدم الأيمن ، ويؤتون كتبهم[٦] بأيمانهم ، ويؤخذ بهم ذات اليمين . قال السدي : وهم جمهور أهل الجنة . وآخرون عن يسار العرش ، وهم الذين خرجوا من شق آدم الأيسر ويؤتون كتبهم بشمائلهم ، ويؤخذ بهم ذات الشمال ، وهم عامة أهل النار - عياذًا بالله من صنيعهم - وطائفة سابقون[٧] بين يديه

---

[١] - في ز : « وقاله » .
[٢] - في خ : « اضطربت » .
[٣] - في ز : « تذراه » .
[٤] - بعده في ت : أي قلعها .
[٥] - في ز : من .
[٦] - في ت ، خ : كتابهم .
[٧] - في خ : منافقون .

وهم أخص وأحظىٰ وأقرب من أصحاب اليمين الذين[١] هم ساداتهم[٢]، فيهم الرسل والأنبياء والصديقون والشهداء، وهم أقل عددًا من أصحاب اليمين؛ ولهذا قال: ﴿ **فأصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة * وأصحاب المشأمة ما أصحاب المشأمة * والسابقون السابقون** ﴾. وهكذا قسمهم إلىٰ هذه الأنواع الثلاثة في آخر السورة وقت احتضارهم، وهكذا ذكرهم في قوله تعالىٰ: ﴿ **ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله** ...﴾ الآية. وذلك على أحد القولين في الظالم لنفسه كما تقدم بيانه.

قال سفيان الثوري، عن جابر الجعفي، عن مجاهد، عن ابن عباس في قوله: ﴿ **وكنتم أزواجًا ثلاثة** ﴾، قال: هي التي في سورة الملائكة: ﴿ **ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات** ﴾.

وقال ابن جريج، عن ابن عباس: هذه الأزواج الثلاثة هم المذكورون في آخر السورة و[٣]في سورة الملائكة.

وقال يزيد الرقاشي: سألت ابن عباس عن قوله: ﴿ **وكنتم أزواجًا ثلاثة** ﴾، قال: أصنافًا ثلاثة.

وقال مجاهد: ﴿ **وكنتم أزواجًا ثلاثة** ﴾، يعني: فرقًا ثلاثة. وقال ميمون بن مهران: أفواجًا ثلاثة. وقال عُبيد الله العَتَكي[٤]، عن عثمان بن سُراقة ابن خالة عمر بن الخطاب: ﴿ **وكنتم أزواجًا ثلاثة** ﴾: اثنان في الجنة، وواحد في النار.

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا محمد / بن الصباح، حدثنا الوليد بن أبي ثَور، عن سماك، عن النعمان بن بشير؛ قال: قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم: ﴿ **وإذا النفوس زوجت** ﴾، قال: الضرَباء، [ ][٥] كل رجل من كل قوم كانوا يعملون عمله، وذلك بأن الله يقول: ﴿ **وكنتم أزواجًا ثلاثة * فأصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة * وأصحاب المشأمة ما أصحاب المشأمة * والسابقون السابقون** ﴾، قال: هم الضرَباء(٦).

وقال الإمام أحمد: حدثنا محمد بن عبد الله بن المثنىٰ، حدثنا البراء الغنوي[٦]، حدثنا

(٦) - في إسناده الوليد بن أبي ثور: ضعيف.

[١] - سقط من ز.
[٢] - في ز: «سادتهم».
[٣] - سقط من ت، خ.
[٤] - في ز: «بن المعلى».
[٥] - في ز: «قال».
[٦] - في ز: «المعنوي».

الحسن ، عن معاذ بن جبل : أن رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم تلا هذه الآية : ﴿ **وأصحاب اليمين** ﴾ ، ﴿ **وأصحاب الشمال** ﴾ ، فقبض بيديه[١] قبضتين فقال : « **هذه للجنة ولا أبالي ، وهذه للنار ولا أبالي** »(٧) .

وقال أحمد أيضًا : حدثنا حسن ، حدثنا ابن لهيعة ، حدثنا خالد بن أبي عمران ، عن القاسم بن محمد ، عن عائشة ، عن رسول اللّٰه - صلىٰ اللّٰه عليه وسلم - أنه قال : « **أتدرون من السابقون إلىٰ ظل اللّٰه يوم القيامة ؟** » قالوا : اللّٰه ورسوله أعلم . قال : « **الذين إذا أُعطوا الحق قَبِلُوه ، وإذا سئلوه[٢] بذلوه ، وحكموا للناس كحكمهم لأنفسهم** »(٨) .

وقال محمد بن كعب وأبو حَزْرَة يعقوب بن مجاهد : ﴿ **والسابقون السابقون** ﴾ : هم الأنبياء عليهم السلام . وقال السدي : هم أهل[٣] عليين . وقال ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، عن ابن عباس : ﴿ **والسابقون السابقون** ﴾ ، قال : يوشع بن نون سبق إلىٰ موسىٰ ، [ومؤمن][٤] آل « **يس** » سبق إلىٰ عيسىٰ ، وعلي بن أبي طالب سبق إلىٰ محمد رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم . رواه ابن أبي حاتم ، عن محمد بن هارون الفلاس ، عن عبد اللّٰه بن إسماعيل المدائني البزاز[٥] ، عن شعيب[٦] بن الضحاك المدائني ، عن سفيان بن عيينة ، عن ابن أبي نجيح به .

وقال ابن أبي حاتم : وذَكَر محمد بن أبي حماد ، حدثنا مهران ، عن خارجة ، عن قرة[٧] ، عن ابن سيرين : ﴿ **والسابقون السابقون** ﴾ ، الذين صلوا القبلتين[٨] .

ورواه ابن جرير من حديث خارجة[٩] به .

وقال الحسن وقتادة : ﴿ **والسابقون السابقون** ﴾ ، أي : من كل أمة .

وقال الأوزاعي ، عن عثمان بن أبي سودة أنه قرأ هذه الآية : ﴿ **والسابقون السابقون * أولئك المقربون** ﴾ ، ثم قال : أولهم رَوَاحًا إلىٰ المسجد ، وأولهم خروجًا في سبيل اللّٰه /.

---

(٧) - أخرجه أحمد (٢٣٩/٥) (٢٢١٧٦) . وفي إسناده انقطاع بين الحسن ومعاذ ، والبراء ضعيف .
(٨) - أخرجه أحمد (٦٧/٦) (٢٤٤٩٠) . وفي إسناده ابن لهيعة وهو سيئ الحفظ .

---

[١] - في ت : « بيده » .
[٢] - في ز ، خ : « سئلوا » .
[٣] - سقط من ز ، خ .
[٤] - في ز : « ومن » .
[٥] - في ز ، خ : « البزار » .
[٦] - في ز ، خ : « سفيان » .
[٧] - في خ : مرة .
[٨] - في ت : « للقبلتين » .
[٩] - في ز : « الخارجة » .

وهذه الأقوال كلها صحيحة ؛ فإن المرادَ بالسابقين هم المبادرون إلىٰ فعل الخيرات كما أمروا ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **وسارعوا إلىٰ مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض** ﴾ ، وقال : ﴿ **سابقوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها كعرض السماء والأرض** ﴾ . فمن سابق في هذه الدنيا وسَبَقَ إلىٰ الخير ، كان في الآخرة من السابقين إلىٰ الكرامة ، فإن الجزاء من جنس العمل ، وكما تدين تدان ؛ ولهذا قال تعالىٰ : ﴿ **أولئك المقربون * في جنات النعيم** ﴾(٩) .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا يحيىٰ بن زكريا القزاز[١] الرازي ، حدثنا خارجة بن مُصعب ، عن زيد بن أسلم ، عن عطاء بن يسار ، عن عبد الله بن عمرو قال : قالت الملائكة : يا رب ، جعلت لبني آدم الدنيا فهم يأكلون ويشربون ويتزوجون ، فاجعل لنا الآخرة . فقال : لا أفعل . فراجعوا ثلاثًا ، فقال : لا أجعل من خلقت بيدي كمن قلت له : كن ، فكان ، ثم قرأ عبد الله : ﴿ **والسابقون السابقون * أولئك المقربون * في جنات النعيم** ﴾ .

وقد روىٰ هذا الأثر الإمام عثمان بن سعيد الدارمي في كتابه « **الرد علىٰ الجهمية** » ، ولفظه : فقال الله عز وجل : « **لن أجعل صالح ذرية من خلقت بيدي ، كمن قلت له : كن ، فكان** » .

ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ ﴿١٤﴾ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ ﴿١٥﴾ مُّتَّكِـِٔينَ عَلَيْهَا مُتَقَٰبِلِينَ ﴿١٦﴾ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿١٨﴾ لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ ﴿١٩﴾ وَفَٰكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢١﴾ وَحُورٌ عِينٌ ﴿٢٢﴾ كَأَمْثَٰلِ ٱللُّؤْلُؤِ ٱلْمَكْنُونِ ﴿٢٣﴾ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ﴿٢٥﴾ إِلَّا قِيلًا سَلَٰمًا سَلَٰمًا ﴿٢٦﴾

(٩) - في إسناده خارجة بن مصعب : متروك . وكان يدلس عن الكذابين . وأخرجه ابن الجوزي في «العلل المتناهية » (٤٨/١) من طريق آخر عن ابن عمر - رضي الله عنه - مرفوعًا . وقال : هذا حديث لا يصح ، وكان الحميدي يتكلم في عبد المجيد . وقال ابن حبان : يقلب الأخبار ويروي المنكرات عن المشاهير ؛ فاستحق الترك . قال الدارقطني : وقد رواه سريج بن يونس عن عبد المجيد فوقفه ، والموقوف أصح .

[١] - في ز ، خ : الفزاري .

يقول تعالىٰ مخبرًا عن هؤلاء السابقين المقربين : إنهم ﴿ثُلَّة﴾ ، أي : جماعة من الأولين وقليل من الآخرين . وقد اختلفوا في المراد بقوله ﴿ **الأولين** ﴾ و ﴿ **الآخرين** ﴾ . فقيل : المراد بالأولين الأمم الماضية ، وبالآخرين هذه الأمة . هذا رواية عن مجاهد ، والحسن البصري ، رواها[١] عنهما ابن أبي حاتم . وهو اختيار ابن جرير ، واستأنس بقوله صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **نحن الآخرون السابقون يوم القيامة** »(١٠) . ولم يحك غيره ، ولا عزاه إلى أحد /.

ومما يستأنس به لهذا القول ما رواه الإمام أبو محمد بن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا محمد بن عيسىٰ بن الطباع ، حدثنا شريك ، عن محمد بن عبد الرحمن ، عن أبيه ، عن أبي هريرة قال : لما نزلت ﴿ **ثلة من الأولين * [وقليل من الآخرين** ﴾ ، شق ذلك علىٰ أصحاب النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم فنزلت : ﴿ **ثلة من الأولين**][٢] * **وثلة من الآخرين** ﴾ فقال النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **إني لأرجو أن تكونوا ربع أهل الجنة ، ثلث أهل الجنة ، بل أنتم نصف أهل الجنة - أو : شَطر أهل الجنة - وتقاسمونهم النصف الثاني** »(١١) .

ورواه الإمام أحمد ، عن أسود بن عامر ، عن شريك ، عن محمد بياع الملاء ، عن أبيه ، عن أبي هريرة ... فذكره(١٢) .

وقد روي من حديث جابر نحو هذا ، ورواه الحافظ ابن عساكر من طريق هشام بن عمار : حدثنا عبد ربه بن صالح ، عن عروة[٣] بن رُويم ، عن جابر بن عبد اللَّه ، عن النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم : [ ][٤] لما نزلت : ﴿ **إذا وقعت الواقعة** ﴾ ، ذكر [فيها][٥] ثلة من الأولين وقليل من الآخرين . قال عمر : يا رسول اللَّه ، ثلة من الأولين وقليل منا ؟ [قال : فأمسك][٦] آخر السورة سنة ، ثم نزل : ﴿ **ثلة من الأولين * وثلة من الآخرين** ﴾ ، فقال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : [« **يا عمر**][٧] ، **تعال فاسمع ما قد**[٨] **أنزل اللَّه** : ﴿ **ثلة من الأولين وثلة من الآخرين** ﴾ ، **ألا وإن من**[٩] **آدم إليَّ ثلة ، وأمتي ثلة** ، [ولن

---

(١٠) - تقدم تخريجه في تفسير سورة البقرة آية رقم (٢٢٤) .

(١١) - في إسناده محمد بن عبد الرحمن بن خالد بن ميسرة ، وأبوه ، وكلاهما قال عنه الحافظ في التقريب : مقبول . وشريك وهو ابن عبد الله النخعي وهو ضعيف من قبل حفظه .

(١٢) - أخرجه أحمد (٣٩١/٢) وإسناده كسابقه .

---

[١] - في ز : « رواه » .

[٢] - ما بين المعكوفين سقط من خ .

[٣] - في ز : « هروة » .

[٤] - في ز : « قال » .

[٥] - في ز ، خ : منها .

[٦] - بياض في ز .

[٧] - سقط من ز .

[٨] - سقط من ز .

[٩] - في ز ، خ : « بني » .

نستكمل ثلثنا حتىٰ نستعين بالسودان][١] من رعاة الإبل ممن شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له »(١٣) .

هكذا أورده في ترجمة « عُرْوة بن رُوَيم » ، إسنادًا ومتنًا[٢] ، ولكن في إسناده نظر . وقد وردت طرق كثيرة متعددة بقوله صلىٰ الله عليه وسلم : « **إني لأرجو أن تكونوا ربع أهل الجنة** ...»(١٤) الحديث بتمامه ، وهو مفرد في « **صفة الجنة** » ولله الحمد والمنة .

وهذا الذي اختاره ابن جرير هاهنا فيه نظر ، بل هو قول ضعيف ، لأن هذه الأمة هي خير الأمم بنص القرآن ، فيبعد أن يكون المقربون في غيرها أكثر منها[٣] ، اللَّهم إلا أن يقابل مجموع الأمم بهذه الأمة ، / والظاهر أن المقربين من هؤلاء أكثر من سائر الأمم ، والله أعلم . فالقول الثاني في هذا المقام هو الراجح ، وهو أن يكون المراد بقوله : ﴿ **ثلة من الأولين** ﴾ ، أي : من[٤] صدر هذه الأمة ، ﴿ **وقليل من الآخرين** ﴾ ، أي : من هذه الأمة .

قال ابن أبي حاتم : حدثنا الحسن بن محمد بن[٥] الصباح ، حدثنا عفان ، حدثنا عبد الله بن بكر المزني[٦] ، سمعت الحسن أتىٰ علىٰ هذه الآية : ﴿ **والسابقون السابقون * أولئك المقربون** ﴾ ، فقال : أما السابقون فقد مضوا ، ولكن ، اللَّهم اجعلنا من أهل اليمين .

ثم قال : حدثنا أبي ، حدثنا أبو الوليد ، حدثنا السري بن يحيىٰ قال : قرأ الحسن : ﴿ **والسابقون السابقون * أولئك المقربون * [في جنات النعيم][٧] * ثلة من الأولين** ﴾ قال : ثلة ممن مضىٰ من هذه الأمة .

---

(١٣) - أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق (١١/٥٥٥ - مخطوط) . وهشام بن عمار صدوق مقرئ كبر فصار يتلقن فحديثه القديم أصح . وعبد ربه بن صالح ذكره ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل (٤٤/٦) ولم يذكر فيه جرحًا ولا تعديلًا . وعروة بن رويم روايته عن جابر مرسلة كما في جامع التحصيل للعلائي (٢٣٦) .

(١٤) - أخرجه البخاري في كتاب : الأنبياء ، باب : قصة يأجوج ومأجوج ، حديث (٣٣٤٨) (٦/ ٣٨٢) .

ومسلم في كتاب : الإيمان ، باب : قوله : « يقول الله لآدم : أخرج بعث النار ... » ، حديث (٣٧٩ - ٢٢٢) (٣/١٢١ - ١٢٣) .

---

[١] - ما بين المعكوفين في ز ، خ : « وإن يستعمل حتى نستعين بالسروان » .

[٢] - بياض في ز ، وسقط من خ .

[٣] - سقط من ز ، خ .

[٤] - سقط من ز ، خ .

[٥] - سقط من خ .

[٦] - في ز : المزي .

[٧] - سقط من ز ، خ .

وحدثنا أبي ، حدثنا عبد العزيز بن المغيرة المنقري ، حدثنا أبو هلال ، عن محمد بن سيرين أنه قال في هذه الآية : ﴿ **ثلة من الأولين * وقليل من الآخرين** ﴾ ، قال : كانوا يقولون أو يرجون أن يكونوا كلهم من هذه الأمة . فهذا قول الحسن وابن سيرين أن الجميع من هذه الأمة . ولا شك أن أول كل أمة خير من آخرها ، فيحتمل أن يعم الأمر جميع الأمم كل أمة بحسبها ؛ ولهذا ثبت في الصحاح وغيرها من غير وجه أن رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم قال : « **خير القرون قرني ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم** » [الحديث بتمامه(١٥) .

أما الحديث الذي رواه الإمام أحمد][١] حدثنا عبد الرحمن ، حدثنا زياد أبو عمر ، عن الحسن ، عن عمار بن ياسر قال : قال رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **مثل أمتي مثل المطر ، لا يدرىٰ أوله خير أم آخره** »(١٦) . فهذا الحديثُ - بعد[٢] الحكم بصحة إسناده - محمول علىٰ أن الدين كما هو محتاج إلىٰ أول الأمة في إبلاغه إلىٰ من بعدهم ، كذلك هو محتاج إلىٰ القائمين به في أواخرها ، وتثبيت الناس علىٰ السنة وروايتها وإظهارها ، والفضل للمتقدم[٣] ، وكذلك الزرع الذي يحتاج إلىٰ المطر الأول وإلىٰ المطر الثاني ، ولكن العمدة الكبرىٰ علىٰ الأول ، واحتياج الزرع إليه آكد ، فإنه لولاه ما نبت في الأرض [ولا تعلق][٤] أساسه فيها ، ولهذا قال - عليه السلام - : « **لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين علىٰ الحق ، لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم إلىٰ قيام الساعة** » / - وفي لفظ : « **حتىٰ يأتي أمر اللّٰه وهم كذلك** »(١٧) .

والغرض أن هذه الأمة أشرف من سائر الأمم ، والمقربون فيها أكثر من غيرها وأعلىٰ منزلة ، لشرف دينها وعظم نبيها ، ولهذا ثبت بالتواتر عن رسول اللّٰه - صلىٰ اللّٰه عليه وسلم - أنه أخبر أن في هذه الأمة سبعين ألفًا يدخلون الجنة بغير حساب ، وفي لفظ : « **مع**

---

(١٥) - أخرجه البخاري في كتاب : فضائل أصحاب النبي - صلى الله عليه وسلم - ، باب : (١) ، حديث (٣٦٥١) .

ومسلم في كتاب : فضائل الصحابة ، باب : فضل الصحابة ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم ، حديث (٢٥٣٣) (١٢٧/١٦ وما بعدها) . كلاهما من حديث عبد الله بن مسعود بنحو هذا اللفظ .

(١٦) - أخرجه أحمد (٣١٩/٤) (١٨٩٣٤) والحسن يدلس ويرسل . لكن حسن ابن حجر هذا الحديث بطرقه في فتح الباري (٦/٧) .

(١٧) - تقدم تخريجه في سورة البقرة آية : (١٢٩) . وهو حديث صحيح متفق عليه .

---

[١] - ما بين المعكوفين سقط من ت .

[٢] - في ز : يبعد .

[٣] - في ز : متقدم .

[٤] - سقط من ز ، خ .

كل ألف سبعون ألفًا » ، وفي آخر : « **مع كل واحد سبعون ألفًا** »(١٨) .

وقد قال الحافظ أبو القاسم الطبراني : حدثنا هشام[١] بن يزيد الطبراني ، حدثنا محمد - هو ابن إسماعيل بن عياش - حدثني أبي ، حدثني [ ][٢] ضمضم - يعني ابن زُرعة - عن شُريح - هو ابن عبيد - عن أبي مالك قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **أما والذي نفسي بيده ، ليبعثن منكم يوم القيامة مثل الليل الأسود زُمرة جميعُها يحيطون الأرض ، تقول الملائكة : لَمَا جاء مع[٣] محمد ، صلىٰ الله عليه وسلم ، أكثرُ مما جاء مع الأنبياء عليهم السلام** »(١٩).

وحسن أن يذكر هاهنا الحديث الذي رواه الحافظ أبو بكر البيهقي في « **دلائل النبوة** » حيث قال : أخبرنا أبو نصر بن قتادة ، أخبرنا أبو عمرو بن مطر ، حدثنا جعفر بن محمد بن المستفاض الفريابي ، حدثني أبو وهب الوليد بن عبد الملك بن عبد[٤] الله بن مسرح الحراني ، حدثنا سليمان بن عطاء القرشي الحراني ، عن مسلمة[٥] بن عبد الله الجُهني ، عن عمه أبي مَشْجَعَة بن ربعي ، عن ابن زِمْل الجُهني - رضي الله عنه - قال : كان رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم إذا صلىٰ الصبح قال - وهو ثَانٍ [رجليه][٦] - : « **سبحان الله وبحمده ، أستغفر الله ، إن الله كان توابًا** » - سبعين مرة - ثم يقول : « **سبعين بسبعمائة ، لا خير لمن كانت ذنوبه في يوم واحد أكثر من سبعمائة** » . ثم يقول ذلك مرتين ، ثم يستقبل الناس بوجهه ، وكان يعجبه الرؤيا ، ثم يقول : « **هل رأى أحد منكم شيئًا ؟** » . قال [ابن زمل][٧] : فقلت : أنا يا رسول الله . فقال : « **خير تلقاه ، وشر توقاه ، وخير لنا ، وشر علىٰ أعدائنا ، والحمد لله رب العالمين ، اقصص رؤياك** » .

فقلت : رأيت جميع الناس علىٰ طريق رَحب سهل لاحب(*) ، والناس على الجادة منطلقين ، فبينما هم كذلك إذ أشفىٰ(**) ذلك الطريق على مرج لم تر عيني مثله ، يرف

---

(١٨) - تقدم تخريج هذه الروايات في تفسير سورة آل عمران آية : (١١٠) .

(١٩) - إسناده ضعيف ؛ شريح عن أبي مالك مرسل كما في جامع التحصيل (١٩٥) . وضمضم : صدوق يهم . ومحمد بن إسماعيل عابوا عليه أنه حدث عن أبيه بغير سماع .

(*) اللاحب : الطريق الواسع المنقاد الذي لا ينقطع . النهاية (٢٣٥/٤) .

(**) أي : أشرف عليه . انظر النهاية (٤٨٩/٢) .

---

[١] - في ز ، خ : هاشم .

[٢] - في ز : ابن .

[٣] - سقط من خ .

[٤] - في ت : عبيد .

[٥] - في ز ، خ : مسلم .

[٦] - في ت : رجله .

[٧] - في ز : « أبو رتل » . بلا نقط .

رفيقًا ، / يقطر ماؤه ، فيه من أنواع الكلأ ، قال : [وكأني][١] بالرعلة الأولىٰ حين أشفوا على المرج كبروا ، ثم أكبوا رواحلهم في الطريق ، فلم يظلموه[٢] يمينًا ولا شمالاً ، قال : فكأني أنظر إليهم منطلقين . ثم جاءت الرّعلة الثانية وهم أكثر منهم أضعافًا ، فلما أشفوا علىٰ المرج كبروا ثم أكبوا رواحلهم في الطريق [فمنهم المرتع][٣] ، ومنهم الآخذ الضغث . ومضوا علىٰ ذلك . قال : ثم قَدم عُظم الناس ، فلما أشفوا على المرج كبروا وقالوا : هذا خير المنزل . كأني أنظر إليهم يميلون يمينًا وشمالاً ، فلما رأيت ذلك لزمت الطريق حتىٰ آتي أقصىٰ المرج ، فإذا أنا بك يا رسول الله علىٰ منبر فيه سبع درجات وأنت في أعلاها درجة ، وإذا عن يمينك رجل آدم شثل[٤] أقنىٰ ، إذا هو تكلم يسمو فيفرع الرجال طولاً ، وإذا عن يسارك[٥] رجل ، ربعة باذّ كثير خيلان الوجه ، كأنما حُمّم شَعْره بالماء ، إذا هو تكلم أصغيتم إكرامًا له ، وإذا أمام ذلك رجل شيخ أشبه الناس بك خلقًا ووجهًا ، كلكم تؤمّونه تريدونه ، وإذا أمام ذلك ناقة عجفاء شارف ، وإذا أنت يا رسول الله كأنك تبعثها . قال : فامتقع لونُ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ساعة ثم سرّي عنه ، وقال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **أمّا ما رأيت من الطريق السهل الرحب اللاحب ، فذاك ما حُملتم عليه من الهدىٰ وأنتم عليه . وأما المرج الذي رأيت فالدنيا [وغضارة عيشها][٦] ، مضيت[٧] أنا وأصحابي لم نتعلق منها بشيء ، ولم تتعلق منا ، ولم نردها ولم تردنا . ثم جاءت الرّعلة الثانية من بعدنا وهم أكثر منا أضعافًا ، فمنهم المرتع[٨] ومنهم الآخذ الضغث ، ونجوا علىٰ ذلك . ثم جاء عُظْمُ الناس فمالوا في المَرْج يمينًا وشمالاً ، فإنا لله وإنا إليه راجعون ، وأما أنت فمضيت علىٰ طريقة صالحة فلن تزال عليها حتىٰ تلقاني ، وأما المنبر الذي رأيت فيه سبع درجات وأنا في أعلاها درجة ، فالدنيا سبعة آلاف سنة ، أنا في آخرها [ألفًا . و][٩] أما الرجل الذي رأيتَ علىٰ يميني الآدَم الشّثل ، فذاك موسىٰ - عليه السلام - ، إذا تكلم يعلو الرجال بفضل كلام الله إياه ، والذي / رأيت عن يساري الباذّ الربعة الكثير خيلان الوجه كأنما حُمّم شعره بالماء ، فذاك عيسىٰ ابن مريم ، نكرمه لإكرام الله إياه . وأما الشيخ الذي رأيت أشبه الناس بي خلقًا ووجهًا فذاك أبونا إبراهيم ، كلنا نؤمّه ونقتدي به . وأما الناقة التي رأيت ورأيتني أبعثها ، فهي الساعة ، علينا تقوم ، لا نبي بعدي ، ولا أمة بعد أمتي**» . قال : فما سأل رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم عن رؤيا بعد هذا إلا أن يجيء

[١] - في ز ، خ : وكانوا .

[٢] - في خ : يكلموه .

[٣] - في ز : منهم المريع .

[٤] - في ز : شتل . وفي الدلائل : شعث .

[٥] - في الدلائل : يساره .

[٦] - في ز ، خ : وعصاك نصيب .

[٧] - سقط من ز ، خ .

[٨] - في ز : المرقع .

[٩] - سقط من ز .

الرجل فيحدثه بها متبرعًا(٢٠) .

وقوله : ﴿ علىٰ سرر موضونة ﴾ . قال ابن عباس : أي مرمولة[١] بالذهب ؛ يعني : منسوجة به . وكذا قال مجاهد ، وعكرمة ، وسعيد بن جبير ، وزيد بن أسلم ، وقتادة ، والضحاك ، وغيره .

وقال السدي : مرمولة[٢] بالذهب واللؤلؤ . وقال عكرمة : مشبكة بالدر والياقوت . وقال ابن جرير : ومنه سمي وَضِين الناقة الذي تحت بطنها ، وهو فعيل بمعنىٰ مفعول ، لأنه مضفور ، وكذلك السرر في الجنة مضفورة بالذهب واللآلئ .

وقوله[٣] : ﴿ متكئين عليها متقابلين ﴾ ، أي : وجوه بعضهم إلىٰ بعض ، ليس أحد وراء أحد . ﴿ يطوف عليهم ولدان مخلدون ﴾ ، أي : مخلدون علىٰ صفة واحدة ، لا يكبرون عنها ولا يشيبون ولا يتغيرون ، ﴿ بأكواب وأباريق وكأس من معين ﴾ ، أما الأكواب فهي : الكيزان التي لا خراطيم لها ولا آذان ، والأباريق : التي جمعت الوصفين . والكئوس : الهنابات ، والجميع من خمر من عين جارية معين[٤] ، ليس من أوعية تنقطع وتفرغ ، بل من عيون سارحة .

وقوله : ﴿ لا يصدعون عنها ولا ينزفون ﴾ ، أي : لا تصدع رءوسهم ولا تنزف عقولهم ، بل هي ثابتة مع الشدة المطربة واللذة الحاصلة .

وروىٰ الضحاك ، عن ابن عباس أنه قال : في الخمر أربع خصال : السكر ، والصداع ، والقيء ، والبول . فذكر اللَّه خمر الجنة ونزهها عن هذه الخصال .

وقال مجاهد ، وعكرمة ، وسعيد بن جبير ، وعطية ، وقتادة ، والسدّي : ﴿ لا يصدعون عنها ﴾ ، يقول : ليس لهم فيها صداع رأس .

وقالوا في قوله : ﴿ولا ينزفون﴾ أي : لا تذهب بعقولهم .

---

(٢٠) - أخرجه البيهقي في الدلائل (٣٦/٧ - ٣٨) وفي إسناده سليمان بن عطاء شيخ يروى عن مسلمة بن عبد الله الجهني عن عمه أبي شجعة بن ربعي بأشياء موضوعة ، لا تشبه حديث الثقات فلست أدرى التخليط فيها منه أو من مسلمة .اهـ من المجروحين لابن حبان (٣٢٥/١) وقد روى له هذا الحديث شاهدًا على ذلك .

---

[١] - في ز : مزمولة .
[٢] - في ز : مزمولة .
[٣] - في ز : التي .
[٤] - في خ : يعني . وفي ت ، ز : معني .

وقوله : ﴿ وفاكهة مما يتخيرون ﴾ ، أي : ويطوفون عليهم بما[١] يتخيرون / من الثمار .

وهذه الآية دليل على جواز أكل الفاكهة على صفة التخير لها ، ويدل على ذلك حديث [عِكْرَاش بن ذُؤيب][٢] الذي رواه الحافظ أبو يعلى الموصلي رحمه الله في مسنده : حدثنا العباس بن الوليد النرسي[٣] ، حدثنا العلاء بن [الفضل][٤] بن عبد الملك بن أبي سَوِيَّة ، حدثنا عبيد[٥] الله بن [عكراش ، عن أبيه][٦]عكراش بن ذؤيب قال : بعثني بنو[٧] مرة في صدقات أموالهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقدمت المدينة فإذا هو جالس بين[٨] المهاجرين والأنصار ، وقدمت عليه بإبل كأنها عُروق الأرْطَى ، قال : « **من الرجل ؟** » . قلت : عكراش بن ذُؤيب . قال : « **ارفع في[٩] النسب** » . فانتسبت له إلى مُرة بن عُبيد ، وهذه صدقة مرة بن عبيد . فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال : « **هذه إبل قومي ، هذه صدقات قومي** » . ثم أمر بها أن تُوسم بِمِيسَم إبل الصدقة وتضم إليها . ثم أخذ بيدي فانطلقنا إلى منزل أم سلمة ، فقال : « **هل من طعام ؟** » فأتينا بجفنة كثيرة الثريد والوَدْر ، فجعل يأكل منها(*) ، فأقبلت أخبط بيدي في جوانبها ، فقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده اليسرى على يدي اليمنى ، فقال : « **يا عكرَاش ، كل من موضع واحد ، فإنه طعام واحد** » . ثم أتينا بطبق فيه تمر أو رطب - شك عبيد الله رطبًا كان أو تمرًا[١٠] - فجعلت آكل من بين يدي ، وجالت يد رسول الله صلى الله عليه وسلم في الطبق ، وقال : « **يا[١١] عكراش ، كُل من حيث شئت ، فإنه غير لون واحد** » . ثم أتينا بماء فغسل رسول الله صلى الله عليه وسلم يده[١٢] ومسح ببلل[١٣] كفيه وَجْهه وذراعيه ورأسه ثلاثًا ، ثم قال : « **يا عكراش ، هذا الوضوء مما غيرت[١٤] النار** »(٢١) .

(*) أي كثيرة قطع اللحم .

(٢١) - في إسناده عبيد الله بن عكراش ، قال البخاري : لا يثبت حديثه . والعلاء بن الفضل : ضعيف . وقد أخرجه ابن حبان في المجروحين ، بإسناد أبي يعلى (٢/١٨٣ - ١٨٤) ، وقال : العلاء بن الفضل كان ممن ينفرد بأشياء مناكير عن أقوام مشاهير ، لا يعجبني الاحتجاج بأخباره التي انفرد بها ، فأما ما وافق فيها الثقات ، فإن اعتبر بذلك معتبر لم أر بذلك بأسًا .

---

[١] - في ز ، خ : مما .
[٢] - في ز ، خ : « علي بن أنس بن ذؤيب » .
[٣] - في ز : المرسي .
[٤] - في ز ، خ : المفضل .
[٥] - في ز ، خ : عبد .
[٦] - سقط من ز ، خ .
[٧] - سقط من ز ، خ .
[٨] - في ز : في .
[٩] - في ز ، خ : من .
[١٠] - في ز : هذا .
[١١] - سقط من ز ، خ .
[١٢] - سقط من ز ، خ .
[١٣] - في ز ، خ : بتلك .
[١٤] - في ز : عوت .

وهكذا رواه الترمذي مطولًا وابن ماجة جميعًا ، عن محمد بن بشار ، عن أبي الهُذيل العلاء بن الفضل ، به(٢٢) . وقال الترمذي : غريب لا نعرفه إلا من حديثه .

وقال الإمام أحمد : حدثنا بَهز بن أسد وعفان - وقال الحافظ أبو يعلىٰ : حدثنا شيبان - قالوا : حدثنا سليمان بن المغيرة ، حدثنا ثابت قال : قال أنس : كان رسول اللّٰه ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، تعجبه الرؤيا ، فربما رأىٰ الرجل الرؤيا فسأل / عنه إذا لم يكن يعرفه ، فإذا أُثني عليه معروف كان أعجب لرؤياه إليه[١] ، فأتته امرأة فقالت : يا رسول اللّٰه ، رأيت كأني أتيت فأخرجت من المدينة فأدخلت الجنة ، فسمعت وَجْبة انتحبت[٢] لها الجنة ، فنظرت فإذا فلان بن فلان ، وفلان بن فلان ، فسمت اثني عشر رجلًا ، كان النبي ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، قد بعث سرية قبل[٣] ذلك ، فجيء بهم عليهم ثياب طُلْس تشخب أوداجُهم ، فقيل: اذهبوا بهم إلى نهر [البيدخ ، أو: البيذخ][٤] - قال : فغمسوا فيه ، فخرجوا ووجوههم كالقمر ليلة البدر ، فأتوا بصحفة من ذهب فيها بُسر فأكلوا من بُسره ما شاءوا ، فما يقلبونها من وجه إلا أكلوا من الفاكهة ما أرادوا ، وأكلتُ معهم ، فجاء البشير من تلك السرية ، فقال : [كان من أمرنا][٥] كذا وكذا ، وأصيب فلان وفلان . حتى عد اثني عشر رجلًا ، فدعا رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم المرأة[٦] فقال : قصي رؤياك . فقصتها . وجعلت تقول : فجيء بفلان وفلان كما قال(٢٣) .

وهذا لفظ أبي يعلىٰ ، قال الحافظ الضياء : وهذا على شرط مسلم .

وقال الحافظ أبو القاسم الطبراني : حدثنا معاذ بن المثنىٰ ، حدثنا علي بن المديني ، حدثنا ريحان بن سعيد ، عن عباد بن منصور ، عن أيوب ، عن أبي قلابة ، عن أبي أسماء ، عن[٧] ثوبان قال : قال رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **إن[٨] الرجل إذا نزع ثمرة في الجنة** ،

---

(٢٢) - أخرجه الترمذي في كتاب : الأطعمة ، باب : ما جاء في التسمية في الطعام ، حديث (١٨٤٩) (١٣٠/٦) . وابن ماجة في كتاب : الأطعمة ، باب : الأكل مما يليك ، حديث (٣٢٧٤) (١٠٨٩/٢ - ١٠٩٠) .

(٢٣) - أخرجه أحمد (٣/ ١٣٥، ٢٥٧) . وأبو يعلى (٤٤/٦ - ٤٥) (٣٢٨٩) . قال الهيثمي في « مجمع الزوائد » (١٧٩/٧) : رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح .

---

[١] - في أبي يعلى : عليه .

[٢] - في أبي يعلى : انتحت . وفي مسند أحمد : ارتجت .

[٣] - في أبي يعلى : بمثل .

[٤] - في خ : « التياح أو السدح » .

[٥] - في ز ، خ : « ما كان من رؤيا » .

[٦] - سقط من خ .

[٧] - في ز : هو .

[٨] - سقط من خ .

عادت مكانها أخرىٰ » (٢٤).

وقوله: ﴿**ولحم طَير مما يشتهون**﴾ قال[١] الإمام أحمد:

حدثنا سيار بن حاتم، حدثنا جعفر بن سليمان الضبعي[٢]، حدثنا ثابت، عن أنس قال: قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم: « **إن طير الجنة كأمثال البُخْت ترعىٰ في شجر الجنة** ». فقال أبو بكر: يا رسول الله، إن هذه لطير ناعمة. فقال: « **أكَلَتُها[٣] أنعم منها - قالها ثلاثًا - وإني لأرجو أن تكون ممن يأكل منها** »(٢٥). تَفَرّد به أحمد من هذا الوجه. وروىٰ الحافظ أبو عبد الله المقدسي في كتابه « **صفة الجنة** » من حديث إسماعيل بن علي الخُطبي[٤]، عن أحمد بن علي الخَيُوطي، عن عبد الجبار بن عاصم، عن عبد الله بن زياد، عن زرعة، عن نافع، عن ابن عمر قال: ذكرت عند النبي صلىٰ الله عليه وسلم طوبىٰ، فقال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم: « **يا أبا بكر هل بلغك ما طوبىٰ ؟** ». قال: الله ورسوله أعلم. قال: « **طوبىٰ شجرة في الجنة، ما يعلم طولها إلا الله، يسير الراكب تحت غصن من أغصانها سبعين خريفًا، ورقها[٥] الحُلَل، يقع عليها الطير كأمثال البخت** ». / فقال أبو بكر: يا رسول الله، إن هناك لطيرًا ناعمًا ؟ قال: « **أنعم منه من يأكله، وأنت منهم إن شاء الله** »(٢٦).

وقال قتادة في قوله: ﴿**ولحم طير مما يشتهون**﴾: ذكر لنا أن أبا بكر قال: يا رسول لله، إني أرىٰ طيرها ناعمة كما أهلها ناعمون. قال: « **من يأكلها - والله يا أبا بكر - أنعم منها، وإنها لأمثال البُخت، وإني لأحتسب علىٰ الله أن تأكل منها يا أبا بكر** ».

وقال أبو بكر بن أبي الدنيا: حدثني مجاهد بن موسىٰ، حدثنا معن بن عيسىٰ، حدثني

---

(٢٤) - أخرجه الطبراني في الكبير (١٠٢/٢) (١٤٤٩) وفي إسناده عباد بن منصور وهو مدلس وقد تغير بأخرة، وقد ذكره ابن حجر في الطبقة الرابعة من طبقات المدلسين. وذكره الهيثمي في « مجمع الزوائد » (٤١٧/١٠) وقال: رواه الطبراني والبزار، ورجال الطبراني وأحد إسنادى البزار ثقات.

(٢٥) - أخرجه أحمد (٢٢١/٣) (١٣٣٣٥). وفي إسناده سيار بن حاتم صدوق له أوهام وبقية رجاله ثقات. قال الهيثمي في « مجمع الزوائد » (٤١٧/١٠): رواه الترمذي باختصار، ورواه أحمد ورجاله رجال الصحيح غير سيار بن حاتم وهو ثقة.

(٢٦) - عزاه الألباني في الصحيحة (٢٥١٤) للمقدسي وأعله بعبد الله بن زياد، وقال تكلم فيه ابن حبان.

---

[١] - في ز: وقال.
[٢] - في ز: الطبيعي.
[٣] - في ز: أكلها.
[٤] - في ز: الخطي.
[٥] - في ز: وورقها.

ابنُ أخي ابن شهاب ، عن أبيه ، عن أنس بن مالك : أن رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم سُئل عن الكوثر ؟ فقال : « **نهر أعطانيه ربي - عز وجل - في الجنة ، أشد بياضًا من اللبن ، وأحلىٰ من العسل ، فيه طيور أعناقها يعني كأعناق الجُزُر** » . فقال عمر : إنها لناعمة . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **آكلها أنعم منها** » .

وكذا رواه الترمذي عن عبد بن حميد ، عن القعنبي ، عن محمد بن عبد اللّٰه بن مسلم بن شهاب ، عن أبيه ، عن أنس(٢٧) ، وقال : حسن .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا علي بن محمد الطنافسي ، حدثنا أبو معاوية ، عن عبيد اللّٰه بن الوليد الوصافي[١] ، عن عطية العوفي ، عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **إن في الجنة لطيرًا فيه سبعون ألف ريشة ، فيقع علىٰ[٢] صحفة الرجل من أهل الجنة فينتفض ، فيخرج من كل ريشة ؛ يعني لونًا أبيض من اللبن ، [وألين من الزبد][٣] ، وأعذب من الشهد ، ليس منها لون يشبه صاحبه ، ثم يطير** » .

هذا حديث غريب جدًّا ، والوصافي[٤] وشيخه ضعيفان . ثم قال ابن أبي حاتم :

حدثنا أبي ، حدثنا عبد اللّٰه بن صالح كاتب الليث ، حدثني الليث ، حدثنا خالد بن يزيد ، عن سعيد بن أبي هلال ، عن أبي حازم ، عن عطاء ، عن كعب قال : إن طائر الجنة كأمثال[٥] البُخْت ، يأكل[٦] مما خُلق من ثمرات الجنة ، ويشرب من أنهار الجنة ، فيصطففن[٧] له ، فإذا اشتهىٰ منها شيئًا أتاه حتىٰ يقع بين يديه ، فيأكل من خارجه وداخله ، ثم يطير[٨] لم ينقص منه شيء(٢٨) . صحيح إلىٰ[٩] كعب .

وقال الحسن بن عرفة : حدثنا خلف بن خليفة ، عن حميد الأعرج ، عن عبد اللّٰه بن الحارث ، عن عبد اللّٰه بن مسعود قال : قال لي رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **إنك**

---

(٢٧) - أخرجه الترمذي في كتاب : الجنة ، باب : ما جاء في صفة طير أهل الجنة ، حديث (٢٥٤٥) (٧/ ٢٢١) . وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم (٢٥١٤) .

(٢٨) - في إسناده عبد الله بن صالح كاتب الليث ، وهو صدوق كثير الغلط ، وبقية رجاله ثقات .

---

[١] - في ز : الرصافي .

[٢] - في خ : كل .

[٣] - سقط من خ .

[٤] - في ز : الرصافي .

[٥] - في ت : أمثال .

[٦] - بياض في ز ، خ .

[٧] - في ز : فيصطفين .

[٨] - في ز : نظر .

[٩] - في خ : أبي .

لتنظر إلىٰ الطير في الجنة فتشتهيه ، فيخر بين يديك مشويًا »(٢٩) .

وقوله : ﴿ **وحُور عين * كأمثال اللؤلؤ المكنون** ﴾ : قرأ بعضهم بالرفع ، وتقديره : ولهم فيها حور عين . وقراءة الجر تحتمل معنين : أحدهما : / أن يكون الإعراب علىٰ الإتباع بما قبله ، كقوله : ﴿ **يطوف عليهم ولدان مخلدون * بأكواب وأباريق وكأس من معين * لا يُصَدعون عنها ولا ينزفون * وفاكهة مما يتخيرون * ولحم طير مما يشتهون * وحور عين**﴾ ، كما قال: ﴿**وامسحوا برءوسكم وأرجلكم**﴾ وكما قال : ﴿ **عاليهم ثياب سندس خضر وإستبرق** ﴾ . والاحتمال الثاني : أن يكون مما يطوف به الولدان المخلدون عليهم الحور العين ، ولكن يكون ذلك في القصور ، لا بين بعضهم بعضًا ، بل في الخيام يطوف عليهم الخدام بالحور العين ، والله أعلم .

وقوله : ﴿ **كأمثال اللؤلؤ المكنون** ﴾ ، أي : كأنهن اللؤلؤ الرطب في بياضه و صفائه ، كما تقدم في سورة الصافات : ﴿ **كأنهن بيض مكنون** ﴾ . وقد تقدم في سورة الرحمن وصفهن أيضًا ، ولهذا قال : ﴿ **جزاء بما كانوا يعملون** ﴾ ، أي : هذا الذي أتحفناهم[١] به مجازاة لهم علىٰ ما أحسنوا من العمل .

ثم قال: ﴿**لا يسمعون فيها لغوًا ولا تأثيمًا . إلّا قيلًا سلامًا سلامًا**﴾ ، أي : لا يسمعون في الجنة كلامًا لاغيًا ، أي : غثًا خاليًا عن المعنى ، أو مشتملًا على معنى [حقير أو ضعيف][٢] ، كما قال: ﴿**لا تسمع فيها لاغية**﴾ أي: كلمة لاغية ﴿**ولا تأثيما**﴾ أي: ولا كلامًا فيه قبح[٣] ، ﴿**إلّا قيلًا سلامًا سلامًا**﴾ أي: إلا التسليم منهم بعضهم على بعض ، كما قال: ﴿**تحيتهم فيها سلام**﴾ وكلامهم أيضًا سالم من اللغو والإثم .

وَأَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ ﴿٢٧﴾ فِى سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴿٢٨﴾ وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ ﴿٢٩﴾ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ﴿٣٠﴾ وَمَآءٍ مَّسْكُوبٍ ﴿٣١﴾ وَفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ﴿٣٢﴾ لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴿٣٣﴾ وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ ﴿٣٤﴾ إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً ﴿٣٥﴾ فَجَعَلْنَٰهُنَّ أَبْكَارًا ﴿٣٦﴾ عُرُبًا أَتْرَابًا ﴿٣٧﴾ لِّأَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٣٨﴾ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٩﴾ وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْءَاخِرِينَ ﴿٤٠﴾

(٢٩) - في إسناده حميد الأعرج ضعيف وخلف بن خليفة : صدوق اختلط في الآخر .

[١] - في ز : ألحقناهم .
[٢] - في ز : حقيرًا وضعيفًا » .
[٣] - في ز : قبيحًا .

لما ذكر تعالىٰ مآل السابقين - وهم المقربون - عطف عليهم بذكر أصحاب اليمين - وهم الأبرار - كما قال ميمون بن مهران : أصحاب اليمين منزلة دون المقربين ، فقال : ﴿ **وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين** ﴾ . أي : أي شيءٍ أصحاب اليمين ؟ وما حالهم ؟ وكيف مآلهم ؟ ثم فسر ذلك فقال : ﴿ **في سدر مخضود** ﴾ . قال ابن عباس ، وعكرمة ، ومجاهد ، وأبو الأحوص ، وقَسامة بن زُهَير ، والسَّفر بن بشير[١] ، والحسن ، وقتادة ، وعبد الله بن كثير ، والسدي ، وأبو حزرة[٢] ، وغيرهم : هو الذي لاشوك فيه ، وعن ابن عباس : هو المُوقر بالثمر . وهو رواية عن عكرمة ، / ومجاهد . وكذا قال قتادة أيضًا : كنا نُحدّث أنه المُوقر الذي لا شوك فيه .

والظاهر أن المراد هذا وهذا ؛ فإن سدر الدنيا كثير الشوك قليل الثمر ، وفي الآخرة علىٰ العكس[٣] من هذا ، لاشوك فيه ، وفيه الثمر الكثير الذي قد أثقل أصله . كما قال الحافظ أبو بكر أحمد بن سلمان النجّاد[٤] :

[حدثنا عبد الله[٥] بن محمد - هو البغوي - حدثني حمزة بن العباس ، حدثنا عبد الله بن عثمان][٦] ، حدثنا عبد الله بن المبارك ، أخبرنا صفوان بن عمرو ، عن سليم بن عامر ، قال : كان أصحاب رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم يقولون : إن الله لينفعنا بالأعراب ومسائلهم . قال : أقبل أعرابي يومًا ؛ فقال : يا رسول الله ؛ ذَكَرَ الله في الجنة شجرةً تؤذي صاحبها . فقال[٧] رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **وما هي ؟** » : قال السدر ، فإن له شوكًا مؤذيًا . فقال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **أليس الله يقول : ﴿ في سدر مخضود ﴾** ، خَضَد الله شوكه ، فجعل مكان كل شوكة ثمرة ، فإنها لتنبت ثمرًا تَفَتّق الثمرةُ منها عن اثنين وسبعين لونًا من طعام ، مافيها لون يشبه الآخر »(٣٠) .

طريق أخرىٰ ، قال أبو بكر بن أبي داود : حدثنا محمد بن المصفىٰ ، حدثنا محمد بن المبارك ، حدثنا يحيى بن حمزة ، حدثني ثور بن يزيد ، حدثني حَبيب بن عبيد ، عن عُتْبة بن عبد السلمي ؛ قال : كنت جالسًا مع رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم فجاء أعرابي ؛ فقال : يا رسول الله ؛ أسمعك تذكر في الجنة شجرة لا أعلم شجرة أكثر شوكًا منها ؟ -

(٣٠) - أخرجه ابن أبي الدنيا كما في « الترغيب والترهيب » (٤/٤٣٤) وقال : إسناده حسن . وأخرجه الحاكم (٢/٤٧٦) وصححه ، ووافقه الذهبي .

[١] - في ز ، خ : بشر .
[٢] - في ز : حرزة .
[٣] - في ت : عكس .
[٤] - في خ : النجار .
[٥] - في ت : محمد .
[٦] - ما بين المعكوفين سقط من خ .
[٧] - في ز : قال .

يعني : الطلح - فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **إن الله يجعل مكان كل شوكة منها ثمرة مثل خُصوة**[١] **التيس الملبود ، فيها سبعون لونًا من الطعام ، لا يشبه لون آخر** »(٣١) .

وقوله : ﴿ **وطلح منضود** ﴾ ، الطلح : شجر عظام يكون بأرض الحجاز ، من شجر العضَاه ، واحدته طلحة ، وهو شجر كثير الشوك ، وأنشد ابن جرير لبعض الحداة

بَشَّرَها دَليلُها وقالا : غدًا تَرينَ الطَّلحَ والجبالا

[ ][٢] .

قال مجاهد : ﴿ **منضود** ﴾ ، أي متراكم الثمر ، يذكر بذلك قريشًا ؛ لأنهم كانوا يعجبون من وَجّ[٣] وظلاله من طلح وسدر . وقال السدي : ﴿ **منضود** ﴾ مصفوف . قال ابن عباس : يشبه طلح الدنيا ، ولكن له ثمر أحلى من العسل . قال الجوهري : والطلح لغةٌ في الطلع .

قلت : وقد روى ابن / أبي حاتم من حديث الحسن بن سعد ، عن شيخ من همدان ؛ قال : سمعت عليًا يقول هذا الحرف في ﴿ **طلح منضود** ﴾ ، قال : ﴿طلع منضود﴾(٣٢) ، فعلى هذا يكون هذا من صفة السدر ، فكأنه وصفه بأنه مخضود ، وهو الذي لا شوك له ، وأن طلعه منضود ، وهو كثرة ثمره ، والله أعلم .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو سعيد الأشج ، حدثنا أبو معاوية ، عن إدريس ، عن جعفر ابن إياس ، عن أبي نضرة ، عن أبي سعيد ﴿ **وطلح منضود** ﴾ ، قال : الموز . قال وروي عن ابن عباس ، وأبي هريرة ، والحسن ، وعكرمة ، وقسامة بن زُهَير ، وقتادة ، وأبي حزرة[٤] ، مثل ذلك . وبه قال مجاهد ، وابن زيد ، وزاد فقال : أهل اليمن يسمون الموز الطلح . ولم يحك ابن جرير غير هذا القول .

---

(٣١) - محمد بن المصفى صدوق له أوهام . لكن أخرجه الطبراني ومن طريقه أبو نعيم في الحلية (١٠٣/٦) من طريق أبي زرعة الدمشقي ثنا أبو مسهر ثنا يحيى بن حمزة ، به . قال الهيثمي في المجمع (٤١٧/١٠) : رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح .

(٣٢) - إسناده ضعيف لجهالة الشيخ الذي من همدان .

---

[١] - في ز : حضرة .

[٢] - ما بين المعكوفين في ز : « كما قال ميمون بن مهران : أصحاب اليمين منزلة دون المقربين » .

[٣] - وَجٌّ : اسم وادٍ بالطائف . القاموس صـ (٢٦٦) .

[٤] - في ز : حرزة .

وقوله : ﴿ **وظل ممدود** ﴾ ، قال البخاري : حدثنا عليّ بن عبد اللّٰه ، حدثنا سفيان ، عن أبي الزناد ، عن الأعرج ، عن أبي هريرة - يبلُغُ به النبيّ صلىٰ اللّٰه عليه وسلم - قال : « **إن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها ، اقرءوا إن شئتم : ﴿ وظل ممدود ﴾** »(٣٣) . ورواه مسلم من حديث الأعرج به (٣٤).

وقال الإِمام أحمد : حدثنا سُرَيج ، حدثنا فُلَيح ، عن هلال بن عليّ ، عن عبد الرحمن بن أبي عَمْرة ، عن أبي هُرَيرة ؛ قال : قال رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **إن**[١] **في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة سنة ، اقرءوا إن شئتم : ﴿ وظل ممدود ﴾** »(٣٥) . وكذا رواه البخاري عن محمد بن سنان[٢] عن فليح به(٣٦) . وكذا رواه عبد الرزاق ، عن معمر ، عن[٣] هَمام ، عن أبي هريرة(٣٧) . وكذا رواه حماد بن سلمة ، عن محمد بن زياد ، عن أبي هريرة(٣٨) ، والليث بن سعد ، عن سعيد المقبري ، عن أبيه ، عن أبي هريرة(٣٩) وعوف عن ابن سيرين عن أبي هريرة .

وقال الإِمام أحمد : حدثنا محمد بن جعفر وحجاج ؛ قالا : حدثنا شعبة ، سمعت أبا الضحاك يحدث عن أبي هُرَيرة ، عن رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم أنه قال : « **إن**[٤] **في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها سبعين - أو مائة - سنة ، هي شجرة الخلد** »(٤٠) .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أحمد بن سنان ، حدثنا يزيد بن هارون ، عن محمد بن عمرو ، عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة ، عن رسول اللّٰه ؛ قال : « **في الجنة شجرة يسير**

---

(٣٣) - أخرجه البخاري في كتاب : التفسير ، باب : ﴿ **وظل ممدود** ﴾ ، حديث (٤٨٨١) (٨/٦٢٧) .

(٣٤) - أخرجه مسلم في كتاب : الجنة ، باب : إن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها ، حديث (٧/٢٨٢٦) (١٧/٢٤٤) .

(٣٥) - أخرجه أحمد (٢/٤٨٢) .

(٣٦) - البخاري في كتاب : بدء الخلق ، باب : ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة ، حديث (٣٢٥٢) (٦/٣١٩) .

(٣٧) - عبد الرزاق في « مصنفه » (١١/٤١٧) (٢٠٨٧٧) .

(٣٨) - أحمد (٢/٤٦٩) .

(٣٩) - مسلم في كتاب : الجنة ، باب : إن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها ، حديث (٦/٢٨٢٦) (١٧/٢٤٤) .

(٤٠) - أخرجه أحمد (٢/٤٥٤) . وفي إسناده أبو الضحاك : مقبول .

---

[١] - سقط من ز .
[٢] - في ز : شيبان .
[٣] - في ز : بن .
[٤] - سقط من ز .

الراكب في ظلها مائة عام ما يقطعها ، واقرءوا إن شئتم : ﴿ وظل ممدود ﴾ » . إسناد جيد ، ولم يخرجوه .

وهكذا رواه ابن جرير / [٧/٢٢و] عن أبي كريب عن[١] عبدة وعبد الرحيم ، عن محمد بن [عمرو به][٢] (٤١) .

وقد رواه الترمذي ، من حديث عبد الرحيم بن سليمان به (٤٢) .

وقال ابن جرير : حدثنا ابن حميد ، حدثنا مهران ، حدثنا إسماعيل بن أبي خالد ، عن زياد - مولىٰ بني مخزوم - عن أبي هُرَيرة ؛ قال : إن في الجنة لشجرة يسير الراكب في ظلها مائة سنة ، اقرءوا إن شئتم : **﴿ وظل ممدود ﴾** . فبلغ ذلك كعبًا فقال : صدق ، والذي أنزل التوراة علىٰ موسىٰ ، والفرقان علىٰ محمد ، لو أن رجلًا ركب حقة أو جذعة ثم دارحول تلك الشجرة ما بلغها حتىٰ يسقط هَرَمًا[٣] ، إن اللّه غرسها بيده ، ونفخ فيها من روحه ، وإن أفنانها لمن وراء سور[٤] الجنة ، وما في الجنة نهر إلا وهو يخرج من أصل تلك الشجرة (٤٣) .

وقال الحافظ أبو يعلى الموصلي : حدثنا محمد بن منهال الضرير ، حدثنا يزيد بن زُرَيع ، عن سعيد[٥] بن أبي عَرُوبة ، عن قتادة ، عن أنس ، عن النبي صلىٰ اللّه عليه وسلم في قول اللّه عز وجل : **﴿ وظل ممدود ﴾** ، قال : « **في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها** » (٤٤) .

وكذا رواه البخاري عن روح بن عبد المؤمن عن يزيد بن زريع (٤٥) . وهكذا رواه أبو داود

(٤١) - أخرجه الطبري (١٨٣/٢٧) .

(٤٢) - الترمذي في كتاب : تفسير القرآن ، باب : ومن سورة الواقعة ، حديث (٣٢٨٨) (٣٤/٩) .
قال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح .

(٤٣) - أخرجه الطبري في « تفسيره » (١٨٢/٢٧) ، وفي إسناده زياد مولى بنى مخزوم ، قال يحيى بن معين : لاشيء . الجرح والتعديل (٥٤٩/٣) لكن يشهد لصدر الحديث الأحاديث السابقة .

(٤٤) - أخرجه أبو يعلى (٥/ ٣٤٨، ٣٨٠) (٢٩٩١، ٣٠٣٨) من طريقين عن قتادة بنحو هذا الحديث في ذكر الشجرة .

(٤٥) - أخرجه البخاري في كتاب : بدء الخلق ، باب : ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة ، حديث (٣٢٥١) (٣١٩/٦) .

---

[١] - في ز : و .

[٢] - في ز : عبد ربه .

[٣] - بياض في ز .

[٤] - في ز : ستور .

[٥] - في ز : حميد .

الطيالسي ، عن عمران بن[١] دَاوَر القطان ، عن قتادة ، به(٤٦) . وكذا رواه معمر ، وأبو[٢] هلال ، عن قتادة به(٤٧) .

وقد أخرج البخاري ومسلم من حديث أبي سعيد وسَهل بن سَعد ، عن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم؛ قال : « **إن في الجنة شجرة يسير الراكب الجواد المُضَمَّر السريع مائة عام ما يقطعها** »(٤٨) .

فهذا حديث ثابت عن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ، بل متواتر مقطوع بصحته عند أئمة الحديث النقاد ، لتعدد طرقه ، وقوة أسانيده ، وثقة رجاله .

وقد قال الإمام أبو جعفر بن جرير : حدثنا أبو كريب ، حدثنا أبو بكر ، حدثنا أبو حُصَين؛ قال : كنا علىٰ باب في موضع ، ومعنا أبو صالح وشقيق - يعني الضبي - فحدّث أبو صالح؛ قال : حدثني أبو هُرَيرة؛ قال : إنَّ في الجنة شجرةً يسير الراكب في ظلها سبعين عامًا . قال أبو صالح : أتكَذّب أبا هريرة ؟ قال : ما أكذّب أبا هريرة ، ولكني أكذّبك أنت . فشق ذلك علىٰ القراء يومئذ[٣] (٤٩) .

قلت : فقد أبطل من يكذب بهذا الحديث ، مع ثبوته وصحته ورفعه إلىٰ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم .

وقال الترمذي : حدثنا أبو سعيد الأشج ، حدثنا زياد / بن الحسن بن الفُرَات القَزّاز ، عن أبيه ، عن جده ، عن أبي حازم ، عن أبي هُرَيرة ؛ قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه

---

(٤٦) - والطبري (١٨٣/٢٧) من طريق أبي داود .

(٤٧) - أخرجه الترمذي في كتاب : تفسير القرآن ، باب : ومن سورة الواقعة ، حديث (٣٢٨٩) (٣٤/٩ - ٣٥) من طريق معمر عن قتادة .

قال الترمذي : حسن صحيح . وأخرجه الطبري (١٨٤/٢٧) من طريق معمر وأبي هلال عنه .

(٤٨) - أخرجه البخاري في كتاب : الرقاق ، باب : صفة الجنة والنار ، حديث (٦٥٥٣) (٤١٦/١١) .

ومسلم في كتاب : الجنة وصفة نعيمها وأهلها ، باب : إن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها ، حديث (٢٨٢٨) (٢٤٥/١٧) كلاهما من حديث أبي سعيد .

وأخرجه البخاري رقم (٦٥٥٢) (٤١٥/١١) . ومسلم برقم (٢٨٢٧/٨) كلاهما من طريق سهل بن سعد .

(٤٩) - أخرجه الطبري (١٨٤/٢٧) .

---

[١] - سقط من ز .

[٢] - في ز : وابن .

[٣] - سقط من ز .

وسلم : « **مافي الجنة شجرة إلا ساقها من ذهب** » (٥٠). ثم قال : حسن غريب .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا الحسن بن أبي الربيع ، حدثنا أبو عامر العَقَدي ، عن زمعة[١] بن صالح ، عن سلمة بن وهرام ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ؛ قال : الظل الممدود شجرة في الجنة على ساق ظلها قدر مايسير الراكب في نواحيها مائة عام .

قال : فيخرج إليها أهل الجنة - أهل الغرف وغيرهم - فيتحدثون في ظلها . قال : فيشتهي بعضهم ويذكر لهو الدنيا ، فيرسل الله ريحًا من الجنة فتحرك تلك الشجرة بكل لهو في الدنيا (٥١). هذا أثر غريب ، وإسناده جيد قوي حسن.

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو سعيد الأشج ، حدثنا ابن يمان ، حدثنا سفيان ، حدثنا أبو إسحاق ، عن عمرو بن ميمون في قوله : ﴿ **وظل ممدود** ﴾ ، قال : سبعون ألف سنة . وكذا رواه ابن جرير عن بندار ، عن ابن مهدي ، عن سفيان ، مثله . ثم قال ابن جرير :

حدثنا ابن حميد ، حدثنا مهران ، عن سفيان ، عن أبي أسحاق ، عن عمرو بن ميمون ﴿ **وظل ممدود** ﴾ ، قال : [خمسمائة ألف سنة .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا أبو الوليد الطيالسي ، حدثنا حُصَين بن نافع ، عن الحسن في قول الله تعالى : ﴿ **وظل ممدود** ﴾ قال][٢] : في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة [ألف][٣] سنة لايقطعها .

وقال عوف عن الحسن : بلغني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ قال : « **إن في الجنة لشجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام ، لايقطعها** » . رواه ابن جرير (٥٢).

وقال شبيب : عن عكرمة ، عن ابن عباس : في الجنة شجر[٤] لا يحمل ، يُستظَلّ به . رواه ابن أبي حاتم .

وقال الضحاك ، والسدي ، وأبو حَزْرَةَ في قوله : ﴿ **وظل ممدود** ﴾ : لاينقطع ، ليس

---

(٥٠) - أخرجه الترمذي في كتاب : صفة الجنة ، باب : ما جاء في صفة شجر الجنة ، حديث (٢٥٢٧) (٢١٠/٧) . وزياد بن الحسن بن فرات : صدوق يخطئ ، وأبوه صدوق يهم ، وبقية إسناده ثقات . والحديث صححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢٠٤٩ - ٢٦٥٨) .

(٥١) - في إسناده زمعة بن صالح ضعيف .

(٥٢) - أخرجه الطبري (١٨٤/٢٧) وهو ظاهر الانقطاع ، لكن يشهد له ما سبق من أحاديث صحيحة .

---

[١] - في ز : ربيعة .

[٢] - ما بين المعكوفين سقط من ز .

[٣] - سقط من خ .

[٤] - في ز : شجرة .

فيها شمس ولا حر ، مثل قبل طلوع الفجر .

وقال ابن مسعود : الجنة سجسج كما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس .

وقد تقدمت الآيات كقوله : ﴿ **وندخلهم ظلًّا ظليلًا** ﴾ وقوله : ﴿ **أكلها دائم وظلها** ﴾ وقوله : ﴿ **في ظلال وعيون** ﴾ إلى غير ذلك من الآيات .

وقوله : ﴿ **وماء مسكوب** ﴾ ، قال الثوري : [يعني][١] يجري في غير أخدود .

وقد تقدم الكلام عند[٢] تفسير قوله تعالى : ﴿ **فيها أنهار من ماءٍ غير آسن** ...﴾ . الآية . بما أغنىٰ عن إعادته هاهنا .

وقوله : ﴿ **وفاكهة كثيرة * لامقطوعة ولاممنوعة** ﴾ . أي : وعندهم من الفواكه الكثيرة المتنوعة في الألوان ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولاخطر علىٰ قلب بشر : ﴿ **كلما رزقوا / منها من ثمرة رزقًا قالوا هذا الذي رزقنا من قبل وأتوا به متشابهًا** ﴾ . أي : يشبه الشكلُ الشكلَ ، ولكن الطعمَ غيرُ الطعم . وفي الصحيحين في ذكر سدرة المنتهى قال : « **فإذا ورقها كآذان الفيلة ، ونبقها[٣] مثل قلال هجر** »(٥٣) . وفيهما أيضًا ، من حديث مالك ، عن زيد ، عن عطاء بن يَسَار ، عن ابن عباس قال : خُسفَت الشمس ، فصلىٰ رسولُ اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم والناس معه ، فذكر الصلاة . وفيه : « **قالوا : يا رسول اللّٰه ، رأيناك تناولت شيئًا في مقامك هذا ثم رأيناك تكعكعت**(*) ! **قال : إني رأيت الجنة ، فتناولت منها عنقودًا ، ولو أخذته لأكلتم منه ما بقيت الدنيا** »(٥٤).

وقال الحافظ أبو يعلىٰ : حدثنا أبو خيثمة ، حدثنا عبد اللّٰه بن جعفر ، حدثنا عبيد اللّٰه ، حدثنا ابن عقيل ، عن جابر قال : بينا نحن في صلاة الظهر ، إذ تقدم رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم فتقدمنا معه ، ثم تناول شيئًا ليأخذه ثم تأخر ، فلما قضىٰ الصلاة قال له أُبيّ بن كعب : يارسول اللّٰه ، صنعتَ اليومَ في الصلاة شيئًا ما كنت تصنعه ! قال : « **إنه عُرِضَتْ عليّ الجنة ، وما فيها من الزهرة والنضرة ، فتناولت منها قِطْفًا من عنب لآتيكم به ، فحيل**

(٥٣) - تقدم تخريجه في أول سورة الإسراء في أحاديث المعراج .

(*) أي أحجمت وتراجعت إلى الوراء . (النهاية ١٨٠/٤)

(٥٤) - أخرجه البخاري في كتاب : الأذان ، باب : رفع البصر إلى الإمام في الصلاة ، حديث (٧٤٨) (٢٣٢/٢) . ومسلم في كتاب : الكسوف ، باب : ما عرض على النبي - صلى الله عليه وسلم - في صلاة الكسوف من أمر الجنة والنار ، حديث (٩٠٧/١٧ م) (٣٠٢/٦).

[١] - سقط من ت ، خ . [٢] - في ز : على .

[٣] - في ز : وسعفها .

بيني وبينه ، ولو أتيتكم به لأكل منه من بين السماء والأرض لاينقصونه » .

وروىٰ مسلم من حديث أبي الزبير عن جابر نحوه (٥٥).

وقال الإمام أحمد : حدثنا عليّ بن بحر ، حدثنا هشام بن يوسف ، أخبرنا معمر ، عن يحيى بن أبي كثير ، عن عامر بن زيد البَكَالي : أنه سمع عُتبةَ بن عَبْد السلمي يقول : جاء أعرابي إلىٰ رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، فسأله عن الحوض وذكر الجنة ، ثم قال الأعرابي : فيها فاكهة ؟ قال : « **نعم ، وفيها شجرة تدعىٰ طوبىٰ** » ، فذكر شيئًا لا أدري ما هو ، قال : أي[١] شجر أرضنا تشبه ؟ قال : « **ليست تشبه شيئًا من شجر أرضك** » ، فقال النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **أتيتَ الشام ؟** » قال : لا . قال : « **تشبه شجرة بالشام تدعىٰ الجَوزة ، تنبت علىٰ ساق واحد ، وينفرش أعلاها** » . قال : ما عظم أصلها ؟ قال : « **لو ارتحلت جَذَعة من إبل أهلك ما أحاطت[٢] بأصلها حتىٰ تنكسر ترقوتها هرمًا[٣]** » . قال : فيها عنب ؟ قال : « **نعم** » . قال : فما[٤] عظم العنقود ؟ قال : « **مسيرة شهر للغراب الأبقع ، ولا يفتر** » . قال : فما عظَم الحبة[٥] ؟ قال : « **هل ذبح أبوك تيسًا من غنمه قط عظيمًا ؟** » قال : نعم . قال : « **فسلخ إهابه فأعطاه أمك / فقال : اتخذي لنا منه دلوًا ؟** » قال : نعم . قال الأعرابي : فإن تلك الحبة[٦] لتشبعني وأهل بيتي ؟ قال : « **نعم وعامّة عشيرتك** » (٥٦).

وقوله : ﴿ **لا مقطوعة ولا ممنوعة** ﴾ ، أي : لا تنقطع شتاء ولا صيفًا ، بل أكلها دائم مستمر أبدًا ، مهما طلبوا وجدوا ، لايمتنع عليهم بقدرة اللَّه شيء .

قال قتادة : لا يمنعهم من تناولها عودٌ ولا شوك ولا بُعدٌ . وقد تقدم في الحديث : إذا تناول الرجل الثمرة عادت مكانها أخرىٰ .

(٥٥) - أخرجه مسلم في كتاب : الكسوف ، باب : ما عرض على النبي - صلى الله عليه وسلم - في صلاة الكسوف من أمر الجنة والنار ، حديث (٩/٩٠٤) (٦/٢٩٣ وما بعدها) .

(٥٦) - أخرجه أحمد (١٨٣/٤) (١٧٦٩٣) . وعامر بن زيد البكالى ، قال الحسيني : ليس بالمشهور ، وتعقبه ابن حجر بقوله : بل معروف ؛ ذكره البخاري فقال : سمع عتبة بن عبدي ، روى عنه أبو سلام ، حديثه في الشاميين ، ولم يذكر فيه جرحًا . وتبعه ابن أبي حاتم ؛ وأخرج ابن حبان في صحيحه من طريق أبي سلام عنه أحاديث صرح فيها بالتحديث ، ومقتضاه أنه عنده ثقة ، ولم أر له ذكرًا في النسخة التي عندي من الثقات له ، فما أدرى هل أغفله أو سقط من نسختي ، ولاترجم له ابن عساكر في تاريخ =

[١] - في ز : لهي .
[٢] - في ز : أحطت .
[٣] - في ز : هربًا .
[٤] - في ز : ما .
[٥] - في ز : الجنة .
[٦] - في ز : الجنة .

وقوله : ﴿ **وفرش مرفوعة** ﴾ أي : عالية وطيئة ناعمة .

قال النسائي وأبو عيسىٰ الترمذي : حدثنا أبو كريب ، حدثنا رشدين بن سعد ، عن عَمرو بن الحارث ، عن دَرّاج ، عن أبي الهيثم ، عن أبي سعيد ، عن النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم في قوله : ﴿ **وفرش مرفوعة** ﴾ ، قال : « **ارتفاعها كما بين السماء والأرض ، ومسيرة ما بينهما خمسمائة عام**(٥٧) » .

ثم قال الترمذي : هذا حديث حسن غريب لانعرفه إلا من حديث رشدين بن سعد . قال : وقال بعض أهل العلم[١] : معنىٰ هذا الحديث : ارتفاع الفرش في الدرجات ، وبعد ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض . هكذا قال : إنه لايعرف هذا إلا من رواية رشدين بن سعد ، وهو المصري ، وهو ضعيف .

وهكذا رواه أبو جعفر بن جرير ، عن أبي كريب ، عن رشدين ، به (٥٨) .

ثم رواه هو وابن أبي حاتم ، كلاهما عن يونس بن عبد الأعلىٰ ، عن ابن وهب ، عن عمرو بن الحارث ، فذكره(٥٩) .

وكذا رواه ابن أبي حاتم أيضًا عن نُعَيم بن حماد ، عن ابن وهب ، وأخرجه الضياء في صفة الجنة من حديث حرملة ، عن ابن وهب ، به مثله .

ورواه الإمام أحمد عن حسن بن موسىٰ ، عن ابن لهيعة ، حدثنا دراج ، فذكره (٦٠) .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو سعيد الأشج ، حدثنا أبو معاوية ، عن جويبر[٢] ، عن أبي سهل - يعني كثير بن زياد - عن الحسن : ﴿ **وفرش مرفوعة** ﴾ ، قال : ارتفاع فراش الرجل من أهل الجنة مسيرة ثمانين سنة (٦١) .

= دمشق . اهـ من التعجيل (٢٠٤ - ٢٠٥) وبقية إسناده ثقات .

(٥٧) - أخرجه الترمذي في صفة الجنة ، باب : ما جاء في صفة ثياب أهل الجنة ، حديث (٢٥٤٠) . وفي تفسير سورة الواقعة برقم (٣٢٩٠) . وفي إسناده دراج في روايته عن أبي الهيثم ضعف ، ورشدين ضعيف .

(٥٨) - أخرجه الطبري (١٨٥/٢٧) .

(٥٩) - أخرجه (١٨٥/٢٧) من رواية دراج عن أبي الهيثم .

(٦٠) - أخرجه أحمد (٧٥/٣) (١١٧٣٦) وإسناده كسابقه .

(٦١) - في إسناده جويبر ، وهو ضعيف جدًا .

---

[١] - في ز : المعاني . [٢] - في ز : جوهر .

وقوله : ﴿ **إنا أنشأناهن إنشاء * فجعلناهن أبكارًا * عربًا أترابًا * لأصحاب اليمين** ﴾ ، جرىٰ الضمير علىٰ غير مذكور . لكن لما دل السياق - وهو ذكر الفرش علىٰ النساء اللاتي يضاجعن فيها - اكتفي بذلك عن ذكرهن ، وعاد الضمير عليهن ، كما في قوله : ﴿ **إذ عُرض عليه بالعشيّ الصافناتُ الجياد * فقال إني / أحببت حُبّ الخير عن ذكر ربي حتي توارت بالحجاب** ﴾ يعني الشمس على المشهور من قول المفسرين .

قال الأخفش في قوله : ﴿ **إنا أنشأناهن إنشاءً** ﴾ : أضمرهن ولم يذكرهن[١] قبل ذلك .

وقال أبو عبيدة : ذكرن[٢] في قوله : ﴿ **وحور عين * كأمثال اللؤلؤ المكنون** ﴾ .

فقوله : ﴿ **إنا أنشأناهن** ﴾ أي أعدناهن في النشأة الآخرة بعدما كن عجائز رمصا ، صرن أبكارًا عربًا ، أي : بعد الثيوبة عدن أبكارًا عُرُبًا ، أي : متحببات إلىٰ أزواجهن بالحلاوة والظرافة والملاحة . وقال بعضهم : ﴿ **عُرُبًا** ﴾ أي : غنِجات .

قال موسىٰ بن عُبَيدة الرّبَذيّ[٣] : عن يزيد الرّقاشي ، عن أنس بن مالك قال : قال : رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : ﴿ **إنا أنشأناهن إنشاءً** ﴾ ، قال : « **نساءَ عجائزَ كُنّ في الدنيا عُمْشًا رُمْصًا**(٦٢) » . رواه الترمذي ، وابن جرير ، وابن أبي حاتم . ثم قال الترمذي : غريب ، وموسىٰ ويزيد ضعيفان .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا محمد بن عوف الحمصي ، حدثنا آدم - يعني ابن أبي إياس - حدثنا شيبان ، عن جابر ، عن يزيد بن مُرّة ، عن سلمة بن يزيد قال : سمعتُ رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم يقول في قوله : ﴿ **إنا أنشأناهن إنشاءً** ﴾ يعني : الثيب والأبكار اللاتي كُنّ في الدنيا (٦٣).

وقال عبد بن حُمَيد : حدثنا مصعب بن المقدام ، حدثنا المبارك بن فضالة ، عن الحسن قال : أتت عجوز فقالت : يارسول اللَّه ؛ ادع اللَّه أن يدخلني الجنة . فقال : « **ياأم فلان ، إن الجنة لا يدخلها عجوز** » . قال : فولت تبكي ، قال : « **أخبروها أنها لاتدخلها وهي عجوز ، إن اللَّه تعالىٰ يقول : ﴿ إنا أنشأناهن إنشاءً * فجعلناهن أبكارًا ﴾** » .

---

(٦٢) - أخرجه الترمذي كتاب : تفسير القرآن ، باب : ومن سورة الواقعة ، حديث (٣٢٩٢) (٩/٣٦) . والطبري (٢٧/١٨٥) .

(٦٣) - في إسناده جابر - وهو بن يزيد الجعفي - : ضعيف .

---

[١] - في ز : يذكر . [٢] - في ز : ذكر .

[٣] - في ز : البريدي .

وهكذا رواه الترمذي في الشمائل عن عبد بن حميد(٦٤) .

وقال أبو القاسم الطبراني : حدثنا بكر بن سهل الدمياطي ، حدثنا عمرو بن هاشم البيروتي ، حدثنا سليمان بن أبي كريمة ، عن هشام بن حسان ، عن الحسن ، عن أمه ، عن أم سلمة قالت : قلت : يارسول الله ، أخبرني عن قول الله : ﴿ حور عين ﴾ ، قال : « **حور : بيض . عين : ضخام العيون ، شُفْر(*) الحوراء بمنزلة جناح النسر** » . قلت : أخبرني عن قوله : ﴿ **كأمثال اللؤلؤ المكنون** ﴾ ، قال : « **صفاؤهن صفاءُ الدر الذي في الأصداف الذي لم تَمَسّه الأيدي** » . قلت : أخبرني عن قوله : ﴿ **فيهن خيرات حسان** ﴾ . قال : « **خَيْراتُ الأخلاق ، حسان الوجوه** » . قلت : أخبرني / عن قوله : ﴿ **كأنهن بيض مكنون** ﴾ . قال : « **رقتهن كرقة الجلد الذي رأيت في داخل البيضة مما يلي القشر ، وهو : الغِرْقِئُ**[١] » . « **قلت : يارسول الله ، أخبرني عن قوله** : ﴿ **عربًا أترابًا** ﴾ . قال : « **هن اللواتي قبضن في دار الدنيا عجائز رُمْصًا شمطًا ، خلقهن الله بعد الكبر ، فجعلهن عذارىٰ عُرُبًا متعشقات محببات**[٢] **، أترابًا علىٰ ميلاد واحد** » . قلت : يا رسول الله ، نساء الدنيا أفضل أم الحور العين ؟ قال : « **بل نساء الدنيا أفضل من الحور العين ، كفضل الظِّهارة علىٰ البِطانة** » . قلت : يا رسول الله ، وبم ذاك ؟ قال : « **بصلاتهن وصيامهن وعبادتهن الله - عز وجل - ألبس الله وجوههن النور ، وأجسادهن الحرير ، بيض الألوان ، خضر الثياب ، صفر الحلي ، مجامرهن الدر**[٣] **، وأمشاطهن الذهب ، يقلن : نحن الخالدات فلا نموت**[٤] **، ونحن الناعمات فلا نبأس أبدًا ، ونحن المقيمات فلا نظعن أبدًا ، ألا ونحن الراضيات فلا نسخط أبدًا ، طوبىٰ لمن كُنّا له وكان لنا** » . قلت : يا رسول الله ؛ المرأة منا تتزوج الزوجين[٥] والثلاثة والأربعة ، ثم تموت فتدخل الجنة ويدخلون معها ، من[٦] يكون زوجها ؟ قال « **يا أم سلمة ، إنها تُخَيَّر فتختار أحسنهم خلقًا ، فتقول : يارب ، إن هذا كان أحسن خلقًا معي فزوجنيه ، يا أم سلمة ؛ ذهب حسن الخلق بخير الدنيا والآخرة** »(٦٥) .

(٦٤) - أخرجه الترمذي في الشمائل كما في مختصر الألباني برقم (٢٠٥) . والحديث مرسل ؛ فالحسن يرسل ويدلس والراوي عنه وهو المبارك بن فضالة يدلس ويسوي . والحديث حسنه الشيخ الألباني لشواهده في غاية المرام .

(*) الشفر : بالضم وقد يفتح - حرف جفن العين الذي ينبت عليه الشعر . (النهاية ٢/٤٨٤)

(٦٥) - أخرجه الطبراني (٢٣/٣٦٧ - ٣٦٨) حديث (٨٧٠) . قال الهيثمي في « مجمع الزوائد » (٧/ ١٢٢) : رواه الطبراني وفيه سليمان بن أبي كريمة ضعفه أبو حاتم وابن عدي .

[١] - في ز : الغري .
[٢] - في خ : متحببات .
[٣] - في ز : الدرر .
[٤] - بعده في خ : أبدًا .
[٥] - في ز : زوجين .
[٦] - في خ : فمن .

وفي حديث الصور الطويل المشهور : أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم يشفع للمؤمنين كلهم في دخول الجنة ، فيقول الله : قد شفعتك وأذنت لهم في دخولها . فكان[١] رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم يقول : « **والذي بعثني بالحق ما أنتم في الدنيا بأعرف بأزواجكم ومساكنكم من أهل الجنة بأزواجهم ومساكنهم ، فيدخل الرجل منهم علىٰ ثنتين وسبعين زوجة ، [سبعين][٢] مما ينشئ الله ، وثنتين من ولد آدم ، لهما فضل علىٰ من أنشأ الله ، بعبادتهما[٣] الله في الدنيا ، يدخل علىٰ الأولىٰ منهما في غرفة من ياقوتة ، علىٰ سرير من ذهب مكلل باللؤلؤ ، عليه سبعون زوجًا من سندس وإستبرق ، وإنه ليضع يده بين كتفيها ، ثم ينظر إلىٰ يده من صدرها من وراء ثيابها وجلدها ولحمها ، وإنه لينظر إلىٰ مخ ساقها كما ينظر أحدكم إلىٰ السلك في قصبة الياقوت ، كبده لها مرآة - يعني : وكبدها له مرآة - فبينما هو / [٢٥/٧و] عندها لا يملها ولا تمله ، ولا يأتيها من مرة إلا وجدها عذراء ، ما يفتر ذكره ولا تشتكي قبلها إلا أنه لا [منيّ ولا مَنِيّة][٤] ، فبينما هو كذلك إذ نودي : إنا قد عرفنا أنك لا تَمَلّ ولا تُمَلّ ، إلا أن لك أزواجًا غيرها . فيخرج[٥] ، فيأتيهن واحدة واحدة ، كلما جاء واحدة قالت : والله ما في الجنة شيء[٦] أحسن منك ، وما في الجنة شيء أحب إليّ منك**(٦٦) » .

وقال عبد الله بن وهب : أخبرني عمرو بن الحارث ، عن دَرّاج ، عن ابن حُجيرة ، عن أبي هُرَيرة ، عن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم أنه قال له : أنَطأُ في الجنة ؟ قال : « **نعم والذي نفسي بيده ، دَحْمًا دَحْمًا ، فإذا قام عنها رجعت مطهرة بكرًا**[٧] »(٦٧) .

وقال الطبراني : حدثنا إبراهيم بن جابر الفقيه البغدادي ، حدثنا محمد بن عبد الملك الدقيقي الواسطي ، حدثنا معلىٰ بن عبد الرحمن الواسطي ، حدثنا شريك ، عن عاصم الأحول ، عن أبي المتوكل ، عن أبي سعيد قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **إن أهل الجنة إذا جامعوا نساءهم عدن أبكارًا** »(٦٨) .

(٦٦) - تقدم تخريجه في تفسير سورة إبراهيم آية ﴿ **يوم تبدل الأرض غير الأرض** .... ﴾ (٤٨) وإسناده ضعيف ، وهو عند البيهقي في البعث .

(٦٧) - أخرجه ابن حبان (٣٥٩/٨ - موارد) (٢٦٣٣) وفي إسناده دراج وهو ضعيف .

(٦٨) - أخرجه الطبراني في الصغير (٩١/١) وقال : لم يروه عن عاصم إلا شريك . تفرد به معلى بن عبد الرحمن .

[١] - في ز : وكان .

[٢] - سقط من ز .

[٣] - في ز : بعبادتهم .

[٤] - في ز : « بني ولا صبية » . بلا نقط .

[٥] - سقط من ز .

[٦] - سقط من ز .

[٧] - في ز : بكذا .

وقال أبو داود الطيالسي : حدثنا عِمْران ، عن قتادة ، عن أنس قال : قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **يعطىٰ المؤمن في الجنة قوة كذا وكذا في النساء** » . قلت : يا رسول اللَّه ، ويطيق[١] ذلك ؟ ! قال : « **يعطىٰ قوة مائة** »(٦٩).

ورواه الترمذي من حديث أبي داود وقال : صحيح غريب(٧٠) .

وروىٰ أبو القاسم الطبراني من حديث حُسَين بن عليّ الجعفي ، عن زائدة ، عن هشام بن حسان ، عن محمد بن سيرين ، عن أبي هُرَيرة قال : قيل : يا رسول اللَّه ، هل نصل إلىٰ نسائنا في الجنة ؟ قال : « **إن الرجل ليصل في اليوم إلىٰ مائة عذراء** »(٧١).

قال الحافظ أبو عبد الله المقدسي : هذا الحديث عندي على شرط الصحيح ، والله أعلم .

وقوله : ﴿ **عُرُبًا** ﴾ ، قال سعيد بن جبير عن ابن عباس : يعني متحببات إلىٰ أزواجهن ، ألم تر إلىٰ الناقة الضبِعة ، هي كذلك .

وقال الضحاك عن ابن عباس : العُرُب : العواشق لأزواجهن ، وأزواجهن لهن عاشقون . وكذا قال عبد اللَّه بن سرجس[٢] ، ومجاهد ، وعكرمة ، وأبو العالية ، ويحيى بن أبي كثير ، وعطية ، والحسن ، وقتادة ، والضحاك ، وغيرهم .

وقال [ثور بن][٣] زيد عن عكرمة ؛ قال : سئل ابن عباس عن قوله : ﴿ **عُرُبًا** ﴾ قال : هي الملقة لزوجها . وقال شعبة عن سماك عن عكرمة : هي الغنجة / .

وقال الأجلح بن عبد اللَّه ، عن عكرمة : هي الشَّكلة. وقال صالح بن حَيَّان ، عن عبد اللَّه بن بريدة في قوله : ﴿ **عُرُبا** ﴾ ، قال : الشكلة بلغة أهل مكة ، والغنجة بلغة أهل المدينة . وقال تميم بن حذلم : هي حسن التبعل . وقال زيد بن أسلم ، وابنه عبد الرحمن :

= قال الهيثمي في « مجمع الزوائد » (٤٢٠/١٠) : رواه البزار والطبراني في الصغير وفيه معلى بن عبد الرحمن الواسطي وهو كذاب .

(٦٩) - أخرجه الطيالسي في « مسنده » ص (٢٦٩) برقم (٢٠١٢) .

(٧٠) - ومن طريقه الترمذي في كتاب : صفة الجنة ، باب : ما جاء في صفة جماع أهل الجنة ، حديث (٢٥٣٩) (٢١٨/٧) . وفي إسناده قتادة مشهور بالتدليس ، وعمران - وهو ابن داود القطان ، صدوق يهم .

(٧١) - أخرجه الطبراني في الأوسط (٢١٩/١) (٧١٨) . وإسناده رجاله ثقات .

[١] - في ز : ونطيق .
[٢] - في ز : سرخس .
[٣] - ما بين المعكوفين في ز : أبو .

العُرُب : حسنات الكلام .

وقال ابن أبي حاتم : ذكر عن سهل بن عثمان العسكري : حدثنا أبو عليّ ، عن جعفر بن محمد ، عن أبيه ، عن جده قال : قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : [﴿ عُرُبًا ﴾][١] قال : « **كلامهن عربيّ** » .

وقوله : ﴿ **أترابًا** ﴾ قال الضحاك عن ابن عباس : يعني في سن واحدة ؛ ثلاث وثلاثين سنة .

وقال مجاهد : الأتراب : المستويات . وفي رواية عنه : الأمثال . وقال عطية : الأقران . وقال السدي : ﴿ **أترابًا** ﴾ ، أي : في الأخلاق المتواخيات بينهن ، ليس بينهن تباغض ولا تحاسد ، يعني لا كما كن ضرائر متعاديات .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو سعيد الأشج ، حدثنا أبو أسامة عن عبد اللَّه بن الكهف ، عن الحسن ومحمد : ﴿ **عُرُبًا أترابًا** ﴾ ، قالا : المستويات الأسنان ، يأتلفن جميعًا ، ويلعبن جميعًا .

وقد روىٰ أبو عيسىٰ الترمذي ، عن أحمد بن منيع ، عن أبي معاوية ، عن عبد الرحمن بن إسحاق ، عن النعمان بن سعد ، عن عليّ - رضي اللَّه عنه - قال : قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **إن في الجنة لمجتمعًا للحور العين ، يرفعن أصواتًا لم تسمع الخلائق بمثلها ، يقلن : نحن الخالدات فلا نبيد ، ونحن الناعمات فلا نبأس ، ونحن الراضيات فلا نسخط ، طوبىٰ لمن كان لنا وكُنّا له** » (٧٢). ثم قال : هذا حديث غريب .

وقال الحافظ أبو يعلىٰ : حدثنا أبو خيثمة ، حدثنا إسماعيل بن عمر ، حدثنا ابن أبي ذئب ، عن فلان بن عبد اللَّه بن رافع ، عن بعض ولد أنس بن مالك ، عن أنس ، أن رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم؛ قال : « **إن الحور العين ليغنين في الجنة ، يقلن : نحن خَيِّرات حسان ، خبئنا**[٢] **لأزواج كرام** » (٧٣).

قلت : إسماعيل بن عُمَر هذا هو أبو المنذر الواسطي أحد الثقات الأثبات . وقد روىٰ هذا

---

(٧٢) - أخرجه الترمذي في كتاب : صفة الجنة ، باب : ما جاء في كلام الحور العين ، حديث (٢٥٦٧) (٧/٢٤٠ - ٢٤١) . وفي إسناده عبد الرحمن بن إسحاق ضعيف . والنعمان بن سعد ؛ قال الحافظ : مقبول .

(٧٣) - أخرجه أبو يعلى كما في المطالب العالية لابن حجر (٤٠٢/٤) (٤٦٨٤) .

---

[١] - سقط من ز . [٢] - في ز : حيينا .

الحديث الإِمام عبد الرحيم بن إبراهيم الملقب بدُحيم ، عن ابن أبي فديك ، عن ابن أبي ذئب ، عن عون بن الخطاب بن عبد الله بن رافع ، عن ابن لأنس ، عن أنس ؛ قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : / « **إن الحور العين يغنين في الجنة : نحن الجوار الحسان ، خلقنا لأزواج كرام** » (٧٤).

وقوله : ﴿ **لأصحاب اليمين** ﴾ ، أي : خلقن لأصحاب اليمين [أو : ادّخرن لأصحاب اليمين][١] أو : زوجن لأصحاب اليمين . والأظهر أنه متعلق بقوله : ﴿ **إنا أنشأناهن إنشاء * فجعلناهن أبكارًا . عربًا أترابًا * لأصحاب اليمين** ﴾ ، فتقديره : أنشأناهن لأصحاب اليمين . وهذا توجيه ابن جرير .

رُوِي عن أبي سليمان الدّاراني - رحمه الله - قال : صليتُ ليلة ، ثم جلست أدعو ، وكان البردُ شديدًا ، فجعلت أدعو بيد واحدة ، فأخذتني عيني فنمت ، فرأيت حوراء لم ير مثلها وهي تقول : يا أبا سليمان ، أتدعو بيد واحدة وأنا أغذىٰ[٢] لك في النعيم من خمسمائة سنة !

قلت : ويحتمل أن يكون قوله : ﴿ **لأصحاب اليمين** ﴾ متعلقًا بما قبله ، وهو قوله : ﴿ **أترابًا * لأصحاب اليمين** ﴾ ، أي : في أسنانهم[٣] . كما جاء في الحديث الذي رواه البخاري ومسلم ، من حديث جَرير ، عن عُمَارة بن القعقاع ، عن أبي زُرعَةَ ، عن أبي هُرَيرة ؛ قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **أول زمرة يدخلون الجنة علىٰ صورة القمر ليلة البدر ، والذين يلونهم علىٰ ضَوء أشدّ كوكب دُرّيّ في السماء إضاءة ، لا يبولون ولا يتغوطون ، ولا يتفلون ولا يتمخطون ، أمشاطهم الذهب ، ورشحهم المسك ، ومجامرهم الألُوّة[٤] ، وأزواجهم الحور العين ، أخلاقهم علىٰ خَلْق رجل واحد ، علىٰ صورة أبيهم آدم ، ستون ذراعًا في السماء** » (٧٥).

---

(٧٤) - أخرجه أبو نعيم في صفة الجنة (٢/٢٨٠) (٤٣٢) . وفي إسناده عون بن الخطاب ذكره ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل ولم يذكر فيه جرحًا ولا تعديلًا . والحديث أخرجه الطبراني في الأوسط (٦/٣١٢) (٦٤٩٧) وفيه الحسن بن داود المنكدري . قال البخاري : يتكلمون فيه . وقال ابن عدي أرجو أنه لا بأس به . قال الهيثمي في « المجمع » (١٠/٤٢٢) : رواه الطبراني في الصغير والأوسط ورجاله وثقوا .

(٧٥) - أخرجه البخاري في كتاب : أحاديث الأنبياء ، باب : خلق آدم وذريته ، حديث (٣٣٢٧) (٦/٣٦٢) . =

---

[١] - ما بين المعكوفين سقط من ز .

[٢] - في ز : أعدني . [٣] - في ز : أشباههم .

[٤] - الألُوَّة : عود يتبخر به . الوسيط [٢٦/١] .

وقال الإمام أحمد : حدثنا يزيد بن هارون وعفان ؛ قالا : حدثنا حماد بن سلمة - وروىٰ الطبراني واللفظ له ، من حديث حماد بن سلمة - عن عليّ بن زيد بن جدعان ، عن سعيد بن المسيب ، عن أبي هريرة ؛ قال : قال رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **يدخل أهل الجنة الجنةَ جُردًا مُردًا بيضًا جِعَادًا مكحلين ، أبناء ثلاث وثلاثين ، وهم علىٰ خَلْق آدم ستون ذراعًا في**[١] **عرض سبعة أذرع** » (٧٦).

وروىٰ الترمذي من حديث أبي داود الطيالسي ، عن عمران القطان ، عن قتادة ، عن شهر بن حوشب ، عن عبد الرحمن بن غنم ، عن مُعَاذ بن جَبَل ؛ أن رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم قال : « **يدخل أهل الجنة الجنة جردًا مردًا مكحلين أبناء [ثلاثين ، أو]**[٢] **ثلاث وثلاثين سنة** » (٧٧). ثم قال : « **حسن غريب** » .

وقال ابن وهب : أخبرنا عمرو بن الحارث أنّ دَرّاجًا أبا السمح حَدّثه عن أبي[٣] الهيثم ، عن أبي سعيد ؛ قال : قال رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **من مات / من أهل الجنة من صغير أو كبير ، يُرَدّون بني ثلاث وثلاثين في الجنة ، لا يزيدون عليها أبدًا ، وكذلك أهل النار** »(٧٨) .

ورواه الترمذي عن سويد بن نصر عن ابن المبارك عن رشدين[٤] بن سعد عن عمرو بن الحارث به (٧٩).

وقال أبو بكر بن أبي الدنيا : حدثنا القاسم بن هاشم ، حدثنا صفوان بن صالح ، حدثني

= ومسلم في كتاب : الجنة وصفة نعيمها ، باب : أول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر ليلة البدر ، حديث (٢٨٣٤/١٥) (٢٥١/١٧) .

(٧٦) - أخرجه أحمد (٢/ ٢٩٥، ٣٤٣، ٤١٥) . والطبراني في الأوسط (٣١٨/٥) (٥٤٢٢) وفي إسناده على بن زيد بن جدعان وهو ضعيف .

(٧٧) - أخرجه الترمذي في كتاب : صفة الجنة ، باب : ما جاء في سن أهل الجنة ، حديث (٢٥٤٨) (٧/ ٢٢٤) وفي إسناده شهر بن حوشب : ضعيف .

وقتادة مدلس ، والراوى عنه عمران بن داود صدوق يهم .

(٧٨) - أخرجه أبو نعيم في صفة الجنة (١٠٨/٢) (٢٥٩) وفي إسناده دراج ، في روايته عن أبي الهيثم ضعف .

(٧٩) - أخرجه الترمذي في كتاب : صفة الجنة ، باب : ما جاء ما لأهل الجنة من الكرامة ، حديث (٢٥٦٥) (٢٣٩/٧) . وفي إسناده رشدين أيضًا وهو ضعيف .

[١] - سقط من ز .

[٢] - سقط من ز .

[٣] - في ز : ابن .

[٤] - في ز : رشد .

رَوَّاد بن الجراح العسقلاني ، حدثنا الأوزاعي ، عن هارون بن رئاب ، عن أنس ؛ قال : قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **يدخل أهل الجنة الجنةَ علىٰ طول آدم ، ستين ذراعًا بذراع الملك ! علىٰ حُسْن يوسف ، وعلىٰ ميلاد عيسىٰ ثلاث وثلاثين سنة ، وعلىٰ لسان محمد ، جُرْدٌ مُرْدٌ مُكحَّلون** » (٨٠).

وقال أبو بكر بن أبي داود : حدثنا محمود بن خالد وعباس بن الوليد؛ قالا : حدثنا عمر ، عن الأوزاعي ، عن هارون بن رئاب ، عن أنس بن مالك؛ قال : قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **يبعث أهل الجنة علىٰ صورة آدم في ميلاد [عيسىٰ]**[١] **ثلاث وثلاثين ، جُردًا مردًا مكحلين . ثم يذهب بهم إلىٰ شجرة في الجنة فيكسون منها لا تبلىٰ ثيابهم ولا يفنىٰ شبابهم** » (٨١).

[وقوله : ﴿ **ثلة من الأولين** ﴾ أي : جماعة من الأولين ، وجماعة من الآخرين][٢] .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا المنذر بن شاذان ، حدثنا محمد بن بكار ، حدثنا سعيد بن بَشِير ، عن قتادة ، عن الحسن ، عن عمران بن حُصَين ، عن عبد اللَّه بن مسعود - قال : وكان بعضهم يأخذ عن بعض - قال : أكرينا ذات ليلة عند رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم ثم غدونا عليه ، فقال : « **عُرِضت عليّ الأنبياء وأتباعها بأممها ، فيمر عليّ النبيّ ، والنبي في العصابة ، والنبي في الثلاثة ، والنبي ليس معه أحد** » . وتلا قتادة هذه الآية : ﴿ **أليس منكم رجل رشيد** ﴾ - قال : « **حتىٰ مَرّ عليّ موسىٰ بن عمران في كُبْكُبَة**(*) **من بني إسرائيل** » . قال : « **قلتُ : ربِّ ، من هذا ؟ قال : هذا أخوك موسىٰ بن عمران ومن معه من بني إسرائيل** » . قال : « **قلتُ : ربِّ ، فأين أمتي ؟ قال : انظر عن يمينك في الظِّراب** » . قال : « **فإذا وجوه الرجال** » . قال : « **قال : أرضيتَ ؟** » قال : « **قلت : قد رضيت ، رب . قال : انظر إلىٰ الأفق عن يسارك . فإذا وجوه الرجال . قال : أرضيت ؟ قلت : رضيت ، رب . قال : فإن مع هؤلاء سبعين ألفًا ، يدخلون الجنة بغير حساب** » . قال : وأنشأ عُكَاشة بن مِحْصَن من بني أسد - قال سعيد : وكان بَدْرِيًّا -

(٨٠) - ذكره ابن القيم في حادى الأرواح (٢١٨) من حديث ابن أبي الدنيا بهذا الإسناد ، وفيه رواد بن الجراح صدوق اختلط بأخرة فترك .

وصفوان بن صالح يدلس تدليس التسوية .

(٨١) - أخرجه أبو نعيم في صفة الجنة (١٠٤/٢) (٢٥٥) . وفي الحلية (٥٦/٣) ، وقال الهيثمي في المجمع (٤٠٢/١٠) : رواه الطبراني في الأوسط وإسناده جيد .

(*) الجماعة المتضامة من الناس وغيرهم . النهاية (١٤٤/٤) .

[١] - سقط من ز . [٢] - ما بين المعكوفين سقط من ز .

قال : / يانبي الله ؛ ادع الله أن يجعلني منهم . قال : فقال : « **اللهم ؛ اجعله منهم** » . [قال : أنشأ رجل آخر][١] ؛ قال : يا نبي الله ؛ ادع الله أن يجعلني منهم . فقال : « **سبقك بها عُكّاشة** » . قال : فقال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **فإن استطعتم - فداكم أبي وأمي - أن تكونوا من أصحاب السبعين فافعلوا ، وإلا فكونوا من أصحاب الظّراب ، وإلا فكونوا من أصحاب الأفق ، فإني قد رأيت ناسًا كثيرًا قد تأشّبوا(*) حوله**[٢] » . ثم قال : « **إني لأرجو أن تكونوا ربع أهل الجنة** » . فكبرنا ، ثم قال : « **إني لأرجو أن تكونوا ثلث أهل الجنة** » . قال : فكبرنا ، قال : « **إني لأرجو أن تكونوا نصف أهل الجنة** » . قال : فكبرنا . ثم تلا رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم هذه الآية : ﴿ **ثلة من الأولين * وثلة من الآخرين** ﴾ . قال : فقلنا بيننا : من هؤلاء السبعون[٣] ألفًا ؟ فقلنا[٤] : هم الذين ولدوا في الإسلام ولم يشركوا . قال : [فبلغه][٥] ذلك ، فقال : « **بل هم الذين لا يكتوون ولا يسترقون ولا يتطيرون ، وعلىٰ ربهم يتوكلون** » .

وكذا رواه ابن جرير من طريقين آخرين عن قتادة به نحوه(٨٢) . وهذا الحديث له طرق كثيرة من غير هذا الوجه [في][٦] الصحاح وغيرها .

وقال ابن جرير : حدثنا ابن حميد ، حدثنا مهران ، حدثنا سفيان ، عن أبان بن أبي عياش ، [عن سعيد بن جُبَير ، عن ابن عباس][٧] : ﴿ **ثلة من الأولين * وثلة من الآخرين** ﴾ ، قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **هُمَا جميعًا من أمتي** » (٨٣) .

﴿ وَأَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ (٤١) فِى سَمُومٍ وَحَمِيمٍ (٤٢) وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ

(*) أي : اجتمعوا عليه وأطافوا به . (النهاية ١/ ٥٠)

(٨٢) - أخرجه الطبري (٢٧/ ١٩٠) ، و(٢٧/ ١٩١) وفي إسناده الحسن وقتادة وكلاهما عرف بالتدليس لكن يشهد لبعضه الحديث التالي .

(٨٣) - أخرجه البخاري في كتاب : الطب ، باب : من اكتوى أو كوى غيره ، وفضل من لم يكتو ، حديث (٥٧٠٥) (١٠/ ١٥٥) . وفي باب : ومن لم يرق ، حديث (٥٧٥٢) (١٠/ ٢١١) . ومسلم في كتاب : الإيمان ، باب : الدليل على دخول طوائف من المسلمين الجنة بغير حساب ولا عذاب ، حديث (٣٧٤/ ٢٢٠) (٣/ ١١٦ - ١١٨) . كلاهما من حديث عبد الله بن عباس ، رضي الله عنه .

---

[١] - بياض في ز .
[٢] - في ز : اخوا . كذا .
[٣] - في ز : فإن . كذا .
[٤] - في ز : قبلنا .
[٥] - بياض في ز .
[٦] - سقط من ز .
[٧] - ما بين المعكوفين سقط من ز .

﴿٤٣﴾ لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ﴿٤٤﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَٰلِكَ مُتْرَفِينَ ﴿٤٥﴾ وَكَانُوا يُصِرُّونَ عَلَى
الْحِنثِ الْعَظِيمِ ﴿٤٦﴾ وَكَانُوا يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ
﴿٤٧﴾ أَوَ آبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ ﴿٤٨﴾ قُلْ إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ ﴿٤٩﴾ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ
مِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٥٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ ﴿٥١﴾ لَآكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن
زَقُّومٍ ﴿٥٢﴾ فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ ﴿٥٣﴾ فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ ﴿٥٤﴾ فَشَارِبُونَ شُرْبَ
الْهِيمِ ﴿٥٥﴾ هَٰذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ الدِّينِ ﴿٥٦﴾

لما ذكر تعالىٰ حال أصحاب اليمين ، عطف عليهم بذكر أصحاب الشمال ، فقال : ﴿ **وأصحاب الشمال ما أصحاب الشمال** ﴾ . أي : أيّ شيء هم أصحاب الشمال ؟ ثم فسّر ذلك فقال : ﴿ **في سموم** ﴾ ، وهو : الهواء الحار ، ﴿ **وحميم** ﴾ ، وهو : الماء الحار ، ﴿ **وظل من يحموم** ﴾ ، قال ابن عباس : ظل الدخان . وكذا قال مجاهد ، وعكرمة ، وأبو صالح ، وقتادة ، والسدي ، وغيرهم .

وهذه كقوله تعالىٰ : ﴿ **انطلقوا إلىٰ / ما كنتم به تكذبون * انطلقوا إلىٰ ظل ذي ثلاث شُعَب * لا ظليل ولا يغني من اللهب * إنها ترمي بشرر كالقصر * كأنه جمالات**[١] **صُفر * ويل يومئذ للمكذبين** ﴾ ، ولهذا قال هاهنا : ﴿ **وظل من يحموم** ﴾ ، وهو : الدخان الأسود ، ﴿ **لابارد ولا كريم** ﴾ ، أي : ليس طَيِّبَ الهبوب ولا حَسَن المنظر ، كما قال الحسن وقتادة : ﴿ **ولا كريم** ﴾ . أي : ولا كريم المنظر . وقال الضحاك : كل شراب ليس بعذب فليس[٢] بكريم .

وقال ابن جرير : العرب تتبع هذه اللفظة في النفي ، فيقولون : هذا الطعام ليس بطيب ولا كريم ، هذا اللحم ليس بسمين ولا كريم ، وهذه الدار ليست بنظيفة ولا كريمة .

ثم ذكر تعالىٰ استحقاقهم لذلك فقال تعالىٰ : ﴿ **إنهم كانوا قبل ذلك مترفين** ﴾ . أي : كانوا في الدار الدنيا منعمين مقبلين علىٰ لذات أنفسهم ، لا يلوون علىٰ ما جاءتهم به الرسل .

﴿ **وكانوا يصرون** ﴾ أي : يُصَمِّمون ولا ينوون[٣] توبة ، ﴿ **علىٰ الحنث العظيم** ﴾ .

---

[١] - كذا في ز . [٢] - في ز : وليس .

[٣] - في ز : يتوبون .

وهو الكفر بالله ، وجعل الأوثان والأنداد أربابًا من دون الله .

قال ابن عباس : ﴿ **الحنث العظيم** ﴾ : الشرك . وكذا قال مجاهد ، وعكرمة ، والضحاك ، وقتادة ، والسدي ، وغيرهم . وقال الشعبي : هو اليمين الغموس .

﴿ **وكانوا يقولون أئذا متنا وكنا ترابًا وعظامًا أئنا لمبعوثون * أو آباؤنا الأولون**[١] ﴾ يعني أنهم يقولون [مثل][٢] ذلك مكذبين به مستبعدين لوقوعه ، قال الله تعالىٰ : ﴿ **قل إن الأولين والآخرين * لمجموعون إلىٰ ميقات يوم معلوم** ﴾ . أي : أخبرهم يامحمد أن الأولين والآخرين من بني آدم سيجمعون إلىٰ عَرَصات القيامة ، لا نغادر منهم أحدًا . كما قال : ﴿ **ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود * وما نؤخره إلا لأجل معدود * يوم يأت لا تكلم نفس إلا بإذنه فمنهم شقي وسعيد** ﴾ ؛ ولهذا قال هاهنا : ﴿ **لمجموعون إلىٰ ميقات يوم معلوم** ﴾ ، أي : هو موقت بوقت مُحَدّد ، لا يتقدم ولا يتأخر ، ولا يزيد ولا ينقص .

﴿ **ثم إنكم أيها الضالون المكذبون * لآكلون من شجر من زقوم * فمالئون منها البطون** ﴾ ، وذلك أنهم يقبضون ويُسجَرون حتىٰ يأكلوا من شجر الزقوم[٣] ، حتىٰ يملئوا منها بطونهم ، ﴿ **فشاربون عليه من الحميم * فشاربون شرب الهيم** ﴾ . وهي الإِبل العطاش ، واحدها أهيم والأنثىٰ هيماء ، ويقال : هائم وهائمة .

قال ابن عباس ومجاهد ، وسعيد بن جبير وعكرمة : / الهيم : الإبل العطاش الظماء .

وعن عكرمة أنه قال : الهيم : الإبل المراض ، تمص الماء مصًا ولا تَرْوَىٰ .

وقال السدي : الهيم : داء يأخذ الإِبل فلا تَرْوىٰ أبدًا حتىٰ تموت ، فكذلك أهل جهنم لا يَرْوَون من الحميم أبدًا .

وعن خالد بن معدان : أنه كان يكره أن يشرب شرب الهيم عبة[٤] واحدة من غير أن يتنفس ثلاثًا .

ثم قال تعالىٰ : ﴿ **هذا نزلهم يوم الدين** ﴾ ، أي : هذا الذي وصفنا هو ضيافتهم عند ربهم يوم حسابهم ، كما قال في حق المؤمنين : ﴿ **إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلًا** ﴾ أي : ضيافة وكرامة .

---

[١] - في ز : الأولين .
[٢] - سقط من خ .
[٣] - في ز : من زقوم .
[٤] - في ز : غبة .

نَحْنُ خَلَقْنَٰكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ ﴿٥٧﴾ أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ ﴿٥٨﴾ ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٥٩﴾ نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ ٱلْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٦٠﴾ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَٰلَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِى مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾

يقول تعالىٰ مُقرّرًا للمعاد ، ورَدًّا علىٰ المكذبين به من أهل الزيغ والإلحاد ، من الذين قالوا : ﴿ **أئذا [متنا و]**[١] **كنا ترابًا وعظامًا أئنا لمبعوثون** ﴾ . وقولُهم ذلك صَدَرَ منهم علىٰ وجه التكذيب والاستبعاد ، فقال : ﴿ **نحن خلقناكم** ﴾ ، أي نحن ابتدأنا خلقكم بعد أن لم تكونوا شيئًا مذكورًا ، أفليس الذي قدر علىٰ البَداءَة بقادر علىٰ الإعادة بطريق الأولىٰ [والأحرىٰ][٢] ؛ فلهذا قال : ﴿ **فلولا تصدقون** ﴾ ، أي : فهلا تصدقون بالبعث ! ثم قال مستدلًا عليهم بقوله : ﴿ **أفرأيتم ما تمنون * أأنتم تخلقونه أم نحن الخالقون** ﴾ ، أي : أنتم تقرونه في الأرحام وتخلقونه فيها ، أم اللَّه الخالق لذلك ؟ ثم قال : ﴿ **نحن قدرنا بينكم الموت** ﴾ . أي : صرفناه بينكم . وقال الضحاك : ساوىٰ فيه بين أهل السماء والأرض .

﴿ **وما نحن بمسبوقين** ﴾ أي : وما نحن بعاجزين ﴿ **علىٰ أن نبدّل أمثالكم** ﴾ ، أي : نغير خلقكم يوم القيامة ، ﴿ **وننشئكم فيما لا تعلمون** ﴾ ، أي : من الصفات والأحوال .

ثم قال : ﴿ **ولقد علمتم النشأة الأولىٰ فلولا تذكرون** ﴾ . أي : قد علمتم أن اللَّه أنشأكم بعد أن لم تكونوا شيئًا مذكورًا ، فخلقكم وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة ، فهلا تتذكرون وتعرفون أن الذي قدر علىٰ هذه النشأة - وهي البَدَاءة - قادر علىٰ النشأة الأخرىٰ - / وهي الإعادة - بطريق الأولىٰ والأحرىٰ ؟ كما قال : ﴿ **وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه** ﴾ ، وقال : [﴿ **أولا يذكر الإنسان أنا خلقناه من قبل ولم يك شيئًا** ﴾ وقال][٣] : ﴿ **أو لم ير الإنسان أنا خلقناه من نطفة فإذا هو خصيم مبين * وضرب لنا مثلًا ونسي خلقه قال من يحيي العظام وهي رميم * قل يحيها الذي أنشأها أَوَّلَ مَرَّةٍ وهو بكل خلق عليم** ﴾ . وقال تعالىٰ : ﴿ **أيحسب الإنسان أن يترك سدى * ألم يك نطفة من مني يمنىٰ * ثم كان علقة فخلق فسوىٰ * فجعل منه الزوجين الذكر والأنثىٰ * أليس ذلك بقادر علىٰ أن يحيي الموتى** ﴾ .

---

[١] - سقط من ز . [٢] - سقط من ز .

[٣] - ما بين المعكوفين سقط من ز .

﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ﴿٦٤﴾ لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَٰهُ حُطَٰمًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ﴿٦٥﴾ إِنَّا لَمُغْرَمُونَ ﴿٦٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٦٧﴾ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾ ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ ﴿٦٩﴾ لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَٰهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ﴿٧٠﴾ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى تُورُونَ ﴿٧١﴾ ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَآ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنشِـُٔونَ ﴿٧٢﴾ نَحْنُ جَعَلْنَٰهَا تَذْكِرَةً وَمَتَٰعًا لِّلْمُقْوِينَ ﴿٧٣﴾ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾﴾

يقول : ﴿ **أفرأيتم ما تحرثون** ﴾ ، وهو شق الأرض وإثارتها والبذر فيها ، ﴿ **أأنتم تزرعونه** ﴾ ، أي : تنبتونه في الأرض ﴿ **أم نحن الزارعون** ﴾ أي : بلى[١] نحن الذين نقره قراره وننبته في الأرض .

قال ابن جرير : وقد حدثني أحمد بن الوليد القرشي ، حدثنا مسلم بن أبي مسلم الجَرْمي ، حدثنا مخلد بن الحسين ، عن هشَام ، عن محمد ، عن أبي هريرة ؛ قال : قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **لا تقولن : زرعت ، ولكن قل : حرثت** » . قال أبو هريرة : ألم تسمع إلىٰ قوله : ﴿ **أفرأيتم ما تحرثون * أأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون** ﴾(٨٤) [و][٢] رواه البزار عن محمد بن عبد الرحيم عن مسلم[٣] الجرمي [به][٤] .

[وقال][٥] ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا موسىٰ بن إسماعيل ، حدثنا حماد ، عن عطاء عن أبي عبد الرحمن ، لا تقولوا : زرعنا ، ولكن قولوا : حرثنا .

وروي عن حجر المدري أنه كان إذا قرأ : ﴿ **أأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون** ﴾ : وأمثالها يقول : بل أنت يا رب .

وقوله : ﴿ **لو نشاء لجعلناه حطامًا** ﴾ . أي : نحن أنبتناه بلطفنا ورحمتنا ، وأبقيناه لكم

(٨٣) - أخرجه الطبري (١٩١/٢٧) . وفي إسناده أبان بن أبي عياش : متروك .
(٨٤) - أخرجه الطبري (١٩٨/٢٧) .

[١] - في ز : بلى .
[٢] - سقط من ز .
[٣] - بعده في ت : عن .
[٤] - بياض في ز .
[٥] - سقط من ز .

رحمة بكم ، ولو نشاء لجعلناه حطامًا ، أي : لأيبسناه قبل استوائه واستحصاده ، ﴿ **فظلتم تفكهون** ﴾ . ثم فسر ذلك بقوله : ﴿ **إنا لمغرمون * بل نحن محرومون** ﴾ ، أي : لو جعلناه حطامًا لظَلْتم / تفكهون في المقالة ، تنوعون كلامكم ، فتقولون تارة : ﴿ **إنا لمغرمون** ﴾ أي : لَمُلْقَوْن[١] ، وقال مجاهد ، وعكرمة : إنا لَمُولَع بنا . وقال قتادة : معذبون . وتارة تقولون : بل نحن محرمون .

وقال مجاهد أيضًا : ﴿ **إنا لمغرمون** ﴾ : ملقون للشر ، أي : بل نحن مُحَارَفون . قاله قتادة ، أي : لا يثبت لنا مال ، ولا ينتج لنا ربح .

وقال مجاهد : ﴿ **بل نحن محرومون** ﴾ [أي]:[٢] محدودون ، يعني : لاحظ لنا .

قال ابن عباس ، ومجاهد : ﴿ **فظلتم تفكهون** ﴾ : تعجبون . وقال مجاهد أيضًا : ﴿ **فظلتم تفكهون** ﴾ : تفجعون وتحزنون على ما فاتكم من زرعكم . وهذا يرجع إلى الأول ، وهو التعجب من السبب الذي من أجله أصيبوا في مالهم . وهذا اختيار ابن جرير .

وقال عكرمة : ﴿ **فظلتم تفكهون** ﴾ : تلاومون . وقال الحسن ، وقتادة ، والسدي : ﴿ **فظلتم تفكهون** ﴾ ، تندمون . ومعناه إما على ما أنفقتم أو على ما أسلفتم من الذنوب . قال [الكسائي][٣] : تفكّه من الأضداد ، تقول العرب : تفكهت[٤] بمعنى تنعمت ، وتفكهت بمعنى حزنت .

ثم قال تعالى : ﴿ **أفرأيتم الماء الذي تشربون * أأنتم أنزلتموه من المزن** ﴾ ، يعني : السحاب . قاله ابن عباس ، ومجاهد ، وغير واحد . ﴿ **أم نحن المنزلون** ﴾ ، يقول : بل نحن المنزلون . ﴿ **لو نشاء جعلناه أجاجًا** ﴾ ، أي : زُعاقًا[٥] مرًا لا يصلح لشرب[٦] ولا زرع ، ﴿ **فلولا تشكرون** ﴾ ، أي : فهلا تشكرون نعمة الله عليكم في إنزاله المطر عليكم عذبًا زلالاً ؟! ﴿ **لكم منه شراب ومنه شجر فيه تُسِيمون * ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والأعناب ومن كل الثمرات إن في ذلك لآية لقوم يتفكرون** ﴾ .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا عثمان بن سعيد بن مرة ، حدثنا فُضَيل[٧] بن مرزوق ، عن جابر ، عن أبي جعفر ، عن النبي صلى الله عليه وسلم : أنه كان[٨] إذا

---

[١] - في ز : لمعلون .
[٢] - سقط من ز .
[٣] - بياض في ز .
[٤] - سقط من ز .
[٥] - الزُّعاق من الماء : المرّ الغليظ لا يطاق شربه . الوسيط [٤٠٨/١] .
[٦] - في ز : لشراب .
[٧] - في ز : فضل .
[٨] - سقط من ت .

شرب الماء قال : « **الحمد لله الذي سقاناه عذبًا فراتًا برحمته ، ولم يجعله ملحًا أجاجًا بذنوبنا** »(٨٥) .

ثم قال : ﴿ **أفرأيتم النار التي تورون** ﴾ ، أي : تقدحون من الزناد ، وتستخرجونها من أصلها ، ﴿ **أأنتم أنشأتم شجرتها أم نحن المنشئون** ﴾ . أي : بل نحن الذين جعلناها مودعة في موضعها ، وللعرب شجرتان ، إحداهما : المرخ[١] ، والأخرىٰ : العَفار[٢] ، إذا أخِذَ منهما غصنان أخضران ، فحُكّ أحدهما بالآخر ، تناثر من بينهما شرر النار .

وقوله : ﴿ **نحن جعلناها تذكرة** ﴾ قال مجاهد وقتادة : أي تذكر النار الكبرىٰ .

قال قتادة : ذكر لنا أن / رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم؛ قال : « **يا قوم ؛ ناركم**[٣] **هذه التي توقدون جزء من سبعين جزءًا من نار جهنم** » . قالوا: يارسول الله ؛ إن كانت لكافية ! قال : « **قد ضُربت بالماء ضربتين - أو : مرتين - حتىٰ يستنفع بها بنو آدم ويدنوا منها** »(٨٦) .

وهذا الذي أرسله قتادة قد رواه الإمام أحمد في مسنده؛ فقال :

حدثنا سفيان ، عن أبي الزناد ، عن الأعرج ، عن أبي هريرة ، عن النبي صلىٰ الله عليه وسلم قال : « **إن ناركم هذه جزء من سبعين جزءًا من نار جهنم ، وضربت بالبحر مرتين ، ولولا ذلك ما جعل الله فيها منفعة لأحد** » (٨٧).

وقال الإمام مالك عن أبي الزناد ، عن الأعرج ، عن أبي هريرة؛ أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم قال : « **نار بني آدم التي يوقدون جزءٌ من سبعين جزءًا من نار جهنم** » . فقالوا : يارسول الله ؛ إن كانت لكافية . فقال : « **إنها فُضّلت عليها بتسعة وستين جزءًا** »(٨٨) .

---

(٨٥) - في إسناده عثمان بن سعيد بن مرة ، قال الحافظ : مقبول . وفضيل بن مرزوق وثقه الثوري وابن معين ، وقال ابن أبي حاتم : سألت أبي عن فضيل بن مرزوق ؟ فقال : هو صدوق ، صالح الحديث يهم كثيرًا يكتب حديثه . قلت : يحتج به ؟ قال : لا . الجرح والتعديل (٧/٧٥) . وجابر هو ابن يزيد بن رفاعة العجلي ذكره ابن أبي حاتم في « الجرح والتعديل » (٢/٤٩٨) ولم يذكر فيه جرحًا ولا تعديلًا .

(٨٦) - أخرجه الطبري (٢٧/٢٠١) .

(٨٧) - أخرجه أحمد (٢/٢٤٤) وإسناده صحيح .

(٨٨) - وأخرجه مالك في كتاب : جهنم ، باب : ما جاء في صفة جهنم ، حديث (١) (٢/٧٥٩) .

---

[١] - في ز : المدح .   [٢] - في ز : العيار .

[٣] - سقط من ز .

رواه البخاري من حديث مالك(٨٩) ، ومسلم من حديث أبي الزناد(٩٠) . ورواه مسلم ، من حديث عبد الرزاق ، عن معمر عن همام ، عن أبي هريرة به (٩١). وفي لفظ « **والذي نفسي بيده ، لقد فضّلت [عليها][١] بتسعة وستين جزءًا كلهن مثل حرّها** » .

وقال أبو القاسم الطبراني : حدثنا أحمد بن عمرو الخلال ، حدثنا إبراهيم بن المنذر الحرامي ، حدثنا معن بن عيسىٰ القزاز ، عن مالك ، عن عمه أبي السهيل[٢] ، عن أبيه ، عن أبي هريرة ؛ قال : قال رسول اللّه صلىٰ اللّه عليه وسلم : « **أتدرون ما مثل ناركم هذه من نار جهنم ؟ لهي أشد سوادًا من ناركم هذه بسبعين[٣] ضعفًا** » (٩٢).

قال الضياء المقدسي : وقد رواه ابن مصعب عن مالك ولم يرفعه ، وهو عندي علىٰ شرط الصحيح .

وقوله : ﴿ **ومتاعًا للمقوين** ﴾ . قال ابن عباس ، ومجاهد ، وقتادة ، والضحاك ، والنضر ابن عربي[٤] : معنىٰ ﴿ **المقوين** ﴾ : المسافرين . واختاره ابن جرير ، وقال : ومنه قولهم : أقوت الدار إذا رحل أهلها . وقال غيره : القي والقَوَاء : القفر الخالي البعيد من العمران .

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : المقوي هُهنا : الجائع .

وقال ليث بن أبي سليم : عن مجاهد : ﴿ **ومتاعًا للمقوين** ﴾ : للحاضر والمسافر ، لكل طعام لا يصلحه إلا النار . وكذا روىٰ سفيان ، عن جابر الجعفي ، عن مجاهد .

وقال ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله : ﴿ **للمقوين** ﴾ المستمتعين ، الناس أجمعين . وكذا ذكر عن عكرمة .

وهذا / التفسير أعم من غيره ، فإن الحاضر والبادي من غني وفقير، الكل محتاجون للطبخ والاصطلاء والإضاءة وغير ذلك من المنافع . ثم من لطف اللّه تعالىٰ أن أودعها في الأحجار وخالص الحديد ، بحيث يتمكن المسافر من حمل ذلك في متاعه وبين ثيابه ، فإذا

---

(٨٩) - ومن طريقه البخاري في كتاب : بدء الخلق ، باب : صفة النار وأنها مخلوقة ، حديث (٣٢٦٥) (٣٣٠/٦) .

(٩٠) - مسلم في كتاب : الجنة وصفة نعيمها ، باب : في شدة حر نار جهنم ، وبعد قعرها وما تأخذ من المعذبين ، حديث (٢٨٤٣/٣٠) (٢٦١/١٧) .

(٩١) - أخرجه في الموضع السابق برقم (٢٨٤٣/٣٠م) (٢٦٢/١٧) .

---

[١] - سقط من ز .

[٢] - في ز : سهل .

[٣] - في ز : بستين .

[٤] - في ز : عدي .

احتاج إلىٰ ذلك في منزله أخرج زنده وأورىٰ ، وأوقد ناره فاطبخ بها واصطلى ، واشتوى واستأنس بها ، وانتفع بها سائر الانتفاعات .

فلهذا أفردَ المسافرون وإن كان[١] ذلك عامًّا في حق الناس كلهم . وقد يستدل له بما رواه الإمام أحمد وأبو داود من حديث أبي خدَاش حبَّانَ بن زَيد الشَّرعبي الشَّامي ، عن رجل من المهاجرين من قرن[٢] ، أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم؛ قال : « **المسلمون شركاء في ثلاثة : النار ، والكلإ ، والماء** »(٩٣).

وروىٰ ابن ماجة بإسناد جيد عن أبي هريرة؛ قال : قال : رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم : « **ثلاث لا يُمنعن : الماء ، والكلأ ، والنار** »(٩٤). وله من حديث ابن عباس مرفوعًا مثل هذا وزيادة : « **وثمنه حرام** »(٩٥) . ولكن في إسناده عبد الله بن خِرَاش بن حَوْشب ، وهو ضعيف ، والله أعلم .

وقوله : ﴿ **فسبح باسم ربك العظيم** ﴾ ، أي : الذي بقدرته خلق هذه الأشياء المختلفة المتضادة : الماء العذب الزلال البارد ، ولو شاء لجعله ملحًا أجاجًا كالبحار المغرقة . وخَلَق النار المحرقة ، وجعل ذلك مصلحة للعباد ، وجعل هذه منفعة لهم في معاش دنياهم ، وزاجرًا لهم في المعاد .

﴿ فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ (٧٥) وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ (٧٦) ﴾

(٩٢) - أخرجه الطبراني في الأوسط (١٥٥/١) (٤٨٥) .

(٩٣) - أخرجه أحمد (٣٦٤/٥) (٢٣١٨٨) .
وأبو داود في كتاب : البيوع ، باب : في منع الماء ، حديث (٣٤٧٧) (٢٧٨/٣) .
قال الزيلعي في « نصب الراية » (٢٩٤/٤) : وأسند ابن عدي في الكامل عن أحمد وابن معين أنهما قالا في حريز : ثقة . وذكره عبد الحق في أحكامه - يعنى الحديث - من جهة أبي داود ، قال : لا أعلم روى عن أبي خداش إلا حريز بن عثمان ، وقد قيل فيه : مجهول .اهـ .
قال البيهقي في المعرفة : وأصحاب النبي - صلى الله عليه وسلم - كلهم ثقات ، وترك ذكر أسمائهم في الإسناد لا يضر إن لم يعارضه ما هو أصح منه . انتهى . من النصب . والحديث صححه الشيخ الألباني في الإرواء (٦/٧-٨) .

(٩٤) - أخرجه ابن ماجة في كتاب : الرهون ، باب : المسلمون شركاء في ثلاث ، حديث (٢٤٧٣) (٢/ ٨٢٦) . قال في الزوائد : هذا إسناد صحيح رجاله موثقون ؛ لأن محمد بن عبد الله بن يزيد أبا يحيى المكى وثقه النسائي وابن أبي حاتم وغيرهما ، وباقي رجال الإسناد على شرط الشيخين .

(٩٥) - أخرجه ابن ماجة في الموضع السابق برقم (٢٤٧٢) (٨٢٦/٢) . وفي الزوائد : عبد الله بن خراش قد ضعفه أبو زرعة والبخاري وغيرهما ، وقال محمد بن عمار الموصلي : كذاب . اهـ . =

[١] - سقط من ز . [٢] - في ز : قرر .

﴿إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِى كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾ أَفَبِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَنتُم مُّدْهِنُونَ ﴿٨١﴾ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴿٨٢﴾﴾

قال جويبر عن الضحاك : إن الله لا يقسم بشيء من خلقه ، ولكنه استفتاح يستفتح به كلامه . وهذا القول ضعيف . والذي عليه الجمهور أنه قسم من الله - عز وجل - يقسم بما شاء من خلقه ، وهو دليل على عظمته . ثم قال بعض المفسرين : « لا » هاهنا زائدة ، وتقديره : أقسم بمواقع النجوم . ورواه ابن جرير ، عن سعيد بن جبير . ويكون جوابه : ﴿ **إنه لقرآن كريم** ﴾ .

وقال آخرون : ليست « لا » زائدة لا معنى لها ، بل يؤتى بها في أول القسم إذا كان مقسمًا به على منفي ، كقول عائشة - رضي الله عنها - : لا ، والله ما مست يد رسول الله صلى الله عليه وسلم يد امرأة قط[٩٦] . وهكذا هاهنا تقدير الكلام : لا أقسم بمواقع النجوم : ليس الأمر كما زعمتم / في القرآن أنه سحر أو كهانة ، بل هو قرآن كريم .

وقال ابن جرير : وقال بعض أهل العربية : معنى قوله : ﴿ **فلا أقسم** ﴾ ، فليس الأمر كما تقولون ، ثم استأنف القسم بعد فقيل : أقسم .

واختلفوا في معنى قوله : ﴿ **بمواقع النجوم** ﴾ فقال حكيم بن جُبَيْر عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس : يعني نجوم القرآن ، فإنه نزل جملة ليلة القدر من السماء العليا إلى السماء الدنيا ، ثم نزل مُفرقًا في السنين بعد . ثم قرأ ابن عباس هذه الآية .

وقال الضحاك عن ابن عباس : نزل القرآنُ جملة من عند الله من اللوح المحفوظ إلى السَّفَرة الكرام الكاتبين في السماء الدنيا ، فنجَّمته السفرة على جبريل عشرين ليلة ، ونجمه جبريل على محمد صلى الله عليه وسلم عشرين سنة ، فهو قوله : ﴿ **فلا أقسم بمواقع النجوم** ﴾ : نجوم القرآن . وكذا قال عكرمة ومجاهد ، والسدي وأبو حزرة .

وقال مجاهد أيضًا : ﴿ **بمواقع النجوم** ﴾ في السماء ، ويقال : مطالعها ومشارقها . وكذا قال الحسن ، وقتادة ، وهو اختيار ابن جرير . وعن قتادة : مواقعها : منازلها . وعن الحسن أيضًا : أن المراد بذلك انتشارها يوم القيامة .

= وقال البخاري : منكر الحديث . وقال أبو حاتم : ذاهب الحديث . كذا في نصب الراية (٢٩٤/٤) .

(٩٦) - أخرجه البخاري في كتاب : الشروط ، باب : (٥٤) ، حديث (٢٧١٣) (٣١٢/٥) . =

وقال الضحاك : ﴿ فلا أقسم بمواقع النجوم ﴾ . يعني بذلك الأنواء التي كان أهل الجاهلية إذا مُطِروا قالوا : مطرنا بنَوء كذا وكذا .

وقوله : ﴿ وإنه لقسم لو تعلمون عظيم ﴾ . أي : وإن هذا القسم الذي أقسمت به لقسم عظيم ، لو تعلمون عظمته لعظمتم المقسم به عليه ، ﴿ إنه لقرآن كريم ﴾ . أي : إن هذا القرآن الذي نَزَل علىٰ محمد لكتاب عظيم . ﴿ في كتاب مكنون ﴾ أي : معظم في كتاب معظم محفوظ موقر .

قال ابن جرير : حدثني إسماعيل بن موسىٰ [ ][١] ، أخبرنا شريك ، عن حكيم - هو ابن جبير - عن سعيد بن جُبَير ، عن ابن عباس ، ﴿ لا يمسه إلا المطهرون ﴾ قال : الكتاب الذي في السماء .

وقال العَوفي : عن ابن عباس : ﴿ إلا المطهرون ﴾ ، يعني الملائكة . وكذا قال أنس ، ومجاهد ، وعكرمة ، وسعيد بن جُبَير ، والضحاك ، وأبو الشعثاء جابر بن زيد ، وأبو نَهِيك ، والسدي ، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم ، وغيرهم .

وقال ابن جرير : حدثنا ابن عبد الأعلىٰ ، حدثنا ابن ثور ، حدثنا معمر ، عن قتادة : ﴿ لا يمسه إلا المطهرون ﴾ ، قال : لا يمسه عند الله إلا المطهرون ، فأما في الدنيا فإنه يمسه المجوسي النجس ، والمنافق الرجس . و[٢]قال : وهي في قراءة ابن مسعود : (ما يمسه إلا المطهرون) . وقال أبو العالية : ﴿ لا يمسّه إلا المطهرون ﴾ ليس أنتم ، [أنتم][٣] أصحاب / الذنوب .

وقال ابن زيد : زعمت كفار قريش أن هذا القرآن تنزلت به الشياطين ، فأخبر الله تعالىٰ أنه لا يمسه إلا المطهرون ، كما قال : ﴿ وما تنزلت به الشياطين * وما ينبغي لهم وما يستطيعون * إنهم عن السمع لمعزولون ﴾ .

وهذا القول قولٌ جيد ، وهو لا يخرج عن الأقوال التي قبله . وقال الفراء : لا يجد طعمه ونفعه إلا من آمن به .

وقال آخرون : ﴿ لا يمسه إلا المطهرون ﴾ ، أي : من الجنابة والحدث . قالوا : ولفظ الآية خبر ومعناها الطلب . قالوا : والمراد بالقرآن هاهنا المصحف ، كما روىٰ مسلم ، عن ابن عمر أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم نهى أن يسافر بالقرآن إلىٰ أرض العدو ، مخافة

---

[١] - ما بين المعكوفين في ز : « بن إسماعيل » .

[٢] - سقط من ز .

[٣] - سقط من ت .

أن يناله العدو[٩٧]. واحتجوا في ذلك بما رواه الإمام مالك في موطئه، عن عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حَزم، أن في الكتاب الذي كتبه رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم لعمرو بن حزم؛ أن لا يمس القرآن إلا طاهر[٩٨]. وروىٰ أبو داود في المراسيل، من حديث الزهري؛ قال: قرأت في صحيفة عند أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حَزم؛ أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم، قال: « **ولا يمس القرآن إلا طاهر** »[٩٩].

وهذه وجادة جيدة. قد قرأها الزهري وغيره، ومثل هذا ينبغي الأخذ به. وقد أسنده الدارقطني عن عمرو بن حزم[١٠٠]، وعبد الله بن عمر[١٠١]، وعثمان بن أبي العاص[١٠٢]، وفي إسناد كل منها نظر، والله أعلم.

وقوله ﴿ **تنزيل من رب العالمين** ﴾. أي: هذا القرآن منزل من رب العالمين، وليس هو كما يقولون: إنه سحر، أو كهانة، أو شعر، بل هو الحق الذي لامِرْية فيه، وليس وراءه حق نافع.

= وأطرافه في [٢٧٣٣، ٤١٨٢، ٤٨٩١، ٥٢٨٨، ٧٢١٤].

(٩٧) - أخرجه مسلم في كتاب: الإمارة، باب: النهي أن يسافر بالمصحف إلى أرض الكفار إذا خيف وقوعه بأيديهم، حديث (٩٢ - ١٨٦٩/٩٤) (١٩/١٣ - ٢٠).

(٩٨) - أخرجه مالك في كتاب: القرآن، باب: الأمر بالوضوء لمن مس القرآن، حديث (١) (١٧٧/١).

قال ابن عبد البر: لاخلاف عن مالك في إرسال هذا الحديث، وقد روى مسندًا من وجه صالح، وهو كتاب مشهور عند أهل السير معروف عند أهل العلم معرفة يستغنى بها في شهرتها عن الإسناد.

(٩٩) - أخرجه أبو داود في المراسيل (١٢٢) حديث (٩٤) قال أبو داود: روى هذا الحديث مسندًا ولا يصح. يعنى لا يصح مسندًا.

(١٠٠) - أخرجه الدارقطني كتاب: الطهارة، باب: في نهى المحدث عن مس القرآن، حديث (٥) (١/ ١٢٢) من طريق سليمان بن داود عن الزهري عن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم عن أبيه عن جده.

وضعف الألباني هذا الإسناد بسليمان بن أرقم هذا ورجحه على سليمان بن داود في الإرواء (١٥٨/١).

(١٠١) - أخرجه الدارقطني (١٢١/١) في الموضع السابق برقم (٣) ومن طريقه البيهقي في الكبرى (٨٨/١) من طريق ابن جريج عن سليمان بن موسى عن سالم عن أبيه به.

قال الزيلعي في « نصب الراية » (١٩٨/١): وسليمان بن موسى الأشدق مختلف فيه؛ فوثقه بعضهم وقال البخاري: عنده مناكير. وقال النسائي: ليس بالقوي. اهـ.

قال الهيثمي في « المجمع » (٢٨١/١): رواه الطبراني في الكبير (١٣٢١٧)، والصغير، ورجاله موثقون.

(١٠٢) - أخرجه الطبراني في الكبير (٣٣/٩) (٨٣٣٦).

قال الهيثمي في « المجمع » (٢٨٢/١): رواه الطبراني في الكبير، وفيه إسماعيل بن رافع، ضعفه يحيى = ابن معين والنسائي، وقال البخاري: ثقة مقارب الحديث. =

وقوله : ﴿ **أفبهذا الحديث أنتم مدهنون** ﴾ ، قال العَوفي : عن ابن عباس : أي : مكذبون غير مصدقين . وكذا قال الضحاك ، وأبو حَزْرَة ، والسُّدّي . وقال مجاهد : ﴿ **مدهنون** ﴾ أي : تريدون أن تمالئوهم فيه ، وتركنوا إليهم .

﴿ **وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون** ﴾ ، قال بعضهم : يعني وتجعلون رزقكم بمعنىٰ شكركم ﴿ أنكم تكذبون﴾ أي : تكذبون [بدل الشكر . وقد روي عن علي وابن عباس أنهما قرآها : (وتجعلون شكركم أنكم تكذبون)][١] كما سيأتي .

وقال ابن جرير : وقد ذكر عن الهيثم[٢] بن عدي؛ أن من لغة أزد شَنُوءَةَ : ما رزق فلان، بمعنىٰ : ماشكر فلان .

وقال الإمام أحمد : حدثنا حسين بن محمد ، حدثنا إسرائيل ، عن عبد الأعلىٰ ، عن أبي عبد الرحمن ، عن عليّ - رضي اللّٰه عنه - قال : قال رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « ﴿ **وتجعلون رزقكم** ﴾ ، يقول : شكركم ، ﴿ **أنكم تكذبون** ﴾ ، تقولون : مطرنا بنوء كذا وكذا ، بنجم كذا وكذا » (١٠٣).

وهكذا رواه ابن أبي حاتم عن أبيه ، / عن مُخَوّل بن إبراهيم النهدي ، وابن جرير ، عن محمد بن المثنىٰ ، عن عبيد اللّٰه بن موسىٰ ، وعن يعقوب بن إبراهيم ، عن يحيى بن أبي بكير ، ثلاثتهم عن إسرائيل ، به مرفوعًا (١٠٤).

وكذا رواه الترمذي عن أحمد بن مَنيع ، عن حسين بن محمد - وهو المروزي - به(١٠٥) . وقال : حسن غريب . وقد رواه سفيان [الثوري][٣] ، عن عبد الأعلىٰ ، ولم يرفعه . وقال ابن جرير : حدثنا محمد بن بشار ، حدثنا محمد بن جعفر ، حدثنا شعبة ،

= قال الألباني في الإرواء (١/١٦٠ - ١٦١) : وجملة القول : أن الحديث طرقه كلها لا تخلو من ضعف ، ولكنه ضعف يسير ؛ إذ ليس في شيء منها من اتهم بكذب ، وإنما العلة الإرسال أو سوء الحفظ ، ومن المقرر في علم المصطلح أن الطرق يقوى بعضها بعضًا إذ لم يكن فيها متهم كما قرره النووي في تقريبه ثم السيوطي في شرحه ، وعليه فالنفس تطمئن لصحة هذا الحديث ، لا سيما وقد احتج به إمام السنة أحمد بن حنبل كما سبق ، وصححه أيضًا صاحبه الإمام إسحاق بن راهويه .اهـ .

(١٠٣) - أخرجه أحمد (١/١٠٨) (٨٤٩) . وفي إسناده عبد الأعلى وهو ابن عامر الثعلبي : ضعيف .

(١٠٤) - أخرجه الطبري (٢٧/٢٠٧ - ٢٠٨) .

(١٠٥) - الترمذي في كتاب : تفسير القرآن ، باب : ومن سورة الواقعة ، حديث (٣٢٩١) (٩/٨ - ٩) .

---

[١] - ما بين المعكوفين سقط من ز . [٢] - في ز : القاسم .

[٣] - سقط من ت .

عن أبي بشر ، عن سعيد بن جُبَير ، عن ابن عباس قال : ما مُطِر قوم قط إلا أصبح بعضهم كافرًا ، يقولون : مُطِرْنا بنَوء كذا وكذا .

وقرأ ابن عباس : (وتجعلون شكركم أنكم تكذبون) (١٠٦). وهذا إسناد صحيح إلى ابن عباس .

وقال مالك في الموطأ : عن صالح بن كيسان ، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود ، [ ][١] عن زيد بن خالد الجهني ؛ أنه قال : صلىٰ لنا[٢] رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم صلاة الصبح بالحديبية في أثر سماء كانت من الليل ، فلما انصرف أقبل علىٰ الناس ، فقال : « **هل تدرون ماذا قال ربكم ؟** » . قالوا : الله ورسوله أعلم . « **قال : أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر ، فأما من قال : مطرنا بفضل الله ورحمته ، فذلك مؤمن بي كافر بالكوكب[٣] . وأما من قال : مطرنا بنوء كذا وكذا ، فذلك كافر بي مؤمن بالكوكب[٤]** »(١٠٧) . أخرجاه في الصحيحين ، وأبو داود والنسائي كلهم من حديث مالك به (١٠٨).

وقال مسلم : حدثنا محمد بن سلمة المرادي وعَمْرو بن سَوّاد ، حدثنا عبد الله بن وهب ، عن عمرو بن الحارث : أنَّ أبا يونس حَدّثه عن أبي هريرة ، عن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ؛ أنه قال : « **ما أنزل الله من السماء من بركة إلا أصبح فريق من الناس بها كافرين ، ينزلُ الغيث فيقولون : بكوكب كذا وكذا** » (١٠٩). تفرد به مسلم من هذا الوجه .

---

(١٠٦) - أخرجه الطبري (٢٠٨/٢٧) .

(١٠٧) - أخرجه مالك كتاب الاستسقاء ، باب : الاستمطار بالنجوم ، حديث (٤) (١٧٠/١) .

(١٠٨) - ومن طريقه البخاري في كتاب : الأذان ، باب : يستقبل الإمام الناس إذا سلم ، حديث (٨٤٦) (٣٣٣/٢) وأطرافه [١٠٣٨ ، ٤١٤٧ ، ٧٥٠٣] . ومسلم في كتاب : الإيمان ، باب : بيان كفر من قال : مطرنا بالنوء حديث (٧١/١٢٥) (٧٩/٢ - ٨٠) . وأبو داود في كتاب : الطب ، باب : في النجوم ، حديث (٣٩٠٦) (١٦/٤) . والنسائي في الكبرى في كتاب : الاستسقاء ، باب : القول عند المطر ، حديث (١٨٣٣) (٥٦٢/١ - ٥٦٣) .

(١٠٩) - أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب : الإيمان ، باب : بيان كفر من قال : مطرنا بالنوء ، حديث (٧٢/١٢٦م) (٨١/٢) .

---

[١] - في ز : و .

[٢] - في ت : بنا .

[٣] - في ت : بالكواكب .

[٤] - في ت : بالكواكب .

وقال ابن جرير : حدثني يونس ، أخبرنا سفيان ، عن محمد بن إسحاق ، عن محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمي ، عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة : أن رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم قال : « **إن اللّٰه ليُصْبحُ القوم بالنعمة أو يمسيهم**[١] **بها ، فيصبح بها قوم كافرين ، يقولون : مُطِرنا بنوء كذا وكذا** » (١١٠).

قال محمد - هو ابن إبراهيم - : فذكرت هذا الحديث لسعيد بن المسيب ، فقال : ونحن قد سمعنا من أبي هُرَيرة ، وقد أخبرني من شهد عمر بن الخطاب - رضي اللّٰه عنه - وهو يستسقي ، فلما استسقىٰ التفت إلىٰ العباس ؛ فقال : يا عباس ، ياعم رسول اللّٰه ، كم بقي من نوء الثريا ؟ فقال : العلماء يزعمون أنها تعترض في الأفق بعد سقوطها سبعًا (١١١).

قال : فما / مضت سابعة حتىٰ مُطِروا . وهذا مَحمول علىٰ السؤال عن الوقت الذي أجرىٰ اللّٰه فيه العادة بإنزال المطر ، لا أن ذلك النوء يؤثر بنفسه في نزول المطر ، فإن هذا هو المنهي عن اعتقاده . وقد تقدم شيء من هذه الأحاديث عند قوله : ﴿ **ما يفتح اللّٰه للناس من رحمة فلا ممسك لها** ﴾ .

وقال ابن جرير : حدثني يونس ، أخبرنا سفيان ، عن إسماعيل بن أمية - أحسبه أو غيره - أن رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم سمع رجلًا - ومطروا - يقول : مطرنا ببعض عثانين[٢] الأسد ، فقال : « **كذبت ! بل هو رزق اللّٰه** » (١١٢).

ثم قال ابن جرير : حدثني أبو صالح الصراوي[٣] ، حدثنا أبو جابر محمد بن عبد الملك الأزدي ، حدثنا جعفر بن الزبير ، عن القاسم ، عن أبي أمامة ، عن النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم قال : ما مُطِر قوم من ليلة إلا أصبح قوم بها كافرين .

ثم قال : ﴿ **وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون** ﴾ . يقول قائل : مطرنا بنجم كذا وكذا(١١٣).

---

(١١٠) - أخرجه الطبري (٢٠٨/٢٧) وفيه محمد بن إسحاق مدلس وقد عنعن ، إلا أن الحديث له شواهد تقويه كما مر .

(١١١) - أخرجه الطبري في الموضع السابق .

(١١٢) - أخرجه الطبري في الموضع السابق ، وهو ظاهر الانقطاع .

(١١٣) - أخرجه الطبري (٢٠٩/٢٧) . وفي إسناده محمد بن عبد الملك الأزدي ، قال في الجرح والتعديل(٥/٨) : ليس بالقوي .

---

[١] - في ز : يمسهم .

[٢] - في ز : عانين .

[٣] - في ز : الصراري .

وفي حديث عن أبي سعيد مرفوعًا : « **لو قُحِط الناس سبع سنين ثم مطروا لقالوا : مطرنا بنوء المِجْدَح** » (١١٤).

وقال مجاهد : ﴿ **وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون** ﴾ قال : قولهم في الأنواء : مطرنا بنوء كذا ، وبنوء كذا ، يقول : قولوا : هو من عند الله ، وهو رزقه . وهكذا قال الضحاك وغير واحد .

وقال قتادة : أما الحسن فكان يقول : بئس ما أخذ قوم لأنفسهم ! لم يرزقوا من كتاب الله إلا التكذيب . فمعنى[١] قول الحسن هذا : وتجعلون حظكم من كتاب الله أنكم تكذبون به ؛ ولهذا قال قبله : ﴿ **أفبهذا الحديث أنتم مدهنون * وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون** ﴾ .

فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ﴿٨٥﴾ فَلَوْلَآ إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾ تَرْجِعُونَهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٨٧﴾

يقول تعالى : ﴿ **فلولا إذا بلغت** ﴾ أى الروح ﴿ **الحلقوم** ﴾ [أي : الحلق][٢] وذلك حين الاحتضار . كما قال تعالى : ﴿ **كلا إذا بلغت التراقي وقيل من راق . وظن أنه الفراق ، والتفت الساق بالساق ، إلى ربك يومئذ المساق** ﴾ ؛ ولهذا قال هاهنا ﴿ **وأنتم حينئذ تنظرون** ﴾ أي : إلى المحتضر[٣] وما يكابده من سكرات الموت ، ﴿ **ونحن أقرب إليه منكم** ﴾ أي : بملائكتنا ﴿ **ولكن لا تبصرون** ﴾ أى : ولكن لا ترونهم كما قال تعالى فى الآية الأخرى : ﴿ **وهو القاهر فوق عباده ويرسل عليكم حفظة حتى إذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا وهم لا يفرطون * ثم ردوا إلى الله مولاهم الحق ألا له الحكم وهو أسرع الحاسبين** ﴾ .

وقوله تعالى : ﴿ **فلولا إن كنتم غير مدينين ترجعونها** ﴾ معناه / فهلا ترجعون هذه النفس التي قد بلغت الحلقوم إلى مكانها الأول ومقرها من[٤] الجسد إن كنتم ﴿ **غير**

(١١٤) - أخرجه أحمد (٣/٧) (١١٠٥٦) . والنسائي في الكبرى في كتاب : عمل اليوم والليلة ، باب : ما يقول إذا رأى المطر ، حديث (١٠٧٦٢) (٦/٢٣٠) وغيرهما من طريق عتاب بن حنين عن أبي سعيد بنحو هذا اللفظ . وعتاب بن حنين ، قال الحافظ : مقبول .

[١] - في ز : يعني .
[٢] - سقط من ز .
[٣] - في ز : المحضر .
[٤] - في ز : في .

مدينين ﴾ . قال ابن عباس يعني : محاسبين . وروي عن مجاهد وعكرمة ، والحسن وقتادة ، والضحاك والسدي ، وأبي حزرة مثله .

وقال سعيد بن جبير والحسن البصري : ﴿ فلولا إن كنتم غير مدينين ﴾ غير مصدقين أنكم تدانون وتبعثون وتجزون فردوا هذه النفس . وعن مجاهد : ﴿ [غير][١] مدينين ﴾ غير موقنين ، وقال ميمون بن مهران : غير معذبين مقهورين .

فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩١﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٩٢﴾ فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٩٣﴾ وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ ﴿٩٤﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ ﴿٩٥﴾ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٩٦﴾

هذه الأحوال الثلاثة هي أحوال الناس عند احتضارهم، إما أن يكون من المقربين، أو يكون ممن دونهم من أصحاب اليمين ، وإما أن يكون من المكذبين بالحق الضالين عن الهدى الجاهلين بأمر الله ؛ ولهذا قال تعالى : ﴿ فأما إن كان ﴾ أي : المحتضر ﴿ من المقربين ﴾ وهم الذين فعلوا الواجبات والمستحبات ، وتركوا المحرمات والمكروهات وبعض المباحات ﴿ فروح وريحان وجنة نعيم ﴾ أي : فلهم روح وريحان ، وتبشرهم الملائكة بذلك عند الموت . كما تقدم فى حديث البراء أن ملائكة الرحمة ؛ تقول : أيتها الروح الطيبة في الجسد الطيب كنت تعمرينه ، اخرجي إلى روح وريحان ورب غير غضبان .

قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس : ﴿ فروح ﴾ يقول راحة ﴿ وريحان ﴾ يقول مستراحة ، وكذا قال مجاهد : إن الروح الاستراحة . وقال أبو حزرة : الراحة من الدنيا ، وقال سعيد بن جبير والسدي : الروح : الفرح . وعن مجاهد : ﴿ فروح وريحان ﴾ : جنة ورخاء . وقال قتادة : فروح ورحمة . وقال ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير : ﴿وريحان ﴾ ورزق .

وكل هذه الأقوال متقاربة صحيحة ، فإن من مات مقربًا حصل له جميع ذلك من الرحمة والراحة والاستراحة ، والفرح والسرور ، والرزق الحسن ﴿ وجنة نعيم[٢] ﴾ . وقال أبو العالية : لا يفارق أحد من المقربين حتى يؤتى بغصن من ريحان [الجنة فيقبض][٣]

---

[١] - سقط من ز . [٢] - في ز : النعيم .

[٣] - في ز : « لكنه فينفس » . كذا .

روحه فيه .

وقال محمد بن كعب : لا يموت أحد من الناس حتى يعلم أمن أهل الجنة هو أم من أهل النار ؟ وقد قدمنا أحاديث الاحتضار عند / قوله تعالى فى سورة إبراهيم : ﴿ **يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت** ﴾ ولو كتبت هاهنا لكان حسنًا ، ومن جملتها حديث تميم الداري ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ؛ يقول : « **يقول الله تعالى لملك الموت : انطلق إلىٰ [فلان فأتني به ، فإنه قد جربته بالسراء والضراء]**[١] **فوجدته حيث أحب ، ائتني به فلأريحنَّه ، قال : فينطلق إليه ملك الموت ومعه خمسمائة من الملائكة ، معهم أكفان وحنوط من الجنة ومعهم ضبائر الريحان أصل الريحانة [واحد]**[٢] **، وفي رأسها عشرون لونًا ، لكل لون منها ريح سوى ريح صاحبه ، ومعهم الحرير الأبيض فيه المسك** »(١١٥) . وذكر تمام الحديث بطوله كما تقدم ، وقد وردت أحاديث تتعلق بهذه الآية .

وقال الإمام أحمد : حدثنا يونس بن محمد ، حدثنا هارون عن بديل بن ميسرة ، عن عبد الله بن شقيق[٣] عن عائشة أنها سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ « **فرُوح وريحان** » برفع الراء .(١١٦) وكذا رواه أبو داود والترمذي والنسائي من حديث هارون ، وهو ابن موسى الأعور به (١١٧). وقال الترمذي : لا نعرفه إلا من حديثه ، وهذه القراءة هي قراءة يعقوب وحده ، وخالفه الباقون فقرءوا : ﴿ **فرَوح وريحان** ﴾ بفتح الراء .

وقال الإمام أحمد : حدثنا حسن ، حدثنا ابن لهيعة ، حدثنا أبو الأسود محمد بن عبد الرحمن ابن نوفل ؛ أنه سمع درة بنت معاذ تحدث عن أم هانئ ؛ أنها سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم : أنتزاور إذا متنا ويرى بعضنا بعضًا ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **تكون النسم طيرًا يعلق بالشجر ، حتى إذا كان يوم القيامة دخلت كل نفس في جسدها** »(١١٨) .

---

(١١٥) - ذكره ابن حجر في « المطالب العالية » (٣٦٢/٤) (٤٦٠٢) ، (٣٧٥/٤ - ٣٧٩) (٤٦٣٠) في الأول مختصرًا والثاني مطولًا جدًّا ، وعزاه لأبي يعلى .

وقال البوصيري : رواه أبو يعلى بسند ضعيف لضعف يزيد الرقاشي .

(١١٦) - أخرجه أحمد (٦٤/٦) (٢٤٤٦٣) وإسناده ثقات .

(١١٧) - وأخرجه أبو داود في كتاب : الحروف والقراءات ، حديث (٣٩٩١) (٣٥/٤) . والترمذي في كتاب : القراءات ، باب : ومن سورة الروم ، حديث (٢٩٣٩) (١٣٦/٨) . والنسائي في الكبرى في كتاب : التفسير ، باب : ﴿ **فروح وريحان** ﴾ ، حديث (١١٥٦٦) (٤٨٠/٦) .

(١١٨) - أخرجه أحمد (٤٢٤/٦) وفي إسناده ابن لهيعة وهو ضعيف من قبل حفظه ، لكن يشهد له ما بعده .

---

[١] - بياض في ز .
[٢] - سقط من ز .
[٣] - في ز : سفيان .

هذا الحديث فيه بشارة لكل مؤمن ؛ ومعنى يعلق : يأكل ، ويشهد له بالصحة أيضًا ما رواه الإمام أحمد ، عن الإمام محمد بن إدريس الشافعي ، عن الإمام مالك بن أنس ، عن الزهري ، عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك ، عن أبيه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ قال : « **إنما نسمة المؤمن طائر يعلق في شجر الجنة ، حتى يرجعه الله إلى جسده يوم يبعثه** »(١١٩) . وهذا إسناد عظيم ومتن قويم .

وفي الصحيح [أن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم؛ قال][١] : « **إن أرواح الشهداء في حواصل طير خضر تسرح في [رياض][٢] الجنة حيث شاءت ، ثم تأوي إلى قناديل معلقةٍ بالعرش ...** » الحديث(١٢٠) .

وقال الإمام أحمد : [حدثنا عفان][٣] حدثنا همام ، حدثنا عطاء بن السائب ؛ قال : كان أول يوم عرفت فيه عبد الرحمن بن أبي ليلى رأيت شيخًا أبيض الرأس واللحية على حمار ، / وهو يتبع[٤] جنازة ، فسمعته يقول : حدثني فلان بن فلان سمع رسول الله ، صلى الله عليه وسلم؛ يقول : « **من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه** » . قال : فأكب القوم يبكون ؛ فقال[٥] : « **ما يبكيكم ؟** » فقالوا : إنا نكره الموت . قال : « **ليس ذاك ولكنه إذا احتضر[٦] ﴿ فأما إن كان من المقربين فروح وريحان وجنة نعيم ﴾ فإذا بشر بذلك أحب لقاء الله - عز وجل - والله - عز وجل - للقائه أحب ﴿ وأما إن كان من المكذبين الضالين فنزل من حميم وتصلية جحيم ﴾ فإذا بشر بذلك كره لقاء الله . والله تعالى للقائه أكره** »(١٢١) . هكذا رواه الإمام أحمد [وفي الصحيح][٧] عن عائشة - رضي الله عنها - شاهد لمعناه(١٢٢) .

وقوله تعالى : ﴿ **وأما إن كان من أصحاب اليمين** ﴾ أى وأما إن كان المحتضر من

(١١٩) - أخرجه أحمد (٤٥٥/٣) (١٥٨٢٠) .

(١٢٠) - أخرجه مسلم في كتاب : الإمارة ، باب : بيان أن أرواح الشهداء في الجنة ، حديث (١٢١/ ١٨٨٧) (٤٦/١٣ - ٤٧) من حديث عبد الله بن مسعود مطولاً بنحو ذلك .

(١٢١) - أخرجه أحمد (٢٥٩/٤ - ٢٦٠) (١٨٣٣٦) وفي إسناده عطاء بن السائب وكان اختلط ، لكن للحديث طريق آخر عن عائشة عند مسلم سيأتي بعد هذا .

(١٢٢) - أخرجه مسلم في كتاب : الذكر والدعاء ، باب : من أحب لقاء الله ، أحب الله لقاءه ، حديث (٢٦٨٤/١٥) (١٥/١٨ - ١٦) .

[١] - في ز : من .
[٢] - سقط من ز .
[٣] - سقط من ت .
[٤] - في ز : تبع .
[٥] - في ز : قال .
[٦] - في ز : حضر .
[٧] - سقط من ت .

أصحاب اليمين ﴿ **فسلام لك من أصحاب اليمين** ﴾ أي : تبشرهم الملائكة بذلك تقول لأحدهم : سلام لك . أي : لا بأس عليك أنت إلى سلامة ، أنت من أصحاب اليمين .

وقال قتادة وابن زيد : سلم من عذاب اللَّه ، وسلّمت عليه ملائكة اللَّه . كما قال عكرمة تسلم عليه الملائكة ، وتخبره أنه من أصحاب اليمين ، وهذا معنى حسن . ويكون ذلك [كقول الله][١] تعالى : ﴿ **إن الذين قالوا ربنا اللَّه ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا ، وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون * نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة ، ولكم فيها ما تشتهي أنفسكم ولكم فيها ما تدعون * نزلًا من غفور رحيم** ﴾ .

وقال البخاري : ﴿ **فسلام لك** ﴾ أي : مسلم لك أنك من أصحاب اليمين ، وألغيت [إن وهو][٢] معناها . كما تقول : أنت [مصدق][٣] مسافر عن قليل إذا كان [قد][٤] قال : إني مسافر عن قليل .

وقد يكون كالدعاء له كقولك : سقيًا لك من الرجال إن رفعت السلام فهو من الدعاء . وقد حكاه ابن جرير هكذا عن بعض أهل العربية ومال إليه ، واللَّه أعلم .

وقوله تعالى : ﴿ **وأما إن كان من المكذبين الضالين فنزل من حميم وتصلية جحيم** ﴾ أي : وأما إن كان المحتضر من المكذبين بالحق الضالين عن الهدىٰ ﴿ **فنزل** ﴾ أي : فضيافة ﴿ **من حميم** ﴾ وهو [المذاب][٥] الذي يصهر به ما في بطونهم والجلود ﴿ **وتصلية جحيم** ﴾ أي : وتقرير له في النار التي تغمره من جميع جهاته .

ثم قال تعالى : ﴿ **إن هذا لهو حق اليقين** ﴾ أي : إن هذا الخبر لهو حق اليقين الذي لا مرية فيه ، ولا محيد لأحد عنه ﴿ **فسبح باسم ربك / العظيم** ﴾ .

قال الإمام[٦] أحمد (١٢٣) : حدثنا أبو عبد الرحمن ، حدثنا موسى بن أيوب الغافقي ،

---

(١٢٣) - أخرجه أحمد (١٥٥/٤) (١٧٤٦١) . وموسى بن أيوب الغافقي قال الحافظ : مقبول . وإياس بن عامر ذكره ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل (٢٨١/٢) ولم يذكر فيه جرحًا ولا تعديلًا . قال العجلي : لا بأس به . وذكره ابن حبان في الثقات ، وصحح له ابن خزيمة ، وقال الذهبي في تعليقه على مستدرك الحاكم : ليس بالقوي .

---

[١] - في ز : كقوله .

[٢] - في ز : من وهي .

[٣] - في ز : وقال . كذا .

[٤] - سقط من ز .

[٥] - سقط من ز .

[٦] - سقط من ز .

حدثني عمي إياس بن عامر عن عقبة بن عامر الجهني؛ قال: لما نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿ **فسبح باسم ربك العظيم** ﴾ قال: « **اجعلوها في ركوعكم** ». ولما نزلت ﴿ **سبح اسم ربك الأعلى** ﴾ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « **اجعلوها في سجودكم** ». وكذا رواه أبو داود وابن ماجة من حديث عبد الله بن المبارك عن موسى بن أيوب به (١٢٤).

وقال روح بن عبادة: حدثنا حجاج الصواف عن أبي الزبير عن جابر، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « **من قال: سبحان الله العظيم وبحمده - غُرِسَت له نخلة في الجنة** ». هكذا رواه الترمذي من حديث روح، ورواه هو والنسائي أيضًا من حديث حمّاد بن سلمة [من حديث أبي الزبير][١] عن جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم به(١٢٥).

وقال الترمذي: حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث أبي[٢] الزبير.

وقال البخاري في آخر كتابه: حدثنا أحمد بن إشكاب، حدثنا محمد بن فضيل، حدثنا عمارة بن القعقاع عن أبي زرعة عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « **كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان حبيبتان إلى الرحمن: سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم** » (١٢٦). ورواه بقية الجماعة إلا أبا داود من حديث محمد بن فضيل بإسناده مثله(١٢٧).

[آخر تفسير سورة الواقعة، ولله الحمد والمنّة].

(١٢٤) - الحديث أخرجه أبو داود في كتاب: الصلاة، باب: ما يقول الرجل في ركوعه وسجوده، حديث (٨٦٩) (١/ ٢٣٠). وابن ماجة في كتاب: الإقامة، باب: التسبيح في الركوع والسجود، حديث (٨٨٧) (١/ ٢٨٧).

(١٢٥) - أخرجه الترمذي في كتاب: الدعوات، باب: فضل سبحان الله، حديث (٣٤٦٠) (٩/ ١٤٩ - ١٥٠). والنسائي في الكبرى في كتاب: عمل اليوم والليلة، باب: ثواب من قال: سبحان الله العظيم، حديث (١٠٦٦٣) (٦/ ٢٠٧). وإسناده صحيح. وقد صححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢٧٥٧ - ٣٧١١).

(١٢٦) - أخرجه البخاري في كتاب: التوحيد، باب: قول الله تعالى: ﴿ **ونضع الموازين القسط ليوم القيامة** ﴾. حديث (٧٥٦٣).

(١٢٧) - مسلم في كتاب: الذكر والدعاء، باب: فضل التهليل والتسبيح والدعاء، حديث (١١/ ٢٦٩٤) (٣١/١٧). والترمذي في كتاب: الدعوات، باب: فضل سبحان الله، حديث (٣٤٦٠) (٩/ ١٥٠). والنسائي في الكبرى في كتاب: عمل اليوم والليلة، باب: ما يثقل الميزان، حديث (١٠٦٦٦) (٦/ ٢٠٧ - ٢٠٨). وابن ماجة في كتاب: الأدب، باب: فضل التسبيح، حديث (٣٨٠٦) (٢/ ١٢٥١)، وأحمد (٢/ ٢٣٢).

[١] - سقط من ز.
[٢] - في ز: ابن.

تفسير سورة الحديد

وهي مدنية

قال الإِمام أحمد(١) : حدثنا يزيد بن عبد ربه ، حدثنا بقية بن الوليد ، حدثني بَحير[١] بن سعد ، عن خالد بن معدان ، عن ابن أبي بلال ، عن عرباض بن سارية ؛ أنه حدثهم أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم كان يقرأ المسبحات قبل أن يرقد . وقال : « **إن فيهن آية أفضل من ألف آية** » .

وهكذا رواه أبو داود ، والترمذي ، والنسائي ، من طرق[٢] عن بقية به . وقال الترمذي : « **حسن غريب** » .

ورواه النسائي(٢) عن ابن [أبي السرح][٣] ، عن ابن وهب ، عن معاوية بن صالح ، عن بَحير بن سعد ، عن خالد بن معدان ؛ قال : كان رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم .... فذكره[٤] مرسلًا ، لم يذكر عبد الله بن أبي بلال ، ولا العرباض بن سارية ، والآية المشار إليها في الحديث هي - والله أعلم - قوله : ﴿ **هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم** ﴾ ، كما سيأتي بيانه إن شاء الله وبه الثقة .

سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١﴾ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ يُحْيِۦ وَيُمِيتُ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢﴾ هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾

يخبر تعالىٰ أنه يسبح له ﴿ **ما في السماوات والأرض** ﴾ أي : من الحيوانات والنبات ،

---

(١) أخرجه أحمد (١٢٨/٤) برقم (١٧٢١٠) ، وأبو داود في كتاب : الأدب ، باب : ما يقال عند النوم ، حديث (٥٠٥٧) ، والترمذي في كتاب : ثواب القرآن ، باب (٢١) ، حديث (٢٩٢٢) . والنسائي في الكبرى في كتاب : عمل اليوم والليلة ، باب : الفضل في قراءة ﴿ **تبارك الذي بيده الملك** ﴾ ، حديث (١٠٥٤٩) . وأخرجه الطبراني في الكبير (٢٥٠/١٨) .وضعفه الشيخ الألباني في ضعيف أبي داود حديث ١٠٧٣ .

(٢) - السنن الكبرى في الموضع السابق برقم (١٠٥٥١) .

---

[١] - في خ : بجير .

[٢] - في ز : طريق .

[٣] - ما بين المعكوفين في ز : المرح .

[٤] - في ز ، خ : يذكره .

كما قال في الآية الأخرىٰ : ﴿ **تسبح له السماوات السبع والأرض ومن فيهن وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم إنه كان حليمًا غفورًا** ﴾

وقوله : ﴿ **وهو العزيز** ﴾ ، أي : الذي قد خضع له كل شيء ﴿ **الحكيم** ﴾ ، في خلقه وأمره وشرعه . ﴿ **له ملك السماوات والأرض يحي ويميت** ﴾ . أي : هو المالك المتصرف في خلقه ، فيحيي ويميت ، ويعطي من يشاء ما يشاء ، ﴿ **وهو علىٰ كل شيء قدير** ﴾ . أي : ما شاء كان ، وما لم يشأ لم يكن .

وقوله : ﴿ **هو الأول والآخر والظاهر والباطن** ﴾ ، وهذه الآية هي المشار إليها في حديث عرباض بن سارية ، أنها أفضل من ألف آية .

وقال أبو داود : حدثنا عباس بن عبد العظيم ، حدثنا النضر بن محمد ، حدثنا عكرمة - يعني ابن عمار - حدثنا أبو زُمَيل ؛ قال : سألت ابن عباس فقلت : ما شيء أجده في صدري ؟ قال : ما هو ؟ قلت : والله لا أتكلم به . قال : فقال لي : أشيء من شك ؟ قال : وضحك ، قال : ما نجا من ذلك أحد ، قال : حتىٰ أنزل الله : ﴿ **فإن كنت في شك مما أنزلنا إليك ، فاسأل الذين يقرءون الكتاب من قبلك** ...﴾ . الآية . قال : وقال لي : إذا وجدت في نفسك شيئًا فقل : ﴿ **هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم** ﴾ (٣).

وقد اختلفت عبارات المفسرين في هذه الآية ، وأقوالهم على نحو من بضعة عشر قولًا . وقال البخاري : قال يحيىٰ : الظاهر على كل شيء علمًا ، والباطن على كل شيء علمًا .

قال شيخنا الحافظ المزّي[١] : يحيىٰ هذا هو ابن زياد الفراء ، له كتاب سماه « **معاني القرآن** » .

وقد ورد في ذلك أحاديث ، فمن ذلك ما قال الإمام أحمد : حدثنا خلف بن الوليد ، حدثنا ابن عياش[٢] ، عن سُهيل بن أبي صالح ، عن أبيه ، عن أبي هريرة ؛ أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم كان يدعو عند النوم : « **اللّهم ؛ رب السماوات السبع ورب العرش العظيم ، ربنا ورب كل شيء ، منزل التوراة والإنجيل والفرقان ، فالق الحب والنوىٰ ، لا إله إلا أنت ، أعوذ بك من شر كل شيء أنت آخذ بناصيته ، أنت الأول ليس[٣] قبلك**

(٣) - أخرجه أبو داود في كتاب : الأدب ، باب : في رد الوسوسة ، حديث (٥١١٠) (٤/٣٢٩) . وحسن إسناده الشيخ الألباني في صحيح سنن أبي داود (٤٢٦٢) .

[١] - في خ : المزني .

[٢] - في خ : عباس .

[٣] - في ز ، خ : فليس .

شيء وأنت الآخر ليس[١] بعدك / شيء ، وأنت الظاهر ليس [ ][٢] فوقك شيء ، وأنت الباطن ليس دونك شيء . اقض عنا الدين ، وأغننا من الفقر » (٤).

ورواه مسلم في صحيحه : حدثني زهير بن حرب ، [حدثنا جرير][٣] عن سهيل؛ قال : كان أبو صالح يأمرنا إذا أراد أحدنا أن ينام أن يضطجع على شقه الأيمن ، ثم يقول : « **اللَّهم ؛ رب السماوات ورب الأرض ورب العرش العظيم ، ربنا ورب كل شيء ، فالق الحب والنوىٰ ، ومنزل التوراة والإنجيل والفرقان ، أعوذ بك من شر كل ذي شر أنت آخذ بناصيته . اللَّهم ؛ أنت الأول فليس قبلك شيء ، وأنت الآخر فليس بعدك شيء ، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء ، وأنت الباطن فليس دونك شيء ، اقض عنا الدين ، وأغننا من الفقر »** .

وكان يروي ذلك عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم (٥).

وقد روىٰ الحافظ أبو يعلي الموصلي في مسنده عن عائشة أم المؤمنين نحو هذا ، فقال : حدثنا عقبة ، حدثنا يونس ، حدثنا السري بن إسماعيل ، عن الشعبي ، عن مسروق ، عن عائشة أنها قالت : كان رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم يأمر بفراشه فيفرش له مستقبل القبلة ، فإذا أوىٰ إليه توسد كفه اليمنىٰ ، ثم همس - ما يُدرَىٰ ما يقول - فإذا كان في آخر الليل رفع صوته فقال : « **اللَّهم ؛ رب السماوات السبع ورب العرش العظيم ، إله كل شيء ، ورب كل شيء ، [و][٤] منزل التوراة والإنجيل والفرقان ، فالق الحب والنوىٰ . أعوذ بك من شر كل شيء أنت آخذ بناصيته . اللَّهم ؛ أنت الأول الذي ليس قبلك شيء ، وأنت الآخر الذي ليس بعدك شيء ، وأنت الظاهر فليس [فوقك][٥] شيء ، وأنت الباطن فليس دونك شيء ، اقض عنا الدين ، وأغننا من الفقر »** (٦). السري بن إسماعيل هذا ابن عم الشعبي ، وهو ضعيف جدًّا ، والله أعلم .

---

(٤) - المسند (٢/٤٠٤) .

(٥) - صحيح مسلم في كتاب : الذكر ، باب : ما يقول عند النوم وأخذ المضجع ، حديث (٦١/٢٧١٣) (٥٦/١٧) .

(٦) - مسند أبي يعلى (٨/٢١٠ - ٢١١) (٤٧٤٤) . قال الهيثمي في « مجمع الزوائد » (١٠/١٢٤) : رواه الطبراني وأبو يعلى وفيه السرى بن إسماعيل وهو متروك . قلت : لكن يشهد له الحديث الذي قبله .

---

[١] - في ز ، خ : فليس .

[٢] - في ز : يعني .

[٣] - سقط من ز .

[٤] - سقط من ز .

[٥] - في ز : فوق .

وقال أبو عيسىٰ الترمذي عند تفسير هذه الآية : حدثنا عبدُ بن حميد وغير واحد - المعنىٰ واحد - قالوا : حدثنا يونس بن محمد ، حدثنا شيبان بن عبد الرحمن ، عن قتادة ؛ قال : حدث الحسن ، عن أبي هريرة ؛ قال : بينما رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم جالس وأصحابه ، إذ أتىٰ عليهم سحاب ، فقال نبي اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **هل تدرون ما هذا ؟** » قالوا : اللّٰه ورسوله أعلم . قال : « **هذا العَنَان ، هذه روايا الأرض تسوقه إلى قوم لا يشكرونه ، / ولا يدعونه** » . ثم قال : « **هل**[١] **تدرون ما فوقكم ؟** » قالوا : اللّٰه ورسوله أعلم . قال : « **فإنها الرقيع سقف محفوظ ، وموج مكفوف** » . ثم قال : « **هل تدرون كم بينكم وبينها ؟** » قالوا : اللّٰه ورسوله أعلم . قال : « **بينكم وبينها خمسمائة سنة** » . ثم قال : « **هل تدرون ما فوق ذلك ؟** » قالوا : اللّٰه ورسوله أعلم . قال : « **فإن فوق ذلك سماءين**[٢] **بُعدُ ما بينهما مسيرة خمسمائة سنة** » ، حتىٰ عد سبع سماوات ما بين كل سماءين كما بين السماء والأرض ، ثم قال : « **هل تدرون ما فوق ذلك ؟** » قالوا : اللّٰه ورسوله أعلم . قال : « **فإن فوق ذلك العرش ، وبينه وبين السماء [ ]**[٣] **بعدُ ما بين السماءين** » ، ثم قال : « **هل تدرون ما الذي تحتكم ؟** » قالوا : اللّٰه ورسوله أعلم . قال : « **فإنها الأرض** » . ثم قال : « **هل تدرون ما الذي تحت ذلك ؟** » قالوا : اللّٰه ورسوله أعلم . قال : « **فإن تحتها أرضًا أخرىٰ بينهما مسيرة خمسمائة سنة** » ، حتىٰ عد سبع أرضين بين كل أرضين مسيرة خمسمائة سنة ، ثم قال : « **والذي نفس محمد بيده ، لو أنكم دليتم رجلًا**[٤] **بحبل إلىٰ الأرض السفلىٰ لهبط علىٰ اللّٰه** » ، ثم قرأ : ﴿ **هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم** ﴾(٧) .

ثم قال الترمذي : هذا حديث غريب من هذا الوجه ، ويروىٰ عن أيوب ويونس - يعني ابن عبيد - وعليّ بن زيد ، قالوا : لم يسمع الحسن من أبي هريرة . وفسر بعض أهل العلم هذا الحديث فقالوا : إنما هبط علىٰ علم اللّٰه وقدرته وسلطانه ، وعلم اللّٰه وقدرته وسلطانه في كل مكان ، وهو علىٰ العرش ، كما وصف في كتابه . انتهىٰ كلامه .

وقد روىٰ الإمام أحمد هذا الحديث عن سُريج ، عن الحكم بن عبد الملك ، [ ][٥] عن قتادة ، عن الحسن ، عن أبي هريرة عن النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ... فذكره ، وعنده : « **بعد ما بين الأرَضِيْن مسيرة سبعمائة عام** » . وقال : لو دليتم أحدكم بحبل إلى الأرض

(٧) - أخرجه الترمذي في كتاب : تفسير القرآن ، باب : ومن سورة الحديد حديث (٣٢٩٤) (٩/٣٧ - ٣٨) .

[١] - سقط من ز ، خ .

[٢] - في ز ، خ ، ت : سماء ، والمثبت من الترمذي. [٣] - في ز : من .

[٤] - مثبت من سنن الترمذي . [٥] - في ز : و .

السفلىٰ السابعة لهبط على الله ، ثم قرأ : ﴿ **هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم** ﴾ [٨].

ورواه ابن أبي حاتم والبزار من حديث أبي جعفر الرازي ، عن قتادة ، عن الحسن ، عن أبي هريرة ... فذكر الحديث ، ولم يذكر ابن أبي حاتم آخره[١] وهو قوله : « **لو دليتم بحبل** » . وإنما قال : حتىٰ عد سبع أرضين بين كل أرضين مسيرة خمسمائة عام . ثم تلا : ﴿ **هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم** ﴾ [٩].

وقال البزار : لم يروه عن النبي صلى الله عليه وسلم إلا أبو هريرة / .

ورواه ابن جرير ، عن بشر ، عن يزيد ، عن سعيد ، عن قتادة : ﴿ **هو الأول والآخر والظاهر والباطن** ﴾ ، ذكر لنا أن نبي اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم بينما هو جالس في أصحابه إذ ثار عليهم سحاب ، فقال : « **هل تدرون ما هذا ؟** . . . »[١٠] . وذكر الحديث مثل سياق الترمذي سواء ، إلا أنه مرسل من هذا الوجه ، ولعل هذا هو المحفوظ ، و اللّٰه أعلم .

وقد روي من حديث أبي ذر الغفاري - رضي اللّٰه عنه - وأرضاه ، رواه البزار في مسنده ، والبيهقي في كتاب الأسماء والصفات[١١] ، ولكن في إسناده نظر ، وفي متنه غرابة ونكارة ، و اللّٰه سبحانه وتعالىٰ أعلم .

---

(٨) - المسند (٢/٣٧٠) .

(٩) - أخرجه ابن الجوزي في العلل (١/٢٧-٢٨) (٨) من طريق الحكم بن عبد الملك عن قتادة عن الحسن عن أبي هريرة به .

وقال : هذا حديث لا يصح عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - والحسن لم يسمع من أبي هريرة ، وقيل له : من أين تحدث هذه الأحاديث ؟ فقال : من كتاب عندنا سمعته من رجل ، وكان الحسن يروى عن الضعفاء ، وقد روى هذا الحديث أبو جعفر الرازي عن قتادة عن الحسن .

قال أحمد بن حنبل : أبو جعفر مضطرب الحديث ؛ يروى أبو جعفر عن قتادة عن الحسن عن الأحنف بن قيس عن العباس عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : « **والذي نفسي بيده لو دليتم أحدكم بحبل إلى الأرض السابعة لقدم على ربه عز وجل** » ثم تلا : ﴿ **هو الأول والآخر والظاهر والباطن** ﴾ .

(١٠) - تفسير الطبري (٢٧/٢١٦) .

(١١) - أخرجه البزار كما في الكشف (٢/٤٥٠) .

والبيهقي في الأسماء والصفات (٢/٢٨٩) (٨٥٠) ، قال ابن الجوزي في العلل (١/٢٧) : هذا حديث منكر ، رواه عن الأعمش محاضر فخالف فيه أبا معاوية ؛ فقال : عن الأعمش عن عمرو بن مرة عن أبي نصر ، وكان الأعمش يروى عن الضعفاء ويدلس .اهـ . قال الذهبي في تذكرة الحفاظ (٢/٧٤٨) : وأبو نصر لا يعرف والخبر منكر .

---

[١] - سقط من ز .

وقال ابن جرير عند قوله تعالىٰ : ﴿ **ومن الأرض مثلهن** ﴾: حدثنا ابن عبد الأعلىٰ ، حدثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ؛ قال : التقىٰ أربعة من الملائكة بين السماء والأرض ، فقال بعضهم لبعض : من أين جئت ؟ قال أحدهم : أرسلني ربي - عز وجل - من السماء السابعة وتركته ثَمَّ . قال الآخر : أرسلني ربي عز وجل - من الأرض السابعة وتركته ثَمَّ . قال الآخر : أرسلني ربي من المشرق وتركته ثَمَّ . قال الآخر : أرسلني ربي من المغرب وتركته ثَمَّ (١٢).

وهذا غريب جدًّا ، وقد يكون الحديث الأول موقوفًا علىٰ قتادة كما روي هاهنا من قوله ، و اللَّه أعلم .

هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤﴾ لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٥﴾ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ ۚ وَهُوَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٦﴾

يخبر تعالىٰ عن خلقه السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام ، ثم أخبر باستوائه علىٰ العرش بعد خلقهن . وقد تقدم الكلام علىٰ هذه الآية وأشباهها في « **سورة الأعراف** » [بما أغنى عن إعادته هاهنا][١] .

﴿ **يعلم ما يلج في الأرض** ﴾ . أي : يعلم عدد ما يدخل فيها من حب وقطر ، ﴿ **وما يخرج منها** ﴾ . من زرع ونبات وثمار ، كما قال : ﴿ **وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو ويعلم ما في البر والبحر وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين** ﴾ .

وقوله : ﴿ **وما ينزل من السماء** ﴾ ، أي : من / الأمطار ، والثلوج والبرد[٢] ، والأقدار والأحكام مع الملائكة الكرام ، وقد تقدم في « **سورة البقرة** » أنه ما ينزل [من][٣] قطرة من

---

(١٢) - تفسير الطبري (١٥٤/٢٧) . وإسناده مرسل ، وقتادة من المشهورين بالتدليس .

---

[١] - سقط من ت .
[٢] - في خ : البرود .
[٣] - سقط من ز .

السماء إلا ومعها ملك يقررها في المكان الذي يأمره[١] الله به حيث يشاء تعالىٰ .

وقوله : ﴿ **وما يعرج فيها** ﴾ ، أي : من الملائكة والأعمال ، كما جاء في الصحيح : « **يرفع إليه عمل الليل قبل النهار ، وعمل النهار قبل الليل** » (١٣).

وقوله : ﴿ **وهو معكم أينما كنتم و الله بما تعملون بصير** ﴾ . أي : رقيب عليكم ، شهيد علىٰ أعمالكم حيث أنتم ، وأين كنتم ، من بر أو بحر ، في ليل أو نهار ، في البيوت أو القفار ، الجميع في علمه علىٰ السواء ، وتحت بصره وسمعه ، فيسمع كلامكم ويرىٰ مكانكم ، ويعلم سركم ونجواكم .

كما قال : ﴿ **ألا إنهم يثنون صدورهم ليستخفوا منه ألا حين يستغشون ثيابهم يعلم ما يسرون وما يعلنون إنه عليم بذات الصدور** ﴾ . وقال : ﴿ **سواء منكم من أسر القول ومن جهر به . ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار** ﴾ فلا إله غيره ولا رب سواه .

وقد ثبت في الصحيح أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم قال لجبريل - لما سأله عن الإحسان - : « **أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك** » (١٤).

وروىٰ الحافظ أبو بكر الإسماعيلي من حديث نصر بن خزيمة بن جنادة بن محفوظ بن علقمة ، حدثني أبي ، عن نصر بن علقمة ، عن أخيه ، عن عبد الرحمن بن عائذ ؛ قال : قال عمر : جاء رجل إلىٰ النبي صلىٰ الله عليه وسلم ؛ فقال : زودني كلمة أعيش بها . قال[٢] : « **استح الله كما تستحي رجلًا من صالح عشيرتك لا يفارقك** » (١٥). هذا حديث غريب .

وروىٰ أبو نعيم من حديث عبد الله بن معاوية الغاضري[٣] مرفوعًا : « **ثلاث من فعلهن**

---

(١٣) - أخرجه مسلم في كتاب : الإيمان ، باب : في قوله عليه السلام : « إن الله لا ينام ... » ، حديث (١٧٩/٢٩٥) (١٨/٣) .

(١٤) - هو جزء من حديث جبريل الطويل عند مسلم في بداية كتاب الإيمان وغيره وقد تقدم تخريجه كثيرًا .

(١٥) - أخرجه البيهقي في الشعب من حديث أبي الخير (١٤٥/٦ - ١٤٦) (٧٧٣٨) .

وأحمد في الزهد (٥٩) وأورده الألباني في الصحيحة (٧٤١) وعزاه إلى أبي عروبة الحراني في الطبقات ، والسلمى في آداب الصحبة ، والخرائطي في مكارم الأخلاق من طريقين عن الليث بن سعد عن يزيد بن أبي حبيب عن أبي الخير سمع سعيد بن يزيد الأنصارى .

---

[١] - في ت ، خ : يأمر .

[٢] - في ز : قال .

[٣] - في ز ، خ : العامري .

فقد طَعِم الإيمان : من عبد اللَّه وحده ، وأعطىٰ زكاة ماله طيبة بها نفسه في كل عام ، ولم يعط الهَرِمة ولا الدرنة[١] **، ولا الشَّرَط اللئيمة**(*) **، ولا المريضة ، ولكن من أوسط أموالكم ، وزكى نفسه »** . وقال رجل : يا رسول الله ؛ ما تزكية المرء نفسه ؟ فقال : « **يعلم أن الله معه حيث كان** »(١٦) .

وقال نُعيم بن حماد - رحمه اللَّه - : حدثنا عثمان [بن سعيد][٢] بن كثير بن دينار الحمصي ، / عن محمد بن مهاجر ، عن عروة بن رويم ، عن عبد الرحمن بن غنم ، عن عبادة بن الصامت قال : قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **إن أفضل الإيمان أن تعلم أن اللَّه معك حيثما كنت** »(١٧) . غريب .

وكان الإمام أحمد ينشد هذين البيتين :

إذا ما خَلوتَ الدهرَ يومًا فلا تَقُلْ : خَلَوتُ ، ولكن قُل : عَليّ رقيبُ
ولَا تَحْسَبَنّ اللّٰه يَغفَلُ سَاعَةً ولا أن ما يَخْفىٰ عليه يغيبُ

وقوله : ﴿ **له ملك السماوات والأرض وإلىٰ اللَّه ترجع الأمور** ﴾ . أي : هو المالك للدنيا والآخرة . كما قال : ﴿ **وإن لنا للآخرة والأولىٰ** ﴾ وهو المحمود على ذلك كما قال : ﴿ **وهو الله لا إله إلا هو له الحمد في الأولىٰ والآخرة** ﴾ وقال : ﴿ **الحمد لله الذي له ما في السمٰوات و**[**ما في**][٣] **الأرض وله الحمد في الآخرة وهو الحكيم الخبير** ﴾ فجميع ما في السماوات والأرض ملك له[٤] ، وأهلهما عبيد أرقاء أذلاء بين يديه . كما قال : ﴿ **إن كل من في السماوات والأرض إلا آت الرحمن عبدًا * لقد أحصاهم وعدهم عدًا * وكلهم آتيه يوم القيامة فردًا** ﴾ .

(*)أي رذال المال . وقيل صغاره وشراره . النهاية (٢/٤٦٠) .

(١٦) - أخرجه أبو داود في كتاب : الزكاة ، باب : في زكاة السائمة ، حديث (١٥٨٢) (٢/١٠٣ - ١٠٤) ، والبيهقي (٤/٩٥ - ٩٦) ، والطبراني في الصغير (١/٢٠١) . كلهم من حديث عبد الله بن معاوية الغاضري به . والحديث صححه الألباني في الصحيحة (١٠٤٦) .

(١٧) - أخرجه أبو نعيم في « الحلية » (٦/١٢٤) ، والطبراني في الأوسط (٨/٣٣٦) (٨٧٩٦) كلاهما من طريق نعيم بن حماد . قال الهيثمي في « مجمع الزوائد » (١/٦٥) : رواه الطبراني في الأوسط والكبير ، وقال : تفرد به عثمان بن كثير .

---

[١] - في ز : الرزنة . والدرنة : الجرباء .

[٢] - سقط من خ .

[٣] - سقط من ز .

[٤] - سقط من ز ، خ .

ولهذا قال : ﴿ وإلى الله ترجع الأمور ﴾ . أي : إليه المرجع يوم القيامة ، فيحكم في خلقه بما يشاء ، وهو العادل الذي لا يجور ولا يظلم مثقال ذرة ، بل إن يكن أحدهم عمل حسنة واحدة يضاعفها إلى عشر أمثالها ، ﴿ ويؤت من لدنه أجرًا عظيمًا ﴾ .

وكما قال تعالى : ﴿ **ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئًا وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين** ﴾ .

وقوله : ﴿ يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل ﴾ ، أي : هو المتصرف في الخلق ، يقلب الليل والنهار ويقدرهما بحكمته كما يشاء ، فتارة يطول الليل ويقصر النهار ، وتارة بالعكس ، وتارة يتركهما معتدلين . وتارة يكون الفصل شتاء ثم ربيعًا ثم قيظًا ثم خريفًا ، وكل ذلك بحكمته وتقديره لما يريده بخلقه ، ﴿ وهو عليم بذات الصدور ﴾ ، أي : يعلم السرائر وإن دقت ، و[١] خفيت .

ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَأَنفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَأَنفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿٧﴾ وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ هُوَ الَّذِى يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبْدِهِۦٓ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ لِّيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَٰتِ إِلَى النُّورِ وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٩﴾ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَٰتَلَ أُولَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٠﴾ مَّن ذَا الَّذِى يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥ وَلَهُۥٓ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿١١﴾

أمر تعالى بالإيمان به وبرسوله على الوجه الأكمل ، والدوام والثبات على ذلك والاستمرار ، وحثَّ على الإنفاق ﴿ مما جعلكم مستخلفين فيه ﴾ أي : [مما][٢] هو معكم على سبيل العاريّة ، فإنه قد كان في أيدي من قبلكم ثم صار إليكم ، فأرشد تعالى [إلى][٣]

---

[١] - في ت : وإن .

[٢] - في ز : ما .

[٣] - سقط من ز .

استعمال ما [استخلفهم][١] فيه من المال في طاعته ، [فإن][٢] يفعلوا وإلا حاسبهم عليه وعاقبهم لتركهم الواجبات فيه .

وقوله : ﴿ مما جعلكم مستخلفين فيه ﴾ : إشارة إلىٰ أنه سيكون مخلفًا عنك ، فلعل وارثك أن يطيع اللَّه فيه ، فيكون أسعد بما أنعم اللَّه به عليك منك ، أو يعصي اللَّه [به][٣] فتكون قد سعيت في معاونته علىٰ الإثم والعدوان .

قال الإمام أحمد : حدثنا محمد بن جعفر ، حدثنا شعبة ، سمعت قتادة يحدث ، عن مطرف - يعني ابن عبد اللَّه بن الشخير - عن أبيه ؛ قال : انتهيت إلىٰ رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم وهو يقول : « ﴿ ألهاكم التكاثر ﴾ . يقول ابن آدم : مالي مالي ! وهل لك من [مالك][٤] إلا ما أكلت فأفنيت ، أو لبست فأبليت ، أو تصدقت فأمضيت ؟ ! »(١٨) .

ورواه مسلم من حديث شعبة به(١٩) ، وزاد : « **وما سوىٰ ذلك فذاهب وتاركه للناس** »(٢٠) .

وقوله : ﴿ **فالذين آمنوا منكم وأنفقوا لهم أجر كبير** ﴾ . ترغيب في الإيمان والإنفاق في الطاعة . ثم قال : ﴿ **ومالكم لا تؤمنون باللَّه والرسول يدعوكم لتؤمنوا بربكم** ﴾ . أي : وأي شيء يمنعكم من الإيمان ، والرسول بين أظهركم ، يدعوكم إلىٰ ذلك ، ويبين لكم الحجج والبراهين علىٰ صحة ما جاءكم به ؟

وقد روينا في الحديث من طرق في أوائل شرح « **كتاب الإيمان** » من صحيح البخاري : أن رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم قال يومًا لأصحابه : « **أي المؤمنين / أعجب إليكم إيمانًا ؟** » قالوا : الملائكة . قال : « **وما لهم لا يؤمنون وهم عند ربهم ؟** » . قالوا : فالأنبياء . قال : « **وما لهم لا يؤمنون والوحي ينزل عليهم** » . قالوا : فنحن ؟ قال : « **وما لكم لا تؤمنون وأنا بين أظهركم ؟ ولكن أعجب المؤمنين إيمانًا قوم يجيئون بعدكم يجدون صحفًا يؤمنون بما فيها** »(٢١) .

---

(١٨) - المسند أحمد (٢٤/٤) .

(١٩) - صحيح مسلم ، كتاب : الزهد والرقائق ، حديث (٢٩٥٨/٣م) (١٢٦/١٨) .

(٢٠) - صحيح مسلم في الموضع السابق برقم (٢٩٥٩/٤) من حديث أبي هريرة .

(٢١) - تقدم تخريجه في سورة البقرة آية (٣) .

---

[١] - في ز : استخلفكم .

[٢] - في ز : وإن لم .

[٣] - في ت : فيه .

[٤] - في ز : مال .

وقد ذكرنا طرفًا من هذا في أول سورة البقرة عند قوله : ﴿ **الذين يؤمنون بالغيب** ﴾ .

وقوله : ﴿ **وقد أخذ ميثاقكم** ﴾ كما قال : ﴿ **واذكروا نعمة الله عليكم وميثاقه الذي واثقكم به إذ قلتم سمعنا وأطعنا** ﴾ ويعني بذلك بيعة الرسول صلى الله عليه وسلم .

وزعم ابن جرير : أن المراد بذلك الميثاق الذي أخذ عليهم في صلب آدم . وهو مذهب مجاهد ، فالله أعلم .

وقوله : ﴿ **هو الذي ينزل علىٰ عبده آيات بينات** ﴾ . أي : حججًا واضحات ، ودلائل باهرات ، وبراهين قاطعات ، ﴿ **ليخرجكم من الظلمات إلىٰ النور** ﴾ . أي : من ظلمات الجهل والكفر والآراء المتضادة ، إلىٰ نور الهدىٰ واليقين والإيمان ، ﴿ **وإن الله بكم لرءوف رحيم** ﴾ . أي : في إنزاله الكتب وإرساله الرسل لهداية الناس ، وإزاحة العلل وإزالة الشبه .

ولما أمرهم أولًا بالإيمان والإنفاق ، ثم حثّهم علىٰ الإيمان ، وبين أنه قد أزال عنهم موانعه ، [ ][١] حثّهم أيضًا علىٰ الإنفاق فقال : ﴿ **ومالكم ألا تنفقوا في سبيل الله و لله ميراث السماوات والأرض** ﴾ ، [أي : أنفقوا ولا تخشوا فقرًا وإقلالًا ، فإن الذي أنفقتم في سبيله هو مالك السماوات والأرض][٢] وبيده مقاليدهما ، وعنده خزائنهما[٣] ، وهو مالك العرش بما حوىٰ ، وهو القائل : ﴿ **وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه وهو خير الرازقين** ﴾ وقال : ﴿ **ما عندكم ينفد وما عند الله باق** ﴾ فمن توكل علىٰ الله أنفق ، ولم يخش من ذي العرش إقلالًا ، وعلم أن الله سيخلفه عليه .

وقوله : ﴿ **لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل** ﴾ . أي : لا يستوي هذا ومن لم يفعل كفعله ، وذلك [ ][٤] قبل فتح مكة كان الحال شديدًا ، فلم يكن يؤمن حينئذ إلا الصديقون ، وأما بعد الفتح فإنه ظهر الإسلام ظهورًا عظيمًا ، ودخل الناس في دين الله أفواجًا ، ولهذا قال : ﴿ **أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ** ﴾ .

والجمهور علىٰ أن المراد بالفتح هاهنا فتح مكة . وعن الشعبي وغيره أن المراد بالفتح هاهنا : صلح الحديبية ، وقد يستدل لهذا القول بما قال الإمام أحمد :

حدثنا أحمد بن عبد الملك ، حدثنا زهير ، حدثنا حُميد الطويل ، عن أنس ؛ قال : كان بين خالد بن الوليد وبين عبد الرحمن بن عوف كلام ، فقال خالد لعبد الرحمن : تستطيلون علينا بأيام سبقتمونا بها ؟ فبلغنا أن ذلك ذكر للنبي صلىٰ الله عليه وسلم فقال : « **دعوا لي**

[١] - في ز : ثم .
[٢] - سقط من ز ، خ .
[٣] - في ز : خزائنها .
[٤] - في ز : أن .

أصحابي ، فوالذي نفسي بيده لو أنفقتم مثل أحد - [أو][١] : مثل الجبال - ذهبًا ، ما بلغتم أعمالهم » (٢٢).

ومعلوم أن إسلام خالد بن الوليد المواجه بهذا الخطاب كان بين صلح الحديبية وفتح مكة ، وكانت هذه المشاجرة بينهما في بني جذيمة الذين بعث إليهم رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم خالد ابن الوليد بعد الفتح ، فجعلوا يقولون : « **صبأنا صبأنا** » . فلم يحسنوا أن يقولوا : « **أسلمنا** » . فأمر خالد بقتلهم وقتل من أسر منهم ، فخالفه عبد الرحمن بن عوف ، وعبد اللّٰه بن عمر وغيرهما ، فاختصم خالد وعبد الرحمن بسبب ذلك .

والذي في الصحيح عن رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم أنه قال : « **لا تسبوا أصحابي ، فوالذي نفسي بيده لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهبًا ، ما بلغ مُدَّ أحدهم ولا نصيفه** » (٢٣).

وروىٰ ابن جرير ، وابن أبي حاتم ، من حديث ابن وهب : أخبرنا هشام بن سعد ، عن زيد بن أسلم ، عن عطاء بن يسار ، عن أبي سعيد الخدري أنه قال : خرجنا مع رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم عام الحديبية ، حتىٰ إذا كنا بعسفان قال رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **يوشك أن يأتي قوم تحقرون أعمالكم مع أعمالهم** » . فقلنا : من هم يارسول اللّٰه ؟ أقريش ؟ قال : « **لا ، ولكن أهل اليمن ، هم أرق أفئدَةً وألين قلوبًا** » . فقلنا : هم خير منا يا رسول اللّٰه ؟ قال : « **لو كان لأحدهم جبل من ذهب فأنفقه ، ما أدرك مُدَّ أحدكم ولا نصيفه ، ألا إن هذا فضل ما بيننا وبين الناس . ﴿ لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا وكلًا وعد الله الحسنىٰ ، والله بما تعملون خبير ﴾** (٢٤)[وهذا الحديث غريب بهذا السياق ، والذي في الصحيحين من رواية جماعة ، عن عطاء بن يسار ، عن أبي سعيد - ذكر الخوارج - : « **تحقرون صلاتكم مع صلاتهم ، وصيامكم مع صيامهم ، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرَّمية** » (٢٥). الحديث .

(٢٢) - المسند (٢٦٦/٣) (١٣٨٤٠) . قال الهيثمي في « المجمع » (١٩/١٠) : رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح .

(٢٣) - أخرجه البخاري في كتاب : فضائل الصحابة ، باب : قول النبي - صلى الله عليه وسلم - : « لو كنت متخذًا خليلًا » حديث (٣٦٧٣) (٢١/٧) . ومسلم في كتاب : فضائل الصحابة ، باب : تحريم سب الصحابة - رضي الله عنهم ، حديث (٢٥٤١/٢٢٢) (١٣٩/١٦) .

(٢٤) - تفسير الطبري (٢٢١/٢٧) . وهشام بن سعد صدوق له أوهام - كذا قال الحافظ . وبقية رجاله ثقات .

(٢٥) - أخرجه مسلم في كتاب : الزكاة ، باب : إعطاء المؤلفة قلوبهم على الإسلام ، وتصبر من =

[١] - في ز : و .

ولكن روى ابن جرير هذا الحديث من وجه آخر فقال : حدثني ابن البرقي ، حدثنا ابن أبي مريم ، أخبرنا محمد بن جعفر ، أخبرني زيد بن أسلم ، عن أبي سعيد التمار ، عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم قال : « **يوشك أن يأتي قوم تحقرون أعمالكم مع أعمالهم** » . قلنا : من هم يا رسول الله ؟ قريش ؟ قال : « **لا ، ولكن أهل اليمن ؛ لأنهم أرق أفئدة ، وألين قلوبًا** » . وأشار بيده إلىٰ اليمن ، فقال : « **هم أهل اليمن ، ألا إن الإيمان يمان ، والحكمة يمانية** » . فقلنا : يا رسول الله ؛ هم خير منا ؟ قال : « **والذي نفسي بيده ، لو كان لأحدهم جبل من ذهب ينفقه ما أدىٰ مدَّ أحدكم ولا نصيفه** » . ثم جمع أصابعه ومد خنصره ، وقال : « **ألا ، إن هذا فضل ما بيننا وبين الناس ،** [﴿ **لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا وكلًّا وعد الله الحسنى ، والله بما تعملون خبير** ﴾][١] (٢٦) . فهذا السياق ليس فيه ذكر الحديبية ، فإن كان ذاك محفوظًا كما تقدم ، فيحتمل أنه أنزل قبل الفتح إخبارًا عما بعده ، كما في قوله تعالىٰ في « سورة المزمل » - وهي مكية ، من أوائل ما نزل - : ﴿ **وآخرون يقاتلون في سبيل الله** ﴾ . الآية . فهي بشارة بما يستقبل ، وهكذا هذه ، والله أعلم .

وقوله : ﴿ **وكلًّا وعد اللهُ الحسنىٰ** ﴾ يعني المنفقين قبل الفتح وبعده ، كلهم لهم ثواب علىٰ ما عملوا ، وإن كان بينهم تفاوت في تفاضل الجزاء ، كما قال : ﴿ **لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير أولي الضرر والمجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم علىٰ القاعدين درجة وكلًّا وعد الله الحسنىٰ ، وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجرًا عظيمًا** ﴾ . وهكذا الحديث الذي في الصحيح : «**المؤمن القوي خير وأحب إلىٰ الله من المؤمن الضعيف ، وفي كل خير** » (٢٧) . وإنما نبّه بهذا لئلا يهدر جانب الآخر بمدح الأول دون الآخر ، فيتوهم متوهم ذمه ، فلهذا عطف بمدح الآخر والثناء عليه ؛ مع تفضيل الأول عليه ، ولهذا قال : ﴿ **و الله بما تعملون خبير** ﴾ ، أي : فلخبرته

= قوى إيمانه ، حديث (١٠٦٤/١٤٧) (٢٣٠/٧ - ٢٣١) . من طريق عطاء عن أبي سعيد .

وأخرجه البخاري في كتاب المناقب برقم (٣٦١٠) ، وفي فضائل القرآن برقم (٥٠٥٨) ، وفي استتابة المرتدين برقم (٦٩٣٣) . ومسلم في كتاب الزكاة (١٠٦٤) كلاهما من طرق أخرى عن أبي سعيد الخدري به .

(٢٦) - تفسير الطبري (٢٢١/٢٧) وليس في الإسناد أبو سعيد الخدري .

(٢٧) - أخرجه مسلم في كتاب : القدر ، باب : في الأمر بالقوة وترك العجز ، والاستعانة بالله ، وتفويض المقادير لله ، حديث (٢٦٦٤/٣٤) (٣٢٩/١٦) .

---

[١] - ما بين المعكوفين سقط من ز ، خ .

فاوت بين ثواب من أنفق من قبل الفتح وقاتل ، ومن فعل ذلك بعد ذلك ، وما ذاك إلا لعلمه بقصد الأول وإخلاصه التام ، وإنفاقه في حال الجهد والقلة والضيق .

وفي الحديث : « **سبق درهم مائة ألف** » (٢٨). ولا شك عند أهل الإيمان أن الصديق أبا بكر رضي اللَّه عنه له الحظ الأوفر من هذه الآية ، فإنه سيد من عمل بها من سائر أمم الأنبياء ، فإنه أنفق ماله كله ابتغاء وجه اللَّه - عز وجل - ولم يكن لأحد عنده نعمة يجزيه بها .

وقد قال أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي عند تفسير هذه الآية : أخبرنا أحمد بن إبراهيم الشريحي ، أخبرنا أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي ، أخبرنا عبد اللَّه بن حامد بن محمد ، أخبرنا أحمد بن إسحاق بن أيوب ، أخبرنا محمد بن يونس ، حدثنا العلاء بن عمرو الشيباني ، حدثنا أبو إسحاق الفزاري ، حدثنا سفيان بن سعيد ، عن آدم بن عليّ ، عن ابن عمر قال : كنت عند النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم وعنده أبو بكر الصديق ، وعليه عباءة قد خلها في صدره بخلال ، [فنزل جبريل فقال : مالي أرىٰ أبا بكر عليه عباءة قد خلها في صدره بخلال ؟][١] فقال : « **أنفق ماله عليّ قبل الفتح** » . قال : فإن اللَّه يقول : اقرأ - عليه السلام - وقل له : أراض أنت عني في فقرك هذا [أم][٢] ساخط ؟ فقال رسول اللَّه : « **يا أبا بكر ، إن اللَّه يقرأ عليك السلام ، ويقول لك : أراض أنت [عني][٣] في فقرك هذا أو ساخط ؟** » . فقال أبو بكر - رضي اللَّه عنه : أسخط علىٰ ربي عز وجل ! إني عن ربي راض . هذا الحديث ضعيف الإسناد من هذا الوجه (٢٩).

وقوله : ﴿ **من ذا الذي يقرض اللَّه قرضًا حسنًا** ﴾ . قال عمر بن الخطاب : هو الإنفاق في سبيل اللَّه . وقيل : هو النفقة على العيال . والصحيح أنه أعم من ذلك ، فكل من أنفق في سبيل اللَّه بنية خالصة ، وعزيمة صادقة ، دخل في عموم هذه الآية ؛ ولهذا قال : ﴿ **من ذا الذي يقرض اللَّه قرضًا حسنًا فيضاعفه له** ﴾ . كما قال في الآية الأخرىٰ : ﴿ **أضعافًا**

---

(٢٨) - أخرجه النسائي (٥/٥٩) كتاب : الزكاة ، باب : جهد المقل ، من طريق عبيد الله بن سعيد عن صفوان بن عيسى عن ابن عجلان عن زيد بن أسلم عن أبي صالح عن أبي هريرة .

وهذا إسناد رجاله رجال الصحيح كلهم ثقات ، وقد صححه ابن خزيمة (٢٤٤٣) ، وابن حبان (٣٣٤٧) ، والحاكم (١/٤١٦) على شرط مسلم ووافقه الذهبي .

(٢٩) - أخرجه الخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (٢/١٠٥ - ١٠٦) في ترجمة محمد بن بابشاذ وقال : في حديثه غرائب ومناكير ، وساق هذا الحديث عنه .

---

[١] - سقط من ز ، خ . [٢] - في ز : أو .

[٣] - سقط من ز .

كثيرة ﴾ ﴿ وله أجر كريم ﴾ أي : جزاءٌ جميلٌ ، ورزق باهرٌ - وهو الجنة - يوم القيامة .

قال ابن أبي حاتم : حدثنا الحسن بن عرفة ، حدثنا خلف بن خليفة ، عن حميد الأعرج ، عن عبد الله بن الحارث ، عن عبد الله بن مسعود قال : لما نزلت هذه الآية : ﴿ من ذا الذي يقرض الله قرضًا حسنًا فيضاعفه له ﴾ . قال أبو الدحداح الأنصاري : يا رسول الله ؛ وإن الله ليريد منا القرض ؟ قال : « **نعم ، يا أبا الدحداح** » . قال : أرني يدك يا رسول الله . قال : فناوله يده ، قال : فإني قد أقرضت ربي حائطي - وله حائط فيه ستمائة نخلة ، وأم الدحداح فيه وعيالها قال : فجاء أبو الدحداح فناداها : يا أم الدحداح . قالت : لبيك . فقال : اخرجي ، فقد أقرضته ربي - عز وجل - وفي رواية أنها قالت له : ربح بيعك يا أبا الدحداح . ونقلت منه متاعها وصبيانها ، وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « **كم من عذق رداح في الجنة لأبي الدحداح** » . وفي لفظ : « **رب نخلة مدلاة ، عروقها در وياقوت ، لأبي الدحداح في الجنة** »(٣٠) .

يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِم بُشْرَىٰكُمُ ٱلْيَوْمَ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ٱرْجِعُوا۟ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا۟ نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ ﴿١٣﴾ يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَٱرْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ ٱلْأَمَانِىُّ حَتَّىٰ جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿١٤﴾ فَٱلْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ مَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ ۖ هِىَ مَوْلَىٰكُمْ ۖ وَبِئْسَ

(٣٠) - أخرجه البزار (٤٠٢/٥) (٢٠٣٣) وفي إسناده حميد الأعرج وهو ضعيف . وخلف بن خليفة : صدوق اختلط في الآخر . قال الهيثمي في « المجمع » (٣٢٧/٩) : رواه أبو يعلى والطبراني ورجالهما ثقات ، ورجال أبي يعلى رجال الصحيح . ولبعض لفظه شاهد في صحيح ابن حبان (١١٣/١٦ - ١١٤) حديث (٧١٥٩) من حديث أنس أن رجلًا أتى النبي - صلى الله عليه وسلم - فقال : يا رسول الله ، إن لفلان نخلة وأنا أقيم حائطي بها ، فمره يعطيني بها حائطي ، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « أعطه إياها بنخلة في الجنة » فأبى فأتاه أبو الدحداح ، فقال : بعني نخلتك بحائطي ، ففعل فأتى أبو الدحداح النبي - صلى الله عليه وسلم - فقال : يا رسول الله إني ابتعت النخلة بحائطي فاجعله له ، فقال النبي - صلى الله عليه وسلم - : « كم من عذق رداح لأبي الدحداح في الجنة » مرارًا ، فأتى أبو الدحداح امرأته فقالت : ربح السعر .

ٱلْمَصِيرُ ﴿١٥﴾

يقول تعالىٰ مخبرًا عن المؤمنين المتصدقين : إنهم يوم القيامة يسعىٰ نورهم بين أيديهم في عرَصَات القيامة ، بحسب أعمالهم ، كما قال عبد اللَّه بن مسعود في قوله : ﴿ **يسعىٰ نورهم بين أيديهم** ﴾ ، قال : علىٰ قدر أعمالهم يمرون علىٰ الصراط ، منهم من نوره مثل الجبل ، ومنهم من نوره مثل النخلة ، ومنهم من نوره مثل الرجل القائم ، وأدناهم نورًا من نوره في إبهامه يتّقد مرة ويطفأ مرة .

رواه[١] ابن أبي حاتم ، وابن جرير (٣١).

وقال قتادة : ذكر لنا أن نبي اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، كان يقول : « **من المؤمنين من يضيء نُوره من المدينة إلىٰ عَدَن أبين وصنعاء ، فدون ذلك ، حتىٰ إن من المؤمنين من يضيء نوره موضع قدميه** » (٣٢).

وقال سفيان الثوري : عن حُصَين ، عن مجاهد ، عن جُنَادة بن أبي أمية قال : إنكم مكتوبون عند اللَّه بأسمائكم ، وسيماكم وحُلاكم ، ونجواكم ومجالسكم ، فإذا كان يوم القيامة قيل : يا فلان ، هذا نورك . يا فلان ، لا نور لك . وقرأ : ﴿ **يسعىٰ نورهم بين أيديهم** ﴾ (٣٣).

وقال الضحاك : ليس أحد إلا يعطى نورًا يوم القيامة ، فإذا انتهوا إلىٰ الصراط طفىء نور المنافقين ، فلما رأى ذلك المؤمنون أشفقوا أن يطفأ نورهم كما طفىء نور المنافقين ، فقالوا : ﴿ **ربنا أتمم لنا نورنا** ﴾ .

وقال الحسن : ﴿ **يسعىٰ نورهم بين أيديهم** ﴾ : يعني على الصراط .

وقد قال ابن أبي حاتم - رحمه اللَّه - : حدثنا أبو عبيد[٢] اللَّه ابن أخي ابن وهب ، أخبرنا عمي ، عن يزيد بن أبي حبيب ، عن سعد بن مسعود ؛ أنه سمع عبد الرحمن بن جُبَير يحدث ؛ أنه سمع أبا الدرداء وأبا ذر يُخبران عن النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم قال : « **أنا أول من يؤذن له يوم القيامة بالسجود ، وأول من يؤذن له برفع رأسه ، فأنظر من**

(٣١) - تفسير الطبري (٢٢٣/٢٧)

(٣٢) - تفسير الطبري (٢٢٢/٢٧) وفي إسناده انقطاع .

(٣٣) - حصين هو ابن عبد الرحمن وهو ثقة تغير حفظه بأخرة ، وبقية إسناده ثقات .

[١] - في ت : ورواه . [٢] - في خ : عبد .

بين يدي ومن خلفي ، وعن يميني وعن شمالي ، فأعرف أمتي من بين الأمم » . فقال له رجل : يا نبي الله ؛ كيف تعرف أمتك من بين الأمم ، مابين نوح إلىٰ أمتك ؟ ! قال : « **أعرفهم ، مُحَجَّلون من أثر الوضوء ، ولا يكون لأحد[١] من الأمم غيرهم ، وأعرفهم يُؤتون كتبهم بأيمانهم ، وأعرفهم بسيماهم في وجوههم ، وأعرفهم بنورهم يسعى بين أيديهم وذريتهم** »(٣٤).

وقوله : ﴿ **وبأيمانهم** ﴾ قال الضحاك : أي : وبأيمانهم كتبهم . كما قال : ﴿ **فمن أوتي كتابه بيمينه** ﴾ .

وقوله : ﴿ **بشراكم اليوم جنات تجري من تحتها الأنهار** ﴾ . [أي : يقال لهم : بشراكم اليوم جنات . أي : لكم البشارة بجنات تجري من تحتها الأنهار][٢] ، ﴿ **خالدين فيها** ﴾ ، أي : ماكثين فيها أبدًا ، ﴿ **ذلك هو الفوز العظيم** ﴾ .

وقوله : ﴿ **يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا انظرونا نقتبس من نوركم** ﴾ . وهذا إخبار منه تعالىٰ عما يقع يوم القيامة في العَرَصات من الأهوال المزعجة ، والزلازل العظيمة ، والأمور الفظيعة ، وأنه لاينجو يومئذ إلا من آمن بالله ورسوله ، وعمل بما أمر الله ، وترك ما عنه زجر .

قال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا عبدة بن سليمان ، حدثنا ابن المبارك ، حدثنا صفوان بن عمرو ، حدثني سليم بن عامر قال : خرجنا علىٰ جنازة في باب دمشق ، ومعنا أبو أمامة الباهلي ، فلما صلَّى علىٰ الجنازة وأخذوا في دفنها ، قال أبو أمامة : أيها الناس ؛ إنكم قد أصبحتم وأمسيتم في منزل تقتسمون فيه الحسنات والسيئات ، وتوشكون[٣] أن تظعنوا منه إلىٰ منزل آخر ، وهو[٤] هذا - يشير إلىٰ القبر - بيت الوحدة ، وبيت الظلمة ، [وبيت الدود][٥] ، وبيت الضيق ، إلا ما وسع الله ، ثم تنتقلون منه إلىٰ مواطن يوم القيامة ، فإنكم في بعض تلك المواطن [حتىٰ][٦] يغشى الناس أمر من الله ، فتبيض وجوه وتسود وجوه ، ثم تنتقلون منه إلىٰ منزل آخر فتغشى الناس ظلمة شديدة ، ثم يقسم النور فيعطىٰ

---

(٣٤) - أخرجه الحاكم (٤٧٨/٢) . وقال : صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، وسكت عنه الذهبي في التلخيص ، وقال في الميزان : عبد الله بن صالح بن محمد بن مسلم الجهني المصري : هو صاحب حديث وعلم مكثر ، وله مناكير .

---

[١] - في ز : أحد .
[٢] - ما بين المعكوفين سقط من ز .
[٣] - في ز : أتوشكون .
[٤] - في ز ، خ : وهن .
[٥] - ما بين المعكوفين سقط من ز ، خ .
[٦] - في ز ، خ : يوم .

المؤمن نورًا ، ويترك الكافر والمنافق فلا يعطيان شيئًا ، وهو المثل الذي ضربه الله في كتابه ، قال : ﴿ أو كظلمات في بحر لجي ﴾ إلىٰ قوله : ﴿ فما له من نور ﴾ ، فلا يستضيء الكافر والمنافق بنور المؤمن كما لايستضيء الأعمى بنور البصير ، ويقول المنافقون للذين آمنوا : ﴿ انظرونا نقتبس من نوركم قيل ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورًا [ ][١] ﴾ . وهي خدعة الله التي خدع بها المنافقين حيث قال : ﴿ يخادعون الله وهو خادعهم ﴾ . فيرجعون إلىٰ المكان الذي قسم فيه النور ، فلا يجدون شيئًا ، [فينصرفون][٢] إليهم وقد ضرب بينهم بسور له باب ، ﴿ باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب ...﴾ ... الآية . يقول سليم بن عامر : فما يزال المنافق مغترًا حتي يقسم النور ، ويميز الله بين المؤمن والمنافق (٣٥).

ثم قال : حدثنا أبي ، حدثنا يحيىٰ بن عثمان ، حدثنا ابن حيوة ، حدثنا أرطاة بن المنذر ، حدثنا يوسف بن الحجاج عن أبي أمامة قال : تُبعَثُ ظلمة يوم القيامة ، فما من مؤمن ولا[٣] كافر يرىٰ [كفه][٤] ، حتي يبعثَ الله بالنور إلىٰ المؤمنين بقدر أعمالهم ، فيتبعهم المنافقون فيقولون : ﴿ انظرونا نقتبس من نوركم ﴾ .

وقال العوفي ، والضحاك ، وغيرهما ، عن ابن عباس : بينما الناس في ظلمةٍ إذ بعث الله نورًا ، فلما رأى المؤمنون النور توجهوا نحوه ، وكان النور لهم[٥] دليلًا من الله إلىٰ الجنة ، فلما رأى المنافقون المؤمنين قد انطلقوا اتبعوهم ، فأظلم الله علىٰ المنافقين ، فقالوا حينئذ : ﴿انظرونا نقتبس من نوركم ﴾ ، فإنا كنا معكم في الدنيا . قال المؤمنون : ﴿ ارجعوا ﴾ من حيث جئتم من الظلمة ، فالتمسوا هنالك النور (٣٦).

وقال أبو القاسم الطبراني : حدثنا الحسن[٦] بن علوية القطان[٧] ، حدثنا إسماعيل بن عيسىٰ العطار ، حدثنا إسحاق بن بشر بن حذيفة ، حدثنا ابن جريج ، عن ابن أبي مليكة ، عن ابن عباس؛ قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : إن الله يدعو الناس يوم القيامة بأسمائهم سترًا منه علىٰ عباده . وأما عند الصراط فإن الله يعطي كل مؤمن نورًا ، وكل

---

(٣٥) - أخرجه ابن المبارك في الزهد (٢/١٠٨ - ١٠٩) (٣٦٨) ، والحاكم (٢/٤٠٠) ، والبيهقي في الأسماء والصفات (٢/٤٣٥ - ٤٣٦) (١٠١٥) . وصححه الحاكم ، ووافقه الذهبي

(٣٦) - أخرجه الطبري (٢٧/٢٢٤) من طريق العوفي وهو ضعيف .

---

[١] - في ز ، خ : فضرب .

[٢] - في ز : فيصرفون .

[٣] - سقط من خ .

[٤] - في ز : فيه .

[٥] - سقط من ت .

[٦] - في خ : الحسين .

[٧] - في ز ، خ : العطار .

منافق نورًا ، فإذا استووا علىٰ الصراط سلب اللَّه نور المنافقين[١] والمنافقات ، فقال المنافقون : ﴿ **انظرونا نقتبس من نوركم** ﴾ . وقال المؤمنون : ﴿ **ربنا أتمم لنا نورنا** ﴾ . فلا يذكر عند ذلك أحد أحدًا(٣٧) .

وقوله : ﴿ **فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب** ﴾ ، قال الحسن ، وقتادة : هو حائط بين الجنة والنار .

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : هو الذي قال اللَّه تعالىٰ : ﴿ **وبينهما حجاب** ﴾ . وهكذا روي عن مجاهد - رحمه اللَّه - وغير واحد ، وهو الصحيح .

﴿ **باطنه فيه الرحمة** ﴾ ، أي : الجنة ومافيها ، ﴿ **وظاهره من قبله العذابُ** ﴾ ، أي النار . قاله قتادة وابن زيد ، وغيرهما .

قال ابن جرير : وقد قيل : إن ذلك السور سور بيت المقدس عند وادي جهنم ، ثم قال :

حدثنا ابن [ ][٢] البرقي ، حدثنا عمرو بن أبي سلمة ، عن سعيد بن عطية بن قيس ، عن أبي العوام - مؤذن بيت المقدس - قال : سمعت عبد اللَّه بن عمرو[٣] ؛ يقول : / إن السور الذي ذَكَر اللَّه في القرآن : ﴿ **فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذابُ** ﴾ ، هو السور الشرقي [باطنه][٤] المسجد وما يليه ، وظاهره وادي جهنم(٣٨) .

ثم روي عن عبادة بن الصامت وكعب الأحبار، وعلي بن الحسين زين العابدين نحو ذلك ، وهذا محمول منهم على أنهم أرادوا بهذا تقريب المعنى [ ][٥] مثالًا لذلك ، لا أن هذا هو الذي أريد من القرآن هذا الجدار المعين ونفس المسجد وما وراءه من الوادي المعروف بوادي جهنم ، فإن الجنة في السماوات في أعلىٰ عليين ، والنار في الدركات أسفل سافلين ،

(٣٧) - أخرجه الطبراني في الكبير (١٢٢/١١) (١١٢٤٢) .

قال الهيثمي في « المجمع » (٣٦٢/١٠) : رواه الطبراني وفيه إسحاق بن بشر أبو حذيفة وهو متروك .

(٣٨) - تفسير الطبري (٢٢٥/٢٧) . والحديث أخرجه الحاكم (٤٧٨/٢) وقال : صحيح الإسناد ولم يخرجاه . قال الذهبي : بل منكر وآخره باطل ؛ لأنه ما اجتمع عبادة برسول الله - صلى الله عليه وسلم - هناك .

[١] - في ز : المنافق .

[٢] - ما بين المعكوفين في ز ، خ : أبي .

[٣] - في خ : عمر .

[٤] - في ز ، خ : في باطن .

[٥] - في ز : و .

وقول كعب الأحبار : إن الباب المذكور في القرآن هو باب الرحمة الذي هو أحد أبواب المسجد ، فهذا من إسرائيلياته وتُرَّهاتِه . وإنما المراد بذلك سور يُضرَب يوم القيامة ليحجز بين المؤمنين والمنافقين ، فإذا انتهى إليه المؤمنون دخلوه من بابه ، فإذا استكملوا دُخولهم أغلق الباب ، وبقي المنافقون من ورائه في الحيرة والظلمة والعذاب ، كما كانوا في الدار الدنيا في كفر وجهل وشك وحيرة ، ﴿ **ينادونهم ألم نكن معكم** ﴾ أي : ينادي المنافقون المؤمنين : أما[١] كنا معكم في الدار الدنيا ، نشهد معكم الجمعات ، ونصلي معكم الجماعات ، ونقف معكم بعرفات ، ونحضر معكم الغزوات ، ونؤدي معكم سائر الواجبات ؟ ﴿ **قالوا بلىٰ** ﴾ ، أي : فأجاب المؤمنون المنافقين قائلين : ﴿ **بلى** ﴾ ، قد كنتم معنا ، ﴿ **ولكنكم فتنتم أنفسكم وتربصتم وارتبتم وغرتكم الأماني** ﴾ ، قال بعض السلف : أي فتنتم أنفسكم باللذات والمعاصي والشهوات ، ﴿ **وتربصتم** ﴾ ، أي : أخرتم التوبة من وقت إلىٰ وقت .

وقال قتادة : ﴿ **تربصتم** ﴾ بالحق وأهله . ﴿ **وارتبتم** ﴾ ، أي : بالبعث بعد الموت ، ﴿ **وغرتكم الأماني** ﴾ ، أي : قلتم : سيغفر لنا . وقيل : غرتكم الدنيا . ﴿ **حتىٰ جاء أمر الله** ﴾ ، أي : مازلتم في هذا حتىٰ جاء الموت ، ﴿ **وغركم بالله الغرور** ﴾ ، أي : الشيطان .

قال قتادة : كانوا على خدعة من الشيطان ، والله ما زالوا عليها حتى قذفهم الله في النار .

ومعنىٰ هذا الكلام من المؤمنين للمنافقين : أنكم كنتم معنا بأبدان / لا نية لها ولا قلوب معها ، وإنما كنتم في حيرة وشك ، فكنتم تراءون الناس ولا تذكرون الله إلا قليلًا . قال مجاهد : كان المنافقون مع المؤمنين أحياء يناكحونهم [ويعينونهم][٢] ويعاشرونهم ، وكانوا معهم أمواتًا ، ويعطون النور جميعًا يوم القيامة ، ويطفأ النور من المنافقين إذا بلغوا السور ، ويُماز[٣] بينهم حينئذ .

وهذا القول من المؤمنين لاينافي قولهم الذي أخبر الله به عنهم ، حيث يقول - وهو أصدق القائلين - : ﴿ **كل نفس بما كسبت رهينة * إلا أصحاب اليمين * في جنات يتساءلون * عن المجرمين * ماسلككم في سقر * قالوا : لم نك من المصلين * ولم نك نطعم المسكين * وكنا نخوض مع الخائضين * وكنا نكذب بيوم الدين * حتىٰ أتانا اليقين** ﴾ . فهذا إنما خرج منهم علىٰ وجه التقريع لهم والتوبيخ ، ثم قال تعالىٰ : ﴿ **فما**

---

[١] - في ز ، خ : إنا .

[٢] - في ت : ويغشونهم .

[٣] - في خ : يمتاز .

تنفعهم شفاعة الشافعين ﴾ . كما قال تعالىٰ هاهنا : ﴿ **فاليوم لايؤخذ منكم فدية ولا من الذين كفروا** ﴾ . أي : لو جاء أحدكم اليوم بملء الأرض ذهبًا ومثله معه ليفتدي به من عذاب اللّٰه ، ما قبل منه .

و[١] قوله : ﴿ **مأواكم النار** ﴾ أي : هي مصيركم ، وإليها منقلبكم .

وقوله : ﴿ **هي مولاكم** ﴾ ، أي : هي أولىٰ بكم من كل منزل علىٰ كفركم وارتيابكم ، وبئس المصير .

۞ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿١٦﴾ ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٧﴾

يقول تعالىٰ : أما آنَ للمؤمنين ﴿ **أن تخشع قلوبهم لذكر اللّٰه** ﴾ ، أي : تلين عند الذكر والموعظة وسماع القرآن ، فتفهمه وتنقاد له وتسمع له وتطيعه .

قال عبد اللّٰه بن المبارك : حدثنا صالح المرّي[٢] ، عن قتادة ، عن ابن عباس أنه قال : إن اللّٰه استبطأ قلوب المهاجرين فعاتبهم علىٰ رأس ثلاث عشرة من نزول القرآن ، فقال : ﴿ **ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر اللّٰه** ...﴾ الآية . رواه ابن أبي حاتم ، عن الحسن بن محمد بن الصباح ، عن حسين المروزي ، عن ابن المبارك . به .

ثم قال هو ومسلم : حدثنا يونس بن عبد الأعلىٰ ، [أخبرنا ابن وهب ، أخبرني عمرو بن الحارث ، عن سعيد بن أبي هلال - يعني الليثي - عن عون بن عبد اللّٰه][٣] عن أبيه ، عن ابن مسعود - رضي اللّٰه عنه - قال : ماكان بين إسلامنا وبين أن عاتبنا اللّٰه بهذه الآية : ﴿ **ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر اللّٰه** ﴾ إلا أربع سنين . كذا رواه مسلم في آخر الكتاب (٣٩).

---

(٣٩) - صحيح مسلم ، كتاب : التفسير ، باب : في قوله تعالى : ﴿ **ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله** ﴾ حديث (٣٠٢٧/٢٤) (٢١٤/١٨) .

---

[١] - سقط من ت ، خ . [٢] - في ز ، خ : المدني .

[٣] - ما بين المعكوفين سقط من ز ، خ .

وأخرجه النسائي عند تفسير هذه الآية عن هارون بن سعيد الأيلي، عن ابن وهب به(٤٠).

وقد رواه ابن ماجة من حديث موسى بن يعقوب الزّمعي، عن أبي حازم، عن عامر بن عبد اللّه بن الزبير، عن أبيه، مثله(٤١). فجعله من مسند ابن الزبير. لكن رواه البزار في مسنده من طريق موسي بن يعقوب، عن أبي حازم، عن عامر، عن ابن الزبير، عن ابن مسعود، فذكره(٤٢).

وقال سفيان الثوري عن المسعودي، عن القاسم؛ قال: ملّ[١] أصحاب رسول اللّه صلىٰ اللّه عليه وسلم ملة[٢]، فقالوا: حدثنا يا رسول اللّه، [فأنزل اللّه تعالىٰ: ﴿ **نحن نقص عليك أحسن القصص** ﴾، قال: ثم ملّوا ملة؛ فقالوا: حدثنا يا رسول اللّه، فأنزل اللّه تعالىٰ][٣]: ﴿ **اللّه نزل أحسن الحديث** ﴾. ثم ملوا [ملة][٤]؛ فقالوا: حدثنا يا رسول اللّه. فأنزل اللّه: ﴿ **ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر اللّه** ﴾(٤٣).

وقال قتادة: ﴿ **ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر اللّه** ﴾: ذُكر لنا أن شَداد بن أوس كان يروي عن رسول اللّه صلىٰ اللّه عليه وسلم؛ قال: « **إن أول ما يرفع من الناس الخشوع** »(٤٤).

وقوله: ﴿ **ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الأمد فقست**

---

(٤٠) - السنن الكبرى في كتاب: التفسير، باب: قوله تعالى ﴿ **ألم يأن للذين آمنوا** ﴾، حديث (١١٥٦٨) (٤٨١/٦).

(٤١) - سنن ابن ماجة في كتاب: الزهد، باب: الحزن والبكاء، حديث (٤١٩٢) (١٤٠٢/٢). قال في الزوائد: إسناده صحيح، رجاله ثقات. وحسنه الألباني في صحيح سنن ابن ماجة برقم (٣٣٨٠).

(٤٢) - أخرجه البزار (٢٧٥/٤) (١٤٤٣)، قال الهيثمي في « المجمع » (١٢٤/٧): رواه الطبراني وفيه موسى بن يعقوب الزمعي وثقه ابن معين وغيره وضعفه ابن المديني، وبقية رجاله رجال الصحيح. اهـ. والحديث صححه الحاكم (٤٧٩/٢) ووافقه الذهبي. ويشهد له الأحاديث قبله.

(٤٣) - أخرجه الطبري (١٥٠/٢٢) فذكر صدره من طريق وكيع عن المسعودي عن عون بن عبد الله وفي إسناده والإسناد الذي ذكره ابن كثير انقطاع ظاهر. وأخرجه الطبري (١٥٠/٢٢) بنحوه من حديث سعد ابن أبي وقاص بإسناد رجاله ثقات.

(٤٤) - أخرجه الطبري (٢٢٨/٢٧). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٢٥٤/٦) وزاد نسبته لعبد بن حميد.

---

[١] - في خ: ملأ. [٢] - في ز، خ: مكة.

[٣] - ما بين المعكوفين في ز، خ: « فنزلت ». [٤] - في ز، خ: مكة.

قلوبهم ﴾ : نهى اللّٰه المؤمنين أن يتشبهوا بالذين حُمّلوا الكتاب قبلهم من اليهود والنصارىٰ ، لما تطاول عليهم الأمد بَدلوا كتاب اللّٰه الذي بأيديهم ، واشتروا به ثمنًا قليلًا ، ونبذوه وراء ظهورهم ، وأقبلوا علىٰ الآراء المختلفة والأقوال المؤتفكة ، وقلدوا الرجال في دين اللّٰه ، واتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابًا من دون اللّٰه ، فعند ذلك قست قلوبهم ، فلا يقبلون موعظة ، ولا تلين قلوبهم بوعد ولا وعيد .

﴿ وكثير منهم فاسقون ﴾ أي : في الأعمال ، فقلوبهم فاسدة ، وأعمالهم باطلة ؛ كما قال : ﴿ **فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية يحرفون الكلم عن مواضعه ونسوا حظًا مما ذكروا به** ﴾ ، أي : فسدت قلوبهم فقست وصار من سجيتهم تحريف الكلم عن مواضعه ، وتركوا الأعمال التي أمروا بها ، وارتكبوا ما نهوا عنه ؛ ولهذا نهى اللّٰه المؤمنين أن يتشبهوا بهم في شيء من الأمور الأصلية والفرعية .

وقد قال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا هشام [ابن عمار][١] ، حدثنا شهاب بن خرَاش ، حدثنا حجاج بن دينار ، عن منصور بن المعتمر ، عن الربيع بن عَميلة الفزاري ؛ قال : حدثنا عبد اللّٰه بن مسعود حديثًا ما سمعت أعجب إليّ منه ، إلا شيئًا من كتاب اللّٰه ، أو شيئًا قاله[٢] النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، قال : إن بني إسرائيل لما طال عليهم الأمد [فقست][٣] قلوبهم ، اخترعوا كتابًا من عند أنفسهم ، استهوته قلوبهم ، واستحلَّته ألسنتهم واستلذته ، وكان الحق يحول بينهم وبين كثير من شهواتهم ، فقالوا : تعالوا ندع بني إسرائيل إلىٰ كتابنا هذا ، فمن تابعنا عليه تركناه ، ومن كره أن يتابعنا قتلناه . ففعلوا ذلك ، وكان فيهم رجل فقيه ، فلما رأى مايصنعون عَمَدَ إلىٰ ما يعرف من كتاب اللّٰه فكتبه في شيء لطيف ، ثم أدرجه ، فجعله في قرن ثم علق ذلك القرن في عنقه ، فلما أكثروا القتل قال بعضهم لبعض : يا هؤلاء ، إنكم قد أفشيتم القتل في بني إسرائيل ، فادعوا فلانًا فاعرضوا عليه كتابكم ، فإنه إن تابعكم فسيتابعكم بقية الناس ، وإن أبى فاقتلوه . فدعَوا فلانًا ذلك الفقيه ؛ فقالوا : تؤمن بما في كتابنا ؟ قال : وما فيه ؟ اعرضوه عليّ . فعرضوه عليه إلىٰ آخره ، ثم قالوا : أتؤمن بهذا ؟ قال : نعم ، آمنت بما في هذا - [وأشار بيده إلى القرن - فتركوه ، فلما مات][٤] نبشوه فوجدوه مُتَعلّقًا ذلك القرن ، فوجدوا فيه ما يعرف من كتاب اللّٰه ، فقال بعضهم لبعض : يا هؤلاء ، ما كنا نسمع هذا أصابه فتنة . فافترقت بنو إسرائيل علىٰ ثنتين وسبعين ملة ، وخير مللهم ملة أصحاب ذي[٥] القرن[٦] .

---

[١] - سقط من ز .
[٢] - في خ : قال .
[٣] - في ز : قست .
[٤] - ما بين المعكوفين في ز ، خ : فذكره .
[٥] - في خ : ذلك .
[٦] - في ز : الفرق .

قال ابن مسعود : أوشك بكم إن بقيتم - أو بقي من بقي منكم - أن تروا أمورًا تنكرونها ، لا تستطيعون لها غيرًا ، فبحسب المرء منكم أن يعلم الله من قلبه أنه [لها][١] كاره (٤٥).

وقال أبو جعفر الطبري : حدثنا [ابن][٢] حُمَيد ، حدثنا جرير ، عن مغيرة ، عن أبي معشر ، عن إبراهيم؛ قال : جاء عِتْريس بن عُرقوب إلىٰ ابن مسعود؛ فقال : يا[٣] عبد الله ؛ هلك من لم يأمر بالمعروف وينه عن المنكر . فقال عبد الله : هلك من لم يعرف قلبُه معروفًا ولم ينكر قلبه منكرًا ؛ إن بني إسرائيل لما طال عليهم الأمد وقست قلوبهم ، اخترعوا كتابًا من بين أيديهم وأرجلهم ، استهوته قلوبهم ، واستحلته / ألسنتهم ، وقالوا : نعرض بني إسرائيل علىٰ هذا الكتاب [فمن][٤] آمن به تركناه ، ومن كفر به قتلناه . قال : فجعل رجل منهم كتاب الله في قَرْن ، ثم جعل القرن بين ثَنْدُوتَيه فلما قيل له : أتؤمن بهذا ؟ قال : آمنت به - ويومئ إلىٰ القرن بين ثندوتيه - ومالي لا أومن بهذا الكتاب ؟ فمن [خير][٥] مللهم اليوم ملّة صاحب القرن (٤٦).

وقوله : ﴿ **اعلموا أن الله يحي الأرض بعد موتها قد بينا لكم الآيات لعلكم تعقلون** ﴾ : فيه إشارة إلىٰ أنه تعالىٰ يلين القلوب بعد قسوتها ، ويَهدي الحَيارى بعد ضَلتها ، ويفرج الكروب بعد شدتها ، فكما يحيي الأرض الميتة المجدبة الهامدة [بالغيث][٦] الهَتَّان ، كذلك يهدي القلوب القاسية ببراهين القرآن والدلائل ، ويولج إليها النور بعد ما كانت مقفلة لايصل إليها الواصل ، فسبحان الهادي لمن يشاء بعد الإضلال ، والمضل لمن أراد بعد الكمال ، الذي هو لما يشاء فعال ، وهو الحكم العدل في جميع الفعال ، اللطيف الخبير الكبير المتعال .

إِنَّ ٱلْمُصَّدِّقِينَ وَٱلْمُصَّدِّقَٰتِ وَأَقْرَضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿١٨﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَ ۖ وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ

(٤٥) - أخرجه البيهقي (٦/٩٥ - ٩٦) (٧٥٨٩) من طريق عمارة بن الربيع بن عميلة عن عبد الله بن مسعود بنحوه .

(٤٦) - تفسير الطبري (٢٧/٢٢٩) .

[١] - في ت ، خ : له .

[٢] - في ز : أبو .

[٣] - في خ : يا أبا .

[٤] - في ز : من .

[٥] - في ز : خين .

[٦] - في ز : بالبعث .

رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِـَٔايَٰتِنَآ أُولَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ الْجَحِيمِ ﴿١٩﴾

يخبر تعالىٰ عما يثيب به المُصّدّقين [والمصّدّقات][١] بأموالهم علىٰ أهل الحاجة والفقر والمسكنة ، ﴿ وأقرضوا الله قرضًا حسنًا ﴾ أي : دفعوه بنية خالصة ابتغاء وجه الله ، لايريدون جزاء ممن أعطوه ولاشكورًا ؛ ولهذا قال : ﴿ يضاعف لهم ﴾ أي : يقابل لهم الحسنة بعشر أمثالها ، ويزاد علىٰ ذلك إلىٰ سبعمائة ضعف وفوق ذلك ، ﴿ ولهم أجر كريم ﴾ ، أي : ثواب جزيل حسن ، ومرجع صالح ومآب ﴿ كريم[٢] ﴾ .

وقوله : ﴿ والذين آمنوا بالله ورسله أولئك هم الصديقون ﴾ : هذا تمام الجملة ، وصف المؤمنين بالله ورسله بأنهم صديقون .

قال العوفي عن ابن عباس : قوله : ﴿ والذين آمنوا بالله ورسله أولئك هم الصديقون ﴾ : هذه مفصولة ، ﴿ والشهداء عند ربهم لهم أجرهم ونورهم ﴾ وقال أبو الضحىٰ : ﴿ أولئك هم الصديقون ﴾ ، ثم استأنف الكلام فقال : ﴿ والشهداء عند ربهم ﴾ - وهكذا قال مسروق ، والضحاك ، ومقاتل بن حيان ، وغيرهم .

وقال الأعمش عن أبي الضّحىٰ ، عن مسروق ، عن عبد الله في قوله : ﴿ أولئك هم الصديقون والشهداء عند ربهم ﴾ قال : هم ثلاثة أصناف : يعني المصّدقين ، والصدّيقين[٣] ، والشهداء . كما قال تعالىٰ : ﴿ ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ﴾ ففرق بين الصديقين والشهداء ، فدل علىٰ أنهما صنفان . ولاشك أن الصّدّيق أعلىٰ مقامًا من الشهيد ، كما رواه الإمام مالك بن أنس - رحمه الله - في كتابه الموطأ ، عن صفوان بن سليم ، عن عطاء بن يَسَار ، عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم؛ قال : « إن أهل الجنة ليتراءون أهل الغرف من فوقهم كما تتراءون الكوكب الدريّ الغابر في الأفق من المشرق أو المغرب ، لتفاضل ما بينهم » . قالوا : يا رسول الله ؛ تلك منازل الأنبياء لايبلغها غيرهم ؟ قال : «بلىٰ ، والذي نفسي بيده رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين » .

اتفق البخاري ومسلم على إخراجه من حديث مالك به (٤٧).

(٤٧) - أخرجه البخاري في كتاب : بدء الخلق ، باب : ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة ، حديث=

[١] - في ز : والمصدقين . كذا .
[٢] - سقط من خ .
[٣] - في خ : المصدقات .

وقال آخرون : بل المراد من قوله : ﴿ **أولئك هم الصديقون والشهداء عند ربهم** ﴾ فأخبر عن المؤمنين بالله ورسله بأنهم صديقون وشهداء . حكاه ابن جرير عن مجاهد ، ثم قال ابن جرير :

حدثني صالح بن حرب - أبو معمر - حدثنا إسماعيل بن يحيىٰ ، حدثنا ابن عجلان ، عن زيد بن أسلم ، عن البراء بن عازب؛ قال : سمعت رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم؛ يقول : « **مؤمنو أمتي شهداء** » . قال : ثم تلا النبي صلىٰ الله عليه وسلم هذه الآية : ﴿ **والذين آمنوا بالله ورسله أولئك هم الصديقون والشهداء عند ربهم** ﴾ (٤٨)هذا حديث غريب .

وقال أبو إسحاق : عن عَمْرو بن ميمون في قوله : ﴿ **والذين آمنوا بالله ورسله أولئك هم الصديقون والشهداء عند ربهم لهم أجرهم ونورهم** ﴾ ، قال : يجيئون يوم القيامة معًا كالإصبعين .

وقوله :﴿ **والشهداء عند ربهم** ﴾ أي : في جنات النعيم كما جاء في الصحيحين . « **إن أرواح الشهداء في حواصل طيرٍ خضر تسرح في الجنة حيث شاءت ، ثم تأوي إلىٰ تلك القناديل ، فاطلع عليهم ربك اطلاعة فقال : ماذا تريدون ؟ فقالوا : نحب أن تردنا إلىٰ الدار الدنيا فنقاتلَ فيك فنقتل كما قُتلنا أول مرة . فقال : إني قضيت أنهم إليها لايرجعون** »(٤٩) .

وقوله : ﴿ **لهم أجرهم ونورهم** ﴾ ، أي : لهم عند ربهم أجر جزيل ونور عظيم يسعىٰ بين أيديهم ، وهم في ذلك يتفاوتون بحسب ماكانوا في الدار الدنيا من الأعمال ، كما قال الإمام أحمد :

حدثنا يحيى بن إسحاق ، حدثنا ابن لهيعة ، عن عطاء بن دينار ، عن أبي يزيد الخَولاني؛ قال : سمعت فضالة بن عبيد ، يقول : سمعت عمر بن الخطاب ، يقول : سمعت النبي صلىٰ الله عليه وسلم؛ يقول : « **الشهداء أربعة : رجل مؤمن جيد الإيمان ، لقي العدو فصدق الله فقتل ، فذلك الذي ينظر الناس إليه هكذا** » - ورفع رأسه حتىٰ سقطت قَلنسُوة رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم أو[١] قلنسوة عمر « **والثاني : مؤمن لقي العدو**

= (٣٢٥٦) (٣٢٠/٦) . ومسلم في كتاب : الجنة وصفة نعيمها وأهلها ، باب : ترائى أهل الجنة أهل الغرف كما يرى الكوكب في السماء ، حديث (٢٨٣١/١١) (٢٤٧/١٧ - ٢٤٨) .

(٤٨) - تفسير الطبري (٢٣١/٢٧) وفي إسناده إسماعيل بن يحيى متهم بالكذب .

(٤٩) - تقدم تخريجه في سورة الواقعة آية (٨٩) .

[١] - في خ : و .

فكأنما يضرب ظهره بشوك الطّلح جاءه سهم غرب فقتله ، فذاك في الدرجة الثانية . والثالث : رجل مؤمن خلط عملاً صالحاً وآخر سيئًا لقي العدو فصدق اللّه حتىٰ قتل ، فذاك في الدرجة الثالثة . والرابع : رجل مؤمن أسرف علىٰ نفسه إسرافًا كثيرًا ، لقي العدو فصدق اللّه حتىٰ قتل ، فذاك في الدرجة الرابعة » (٥٠).

وهكذا رواه عليّ بن المديني ، عن أبي داود الطيالسي ، عن ابن المبارك ، عن ابن لهيعة(٥١) ، وقال : هذا إسناد مصري صالح ، ورواه الترمذي من حديث ابن لهيعة وقال : حسن غريب (٥٢).

وقوله : **﴿ والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب الجحيم ﴾** : لما ذكر السعداء ومآلهم ، عطف بذكر الأشقياء وبيَّن حالهم ؛ فقال[١] :

﴿ ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ ۖ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا ۖ وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ ۚ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ (٢٠) سَابِقُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ (٢١) ﴾

يقول تعالىٰ مُوهِّنًا أمر الحياة الدنيا، ومحقِّرًا لها : **﴿ إنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الأموال والأولاد ﴾** . أي : إنما حاصل أمرها عند أهلها هذا ، كما قال : **﴿ زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا واللّه عنده حسن المآب ﴾**

---

(٥٠) - المسند (٢٣/١) . وفي إسناده ابن لهيعة وهو ضعيف . وأبو يزيد الخولاني : مجهول . وضعفه الألباني في الضعيفة (٢٠٠٤) .

(٥١) - مسند الطيالسي (٢٠) برقم (١٣٣) .

(٥٢) - سنن الترمذي في كتاب : فضائل الجهاد ، باب : ما جاء في الشهداء عند الله ، حديث (١٦٤٤) (٣٦٠/٥ - ٣٦١) . كلاهما من طريق أبي يزيد الخولاني وقد تقدم الكلام عليه في الذي قبله .

---

[١] - سقط من ت ، ز .

ثم ضرب تعالىٰ مثل الحياة الدنيا في أنها زهرة فانية ونعمة زائلة؛ فقال: ﴿ **كمثل غيث** ﴾، وهو: المطر الذي يأتي بعد قنوط الناس، كما قال: ﴿ **وهو الذي ينزل الغيث من بعد ما قنطوا** ﴾.

وقوله: ﴿ **أعجب الكفار نباته** ﴾. أي: يعجب الزراع نبات ذلك الزرع الذي نبت بالغيث، وكما يعجب الزراع ذلك كذلك تعجب الحياة الدنيا الكفار، فإنهم أحرص شيء عليها [وأميل][١] الناس إليها، ﴿ **ثم يهيج فتراه مصفرًا ثم يكون حطامًا** ﴾، أي: يهيج ذلك الزرع فتراه مصفرًا بعدما كان [خضرًا][٢] نَضرًا، ﴿ **ثم يكون** ﴾ بعد ذلك كله [إلى أن][٣]: يصير يَبَسًا متحطمًا، هكذا الحياة الدنيا تكون أولًا شابة، ثم تكتهل، ثم تكون عجوزًا شوهاء، والإنسان كذلك يكون في أول عمره وعنفوان شبابه غضًّا طريًّا لين الأعطاف، بهي المنظر، ثم إنه يشرع في الكهولة فتتغير طباعه ويَنْفَدُ بعض قواه، ثم يكبر فيصير شيخًا كبيرًا ضعيف القوى قليل الحركة، يعجزه الشيء اليسير، كما قال تعالىٰ: ﴿ **الله الذي خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفًا وشيبة يخلق مايشاء وهو العليم القدير** ﴾. ولما كان هذا المثل دالًّا علىٰ زوال الدنيا وانقضائها وفراغها لا محالة، وأن الآخرة كائنة لا محالة، حذّر من أمرها، ورغّب فيما فيها من الخير، فقال: ﴿ **وفي الآخرة عذاب شديد ومغفرة من الله ورضوان وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور** ﴾، أي: وليس في الآخرة الآتية القريبة إلا إما هذا وإما هذا؛ إما عذاب شديد، وإما مغفرة من الله ورضوان.

وقوله: ﴿ **وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور** ﴾، أي: هي متاع فانٍ غارّ لمن ركن إليه، فإنه يغتر بها، وتعجبه حتى يعتقد أنه لا دار سواها، ولا معاد وراءها، وهي [حقيرة][٤] قليلة بالنسبة إلىٰ الدار الآخرة.

قال ابن جرير: حدثنا عليّ بن حرب الموصلي، حدثنا المحاربي، حدثنا محمد بن عمرو، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة؛ قال: قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم: موضع سوط في الجنة خير من الدنيا وما فيها. اقرءوا ﴿ **وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور** ﴾ (٥٣). وهذا الحديث ثابت في الصحيح بدون هذه الزياده(٥٤)، والله أعلم.

---

(٥٣) - تفسير الطبري (٢٧/ ٢٣٢).

(٥٤) - أخرجه البخاري في كتاب: الرقاق، باب: مثل الدنيا في الآخرة، حديث (٦٤١٥) (١١/ ٢٣٢). ومسلم في كتاب الإمارة، باب: فضل الغدوة والروحة في سبيل الله، حديث (١٨١/١١٣) (٣٩/١٣). كلاهما من طريق عبد العزيز بن أبي حازم عن أبيه عن سهل بن سعد الساعدي مرفوعًا به.

---

[١] - في ز، خ: أقبل.

[٢] - في ز: أخضرا. كذا.

[٣] - في ت: حطامًا.

[٤] - في ز: جضرة.

وقال الإمام أحمد : حدثنا ابن نمير ووكيع ، كلاهما عن الأعمش ، عن شقيق ، عن عبد الله ؛ قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **للَجنة أقرب إلىٰ أحدكم من شراك نعله ، والنار مثل ذلك** »(٥٥).

انفرد بإخراجه البخاري في الرقاق من حديث الثوري عن الأعمش به(٥٦) .

ففي هذا الحديث دليل علىٰ اقتراب الخير والشر من الإنسان ، وإذا كان الأمر كذلك ، فلهذا حثه الله علىٰ المبادرة إلىٰ الخيرات ، من[١] فعل الطاعات ، وترك المحرمات ، التي تكفر عنه الذنوب والزلات ، وتحصل له الثواب والدرجات ، فقال تعالىٰ : ﴿ **سابقوا إلىٰ مغفرة من ربكم وجنة عرضها كعرض السماء والأرض** ﴾ : والمراد جنس السماء والأرض ، كما قال في الآية الأخرى : ﴿ **وسارعوا إلىٰ مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين** ﴾ . وقال هاهنا : ﴿ **أعدت للذين آمنوا بالله ورسله ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم** ﴾ ، أي : هذا الذي أهلهم الله له هو من فضله ومنه عليهم وإحسانه إليهم ، كما قدمنا في الصحيح أن فقراء المهاجرين قالوا : يا رسول الله ، ذهب أهل الدثور بالدرجات العلىٰ والنعيم المقيم . قال : « **وما ذاك ؟** » قالوا : يصلون كما نصلي ، ويصومون كما نصوم ، ويتصدقون ولا نتصدق ، ويُعتقون ولا نُعتق . قال : « **أفلا أدلكم علىٰ شيء إذا فعلتموه سبقتم من بعدكم ، ولا يكون أحد أفضل منكم إلا من صنع مثل ماصنعتم : تسبحون وتكبرون وتحمدون دبر كل صلاة ثلاثًا وثلاثين** » . قال : فرجعوا فقالوا : سمع إخواننا أهل الأموال ما فَعَلْنا ، ففعلوا مثله ! فقال رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم : « **ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء** »(٥٧).

مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا۟ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿٢٣﴾ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ

(٥٥) - المسند (١/٤٤٢) (٤٢١٦) .

(٥٦) - صحيح البخاري ، كتاب : الرقاق ، باب : الجنة أقرب إلى أحدكم من شراك نعله ، والنار مثل ذلك ، حديث (٦٤٨٨) (١١/٣٢١) .

(٥٧) - أخرجه البخاري في كتاب : الأذان ، باب : الذكر بعد الصلاة ، حديث (٨٤٣) (٢/٣٢٥) وطرفه في [٦٣٢٩] . ومسلم في كتاب : المساجد ، باب : استحباب الذكر بعد الصلاة ، حديث (١٤٢/٥٩٥) (٥/١٢٩ - ١٣١) .

[١] - في ز : و .

﴿ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴾ (٢٤)

يخبر تعالىٰ عن قدره السابق في خلقه قبل أن يبرأ البرية ، فقال : **﴿ ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم ﴾** ، أي : في الآفاق وفي نفوسكم ، **﴿ إلا في كتاب من قبل أن نبرأها ﴾** ، أي : من قبل أن نخلق الخليقة ونبرأ النسمة .

وقال بعضهم : **﴿ من قبل أن نبرأها ﴾** ، عائد علىٰ النفوس . وقيل : عائد علىٰ المصيبة . والأحسن عوده علىٰ الخليقة والبرية ، لدلالة الكلام عليها ، كما قال ابن جرير :

حدثني يعقوب ، حدثنا ابن عُلَيّة ، عن منصور بن عبد الرحمن ؛ قال : كنت جالسًا مع الحسن فقال رجل : سله عن قوله : **﴿ ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها ﴾** فسألته عنها ، فقال : سبحان اللَّه ! ومن يشك في هذا ؟ كل مصيبة بين السماء والأرض ففي كتاب اللَّه من قبل أن يبرأ النسمة (٥٨).

وقال قتادة : ما أصاب من مصيبة في الأرض . قال : هي السنون . يعني : الجَدْب ، **﴿ ولا في أنفسكم ﴾** ، يقول : الأوجاع والأمراض . قال : وبلغنا أنه ليس أحد يصيبه خدش عود ولا نَكْبَةُ قَدَم ، ولا خلجان عرق إلا بذنب ، وما يعفو اللَّه عنه أكثر .

وهذه الآية الكريمة من أدل دليل على القدرية نفاة العلم السابق قبّحهم الله . وقال الإمام أحمد :

حدثنا أبو عبد الرحمن ، حدثنا حيوة وابن لهيعة ؛ قالا[١] : حدثنا أبو هانئ الخولاني ؛ أنه سمع أبا عبد الرحمن الحُبُلي ؛ يقول : سمعت عبد اللَّه بن عمرو بن العاص ؛ يقول : سمعت رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم ؛ يقول : « **قَدَّر اللَّه المقادير قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة** » (٥٩).

ورواه مسلم في صحيحه ، من حديث عبد اللَّه بن وَهب وحَيوة بن شُرَيح ونافع بن يزيد ، ثلاثتهم عن أبي هانئ به . وزاد ابن وهب : « **وكان عرشه علىٰ الماء** »(٦٠).

---

(٥٨) - تفسير الطبري (٢٣٤/٢٧) .

(٥٩) - المسند (١٦٩/٢) (٦٥٧٩) .

(٦٠) - صحيح مسلم ، كتاب : القدر ، باب : حجاج آدم وموسى عليهما السلام ، حديث (٢٦٥٣/١٦) (٣١٠/١٦) .

---

[١] - في خ : قالوا .

ورواه الترمذي وقال : حسن صحيح (٦١).

وقوله : ﴿ إن ذلك على الله يسير ﴾ ، أي : إن علمه تعالىٰ الأشياء قبل كونها وكتابته لها طبق ما يوجد في حينها ، سهل علىٰ الله - عز وجل - لأنه يعلم ماكان وما يكون ، وما لم يكن لو كان كيف كان يكون .

وقوله : ﴿ لكيلا تأسوا علىٰ مافاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم ﴾ ، أي : أعلمناكم بتقدم علمنا وسبق كتابتنا للأشياء قبل كونها ، وتقديرنا الكائنات قبل وجودها ، لتعلموا أن ما أصابكم لم يكن ليخطئكم ، وما أخطأكم لم يكن ليصيبكم ، فلا تأسوا علىٰ مافاتكم ، فإنه لو قدر شيء لكان ﴿ ولاتفرحوا بما أتاكم ﴾ ، [أي][١] : جاءكم ، ويقرأ ﴿ آتاكم ﴾ ، أي أعطاكم . وكلاهما متلازم ، أي : لاتفخروا علىٰ الناس بما أنعم الله به عليكم ، فإن ذلك ليس بسعيكم ولا كدكم ، وإنما هو عن قدر [الله ورزقه لكم ، فلا تتخذوا نعم الله أشرًا وبطرًا ، تفخرون بها علىٰ الناس ، ولهذا][٢] قال : ﴿ والله لا يحب كل مختال فخور ﴾ ، أي : مختال في نفسه ، متكبر ﴿فخور﴾ ، أي: علىٰ غيره .

وقال عكرمة : ليس أحد إلا وهو يفرح ويحزن ، ولكن اجعلوا الفرح شكرًا ، والحزن صبرًا .

ثم قال : ﴿ الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل ﴾ ، أي : يفعلون المنكر ويحضّون الناس عليه ، ﴿ ومن يتول ﴾ ، أي : عن أمر الله وطاعته ، ﴿ فإن الله هو الغني الحميد ﴾ ، كما قال موسىٰ عليه السلام : ﴿ إن تكفروا أنتم ومن في الأرض جميعًا فإن الله لغني حميد ﴾ .

لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٢٥﴾

يقول تعالىٰ : ﴿ لقد أرسلنا رُسُلنا بالبينات ﴾ ، أي : بالمعجزات ، والحجج الباهرات ،

(٦١) - سنن الترمذي ، كتاب : القدر ، باب : (١٨) ، حديث (٢١٥٧) (٣٢٦/٦) .

[١] - في ز ، خ : إن .

[٢] - ما بين المعكوفين سقط من ز ، خ .

والدلائل القاطعات ، ﴿ **وأنزلنا معهم الكتاب** ﴾ ، وهو : النقل المصدق ﴿ **والميزان** ﴾ ، وهو : العدل . قاله مجاهد ، وقتادة ، وغيرهما ، وهو الحق الذي تشهد به العقول الصحيحة المستقيمة المخالفة للآراء السقيمة ، كما قال : ﴿ **أفمن كان علىٰ بينة من ربه ويتلوه شاهد منه** ﴾ ، وقال : ﴿ **فطرت اللّٰه التي فطر الناس عليها** ﴾ وقال : ﴿ **والسماء رفعها ووضع الميزان** ﴾ . ولهذا قال في هذه الآية : ﴿ **ليقوم الناس بالقسط** ﴾ ، أي : بالحق والعدل ، وهو اتباع الرسل فيما أخبروا به ، وطاعتهم فيما أمروا به ، فإن الذي جاءوا به هو الحق الذي ليس وراءه حق ، كما قال : ﴿ **وتمت كلمة[١] ربك صدقًا وعدلًا** ﴾ . أي : صدقًا في الإخبار ، وعدلًا في الأوامر والنواهي ؛ ولهذا يقول المؤمنون إذا تبوءوا غرف الجنات ، والمنازل العاليات ، والسرر المصفوفات : ﴿ **الحمد للّٰه الذي هدانا لهذا وماكنا لنهتدي لولا أن هدانا اللّٰه لقد جاءت رسل ربنا بالحق** ﴾ .

وقوله : ﴿ **وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد** ﴾ ، أي : وجعلنا الحديد رَادعًا لمن أبى الحق وعانده بعد قيام الحجة عليه ؛ ولهذا أقام رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم بمكة بعد النبوة [ثلاث عشرة][٢] سنة توحىٰ إليه السور المكية ، وكلها جدال مع المشركين ، وبيان وإيضاح للتوحيد ، وتبيان ودلائل ، فلما قامت الحجة علىٰ من خالف[٣] منهم[٤] ، شرع اللّٰه الهجرة ، وأمرهم بالقتال بالسيوف ، وضرب الرقاب والهام لمن خالف القرآن وكذب به وعانده .

وقد روى الإمام أحمد وأبو داود ، من حديث عبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان ، عن حسان بن عطية ، عن [أبي المنيب][٥] الجرشي الشامي ، عن ابن عمر؛ قال : قال رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **بعثت بالسيف بين يدي الساعة حتىٰ يعبد اللّٰه وحده لاشريك له ، وجعل رزقي تحت ظل رمحي ، وجعل الذلة والصغار علىٰ من خالف أمري ، ومن تشبه بقوم فهو منهم** »(٦٢).

ولهذا قال تعالى : ﴿ **فيه بأس شديد** ﴾ يعني : السلاح ، كالسيوف والحراب[٦] ، والسنان

---

(٦٢) - أخرجه أحمد (٢/ ٥٠، ٩٢) (٥١١٤، ٥١١٥، ٥٦٦٧) . وأبو داود في كتاب : اللباس ، باب : في لبس الشهرة ، حديث (٤٠٣١) (٤/٤٤) . وفي إسناده عبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان : صدوق يخطئ وتغير بأخرة . لكن للحديث طرق صحح بها الألباني هذا الحديث في الارواء برقم (١٢٦٩) فراجعه . وقد صححه الشيخ أحمد شاكر في تعليقه على المسند .

---

[١] - في ز ، خ : كلمات .

[٢] - في خ : ثلاثة عشر .

[٣] - في ز : تخلف .

[٤] - سقط من ت .

[٥] - في ز ، خ : ابن المسيب .

[٦] - في ز : والجعاب .

والنصال، والدروع ونحوها. ﴿ومنافع للناس﴾، أي: في معايشهم كالسكة والفأس والقدوم، والمنشار، والإزميل، والمجرفة، والآلات التي يستعان بها في الحراثة والحياكة والطبخ والخبز، وما لا قوام للناس بدونه، وغير ذلك.

قال علباء بن أحمد عن عكرمة، عن ابن عباس؛ قال: ثلاثة أشياء نزلت مع آدم: السندان والكلبتان والميقعة[١]، يعني المطرقة. رواه ابن جرير وابن أبي حاتم (٦٣).

وقوله: ﴿وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب﴾، أي: من نيته في حمل السلاح نصرة الله ورسله، ﴿إن الله قوي عزيز﴾، أي: هو قوي عزيز، ينصر من نصره[٢] من غير احتياج منه إلى الناس، وإنما شرع الجهاد ليبلو بعضكم ببعض[٣].

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَٰهِيمَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِمَا ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ فَمِنْهُم مُّهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ (٢٦) ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا ۖ فَـَٔاتَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ (٢٧)

يخبر تعالى أنه منذ بعث نوحًا -عليه السلام- لم يرسل بعده رسولًا ولا نبيًا إلا من ذريته، وكذلك إبراهيم - عليه السلام - خليل الرحمن، لم ينزل من السماء كتابًا، ولا أرسل رسولًا ولا أوحى إلى بشر من بعده إلا وهو من سلالته، كما قال في الآية الأخرى: ﴿وجعلنا في ذريته النبوة والكتاب﴾، حتى كان آخر أنبياء بني إسرائيل عيسى ابن مريم الذي بشر بعده بمحمد - صلوات الله وسلامه عليهما - ولهذا قال تعالى: ﴿ثم قفينا على آثارهم برسلنا وقفينا بعيسى ابن مريم وآتيناه الإنجيل﴾، وهو الكتاب الذي أوحاه الله إليه، ﴿وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه﴾ وهم الحواريون ﴿رأفة ورحمة﴾، أي: رأفة

(٦٣) - تفسير الطبري (٢٣٧/٢٧).

[١] - في ز: المنفعة.

[٢] - في ز: نصر.

[٣] - في ز: بعضًا.

وهي الخشية ﴿ ورحمة ﴾ بالخلق .

وقوله : ﴿ ورهبانية ابتدعوها ﴾ ، أي : ابتدعها أمة النصارى ، ﴿ ما كتبناها عليهم ﴾ ، أي : ماشرعناها لهم ، وإنما هم التزموها من تلقاء أنفسهم .

وقوله : ﴿إلا ابتغاء رضوان الله﴾ فيه قولان أحدهما : أنهم قصدوا بذلك رضوان الله ، قاله سعيد بن جبير وقتادة . والآخر : ما كتبنا عليهم ذلك إنما كتبنا عليهم ابتغاء رضوان الله .

وقوله : ﴿ فما رعوها حق رعايتها ﴾ ، أي : فما قاموا بما[١] التزموه حق القيام . وهذا ذم لهم من وجهين ؛ أحدهما : في الابتداع في دين الله مالم يأمر به الله . والثاني : في عدم قيامهم بما التزموه مما زعموا أنه قربة يقربهم إلىٰ الله ، عز وجل .

وقد قال ابن أبي حاتم : حدثني إسحاق بن أبي حمزة أبو يعقوب الرازي ، حدثنا السندي[٢] ابن [عبدويه][٣] ، حدثنا بكير[٤] بن معروف ، عن مقاتل بن حيان ، عن القاسم بن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود ، عن أبيه ، عن جده ابن مسعود ؛ قال : قال لي رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « يا ابن مسعود » قلت : لبيك يا رسول الله ؛ قال : هل علمت أن بني إسرائيل افترقوا علىٰ ثنتين وسبعين فرقة لم ينج منها إلا ثلاث فرق ، قامت بين الملوك والجبابرة بعد عيسىٰ ابن مريم - عليه السلام - فدعت إلىٰ دين الله ودين عيسىٰ ابن مريم ، فقاتلت الجبابرة فقُتلت فصبرت ونجت ، ثم قامت طائفة أخرىٰ لم يكن لها قوة بالقتال ، فقامت بين الملوك والجبابرة ، فدعوا إلىٰ دين الله ودين عيسىٰ ابن مريم ، فقتلت ، وقطعت [بالمياشير][٥] ، وحرقت بالنيران ، فصبرت ونجت ، ثم قامت طائفة أخرىٰ لم يكن لها قوة بالقتال ، ولم تطق القيام بالقسط ، فلحقت بالجبال ، [فتعبدت][٦] وترهبت ، وهم الذين ذكر الله عز وجل : ﴿ ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم ﴾ .

وقد رواه ابن جرير بلفظ آخر من طريق أخرىٰ ، فقال : حدثنا يحيىٰ بن أبي طالب ، حدثنا داود بن المحبر ، حدثنا الصَّعق بن حزن ، حدثنا عقيل الجعدي ، عن أبي إسحاق الهمداني ، عن سويد بن غفلة ، عن عبد الله بن مسعود ؛ قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « اختلف من كان قبلنا علىٰ ثلاث وسبعين فرقة ، نجا منهم ثلاث وهلك سائرهم . ..» وذكر نحو ما تقدم ، وفيه : ﴿ فآتينا الذين آمنوا منهم أجرهم ﴾ :

---

[١] - في خ : بها .
[٢] - في ز ، خ : السري .
[٣] - في ز ، خ : عبد ربه .
[٤] - في ز : بكر .
[٥] - في ز : بالمناشير .
[٦] - في ز : فعبدت .

[هم][١] الذين آمنوا بي وصدقوني ، ﴿ وكثير منهم فاسقون ﴾ ، وهم الذين كذبوني وخالفوني(٦٤) .

ولا [يقدح في هذه المتابعة][٢] لحال داود بن المحبر ، فإنه أحد الوضاعين للحديث ، لكن قد أسنده أبو يعلىٰ ، وسنده عن شيبان بن فروخ ، عن الصعق بن حَزْن ، به مثل ذلك . فقوي الحديث من هذا الوجه (٦٥).

وقال ابن جرير ، وأبو عبد الرحمن النسائي - [واللفظ له][٣] - : أخبرنا الحسين بن حُرَيث ، حدثنا الفضل بن موسى ، عن سفيان بن سعيد ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جُبير ، عن ابن عباس ، رضي الله عنه ؛ قال : كان ملوك بعد عيسىٰ - عليه السلام - بدلت التوراة والإنجيل ، فكان منهم مؤمنون يقرءون التوراة والإنجيل ، فقيل لملوكهم : ما نجد شيئًا أشد من شتم يشتمونا هؤلاء ، إنهم يقرءون : ﴿ ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون ﴾ [هؤلاء][٤] الآيات ، مع ما يعيبوننا [به][٥] من أعمالنا في قراءتهم ، فادعهم فليقرءوا كما نقرأ ، وليؤمنوا كما آمنا ؛ فدعاهم فجمعهم وعرض عليهم القتل أو يتركوا قراءة التوراة والإنجيل ، إلا مابدلوا منها ، فقالوا : ماتريدون إلىٰ ذلك ؟ دعونا ، فقالت طائفة منهم : ابنوا لنا أسطوانة ، ثم ارفعونا إليها ، ثم أعطونا شيئًا نرفع به طعامنا وشرابنا فلا نرد عليكم . وقالت طائفة : دعونا نسيح في الأرض ونهيم ونشرب كما يشرب الوحش ، فإن قدرتم علينا في أرضكم فاقتلونا . وقالت طائفة : ابنوا لنا دورًا في الفيافي ، ونحتفر الآبار [ونحترث البقول][٦] فلا نَرد عليكم ولا نمر بكم . وليس أحد من القبائل إلا له حميم [فيهم ، ففعلوا][٧] ذلك ، فأنزل الله -عز وجل- : ﴿ ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم إلا ابتغاء رضوان الله فما رعوها حق رعايتها ﴾ . والآخرون

---

(٦٤) - أخرجه الطبري (٢٣٩/٢٧ - ٢٤٠) .

(٦٥) - أخرجه الطبراني في الكبير (٢٧١/١٠ - ٢٧٢) (١٠٥٣١) . والصغير (٢٢٣/١ - ٢٢٤) . من طريق شيبان بن فروخ عن الصعق بن حزن . وأخرجه الحاكم (٤٨٠/٢) من طريق الصعق وقال : صحيح . وتعقبه الذهبي بقوله : ليس بصحيح فإن فيه الصعق بن حزن عن عقيل بن يحيى ، فإن الصعق وإن كان موثقًا ، فإن شيخه قال البخاري فيه : منكر الحديث . وقال الهيثمي (٩٥/١) : رواه الطبراني في الصغير ، وفيه عقيل بن الجعد ، قال البخاري : منكر الحديث .

---

[١] - سقط من ز .

[٢] - ما بين المعكوفين في ز : « يفرح بهذه المبالغة » .

[٣] - سقط من ز ، خ .

[٤] - في خ ، ت : هذه .

[٥] - في ز ، خ : فيه .

[٦] - سقط من ز ، خ .

[٧] - في ز : « فهم يفعلوا » .

قالوا : نتعبد كما تعبد فلان ، ونسيح كما ساح فلان ، ونتخذ دورًا كما اتخذ فلان ، وهم علىٰ شركهم لا علم لهم بإيمان الذين اقتدوا بهم ، فلما بُعث النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم ولم يبق منهم إلا القليل ، انحط منهم رجل من صومعته ، وجاء سائح من سياحته ، وصاحب الدير من ديره ، فآمنوا به وصدقوه ، فقال[١] اللَّه -عز وجل- : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا اتقوا [اللَّه]**[٢] **وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته** ﴾ ، أجرين : بإيمانهم بعيسىٰ ابن مريم، [نصب أنفسهم][٣] [بالتوراة]Hallo[٤] والإنجيل ، وبإيمانهم بمحمد ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، وتصديقهم[٥] ، قال : ﴿ **ويجعل لكم نورًا تمشون به** ﴾ : القرآن ، واتباعهم النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، قال : ﴿ **لئلا يعلم أهل الكتاب** ﴾ الذين يتشبهون بكم ﴿ **أن لايقدرون علىٰ شيء من فضل اللَّه وأن الفضل بيد اللَّه يؤتيه من يشاء واللَّه ذو الفضل العظيم** ﴾(٦٦).

هذا السياق فيه غرابة وسيأتي تفسير هاتين [الآيتين][٦] الأخريين علىٰ غير هذا ، واللَّه أعلم .

وقال الحافظ أبو يعلى الموصلي : حدثنا أحمد بن عيسىٰ ، حدثنا عبد اللَّه بن وهب ، حدثني سعيد بن عبد الرحمن بن أبي العَمياء ؛ أن سهل بن أبي أمامة حدثه ؛ أنه دخل هو وأبوه علىٰ أنس بن مالك بالمدينة زمان عمر بن عبد العزيز وهو أمير ، وهو يصلي صلاة خفيفة ، [ ][٧] كأنها صلاة مسافر أو قريبًا منها ، فلما سلم قال : يرحمك اللَّه ! أرأيت هذه الصلاة المكتوبة ، أم شيء تنفلته ؟ قال : إنها المكتوبة ، وإنها صلاة رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم ما أخطأت إلا شيئًا سهوت عنه ، إن رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم كان يقول : « **لا تشددوا علىٰ أنفسكم فيشدد عليكم ، فإن قومًا شددوا علىٰ أنفسهم فشدد عليهم ، فتلك بقاياهم في الصوامع والديارات ، رهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم** » . ثم غدوا من الغد فقالوا : نركب فننظر ونعتبر . قال : نعم ، فركبوا جميعًا ، فإذا هم بديار قفر قد باد أهلها وانقرضوا وفنوا ، خاوية علىٰ عروشها ، فقالوا : تعرف هذه الديار ؟ قال : ما أعرفني بها وبأهلها . هؤلاء [أهل][٨] الديار ، أهلكهم البغي والحسد ، إن الحسد يطفيء

(٦٦) - أخرجه الطبري (٢٣٩/٢٧) ، والنسائي في الكبرى في كتاب : التفسير ، باب : سورة الحديد ، حديث (١١٥٦٧) (٤٨٠/٦ - ٤٨١) . وفي إسناده عطاء بن السائب وكان قد اختلط .

[١] - في خ : فأنزل .
[٢] - سقط من ز .
[٣] - في ت : « وتصديقهم » .
[٤] - في ز : والتوراة .
[٥] - سقط من خ .
[٦] - سقط من ز ، خ .
[٧] - في ز ، خ : وقعة .
[٨] - في ز ، خ : على .

نور الحسنات ، والبغي يصدق ذلك أو يكذبه ، والعين تزني والكف والقدم والجسد واللسان ، والفرج يصدق ذلك أو يكذبه (٦٧).

وقال الإمام أحمد : حدثنا [معمر][١] ، حدثنا عبد الله ، أخبرنا سفيان ، عن زيد العمّي ، عن أبي إياس ، عن أنس بن مالك ؛ أن النبي ، صلىٰ الله عليه وسلم ، قال : « **لكل نبي رهبانية ، ورهبانية هذه الأمة الجهاد في سبيل الله عز وجل** »(٦٨) . ورواه الحافظ أبو يعلى عن عبد الله بن محمد بن أسماء ، عن عبد الله بن المبارك به ، ولفظه : « **لكل أمة رهبانية ، ورهبانية هذه الأمة الجهاد في سبيل الله** » (٦٩).

وقال الإمام أحمد: حدثنا حسين - هو ابن محمد - حدثنا [ابن عياش][٢] - يعني إسماعيل - عن الحجاج [بن مروان الكلاعي ، وعقيل بن مدرك السلمي][٣] عن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - أن رجلًا جاءه فقال : أوصني . فقال : سألت عما سألت عنه رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم من قبلك ؛ أوصيك بتقوىٰ الله ، فإنه رأس كل شيء ، وعليك بالجهاد ، فإنه رهبانية الإسلام ، وعليك بذكر الله وتلاوة القرآن ، فإنه روحك في السماء وذكرك في الأرض »(٧٠) . تفرد به أحمد .

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ يُؤۡتِكُمۡ كِفۡلَيۡنِ مِن رَّحۡمَتِهِۦ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ نُورٗا تَمۡشُونَ بِهِۦ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٢٨﴾ لِّئَلَّا يَعۡلَمَ أَهۡلُ ٱلۡكِتَٰبِ أَلَّا يَقۡدِرُونَ عَلَىٰ شَيۡءٖ مِّن فَضۡلِ ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱلۡفَضۡلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٢٩﴾

(٦٧) - مسند أبي يعلى (٣٦٥/٦) (٣٦٩٤) . وفي إسناده سعيد بن عبد الرحمن بن أبي العمياء قال الحافظ : مقبول . والحديث أخرجه أبو داود (٤٩٠٤) . وضعفه الألباني في الضعيفة (٣٤٦٨) .

(٦٨) - المسند أحمد (٢٦٦/٣) (١٣٨٣٥) وفي إسناده زيد العمى وهو ضعيف .

(٦٩) - مسند أبي يعلى (٢١٠/٧) (١٤٤٩) . قال الهيثمي في « المجمع » (٢٨١/٥) : رواه أبو يعلى وأحمد وفيه زيد العمى ؛ وثقه أحمد وغيره ، وضعفه أبو زرعة وغيره ، وبقية رجاله رجال الصحيح .
والحديث أخرجه ابن عدي في الكامل في ترجمة زيد هذا (١٠٥٦/٣) ونقل عن يحيى بن معين والنسائي تضعيفه .

(٧٠) - المسند (٨٢/٣) (١١٧٩٠) وفي إسناده حجاج بن مروان الكلاعى ؛ قال الحسيني : ليس بالمشهور .

[١] - في ت : يعمر .

[٢] - ما بين المعكوفين في ز ، خ : عياض . [٣] - ما بين المعكوفين سقط من ز ، خ .

قد تقدم في رواية النسائي عن ابن عباس أنه حمل هذه الآية على مؤمني أهل الكتاب ، وأنهم يؤتون أجرهم مرتين(٧١) ، كما في الآية التي في القصص ، وكما في حديث الشعبي عن أبي بُرْدة ، [ ][١] عن أبي موسىٰ الأشعري؛ قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين : رجل من أهل الكتاب آمن بنبيه وآمن بي فله أجران ، وعبد مملوك أدىٰ حق الله وحق [مواليه][٢] فله أجران ، ورجل أدب أمته فأحسن تأديبها ثم أعتقها وتزوجها فله أجران** » . أخرجاه في الصحيحين(٧٢)، ووافق ابن عباس علىٰ هذا التفسير الضحاك وعتبة بن أبي حكيم ، وغيرهما ، وهو اختيار ابن جرير .

وقال سعيد بن جبير : لما افتخر أهلُ الكتاب بأنهم يؤتون أجرهم مرتين، أنزل الله هذه الآية في حق هذه الأمة : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته** ﴾ ، أي : ضعفين ، وزادهم : ﴿ **ويجعل لكم نورًا تمشون به** ﴾ ، يعني هدًى يُتَبصَّر به من العمىٰ والجهالة ، ﴿ **ويغفر لكم** ﴾ ففضلهم بالنور والمغفرة . ورواه ابن جرير [عنه][٣] .

وهذه الآية كقوله تعالىٰ : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا إن تتقوا الله يجعل لكم فرقانًا ويكفر عنكم سيئاتكم ويغفر لكم والله ذو الفضل العظيم** ﴾ وقال سعيد بن عبد العزيز : سأل عمر بن الخطاب حَبرًا من أحبار يهود : [كم][٤] أفضل ما [ضعف][٥] لكم حسنة ؟ قال : كفل ثلاثمائة [وخمسون][٦] حسنة . قال : فحمد الله عمر علىٰ أنه أعطانا كفلين . [ثم][٧] ذكر سعيد قول الله عز وجل : ﴿ **يؤتكم كفلين من رحمته** ﴾ ، قال

= قال ابن حجر ، حديثه في المسند مقرون بعقيل بن مدرك . كذا في التعجيل (٨٧) ، وقد تابع عقيل بن مدرك حجاج ، وعقيل بن مدرك ذكره ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل (٢١٩/٦) ولم يذكر فيه جرحًا ولا تعديلًا . وقال الحافظ في التقريب : مقبول .

والحديث عند أبي يعلى (٢٨٣/٢ - ٢٨٤) (١٠٠٠) ، وابن الضريس (٦٨) كلاهما من طريق ليث بن أبي سليم .

قال الهيثمي في « مجمع الزوائد » (٢١٨/٤) : رواه أحمد وأبو يعلى .... ورجال أحمد ثقات ، وفي إسناد أبي يعلى ليث بن أبي سليم وهو مدلس .اهـ .

(٧١) - تقدم قبل أربعة أحاديث .

(٧٢) - أخرجه البخاري في كتاب : العلم ، باب : تعليم الرجل أمته وأهله ، حديث (٩٧) (١٩٠/١) وأطرافه [٢٥٤٤، ٢٥٤٧، ٢٥٥١، ٣٠١١، ٣٤٤٦، ٥٠٨٣] . =

[١] - في ز ، خ : عن أبيه .
[٢] - في ز : مولاه .
[٣] - سقط من ز .
[٤] - سقط من ز .
[٥] - في ت : ضعفت .
[٦] - في ز : وخمسين .
[٧] - سقط من ت .

سعيد : والكفلان في الجمعة مثل ذلك . رواه ابن جرير .

ومما يؤيد هذا القول ما رواه الإمام أحمد : حدثنا إسماعيل ، حدثنا أيوب ، عن نافع ، عن ابن عمر؛ قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم « **مثلكم ومثل اليهود والنصارىٰ كمثل رجل استعمل عمالًا ، فقال : من يعمل لي من صلاة الصبح إلىٰ نصف النهار علىٰ قيراط قيراط ؟ ألا فعملت اليهود . ثم قال : من يعمل لي من نصف النهار إلىٰ [صلاة][١] العصر علىٰ قيراط قيراط ؟ ألا فعملت النصارىٰ . ثم قال : من يعمل لي من صلاة العصر إلىٰ غروب الشمس علىٰ قيراطين قيراطين ؟ ألا فأنتم الذين عملتم . فغضبت النصارىٰ واليهود ، وقالوا : نحن أكثر عملًا وأقل عطاء . قال : هل ظلمتكم من أجركم شيئًا ؟ قالوا : لا . قال : فإنما هو فضلي أوتيه من أشاء**»(٧٣) . قال أحمد : وحدثناه مؤمل ، عن سفيان ، عن عبد الله بن دينار ، عن ابن عمر ، نحو حديث نافع ، عنه (٧٤)انفرد بإخراجه البخاري فرواه عن سليمان بن حرب ، عن حماد ، [عن أيوب][٢] عن نافع به ، وعن قتيبة عن الليث عن نافع بمثله (٧٥).

وقال البخاري : حدثني محمد بن العلاء ، حدثنا أبو أسامة ، [عن بريد][٣] ، عن أبي بردة ، عن أبي موسىٰ ، عن النبي صلىٰ الله عليه وسلم؛ قال : « **مثل المسلمين واليهود والنصارىٰ كمثل رجل استأجر قومًا يعملون له عملًا يومًا إلىٰ الليل علىٰ أجر معلوم ، فعملوا إلىٰ نصف النهار، فقالوا : لا حاجة لنا إلىٰ أجرك الذي شرطت لنا ، وما عملنا باطل . فقال لهم : لا تفعلوا ، أكملوا بقية عملكم وخذوا أجركم كاملًا ، فأبوا وتَرَكوا ، واستأجر آخرين بعدهم فقال : أكملوا بقية يومكم ولكم الذي شرطت لهم من الأجر . فعملوا حتىٰ إذا كان حين صلوا العصر قالوا : ما عملنا باطل ، ولك الأجر الذي جعلت لنا فيه . فقال : أكملوا بقية عملكم ؛ فإن ما بقي من النهار شيء يسير . فأبوا ، فأستأجر قومًا أن يعملوا له بقية يومهم ، فعملوا بقية يومهم حتىٰ غابت الشمس ، فاستكملوا أجر**

= ومسلم في كتاب الإيمان ، باب : وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد - صلى الله عليه وسلم - إلى جميع الناس ونسخ الملل بملته ، حديث (١٥٤/٢٤١) (٢/٢٤٥ - ٢٤٦) .

(٧٣) - المسند (٦/٢) (٤٥٠٨) .

(٧٤) - المسند (١١١/٢) (٥٩٠٢) .

(٧٥) - صحيح البخاري ، كتاب : الإجارة ، باب : الإجارة إلى نصف النهار ، حديث (٢٢٦٨) (٤/ ٤٤٥) .

---

[١] - سقط من ز .

[٢] - سقط من خ ، ز .

[٣] - سقط من خ . وفي ز : « عن يزيد » .

الفريقين [كليهما][١] فذلك مثلهم ومثل ما قَبلُوا من هذا النور »(٧٦). انفرد به البخاري؛ ولهذا قال تعالىٰ : ﴿ **لئلا يعلم أهل الكتاب ألا يقدرون علىٰ شيء من فضل اللّٰه** ﴾ ، أي : ليتحققوا أنهم لا يقدرون علىٰ رد ما أعطاه اللّٰه ، ولا إعطاء ما منع اللّٰه ، ﴿ **وأن الفضل بيد اللّٰه يؤتيه من يشاء واللّٰه ذو الفضل العظيم** ﴾ .

قال ابن جرير : ﴿ **لئلا يعلم** ﴾ أي : ليعلم. وقد ذكر عن ابن مسعود أنه قرأها : ﴿ **لكي يعلم** ﴾ . وكذا حطّان[٢] بن عبد اللّٰه ، وسعيد بن جبير ، قال ابن جرير : لأن العرب تجعل « لا » صلة في كل كلام دخل في أوله أو آخره جحد غير[٣] مصرح ، فالسابق كقوله : ﴿ **ما منعك ألا تسجد** ﴾ ، ﴿ **وما يشعركم أنها إذا جاءت لا يؤمنون** ﴾ ، ﴿ **وحرام علىٰ قرية أهلكناها أنهم لا يرجعون** ﴾ .

آخر تفسير سورة الحديد .

[ولله الحمد والمنة][٤]

☆ ☆ ☆

(٧٦) - أخرجه البخاري في كتاب : الإجارة ، باب : الإجارة من العصر إلى الليل ، حديث (٢٢٧١) (٤/ ٤٤٧ - ٤٤٨) .

[١] - سقط من ز ، خ .
[٢] - في خ : عطاء .
[٣] - في ز : عن .
[٤] - سقط من ز ، ت .

تفسير سورة المجادلة

وهي مدنية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ (١)

قال الإمام أحمد (١) : حدثنا أبو معاوية ، حدثنا الأعمش ، عن تميم[١] بن سلمة ، عن عروة ، عن عائشة قالت : الحمد لله الذي وسع سمعه الأصوات ، لقد جاءت المجادلةُ إلىٰ النبي صلىٰ الله عليه وسلم تكلمه وأنا في ناحية البيت ، ما أسمع ما تقول ، فأنزل الله - عز وجل - : ﴿ **قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها** ﴾ ... إلىٰ آخر الآية .

وهكذا رواه البخاري في كتاب التوحيد تعليقًا ، فقال : وقال الأعمش : عن [تميم بن سلمة][٢] ، عن عروة ، عن عائشة .. فذكره .

وأخرجه النسائي وابن ماجة ، وابن أبي حاتم ، وابن جرير من غير وجه ، عن الأعمش ، به .

وفي رواية لابن أبي حاتم عن الأعمش ، عن [تميم بن سلمة][٣] ، عن عروة ، عن عائشة أنها قالت : تبارك الذي أوعىٰ سمعه كل شيء ، إني لأسمع[٤] كلام خولة بنت ثعلبة ، ويخفى علي بعضه ، وهي تشتكي زوجها إلىٰ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم وهي تقول : يا رسول الله ؛ أكل شبابي ، ونثرت[٥] له بطني ، حتىٰ إذا كبرت سني ، وانقطع

(١) **صحيح** ، أخرجه أحمد (٤٦/٦) برقم (٢٤٣٠٦) ، والبخاري تعليقًا بصيغة الجزم في كتاب : التوحيد ، باب : ﴿ **وكان الله سميعًا بصيرًا** ﴾ (٣٧٢/١٣) ، والنسائي (١٦٨/٨) كتاب الطلاق ، باب : الظهار ، وابن ماجة في المقدمة ، باب : فيما أنكرت الجهمية ، حديث (١٨٨) ، وفي كتاب الطلاق ، باب : الظهار ، حديث (٢٠٦٣) ، والطبري (٢٨/ ٥، ٦) ، والحاكم (٤٨١/٢) وصححه . والبيهقي (٣٨٢/٧) ، وأبو يعلى في مسنده (٢١٤/٨) ، وسعيد بن منصور في سننه بأطول منه (١٣/٢) ، وعبد بن حميد في مسنده (٢٣٥/٣) .

[١] - في ز ، خ: « سهم » .
[٢] - في ز، خ : « عبدة » .
[٣] - في ز، خ : « سهم » . بن مسلمة .
[٤] - في ز، خ : « أسمع » .
[٥] - في ز ، خ : « مرث » .

ولدي ، ظاهر مني ، اللَّهم إني أشكو إليك . قالت : فما برحت حتىٰ نزل جبريل بهذه الآية : ﴿ **قد سمع اللَّه قول التي تجادلك في زوجها** ﴾ . وقال : وزوجها أوس بن الصامت .

وقال ابن لهيعة ، عن أبي الأسود ، عن عروة : هو[١] أوس بن الصامت . وكان أوس امرءًا[٢] به لمم ، فكان إذا أخذه لممه واشتد به يظاهر من امرأته ، وإذا ذهب لم يقل شيئًا ، فأتت رسول اللَّه تستفتيه في ذلك وتشتكي إلىٰ اللَّه . ...، فأنزل اللَّه : ﴿ **قد سمع اللَّه قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي إلىٰ اللَّه** ﴾ .. الآية .

وهكذا [رواه هشام][٣] بن عروة ، عن أبيه : أن رجلًا كان به لمم ، فذكر مثله (٢) .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا موسىٰ بن إسماعيل - أبو سلمة - حدثنا جرير - يعني : ابن حازم - قال : سمعت أبا يزيد يحدث قال : لَقِيَتْ امرأةٌ عُمَرَ - يقال لها : خولة بنت ثعلبة - وهو يسير مع الناس ، فاستوقفته فوقف لها ودنا منها وأصغىٰ إليها رأسه ، ووضع يديه علىٰ منكبيها حتىٰ قضت حاجتها وانصرفت . فقال له رجل : يا أمير المؤمنين حبست رجالات قريش علىٰ هذه العجوز ؟ ! قال : ويحك ! وتدري من هذه ؟ قال : لا . قال : هذه امرأة سمع اللَّه شكواها من فوق سبع سماوات ، هذه خولة بنت ثعلبة ، واللَّه لو لم تنصرف عني إلى الليل ما انصرفت حتي تقضي حاجتها إلا أن تحضر صلاة فأصليها ثم أرجع إليها حتى تقضي حاجتها .

هذا منقطع بين أبي يزيد وعمر بن الخطاب . وقد روي من غير هذا الوجه .

وقال ابن أبي حاتم أيضًا : حدثنا المنذر بن شاذان ، حدثنا يعلى ، حدثنا زكريا ، عن عامر قال : المرأة التي جادلت في زوجها : خولة بنت الصامت ، وأمها معاذة التي أنزل اللَّه فيها : ﴿ **ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء إن أردن تحصنًا** ﴾ . صوابه : خولة امرأة أوس بن الصامت .

ٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَآئِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَٰتِهِمۡۖ إِنۡ أُمَّهَٰتُهُمۡ إِلَّا ٱلَّٰٓـِٔي

(٢) - أخرجه الطبري (٦/٢٨) من طريق هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة : أن جميلة كانت امرأة أوس ابن الصامت ... الحديث فذكر نحوه . وصححه الحاكم (٤٨١/٢) على شرط مسلم ووافقه الذهبي .

[١] - في ز، خ : « من » . [٢] - سقط من : ز ، خ .

[٣] - ما بين المعكوفتين في ز ، خ: « روى همام » .

﴿وَلَدْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِّنَ الْقَوْلِ وَزُورًا وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ﴿٢﴾
وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِن نِّسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَّا
ذَٰلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٣﴾ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ
مُتَتَابِعَيْنِ مِن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَّا فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ذَٰلِكَ لِتُؤْمِنُوا
بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤﴾﴾

قال الإمام أحمد (٣) : حدثنا سعد بن إبراهيم ويعقوب قالا : حدثنا أبي ، حدثنا محمد ابن إسحاق ، حدثني معمر بن عبد الله بن حنظلة ، عن[يوسف][١] ابن عبد الله بن سلام ، عن خُويلة بنت ثعلبة قالت : فيّ - والله - وفي أوس بن الصامت أنزل الله صَدْرَ سورة « **المجادلة** » ، قالت : كنت عنده وكان شيخًا كبيرًا قد ساء خلقه ، قالت : فدَخل عليّ يومًا فراجعته بشيء فغضب فقال : أنت عليّ كظهر أمي . قالت : ثم خرج فجلس في نادي قومه ساعة ، ثم دخل عليّ فإذا هو يريدني عن نفسي ، قالت : قلت : كلا ، والذي نفس خويلة بيده لا تخلصُ إليّ وقد قلتَ ما قلت حتىٰ يحكم الله ورسوله فينا بحكمه ، قالت : فواثبني وامتنعت منه ، فغلبته [بما تغلب][٢] به المرأة الشيخ الضعيف ، فألقيته عني ، قالت : ثم خرجتُ إلىٰ بعض جاراتي ، فاستعرت منها ثيابًا ، ثم خرجتُ حتىٰ جئت رسولَ الله صلىٰ الله عليه وسلم فجلست بين يديه ، فذكرت له ما لقيتُ منه ، وجعلت أشكو إليه ما ألقىٰ من سوء خلقه . قالت : فجعل رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم يقول : « **يا خويلة ، ابنُ عمك شيخ كبير ، فاتقي الله فيه** » . قالت : فوالله ما بَرحت حتىٰ نزل فيّ القرآن ، فتغشىٰ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ما كان يتغشاه ، ثم سُري عنه ، فقال : « **يا خويلة ، قد أنزل الله فيك وفي صاحبك** » ، ثم قرأ عليّ[٣] : ﴿ **قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي إلىٰ الله والله يسمع تحاوركما إنَّ الله سميع بصير** ﴾ إلىٰ قوله : ﴿ **وللكافرين عذاب أليم** ﴾ . قالت : فقال لي رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **مُريه فليعتق رقبة** » . قالت : فقلت : يا رسول الله ؛ ما عنده ما يعتق . قال : « **فليصم شهرين متتابعين** » . قالت : فقلت : والله إنه شيخ كبير ، ما به من صيام . قال : « **فليطعم ستين مسكينًا ، وَسْقًا من تمر** » . قالت : فقلت: يا رسول الله ؛ ما ذاك عنده.

(٣) - أخرجه أحمد (٦/٤١٠ - ٤١١) (٢٧٤٢٧) .

[١] - سقط من ت .
[٢] - ما بين المعكوفتين في ز، خ : « مما فعلت».
[٣] - سقط من : ز، خ .

قالت : فقال رسول اللّه صلىٰ اللّه عليه وسلم : **« فإنا سنعينه بعَرَقٍ من تمر »** . قالت : فقلت : يا رسول اللّه ، وأنا سأعينه بعَرَقٍ آخر . قال : **« فقد أصبت وأحسَنْت ، فاذهبي فتصدقي به عنه ، ثم استوصي بابن عمك خيرًا »** . قالت : ففعلت.

ورواه أبو داود في كتاب الطلاق من سننه من طريقين ، عن محمد بن إسحاق بن[١] يسار ، به(٤) . وعنده : خولة بنت ثعلبة ، ويقال فيها : خولة بنت مالك بن ثعلبة . وقد تصغر فيقال : خُوَيلة . ولا منافاة بين هذه الأقوال ، فالأمر فيها قريب ، واللّه أعلم .

هذا هو الصحيح في سبب نزول صدر هذه السورة ، فأما حديث سَلَمَة بن صَخْر فليس فيه أنه كان سببَ النزول ، ولكن أمر بما أنزل اللّه في هذه السورة ، من العتق أو الصيام أو الإِطعام ، كما قال الإِمام أحمد :

حدثنا يزيد بن هارون ، أخبرنا محمد بن إسحاق ، عن محمد بن عمرو بن عطاء ، عن سليمان بن يَسَار ، عن سلمة بن صخر الأنصاري قال : كنتُ امرءًا قد أوتيت من جماع النساء ما لم يؤت غيري ، فلما دخل رمضان تظهَّرت من امرأتي حتىٰ ينسلخ رمضان ، فَرَقًا من أن أصيب في ليلتي شيئًا فأتابع في ذلك إلىٰ أن يدركني النهار ، وأنا لا أقدر أن أنزع ، فبينما[٢] هي تخدمني[٣] من الليل إذ تكشف لي منها شيء ، فوثبت عليها ، فلما أصبحتُ غدوتُ علىٰ قومي فأخبرتهم خبري وقلت : انطلقوا معي إلىٰ النبي صلىٰ اللّه عليه وسلم فأخبره بأمري . فقالوا : لا ، واللّه لا نفعل ، نتخوف أن ينزل فينا - أو : يقول فينا رسول اللّه صلىٰ اللّه عليه وسلم مقالة يبقىٰ علينا عارها ، ولكن اذهب أنت فاصنع ما بدا لك . قال : فخرجت حتىٰ أتيتُ النبي صلىٰ اللّه عليه وسلم فأخبرته خبري . فقال لي : **« أنت بذاك؟ »** . فقلت : أنا بذاك . فقال : **« أنت بذاك؟ »** . فقلت : أنا بذاك . قال : **« أنت بذاك ؟»** . قلت : نعم ، هأنذا فامض فيَّ حكم اللّه تعالىٰ فإني صابر له . قال : **« أعتق رقبة »** قال : فضربت صفحة رقبتي بيدي وقلت : لا ، والذي بعثك بالحق ما أصبحت أملك غيرها . قال : **« فصم شهرين »** . قلت : يا رسول اللّه ، وهل أصابني ما أصابني إلا في الصيام ؟ ! قال : **« فتصدق »** . فقلت : والذي بعثك بالحق لقد بتنا ليلتنا هذه وَحْشَىٰ ما لنا عشاء . قال : **« اذهب إلىٰ صاحب صدقة بني زُرَيق فقل له فليدفعها إليك ، فأطعم**

(٤) أبو داود في كتاب : الطلاق ، باب : في الظهار ، حديث (٢٢١٤، ٢٢١٥) (٢/٢٦٦ - ٢٦٧) ، والطبراني في الكبير (٢٤/٢٤٧) (٦٣٣) والمزي في ترجمة معمر بن عبد الله بن حنظلة (٢٨/٣١٢) كلهم من طريق معمر بن عبد الله بن حنظلة بهذا الإسناد . ومعمر هذا قال الحافظ فيه : مقبول . والحديث حسنه الألباني في صحيح أبي داود (١٩٣٤ - ١٩٣٥) .

[١] - سقط من : ز،خ .

[٢] - في ت : « فبينا » .

[٣] - في ز،خ : « تحدثني » .

عنك منها وسقًا من تمر ستين مسكينًا ، ثم استعن بسائره عليك وعلىٰ عيالك » . قال : فرجعت إلىٰ قومي فقلت : وجدت عندكم الضيقَ وسوءَ الرأي ، ووجدت عندَ رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم السَّعة والبرَكة ، قد أمر لي بصدقتكم ، فادفعوها إليّ . فدفعوها إليّ (٥).

وهكذا رواه أبو داود وابن ماجة واختصره الترمذي وحسنه (٦) .

وظاهر السياق أن هذه القصة كانت بعد قصة أوس بن الصامت وزوجته خُويلة بنت ثعلبة ، كما دلّ عليه سياق تلك وهذه بعد التأمل .

قال خصيف : عن مجاهد ، عن ابن عباس : أول من ظاهر من امرأته أوس بن الصامت ، أخو عبادة بن الصامت ، وامرأته خولة بنت ثعلبة بن مالك ، فلما ظاهر منها خَشِيَت أن يكون ذلك طلاقًا ، فأتت رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم فقالت : **« يا رسول اللّٰه ، إن أوسًا ظاهر مني، وإنا إن افترقنا هلكنا ، وقد نثرت بطني منه وقدمت صحبته »** - وهي تشكو ذلك وتبكي، ولم يكن جاء في ذلك شيء - فأنزل اللّٰه : ﴿ **قد سمع اللّٰه قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي إلىٰ اللّٰه** ﴾ إلىٰ قوله : ﴿ **وللكافرين عذاب أليم** ﴾ فدعاه رسولُ اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم فقال : **« أتقدر علىٰ رقبة تعتقها ؟ »** قال : لا واللّٰه يا رسول اللّٰه ما أقدر عليها . قال : فجمع له رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم حتىٰ أعتق عنه ، ثم راجع أهله .

رواه ابن جرير (٧) . ولهذا ذهب ابن عباس والأكثرون إلى ما قلناه واللّٰه أعلم.

فقوله تعالىٰ : ﴿ **الذين يظاهرون منكم من نسائهم** ﴾ : أصل الظهار مشتق من الظهر ،

---

(٥) - أخرجه أحمد (٣٧/٤) .

(٦) - أبو داود في كتاب : الطلاق ، باب : في الظهار ، حديث (٢٢١٣) (٢٦٥/٢ - ٢٦٦) ، وابن ماجة في كتاب : الطلاق ، باب : في الظهار ، حديث (٢٠٦٢) (٦٦٥/١) .

وفي إسناده إرسال بين سليمان بن يسار وسلمة بن صخر ؛ قال الترمذي : لم يسمع عندي من سلمة بن صخر . راجع سنن الترمذي (٣٢٩٥) ، وجامع التحصيل (١٩٠ - ١٩١) . وفي الإسناد أيضًا محمد بن إسحاق وهو مدلس ، وقد أخرجه الترمذي مطولاً في التفسير ، ومن سورة المجادلة برقم (٣٢٩٥) (٣٨/٩ - ٤٠) من طريق يزيد بن هارون بالإسناد السابق . وأخرجه مختصرًا في كتاب : الطلاق ، باب : ما جاء في كفارة الظهار ، حديث (١٢٠٠) (١٨٨/٤ - ١٨٩) قال الترمذي : حديث حسن . وتبعه الألباني في صحيح أبي داود (١٩٣٣) . وصححه بطرقه في الإرواء (٢٠٩١) .

(٧) - أخرجه الطبري (٦/٢٨) . وفي إسناده عبد العزيز بن عبد الرحمن الأموي قال ابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» (٣٨٨/٥) : اضرب على أحاديثه ؛ هي كذب ، أو قال : موضوعة . وخصيف : صدوق سيئ الحفظ . راجع تهذيب الكمال (٢٥٧/٨) وما بعدها .

وذلك أن الجاهلية كانوا إذا تظاهر أحد من امرأته قال لها : أنت عليّ كظهر أمي . ثم في الشرع كان الظهار في سائر الأعضاء قياسًا علىٰ الظهر ، وكان الظهار عند الجاهلية طلاقًا ، فأرخص الله لهذه الأمة وجعل فيه كفارة ، ولم يجعله طلاقًا كما كانوا يعتمدونه في جاهليتهم . هكذا قال غير واحد من السلف .

قال ابن جرير : حدثنا أبو كريب ، حدثنا عبيد الله بن موسىٰ ، عن أبي حمزة ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : كان الرجل إذا قال لامرأته في الجاهلية : أنت عليّ كظهر أمي ، حرمت عليه ، فكان أول من ظاهر في الإسلام أوس ، وكانت تحته ابنة عم له يقال لها « **خويلة بنت خويلد**[١] » فظاهر منها ، فأسقط في يديه ، وقال : ما أراك إلا قد حَرُمت عليّ . وقالت له مثل ذلك ، قال : فانطلقي إلىٰ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم . فأتت رسول الله فوجدت عنده ماشطة تمشط رأسه ، فقال : « **يا خويلة ، ما أمرنا في أمرك بشيء** » . فأنزل الله علىٰ رسوله صلىٰ الله عليه وسلم، فقال: « **يا خويلة أبشري** » . قالت : خيرًا . فقرأ عليها : ﴿ **قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي إلىٰ الله والله يسمع تحاوركما** ﴾ ... إلىٰ قوله : ﴿ **والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا فتحرير رقبة من قبل أن يتماسا** ﴾ . قالت : وأي رقبة لنا ؟ والله ما يجد[٢] رقبة غيري . قال : ﴿ **فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين** ﴾ ، قالت : والله لولا أنه يشرب في اليوم ثلاث مرات لذهب بصره ! قال : ﴿ **فمن لم يستطع فإطعام ستين مسكينًا** ﴾ . قالت : من أين ؟ ما هي إلا أكلة إلىٰ مثلها ! قال : فدعا بشطر وَسْق - ثلاثين صاعًا ، والوسق : ستون صاعا - فقال : « **ليطعم ستين مسكينًا وليراجعك** »(٨) .

وهذا إسناد جيد قوي، وسياق غريب، وقد روي عن أبي العالية نحو هذا، فقال ابن أبي حاتم .

حدثنا محمد بن عبد الرحمن الهروي[٣] ، حدثنا عليّ بن عاصم ، عن داود بن أبي هند ، عن أبي العالية قال : كانت خولة بنت دُليج تحت رجل من الأنصار ، وكان ضرير البصر فقيرًا سيئ الخلق ، وكان طلاق أهل الجاهلية إذا أراد الرجل أن يطلق امرأته ، قال : أنت عليّ كظهر أمي . وكان لها[٤] منه عَيِّل أو عَيِّلان ، فنازعته يومًا في شيء فقال : أنت عليّ كظهر أمي . فاحتملت عليها ثيابها حتىٰ دخلت علىٰ النبي صلىٰ الله عليه وسلم ، وهو في بيت عائشة ، وعائشة تغسل شق رأسه ، فقدمت عليه ومعها عَيِّلها ، فقالت : يا رسول الله ، إن زوجي ضرير

---

(٨) - أخرجه الطبري (٣/٢٨) . وفي إسناده أبو حمزة الثمالي وهو ضعيف .

---

[١] - في ت : « ثعلبة » .
[٢] - في ز ، خ: « نجد » .
[٣] - سقط من : ز ، خ.
[٤] - سقط من : ز،خ .

البصر ، فقير لا شيء له ، سيئ الخلق ، وإني نازعته في شيء فغضب ، فقال : أنت عليّ كظهر أمي ، ولم يرد به الطلاق ، ولي منه عَيّل أو عَيّلان ، فقال : « **ما أعلمك إلا قد حَرُمت عليه** » . فقالت : أشكو إلىٰ اللّه ما نزل بي وأبا صبيتي قال: ودارت عائشة فغسلت شق رأسه الآخر ، فدارت معها ، فقالت : يا رسول اللّه ، زوجي[١] ضرير البصر ، فقير سيئ الخلق ، وإن لي منه [عَيّلا أو عيلين][٢] ، وإني نازعته في شيء فغضب وقال : أنت علي كظهر أمي ، ولم يرد به الطلاق ! قالت : فرفع إليّ رأسه وقال : « **ما أعلمك إلا قد حرمت عليه** » . فقالت : أشكو إلىٰ اللّه ما نزل بي وأبا صبيتي قال : ورأت[٣] عائشة وجه النبي صلىٰ اللّه عليه وسلم تغير، فقالت لها: وراءك وراءك . فتنحت ، فمكث رسول اللّه صلىٰ اللّه عليه وسلم في غشيانه ذلك ما شاء اللّه ، فلما انقطع الوحي قال : « **يا عائشة ، أين المرأة ؟** » فدعتها ، فقال لها رسول اللّه صلىٰ اللّه عليه وسلم : « **اذهبي فأتيني بزوجك** » . فانطلقت تسعىٰ فجاءت به ، فإذا هو [كما قالت][٤] ضرير البصر ، فقير ، سيئ الخلق . فقال النبي صلىٰ اللّه عليه وسلم « **أستعيذ باللّه السميع العليم بسم اللّه الرحمن الرحيم * قد سمع اللّه قول التي تجادلك في زوجها ﴾ إلىٰ قوله : ﴿ والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا ﴾** » ، قال النبي صلىٰ اللّه عليه وسلم : « **أتجد رقبة تعتقها من قبل أن تمسها ؟** » قال : لا . قال : « **أتستطيع أن تصوم شهرين متتابعين** » ؟ قال : والذي بعثك بالحق ، إني إذا لم آكل المرتين والثلاث يكاد أن يعشو بصري . وقال : « **أفتستطيع أن تطعم ستين مسكينًا ؟** » . قال : لا ، إلا أن تعينني . قال: فأعانه رسول اللّه صلىٰ اللّه عليه وسلم فقال: « **أطعم ستين مسكينًا** » . قال: وحول اللّه الطلاق ، فجعله ظهارًا (٩) .

ورواه ابن جرير ، عن ابن المثنىٰ ، عن عبد الأعلىٰ ، عن داود ، سمعت أبا العالية ، فذكره نحوه ، بأخصر من هذا السياق (١٠) .

وقال سعيد بن جبير : كان الإيلاء والظهار من طلاق الجاهلية ، فوقت اللّه الإيلاء أربعة أشهر ، وجعل في الظهار الكفارة . رواه ابن أبي حاتم ، بنحوه .

وقد استدلّ الإمام مالك[٥] علىٰ أن الكافر لا يدخل في هذه الآية بقوله : ﴿ منكم ﴾

(٩) - في إسناده علي بن عاصم وهو صدوق يخطئ ويصر ، ورمي بالتشيع . وأبو العالية مرسل .
(١٠) - أخرجه الطبري (٢٨/١ -٢) ، وهو مرسل .

[١] - في ز،خ : « زوجها » .
[٢] - ما بين المعكوفتين في ز،خ : « عيل أو عيلان» .
[٣] - في ز،خ : « ودارت » .
[٤] - سقط من ت .
[٥] - في ز ، خ: « بذلك » .

فالخطاب للمؤمنين ، وأجاب الجمهور بأن هذا خرج مخرج الغالب فلا مفهوم له ، واستدل الجمهور عليه بقوله : ﴿ من نسائهم ﴾ ، علىٰ أن [الأَمَة لا ظهار منها][١] ، ولا تدخل في هذا الخطاب .

وقوله : ﴿ ما هنَّ أمهاتهم إن أمهاتهم إلا اللائي ولدنهم ﴾ أي : لا تصير المرأة بقول الرجل : « أنت علي كأمي » ، أو : « مثل أمي » ، أو : « كظهر أمي » ، وما أشبه ذلك ، لا تصير أمّه بذلك ، إنما أمه التي ولدته ؛ ولهذا قال : ﴿ وإنهم ليقولون منكرًا من القول وزورًا ﴾ ، أي : كلامًا فاحشًاباطلًا ، ﴿ وإن اللّٰه لعفو غفور ﴾ أي : عما كان منكم في حال الجاهلية . وهكذا أيضًا عما خرج من سبق اللسان ، ولم يقصد إليه المتكلم ، كما رواه أبو داود : أن رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم سمع رجلًا يقول لامرأته : يا أختي . فقال : « أختك هي ؟! » (١١) فهذا إنكار ، ولكن لم يحرمها عليه بمجرد ذلك ؛ لأنه لم يقصده ، ولو قصده لحرمت عليه لأنه لا فرق علىٰ الصحيح بين الأم وبين غيرها من سائر المحارم من أخت وعمة وخالة وما أشبه ذلك .

وقوله : ﴿ والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا ﴾ اختلف السلف والأئمة في المراد بقوله : ﴿ ثم يعودون لما قالوا ﴾ فقال بعض الناس : العود هو أن يعود إلىٰ لفظ الظهار فيكرره ، وهذا القول باطل ، وهو اختيار ابن حزم[٢] ، وقول داود ، وحكاه أبو عمر[٣] بن عبد البر عن بكير[٤] بن الأشج ، والفراء وفرقة من أهل الكلام .

وقال الشافعي : هو أن يمسكها بعد الظهار زمانًا[٥] يمكنه أن يطلق فيه فلا يطلق .

وقال أحمد بن حنبل : هو أن يعود إلى الجماع ، أو يعزم عليه فلا يحل له حتى يكفر بهذه الكفارة .

وقد حكي عن مالك أنه العزم علىٰ الجماع والإمساك ، وعنه أنه الجماع .

وقال أبو حنيفة : هو أن يعود إلىٰ الظهار بعد تحريمه ، ورفع ما كان عليه أمر الجاهلية ، فمتىٰ تظاهر الرجل من امرأته فقد حرمها تحريمًا لا يرفعه إلا الكفارة . وإليه ذهب أصحابه ، والليث بن سعد .

---

(١١) - أخرجه أبو داود في كتاب : الطلاق ، باب : في الرجل يقول لامرأته : يا أختي ، حديث (٢٢١٠) (٢٦٤/٢) . من حديث أبي تميمة الهجيمي مرسلًا .

---

[١] - ما بين المعكوفتين في ز، خ : « الآية لا ظهار فيها » .

[٢] - في ز،خ : « جرير » .

[٣] - في ز،خ : « عمرو » .

[٤] - في ز : « بكر » .

[٥] - في ز : « ما » .

وقال ابن لهيعة : حدثني عطاء ، عن سعيد بن جبير ﴿ **ثم يعودون لما قالوا** ﴾ ، يعني : يريدون أن يعودوا في الجماع الذي حرموه علىٰ أنفسهم .

وقال الحسن البصري : يعني : الغشيان في الفرج . وكان لا يرى بأسًا أن يغشى فيما دون الفرج قبل أن يكفر .

وقال عليّ بن أبي طلحة عن ابن عباس : ﴿ **من قبل أن يتماسا** ﴾ . والمس : النكاح . وكذا قال عطاء ، والزهري ، وقتادة ، ومقاتل بن حيان .

وقال الزهري : ليس له أن يقبلها ولا يمسها حتى يكفر .

وقد رَوَىٰ أهل السنن من حديث عكرمة ، عن ابن عباس ؛ أن رجلًا قال : يا رسول الله ، إني ظاهرت من امرأتي فوقعت عليها قبل أن أكفر . فقال : « **ما حملك علىٰ هذا يرحمك الله ؟** » قال : رأيت خلخالها في ضوء القمر . قال : « **فلا تقربها حتىٰ تفعل ما أمرك الله عز وجل** » (١٢) .

وقال الترمذي : حسن غريب صحيح ، ورواه أبو داود ، والنسائي من حديث عكرمة مرسلًا . قال النسائي : وهو أولىٰ بالصواب (١٣) .

وقوله : ﴿ **فتحرير رقبة** ﴾ ، أي : فإعتاق رقبة كاملة من قبل أن يتماسا ، فهاهنا الرقبة مطلقة غير مقيدة بالإيمان ، وفي كفارة القتل مقيدة بالإيمان ، فحمل الشافعي رحمه الله ما أطلق هاهنا علىٰ ما قيد هناك لاتحاد الموجب ، وهو عتق الرقبة ، واعتضد في ذلك بما رواه عن مالك بسنده ، عن معاوية بن الحكم السلمي ، في قصة الجارية السوداء ، وأن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم قال : « **أعتقها فإنها مؤمنة** » (١٤) .

---

(١٢) - أخرجه أبو داود في كتاب : الطلاق ، باب : في الظهار ، حديث (٢٢٢٣) (٢/٢٦٨) ، والترمذي في كتاب : الطلاق ، باب : ما جاء في المظاهر يواقع قبل أن يكفر ، حديث (١١٩٩) (٤/١٨٨) . والنسائي (٦/١٦٧) كتاب الطلاق ، باب الظهار ، وابن ماجة في كتاب : الطلاق ، باب : المجامع يظاهر قبل أن يكفر ، حديث (٢٠٦٥) (١/٦٦٦ - ٦٦٧) . كلهم من طرق عن الحكم بن أبان عن عكرمة عن ابن عباس . والحكم بن أبان صدوق له أوهام . والحديث حسن الحافظ أسانيده في فتح الباري (٩/٤٣٣) ، وتبعه الألباني في الإرواء (٧/١٧٩) . وانظر التالي .

(١٣) - وأخرجه أبو داود في كتاب : الطلاق ، باب : في الظهار ، حديث (٢٢٢٢) (٢/٢٦٨) ، والنسائي (٢/١٦٧ - ١٦٨) . كلاهما من طريق الحكم عن عكرمة مرسلًا . قال الزيلعي في «نصب الراية» (٣/٢٤٦) : قال المنذري في « مختصره » : قال أبو بكر المعافري : ليس هذا الحديث صحيحًا يعول عليه . قال : وفيما قال نظر ؛ فقد صححه الترمذي ، ورجاله ثقات مشهور سماع بعضهم من بعض .اهـ .

(١٤) - أخرجه مالك في كتاب : العتق والولاء ، باب : ما يجوز من العتق في الرقاب الواجبة ، حديث (٨) (٢/٥٩٥) . ومن طريقه الشافعي في الرسالة فقرة (٢٤٢) .

وقد رواه أحمد في مسنده ، ومسلم في صحيحه(١٥) .

وقال الحافظ أبو بكر البزار : حدثنا يوسف بن موسىٰ ، حدثنا عبد الله بن نمير ، عن إسماعيل ابن مسلم ، عن عمرو بن دينار ، عن طاوس ، عن ابن عباس ؛ قال : أتىٰ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم رجلٌ فقال: إني تظاهرت من امرأتي ثم وقعت عليها قبل أن أكفر. فقال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **ألم يقل الله** ﴿ **من قبل أن يتماسا** ﴾ ؟ » . قال : أعجبتني . قال : « **أمسك حتىٰ تكفر** »(١٦) .

ثم قال البزار : لا يروى عن ابن عباس [بأحسن من][١] هذا ، وإسماعيل بن مسلم تكلم فيه ، وروىٰ عنه جماعة كثيرة من أهل العلم .

وفيه من الفقه أنه لم يأمره إلا بكفارة واحدة .

وقوله : ﴿ **ذلكم توعظون به** ﴾ أي : تزجرون به ، ﴿ **والله بما تعملون خبير** ﴾ ، أي : خبير بما يصلحكم ، عليم بأحوالكم .

وقوله : ﴿ **فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين من قبل أن يتماسا فمن لم يستطع فإطعام ستين مسكينًا** ﴾ . وقد تقدمت الأحاديث الواردة بهذا علىٰ الترتيب ، كما ثبت في الصحيحين في قصة الذي جامع امرأته في رمضان(١٧) .

﴿ **ذلك لتؤمنوا بالله ورسوله** ﴾ أي : شرعنا هذا لهذا .

وقوله : ﴿ **وتلك حدود الله** ﴾ ، أي : محارمه فلا تنتهكوها .

وقوله ﴿ **وللكافرين عذاب أليم** ﴾ ، أي : الذين لم يؤمنوا ولا التزموا بأحكام هذه

---

(١٥) - وأخرجه أحمد (٤٤٧/٥) (٢٣٨٧٥) ، ومسلم في كتاب : المساجد ومواضع الصلاة ، باب : تحريم الكلام في الصلاة ونسخ ما كان من إباحته ، حديث (٥٣٧/٣٣) (٣٢/٥ - ٣٣) . كلاهما من طريق يحيى بن أبي كثير ، عن هلال بن أبي ميمونة ، عن عطاء بن يسار عن معاوية بن الحكم السلمي .

(١٦) - أخرجه البزار كما في نصب الراية (٢٤٦/٣) ، والحاكم (٢٠٤/٢) وقال : ولم يحتج الشيخان بإسماعيل . وقال الذهبي : واهٍ .

(١٧) - أخرجه البخاري في كتاب الصوم ، باب : إذا جامع في رمضان ولم يكن له شيء وتصدق عليه فليكفر ، حديث (١٩٣٦) (١٦٣/٤) وانظر أطرافه هناك . ومسلم في كتاب : الصيام ، باب : تغليظ تحريم الجماع في نهار رمضان على الصائم ، حديث (٨١ - ١١١١/٨٤) (٣١٧/٧) وما بعدها . كلاهما من حديث أبي هريرة .

---

[١] - ما بين المعكوفتين في ز،خ : « فأخبرني » .

الشريعة ، لا تعتقدوا أنهم ناجون من البلاء ، كلا ، ليس الأمر كما زعموا ، بل لهم عذاب أليم ، أي في الدنيا والآخرة .

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ كُبِتُواْ كَمَا كُبِتَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْۚ وَقَدْ أَنزَلْنَآ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍۚ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٥﴾ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓاْۚ أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٦﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُواْۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُواْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧﴾

يخبر تعالىٰ عمن شاقوا اللّٰه ورسوله وعاندوا شرعه ، ﴿ **كبتوا كما كبت الذين من قبلهم** ﴾ ، أي : أهينوا ولعنوا وأخزوا ، كما فعل بمن أشبههم ممن قبلهم ، ﴿ **وقد أنزلنا آيات بينات** ﴾ ، أي : واضحات لا يخالفها ويعاندها إلا كافر فاجر مكابر ، ﴿ **وللكافرين عذاب مهين** ﴾ أي : في قبالة[١] ما استكبروا عن اتباع شرع اللّٰه ، والانقياد له ، والخضوع لديه .

ثم قال : ﴿ **يوم يبعثهم اللّٰه جميعًا** ﴾ ، وذلك يوم القيامة ، يجمع اللّٰه الأولين والآخرين في صعيد واحد ، ﴿ **فينبئهم بما عملوا** ﴾ ، أي : فيخبرهم[٢] بالذي صنعوا من خير وشر ، ﴿ **أحصاه اللّٰه ونسوه** ﴾ أي : ضبطه اللّٰه وحفظه عليهم ، وهم قد[٣] نسوا ما كانوا عملوا ﴿ **واللّٰه علىٰ كل شيء شهيد** ﴾ ، أي : لا يغيب عنه شيء ، ولا يخفى ، ولا ينسىٰ شيئًا .

ثم قال تعالىٰ مخبرًا عن إحاطة علمه بخلقه واطلاعه عليهم ، وسماعه كلامهم ، ورؤيته مكانهم حيث كانوا وأين كانوا ، فقال : ﴿ **ألم تر أن اللّٰه يعلم ما في السموات وما في الأرض ما يكون من نجوىٰ ثلاثة** ﴾ ، أي : من سر ثلاثة ﴿ **إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم ولا أدنىٰ من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أينما كانوا** ﴾ ، أي : يطلع عليهم ويسمع كلامهم وسرهم ونجواهم ، ورسله أيضًا مع ذلك تكتب ما يتناجون به ، مع علم اللّٰه

---

[١] - في ت : « مقبالة » .

[٢] - في ت : « يخبرهم » .

[٣] - سقط من : ز،خ .

به وسمعه لهم ، كما قال : ﴿ ألم يعلموا أن الله يعلم سرهم ونجواهم وأن الله علام الغيوب ﴾ . وقال : ﴿ أم يحسبون أنا لا نسمع سرهم ونجواهم بلى ورسلنا لديهم يكتبون ﴾ ؛ ولهذا حكى غير واحد الإجماع على أن المراد بهذه الآية معية علم الله تعالى ، ولا شك في إرادة ذلك ، ولكن سمعه[١] أيضًا مع علمه محيط بهم ، وبصره نافذ فيهم ، فهو سبحانه مطلع على خلقه ، لا يغيب عنه من أمورهم شيء .

ثم قال : ﴿ ثم[٢] ينبئهم بما عملوا يوم القيامة إن الله بكل شيء عليم ﴾ ، قال الإمام أحمد : افتتح الآية بالعلم ، واختتمها بالعلم .

أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نُهُوا۟ عَنِ ٱلنَّجْوَىٰ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ وَيَتَنَٰجَوْنَ بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَمَعْصِيَتِ ٱلرَّسُولِ وَإِذَا جَآءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ ٱللَّهُ وَيَقُولُونَ فِىٓ أَنفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا ٱللَّهُ بِمَا نَقُولُ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا تَنَٰجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَٰجَوْا۟ بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَمَعْصِيَتِ ٱلرَّسُولِ وَتَنَٰجَوْا۟ بِٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٩﴾ إِنَّمَا ٱلنَّجْوَىٰ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ لِيَحْزُنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَيْسَ بِضَآرِّهِمْ شَيْـًٔا إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾

قال ابن أبي نجيح عن مجاهد : ﴿ ألم تر إلى الذين نهوا عن النجوى ﴾ قال : اليهود . وكذا قال مقاتل بن حيان ، وزاد : كان بين النبي صلى الله عليه وسلم وبين اليهود موادعة ، وكانوا إذا مر بهم رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم جلسوا يتناجون بينهم ، حتى يظن المؤمن أنهم يتناجون بقتله - أو : بما يكره المؤمن - فإذا رأى المؤمن ذلك خشيهم ، فترك طريقه عليهم . فنهاهم النبي صلى الله عليه وسلم عن النجوى ، فلم ينتهوا وعادوا إلى النجوى ، فأنزل الله : ﴿ ألم تر إلى الذين نهوا عن النجوى ثم يعودون لما نهوا عنه ﴾ (١٨) .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا إبراهيم بن المنذر الحزامي ، حدثني سفيان بن حمزة[٣] ، عن كثير بن زيد ، عن رُبَيح بن عبد الرحمن بن أبي سعيد الخدري ، عن أبيه ،

(١٨) - أخرجه ابن أبي حاتم كما في الدر المنثور (٦/٢٦٩) .

[١] - في ز ، خ : « وسمعه » .
[٢] - سقط من : ز، خ .
[٣] - في ز ، خ: « حرة » .

عن جده قال : كنا نتناوب رسول الله - صلىٰ الله عليه وسلم - نبيت عنده ؛ يطرقه من الليل أمر ، وتبدو له حاجة ؛ فلما كانت ذات ليلة كَثُر أهل النّوب والمحتسبون ، حتىٰ كنا أندية نتحدث ، فخرج علينا رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم؛ فقال : « **ما هذا النجوىٰ ؟ ألم تُنهَوا عن النجوى ؟** » قلنا : تبنا إلىٰ الله يا رسول الله ؛ إنا كنا في ذكر المسيح ، فَرَقًا منه . فقال : « **ألا أخبركم بما هو أخوف عليكم عندي منه !** » . قلنا : بلىٰ يا رسول الله ؟ قال « **الشرك الخفي أن يقوم الرجل يعمل لمكان رجل** »(١٩) .

هذا إسناد غريب ، وفيه بعض الضعفاء .

وقوله تعالى : ﴿**ويتناجون بالإثم والعدوان** [**ومعصية الرسول**﴾ . أي: يتحدثون فيما بينهم بالإثم وهو ما يختص بهم ﴿**والعدوان**﴾ .][١] وهو ما يتعلق بغيرهم ومنه معصية الرسول ومخالفته يصرون عليها ويتواصون بها .

وقوله تعالىٰ : ﴿**وإذا جاءوك حيوك بما لم يحيك به الله**﴾ **قال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو سعيد الأشج ، حدثنا ابن نمير عن الأعمش [عن مسلم][٢] عن مسروق عن عائشة ؛ قالت : دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يهود فقالوا : السام عليك يا أبا القاسم ، فقالت عائشة : وعليكم السام ، قالت : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :** « **يا عائشة ؛ إن الله لا يحب الفحش ولا التفحش** » قلت : ألا تسمعهم يقولون السام عليك ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **أو ما سمعت أقول : وعليكم** » ؟ فأنزل الله تعالى : ﴿**وإذا جاءوك حيوك بما لم يحيك به الله**﴾(٢٠) **وفي رواية في الصحيح أنها قالت لهم : عليكم السام والذام واللعنة ، وأن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم قال :** « **إنه يستجاب لنا فيهم ، ولا يستجاب لهم فينا** » (٢١) .

(١٩) - في إسناده ربيح بن عبد الرحمن ، قال الحافظ : مقبول . والراوي عنه كثير بن زيد صدوق يخطئ كثيرًا .

(٢٠) - أخرجه مسلم في كتاب : السلام ، باب النهي عن ابتداء أهل الكتاب بالسلام ، وكيف يرد عليهم ، حديث(١١/ ٢١٦٥) من طريق مسروق بنحوه ، وإسناد ابن أبي حاتم صحيح . والحديث في الصحيح من طرق عن عائشة : أخرجه البخاري في كتاب : الجهاد ، باب : الدعاء على المشركين بالهزيمة والزلزلة ، حديث (٢٩٣٥) (١٠٦/٦) . وأطرافه في [٦٠٢٤، ٦٠٣٠، ٦٢٥٦، ٦٣٩٥، ٦٤٠١، ٦٩٢٧] . ومسلم في كتاب : السلام ، باب : النهي عن ابتداء أهل الكتاب بالسلام ، وكيف يرد عليهم ، حديث (١٠/ ١١، ٢١٦٥) (٢٠٧/١٤ - ٢٠٨) . كلاهما من حديث عائشة .

(٢١) - ينظر أطراف الحديث السابق في البخاري .

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز،خ . [٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .

وقال ابن جرير : حدثنا بشر ، حدثنا يزيد ، حدثنا سعيد ، عن قتادة ، عن أنس بن مالك ؛ أن رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم بينما هو جالس مع أصحابه ، إذ أتىٰ عليهم يهودي فسلّم عليهم ، فردوا عليه ، فقال نبي اللّٰه - صلىٰ اللّٰه عليه وسلم - : « **هل تدرون ما قال ؟** » قالوا : سلم يا رسول اللّٰه . قال : « **بل قال : سام عليكم** » أي : تسامون دينكم . قال رسول اللّٰه : « **ردوه** ». فردوه عليه ، فقال نبي اللّٰه : « **أقلت : سأم عليكم ؟** » قال : نعم . فقال رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **إذا سلم عليكم أحد من أهل الكتاب فقولوا : عليك** » أي عليك ما قلت . وأصل حديث أنس مخرج في الصحيح(٢٢) ، وهذا الحديث في الصحيح عن عائشة نحوه[١] (٢٣) .

وقوله : ﴿ **ويقولون في أنفسهم لولا يعذبنا اللّٰه بما نقول** ﴾ ، أي : يفعلون هذا ، ويقولون ما يحرفون من الكلام وإيهام السلام ، وإنما هو شتم في الباطن ، ومع هذا يقولون في أنفسهم : لو كان هذا نبيًا لعذبنا اللّٰه بما نقول له في الباطن ، لأن اللّٰه يعلم ما نسره ، فلو كان هذا نبيًا حقًا لأوشك أن يعاجلنا اللّٰه بالعقوبة في الدنيا ، فقال اللّٰه تعالىٰ : ﴿ **حسبهم جهنم** ﴾ ، أي : جهنم كفايتهم في الدار[٢] الآخرة ﴿ **يصلونها فبئس المصير** ﴾ (٢٤) .

وقال الإمام أحمد : حدثنا عبد الصمد ، حدثنا حماد ، عن عطاء بن السائب ، عن أبيه ، عن عبد اللّٰه بن عمرو ؛ أن اليهود كانوا يقولون لرسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : سام عليك ، ثم يقولون في أنفسهم : ﴿ **لولا يعذبنا اللّٰه بما نقول** ﴾ ؟ فنزلت هذه الآية : ﴿ **وإذا جاءوك حيّوك بما لم يحيك به اللّٰه ويقولون في أنفسهم لولا يعذبنا اللّٰه بما نقول حسبهم جهنم يصلونها فبئس**[٣] **المصير** ﴾ . إسناد حسن ولم يخرجوه (٢٥) .

وقال العوفي عن ابن عباس : ﴿ **وإذا جاءوك حيوك بما لم يحيك به اللّٰه** ﴾ ، قال : كان المنافقون يقولون لرسول اللّٰه إذا حيّوه : سام عليك ، قال اللّٰه : ﴿ **حسبهم جهنم يصلونها فبئس**[٤] **المصير** ﴾ ثم قال اللّٰه مؤدبًا عباده المؤمنين أن لا يكونوا مثل الكفرة

---

(٢٢) - أخرجه الطبري (١٥/٢٨) .

(٢٣) - وأصله في البخاري في كتاب : استتابة المرتدين ، باب : إذا عرّض الذمي أو غيره بسب النبي - صلى الله عليه وسلم - ولم يصرح ، حديث (٦٩٢٦) (٢٨٠/١٢) .

(٢٤) - تقدم قبل ذلك بثلاثة أحاديث .

(٢٥) - أخرجه أحمد (١٧٠/٢) (٦٥٨٩) . قال الهيثمي في « المجمع » (١٢٥/٧) : رواه أحمد والبزار والطبراني وإسناده جيد ؛ لأن حمادًا سمع من عطاء بن السائب في حالة الصحة .

---

[١] - في ت : « بنحوه » .

[٢] - في ز ، خ: « الدنيا و» .

[٣] - في ز ، خ: « وبئس » .

[٤] - في ز،خ : « وبئس » .

والمنافقين : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا إذا تناجيتم فلا تتناجوا بالإثم والعدوان ومعصية الرسول** ﴾ ، أي : كما يتناجىٰ به الجهلة من كفرة أهل الكتاب ومن مالأهم علىٰ ضلالهم من المنافقين ، ﴿ **وتناجوا بالبر والتقوىٰ واتقوا اللَّه الذي إليه تحشرون** ﴾ ، أي : فيخبركم بجميع أعمالكم وأقوالكم التي قد أحصاها عليكم ، وسيجزيكم بها .

وقال الإمام أحمد : حدثنا بَهز وعفان؛ قالا : أخبرنا همام ، حدثنا قتادة ، عن صفوان بن محرز؛ قال : كنت آخذًا بيد ابن عمر ، إذ عرض له رجل، فقال : كيف سمعت رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم يقول في النجوىٰ يوم القيامة ؟ قال : سمعت رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم؛ يقول : « **إن اللَّه يدني المؤمن فيضع عليه كَنَفه ويستره من الناس ، ويقرّره بذنوبه ، ويقول له : أتعرف ذنب كذا ؟ أتعرف ذنب كذا ؟ أتعرف ذنب كذا ؟ حتىٰ إذا قَرّره بذنوبه ، ورأى في نفسه أنه قد هلك ، قال : فإني قد سترتها عليك في الدنيا ، وأنا أغفرها لك اليوم . ثم يُعطىٰ كتابَ حسناته ، وأما الكفار والمنافقون فيقول الأشهاد : ﴿ هؤلاء الذين كذبوا علىٰ ربهم ألا لعنة اللَّه علىٰ الظالمين ﴾** »(٢٦) . أخرجاه في الصحيحين من حديث قتادة(٢٧) .

ثم قال تعالىٰ : ﴿ **إنما النجوىٰ من الشيطان ليحزن الذين آمنوا وليس بضارهم شيئًا إلا بإذن اللَّه وعلىٰ اللَّه فليتوكل المؤمنون** ﴾ أي : إنما النجوىٰ - وهي المُسارّة - حيث [يتوهم منها مؤمن][١] سوءًا ﴿ **من الشيطان ليحزن الذين آمنوا** ﴾ ، يعني : إنما يصدر هذا من المتناجين[٢] عن تسويل الشيطان وتزيينه ، ﴿ **ليحزن الذين آمنوا** ﴾ ، أي : ليسوءهم ، وليس ذلك بضارهم شيئًا إلا بإذن اللَّه، ومن أحس من ذلك شيئًا فليستعذ باللَّه ، وليتوكل علىٰ اللَّه؛ فإنه لا يضره شيء، بإذن اللَّه .

وقد وردت السنة بالنهي عن التناجي، حيث يكون في ذلك تأذٍ[٣] على مؤمن. كما قال الإمام أحمد:

حدثنا وكيع وأبو معاوية؛ قالا : حدثنا الأعمش ، عن أبي وائل ، عن عبد اللَّه بن

---

(٢٦) - أخرجه أحمد (٢/ ٧٤) (٥٤٣٦) .

(٢٧) - البخاري في كتاب التفسير ، باب : ﴿ **ويقول الأشهاد هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنة اللَّه على الظالمين** ﴾ حديث (٤٦٨٥) (٨/ ٣٥٣) ، وفي كتاب الأدب (٦٠٧٠) (١٠/ ٤٨٦) . ومسلم في كتاب : التوبة ، باب : قبول توبة القاتل ، وإن كثر قتله ، حديث (٢٧٦٨/٥٢) (١٧/ ١٣٥) .

---

[١] - ما بين المعكوفتين في ت : « يتوهم مؤمن بها » .

[٢] - في ز ، خ: « المنافقين » .

[٣] - في ز ، خ: « تأذيًا » .

مسعود؛ قال : قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **إذا كنتم ثلاثة فلا يتناجَيَنَ اثنان دون صاحبهما ، فإن ذلك يحزنه** »(٢٨) . أخرجاه من حديث الأعمش(٢٩) .

وقال عبد الرزاق : أخبرنا معمر ، عن أيوب ، عن نافع ، عن ابن عمر؛ قال : قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **إذا كنتم ثلاثة فلا يتناجىٰ اثنان دون الثالث إلا بإذنه ، فإن ذلك يحزنه** »(٣٠) . انفرد بإخراجه مسلم عن أبي الربيع وأبي كامل ، كلاهما عن حماد بن زيد ، عن أيوب ، به(٣١) .

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُواْ فِى ٱلْمَجَـٰلِسِ فَٱفْسَحُواْ يَفْسَحِ ٱللَّهُ لَكُمْ ۖ وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُواْ فَٱنشُزُواْ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَـٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١﴾

يقول تعالىٰ مؤدبًا عباده المؤمنين ، وآمرًا لهم أن يحسن بعضهم إلىٰ بعض في المجالس : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا إذا قيل لكم تفسحوا في المجلس** ﴾ ، وقريء : ﴿ **في**[١] **المجالس** ﴾ ، ﴿ **فافسحوا يفسح اللَّه لكم** ﴾ وذلك أنَّ الجزاء من جنس العمل .

كما جاء في الحديث الصحيح : « **من بنىٰ للَّه مسجدًا بنىٰ اللَّه له بيتًا في الجنة** »(٣٢) . وفي الحديث الآخر : « **ومن يَسَّر علىٰ معسر يَسَّر اللَّه عليه في الدنيا والآخرة ، [ومن ستر مسلمًا ستره اللَّه في الدنيا والآخرة]**[٢] **، واللَّه في عون العبد ما كان العبد في عون**

(٢٨) - أخرجه أحمد (٤٣١/١ - ٤٣٢، ٤٢٥) (٤١٠٦، ٤٠٣٩) .

(٢٩) - أخرجه مسلم في كتاب : السلام ، باب : تحريم مناجاة الاثنين دون الثالث بغير رضاه ، حديث (٢١٨٤/٣٨) (٢٤١/١٤ - ٢٤٢) ، والبخاري في الأدب المفرد (١١٧١) .
كلاهما من طريق الأعمش .
وأخرجه البخاري (٦٢٩٠) (٨٢/١١) ، ومسلم (٢١٨٤/٣٧) كلاهما من طريق جرير عن منصور عن أبي وائل عنه به .

(٣٠) - أخرجه عبد الرزاق في المصنف (٢٦/١١) (١٩٨٠٦) .

(٣١) - ومسلم في كتاب : السلام ، باب : تحريم مناجاة الاثنين دون الثالث بغير رضاه ، حديث (٣٦/ ٢١٨٣) (٢٤١/١٤) .

(٣٢) - أخرجه البخاري في كتاب : الصلاة ، باب : من بنى لله مسجدًا ، حديث (٤٥٠) (٥٤٤/١) ، ومسلم في كتاب : المساجد ، باب : فضل بناء المساجد والحث عليها ، حديث (٢٤، ٥٣٣/٢٥) (٢٠/٥) . وفي الزهد (٤٣، ٥٣٣/٤٤) ١٨/ ١٥٢ - ١٥٣) كلاهما من حديث عثمان - رضي الله عنه .

[١] - في ت : في .
[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز،خ .

أخيه »(٣٣) . ولهذا أشباه كثيرة ، ولهذا قال : ﴿ **فافسحوا يفسح الله لكم** ﴾ .

قال قتادة : نزلت هذه الآية في مجالس الذكر ، وذلك أنهم كانوا إذا رأوا أحدهم مقبلًا ضَنوا بمجالسهم عند رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ، فأمرهم الله أن يفسح بعضهم لبعض.

وقال مقاتل ابن حيان : أنزلت هذه الآية يوم جُمُعة وكان رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم يومئذ في الصفة ، وفي المكان ضيق ، وكان يكرم أهل بدر من المهاجرين والأنصار ، فجاء أناس من أهل بدر وقد سبقوا إلىٰ المجالس ، فقاموا حيال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ، فقالوا : السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته . فرد النبي صلىٰ الله عليه وسلم عليهم ، ثم سلموا علىٰ القوم بعد ذلك ، فردوا عليهم ، فقاموا علىٰ أرجلهم ينتظرون أن يوسع لهم ، فعرف النبي صلىٰ الله عليه وسلم ما يحملهم علىٰ القيام ، فلم يُفسَح لهم ، فشق ذلك علىٰ النبي صلىٰ الله عليه وسلم فقال لمن حوله من المهاجرين والأنصار ، من غير أهل بدر : « **قم يا فلان ، وأنت يا فلان** » . فلم يزل يقيمهم بعدّة النفر الذين هم قيام بين يديه من المهاجرين والأنصار أهل بدر ، فشق ذلك علىٰ من أقيم من مجلسه ، وعرف النبي صلىٰ الله عليه وسلم الكراهة في وجوههم ، فقال المنافقون : ألستم تزعمون أن صاحبكم هذا يعدل بين الناس ؟ والله ما رأيناه قبلُ عدلَ علىٰ هؤلاء ، إن قومًا أخذوا مجالسهم وأحبوا القرب لنبيهم ، فأقامهم وأجلس من أبطأ عنه . فبلغنا أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم قال : « **رحم الله رجلًا فَسَح لأخيه** » . فجعلوا يقومون بعد ذلك سراعًا ، فَتَفَسَّحَ القومُ لإخوانهم ، ونزلت هذه الآية يوم الجمعة . رواه ابن أبي حاتم .

وقد قال الإمام أحمد والشافعي : حدثنا سفيان ، عن أيوب ، عن نافع ، عن ابن عمر : أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم قال : « **لا يقيم الرجل الرجل من مجلسه فيجلس فيه ، ولكن تفسحوا وتوسعوا** » (٣٤) . وأخرجاه في الصحيحين من حديث نافع به(٣٥) .

وقال الشافعي : أخبرنا عبد المجيد ، عن ابن جريج قال : قال سليمان بن موسىٰ ، عن جابر بن عبد الله : أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم قال : « **لا يقيمن أحدكم أخاه يوم**

---

(٣٣) – أخرجه مسلم في كتاب : الذكر ، باب : فضل الاجتماع على تلاوة القرآن ، حديث (٢٦٩٩/٣٨) (٣٤/١٧ – ٣٦) .

(٣٤) – أخرجه أحمد (٢/ ١٦، ٢٢، ٣٢، ٤٥، ١٠٢، ١٢١، ١٢٤، ١٢٦، ١٤٩) ، والشافعي (٦٦٣) . كلاهما من طرق عن نافع به نحوه ومثله .

(٣٥) – وأخرجه البخاري في كتاب الاستئذان ، باب : (٣٢) ، حديث (٦٢٧٠) (٦٢/١١) .
وأخرجه مسلم في كتاب : السلام ، باب : تحريم إقامة الإنسان من موضعه المباح الذي سبق إليه ، حديث (٢٧، ٢١٧٧/٢٨) (٢٢٩/١٤ – ٢٣١) كلاهما من طريق نافع عن ابن عمر أيضًا نحوه ومثله .

الجمعة ، ولكن ليقل : افسحوا »(٣٦) على شرط السنن ، ولم[١] يخرجوه .

وقال الإمام أحمد(٣٧) : حدثنا عبد الملك بن عمرو ، حدثنا فليح ، عن أيوب بن عبد الرحمن بن أبي صعصعة ، عن يعقوب بن أبي يعقوب ، عن أبي هريرة ، عن النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم قال : « **لا يقم الرجل الرجل من مجلسه ثم يجلس فيه ، ولكن افسحوا يفسح اللَّه لكم** » .

ورواه أيضًا عن سُريج[٢] بن يونس ، ويونس[٣] بن محمد المؤدب ، عن فليح ، به . ولفظه : « **لا يقوم الرجل للرجل من مجلسه ، ولكن افسحوا يفسح اللَّه لكم** »(٣٨) . تفرد به أحمد .

وقد اختلف الفقهاء في جواز القيام للوارد إذا جاء علىٰ أقوال : فمنهم من رخّص في ذلك محتجًا بحديث : « **قوموا إلىٰ سيدكم** »(٣٩) . ومنهم من منع من ذلك محتجًا بحديث : « **من أحب أن يتمثل له الرجال قيامًا ، فليتبوأ مقعده من النار** »(٤٠) .

---

(٣٦) - وأخرجه الشافعي (٦٦٥) ، وابن جريج مدلس ، وسليمان بن موسى : صدوق فقيه في حديثه بعض لين وخولط قبل موته بقليل . والحديث تقدم تخريجه في الصحيحين دون تقيده بالجمعة .

(٣٧) - أخرجه أحمد (٢/٥٢٣) من طريق عبد الملك .

(٣٨) - وأخرجه (٢/٣٣٨) من طريق يونس ، (٢/٤٨٣) من طريق سريج ثلاثتهم عن فليح به .
قال الهيثمي في « مجمع الزوائد » (٨/٦٣) : رواه أحمد ورجاله ثقات .

(٣٩) - أخرجه البخاري في كتاب : الجهاد ، باب : إذا نزل العدو على حكم رجل ، حديث (٣٠٤٣) (٦/١٦٥) . وأطرافه في [٣٨٠٤، ٤١٢١، ٦٢٦٢] . ومسلم في كتاب : الجهاد ، باب : جواز قتال من نقض العهد ، حديث (٦٤/١٧٦٨) (١٢/١٣٢ وما بعدها) . كلاهما من حديث أبي سعيد .
قال النووي : « قوموا إلى سيدكم أو خيركم » فيه إكرام أهل الفضل وتلقيهم بالقيام لهم إذا أقبلوا ، هذا احتج به جماهير العلماء لاستحباب القيام . قال القاضي : وليس هذا من القيام المنهى عنه ، وإنما ذلك فيمن يقومون عليه وهو جالس ، ويمثلون قيامًا طول جلوسه . قلت : القيام للقادم من أهل الفضل مستحب ، وقد جاء فيه أحاديث ، ولم يصح في النهي عنه شيء صريح ، وقد جمعت كل ذلك مع كلام العلماء عليه في جزء ، وأجبت فيه عما توهم النهي عنه ، والله أعلم . انتهى من شرح مسلم .

(٤٠) - أخرجه أحمد (٤/ ٩١، ٩٣، ١٠٠) ، وأبو داود في كتاب : الأدب ، باب : في قيام الرجل للرجل ، حديث (٥٢٢٩) (٤/٣٥٨) ، والترمذي في كتاب : الأدب ، باب : ما جاء في كراهية قيام الرجل للرجل ، حديث (٢٧٥٦) (٨/٦) . والبخاري في الأدب كما في صحيح الأدب المفرد للألباني (٩٧٧) . كلهم من طريق حبيب بن الشهيد ، عن أبي مجلز ، قال خرج معاوية على ابن الزبير وابن عامر ؛ فقام ابن عامر وجلس ابن الزبير ، فقال معاوية لابن عامر : اجلس فإني سمعت رسول الله - صلى

---

[١] - في ز ، خ: « فلم » . [٢] - في ز، خ : « شريح » .
[٣] - سقط من : ز .

ومنهم من فصّل فقال : يجوز عند القدوم من سفر ، وللحاكم في محل ولايته ، كما دل عليه قصة سعد بن معاذ ، فإنه لما استقدمه النبي صلىٰ الله عليه وسلم حاكمًا في بني قريظة فرآه مقبلًا قال للمسلمين : « **قوموا إلىٰ سيدكم** » . وما ذاك إلا ليكون أنفذ لحكمه ، والله أعلم .

فأما اتخاذه ديدنًا فإنه من شعار العجم . وقد جاء في السنن أنه لم يكن شخص أحب إليهم من رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم وكان إذا جاء لا يقومون له ، لما يعلمون من كراهته لذلك (٤١) .

وفي الحديث المروي في السنن أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم كان يجلس حيث انتهى به المجلس ، ولكن حيث يجلس يكون صدر ذلك المجلس ، وكان الصحابة رضى الله عنهم يجلسون منه علىٰ مراتبهم ، فالصّديق يجلسه عن يمينه ، وعمر عن يساره ، وبين يديه غالبًا عثمان وعليّ ، لأنهما كانا ممن يكتب الوحي ، وكان يأمرهم بذلك ، كما رواه مسلم من حديث الأعمش ، عن عمارة بن عمير[١] ، عن أبي معمر ، عن أبي مسعود : أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم كان يقول : « **ليليني منكم أولو الأحلام والنهىٰ ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم** » . وما ذاك إلا ليعقلوا عنه ما يقوله - صلوات الله وسلامه عليه - ولهذا أمر أولئك النفر بالقيام ليجلس الذين وردوا من أهل بدر ، إما لتقصير أولئك في حق البدريين ، أو ليأخذ البدريون من العلم بنصيبهم ، كما أخذ أولئك قبلهم ، أو تعليمًا بتقديم الأفاضل إلى الأمام (٤٢) .

وقال الإمام أحمد (٤٣) : حدثنا وكيع ، عن الأعمش ، عن عُمارة[٢] بن عمير التيمي[٣] ، عن أبي معمر ، عن أبي مسعود قال : كان رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم يمسح مناكبنا في الصلاة ويقول : « **استووا ، ولا تختلفوا فتختلف قلوبكم ، ليليني منكم**

الله عليه وسلم - يقول : .... فذكر الحديث . قال الترمذي : حديث حسن . وتعقبه الألباني فحكم بصحة الحديث في الصحيحة (٣٥٧) .

(٤١) - أخرجه أحمد (١٣٢/٣) (١٢٣٦٦) ، والترمذي في كتاب الأدب ، باب : ما جاء في كراهية قيام الرجل للرجل ، حديث (٢٧٥٦) (٦/٨) ، والبغوي في شرح السنة (٢٩٤/١٢) (٣٣٢٩) . كلهم من حديث أنس . قال الترمذي : حسن . وقال البغوي : حسن صحيح .

(٤٢) - أخرجه مسلم في كتاب : الصلاة ، باب : تسوية الصفوف وإقامتها ، حديث (٤٣٢/١٢٢) (٤/ ٢٠٣ - ٢٠٤) .

(٤٣) - وأحمد (١٢٢/٤) (١٧١٥٣) .

---

[١] - في ز ، خ: « عمر » .

[٢] - في ز ، خ: « عمار » .

[٣] - في ز ، خ: « الليثي » .

أولو الأحلام والنهىٰ ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم » . قال أبو مسعود : فأنتم اليوم أشد اختلافًا .

وكذا[١] رواه مسلم وأهل السنن - إلّا الترمذي - من طرق عن الأعمش به(٤٤) . وإذا كان هذا أمره لهم في الصلاة أن يليه العقلاء ثم العلماء ، فبطريق الأولىٰ أن يكون ذلك في غير الصلاة .

وروىٰ أبو داود من حديث معاوية بن صالح ، عن أبي الزاهرية ، عن كثير بن مرة ، عن عبد الله بن عمر ، أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم قال : « **أقيموا الصفوف ، وحاذوا بين المناكب ، وسدوا الخلل ، ولينوا بأيدي إخوانكم ، ولا تذروا فرجات الشيطان ، ومن وصل صفًا وصله الله ، ومن قطع صفًا قطعه الله** »(٤٥) . ولهذا كان أبي بن كعب سيد القراء إذا انتهىٰ إلىٰ الصفّ الأول انتزع منه رجلًا يكون من أفناء[٢] الناس ، ويدخل هو في الصف المقدم ، ويحتج بهذا الحديث : « **ليليني منكم أولو الأحلام والنهىٰ** » .

وأما عبد الله بن عمر فكان لا يجلس في المكان الذي يقوم له صاحبه عنه ، عملًا بمقتضىٰ ما تقدم من روايته الحديث الذي أوردناه . ولنقتصر علىٰ هذا المقدار من الأنموذج المتعلق بهذه الآية ، وإلا فبسطه يحتاج إلىٰ غير هذا الموضع .

وفي الحديث الصحيح : بينا رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم جالس ، إذ أقبل ثلاثة نفر ، فأما أحدهم فوجد فرجة في الحلقة فدخل فيها ، وأما الآخر فجلس وراء الناس ، وأدبر الثالث ذاهبًا . فقال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **ألا أنبئكم بخبر[٣] الثلاثة ، أما الأول فأوىٰ إلىٰ الله فآواه الله ، وأما الثاني فاستحيا فاستحيا الله منه . وأما الثالث فأعرض فأعرض الله عنه** »(٤٦)

(٤٤) - وأخرجه مسلم كما مر ، وأبو داود في كتاب : الصلاة ، باب : من يستحب أن يلي الإمام في الصف وكراهية التأخر ، حديث (٦٧٤) (١٨٠/١) ، والنسائي (٨٧/٢ - ٨٨) ، وابن ماجة في كتاب : الإقامة ، باب : من يستحب أن يلي الإمام ، حديث (١٧٦) (٣١٢/١ - ٣١٣) .

(٤٥) - أخرجه أبو داود في كتاب : الصلاة ، باب : تسوية الصفوف ، حديث (٦٦٦) (١٧٨/١ - ١٧٩) ، وصححه الألباني في صحيح أبي داود (٦٢٠) .

(٤٦) - أخرجه البخاري في كتاب العلم ، باب : من قعد حيث ينتهي به المجلس ، حديث (٦٦) (١٥٦/١) وطرفه في [٤٧٤] . ومسلم في كتاب : السلام ، باب : من أتى مجلسًا فوجد فرجة فجلس فيها ، حديث (٢١٧٦/٢٦) (٢٢٦/١٤) كلاهما من حديث أبي واقد الليثي - رضي الله عنه .

[١] - في ت : « هكذا » .

[٢] - في ز ، خ: « أفناد » . [٣] - في ز ، خ: « بخير » .

وقال الإمام أحمد : حدثنا عَتّاب[١] بن زياد ، [أخبرنا عبد الله][٢] ، أخبرنا أسامة بن زيد ، عن عمرو بن شعيب ، عن أبيه ، عن عبد الله بن عمرو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « **لا يحل لرجل أن يفرق بين اثنين إلا بإذنهما** »(٤٧) .

ورواه أبو داود والترمذي من حديث أسامة بن زيد الليثي به(٤٨) . وحسّنه الترمذي .

وقد رُوي عن ابن عباس والحسن البصري وغيرهما أنهم قالوا في قوله تعالى : ﴿ **إذا قيل لكم تفسحوا في المجلس فافسحوا** ﴾ ، يعني : في مجالس الحرب . قالوا : ومعنى قوله : ﴿ **وإذا قيل** [ ][٣] **انشزوا فانشزوا** ﴾ أي : انهضوا للقتال . وقال قتادة : ﴿ **وإذا قيل انشزوا فانشزوا** ﴾ ، أي : إذا دعيتم إلى خير فأجيبوا . وقال مقاتل : إذا دعيتم إلى الصلاة فارتفعوا إليها .

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : كانوا إذا كانوا عند النبي صلى الله عليه وسلم في بيته فأرادوا الانصراف ، أحب كل منهم أن يكون هو آخرهم خروجًا من عنده ، فربما يشق ذلك عليه - عليه السلام - وقد تكون له الحاجة ، فأمروا أنهم إذا أمروا بالانصراف أن ينصرفوا ، كقوله : ﴿ **[وإن قيل لكم][٤] ارجعوا فارجعوا** ﴾ .

وقوله : ﴿ **يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات . والله بما تعملون خبير** ﴾ أي : لا تعتقدوا أنه إذا فَسح أحد منكم لأخيه إذا أقبل ، أو إذا أمر بالخروج فخرج ، أن يكون ذلك نقصًا في حقه ، بل هو رفعة ومزية عند الله ، والله تعالى لا يضيع ذلك له ، بل يجزيه بها في الدنيا والآخرة ، فإن من تواضع لأمر الله رَفَع الله قدره ، ونشَرَ ذكره ؛ ولهذا قال : ﴿ **يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات . والله [بما تعملون خبير** ﴾ ، أي :][٥] خبير بمن يستحق ذلك وبمن لا يستحقه .

قال الإمام أحمد : حدثنا أبو كامل ، حدثنا إبراهيم ، حدثنا ابن شهاب ، عن أبي الطفيل

---

(٤٧) - أخرجه أحمد (٢/٢١٣) (٦٩٩٩) .

(٤٨) - وأبو داود في كتاب : الأدب ، باب : في تنزيل الناس منازلهم ، حديث (٤٨٤٥) (٤/٢٦٢) ، والترمذي في كتاب : الأدب ، باب : ما جاء في كراهية الجلوس بين الرجلين بغير إذنهما ، حديث (٢٧٥٣) (٥/٨) . قال الترمذي : حسن صحيح ، وصححه أحمد شاكر في تعليقه على المسند . وقال الألباني : حسن صحيح في صحيح أبي داود .

---

[١] - في ز ، خ: « عثمان » .

[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز،خ .

[٣] - ما بين المعكوفتين في ز ، خ: « لكم » .

[٤] - ما بين المعكوفتين في ز ، خ: « وإذا قيل » .

[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ،خ.

عامر بن واثلة أن نافع بن عبد الحارث لقي[١] عمر بن الخطاب بعُسفان ، وكان عمر استعمله على مكة ، فقال له عمر : من استخلفت على أهل الوادي ؟ قال : استخلفت عليهم ابن أبزى . قال : [وما ابن أبزى ؟ فقال][٢] : رجل من موالينا . فقال عمر : استخلفت عليهم مولى ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ؛ إنه قارئ لكتاب الله ، عالم بالفرائض ، قاض . فقال عمر -رضي الله عنه- : أما إن نبيكم صلى الله عليه وسلم قد قال : « **إن الله يرفع بهذا الكتاب قومًا ويضع به آخرين** »(٤٩) . وهكذا رواه مسلم من غير وجه عن الزهري به (٥٠).

ورُوي من غير وجه عن عمر بنحوه . وقد ذكرت فضل العلم وأهله وما ورد في ذلك من الأحاديث مستقصاة في شرح كتاب العلم من صحيح البخاري ، فلله[٣] الحمد والمنة .

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَٰجَيۡتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيۡ نَجۡوَىٰكُمۡ صَدَقَةٗۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ لَّكُمۡ وَأَطۡهَرُۚ فَإِن لَّمۡ تَجِدُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ ءَأَشۡفَقۡتُمۡ أَن تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيۡ نَجۡوَىٰكُمۡ صَدَقَٰتٖۚ فَإِذۡ لَمۡ تَفۡعَلُواْ وَتَابَ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمۡ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥۚ وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴿١٣﴾

يقول تعالى آمرًا عباده المؤمنين إذا أراد أحدهم أن يناجي رسول الله صلى الله عليه وسلم أي : يساره فيما بينه وبينه أن يقدم بين يدي ذلك صدقة تطهره وتزكيه وتؤهله لأن يصلح لهذا المقام ، ولهذا قال : ﴿ **ذلك خير لكم وأطهر** ﴾ .

ثم قال : ﴿ **فإن لم تجدوا** ﴾ ، أي : إلا من عجز عن ذلك لفقده ﴿ **فإن الله غفور رحيم** ﴾ ، فما أمر بها إلا من قدر عليها .

ثم قال : ﴿ **أأشفقتم أن تقدموا بين يدي نجواكم صدقات** ﴾ ، أي : أخفتم من استمرار هذا الحكم عليكم من وجوب الصدقة قبل مناجاة الرسول ، ﴿ **فإذ لم تفعلوا وتاب الله عليكم فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وأطيعوا الله ورسوله والله خبير بما تعملون** ﴾ ، فنسخ وجوب ذلك عنهم . وقد قيل : إنه لم يعمل بهذه الآية قبل نسخها سوى علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - .

(٤٩) - أخرجه أحمد (٣٥/١) (٢٣٢) .

(٥٠) - ومسلم في كتاب : صلاة المسافرين ، باب : فضل من يقوم بالقرآن ويعلمه ، حديث (٨١٧/٢٦٩) (١٤٢/٦) .

[١] - في ز ،خ: « أتى » .

[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز،خ .

[٣] - في ت : « ولله » .

قال ابن أبي نجيح عن مجاهد قال : نهوا عن مناجاة النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم حتىٰ يتصدقوا ، فلم يناجه إلا عليّ بن أبي طالب ، قدم دينارًا صدقة تصدق به ، ثم ناجىٰ النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، فسأله عن عشر خصال ، ثم أنزلت الرخصة .

وقال ليث بن أبي سليم عن مجاهد : قال عليّ -رضي اللّٰه عنه- : آية في كتاب اللّٰه - عز وجل - لم يعمل بها أحد قبلي ، ولا يعمل بها أحد بعدي ، كان عندي دينار فصرفته بعشرة[1] دراهم ، فكنت إذا ناجيت رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم تصدقت بدرهم ، فنسخت ولم يعمل بها أحد قبلي ، ولا يعمل بها أحد بعدي ، ثم تلا هذه الآية : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا إذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقة ...**﴾ الآية(٥١) .

وقال ابن جرير : حدثنا ابن حميد ، حدثنا مهران ، عن سفيان ، عن عثمان بن المغيرة ، عن سالم بن أبي الجعد ، عن عليّ بن علقمة الأنماري ، عن عليّ -رضي اللّٰه عنه- قال : قال النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **ما ترىٰ ؟ دينار ؟** » قال : [لا يطيقون][2] . قال : « **نصف دينار ؟** » قال : لا يطيقون[3] . قال : « **ما ترىٰ ؟** » ؟ قال : شَعيرَة . فقال له النبي صلى اللّٰه عليه وسلم: « **إنك زهيد**[4] ». قال[5]: قال علي : فبي خفف اللّٰه عن هذه الأمة . وقوله : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا إذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقة** ﴾ . فنزلت : ﴿ **أأشفقتم أن تقدموا بين يدي نجواكم صدقات**[6] ﴾(٥٢) .

ورواه الترمذي عن سفيان بن وكيع ، عن يحيىٰ بن آدم ، عن عبيد اللّٰه الأشجعي ، عن سفيان الثوري ، عن عثمان بن المغيرة الثقفي ، عن سالم بن أبي الجعد ، عن عليّ بن علقمة الأنماري ، عن عليّ بن أبي طالب قال : لما نزلت : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا إذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقة** ﴾ . قال لي[7] النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **ما ترىٰ ؟ دينار ؟** » قلت[8] : لا يطيقونه[9] . وذكره بتمامه ، مثله(٥٣) ، ثم قال : هذا

---

(٥١) - أخرجه الطبري (٢٨/٢٠) . وفي إسناده ليث بن أبي سليم صدوق قد اختلط جدًّا ، ولم يتميز حديثه فترك . والحديث أخرجه الحاكم من طريق آخر عن علي وقال : صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبي .

(٥٢) - أخرجه الطبري (٢٨/٢١) . وفي إسناده علي بن علقمة الأنماري ، قال الحافظ : مقبول .

(٥٣) - وأخرجه الترمذي في كتاب : التفسير ، باب : ومن سورة المجادلة ، حديث (٣٢٩٧) (٩/٤١)=

---

[1] - في ز،خ : « بعشر » .

[2] - ما بين المعكوفتين في ز ،خ: « ما تطيقون » .

[3] - في ز،خ : « تطيقون » .

[4] - في ز : « لن تميد » .

[5] - سقط من : ز،خ .

[6] - في ز ،خ: « صدقة » .

[7] - سقط من : ز،خ .

[8] - في ز،خ : « قال » .

[9] - في ز ،خ: « لا تطيقونه » .

حديث حسن غريب ، إنما نعرفه من هذا الوجه . ثم قال : ومعنىٰ قوله « شعيرة » : يعني وزن شعيرة من ذهب .

ورواه أبو يعلىٰ عن أبي بكر بن أبي شيبة عن يحيىٰ بن آدم به(٥٤) .

وقال العوفي : عن ابن عباس في قوله : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا إذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقة** ﴾ إلىٰ : ﴿ **فإن الله غفور رحيم** ﴾ . كان المسلمون يقدمون بين يدي النجوىٰ صدقة ، فلما نزلت الزكاة نسخ هذا .

وقال عليّ بن أبي طلحة : عن ابن عباس قوله : ﴿ **فقدموا بين يدي نجواكم صدقة** ﴾ ، وذلك أن المسلمين أكثروا المسائل علىٰ رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم حتىٰ شقوا عليه ، فأراد اللَّه أن يخفف عن نبيه - عليه السلام - فلما قال ذلك [صبر كثير][١] من الناس وكفوا عن المسألة ، فأنزل اللَّه بعد هذا : ﴿ **أأشفقتم أن تقدموا بين يدي نجواكم صدقات[٢] فإذ لم تفعلوا وتاب الله عليكم فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة** ﴾ ، فوسع اللَّه عليهم ولم يضيق .

وقال عكرمة والحسن البصري في قوله : ﴿ **فقدموا بين يدي نجواكم صدقة** ﴾ : نسختها الآية التي بعدها : ﴿ **أأشفقتم أن تقدموا بين يدي نجواكم صدقات[٣]** ﴾ إلىٰ آخرها .

وقال سعيد عن قتادة ومقاتل بن حيان : سأل الناس رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم حتى أحفوه بالمسألة ، فقطعهم اللَّه بهذه الآية ، فكان الرجل منهم[٤] إذا كانت له الحاجة إلىٰ[٥] نبي اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم فلا يستطيع أن يقضيها حتىٰ يقدم بين يديه صدقة ، فاشتد ذلك عليهم ، فأنزل اللَّه الرخصة بعد ذلك : ﴿ **فإن لم تجدوا فإن الله غفور رحيم** ﴾ .

وقال معمر : عن قتادة : ﴿ **إذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقة** ﴾ : إنها منسوخة ، ما كانت إلا ساعة من نهار . وهكذا روىٰ عبد الرزاق : أخبرنا معمر ، عن أيوب ، عن مجاهد ، قال عليّ : ما عمل بها أحد غيري حتىٰ نسخت ، وأحسبه قال : وما كانت إلا ساعة.

= وضعف إسناده الألباني في ضعيف سنن الترمذي (٦٥٢ - ٣٥٣٢) .

(٥٤) - وأخرجه وأبو يعلى (٣٢٢/١ - ٣٢٣) (٤٠٠) من طريق علي بن علقمة ، قال البخاري : في حديثه نظر ، وذكره ابن حبان في الثقات ، وقال الحافظ : مقبول .

---

[١] - ما بين المعكوفتين في ز ،خ: « حين كثر » .

[٢] - في ز ، خ: « صدقة » .

[٣] - في ز ، خ: « صدقة » .

[٤] - سقط من : ز،خ .

[٥] - في ز،خ : « أتى » .

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِم مَّا هُم مِّنكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ (١٤) أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٥) اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ فَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ (١٦) لَّن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُم مِّنَ اللَّهِ شَيْئًا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (١٧) يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ (١٨) اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُولَٰئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ (١٩) ﴾

يقول تعالىٰ منكرًا علىٰ المنافقين في موالاتهم الكفار في الباطن ، وهم في نفس الأمر لا معهم ولا مع المؤمنين ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **مذبذبين بين ذلك لا إلىٰ هؤلاء ولا إلىٰ هؤلاء ومن يضلل اللَّه فلن تجد له سبيلًا** ﴾ . وقال هاهنا : ﴿ **ألم تر إلىٰ الذين تولوا قومًا غضب اللَّه عليهم** ﴾ ، يعني اليهود ، الذين كان المنافقون يمالئونهم ويوالونهم في الباطن . ثم قال : ﴿ **ما[١] هم منكم ولا منهم** ﴾ ، أي : هؤلاء المنافقون ، ليسوا في الحقيقة لا منكم أيها المؤمنون ، ولا من الذين تولوهم وهم اليهود .

ثم قال : ﴿ **ويحلفون علىٰ الكذب وهم يعلمون** ﴾ يعني : المنافقين يحلفون علىٰ الكذب وهم عالمون بأنهم كاذبون فيما حلفوا ، وهي اليمين الغموس ، ولا سيما في مثل حالهم اللعين - عياذًا باللَّه منه - فإنهم كانوا إذا لقوا الذين آمنوا قالوا : آمنا ، وإذا جاءوا الرسول حلفوا باللَّه أنهم مؤمنون ، وهم في ذلك يعلمون أنهم يكذبون فيما حلفوا به ، لأنهم لا يعتقدون صدق ما قالوه ، وإن كان في نفس الأمر مطابقًا . ولهذا شهد اللَّه بكذبهم في إيمانهم وشهادتهم لذلك .

ثم قال : ﴿ **أعد اللَّه لهم عذابًا شديدًا إنهم ساء ما كانوا يعملون** ﴾ ، أي : أرصد اللَّه لهم علىٰ هذا الصنيع العذاب الأليم علىٰ أعمالهم السيئة ، وهي موالاة الكافرين ونصحهم[٢] ، ومعاداة المؤمنين وغشهم ، ولهذا قال تعالىٰ : ﴿ **اتخذوا أيمانهم جنة فصدوا عن سبيل اللَّه** ﴾ ، أي : أظهروا الإيمان وأبطنوا الكفر ، واتقوا بالأيمان الكاذبة ، فظن كثير ممن لا يعرف حقيقة أمرهم صدقهم فاغتر بهم ، فحصل بهذا صد عن سبيل اللَّه لبعض

[١] - في ز ،خ: « لا »

[٢] - سقط من : ز،خ .

الناس ، ﴿ **فلهم عذاب مهين** ﴾ ، أي : في مقابلة ما امتهنوا من الحلف باسم الله العظيم في الأيمان الكاذبة الحانثة .

ثم قال : ﴿ **لن تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئًا** ﴾ ، أي : لن يدفع ذلك عنهم بأسًا إذا جاءهم ، ﴿ **أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون** ﴾ .

ثم قال : ﴿ **يوم يبعثهم الله جميعًا** ﴾ أي : يحشرهم يوم القيامة عن آخرهم فلا يغادر منهم أحدًا ﴿ **فيحلفون له كما يحلفون لكم ويحسبون أنهم على شيء** ﴾ أي : يحلفون لله[١] - عز وجل - أنهم كانوا على الهدى والاستقامة كما كانوا يحلفون للناس في الدنيا : لأن من عاش على شيء مات عليه وبعث عليه ويعتقدون أن ذلك ينفعهم عند الله كما كان ينفعهم عند الناس فيجرون عليهم الأحكام الظاهرة ؛ ولهذا قال ﴿ **ويحسبون أنهم على شيء** ﴾ أي : حلفهم ذلك لربهم - عز وجل - ثم قال منكرًا عليهم حسبانهم[ذلك][٢] : ﴿ **ألا إنهم هم الكاذبون** ﴾ فأكد الخبر عنهم بالكذب .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا ابن نفيل ، حدثنا زهير ، حدثنا[٣] سماك بن حرب ، حدثني سعيد بن جُبَير : أن ابن عباس حَدثه : أن النبي صلىٰ الله عليه وسلم كان في ظل حجرة من حُجَره ، وعنده نفر من المسلمين قد كاد يقلص عنهم الظل ، قال : « **إنه سيأتيكم إنسان**[٤] **ينظر بعيني شيطان ، فإذا أتاكم فلا تكلموه** » . فجاء رجل أزرق ، فدعاه رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم فكلمه ، فقال : « **علام تشتمني أنت وفلان وفلان ؟** » - نفر دعاهم بأسمائهم - قال : فانطلق الرجل فدعاهم ، فحلفوا له واعتذروا إليه ، قال : فأنزل الله عز وجل : ﴿ **فيحلفون له كما يحلفون لكم ويحسبون أنهم علىٰ شيء ألا إنهم هم الكاذبون** ﴾ .

وهكذا رواه الإمام أحمد من طريقين عن سماك ، به(٥٥) .

ورواه ابن جرير ، عن محمد بن المثنىٰ ، عن غندر ، عن شعبة ، عن سماك ، به نحوه(٥٦) .

وأخرجه أيضًا من حديث سفيان الثوري عن سماك بنحوه إسناد جيد ولم يخرجوه(٥٧) .

---

(٥٥) - أخرجه أحمد (٢٤٠/١) (٢١٤٧) .

(٥٦) - والطبري (٢٣/٢٨) وشعبة روى عن سماك قبل الاختلاط وقد صحح إسناد هذا الحديث الشيخ أحمد شاكر في تعليقه على المسند .

(٥٧) - وأخرجه الطبري (٢٥/٢٨) من طريق سفيان عن سماك ، والحاكم (٤٨٢/٢) من طريق =

---

[١] - في ت : « بالله » .

[٢] - سقط من ت .

[٣] - في ت : « عن » .

[٤] - في ز،خ : « البيان » .

وحال هؤلاء كما أخبر تعالىٰ عن المشركين حيث يقول : ﴿ **ثم لم تكن فتنتهم إلا أن قالوا والله ربنا ما كنا مشركين * انظر كيف كذبوا علىٰ أنفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون** ﴾ . ثم قال : ﴿ **استحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله** ﴾ ، أي : استحوذ علىٰ قلوبهم الشيطان حتىٰ أنساهم أن يذكروا الله - عز وجل - وكذلك يصنع بمن استحوذ عليه . ولهذا قال أبو داود :

حدثنا أحمد بن يونس ، حدثنا زائدة ، حدثنا السائب بن حُبيش ، عن معدان بن أبي طلحة اليَعْمَري ، عن أبي الدرداء قال[١] : سمعت رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم يقول : « **ما من ثلاثة في قرية ولا بدو ، لا تقام فيهم الصلاة إلا قد استحوذ عليهم الشيطان ، فعليك بالجماعة فإنما يأكل الذئب القاصية** » ، قال زائدة : قال السائب : يعني الصلاة في الجماعة(٥٨) .

ثم قال تعالىٰ : ﴿ **أولئك حزب الشيطان** ﴾ ، يعني الذين استحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله . ثم قال : ﴿ **ألا إن حزب الشيطان هم الخاسرون** ﴾ .

إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ٱلۡأَذَلِّينَ ﴿٢٠﴾ كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغۡلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِيٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٞ ﴿٢١﴾ لَّا تَجِدُ قَوۡمٗا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ يُوَآدُّونَ مَنۡ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوۡ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمۡ أَوۡ أَبۡنَآءَهُمۡ أَوۡ إِخۡوَٰنَهُمۡ أَوۡ عَشِيرَتَهُمۡۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٖ مِّنۡهُۖ وَيُدۡخِلُهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ أُوْلَٰٓئِكَ حِزۡبُ ٱللَّهِۚ أَلَآ إِنَّ حِزۡبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿٢٢﴾

يقول تعالىٰ مخبرًا عن الكفار المعاندين المحادين لله ورسوله ، يعني : الذين هم في حد

= إسرائيل عنه . وقال : صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه . وأورده الهيثمي في « مجمع الزوائد » (٧/ ١٢٥) وعزاه إلى الطبراني وأحمد والبزار ، وقال : رجال الجميع رجال الصحيح .

(٥٨) - أخرجه أبو داود في كتاب : الصلاة ، باب : في التشديد في ترك الجماعة ، حديث (٥٤٧) (١/ ١٥٠) . قال الزيلعي في « نصب الراية » (٢/ ٢٤) : قال النووي : إسناده صحيح ، ذكره في الخلاصة . وحسنه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٥١١) .

---

[١] - سقط من ت .

والشرع في حَد ، أي : مجانبون للحق مشاقون له ، هم في ناحية والهدى في ناحية ، ﴿ **أولئك في الأذلين** ﴾ ، أي : في الأشقياء المبعَدين المطرودين عن الصواب ، الأذلّين في الدنيا والآخرة .

﴿ **كتب الله لأغلبن أنا ورسلي** ﴾ ، أي : قد حكم وكتب في كتابه الأول وقَدَره الذي لا يُخالف ولا يمانع ولا يبدل ، بأن النصرة له ولكتابه ورسله وعباده المؤمنين في الدنيا والآخرة ، وأن العاقبة للمتقين ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد * يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ولهم اللعنة ولهم سوء الدار** ﴾ . وقال هاهنا : ﴿ **كتب الله لأغلبن أنا ورسلي إن الله قوي عزيز** ﴾ ، أي : كتب القوي العزيز أنه الغالب لأعدائه ، وهذا قدر محكم وأمر مبرم ، أن العاقبة والنصرة للمؤمنين في الدنيا والآخرة .

ثم قال تعالىٰ : ﴿ **لا تجد قومًا يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم** ﴾ ، أي لا يوادون المحادين ولو كانوا من الأقربين ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء إلا أن تتقوا منهم تقاة ويحذركم الله نفسه** ﴾ ... الآية . وقال تعالىٰ : ﴿ **قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتىٰ يأتي الله بأمره والله لا يهدي القوم الفاسقين** ﴾ .

وقد قال سعيد بن عبد العزيز وغيره : أنزلت هذه الآية : ﴿ **لا تجد قومًا يؤمنون بالله واليوم الآخر** ﴾ إلىٰ آخرها في أبي عبيدة عامر بن عبد الله بن الجراح ، حين قتل أباه يوم بدر . ولهذا قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه حين جعل الأمر شورىٰ بعده في أولئك الستة - رضي الله عنهم - : ولو كان أبو عبيدة حيًا لاستخلفته .

وقيل في قوله : ﴿ **ولو كانوا آباءهم** ﴾ : نزلت في أبي عبيدة ، قتل أباه يوم بدر . ﴿ **أو أبناءهم** ﴾ : في الصديق ، هَمَّ يومئذ بقتل ابنه عبد الرحمن ، ﴿ **أو إخوانهم** ﴾ : في مصعب ابن عمير ، قتل أخاه عبيد بن عمير يومئذ . ﴿ **أو عشيرتهم** ﴾ : في عمر ، قتل قريبًا له يومئذ أيضًا ، وفي حمزة وعليّ وعبيدة بن الحارث ، قتلوا عتبة وشيبة والوليد بن عتبة يومئذ ، والله أعلم .

قلت: ومن هذا القبيل حين استشار رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمين[١] في أسارى بدر فأشار الصديق بأن يفادوا فيكون ما يؤخذ منهم قوة للمسلمين وهم بنو العم

---

[١] - في ز ، خ: « المؤمنين » .

والعشيرة، ولعل الله أن يهديهم، وقال عمر: لا أرى ما رأى يا رسول الله، هل تمكنني من فلان - قريب لعمر - فأقتله، وتُمكن[١] عليًا من عقيل، وتُمكن[٢] فلانًا من فلان ليعلم الله أنه ليست في قلوبنا هوادة للمشركين... القصة بكمالها(٥٩) .

وقوله : ﴿ **أولئك كتب في قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه** ﴾ ، أي : من اتصف بأنه لا يواد من حاد الله ورسوله ولو كان أباه أو أخاه ، فهذا ممن كتب الله في قلبه الإيمان ، أي كتب له السعادة وقررها في قلبه وزين الإيمان في بصيرته .

قال السدي : ﴿ **كتب في قلوبهم الإيمان** ﴾ أي[٣] : جعل في قلوبهم الإيمان .

وقال ابن عباس : ﴿ **وأيدهم بروح منه** ﴾ ، أي : قواهم .

وقوله : ﴿ **ويدخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها رضي الله عنهم ورضوا عنه** ﴾ : كل هذا تقدم تفسيره غير مرة .

وفي قوله : ﴿ **رضي الله عنهم ورضوا عنه** ﴾ : سر بديع ، وهو أنه لما سخطوا على القرائب والعشائر في الله عوّضهم الله بالرضا عنهم ، وأرضاهم عنه بما أعطاهم من النعيم المقيم ، والفوز العظيم ، والفضل العميم .

وقوله : ﴿ **أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون** ﴾ . أي : هؤلاء حزب الله أي : عباد الله وأهل كرامته .

وقوله : ﴿ **ألا إن حزب الله هم المفلحون** ﴾ : تنويه بفلاحهم وسعادتهم ونصرهم في الدنيا والآخرة ، في مقابلة ما أخبر عن أولئك بأنهم حزب الشيطان ، ثم قال : ﴿ **ألا إن حزب الشيطان هم الخاسرون** ﴾ .

وقد قال ابن أبي حاتم : حدثنا هارون بن حميد الواسطي ، حدثنا الفضل بن عنبسة ، عن رجل قد سماه - يقال : هو عبد الحميد بن سليمان ، انقطع من كتابي - ، عن الذيال بن عباد قال : كتب أبو[٤] حازم الأعرج إلى الزهري : اعلم أن الجاه جاهان ، جاه يجريه الله على أيدي أوليائه لأوليائه . وإنهم الخامل ذكرهم ، الخفية شخوصهم ، ولقد جاءت صفتهم على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **إن الله يحب الأخفياء الأتقياء، الأبرياء الذين إذا غابوا لم يفتقدوا ، وإذا حضروا لم يُدْعَوا ، قلوبهم مصابيح الهدى،**

(٥٩) - تقدم تخريج القصة بكاملها في تفسير سورة الأنفال ، آية (٦٧) .

[١] - في ز،خ : « يمكن » .
[٢] - في ز ، خ: « يمكن » .
[٣] - سقط من : ز، خ .
[٤] - في ز ، خ: « ابن » .

يخرجون من كل فتنة سوداء مظلمة . فهؤلاء أولياء اللّه الذين قال اللّه : ﴿ أولئك حزب اللّه ألا إن حزب اللّه هم المفلحون ﴾» (٦٠) .

وقال نُعيم بن حماد : حدثنا محمد بن ثور ، عن يونس ، عن الحسن قال : قال رسول اللّه صلىٰ اللّه عليه وسلم : **« اللّهم ، لا تجعل لفاجر ولا لفاسق عندي يدًا ولا نعمة ، فإني وجدت فيما أوحيته**[١] **إلي : ﴿ لا تجد قومًا يؤمنون باللّه واليوم الآخر يوادُّون من حاد اللّه ورسوله ﴾ »** . قال سفيان: يرون أنها نزلت فيمن يخالط السلطان (٦١) . ورواه أبو أحمد العسكري.

[آخر تفسير سورة المجادلة . وللّه الحمد] .

☆ ☆ ☆

(٦٠) - المرفوع منه أخرجه ابن ماجة في كتاب الفتن ، باب : من ترجى له السلامة من الفتن ، حديث (٣٩٨٩) (٢/١٣٢٠ - ١٣٢١) بنحوه من حديث معاذ بن جبل - رضي الله عنه . قال في الزوائد : في إسناده عبد الله بن لهيعة ، وهو ضعيف . ولبعض ألفاظ الحديث شاهد عند مسلم (٢٩٦٥/١١) من حديث سعد بن أبي وقاص أنه قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : **« إن الله يحب العبد التقي الغني الخفي »** .

(٦١) - في إسناده انقطاع ظاهر .

[١] - في ز، خ : « أوحاه » .

تفسير سورة الحشر

وهي مدنية

قال سعيد بن منصور : حدثنا هُشيم ، عن أبي بشر ، عن سعيد بن جبير قال : قلت لابن عباس : سورة الحشر ؟ قال : أنزلت في بني النضير . ورواه البخاري ومسلم من وجه آخر ، عن هشيم ، به(١) .

ورواه البخاري(٢) من حديث أبي عوانة ، عن أبي بشر ، عن سعيد بن جبير قال : قلت لابن عباس : سورة الحشر ؟ قال : قل[١] : سورة النَّضير .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۖ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١﴾ هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ ۚ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا ۖ وَظَنُّوا أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا ۖ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ ۚ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ ﴿٢﴾ وَلَوْلَا أَن كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ ﴿٣﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۖ وَمَن يُشَاقِّ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٤﴾ مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَىٰ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ ﴿٥﴾

يخبر تعالىٰ أن جميع ما في السموات وما في الأرض من شيء يسبح له ويمجده ويقدسه ، ويصلي له ويوحده ، كقوله : ﴿ **تسبح له السماوات السبع والأرض ومن فيهن**

(١) - أخرجه البخاري في كتاب التفسير ، باب : سورة الحشر ، حديث (٤٨٨٢) ، ومسلم في كتاب : التفسير ، حديث ٣١ - (٣٠٣١) (٢١٩/١٨) .

(٢) - أخرجه البخاري في الموضع السابق (٤٨٨٣) .

[١] - سقط من : ز ، خ.

وإن من شيء إلا يسبح بحمده ﴾ وقوله: **﴿وهو العزيز﴾** أي منيع الجناب **﴿الحكيم﴾** في قدره وشرعه.

وقوله: **﴿ هو الذي أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب ﴾**، يعني: يهود بني النضير. قاله ابن عباس، ومجاهد والزهري، وغير واحد. كان رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم لما قدم المدينة هادنهم وأعطاهم عهدًا وذمة علىٰ أن لا يقاتلهم ولا يقاتلوه، فنقضوا العهد الذي كان بينهم وبينه، فأحل اللّٰه بهم بأسه الذي لا مَرَدّ له، وأنزل عليهم قضاءه الذي لا يُصَدّ، فأجلاهم النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم وأخرجهم من حصونهم الحصينة التي ما طمع فيها[١] المسلمون، وظنوا هم أنها مانعتهم من بأس اللّٰه، فما أغنىٰ عنهم من اللّٰه شيئًا، وجاءهم ما لم يكن ببالهم، وسيّرهم رسول اللّٰه وأجلاهم من المدينة، فكان منهم طائفة ذهبوا إلىٰ أذرعات من أعالي الشام، وهي أرض المحشر والمنشر، ومنهم طائفة ذهبوا إلىٰ خيبر. وكان قد أنزلهم منها علىٰ أن لهم ما حملت إبلهم، فكانوا يخربون ما في بيوتهم من المنقولات التي يمكن أن تحمل معهم ولهذا قال: **﴿ يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين فاعتبروا يا أولي الأبصار ﴾**، أي: تفكروا في عاقبة من خالف أمر اللّٰه وخالف رسوله، وكذب كتابه، كيف يحل به من بأسه المخزي له في الدنيا، مع ما يدخره له في الآخرة من العذاب الأليم.

قال أبو داود: حدثنا محمد بن داود بن[٢] سفيان، حدثنا عبد الرزاق، أخبرنا معمر، عن الزهري، عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك، عن رجل من أصحاب النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم: أن كفار قريش كتبوا إلىٰ ابن [أبيّ ومن][٣] كان معه يعبد معه الأوثان من الأوس والخزرج، ورسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم يومئذ بالمدينة قبل وقعة بدر: إنكم آويتم[٤] صاحبنا، وإنا[٥] نقسم باللّٰه لتقاتلنه [أو لتخرجنه][٦]، أو لنسيرن إليكم بأجمعنا، حتى نقتل مقاتلتكم ونستبيح نساءكم، فلما بلغ ذلك [ ][٧] عبد اللّٰه بن أبيّ ومن كان معه من عبدة الأوثان، اجتمعوا[٨] لقتال النبي صلى اللّٰه عليه وسلم فلما بلغ ذلك النبي صلى اللّٰه عليه وسلم لقيهم فقال: **« لقد بلغ وعيد قريش منكم المبالغ، ما كانت تكيدكم بأكثر مما تريد أن تكيدوا به أنفسكم، تريدون أن تقاتلوا أبناءكم وإخوانكم؟ »** فلما سمعوا ذلك

---

[١] - في ز، خ: « بها ».
[٢] - في ز، خ: « و ».
[٣] - ما بين المعكوفتين في ز، خ: « أم رب ».
[٤] - في ز، خ: « أدنيتم ».
[٥] - في ز، خ: « وإنما ».
[٦] - ما بين المعكوفتين في ز، خ: « ولنخرجنكم ».
[٧] - ما بين المعكوفتين في ز، خ: « ولد ».
[٨] - في ز، خ: « أحملوا ».

من النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم تفرقوا ، فبلغ ذلك كفارَ قريش ، فكتبت كفار قريش بعد وقعة بدر إلىٰ اليهود : إنكم أهل الحلقة والحصون ، وإنكم لتقاتلن مع صاحبنا أو لنفعلن كذا وكذا ، ولا يحول بيننا وبين خدَم نسائكم شيء - [وهي الخلاخيل][١] - فلما بلغ كتابهم النبي صلى اللّٰه عليه وسلم أجمعت[٢] بنو النضير بالغدر، فأرسلوا إلى النبي صلى اللّٰه عليه وسلم - أخرج إلينا في[٣] ثلاثين رجلًا من أصحابك وليخرج منا ثلاثون [حبرًا ، حتىٰ نلتقي بمكان المنصف فيسمعوا منك ، فإن صدقوك وآمنوا بك آمنا بك ،][٤] فلما كان الغد غدا عليهم رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم بالكتائب[٥] فحصرهم ، فقال لهم : « **إنكم واللّٰه لا تأمنون[٦] عندي إلا بعهد تُعاهدُني[٧] عليه** » . فأبوا أن يعطوه عهدًا ، فقاتلهم يومهم ذلك ، ثم غدا الغدَ علىٰ بني قريظة بالكتائب ، وترك[٨] بني النضير ، ودعاهم إلىٰ أن يعاهدوه ، فعاهدوه ، فانصرف[٩] عنهم . وغدا إلىٰ بني النضير بالكتائب فقاتلهم ، حتىٰ نزلوا علىٰ الجلاء ، فجلت بنو النضير ، واحتملوا ما أقلّت الإبل من أمتعتهم وأبواب بيوتهم وخشبها ، وكان نخل بني النضير لرسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم خاصة ، أعطاه اللّٰه إياها وخصه بها ، فقال : ﴿ **ما أفاء اللّٰه علىٰ رسوله منهم فما أوجفتم عليه من خيل ولا ركاب** ﴾، [يقول : بغير قتال][١٠]. فأعطىٰ النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم أكثرها للمهاجرين ، قسمها بينهم ، وقسم منها لرجلين من الأنصار وكانا ذوي حاجة ، ولم يقسم من الأنصار غيرهما ، وبقي منها صدقة رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم التي في أيدي بني فاطمة(٣) ولنذكر ملخص غزوة بنى النضير على وجه الاختصار وباللّٰه المستعان .

وكان سبب ذلك فيما ذكره أصحاب المغازي والسيَر - أنه لما قُتِل أصحابُ بئر[١١] معونة من أصحاب رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم وكانوا سبعين - ، وأفلت منهم عمرو بن أمية الضمري ، فلما كان في أثناء الطريق راجعًا إلىٰ المدينة قتل رجلين من بني عامر ، وكان معهما

---

(٣) - أخرجه أبو داود في كتاب : الخراج والإمارة والفيء ، باب : في خبر النضير ، حديث (٣٠٠٤) (٣/ ١٥٦) ، ومحمد بن داود بن سفيان ، قال الحافظ : مقبول . والحديث صححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٢٥٩٥) .

---

[١] - ما بين المعكوفتين في ز ، خ: « وهو الخلاخل » .

[٢] - في ز ، خ: « أيقنت » . والمثبت من سنن أبي داود .

[٣] - سقط من : ز ، خ.

[٤] - ما بين المعكوفتين بياض في : ز ، خ.

[٥] - سقط من : ز ، خ.

[٦] - في ت : « تأمنوا » .

[٧] - في ت : « تعاهدوني » .

[٨] - في ز ، خ : « فنزل » .

[٩] - في ز ، خ: « فصرف » .

[١٠] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ.

[١١] - في ز ، خ: « بنو » .

عهد من رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم، وأمان لم يعلم به عمرو ، فلما رجع أخبر رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم فقال له رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **لقد قتلت رجلين لأديَنَّهما** » (٤) ، وكان بين بني النضير وبني عامر حلف وعهد ، فخرج رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم إلىٰ بني النضير يستعينهم في دية ذينك الرجلين ، وكانت منازل بني النضير ظاهر المدينة علىٰ أميال منها شرقيها .

قال محمد بن إسحاق بن يسار في كتابه السيرة (٥) : ثم خرج رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم إلىٰ بني النضير يستعينهم في دية ذينك القتيلين من بني عامر ، اللذين قتل عمرو بن أمية الضمري ، للجوار الذي كان رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم عقد لهما ، فيما حدثني يزيد بن رومان ، وكان بين بني النضير وبني عامر عَقد وحلف ؛ فلما أتاهم رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم يستعينهم في دية ذينك القتيلين ؛ قالوا : نعم ، يا أبا القاسم ، نعينك علىٰ ما أحببت ، مما استعنت بنا عليه ، ثم خلا بعضهم ببعض فقالوا : إنكم لن تجدوا الرجل علىٰ مثل حاله هذه - ورسول الله صلىٰ الله عليه وسلم إلىٰ جنب جدار من بيوتهم - فَمَن رجل يعلو علىٰ هذا البيت ، فيلقي عليه صخرة ، فيريحنا منه ؟ فانتدب لذلك عمرو بن جحاش ابن كعب - أحدهم - فقال : أنا لذلك ، فصعد ليلقي عليه صخرة كما قال ، ورسول الله صلىٰ الله عليه وسلم في نفر من أصحابه ، فيهم أبو بكر وعمر وعليّ رضي الله عنهم، فأتىٰ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم الخبر من السماء بما أراد القوم ، فقام وخرج راجعًا إلىٰ المدينة ، فلما استلبثَ النبي صلىٰ الله عليه وسلم أصحابه قاموا في طلبه ، فلقوا رجلًا مقبلًا من المدينة فسألوه عنه فقال : رأيته داخلًا المدينة ، فأقبل أصحاب رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم حتىٰ انتهوا إليه ، فأخبرهم الخبر بما كانت يهود أرادت من الغدر به ، وأمر رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم بالتهيؤ لحربهم والمسير إليهم ، ثم سار حتىٰ نزل بهم فتحصنوا منه في الحصون ، فأمر رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم بقطع النخل والتَّحريق فيها ، فنادوه : أن[١] يا محمد ؛ قد كنت تنهىٰ عن الفساد وتعيبه علىٰ من صنعه ، فما بال قطع النخل وتحريقها ؟

وقد كان رهط من بني عوف بن الخزرج منهم عبد الله بن أبيّ ابن سلول ، ووديعة ، ومالك ابن أبي قوقل[٢] ، وسُوَيد ، وداعس ، قد بعثوا إلىٰ بني النضير : أن اثبتوا وتَمنَّعوا فإنا لن نسلمكم ، إن قوتلتم قاتلنا معكم ، وإن أخرجتُم خرَجنا[٣] معكم فتربصوا ذلك من

(٤) - السيرة النبوية لابن هشام (٣/٦٨٠) .

(٥) - سيرة ابن هشام (٣/٦٨٢ - ٦٨٤) بأتم من ذلك .

[١] - في ز ، خ: « أي » .
[٢] - في ز ، خ: « نوفل » .
[٣] - في ز ، خ: « أخرجنا » .

نصرهم ، فلم يفعلوا ، وقذف اللَّه في قلوبهم الرعب ، فسألوا رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم أن يجليهم ويكف عن دمائهم ، علىٰ أن لهم ما حملت الإِبل من أموالهم إلا الحلقة ، ففعل ، فاحتملوا من أموالهم ما استقلت به الإِبل ، فكان الرجل منهم يهدم بيته عن نِجاف[١] بابه ، فيضعه علىٰ ظهر بعيره فينطلق به، فخرجوا إلىٰ خيبر، ومنهم من سار إلىٰ الشام، وخَلّوا الأموال لرسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم فكانت لرسول اللَّه خاصة يضعها حيث يشاء ، فقسمها علىٰ المهاجرين الأولين دون الأنصار ، إلا أن سهل بن حُنَيف وأبا دُجانة سماك بن خَرشَة ذكرا فقرًا ، فأعطاهما رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم .

قال : ولم يسلم من بني النضير إلا رجلان : يامين بن عمير[٢] بن كعب ابن [عم][٣] عمرو ابن جحاش ، وأبو سعد بن وهب ، أسلما علىٰ أموالهما فأحرزاها .

قال ابن إسحاق : وقد حدثني بعض آل يامين ؛ أن رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، قال ليامين : « **ألم تر ما لقيتُ من ابن عمك ، وما هَم به من شأني** » . فجعل يامين بن عمَير لرجل جعلًا علىٰ أن يقتل عمرو بن جحاش ، فقتله فيما يزعمون .

قال ابن إسحاق : ونزل في بني النضير سورة الحشر بأسرها .

وهكذا روىٰ يونس بن بُكَير[٤] عن ابن إسحاق ، بنحو ماتقدم .

فقوله : ﴿**هو الذي أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب**﴾ يعني : بني النضير ﴿**من ديارهم لأول الحشر**﴾ .

قال ابن أبي حاتم(٦) : حدثنا أبي ، حدثنا ابن أبي عمر ، حدثنا سفيان ، عن أبي سعد ، عن عكرمة ، عن ابن عباس، قال : من شك في أن أرض المحشر هاهنا - يعني الشام - فَلْيَتْلُ هذه الآية : ﴿ **هو الذي أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم لأول الحشر** ﴾ ، قال لهم رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **اخرجوا** » . قالوا : إلىٰ أين ؟ قال : « **إلىٰ أرض المحشر** » .

وحدثنا أبو سعيد الأشج، حدثنا أبو أسامة، عن عوف، عن الحسن؛ قال : لما أجلىٰ رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم بني النضير ، قال : « **هذا أول الحشر ، وأنا علىٰ الأثر** » .

(٦) - أخرجه ابن أبي حاتم والبزار (٤٧٢/٢ - مختصر) (٢٢٣٧) من طريق سفيان . قال الهيثمي في «المجمع » (٣٤٦/١٠) : رواه البزار وفيه أبو سعد البقال ، والغالب فيه الضعف . وزاد السيوطي نسبته إلى ابن المنذر ، وابن مردويه ، والبيهقي في البعث .

[١] - في ز ، خ: « إنجاف » .
[٢] - في ز : « عمرو » .
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من ت .
[٤] - في ز ، خ: « بكر » .

ورواه ابن جرير(٧) عن بندار عن ابن أبي عدي عن عوف عن الحسن به.

وقوله: ﴿ **ما ظننتم أن يخرجوا** ﴾ أي: في مدة حصاركم لهم وقِصَرها، وكانت ستة أيام، مع شدة حصونهم ومنعتها؛ ولهذا قال: ﴿ **وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله فأتاهم**[١] **الله من حيث لم يحتسبوا** ﴾، أي: جاءهم من أمر الله ما لم يكن لهم في بال، كما قال في الآية الأخرىٰ: ﴿ **قد مكر الذين من قبلهم فأتى الله بنيانهم من القواعد فخر عليهم السقف من فوقهم وأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون** ﴾ وقوله: ﴿ **وقذف في قلوبهم الرعب** ﴾، أي: الخوف و الهلع والجزع، وكيف لا يحصل لهم ذلك وقد حاصرهم الذي نُصر بالرعب مسيرةَ شهر، صلوات الله وسلامه عليه.

وقوله: ﴿ **يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين** ﴾، قد تقدم تفسير ابن إسحاق لذلك، وهو نقض ما استحسنوه من سقوفهم وأبوابهم، وتَحَمُّلها علىٰ الإبل. وكذا قال عروة بن الزبير، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم، وغير واحد.

وقال مقاتل بن حيان(٨): كان رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم يقاتلهم، فإذا ظهر علىٰ دَرب أو دار، هدم حيطانها ليتسع المكان للقتال، وكان اليهود إذا عَلَوا مكانًا أو غلبوا علىٰ دَرْب أو دار نقبوا من أدبارها[٢] ثم حصنوها ودَرّبوها[٣]، يقول الله تعالى: ﴿ **فاعتبروا يا أولي الأبصار** ﴾.

وقوله: ﴿ **ولولا أن كتب الله عليهم الجلاء لعذبهم في الدنيا** ﴾، أي: لولا أن كتب الله عليهم هذا الجلاء، وهو النفي من ديارهم وأموالهم، لكان[٤] لهم عند الله عذاب آخر من القتل والسبي، ونحو ذلك، قاله الزهري عن عروة، والسديُّ وابن[٥] زيد، لأن الله قد كتب عليهم أنه سيعذبهم في الدار الدنيا مع ما أعد لهم في الآخرة من العذاب في نار جهنم.

قال ابن أبي حاتم (٩): حدثنا أبي، حدثنا عبد الله بن صالح - كاتب الليث - حدثني الليث، عن عقيل، عن ابن شهاب؛ قال: أخبرني عروة بن الزبير؛ قال: ثم كانت وقعة

---

(٧) - أخرجه الطبري (٢٩/٢٨) وإسناده مرسل.

(٨) - صدوق من السادسة فحديثه عن النبي - صلى الله عليه وسلم - منقطع.

(٩) - في إسناده عبد الله بن صالح كاتب الليث، وهو ضعيف من قبل حفظه.

---

[١] - في ز، خ: « وأتاهم ».

[٢] - في ز، خ: « أديارها ».

[٣] - في ز، خ: « ودبروها ».

[٤] - في ز، خ: « فكان ».

[٥] - في ز، خ: « وأبي ».

بني النضير ، وهم طائفة من اليهود ، علىٰ رأس ستة أشهر من وقعة بدر ، وكان منزلهم بناحية من المدينة ، فحاصرهم رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم حتىٰ نزلوا علىٰ الجلاء ، وأن لهم ما أقلت الإبل من الأموال والأمتعة إلا الحلقة ، وهي السلاح ، فأجلاهم رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم قِبَل الشام . قال : والجلاء أنه كُتب عليهم في آي من التوراة ، وكانوا من سبط لم يصبهم الجلاء قبلما سلط عليهم رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ، وأنزل الله فيهم : ﴿ **سبح لله ما في السموات وما في الأرض** ﴾ ، إلىٰ قوله : ﴿ **وليخزي الفاسقين** ﴾ .

وقال عكرمة : الجلاء : القتل ، وفي رواية عنه الفناء .

وقال قتادة : الجلاء : خروج الناس من البلد إلىٰ البلد .

وقال الضحاك : أجلاهم إلى الشام وأعطى كل ثلاثة بعيرًا وسقاء ، فهذا الجلاء .

وقد قال الحافظ أبو بكر البيهقي (١٠) : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ ، أخبرنا أحمد بن كامل القاضي، حدثنا محمد بن سعد[١] العوفي ، حدثني أبي ، عن عمي ، حدثني أبي ، عن جدي ، عن ابن عباس؛ قال كان النبي صلىٰ الله عليه وسلم قد حاصرهم حتىٰ بلغ منهم كل مبلغ ، فأعطوه ما أراد منهم ، فصالحهم علىٰ أن يحقن لهم دماءهم ، وأن يخرجهم من أرضهم ومن ديارهم وأوطانهم ، وأن يسيرهم إلىٰ أذرعات الشام ، وجعل لكل ثلاثة منهم بعيرًا وسقاء ، والجلاء : إخراجهم من أرضهم إلىٰ أرض أخرىٰ .

وروى أيضًا(١١) من حديث يعقوب بن محمد الزهري[٢] ، عن إبراهيم بن جعفر بن محمود بن محمد بن مسلمة[٣]، عن أبيه ، عن جده، عن محمد بن مسلمة[٤]؛ أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم بعثه إلىٰ بني النضير ، وأمره أن يؤجلهم[٥] في الجلاء ثلاث ليال .

وقوله : ﴿ **ولهم في الآخرة عذاب النار** ﴾ أي : حتم لازم لابد لهم منه .

وقوله : ﴿ **ذلك بأنهم شاقوا الله ورسوله** ﴾ ، أي : إنما فَعَل الله بهم ذلك وسَلَّط

(١٠) – أخرجه البيهقي في « دلائل النبوة » (٣٥٩/٣) وإسناده مسلسل بالضعفاء والمجاهيل .

(١١) – أخرجه البيهقي في « دلائل النبوة » (٣٦٠/٣) ، وفي إسناده محمود بن محمد بن مسلمة ذكره ابن أبي حاتم في « الجرح والتعديل » (٢٩٠/٨) ولم يذكر فيه جرحًا ولا تعديلًا . ومحمود بن محمد صدوق كثير الوهم والرواية عن الضعفاء .

[١] – في ت : « سعيد » .

[٢] – في ز ، خ: « الزبيري » .

[٣] – في ز ، خ: « مسلم » .

[٤] – في ز ، خ: « سلمة » .

[٥] – في ز ، خ: « يوصلهم » .

عليهم رسوله وعباده المؤمنين ؛ لأنهم خالفوا اللّٰه ورسوله ، وكذبوا بما أنزل اللّٰه علىٰ رسله المتقدمين في البشارة بمحمد صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، وهم يعرفون ذلك كما يعرفون أبناءهم . ثم قال : ﴿ **ومن يشاق اللّٰه فإن اللّٰه شديد العقاب** ﴾ .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **ماقطعتم من لينة أو تركتموها قائمة علىٰ أصولها فبإذن اللّٰه وليخزي الفاسقين** ﴾ ، اللين : نوع من التمر ، وهو جيد .

قال أبو عبيدة : وهو ما خالف العجوة والبَرْنيّ من التمر .

وقال كثيرون من المفسرين : اللينة : ألوان التمر سوىٰ العجوة .

قال ابن جرير : هو جميع النخل ، ونقله عن مجاهد : وهو البويرة . أيضًا ، وذلك أن رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم لما حاصرهم أمر بقطع نخيلهم إهانة لهم ، وإرهابًا وإرعابًا لقلوبهم . فروىٰ محمد بن إسحاق (١٢) ، عن يزيد بن رومان ، وقتادة ، ومقاتل بن حيان أنهم قالوا : [فبعث بنو النضير][١] يقولون لرسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : إنك تنهىٰ عن الفساد ، فما بالك تأمر بقطع الأشجار . فأنزل اللّٰه هذه الآية الكريمة ، أي : ماقطعتم وما تركتم من الأشجار فالجميع بإذن اللّٰه ومشيئته وقدرته ورضاه ، وفيه نكاية العدو ، وخزي لهم ، وإرغام لأنوفهم .

[وقال الحافظ أبو يعلىٰ في مسنده (١٣) : حدثنا سفيان بن وكيع ، حدثنا حفص ، عن ابن جريج ، عن سليمان بن موسىٰ ، عن جابر ، وعن أبي الزبير ، عن جابر ، قال : رخص لهم في قطع النخل ، ثم شدد عليهم ، [فأتوا النبي][٢] صلىٰ اللّٰه عليه وسلم فقالوا[٣]: يارسول اللّٰه ، علينا إثم فيما قطعنا ؟ أو علينا وزر فيما تركنا ؟ فأنزل اللّٰه عز وجل : ﴿ **ماقطعتم من لينة أو تركتموها قائمة علىٰ أصولها فبإذن اللّٰه** ﴾ .][٤]

وقال مجاهد : نهىٰ بعض المهاجرين بعضًا عن قطع النخل ، وقالوا : إنما هي مغانم المسلمين . فنزل القرآن بتصديق من نهىٰ عن قطعه ، وتحليل من قطعه من الإثم ، وإنما قطعه وتركه بإذنه .

---

(١٢) - أخرجه الطبري (٣٢/٢٨) وفيه عنعنة ابن إسحاق .

(١٣) - أخرجه أبو يعلى (١٣٥/٤) (٢١٨٩) . قال الهيثمي في « مجمع الزوائد » (١٢٥/٧) : رواه أبويعلى عن شيخه سفيان بن وكيع وهو ضعيف .اهـ . وفي إسناده سليمان بن موسى في حديثه لين . وفيه عنعنة ابن جريج ، وأبي الزبير .

---

[١] - ما بين المعكوفتين بياض في : ز .

[٢] - في ت : « فاحك » .

[٣] - في ز،خ : « فقالوا للنبي » .

[٤] - سقط من : ز،خ .

وقد روي نحو هذا مرفوعًا ، فقال النسائي (١٤) : أخبرنا الحسن بن محمد ، عن عفان ، حدثنا حفص بن غياث ، حدثنا حبيب بن أبي عمرة ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، في قوله : ﴿ **ماقطعتم من لينةٍ أو تركتموها قائمة علىٰ أصولها فبإذن اللَّه وليخزي الفاسقين** ﴾ ، قال : يستنزلونهم من حصونهم وأمروا بقطع النخل ، فحكَّ[١] في صدورهم ، فقال المسلمون : قطعنا بعضًا وتركنا بعضًا ، فلنسألن رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : هل لنا فيما قطعنا من أجر ؟ وهل علينا فيما تركنا من وزر ؟ فأنزل اللَّه : ﴿ **ماقطعتم من لينة** ﴾ .

وقال الإمام أحمد(١٥) : حدثنا عبد الرحمن ، حدثنا سفيان ، عن موسىٰ بن عقبة ، عن نافع ، عن ابن عمر ؛ أن رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم قطع نخل بني النضير وحرّق . وأخرجه صاحبا الصحيح(١٦) من رواية موسىٰ بن عقبة ، بنحوه ، ولفظ البخاري(١٧) من طريق عبد الرزاق عن ابن جريج ، عن موسىٰ بن عقبة ، عن نافع ، عن ابن عمر ؛ قال : حاربَت النضيرُ وقريظة ، فأجلىٰ بني النضير وأقر قريظة ومَنّ عليهم حتىٰ حاربت قريظة فقتل رجالهم وقسم نساءهم وأولادهم وأموالهم بين المسلمين ، إلا بعضهم لَحقوا بالنبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم فأمَّنهم وأسلموا ، وأجلىٰ يهود المدينة كلهم ، بني قينقاع ، وهم رهط عبد اللَّه ابن سلام ، ويهود بني حارثة ، وكل يهود المدينة .

ولهما(١٨) أيضًا عن قتيبة ، عن الليث بن سعد ، عن نافع ، عن ابن عمر ، أن رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم حَرق نخل بني النضير وقطع - وهي[٢] البُوَيرَةُ - فأنزل اللَّه - عز

(١٤) - أخرجه النسائي في الكبرى في كتاب : التفسير ، باب : ﴿ **وليخزي الفاسقين** ﴾ ، حديث (١١٥٧٤) (٤٨٣/٦) . وإسناده ثقات .

(١٥) - أخرجه أحمد (٧/٢ - ٨) .

(١٦) - أخرجه البخاري في كتاب : الجهاد ، باب : حرق الدور والنخيل ، حديث (٣٠٢١) (١٥٤/٦) ، ومسلم في كتاب : الجهاد والسير ، باب : جواز قطع أشجار الكفار وتحريقها ، حديث (١٧٤٦/٣٠) (٧٧/١٢) .

(١٧) - أخرجه البخاري في كتاب المغازي ، باب حديث بني النضير ، حديث (٤٠٢٨) (٣٢٩/٧) .

(١٨) - أخرجه البخاري في كتاب : التفسير ، باب : ﴿ **ما قطعتم من لينة** ﴾ ، حديث (٤٨٨٤) (٨/ ٦٢٩) .

ومسلم في كتاب : الجهاد والسير ، باب : جواز قطع أشجار الكفار وتحريقها ، حديث (١٧٤٦/٢٩) (٧٦/١٢) .

[١] - ما بين المعكوفتين في : ت مكتوبة بعد قوله : وقد روي نحو هذا مرفوعًا - في الفقرة الآتية .

[٢] - في ز ، خ: « وهو » .

وجل - فيه : ﴿ **ماقطعتم من لينة أو تركتموها قائمة على أصولها فبإذن الله وليخزي الفاسقين** ﴾ وللبخاري(١٩) رحمه الله من رواية جُوَيْرِيَة[١] بن أسماء ، عن نافع ، عن عبد الله بن عمر ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حرق نخل بني النضير وقطع البويرة ولها يقول حسان [ابن ثابت][٢] - رضي الله عنه - :

وهَانَ عَلىٰ سَراة بني لُؤَيٍّ ... حَريق بالبُوَيرة مستطير

فأجابه أبو سفيان بنُ الحارث[٣] يقول :

أدَام اللّه ذلكَ من صَنيع ... وَحرّقَ في نَوَاحيها السَّعير
سَتَعلم[٤] أيُّنا منها بنُزْهٍ[٥] ... وتعلم أي أرضينا نضيرُ

كذا رواه البخاري ، ولم يذكره ابن إسحاق ، وقال محمد بن إسحاق(٢٠) : وقال كعب ابن مالك يذكر إجلاء بني النضير وقتل ابن الأشرف :

لَقد خَزيت بغَدْرَتها الحُبُور ... كَذاكَ الدهرُ ذو صَرْف يَدُورُ
وَذلك أنَّهم كَفرُوا بربٍّ ... عَظيم أمرُهُ أمْرٌ كَبيرُ
وقَد أُوتوا معًا فَهمًا وعلمًا ... وجَاءَهُمُ مِن اللّه النَّذيرُ
نَذير صَادق أدّىٰ كتابًا ... وَآيات مُبَيّنَةٌ تُنيرُ
فقالوا[٦] : مَا أتيتَ بأمرِ صدقٍ ... وأنت بمنكر منا جَدير
فَقَال[٧] : بَلى ، لَقد أديتُ حقًّا ... يُصدّقني به الفَهمُ الخَبيرُ
فَمن يتبعه يُهد لكُلِّ رُشدٍ ... وَمَن يَكفُرْ به يُجزَ الكَفُور
فَلَمَّا أشْربُوا غَدْرًا وكُفْرًا ... وَجَدّ بهم عَنِ الحَقّ النّفور
أرَىٰ اللّهُ النبيّ بِرأي صدْق ... وَكان اللّه يَحكُم لا يَجُورُ
فَأيَّدَه وَسَلَّطَه عَلَيهم ... وَكان نَصيرَه نعْمَ النَّصيرُ
فَغُودرَ مِنهمُو كَعب صريعًا ... فَذلَّتْ بعدَ مَصْرعه النَّضيرُ

---

(١٩) - أخرجه البخاري في كتاب : الحرث والمزارعة ، باب : قطع الشجر والنخل ، حديث (٢٣٢٦) (٥/ ٩) . وطرفه في [٤٠٣٢] .

(٢٠) - السيرة النبوية (٣/٦٨٨ - ٦٨٩) .

---

[١] - في ز ، خ: « جويرة » .

[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ.

[٣] - في ز ، خ: « حرب » .

[٤] - في ز : « سيعلم » .

[٥] - في ز ، خ: « سن » .

[٦] - في ت : « فقال » .

[٧] - في ز ، خ: « قال » .

عَلى الكَفَّين ثمَّ وقَدْ عَلَتْهُ ... بأيدينا مُشَهَّرَة ذُكُورُ
بأمرِ محمَّدٍ إِذْ دَسَّ لَيْلًا ... إلى كَعْبٍ أخا كَعْبٍ يَسِيرُ
فَمَاكَرَه فَأنزَلَه بمَكْر ... ومحمودٌ أخُو ثقَة جَسُورُ
فَتلْكَ بَنُو النَّضير بدار سَوء ... أَبَارَهُمُ بما اجترموا المُبِيرُ
غَداةَ أَتَاهُمُ فِي الزَّحْفِ رَهْوًا[١] ... رَسُولُ اللَّه ، وَهْوَ [بهم بَصيرُ][٢]
وَغَسَّانُ الحماةُ مُوازِرُوه ... عَلَى الأعدَاءِ ، وَهْوَ لهم وَزيرُ
فَقَالَ : السّلم[٣] ، ويحكمُ فَصَدُّوا ... وَحَالَفَ أمْرَهَم كَذبٌ وَزُورُ
فَذَاقُوا غبّ أمْرِهِمُ دَبَالا ... لِكلِّ ثَلاثَةٍ مِنْهُمْ بَعِيرُ
وَأُجلُوا عامدين لقينُقَاعِ ... وغُودِرَ مِنْهُمُ نَخْلٌ ودُورُ

قال : وكان مما قيل من الأشعار في بني النضير قول ابن لُقَيم العَبْسيّ - ويقال : قالها قيس بن بحر بن طريف ، قال ابن هشام (٢١) : الأشجعي - :

أهلي فداءٌ لامرئٍ غيرِ هالكٍ ... أحلَّ اليهودَ بالحسيِّ المُزَنَّم
يَقيلُونَ[٤] في جَمْر الغَضَاة وبُدِّلوا ... أُهَيْضِبَ عودًا بالوادي المكمم
فإن يَكُ ظني صَادقًا بمُحَمد ... يَرَوا خيلَه بينَ الصّلا وَيَرَمْرِمِ
يَؤمّ بها عَمرو بنُ بُهثَةَ ، إنّهُمْ ... عَدُوّ ، و[٥]ماحيّ صَديق كمُجْرِم
عَلَيهنّ أبطالٌ مَسَاعيرُ في الوغى ... يهزون أطراف الوشيج المُقَوّم
وكُلّ رَقيق الشَّفرتَين مُهنَّدٍ ... تُوُرِّثْنَ من[٦] أزمانِ عاد وَجُرْهُم
فَمَن مُبلغٌ عني قُرَيشًا رسَالَة ... فَهَلْ بَعدَهُم في المجد من مُتَكَرِّمِ
بأنّ أخاكم فاعلَمُنّ مُحَمَّدًا ... تَليدُ النَّدَى بينَ الحَجُون وزَمْزَم
فَدينُوا له بالحقّ تَجْسُمْ[٧] أُمورُكم ... وتَسْمُوا منَ الدنيا إلى كُلّ مُعْظَمِ
نبي تلافته[٨] من اللَّه رحمة ... ولا تَسْألُوهُ أمْرَ غَيب مُرَجَّم
فَقَدْ كانَ في بَدْرٍ لَعَمْرِيَ عِبرَةٌ ... لَكُم يا قُريش والقَليب المُلَمَّم
غَدَاةَ أتى في الخَزْرَجِيَّةِ عامِدًا ... إليكم مُطِيعًا للعَظِيم المُكَرَّم

---

(٢١) - السيرة النبوية (٣/٦٨٦ - ٦٨٧) .

---

[١] - في ز ، خ: « زهوًا » .

[٢] - ما بين المعكوفتين في ز ، خ: « لهم نصير».

[٣] - في ز ، خ: « السلام » .

[٤] - في ز : « يقولون » .

[٥] - سقط من : ز .

[٦] - في ز : « في » .

[٧] - في ز : « تحثم » .

[٨] - في ز : « تلاقيه » .

مُعَانًا بِرُوحِ القُدْسِ يَنْكِي عدوه رسولًا من الرحمن حقًّا بمَعْلَم.
رسولًا من الرحمن يتلو كتابه فَلَمَّا أنارَ الحَقّ لم يَتَلَعْثَمِ
أرَى أمْرَهُ يَزْدَادُ في كُلِّ مَوْطِن عُلُوًّا لأمْرٍ حَمَّه اللَّهُ محكَمِ

وقد أورد ابن إسحاق - رحمه اللَّه - هَاهنا أشعارًا كثيرة ، فيها آداب ومواعظ وحكم ، وتفاصيل للقصة ، تركنا باقيها اختصارًا واكتفاء بما ذكرناه ، ولله الحمد والمنة .

قال ابن إسحاق : كانت وقعة بني النضير بعد [وقعة أحد وبعد بئر معونة . وحكىٰ البخاري(٢٢) عن الزهري ، عن عروة ؛ أنه قال : كانت وقعة بني النضير بعد][١] بدر بستة أشهر.

﴿وَمَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْهُمْ فَمَآ أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُۥ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ (٦) مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ كَىْ لَا يَكُونَ دُولَةًۢ بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْ ۚ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ (٧)﴾

يقول تعالىٰ مبينًا لمال الفيء ، وما صفته ؟ وما حكمه ؟ فالفيء : كل مال أخذ من الكفار بغير قتال ولا إيجاف خيل ولا ركاب ، كأموال بني النضير هذه ، فإنها مما لم يُوجف المسلمون عليه بخيل ولا ركاب ، أي : لم يقاتلوا الأعداء فيها بالمبارزة والمصاولة ، بل نَزَل أولئك من الرعب الذي ألقىٰ اللَّه في قلوبهم من هَيبَة رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم فأفاءه اللَّه علىٰ رسوله ، ولهذا تصرف فيه كما شاء ، فردّه علىٰ المسلمين في وجوه البر والمصالح التي ذكرها اللَّه - عز وجل - في هذه الآيات ، فقال : ﴿ **وما أفاء اللَّه علىٰ رسوله منهم** ﴾ ، أي : من بني النضير ، ﴿ **فما أوجفتم عليه من خيل ولا ركاب** ﴾، يعني : الإبل ، ﴿ **ولكن اللَّه يسلط رسله علىٰ من يشاء. واللَّه علىٰ كل شيء قدير** ﴾ ، أي : هو قدير لايُغالَب ولا يُمانع ، بل هو القاهر لكل شيء .

ثم قال : ﴿ **ما أفاء اللَّه علىٰ رسوله من أهل القرىٰ** ﴾ ، أي : جميع البلدان التي تُفتح

(٢٢) - أخرجه البخاري في كتاب : المغازي ، باب : حديث بني النضير معلقًا .

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز، خ .

هكذا ، فحكمها حكم أموال بني النضير؛ ولهذا قال: ﴿فلله وللرسول ولذي القربىٰ واليتامىٰ والمساكين﴾ إلى آخرها والتي بعدها، فهذه مصارف أموال الفيء ووجوهه.

قال الإمام أحمد (٢٣) : حدثنا سفيان ، عن عمرو ، ومعمر ، عن الزهري ، عن مالك بن أوس بن الحَدَثان ، عن عمر - رضي الله عنه - قال : كانت أموال بني النضير مما أفاء الله علىٰ رسوله، مما لم يُوجف المسلمون عليه بخيل ولا ركاب ، فكانت لرسول الله صلىٰ الله عليه وسلم خاصة[١] ، فكان ينفق علىٰ أهله منها نفقة سنته - وقال مَرّة : قوت سنته - وما بقي جعله في الكُرَاع والسلاح في سبيل الله عز وجل .

هكذا أخرجه أحمد هاهنا مختصرًا ، وقد أخرجه الجماعة(٢٤) في كتبهم - إلا ابن ماجة - من حديث سفيان ، عن عمرو بن دينار ، عن الزهري ، به. وقد رويناه مطوّلًا فقال[٢] أبو داود(٢٥) - رحمه الله - :

حدثنا الحسن بن عليّ ، ومحمد بن يحيىٰ بن فارس - المعنىٰ واحد - قالا : حدثنا بشر ابن عُمر الزهراني ، حدثني مالك بن أنس ، عن ابن شهاب ، عن مالك بن أوس قال : أرسل إليّ عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - حين تعالىٰ النهار ، فجئته فوجدته جالسًا علىٰ سرير مُفضيًا إلىٰ رُماله ، فقال حين دخلت عليه : يا مالِ ؛ إنه قد دفّ أهل أبيات من قومك ، وقد أمرت فيهم بشيء ، فاقسم فيهم . قلت : لو أمرت غيري بذلك ؟ فقال : خذه . فجاءه يرفأ فقال : يا أمير المؤمنين ؛ هل لك في عثمان بن عفان ، وعبد الرحمن بن عوف ، والزبير بن العوام ، وسعد بن أبي وقاص ؟ فقال : نعم . فأذن لهم فدخلوا ، ثم جاءه يرفأ فقال : يا أمير المؤمنين ؛ هل لك في العباس وعليّ ؟ قال : نعم . فأذن لهم ، فدخلوا ، فقال العباس : يا أمير المؤمنين ؛ اقض بيني وبين هذا - يعني عليًا - فقال بعضهم : أجل يا أمير المؤمنين ؛ اقض بينهما وأرحهما ، قال مالك ابن أوس : خُيّل إليّ أنهما قَدّما أولئك النفر

(٢٣) - أخرجه أحمد (٢٥/١) .

(٢٤) - البخاري في كتاب : الجهاد ، باب : المجن ومن يتّرس بترس صاحبه ، حديث (٢٩٠٤) (٩٣/٦) . وأطرافه في [٣٠٩٤، ٤٠٣٣، ٤٨٨٥، ٥٣٥٧، ٥٣٥٨، ٦٧٢٨، ٧٣٠٥] . ومسلم في كتاب الجهاد والسير باب حكم الفئ حديث (١٧٥٧/٤٨) (١٠٣/١٣) . وأبو داود في كتاب : الخراج والإمارة والفئ ، باب : في صفايا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من الأموال ، حديث (٢٩٦٥) (١٤١/٣) . والترمذي في كتاب : الجهاد ، باب : ما جاء في الفئ ، حديث (١٧١٩) (٣٩/٦) . والنسائي (١٣٢/٧) في كتاب قسم الفئ .

(٢٥) - أخرجه أبو داود في كتاب الخراج والإمارة والفئ ، باب : صفايا رسول الله صلى الله عليه وسلم حديث (٢٩٦٣) (١٣٩/٣ - ١٤٠) ورجال إسناده ثقات .

[١] - في ت : « خالصة » . [٢] - في ز ، خ: « وقال » .

لذلك . فقال عمر - رضي الله عنه - : اتئدا[١] ، ثم أقبل على أولئك الرهط فقال : أنشدكم بالله الذي بإذنه تقوم السماء والأرض ، هل تعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلّم قال : « **لا نُورث ، ماتركنا صدقة** » ؟ قالوا : نعم . ثم أقبل على عليّ والعباس فقال : أنشدُكما بالله الذي بإذنه تقوم السماء والأرض ، هل[٢] تعلمان أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: « **لانورث ، ماتركنا صدقة** » ؟ فقالا: نعم . فقال: فإن الله خَصَّ رسوله بخاصة لم يخص بها أحدًا من الناس ، فقال : ﴿ **وما أفاء الله على رسوله منهم فما أوجفتم عليه من خيل ولا ركاب ولكنّ الله يسلّط رُسُلَه على من يشاء ، والله على كل شيء قدير** ﴾ . فكان الله أفاء على رسوله أموال[٣] بني النضير ، فوالله ما استأثر بها عليكم ولا أحرزها دونكم ، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأخذ منها نفقة سنة - أو : نفقته ونفقة أهله سنة - ويجعل ما بقي أسوة المال ، ثم أقبل عَلَى أولئك الرهط فقال : أنشدكم بالله الذي بإذنه تقوم السماء والأرض : هل تعلمون ذلك ؟ قالوا : نعم . ثم أقبل على عليّ والعباس فقال : أنشدُكما بالله الذي بإذنه تقوم السماء والأرض : هل تعلمان ذلك ؟ قالا : نعم . فلما تُوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ قال أبو بكر : أنا وليّ رسول الله ، فجئت أنت وهذا إلى أبي بكر ، تطلب أنت ميراثك من ابن أخيك ، ويطلب هذا ميراث امرأته من أبيها ، فقال أبو بكر - رضي الله عنه - : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **لانورث ، ماتركنا صدقة** » . والله يعلم إنه لصادق بار راشد متابع[٤] للحق . فوليها أبو بكر ، فلما توفي قلتُ : أنا وَليّ رسول الله صلى الله عليه وسلم ووليّ أبي بكر ، فَوليتها ما شاء الله أن أليها ، فجئتَ أنت وهذا ، وأنتما جميع وأمركما واحد ، فسألتمانيها ، فقلت : إن شئتما فأنا أدفعها إليكما على أن عليكما عهد الله أن تلياها بالذي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يليها ، فأخذتماها مني على ذلك ، ثم جئتماني لأقضي بينكما بغير ذلك ، والله لا أقضي بينكما بغير ذلك حتى تقوم الساعة ، فإن عَجَزتما عنها فَرُدّاها إليّ .

أخرجوه(٢٦) من حديث الزهري[٥] به .

---

(٢٦) - أخرجه البخاري في كتاب : فرض الخمس ، باب : فرض الخمس ، حديث (٣٠٩٤) (٦/١٩٧ - ١٩٨) . وأطرافه في [٤٠٣٣، ٥٣٥٨، ٦٧٢٨، ٧٣٠٥] . ومسلم في كتاب : الجهاد والسير ، باب : حكم الفيء ، حديث (٤٩، ٥٠/١٧٥٧) (١٢/١٠٤ - ١٠٩) ، وأبو داود (٢٩٦٣، ٢٩٦٤) . والترمذي مختصرًا في كتاب : السير ، باب : ما جاء في تركة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حديث (١٦١٠) (٥/٣٣٢ - ٣٣٣) . وكذا النسائي في كتاب : التفسير ، باب : ﴿ **ما أفاء الله على رسوله** ﴾ ، حديث (١١٥٧٥) (٦/٤٨٣ - ٤٨٤) . قال الترمذي : حسن صحيح غريب .

---

[١] - في ز ، خ: « اتئد » .

[٢] - سقط من : ز، خ .

[٣] - سقط من : ز ، خ.

[٤] - في ت : « تابع » .

[٥] - في ز ،خ: « الترمذي » .

وقال الإمام أحمد(٢٧) :

حدثنا عارم وعفان؛ قالا : حدثنا معتمر ، سمعت أبي يقول : حدثنا أنس بن مالك ، عن نبي الله صلىٰ الله عليه وسلم؛ أن الرجل كان يجعل له من ماله النخلات ، أو كما شاء الله ، حتىٰ فُتحت عليه قريظة والنضير . قال : فجعل يَرُدّ بعد ذلك ، قال : وإن أهلي أمروني أن آتي النبي صلىٰ الله عليه وسلم فأسأله الذي كان أهله أعطوه أو بعضه ، وكان نبي الله صلىٰ الله عليه وسلم قد أعطاه أم أيمن ، أو كما شاء الله ، قال : فسألتُ النبي صلىٰ الله عليه وسلم فأعطانيهن ، فجاءت أم أيمن فجعلت الثوبَ في عنقي، وجعلت تقول : كلا ، والله الذي لا إله إلا هو لا يُعطيكهن وقد أعطانيهن[١] - أو كما قالت - فقال نبي الله : « **لك كذا وكذا** » . قال : وتقول : كلا ، والله . قال : ويقول : « **لك كذا وكذا** » . قال : وتقول : كلا والله . قال : ويقول : « **لك كذا وكذا** » . قال : حتىٰ أعطاها ، حسبت أنه قال : عشرة أمثاله ، أو قال : قريبًا من عشرة أمثاله ، أو كما قال .

رواه البخاري ومسلم(٢٨) من طرق[٢] عن معتمر ، به .

وهذه المصارف المذكورة في هذه الآية هي المصارف المذكورة في خُمس الغَنيمة . وقد قدمنا الكلام عليها في « **سورة الأنفال** » بما أغنىٰ عن إعادته هاهنا ، ولله الحمد .

وقوله : ﴿ **كيلا يكون دولة بين الأغنياء منكم** ﴾ أي : جعلنا هذه المصارف لمال الفيء لئلا يبقىٰ مأكلة يتغلب عليها الأغنياء ويتصرفون فيها ، بمحض الشهوات والآراء ، ولا يصرفون منه شيئًا إلىٰ الفقراء .

وقوله : ﴿ **وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا** ﴾ . أي : مهما أمركم به فافعلوه ، ومهما نهاكم عنه فاجتنبوه ، فإنه إنما يأمر بخير وإنما ينهىٰ عن شر .

قال ابن أبي حاتم (٢٩) : حدثنا يحيىٰ بن أبي طالب ، حدثنا عبد الوهاب ، حدثنا سعيد[٣] ، عن قتادة ، عن الحسن العُرني[٤] ، عن يحيىٰ بن الجزار ، عن مسروق؛ قال :

---

(٢٧) - أخرجه أحمد (٢١٩/٣) (١٣٥٨) .

(٢٨) - البخاري في كتاب : المغازي ، باب : مرجع النبي - صلى الله عليه وسلم - من الأحزاب ، حديث (٤١٢٠) (٤١٠/٧ - ٤١١) . ومسلم في كتاب : الجهاد والسير ، باب : رد المهاجرين إلى الأنصار منائحهم من الشجر والثمر حين استغنوا عنها بالفتوح ، حديث (١٧٧١/٧١) (١٤٤/١٢) .

---

[١] - في ز ، خ : « فأعطاني » .

[٢] - في ز ، خ: « طريق » .

[٣] - في ز ، خ: « معبد » .

[٤] - في ز ، خ: « العوى » . وفي ت : العوفي .

جاءت امرأة إلىٰ ابن مسعود فقالت : بلغني أنك تنهىٰ عن الواشمة والواصلة ، أشيء وجدته في كتاب الله أو عن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ؟ [قال : بلىٰ ، شيء وجدته في كتاب الله وعن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم][١]. قالت : والله لقد تصفحتُ مابين دفتي المصحف فما وجدت الذي تقول ! قال : فما وجدتِ فيه : ﴿ **وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا** ﴾ ؟ قالت : بلىٰ . قال : فإني سمعت رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ينهىٰ عن الواصلة والواشمة والنامصة . قالت : فلعله في بعض أهلك ؛ قال : فادخلي فانظري . فدخلَت فنَظَرت[٢] ثم خرجت ، قالت : مارأيت بأسًا . فقال لها : أما حفظت وصية العبد الصالح : ﴿ **وما أريد أن أخالفكم إلىٰ ما أنهاكم عنه** ﴾.

وقال الإمام أحمد(٣٠) : حدثنا عبد الرحمن، حدثنا سفيان عن منصور عن [إبراهيم عن][٣] علقمة ، عن عبد الله - هو ابن مسعود - قال : لعن الله الواشمات والمستوشمات ، والمتنمصات ، والمُتَفَلِجات للحُسْن ، المغيِّرات خلق الله عز وجل . قال : فبلغ امرأة في البيت يقال لها « **أم يعقوب** » فجاءت إليه فقالت : بلغني أنك قلت كيتَ وكيتَ . قال : مالي لا ألعن مَن لعن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ، وفي كتاب الله . فقالت : إني لأقرأ ما بين لوحَيه فما وجدته . فقال : إن كنت قرأتيه فقد وجدتيه ، أما قرأت : ﴿ **وما آتاكم الرسول فخذوه ومانهاكم عنه فانتهوا** ﴾ ؟ قالت : بلىٰ . قال : فإن النبي صلىٰ الله عليه وسلم نهىٰ عنه . قالت : إني لأظن أهلك يفعلونه . قال : اذهبي فانظري ، فذهَبتْ فلم تر من حاجتها شيئًا ، فجاءت فقالت : ما رأيتُ شيئًا . قال : لو كانت كذلك لم تُجامعنا . أخرجاه في الصحيحين(٣١) من حديث سفيان الثوري .

وقد ثبت في الصحيحين(٣٢) أيضًا عن أبي هُرَيْرَة أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم، قال : « **إذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم ، وما نهيتكم عنه فاجتنبوه** » .

---

(٢٩) - في إسناده الحسن العوفي : ضعيف لكن يشهد له ما بعده .

(٣٠) - أخرجه أحمد (١/٤٣٣ - ٤٣٤) (٤١٢٩) .

(٣١) - البخاري في كتاب : التفسير ، باب : ﴿ **وما آتاكم الرسول فخذوه** ﴾ ، حديث (٤٨٨٦) (٨/ ٦٣٠) . وأطرافه في [٤٨٨٧، ٥٩٣١، ٥٩٣٩، ٥٩٤٣، ٥٩٤٨] . ومسلم في كتاب : اللباس والزينة ، باب : تحريم فعل الواصلة والمستوصلة ، حديث (٢١٢٥/١٢٠) (١٤/١٥٠ - ١٥٢) .

(٣٢) - أخرجه البخاري في كتاب : الاعتصام بالكتاب والسنة ، باب : الاقتداء بسنن رسول الله ، حديث (٧٢٨٨) (١٣/٢٥١) .

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ

[٢] - سقط من : ز، خ .

[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .

وقال النسائي [٣٣] : أخبرنا أحمد بن سعيد ، حدثنا يزيد ، حدثنا منصور بن حيان ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عُمَر ، وابن عباس ؛ أنهما شهدا علىٰ رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ؛ أنه نهىٰ عن الدُّباء والحَنْتَم والنَّقير والمزَفَّت ، ثم تلا رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : ﴿ **وما آتاكم الرسول فخذوه ، ومانهاكم عنه فانتهوا** ﴾ .

وقوله : ﴿ **واتقوا اللّٰه إن اللّٰه شديد العقاب** ﴾ ، أي : اتقوه في امتثال أوامره وترك زواجره ؛ فإنه شديد العقاب لمن عصاه وخالف أمره وأباه ، وارتكب ما عنه زَجَره ونهاه .

لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَـٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّـٰدِقُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَـٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَـٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾

يقول تعالى مبيِّنًا حال الفقراء المستحقين لمال الفيء إنهم ﴿ **الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلًا من اللّٰه ورضوانًا** ﴾ ، أي : خرجوا من ديارهم وخالفوا قومهم ابتغاءَ مرضاة اللّٰه ورضوانه ، ﴿ **وينصرون اللّٰه ورسوله أولئك هم الصادقون** ﴾ ، أي : هؤلاء الذين صَدَّقوا قولهم بفعلهم ، وهؤلاء هم سادات المهاجرين .

ثم قال تعالىٰ مادحًا للأنصار ، ومبينًا فضلهم وشرفهم وكرمهم وعدم حَسَدهم ، وإيثارهم مع الحاجة ، فقال : ﴿ **والذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم** ﴾ ، أي : سكنوا دار الهجرة من قبل المهاجرين، وآمنوا قبلَ كثير منهم .

= ومسلم في كتاب : الفضائل ، باب : توقير رسول اللّٰه - صلى اللّٰه عليه وسلم - ، حديث (١٣٠، ١٣٣٧/١٣١) (١٥٩/١٥ - ١٦٠) بنحو هذا اللفظ .

(٣٣) - أخرجه النسائي في الكبرى في كتاب : التفسير ، باب : ﴿ **وما آتاكم الرسول فخذوه** ﴾ ، حديث (١١٥٧٨) وإسناده رجاله ثقات .

قال عمر : وأوصي الخليفة بعدي بالمهاجرين الأولين أن يعرف لهم حقهم ، ويحفظ لهم كرامتهم . وأوصيه بالأنصار خيرًا ، الذين تبوّءوا الدار والإيمان من قبل ، أن يقبل من محسنهم ، وأن يعفو عن مسيئهم . رواه البخاري هاهنا أيضًا(٣٤) .

وقوله : ﴿ **يحبون من هاجر إليهم** ﴾ ، أي : مِنْ كَرَمهم وشرف أنفسهم ، يحُبّون المهاجرين ويواسونهم بأموالهم .

قال الإمام أحمد(٣٥) : حدثنا يزيد ، أخبرنا حميد، عن أنس؛ قال : قال المهاجرون : يا رسول الله، ما رأينا مثل قوم قدمنا عليهم أحسنَ مواساةً في قليل ولا أحسنِ بذلًا في كثير، لقد كفونا المؤْنَةَ، وأشركونا في المهنأ[١] ، حتى لقد خَشينا أن يذهبوا بالأجر كله ! قال : « **لا ، ما أثنيتم عليهم، ودعوتم الله لهم** ». لم أره في الكتب من هذا الوجه .

وقال البخاري (٣٦) : حدثنا عبد الله بن محمد ، حدثنا سفيان ، عن يحيىٰ بن سعيد ، سمع أنس بن مالك حين خرج معه إلىٰ الوليد؛ قال : دعا النبي صلىٰ الله عليه وسلم الأنصار أن يُقطِعَ لهم البحرين ، قالوا : لا ، إلا أن تُقطع لإخواننا من[٢] المهاجرين مثلها .

قال : « **إما لا، فاصبروا حتى تلقوني، فإنه سيصيبكم بعدي[٣] أثرة** ». تفرد به البخاري من هذا الوجه .

وقال البخاري(٣٧) : حدثنا الحكم بن نافع ، أخبرنا شعيب ، حدثنا أبو الزناد ، عن الأعرج ، عن أبي هُرَيرة ؛ قال : قالت الأنصار : اقسم بيننا وبين إخواننا النخيل . قال : لا . فقالوا : تكفونا المؤْنَةَونَشرَكُكم في الثمرة ؟ قالوا : سمعنا وأطعنا . تفرد به دون مسلم .

(٣٤) - أخرجه البخاري في « فضائل الصحابة » ، باب : قصة البيعة ، حديث (٣٧٠٠) (٧/٥٩ - ٦٣) في حديث طويل .

(٣٥) - أخرجه أحمد (٣/٢٠٠) (١٣٠٩٨) . وإسناده ثقات ، رجال الصحيح . وصححه الألباني في صحيح الأدب المفرد (٢١٧) . وأخرجه أبو داود (٤٨١٢) ، والترمذي (٢٤٨٩) وغيرهما عن أنس من طرق بنحوه .

(٣٦) - أخرجه البخاري في كتاب : مناقب الأنصار ، باب : قول النبي - صلى الله عليه وسلم - للأنصار : « **اصبروا حتى تلقوني على الحوض** » ، حديث (٣٧٩٤) (٧/١١٧) .

(٣٧) - أخرجه البخاري في كتاب : الحرث والمزارعة ، باب : إذا قال : اكفنى مؤونة النخل وغيره وتشركنى في التمر ، حديث (٢٣٢٥) (٥/٨) .

[١] - في ز ، خ: « الهنا » .

[٢] - سقط من : ز ، خ.

[٣] - سقط من : ز، خ .

﴿ ولايجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ﴾ ، أي : ولايجدون في أنفسهم حسدًا للمهاجرين فيما فضلهم الله به من المنزلة والشرف ، والتقديم في الذكر والرتبة .

قال الحسن البصري : **﴿ولا يجدون في صدورهم حاجة﴾** يعني الحسد .

﴿ مما أوتوا ﴾ قال قتادة : يعني فيما أعطي إخوانهم . وكذا قال ابن زيد . ومما يستدل به على هذا المعنى ماروا الإمام أحمد حيث قال :

حدثنا عبد الرزاق (٣٨) ، حدثنا معمر ، عن الزهري ، عن أنس؛ قال : كنا جلوسًا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ فقال : « **يطلع عليكم الآن رجل من أهل الجنة** » . فطلع رجل من الأنصار تَنطُف لحيته من وضوئه ، قد تَعَلَّق نعليه بيده الشمال ، فلما كان الغد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل ذلك ، فطلع ذلك الرجل مثل[١] المرة الأولى ، فلما كان في اليوم الثالث قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - مثل مقالته أيضًا ، فطلع ذلك الرجل على مثل حاله الأولى ، فلما قام رسولُ الله صلى الله عليه وسلم تبعه عبد الله بن عمرو بن العاص ، فقال : إني لاحيت أبي فأقسمت أن لا أدخل عليه ثلاثًا ، فإن رأيت أن تؤويني إليك حتى تمضي فعلتُ[٢] . قال : نعم . قال أنس : فكان عبد الله يحدث أنه بات معه تلك الثلاث الليالي ، فلم يره يقوم من الليل شيئًا ، غير أنه إذا تَعار وتقلب على فراشه ، ذكر الله وكبر ، حتى يقوم لصلاة الفجر . قال عبد الله : غير أني لم أسمعه يقول إلا خيرًا ، فلما مضت الثلاث ليال وكدت أن أحتقر عمله ، قلت : يا عبد الله ، لم يكن بيني وبين أبي غَضَب ولا هَجْر[٣] ، ولكن سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم - يقول لك ثلاث مرات : « **يطلع عليكم الآن رجل من أهل الجنة** » . فطلعت أنت الثلاث المرات[٤] ، فأردت أن آوي إليك لأنظر ما عملكَ فأقتديَ به ، فلم أرك تعمل كثير عمل ، فما الذي بلغ بك ما قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : ماهو إلا ما رأيت . فلما وليت دعاني فقال : ماهو إلا ما رأيت ، غير أني لا[٥] أجد في نفسي لأحد من المسلمين غشًا ، ولا أحسُد أحدًا على خير أعطاه الله إياه . قال عبد الله : هذه التي بلغت بك وهي التي لا تطاق .

ورواه النسائي(٣٩) في اليوم والليلة عن سُوَيد بن نصر ، عن ابن المبارك ، عن معمر ، به .

(٣٨) - أخرجه أحمد (٣/١٦٦) (١٢٧٢٠) وإسناده صحيح .

(٣٩) - أخرجه النسائي في الكبرى في « عمل اليوم والليلة ، باب : ما يقول إذا انتبه من منامه ، =

[١] - في ز ، خ: « قبل » .

[٢] - بياض في : ز .

[٣] - في ز ، خ: « هجرة » .

[٤] - في ت : « المرار » .

[٥] - في ز ، خ: « لم » .

وهذا إسناد صحيح على شرط الصحيحين ، لكن رواه عقيل وغيره عن الزهري ، عن رجل ، عن أنس[٤٠] ، فالله أعلم .

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم[٤١] في قوله : ﴿ **ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا** ﴾ . يعني مما أوتوا : المهاجرون . قال : وتكلم في أموال بني النضير بعض من تكلم في الأنصار ، فعاتبهم الله في ذلك ، فقال : ﴿ **وما أفاء الله على رسوله منهم فما أوجفتم عليه من خيل ولا ركاب ولكن الله يسلط رسله على من يشاء . والله على كل شيء قدير** ﴾ . قال : وقال رسول الله : « **إن إخوانكم قد تركوا الأموال والأولاد ، وخرجوا إليكم** » . فقالوا : أموالنا بيننا قطائع . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **أو غير ذلك ؟** » . قالوا : وما ذاك يا رسول الله ؟ قال : « **هم قوم لايعرفون العمل ، فتكفونهم وتقاسمونهم الثمر** » . فقالوا : نعم يا رسول الله .

وقوله : ﴿ **ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة** ﴾ ، يعني : حاجة ، أي : يقدمون المحاويج على حاجة أنفسهم ، ويبدءون بالناس قبلهم في حال احتياجهم إلى ذلك .

وقد ثبت في الصحيح[٤٢] عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « **أفضل الصدقة جهد المقل** » . وهذا المقام أعلى من حال الذين وَصَفَ الله بقوله : ﴿ **ويطعمون الطعام على حُبّه** ﴾ . وقوله : ﴿ **وآتى المال على حبه** ﴾ فإن هؤلاء يتصدقون وهم يحبون ما تصدقوا به ، وقد لايكون لهم حاجة إليه ولا ضرورة به ، وهؤلاء آثروا على أنفسهم مع خصاصتهم وحاجتهم إلى ما أنفقوه . ومن هذا المقام تصدق الصديق - رضي الله عنه - بجميع ماله ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **ما أبقيت لأهلك ؟** » فقال : أبقيت لهم الله ورسوله . وهذا الماء الذي عُرض على عكرمة وأصحابه يوم اليرموك ، فكل منهم يأمر بدفعه إلى صاحبه ، وهو جريح مثقل أحوج مايكون إلى الماء ، فرده الآخر إلى الثالث ، فما وصل إلى الثالث حتى ماتوا عن آخرهم ولم يشربه أحد منهم ، رضي الله عنهم وأرضاهم .

= حديث (١٠٦٩٩) (٢١٥/٦ - ٢١٦) .

(٤٠) - أورده المصنف في « البداية والنهاية » (٨٠/٨ - ٨١) وعزاه إلى أبي يعلى من طريق حرملة عن ابن وهب عن حيوة عن عقيل عن ابن شهاب قال : حدثني من لا أتهم عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - فذكر نحوه ، وفيه راوٍ لم يسم لكن يشهد له ما قبله .

(٤١) - أخرجه الطبري (٤١/٢٨ - ٤٢) .

(٤٢) - أخرجه أحمد (٤١١/٣ - ٤١٢) ، وأبو داود في كتاب : الصلاة ، حديث (١٤٤٩) (٦٩/٢) . والنسائي (٥٨/٥) كتاب : الزكاة ، باب : جهد المقل ، والدارمي في كتاب : الصلاة ، باب : أي الصلاة أفضل ، حديث (١٤٣١) (٢٧١/١ - ٢٧٢) كلهم من حديث عبد الله بن جحش .

وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (١٢٨٦) . والحديث أخرجه أحمد (٣٥٨/٢) ، وأبو داود (١٦٧٧) (١٢٩/٢) كلاهما من حديث أبي هريرة وصححه الألباني في صحيح أبي داود (١٤٧١) .

وقال البخاري (٤٣) : حدثنا يعقوب بن إبراهيم بن كثير ، حدثنا أبو أسامة ، حدثنا فُضَيل ابن غَزوان ، حدثنا أبو حازم الأشجعي ، عن أبي هُرَيرة قال : أتىٰ رجل رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم فقال : يارسول الله ، أصابني الجهدُ ، فأرسل إلىٰ نسائه فلم يجد عندهنَّ شيئًا ، فقال النبي صلىٰ الله عليه وسلم : « **ألا رجل يُضَيِّفُ هذا الليلة ، رحمه الله ؟** » فقام رجل من الأنصار فقال : أنا يا رسول الله ؛ فذهب إلىٰ أهله فقال لامرأته : ضيفُ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم لا تدخريه شيئًا . فقالت : والله ما عندي إلا قوتُ الصِّبية . قال : فإذا أراد الصبيةُ العَشاءَ فنوّميهم وتعالي فأطفئي السراج ونطوي بطوننا الليلة. ففعلت، ثم غدا الرجل علىٰ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم - فقال : « **لقد عجب الله - عز وجل - أو : ضحك من فلان وفلانة** ». وأنزل الله - عز وجل - : ﴿ **ويؤثرون علىٰ أنفسهم ولو كان بهم خصاصة** ﴾. وكذا رواه البخاري في موضع آخر(٤٤) ، ومسلم(٤٥) والترمذي(٤٦) والنسائي(٤٧) من طرق ، عن فضيل بن غزوان ، به ، نحوه . وفي رواية لمسلم(٤٨) تسمية هذا الأنصاري بأبي طلحة ، رضي الله عنه .

وقوله : ﴿ **ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون** ﴾ ، أي : من سلم من الشح فقد أفلح وأنجح .

قال أحمد(٤٩) : حدثنا عبد الرزاق ، أخبرنا داود بن قيس الفراء عن[١] عبيد الله بن مقسم ، عن جابر بن عبد الله أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم قال : « **إياكم والظّلم ، فإن الظلم ظلماتٌ يوم القيامة ، واتقوا الشح ، فإن الشح أهلك من كان قبلكم ، حملهم علىٰ أن سفكوا[٢] دماءهم واستحلوا محارمهم** ». انفرد بإخراجه مسلم(٥٠) ، فرواه عن

---

(٤٣) - أخرجه البخاري في كتاب : التفسير ، باب : ﴿ **ويؤثرون على أنفسهم** ﴾ ، حديث (٤٨٨٩) (٨/ ٦٣١) .

(٤٤) - أخرجه البخاري في كتاب : مناقب الأنصار ، باب (١٠) ، حديث (٣٧٩٨) (١١٩/٧) .

(٤٥) - مسلم في كتاب : الأشربة ، باب : إكرام الضيف وفضل إيثاره ، حديث (١٧٢، ١٧٣/ ٢٠٥٤) (١٧/١٤ - ١٩) .

(٤٦) - الترمذي في كتاب : تفسير القرآن ، باب : ومن سورة الحشر ، حديث (٣٣٠١) (٤٣/٩) وقال : حسن صحيح .

(٤٧) - النسائي في الكبرى في كتاب : التفسير ، باب : ﴿ **ويؤثرون على أنفسهم** ﴾ ، حديث (١١٥٨٢) (٤٨٦/٦) .

(٤٨) - أخرجه مسلم في الموضع السابق برقم (١٧٣م/٢٠٥٤) (١٩/٧) .

(٤٩) - أخرجه أحمد (٣٢٣/٣) (١٤٥٠٣) .

---

[١] - في ز ، خ: « و » . [٢] - في ز ، خ: « يسفكوا » .

القعنبي عن داود بن قيس ، به .

وقال الأعمش وشعبة ، عن عمرو بن مرة ، عن عبد اللَّه بن الحارث ، عن زهير بن الأقمر ، عن عبد اللَّه بن عمرو ؛ قال : قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **اتقوا الظلم ؛ فإن الظلم ظلمات يوم القيامة ، واتقوا الفحش ، فإن اللَّه لا يحب الفحش ولا التفحش ، وإياكم والشح ؛ فإنه أهلَكَ من كان قبلكم ، أمرهم بالظلم فظلموا ، وأمرهم بالفجور ففجروا ، وأمرهم بالقطيعة فقطعوا** » .

ورواه أحمد(٥١) وأبو داود(٥٢) ، من طريق شعبة . والنسائي(٥٣) من طريق الأعمش كلاهما عن عمرو بن مرة ، به .

وقال الليث(٥٤) عن يزيد [بن الهاد][١] عن سهيل بن أبي صالح عن صفوان بن أبي يزيد عن القعقاع بن اللجلاج[٢] ، عن أبي هُريرة أنه سمع رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم يقول : « **لا يجتمع غبار في سبيل اللَّه ودُخانُ جهنم في جوف عبد أبدًا ، ولا يجتمع الشح والإيمان في قلب عبد أبدًا** » .

وقال ابن أبي حاتم (٥٥) : حدثنا أبي ، حدثنا عبدة بن سليمان ، أخبرنا ابن المبارك ،

---

(٥٠) - مسلم في كتاب : البر والصلة والآداب ، باب : تحريم الظلم ، حديث (٢٥٧٨/٥٦) .

(٥١) - أخرجه أحمد (١٥٩/٢ - ١٦٠) .

(٥٢) - أبو داود في كتاب : الزكاة ، باب : في الشح ، حديث (١٦٩٨) (١٣٣/٢) مختصرًا .

(٥٣) - النسائي في الكبرى في كتاب : التفسير ، باب : ﴿ **ومن يوق شح نفسه** ﴾ ، حديث (١١٥٨٣) (٤٨٦/٦) . وفي إسناده أبو كثير الزبيدي ، قال الحافظ : مقبول . لكن يشهد له ما قبله . وقد صححه العلامة أحمد شاكر في تعليقه على المسند ، والألباني في صحيح سنن أبي داود (١٤٨٩) .

(٥٤) - أخرجه النسائي في الكبرى : كتاب الجهاد ، باب : فضل من عمل في سبيل الله على قدميه ، حديث (٤٣٢٠) (١٠/٣) ، وفي الصغرى (١٣/٦ - ١٤) كتاب : الجهاد ، باب : فضل من عمل في سبيل الله على قدميه . وفي إسناده القعقاع بن اللجلاج وهو مجهول . وللحديث طريق آخر عند أحمد (٣٤٠/٢) ، والنسائي (١٢/٦ - ١٣) من طريق الليث وهو ابن سعد عن ابن عجلان عن سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة مرفوعًا بنحوه . وإسناده حسن من أجل محمد بن عجلان فهو صدوق اختلطت عليه أحاديث أبي هريرة . والحديث صححه ابن حبان (٣٢٥١) . وصححه الألباني في صحيح سنن النسائي (٢٩١٠ - ٢٩١٨) .

(٥٥) - إسناده ثقات غير المسعودي فإنه كان اختلط . وأخرجه الطبري (٤٣/٢٨) أيضًا من طريق المسعودي . وذكره الهيثمي في المجمع (١٢٥/٧ - ١٢٦) وقال : رواه الطبراني عن شيخه عبد الله بن محمد بن أبي مريم وهو ضعيف .

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من ت . [٢] - في ز، خ : « الجلاح » .

حدثنا المسعودي ، عن جامع بن شداد[١] ، عن الأسود بن هلال ؛ قال : جاء رجل إلىٰ عبد الله فقال : يا أبا عبد الرحمن ؛ إني أخاف أن أكون قد هلكت ! فقال له عبد الله : وما ذاك ؟ قال : سمعت الله يقول : ﴿ **ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون** ﴾ وأنا رجل شحيح ، لا أكاد أن أخرج من يدي شيئًا ! فقال عبد الله : ليس ذلك بالشح الذي ذكر الله في القرآن ، إنما الشح الذي ذكر الله في القرآن أن تأكل مال أخيك ظلمًا ، ولكن ذلك البخل ، وبئس الشيء البخل .

وقال سفيان الثوري : عن طارق بن عبد الرحمن ، عن سعيد بن جبير ، عن أبي الهياج الأسدي ؛ قال : كنت أطوف بالبيت ، فرأيت رجلًا يقول : اللهم ؛ قني شح نفسي . لا يزيد علىٰ ذلك ، فقلت له ، فقال : إني إذا وقيت شح نفسي لم أسرق ولم أزن ولم أفعل - وإذا الرجل عبد الرحمن بن عوف - رضي الله عنه - . ورواه ابن جرير (٥٦) .

وقال ابن جرير (٥٧) : حدثني محمد بن إسحاق ، حدثنا سليمان بن عبد الرحمن الدمشقي ، حدثنا إسماعيل بن عَياش[٢] ، حدثنا مُجمع بن جارية[٣] الأنصاري ، عن [عمه يزيد بن جارية][٤] ، عن أنس بن مالك ، عن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم قال : « **بَرِئَ من الشح مَن أدىٰ الزكاة وقَرَىٰ الضيف ، وأعطىٰ في النائبة** » .

وقوله : ﴿ **والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولاتجعل في قلوبنا غلًا للذين آمنوا ربنا إنك رءوف رحيم** ﴾ : هؤلاء هم القسم الثالث ممن يستحق فقراؤهم من مال الفيء ، وهم المهاجرون ، ثم الأنصار ، ثم التابعون بإحسان ، كما قال في آية براءة : ﴿ **والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم** ﴾ ، فالتابعون لهم بإحسان هم : المتبعون لآثارهم الحسنة وأوصافهم الجميلة ، الداعون لهم في السر والعلانية . ولهذا قال في هذه الآية الكريمة : ﴿ **والذين جاءوا من بعدهم يقولون** ﴾ ، أي : قائلين : ﴿ **ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلًا** ﴾ ، أي : بغضًا وحسدًا ﴿ **للذين آمنوا ربنا إنك رءوف رحيم** ﴾ . وما أحسن ما استنبط الإمام مالك من هذه الآية الكريمة : أن الرافضي الذي

---

(٥٦) - أخرجه الطبري (٤٣/٢٨) وإسناده حسن من أجل طارق بن عبد الرحمن فهو صدوق له أوهام ، وروىٰ له الجماعة .

(٥٧) - أخرجه الطبري (٤٣/٢٨ - ٤٤) . وفي إسناده إسماعيل بن عياش وفي روايته عن الحجازيين ضعف .

---

[١] - في ز ، خ: « سواد » . [٢] - في ز ، خ: « عباس » .

[٣] - في ز ، خ : « حارثة » .

[٤] - ما بين المعكوفتين في ز : « عمر بن زيد بن حارثة » .

يسبّ الصحابة ليس له في مال الفيء نصيب لعدم اتصافه بما مدح الله به هؤلاء في قولهم : ﴿ **ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولاتجعل في قلوبنا غلًّا للذين آمنوا ربنا إنك رءوف رحيم** ﴾ وقال ابن أبي حاتم (٥٨) : حدثنا موسىٰ ابن عبد الرحمن المسروقي ، حدثنا محمد بن بشر ، حدثنا إسماعيل بن إبراهيم بن مهاجر ، عن أبيه ، عن عائشة أنها قالت : أمروا أن يستغفروا لهم ، فسبوهم ! ثم قرأت هذه الآية : ﴿ **والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان** ﴾ ... الآية .

وقال إسماعيل بن عليّة (٥٩) : عن عبد الملك بن عمير ، عن مسروق ، عن عائشة ؛ قالت : أمرتم بالاستغفار لأصحاب محمد صلىٰ الله عليه وسلم ، فسببتموهم . سمعتُ نبيكم صلىٰ الله عليه وسلم يقول : « **لاتذهب هذه الأمة حتىٰ يلعن آخرها أولها** » . ورواه البغوي .

وقال أبو داود (٦٠) : حدثنا مُسَدَّد ، حدثنا إسماعيل بن إبراهيم ، حدثنا أيوب ، عن الزهري قال : قال عمر - رضي الله عنه - : ﴿ **و[١]ما أفاء الله علىٰ رسوله منهم فما أوجفتم عليه من خيل ولا ركاب** ﴾ - قال الزهري - : قال عمر : هذه لرسول الله صلىٰ الله عليه وسلم خاصة ، قُرىٰ[٢] عربية : فدك[٣] وكذا فما أفاء الله علىٰ رسوله من أهل القرىٰ فلله وللرسول ولذي القربى واليتامىٰ والمساكين وابن السبيل ، وللفقراء الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم ، ﴿ **والذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم** ﴾ ، ﴿ **والذين جاءوا من بعدهم** ﴾ ، فاستوعبت هذه الآية الناس ، فلم يبقَ أحد من المسلمين إلا له فيها حق - قال أيوب : أو قال : حظ - إلا بعض من تملكون من أرقائكم . كذا رواه أبو داود ، وفيه انقطاع .

وقال ابن جرير (٦١) : حدثنا ابن عبد الأعلىٰ ، حدثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن أيوب ، عن عكرمة بن خالد ، عن مالك بن أوس بن الحَدَثَان قال : قرأ عمر بن الخطاب : ﴿ **إنما**

(٥٨) - في إسناده إسماعيل بن إبراهيم بن مهاجر : ضعيف .

(٥٩) - عبد الملك بن عمير ثقة ، إلا أنه مدلس . ذكره ابن حجر في الطبقة الثالثة من طبقات المدلسين ، وبقية إسناده ثقات .

(٦٠) - أخرجه أبو داود في كتاب الخراج والإمارة والفيء ، باب : في تدوين العطاء ، حديث (٢٩٦٦) (٣/ ١٤١) ، والزهري لم يسمع من عمر - رضي الله عنه - .

(٦١) - أخرجه الطبري (٢٨/٣٧) وإسناده ثقات .

[١] - سقط من : ز ، خ.

[٢] - في ز : « قراى » .

[٣] - سقط من : ز ، خ.

الصدقات للفقراء والمساكين ﴾ حتىٰ بلغ ﴿ عليم حكيم ﴾ ، ثم قال : هذه لهؤلاء ، ثم قرأ : ﴿ واعلموا أنما غنمتم من شيء فأن لله خمسه وللرسول ولذي القربىٰ ﴾ الآية[١] ، ثم قال[٢] : هذه لهؤلاء ، ثم قرأ : ﴿ ما أفاء الله علىٰ رسوله من أهل القرىٰ ﴾ حتىٰ بلغ : ﴿ للفقراء ﴾ ، ﴿ والذين تبوءوا الدار والإيمان ﴾ ، ﴿ والذين جاءوا من بعدهم ﴾ ثم قال : استوعبت هذه الآية[٣] المسلمين عامة ، وليس أحد إلا له فيها حق ، ثم قال : لئن عشت ليأتين الراعي - وهو [بِسَرْو حِمْيَر][٤] حِمْيَر نصيبه فيها ، لم يعرق فيها جبينه .

۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُوا۟ يَقُولُونَ لِإِخْوَٰنِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١١﴾ لَئِنْ أُخْرِجُوا۟ لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِن قُوتِلُوا۟ لَا يَنصُرُونَهُمْ وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ ٱلْأَدْبَٰرَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴿١٢﴾ لَأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِى صُدُورِهِم مِّنَ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿١٣﴾ لَا يُقَٰتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِى قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَآءِ جُدُرٍۭ ۚ بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ ۚ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ﴿١٤﴾ كَمَثَلِ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَرِيبًا ۖ ذَاقُوا۟ وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٥﴾ كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَٰنِ ٱكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ فَكَانَ عَٰقِبَتَهُمَآ أَنَّهُمَا فِى ٱلنَّارِ خَٰلِدَيْنِ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٧﴾

يخبر تعالىٰ عن المنافقين كعبد الله بن أبيّ وأضرابه ، حين بعثوا إلىٰ يهود بني النضير يعدُونهم النصر من أنفسهم ، فقال تعالىٰ : ﴿ ألم تر إلىٰ الذين نافقوا يقولون لإخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب لئن أخرجتم لنخرجن معكم ولانطيع فيكم أحدًا أبدًا وإن

[١] - في ز ، خ: « هذه الآية » .
[٢] - سقط من : ز ، خ.
[٣] - سقط من : ز ، خ .
[٤] - في ز ، خ : « بسرر » . والمثبت من الطبري .

قوتلتم لننصرنكم ﴾ ، قال الله تعالىٰ : ﴿ **والله يشهد إنهم لكاذبون** ﴾ ، أي : لكاذبون فيما وعدوهم به إما أنهم قالوا لهم قولًا ومن نيتهم أن لايفوا لهم به ، وإما أنهم لايقع منهم الذي قالوه . ولهذا قال : ﴿ **ولئن قوتلوا لا ينصرونهم** ﴾ ، أي : لايقاتلون معهم ، ﴿ **ولئن نصروهم** ﴾ أي : قاتلوا معهم ﴿ **ليولن الأدبار ثم لاينصرون** ﴾ ، وهذه بشارة مستقلة بنفسها .

ثم قال تعالىٰ : ﴿ **لأنتم أشد رهبة في صدورهم من الله** ﴾ ، أي : يخافون منكم أكثر من خوفهم من الله ، كقوله : ﴿ **إذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله أو أشد خشية** ﴾ ؛ ولهذا قال : ﴿ **ذلك بأنهم قوم لا يفقهون** ﴾ .

ثم قال : ﴿ **لايقاتلونكم جميعًا إلا في قرًى مُحَصَّنة أو من وراء جُدُر**[١] ﴾ ، يعني أنهم من جُبنهم وهَلَعهم لا يقدرون علىٰ مواجهة جيش الإسلام بالمبارزة والمقابلة ، بل إما في حصون أو من وراء جدار[٢] محاصرين ، فيقاتلون للدفع عنهم ضرورة .

ثم قال: ﴿ **بأسهم بينهم شديد** ﴾ أي: عداوتهم بينهم شديدة، كما قال: ﴿ **ويذيق بعضكم بأس بعض** ﴾؛ ولهذا قال: ﴿ **تحسبهم جميعًا وقلوبهم شتى** ﴾ أي: تراهم مجتمعين فتحسبهم مؤتلفين، وهم مختلفون غاية الاختلاف[٣] .

قال إبراهيم النخعي : يعني : أهل الكتاب والمنافقين : ﴿ **ذلك بأنهم قوم لايعقلون** ﴾ .

ثم قال : ﴿ **كمثل الذين من قبلهم قريبًا ذاقوا وبال أمرهم ولهم عذاب أليم** ﴾ ، قال مجاهد ، والسدي ، ومقاتل بن حيان : كمثل ما أصاب كفار قريش يوم بدر وقال ابن عباس : ﴿ **كمثل الذين من قبلهم** ﴾ ، يعني : يهود بني قينقاع . وكذا قال قتادة ، ومحمد بن إسحاق .

وهذا القول أشبه بالصواب ، فإن يهود بني قينقاع كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أجلاهم قبل هذا .

وقوله : ﴿ **كمثل الشيطان إذ قال للإنسان اكفر فلما كفر قال إني بريء منك** ﴾ يعني : مثل هؤلاء اليهود في اغترارهم [بالذين وعدوهم][٤] النصر من المنافقين ، وقول المنافقين لهم : ﴿ **لئن قوتلتم لننصرنكم** ﴾ ، ثم لما حقت الحقائق وجَدّ بهم الحصار والقتال ، تخلوا[٥] عنهم وأسلموهم للهلكة ، مثالهم في هذا كمثل الشيطان إذ سول

---

[١] - في ز ، خ: « جدار » . وهي قراءة عبد الله بن كثير ، وابي عمرو .
[٢] - في ت : « جدر » . [٣] - في ز ، خ: « الائتلاف » .
[٤] - ما بين المعكوفتين في ز ، خ: « بالدين ووعدهم » [٥] - في ز : « تخلفوا » .

للإنسان - والعياذ بالله - الكفر ، فإذا دخل فيما سوله له[١] تبرأ منه وتنصل ، وقال : ﴿ **إني أخاف الله رب العالمين** ﴾ .

وقد ذكر بعضهم هاهنا قصة لبعض عباد بني إسرائيل هي كالمثال لهذا المثل ، لا أنها المرادة وحدها بالمثل ، بل هي منه مع غيرها من الوقائع المشاكلة لها ، فقال ابن جرير (٦٢) :

حدثنا خلاد بن أسلم ، أخبرنا النضر بن شُمَيل ، أخبرنا شعبة ، عن أبي إسحاق ، سمعت عبد الله بن نَهيك ؛ قال : سمعت عليًا - رضي الله عنه - يقول : إن راهبًا تعبد ستين سنة ، وإن الشيطان أراده فأعياه ، فعمد إلىٰ امرأة فأجَنَّها ولها إخوة ، فقال لإخوتها : عليكم بهذا القس فيداويها . قال : فجاءوا بها إليه فداواها ، وكانت عنده ، فبينما هو يومًا عندها إذ أعجبته ، فأتاها فحبلت[٢] ، فعمد إليها فقتلها ، فجاء إخوتها ، فقال الشيطان للراهب : أنا صاحبك ، إنك[٣] أعييتني ، أنا صنعت هذا بك فأطعني أنجك مما صنعت بك ، اسجد لي سجدة فسجد له ، فلما سجد له قال : إني بريء منك ، إني أخاف الله رب العالمين ، فذلك قوله : ﴿ **كمثل الشيطان إذ قال للإنسان اكفر فلما كفر قال إني بريء منك إني أخاف الله رب العالمين** ﴾ .

وقال ابن جرير(٦٣) : حدثني يحيى بن إبراهيم المسعودي ، حدثنا أبي ، عن أبيه ، عن جده ، عن الأعمش ، عن عمارة ، عن عبد الرحمن بن يزيد ، عن عبد الله بن مسعود في هذه الآية : ﴿ **كمثل الشيطان إذ قال للإنسان اكفر فلما كفر قال إني بريء منك إني أخاف الله رب العالمين** ﴾ . قال : كانت امرأة ترعىٰ الغنم ، وكان لها أربعة إخوة ، وكانت تأوي بالليل إلىٰ صومعة راهب قال : فنزل الراهب ففجر بها ، فحملت ، فأتاه الشيطان فقال له : اقتلها ثم ادفنها ، فإنك رجل مصدق[٤] يسمع قولك . فقتلها ثم دفنها ، قال : فأتى الشيطان إخوتها في المنام فقال لهم : إن الراهب صاحب[٥] الصومعة فجر بأختكم ، فلما أحبلها قتلها ثم دفنها في مكان كذا وكذا . فلما أصبحوا قال رجل منهم : والله لقد رأيت البارحة رؤيا ما أدري أقصها عليكم أم أترك ؟ قالوا : لا بل قصها علينا ، قال : فقصها . فقال الآخر : وأنا والله لقد رأيت ذلك ! فقال الآخر : وأنا والله لقد رأيت ذلك ! فقالوا : والله[٦] ماهذا إلا لشيء ، قال : فانطلقوا فاستعدوا ملكهم علىٰ ذلك الراهب ، فأتوه

(٦٢) - أخرجه الطبري (٤٩/٢٨) وإسناده صحيح إلى عليّ - رضي الله عنه - وأبو إسحاق قد صرح بالسماع .

(٦٣) - أخرجه الطبري (٢٨/ ٤٩ - ٥٠) .

[١] - سقط من ت .

[٢] - في ت : « فحملت » .

[٣] - سقط من : ز ، خ.

[٤] - في ز ، خ: « تصدق » .

[٥] - مكررة في : ز .

[٦] - في ت : « فوالله » .

فأنزلوه ، ثم انطلقوا به فلقيه الشيطان فقال : إني أنا الذي أوقعتك في هذا ، ولن ينجيك منه غيري ، فاسجد لي سجدة واحدة وأنجيك مما أوقعتك فيه . قال : فسجد له ، فلما أتوا به ملكهم تَبَرأ منه ، وأخِذَ فقتل .

وكذا روي عن ابن عباس ، وطاوس ، ومقاتل بن حيان ، نحو ذلك . واشتهر عند كثير من الناس أن هذا العابد هو برصيصا ، والله أعلم . وهذه القصة مخالفة لقصة جُرَيْج العابد ، فإن جريجًا اتهمته[١] امرأة بَغِيٌّ بنفسها ، وادعت أن حملَها منه ، ورفعت أمره إلىٰ وليّ الأمر ، فأمر به فأنزل [من صومعته][٢] وخُربت صومعته وهو يقول : مالكم ؟ مالكم ؟ فقالوا : ياعدو الله فعلت بهذه المرأة كذا وكذا . فقال جريج : اصبروا . ثم أخذ ابنها وهو صغير جدًّا ثم قال : ياغلام ، من أبوك ؟ فقال[٣] : أبي الراعي - وكانت قد أمكنته من نفسها فحملت منه ، فلما رأىٰ بنو إسرائيل ذلك عظموه كلهم تعظيمًا بليغًا وقالوا : نعيد صومعتك من ذهب . قال : لا ، بل أعيدوها من طين كما كانت .

وقوله : ﴿ فكان عاقبتهما أنهما في النار خالدين فيها ﴾ ، أي : فكان عاقبة الآمر بالكفر والفاعل له ، ومصيرهما[٤] إلىٰ نار جهنم خالدين فيها ، ﴿ وذلك جزاء الظالمين ﴾ ، أي : جزاء كل ظالم .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ (١٨) وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ (١٩) لَا يَسْتَوِىٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۚ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ (٢٠) ﴾

قال الإمام أحمد (٦٤) : حدثنا محمد بن جعفر ، حدثنا شعبة ، عن عون بن أبي جُحَيفة ، عن المنذر بن جرير ، عن أبيه ؛ قال : كنا[٥] عند رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم في صدر النهار ، قال : فجاءه قوم حفاة عُرَاة محتابي النمار - أو : العَبَاء[٦] - متقلدي

---

(٦٤) - القصة أوردها البخاري في صحيحه بإسناده من حديث أبي هريرة في كتاب أحاديث الأنبياء ، باب : قول الله : ﴿ واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها ﴾ ، حديث (٣٤٣٦) (٦/٤٧٦) .

---

[١] - في ز ، خ: « أتته » .
[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ.
[٣] - في ت : « قال » .
[٤] - في ت : « تصيرهما » .
[٥] - في ز ، خ: « كان » .
[٦] - في ز ، خ: « الغبار » .

السيوف ، عامتهم من مضر ، بل كلهم من مضر ، فتغير وجه رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم لما رأىٰ بهم من الفاقة ، قال : فدخل ثم خرج ، فأمر بلالًا فأذن وأقام الصلاة ، فصلىٰ ثم خطب ، فقال : « ﴿ **يا أيها الناس ؛ اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة** ﴾ إلىٰ آخر الآية : ﴿ **إن اللّٰه كان عليكم رقيبًا** ﴾ ، وقرأ الآية التي في الحشر : ﴿ **ولتنظر نفس ماقدمت لغد** ﴾ ، **تصدقَ رجل من ديناره ، من درهمه ، من ثوبه ، من صاع بره ، من صاع تمره** ، » حتىٰ قال : « **ولو بشق تمرة** » .

قال : فجاء رجل من الأنصار بصُرة كادت كفه تَعجز عنها ، بل قد عجزت ، ثم تتابع الناس حتىٰ رأيت كومين من طعام وثياب ، حتىٰ رأيت رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم يتهلل وجهه كأنه مُذْهَبة فقال رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **مَن سنّ في الإِسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها بعده من غير أن ينقُص من أجورهم شيء ، ومن سن في الإِسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من غير أن ينقص من أوزارهم شيء** » .

انفرد بإخراجه مسلم(٦٥) ، من حديث شعبة بإسناده مثله .

فقوله تعالىٰ : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا اتقوا اللّٰه** ﴾ : أمر بتقواه ، وهي تشمل فعل ما أمر ، وترك ما عنه زجر .

وقوله : ﴿ **ولتنظر نفس ما قدمت لغد** ﴾ ، أي : حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا ، وانظروا ماذا ادخرتم لأنفسكم من الأعمال الصالحة ليوم معادكم وعَرضكم علىٰ ربكم ، ﴿ **واتقوا اللّٰه** ﴾ : تأكيد ثان ، ﴿ **إن اللّٰه خبير بما تعملون** ﴾ ، أي : اعلموا أنه عالم بجميع أعمالكم وأحوالكم ، لاتخفىٰ[١] عليه منكم خافية ، ولا يغيب عنه[٢] من أموركم جليل ولا حقير .

وقال : ﴿ **ولا تكونوا كالذين نسوا اللّٰه فأنساهم أنفسهم** ﴾ أي : لا تنسوا ذكر اللّٰه فينسيكم العمل لمصالح[٣] أنفسكم التي[٤] تنفعكم في معادكم ، فإن الجزاء من جنس العمل ؛ ولهذا قال : ﴿ **أولئك هم الفاسقون** ﴾ ، أي : الخارجون من[٥] طاعة اللّٰه ، الهالكون يوم القيامة ، الخاسرون يوم معادهم ، كما قال : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا ؛ لا تلهكم**

(٦٥) - أخرجه أحمد (٤/٣٥٨ - ٣٥٩) (١٩٢٣٠) .

[١] - في ز ، خ: « يخفى » .
[٢] - في ز ، خ: « عليه » .
[٣] - في ز ، خ: « الصالح » .
[٤] - في ز، خ : « الذي » .
[٥] - في ت : « عن » .

أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله، ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون ﴾ .

وقال الحافظ أبو القاسم الطبراني (٦٦) : حدثنا أحمد بن عبد الوهاب بن نَجدة الحوطي ، حدثنا [أبو المغيرة] ، حدثنا حَريز[١] بن عثمان، عن نعيم بن نَمحة قال : كان في خطبة أبي بكر الصديق - رضي الله عنه - : أما تعلمون أنكم تغدون وتروحون لأجل معلوم ؟ فمن استطاع أن ينقضي[٢] الأجل وهو في عمل الله - عز وجل - فليفعل ، ولن تنالوا ذلك إلا بالله - عز وجل - إن قومًا جعلوا آجالهم لغيرهم ، فنهاكم الله أن تكونوا أمثالهم : ﴿ **ولاتكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم** ﴾ . أين من تعرفون من إخوانكم ؟ قدموا على ماقدموا في أيام سلفهم ، وخلوا بالشقوة والسعادة ، أين الجبارون الأولون الذين بنوا المدائن وحصونها بالحوائط ؟ قد صاروا تحت الصخر والآبار ، هذا كتاب الله لاتفنى عجائبه فاستضيئوا منه ليوم ظلمة ، واستنصحوا كتابه وبيانه[٣] . إن الله أثنى على زكريا وأهل بيته فقال : ﴿ **إنهم[٤] كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغبًا ورهبًا وكانوا لنا خاشعين** ﴾ ، لاخير في قول لا يراد به وجه الله ولاخير في مال لاينفق في سبيل الله . ولا خير فيمن يغلب جهله حلمه ، ولا خير فيمن يخاف في الله لومة لائم .

هذا إسناد جيد ، و[٥]رجاله كلهم[٦] ثقات ، وشيخ حريز[٧] بن عثمان[٨] - وهو نعيم بن نمحة - . لا أعرفه بنفي ولا إثبات ، غير[٩] أن أبا داود السجستاني قد حكم بأن شيوخ حَريز[١٠] كلهم ثقات . وقد روي لهذه الخطبة شواهد من وجوه أخر ، والله أعلم .

وقوله : ﴿ **لا يستوي أصحاب النار وأصحاب الجنة** ﴾ ، أي : لا يستوي هؤلاء وهؤلاء في حكم الله يوم القيامة ، كما قال : ﴿ **أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواءً محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون** ﴾ . وقال : ﴿ **وما يستوي الأعمى والبصير والذين آمنوا وعملوا الصالحات ولا المسيءُ** ﴾ . الآية . وقال : ﴿ **أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الأرض أم نجعل المتقين كالفجار** ﴾ . في آيات أخر دالات على أن الله سبحانه يكرم الأبرار ، ويهين الفجار ، ولهذا قال هاهنا :

---

(٦٦) - مسلم في كتاب الزكاة ، باب : الحث على الصدقة ولو بشق تمرة ، أو كلمة طيبة ، وأنها حجاب من النار ، حديث (١٠١٧/٦٩) (١٤٢/٧ - ١٤٥) .

---

[١] - في ز ، خ: « جرير » .
[٢] - في ز ، خ: « ينقص » .
[٣] - في ت : « تبيانه » .
[٤] - سقط من : ز ، خ.
[٥] - سقط من : ز، خ .
[٦] - سقط من : ز ، خ.
[٧] - في ز ، خ: « جرير » .
[٨] - في ت : « سفيان » .
[٩] - في ز ، خ: « يخبر » .
[١٠] - في ز : « جرير » .

﴿ **أصحاب الجنة هم الفائزون** ﴾ . أي : الناجون المسلمون من عذاب الله - عز وجل - .

لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾

يقول تعالىٰ معظمًا لأمر القرآن ومبينًا علوَّ قدره ، وأنه ينبغي أن تخشع له القلوب ، وتتصدع عند سماعه لما فيه من الوعد الحق والوعيد الأكيد : ﴿ **لو أنزلنا هذا القرآن علىٰ جبل لرأيته خاشعًا متصدعًا من خشية الله** ﴾ . أي : فإذا كان الجبل في غلظه وقساوته لو أفهم[١] هذا القرآن فتدبر ما فيه ، لخشع وتصدع من خوف الله - عز وجل - فكيف يليق بكم أيها البشر أن لا تلين قلوبكم وتخشع ، وتتصدع من خشية الله ، وقد فهمتم عن الله أمره وتدبرتم كتابه ؟ ولهذا قال تعالىٰ : ﴿ **وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون** ﴾ .

قال العوفي : عن ابن عباس في قوله : ﴿ **لو أنزلنا هذا القرآن علىٰ جبل...** ﴾ إلىٰ آخرها ، يقول: لو أني أنزلت هذا القرآن علىٰ جبل حمّلته إياه، لتصدع وخشع من ثقله ، ومن خشية الله . فأمر الله الناس إذا نزل عليهم القرآنُ أن يأخذوه بالخشية الشديدة والتخشع . ثم قال : كذلك يضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتفكرون . وكذا قال قتادة وابن جرير .

وقد ثبت في الحديث المتواتر(٦٧) أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم لما عمل له المنبر ، وقد كان يوم الخطبة يقف إلىٰ جانب جذع من جذوع المسجد ، فلما وضع المنبر أول ما

(٦٧) - أخرجه الطبراني في الكبير (١/٦٠ - ٦١) (٣٩) .

[١] - في ت : « فهم » .

وضع ، وجاء النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ليخطب فجاوز الجذع إلىٰ نحو المنبر ، فعند ذلك حنّ الجذع وجعل يئن كما يئن الصبي الذي يُسَكَّنُ[١] ، لما كان يُسمع من الذكر والوحي عنده . ففي بعض روايات هذا الحديث : قال الحسن البصري بعد إيراده : فأنتم أحق أن تشتاقوا إلىٰ رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم من الجذع .

وهكذا هذه الآية الكريمة ، إذا كانت الجبال الصم لو سمعت كلام اللّٰه وفهمته ، لخشعت وتصدعت من خشيته ، فكيف بكم وقد سمعتم وفهمتم ؟ وقد قال تعالىٰ : ﴿ **ولو أن قرآنًا سيرت به الجبال أو قطعت به الأرض أو كلم به الموتىٰ** ﴾ . الآية. وقد تَقَدم أن معنىٰ ذلك : أي لكان هذا القرآن . وقال تعالىٰ : ﴿ **وإن من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار، وإن منها لما يشقق فيخرج منه الماء وإن منها لما يهبط من خشية اللّٰه** ﴾ .

ثم قال تعالىٰ : ﴿ **هو اللّٰه الذي لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم** ﴾ أخبر تعالىٰ أنه الذي لا إله إلا هو فلا رب غيره ، ولا إله للوجود سواه ، وكل ما يعبد من دونه فباطل ، وأنه عالم الغيب والشهادة ، أي : يعلم جميع الكائنات المشاهَدات لنا والغائبات عنا فلا يخفىٰ عليه شيء في الأرض ولا في السماء من جليل وحقير وصغير وكبير ، حتىٰ الذر في الظلمات .

وقوله : ﴿ **هو الرحمن الرحيم** ﴾ : قد تقدم الكلام علىٰ ذلك في أول التفسير ، بما أغنىٰ عن إعادته هاهنا . والمراد : أنه ذو الرحمة الواسعة الشاملة لجميع المخلوقات ، فهو رحمان الدنيا والآخرة ورحيمهما ، وقد قال تعالىٰ : ﴿ **ورحمتي وسعت كل شيء** ﴾ وقال : ﴿ **كتب ربكم على نفسه الرحمة** ﴾ وقال : ﴿ **قل بفضل اللّٰه وبرحمته [فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون** ﴾ .

وقال : ﴿ **هو اللّٰه الذي لا إله إلّا هو الملك** ﴾ أي : المالك لجميع الأشياء، المتصرف فيها بلا ممانعة ولا مدافعة .

وقوله : ﴿ **القدوس** ﴾][٢] قال وهب بن منبه : أي الطاهر . وقال مجاهد ، وقتادة : أي المبارك . وقال ابن جريج : تقدسه الملائكة الكرام .

﴿ **السلام** ﴾[٣] أي : من جميع العيوب والنقائص ؛ بكماله في ذاته وصفاته وأفعاله .

---

[١] - في ز ، خ: « سلب » .

[٢] - ما بين المعكوفتين كذا في ز، خ : « أي المالك لجميع الأشياء ، المتصريف فيها بلا ممانعة ولا مدافعة . وقوله : ﴿ **هو خير مما يجمعون** ﴾ وقال : ﴿ **هو اللّٰه الذي لا إله إلا هو المالك القدوس** ﴾ .

[٣] - سقط من : ز، خ .

وقوله : ﴿ **المؤمن** ﴾ ، قال الضحاك ، عن ابن عباس : أمن [خلقه من][١] أن يظلمهم . وقال قتادة : أمَّن بقوله إنه حق . وقال ابن زيد : صدَّق عبادَه المؤمنين في إيمانهم به .

وقوله : ﴿ **المهيمن** ﴾ ، قال ابن عباس وغير واحد : أي : الشاهد علىٰ خلقه بأعمالهم ، بمعنىٰ هو رقيب عليهم ، كقوله : ﴿ **والله علىٰ كل شيء شهيد** ﴾ وقوله : ﴿ **ثم اللَّهُ شهيد على ما يفعلون**[٢] ﴾ .

وقوله : ﴿ **أفمن**[٣] **هو قائم علىٰ كل نفس بما كسبت** ﴾ الآية .

وقوله : ﴿ **العزيز** ﴾ ، أي : الذي قد عَزّ كل شيء فقهره ، وغلب الأشياء فلا ينال جنابه ، لعزته وعظمته وجبروته وكبريائه ، ولهذا قال : ﴿ **الجبار المتكبر** ﴾ ، أي[٤] : الذي لا تليق الجَبْرِيّة إلا له ، ولا التكبر إلا لعظمته ، كما تقدم في الصحيح(٦٨) : « **العظمة إزاري ، والكبرياء ردائي ، فمن نازعني واحدًا منهما عذبته** » .

وقال قتادة : الجبار : الذي جبر خلقه علىٰ ما يشاء . وقال ابن جرير : الجبار : المصلحُ أمورَ خلقه ، المتصرف فيهم بما فيه صلاحهم .

وقال قتادة : المتكبر ، يعني : عن كل سوء . ثم قال : ﴿ **سبحان اللَّه عما يشركون** ﴾ .

وقوله : ﴿ **هو اللَّه الخالق البارئ المصور** ﴾ الخلق : التقدير ، والبَراء[٥] : هو الفري ، وهو : التنفيذ وإبراز ما قدره وقرره إلىٰ الوجود ، وليس كل من قدر شيئًا ورتبه يقدر علىٰ تنفيذه وإيجاده سوىٰ اللَّه عز وجل . قال الشاعر يمدح آخر :

ولأنت تَفري ما خَلَقتَ وبعـ ـضُ القوم يَخلق ثم لا يَفْري

أي : أنت تنفذ ما خلقت ، أي : قدرت ، بخلاف غيرك فإنه لايستطيع ما يريد . فالخلق : التقدير ، والفري : التنفيذ . ومنه يقال : قدر الجلاد ثم فَرَىٰ ، أي : قطع علىٰ ما قدره بحسب ما يريده .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **الخالق البارئ المصور** ﴾ ، أي : الذي إذا أراد شيئًا قال له : كن ،

---

(٦٨) - قصة حنين الجذع أخرجها البخاري في كتاب المناقب ، باب : علامات النبوة ، حديث (٣٥٨٣ - ٣٥٨٥) من حديث ابن عمر وجابر بن عبد الله - رضي الله عنهم -. وهي قصة مشهورة .

---

[١] - ما بين المعكوفتين بياض في : ز .
[٢] - في ز ، خ: « تعملون » .
[٣] - في ز : « أمَّن » .
[٤] - سقط من : ز، خ .
[٥] - في ز ، خ: « البر » .

فيكون على الصفة التي يريد ، والصورة التي يختار ، كقوله : ﴿ **في أي صورة ما شاء ركبك** ﴾ ، ولهذا قال : ﴿ **المصور** ﴾ ، أي : الذي ينفذ ما يريد إيجاده على الصفة التي يريدها .

وقوله : ﴿ **له الأسماء الحسنى** ﴾ ، قد تقدم الكلام على ذلك في « **سورة الأعراف** » ، وذكر الحديث المروي في الصحيحين(٦٩) عن أبي هريرة ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **إن لله تسعة وتسعين اسمًا ، مائة إلا واحدًا ، من أحصاها دخل الجنة ، وهو وتر يحب الوتر** » .. وتقدم سياق الترمذي(٧٠) وابن ماجة له(٧١) ، عن أبي هريرة أيضًا ، وزاد بعد قوله : « **وهو وتر يحب الوتر** » - واللفظ للترمذي - : « **هو الله الذي لا إله إلا هو الرحمن ، الرحيم ، الملك ، القدوس ، السلام ، المؤمن ، المهيمن ، العزيز ، الجبار ، المتكبر ، الخالق ، البارئ[١] ، المصور ، الغفار ، القهار ، الوهاب ، الرزاق ، الفتاح ، العليم ، القابض ، الباسط ، الخافض ، الرافع ، المعز ، المذل ، السميع ، البصير ، الحكم ، العدل ، اللطيف ، الخبير ، الحليم ، العظيم ، الغفور ، الشكور ، العلي ، الكبير ، الحفيظ ، المقيت ، الحسيب ، الجليل ، الكريم ،الرقيب ، المجيب ، الواسع ، الحكيم ، الودود ، المجيد ، الباعث ، الشهيد ، الحق ، الوكيل ، القوي ، المتين ، الولي ، الحميد ، المحصي ، المبدي ، المعيد ، المحيي ، المميت ، الحي ، القيوم ، الواجد ، الماجد ، الواحد ، الصمد ، القادر ، المقتدر ، المقدم ، المؤخر ، الأول ، الآخر ، الظاهر ، الباطن ، الوالي، المتعالي ، البر ، التواب ، المنتقم ، العفو ، الرءوف ، مالك الملك ، ذو الجلال والإكرام ، المقسط ، الجامع ، الغني ، المغني ، المانع[٢] ، الضار ، النافع ، النور ، الهادي ، البديع ، الباقي ، الوارث ، الرشيد ، الصبور .**

وسياق ابن ماجة بزيادة ونقصان ، وتقديم وتأخير، وقد قدمنا ذلك مبسوطًا مطولًا بطرقه وألفاظه ، بما أغنى عن إعادته هنا وقوله : ﴿ **[يسبح له ما في السموات][٣] والأرض** ﴾ كقوله : ﴿ **تسبح له السموات السبع والأرض ومن فيهن وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم إنه كان حليمًا غفورًا** ﴾ .وقوله : ﴿ **وهو العزيز** ﴾ ، أي : فلا

---

(٦٩) - أخرجة مسلم في كتاب : البر والصلة ، باب : « تحريم الكبر » ، حديث (٢٦٢٠/١٣٦) (١٦/ ٢٦٤) من حديث أبي سعيد وأبي هريرة بنحوه .

(٧٠) - تقدم تخريجه في تفسير سورة الأعراف ، آية (١٨٠) .

(٧١) - إسناده ضعيف وقد تقدم في الموضع السابق .

---

[١] - في ز ، خ : « الرازق » .

[٢] - سقط من : ز ، خ .

[٣] - في ز ، خ : « تسبح له السموات » .

يرام جَنَابه ﴿الحكيم﴾ في شرعه وقدره . وقد قال الإِمام أحمد (٧٢) :

حدثنا أبو أحمد الزبيري ، حدثنا خالد - يعني : ابن طهمان ، أبو العلاء[١] الخفَّاف - حدثنا نافع بن أبي نافع ، عن مَعقل بن يسار ، عن النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم قال : « **من قال حين يصبح ثلاث مرات : أعوذ باللَّه السميع العليم ، من الشيطان الرجيم ، ثم قرأ الثلاث[٢] آيات من آخر سورة الحشر ، وَكَّل اللَّه به سبعين[٣] ألف ملك يصلون عليه حتىٰ يمسي ، وإن مات في ذلك اليوم مات شهيدًا . ومن قالها حين يمسي كان بتلك المنزلة** » ورواه الترمذي(٧٣) عن محمود بن غيلان ، عن أبي أحمد الزبيري ، به ، وقال : غريب لانعرفه إلا من هذا الوجه .

[آخر تفسير سورة الحشر] .

☆ ☆ ☆

(٧٢) - أخرجه أحمد (٢٦/٥) (٢٠٣٥٧) .

(٧٣) - الترمذي في كتاب : ثواب القرآن ، باب : فضل آخر سورة الحشر ، حديث (٢٩٢٣) (١٢٢/٨) . وفي إسناده خالد بن طهمان صدوق إلا أنه اختلط وضعفه الترمذي بقوله : غريب .

[١] - في ز ، خ: « المعلى » .

[٢] - في ت : « ثلاث » .

[٣] - في ز ، خ: « سبعون » .

تفسير سورة الممتحنة

وهي مدنية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُم مِّنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنتُمْ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿١﴾ إِن يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ ﴿٢﴾ لَن تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣﴾

كان سبب نزول صدر هذه السورة[١] الكريمة قصة حاطب بن أبي بلتعة ، وذلك أن حاطبًا هذا كان رجلًا من المهاجرين ، وكان من أهل بدر أيضًا ، وكان له بمكة أولاد ومال ، ولم يكن من قريش أنفسهم ، بل كان حليفًا لعثمان . فلما عزم رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم علىٰ فتح مكة لما نقض أهلها العهد ، فأمر النبي صلىٰ الله عليه وسلم المسلمين [بالتجهز لعدوهم][٢] ، وقال : « **اللّٰهم عَمِّ عليهم خبرنا** »(١) . فعمد حاطب هذا فكتب كتابًا ، وبعثه مع امرأة من قريش إلىٰ أهل مكة ، يعلمهم بما عزم عليه رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ليتخذ بذلك عندهم يدًا ، فأطلع الله رسوله علىٰ ذلك ؛ استجابة لدعائه . فبعث في أثر المرأة فأخذ الكتاب منها ، وهذا بين في الحديث المتفق علىٰ صحته ؛ قال الإمام أحمد (٢) :

---

(١) - أخرجه الطبراني في « الكبير » (٤٣٥/٢٣) رقم (١٠٥٢) في قصة طويلة من حديث ميمونة ، وفي الصغير (٧٣/٢ - ٧٥) . وقال الهيثمي في المجمع (١٦٧/٦) : رواه الطبراني في الصغير والكبير ، وفيه يحيى بن سليمان بن نضلة وهو ضعيف . والقصة أوردها ابن هشام في السيرة من طريق ابن إسحاق في ذكر الأسباب الموجبة المسير إلى مكة (٨٥٢/٤ وما بعدها) .

(٢) - أخرجه أحمد (٧٩/١ - ٨٠) (٦٠٠) .

---

[١] - في ز ، خ: « الآية » .

[٢] - في ت : « بالتجهيز لغزوهم ».

حدثنا سفيان ، عن عَمْرو[١] ، أخبرني حَسَن بن محمد بن عليّ ، أخبرني عُبيد[٢] الله ابن أبي رافع ، وقال مرة : إن عبيد الله بن أبي رافع أخبره : أنه سمع عليًا رضي الله عنه يقول : بعثني رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم أنا والزبير والمقداد ، فقال : « **انطلقوا حتىٰ تأتوا روضة خاخ فإن بها ظعينة معها كتاب فخذوه منها** » ، فانطلقنا تعادي بنا خيلنا حتىٰ أتينا الروضة ، فإذا نحن بالظعينة ، قلنا : أخرجي الكتاب . قالت : ما معي كتاب . قلنا لتخرجنّ الكتاب أو ، لنلقين الثياب . قال : فأخرجت الكتاب من عقاصها ، فأخذنا الكتاب فأتينا به رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم . فإذا فيه : من حاطب بن أبي بلتعة إلىٰ ناس من المشركين بمكة ، يخبرهم ببعض أمر رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم فقال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **ياحاطب ، ماهذا ؟** » قال : لا تعجل عليّ ، إني كنت امرأ مُلصَقًا في قريش ، ولم أكن من أنفسهم ، وكان من كان معك من المهاجرين لهم قرابات يحمون أهليهم بمكة ، فأحببت إذ فاتني ذلك من النسب فيهم أن أتخذ فيهم يدًا يحمون بها قرابتي ، وما فعلت ذلك كفرًا ولا ارتدادًا عن ديني ولا رضى[٣] بالكفر بعد الإسلام . فقال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **إنه صَدَقكم** » فقال عمر : دعني أضرب عنق هذا المنافق . فقال : « **إنه قد شهد بدرًا ، وما يدريك لَعَلّ[٤] الله اطلع إلىٰ أهل بدر فقال : اعملوا ماشئتم ، فقد غفرت لكم** » .

وكذا أخرجه الجماعة إلا ابن ماجة(٣) من غير وجه عن سفيان بن عيينة ، به .

وزاد البخاري(٤) في كتاب المغازي: فأنزل الله السورة ﴿ **يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء** ﴾ .

---

(٣) - أخرجه البخاري في كتاب الجهاد ، باب : الجاسوس ، حديث (٣٠٠٧) (١٤٣/٦) ، وأطرافه في [٣٠٨١، ٣٩٨٣، ٤٢٧٤، ٤٨٩٠، ٦٢٥٩، ٦٩٣٩] . ومسلم في كتاب : فضائل الصحابة ، باب : من فضائل أهل بدر - رضي الله عنهم - وقصة حاطب بن أبي بلتعة ، حديث (١٦١/٢٤٩٤) (٨٠/١٦ - ٨٢) . وأبو داود في كتاب : الجهاد ، باب : في حكم الجاسوس إذا كان مسلمًا ، حديث (٢٦٥٠) (٤٧/٣ - ٤٨) . والترمذي في كتاب : تفسير القرآن ، باب : ومن سورة الممتحنة ، حديث (٣٣٠٢) (٤٣/٩ - ٤٤) . والنسائي في الكبرى في كتاب : تفسير القرآن ، باب : قوله تعالى : ﴿ **لا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء** ﴾ ، حديث (١١٥٨٥) (٤٨٧/٦) .

(٤) - أخرجه البخاري في كتاب المغازي ، باب : غزوة الفتح ، حديث (٤٢٧٤) (٥١٩/٧) .

---

[١] - في ز ، خ: « عمه و» .
[٢] - في ز ، خ: « عبد » .
[٣] - في ز، خ : « أرضى » .
[٤] - في ز ، خ : « أن » .

و[١]قال في كتاب التفسير (٥) : قال عمرو : ونزلت فيه : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا لاتتخذوا عدوي وعدوكم أولياء** ﴾ ، قال : لا أدري الآية في الحديث أو قال عمرو . قال البخاري (٦) : قال عليّ - يعني : ابن المديني - : قيل لسفيان : في هذا نزلت : ﴿ **لاتتخذوا عدوي وعدوكم أولياء** ﴾ ؟ فقال سفيان : هذا في حديث الناس ، حفظته من عمرو ، ما تركت منه حرفًا ، وما أرىٰ أحدًا حفظه غيري . وقد أخرجاه في الصحيحين(٧) من حديث حُصَين بن عبد[٢] الرحمن ، عن سعد بن عُبَيدة ، عن أبي عبد الرحمن السلمي ، عن عليّ ؛ قال : بعثني رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم وأبا مَرْثد ، والزبير بن العوام ، وكلنا فارس ، وقال : « **انطلقوا حتىٰ تأتوا روضة خاخ ، فإن بها امرأة من المشركين معها كتاب من حاطب إلىٰ المشركين** » . فأدركناها تسير علىٰ بعير لها حيث قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ، فقلنا : الكتابُ ؟ فقالت : ما معي كتاب . فأنخناها فالتمسنا فلم نر كتابًا ، فقلنا : ما كذب رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ! لتخرجن الكتاب أو لنجردنك . فلما رأت الجد أهوت إلىٰ حجزتها وهي محتجزة[٣] بكساء فأخرجته. فانطلقنا بها إلىٰ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم فقال عمر : يا رسول الله ؛ قد خان الله ورسوله والمؤمنين فدعني فَلأضرِبْ عنقه . فقال : « **ما حملك علىٰ ما صنعت ؟** » قال : والله مابي إلا أن أكون مؤمنًا بالله ورسوله ، أردت أن تكون لي عند القوم يَدٌ[٤] يدفع الله بها عن أهلي ومالي ، وليس أحد من أصحابك إلا له هنالك من عشيرته من يدفع الله به عن أهله وماله . فقال : « **صَدَق ، لا تقولوا له إلا خيرًا** » . فقال عمر : إنه قد[٥] خان الله ورسوله والمؤمنين ، فدعني فَلأضربْ عنقه . فقال : « **أليس [ ][٦] من أهل بدر ؟** » فقال : « **لعل الله قد اطلع إلىٰ أهل بدر فقال : اعملوا ما شئتم فقد وجبت لكم الجنة** » ، أو : « **قد غفرت لكم** » فدمِعَت عينا عمر وقال : الله ورسوله أعلم. هذا لفظ البخاري في « **المغازي** » في غزوة بدر ، وقد روي من وجه آخر عن عليّ ، قال ابن أبي حاتم(٨) :

---

(٥) - أخرجه البخاري برقم (٤٨٩٠) ، باب : ﴿ **لا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء** ﴾ .

(٦) - أخرجه البخاري رقم (٨/٦٣٤) .

(٧) - أخرجه البخاري في كتاب المغازي ، باب : فضل من شهد بدرًا ، حديث (٣٩٨٣) (٧/٣٠٤ - ٣٠٥) ، ومسلم في كتاب : فضائل الصحابة ، باب : من فضائل أهل بدر ، حديث (١٦١/٢٤٩٤ م) (١٦/٨٣) .

(٨) - ينظر الحديث التالي .

---

[١] - سقط من : ز ، خ.

[٢] - مكررة في : ز .

[٣] - في ز ، خ: « محتجرة »

[٤] - سقط من : ز، خ .

[٥] - سقط من : ز، خ .

[٦] - ما بين المعكوفتين في ز : « أنه » .

حدثنا عليّ بن الحسن[١] الهسنجاني ، حدثنا عبيد[٢] بن يعيش ، حدثنا إسحاق بن سليمان الرازي ، عن أبي سنان - هو : سعيد بن سنان - عن عمرو بن مُرّة اِلجَمَلي، عن أبي [ ][٣] البختري الطائي ، عن الحارث ، عن عليّ ؛ قال : لما أراد النبي صلىٰ الله عليه وسلم أن يأتي مكة ، أسر إلىٰ أناس من أصحابه أنه يريد مكة ، فيهم حاطب بن أبي بلتعة ، وأفشىٰ في الناس أنه يريد خيبر قال : فكتب حاطب بن أبي بلتعة إلىٰ أهل مكة : أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم يريدكم. فأخبِر رسول الله - صلىٰ الله عليه وسلم -، قال : فبعثني رسول الله - صلىٰ الله عليه وسلم - وأبا مَرْثد ، وليس منا رجل إلا وعنده فرس ، فقال : « **ائتوا روضة خاخ، فإنكم ستلقون بها امرأة معها كتاب، فخذوه منها** ». فانطلقنا حتىٰ رأيناها بالمكان الذي ذَكَر رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم فقلنا لها : هات الكتاب . فقالت : ما معي كتاب . فوضعنا متاعها وفتشناها فلم نجده في متاعها، فقال أبو مرثد: لعله أن لايكون معها . فقلت : ماكذب رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ولا كذبنا . فقلنا لها : لتخرجِنّه أو لنُعرينّك . فقالت : أما تتقون الله ؟ ! ألستم مسلمين ؟ ! فقلنا : لتخرجنه أو لنعرينك ، قال عمرو بن مرة : فأخرجته من حُجْزتها ، وقال حبيب بن أبي ثابت : أخرجته من قُبُلها . فأتينا به رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم فإذا الكتاب من حاطب بن أبي بلتعة ، فقام عمر فقال : يا رسول الله ، خان الله ورسوله ، فَأْذَنْ لي فلأضرب عنقه . فقال رسول الله : « **أليس قد شهد بدرًا ؟** » قالوا : بلىٰ . قال عمر : بلىٰ ، ولكنه قد نكث وظاهر أعداءك عليك . فقال رسول الله - صلىٰ الله عليه وسلم - : « **فلعل الله اطلع إلىٰ أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم، إني بما تعملون بصير** ». ففاضت عينا عمر وقال : الله ورسوله أعلم . فأرسل رسول الله - صلىٰ الله عليه وسلم - إلىٰ حاطب فقال : « **ياحاطب ، ما حملك علىٰ ما صنعت ؟** » . فقال : يا رسول الله ، إني كنت امرأ مُلصَقًا في قريش ، وكان لي بها مال وأهل ، ولم يكن من أصحابك أحد إلا وله بمكة من يمنع أهله وماله ، فكتبت إليهم بذلك ووالله - يا رسول الله - إني لمؤمن بالله ورسوله . فقال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **صدق حاطب ، فلا تقولوا لحاطب إلا خيرًا** » - قال حبيب بن أبي ثابت : فأنزل الله : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة ...** ﴾ الآية .

هكذا رواه ابن جرير(٩) عن ابن حميد عن مهران عن أبي سنان سعيد بن سنان بإسناده[٤]

---

(٩) - أخرجه الطبري (٥٩/٢٨) . وفي إسناده مهران ، وهو ابن أبي عمر العطار : صدوق له أوهام سيئ الحفظ ، لكن تابعة عند أبي حاتم إسحاق بن سليمان الرازي وهو ثقة ، إلا أن مدار الحديث على سعيد =

---

[١] - في ز : « الحسين » . [٢] - في ز ، خ: « عبد » .

[٣] - ما بين المعكوفتين في ز : « إسحاق » . وهي زيادة مقحمة .

[٤] - في ت : « بإسناد » .

مثله. وقد ذكر ذلك أصحاب المغازي والسير ، فقال محمد بن إسحاق بن يَسَار في السيرة (١٠) :

حدثني محمد بن جعفر بن الزبير، عن عروة بن الزبير وغيره من علمائنا قال: لما أجمع رسول الله - صلىٰ الله عليه وسلم - المسير[١] إلىٰ مكة ، كتب حاطب بن أبي بلتعة كتابًا إلىٰ قريش يخبرهم بالذي أجمع عليه رسول الله - صلىٰ الله عليه وسلم - من الأمر في السير إليهم ، ثم أعطاه إلىٰ امرأة - زعم محمد بن جعفر أنها من مزينة ، وزعم غيره أنها . سارة ، مولاة لبني عبد المطلب - وجعل لها جُعلًا علىٰ أن تبلغه قُريشًا فجعلته في رأسها ، ثم فتلت عليه قرونها ، ثم خرجت به ، وأتى رسول الله - صلىٰ الله عليه وسلم - الخبر من السماء بما صنع حاطب ، فبعث عليّ بن أبي طالب والزبير بن العوام فقال : « **أدركا امرأة قد كتب معها حاطب بكتاب إلىٰ قريش يحذرهم ما قد أجمعنا له من أمرهم** » . فخرجا حتىٰ أدركاها بالخُلَيْفَة - خليفة بني[٢] أبي أحمد - فاستنزلاها بالخليفة ، فالتمسا في رحلها فلم يجدا شيئًا فقال لها علي بن أبي طالب : إني أحلف بالله ماكذب رسول الله وما كذبنا ولتُخرجِنَّ لنا هذا الكتاب أو لنكشفنَّك . فلما رأت الجدّ منه قالت : أعرض . فأعرض ، فحلت قُرون رأسها ، فاستخرجت الكتاب منها ، فدفعته إليه ، فأتى به رسول الله - صلىٰ الله عليه وسلم - فدعا رسول الله حاطبًا فقال : « **ياحاطب؛ ما حملك علىٰ هذا ؟** » . فقال : يارسول الله، أما والله إني لمؤمن بالله ورسوله ، ماغَيَّرت ولا بَدَّلت ، ولكني كنت امرأ ليس لي في القوم من أهل ولا عشيرة ، وكان لي بين أظهرهم ولَدٌ وأهل فصانعتهم عليهم . فقال عمر بن الخطاب : يا رسول الله ، دعني فَلأضربْ عنقه، فإن الرجل قد نافق. فقال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم: « **وما يدريك يا عمر ! لعل الله قد اطلع إلىٰ أصحاب بدر يوم بدر فقال : اعملوا ماشئتم ، فقد غفرت لكم** » . فأنزل الله - عز وجل - في حاطب : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة** ﴾ إلىٰ قوله : ﴿ **قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم إنا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة**

ابن سنان ؛ قال أحمد : ليس بالقوي . وقال مرة : كان رجلًا صالحًا ، ولم يكن يقيم الحديث . وقال النسائي : ليس به بأس ، ووثقه الدارقطني ومن قبله ابن معين . وقال ابن عدي : له أفراد ، وأرجو أنه ممن لا يتعمد الكذب « ميزان الاعتدال » (٣٣٣/٢) . وقال ابن حجر في التقريب : صدوق له أوهام . والحارث هو ابن عبد الله الأعور كذبه الشعبي في رواية ، ورمي بالرفض وفي حديثه ضعف .

(١٠) - السيرة النبوية لابن هشام (٨٥٨/٤ - ٨٥٩). ورواته ثقات وابن إسحاق صرح بالتحديث إلا أنه مرسل .

---

[١] - في ز : « السير » .   [٢] - في ز : « ابن » .

والبغضاء أبدًا حتىٰ تؤمنوا بالله وحده ...﴾ . إلىٰ آخر القصة .

وروىٰ معمر(١١) ، عن الزهري ، عن عروة نحو ذلك . وهكذا ذكر مقاتل بن حيان : أن هذه الآيات نزلت في حاطب بن أبي بلتعة : أنه بعث سارة مولاة بني هاشم ، وأنه أعطاها عشرة دراهم ، وأن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم - بعث في أثرها عمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب - رضي الله عنهما - فأدركاها بالجحفة ... وذكر تمام القصة كنحو ما تقدم . وعن السدي قريب منه . وهكذا قال العوفي ، عن ابن عباس ومجاهد ، وقتادة ، وغير واحد : إن هذه الآيات نزلت في حاطب بن أبي[١] بلتعة .

فقوله تعالىٰ : **﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق ﴾** . يعني : المشركين والكفار الذين هم محاربون لله ولرسوله والمؤمنين[٢] الذين شرع الله عداوتهم ومصارمتهم[٣] ، ونهى أن يتخذوا أولياء وأصدقاء وأخلاء ، كما قال : **﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارىٰ أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم ﴾** . وهذا تهديد شديد ووعيد أكيد ، وقال تعالىٰ : **﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوًا ولعبًا من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم والكفار أولياء واتقوا الله إن كنتم مؤمنين ﴾** . وقال تعالىٰ : **﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الكافرين أولياء من دون المؤمنين أتريدون أن تجعلوا لله عليكم سلطانًا مبينًا ﴾** ؟ . وقال تعالىٰ : [**﴿ لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ، ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء**][٤] **إلا أن تتقوا منهم تقاة ، ويحذركم الله نفسه ﴾** ؛ ولهذا قبل رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم عُذْرَ حاطب لما ذكر أنه إنما فعل ذلك مصانعة لقريش ، لأجل ما كان له عندهم من الأموال والأولاد .

ويذكر هاهنا الحديث الذي رواه الإمام أحمد(١٢) .

حدثنا مصعب بن سلام ، حدثنا الأجلح ، عن قيس بن أبي مسلم ، عن ربعي بن حراش[٥] ، سمعت حُذيفة يقول : ضَرَب لنا رسول الله - صلىٰ الله عليه وسلم - أمثالًا :

---

(١١) - أخرجه الطبري (٢٨/٦٠) وانظر السابق .

(١٢) - أخرجه أحمد (٥/٤٠٧) (٢٣٥٦٩) . وفي إسناده قيس بن أبي مسلم ذكره البخاري في التاريخ (٧/ ١٥٤ - ١٥٥) ولم يذكر فيه جرحًا ولا تعديلًا . وذكره ابن حبان ، وابن خلفون في الثقات كما في التعجيل . والحديث ذكره الهيثمي في « المجمع » (٥/٢٣٥) وقال : رواه أحمد وفيه الأجلح (في =

---

[١] - سقط من : ز ، خ.

[٢] - في ت : « والمؤمنين » .

[٣] - في ز ، خ: « ومضاربتهم » .

[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز، خ .

[٥] - في ز ، خ: « خراش » .

واحدًا وثلاثة، وخمسة وسبعة، وتسعة، وأحد عشر - قال: فضرب لنا منها مثلًا وترك سائرها، قال: «**إن قومًا كانوا أهل ضعف ومسكنة، قاتلهم أهل تجبر وعداء، فأظهر اللَّه أهل الضعف عليهم، فَعَمَدوا إلىٰ عَدوهم فاستعملوهم وسلّطوهم، فأسخطوا اللَّه عليهم إلىٰ يوم يلقونه**».

وقوله: ﴿**يخرجون الرسول وإياكم**﴾: هذا مع ما قبله من التهييج علىٰ عداوتهم وعدم موالاتهم، لأنهم أخرجوا الرسول وأصحابه من بين أظهرهم، كراهة لما هم عليه من التوحيد وإخلاص العبادة للَّه وحده، ولهذا قال: ﴿**أن تؤمنوا باللَّه ربكم**﴾ أي: لم يكن لكم[١] عندهم ذنب إلا إيمانكم[٢] باللَّه رب العالمين، كقوله: ﴿**وما نقموا منهم إلا أن يؤمنوا باللَّه العزيز الحميد**﴾. وكقوله: ﴿**الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا: ربنا اللَّه**﴾.

وقوله: ﴿**إن كنتم خرجتم جهادًا في سبيلي وابتغاء مرضاتي**﴾، أي: إن كنتم كذلك فلا تتخذوهم أولياء، إن كنتم خرجتم مجاهدين في سبيلي باغين لمرضاتي عنكم فلا توالوا أعدائي وأعداءكم، وقد أخرجوكم من دياركم وأموالكم حَنَقًا عليكم وسخطًا لدينكم.

وقوله: ﴿**تسرون إليهم بالمودة وأنا أعلم بما أخفيتم وما أعلنتم**﴾ أي: تفعلون ذلك وأنا العالم بالسرائر والضمائر والظواهر ﴿**ومن يفعله منكم فقد ضل سواء السبيل * إن يثقفوكم يكونوا لكم أعداء ويبسطوا إليكم أيديهم وألسنتهم بالسوء**﴾ أي: لو قدروا عليكم لما اتقوا[٣] فيكم من أذىً ينالونكم به بالمقال والفعال، ﴿**وودوا لو تكفرون**﴾، أي: ويحرصون علىٰ أن لا تنالوا خيرًا، فهم عداوتهم لكم كامنة وظاهرة، فكيف توالون مثل هؤلاء؟ وهذا تهييج علىٰ عداوتهم أيضًا.

وقوله: ﴿**لن تنفعكم أرحامكم ولا أولادكم يوم القيامة يفصل بينكم واللَّه بما تعملون بصير**﴾، أي: قراباتكم[٤] لا تنفعكم عند اللَّه إذا أراد اللَّه بكم سوءًا، ونفعهم لا يصل إليكم إذا أرضيتموهم بما يسخط اللَّه، ومن وافق أهله علىٰ الكفر ليرضيهم فقد خاب وخَسِر وضَل عمله، ولا ينفعه عند اللَّه قرابته من أحد، ولو كان قريبًا إلىٰ نبي من الأنبياء، قال الإمام أحمد (١٣):

=المطبوع الأحلج ولعله تصحيف) الكندي وهو ثقة وقد ضعف، وبقية رجاله ثقات.

(١٣) - أخرجه أحمد (٣/٢٦٨) (١٣٨٦٢).

---

[١] - في ز، خ: «لهم».

[٢] - في ز، خ: «إيمانهم».

[٣] - في ز، خ: «أبقوا».

[٤] - في ت: «قرابتكم».

حدثنا عفان، حدثنا حمّاد عن ثابت[١] عن أنس أن رجلًا قال: يا رسول الله؛ أين أبي؟ قال: «في النار» فلما قفّى[٢] دعاه فقال: «إن أبي وأباك في النار». ورواه مسلم(١٤) وأبو داود من حديث حماد بن سلمة به.

﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ ۖ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ (٤) رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا وَاغْفِرْ لَنَا رَبَّنَا ۖ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٥) لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ ۚ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ (٦)﴾

يقول تعالى لعباده المؤمنين الذين أمرهم بمصارمة الكافرين وعداوتهم ومجانبتهم والتبري منهم: ﴿**قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه**﴾، أي: وأتباعه الذين آمنوا معه، ﴿**إذ قالوا لقومهم**[٣] **إنا برآء منكم**﴾، أي: تبرأنا منكم ﴿**ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم**﴾ أي: بدينكم وطريقتكم[٤]، ﴿**وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدًا**﴾، يعني: وقد شُرعت العداوة والبغضاء من الآن بيننا وبينكم، ما دمتم على كفركم فنحن أبدًا نتبرأ منكم ونبغضكم، ﴿**حتى تؤمنوا بالله وحده**﴾، أي: إلى أن تُوحدوا الله فتعبدوه وحده لا شريك له، وتخلعوا ما تعبدون معه من الأنداد والأوثان.

و[٥]قوله تعالى: ﴿**إلا قول إبراهيم لأبيه لأستغفرن لك**﴾ أي: لكم في إبراهيم وقومه

(١٤) - مسلم في كتاب الإيمان، باب: بيان أن من مات على الكفر فهو في النار، حديث (٣٤٧/٢٠٣) (٩٧/٣). وأبو داود في كتاب السنة، باب: في ذراري المشركين، حديث (٤٧١٨) (٢٣٠/٤).
قال النووي: ومعنى قفى: ولى قفاه منصرفًا.

[١] - في ز، خ: «أبيه».
[٢] - في ز، خ: «بقى».
[٣] - في ز، خ: «أمر مبهم».
[٤] - في ز، خ: «وطريقكم».
[٥] - سقط من: ت.

أسوة حسنة تتأسون بها، إلا في استغفار إبراهيم لأبيه فإنه إنما كان عن موعدة وعدها إياه فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه، وذلك أن بعض المؤمنين كانوا يدعون لآبائهم الذين ماتوا على الشرك ويستغفرون لهم ويقولون إن إبراهيم كان يستغفر لأبيه فأنزل الله -عز وجل- ﴿ **ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولي قربى من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم ۞ وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه إن إبراهيم لأواه حليم** ﴾. وقال تعالى في هذه الآية الكريمة ﴿ **قد كانت**[١] **لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه [إذ قالوا لقومهم إنا برآء منكم]**[٢] ﴾ - إلى قوله تعالى - ﴿ **إلا قول إبراهيم لأبيه لأستغفرن لك وما أملك لك من الله من شيء** ﴾. أي: ليس لكم في ذلك أسوة أي في الاستغفار للمشركين هكذا قال ابن عباس ومجاهد وقتادة ومقاتل [بن حيان][٣] والضحاك وغير واحد.

ثم قال تعالى مخبرًا عن قول إبراهيم والذين معه حين فارقوا قومهم وتبرءوا منهم فلجئوا إلى الله وتضرعوا إليه فقالوا ﴿ **ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير** ﴾ [أي توكلنا عليك في جميع الأمور وسلمنا أمورنا إليك وفوضناها إليك، وإليك المصير:][٤] أي المعاد في الدار الآخرة ﴿ **ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا** ﴾ قال مجاهد: معناه لا تعذبنا بأيديهم ولا بعذاب من عندك فيقولوا لو كان هؤلاء على حق ما أصابهم هذا، وكذا قال الضحاك.

وقال قتادة: لا تظهرهم علينا فيفتتنوا بذلك يرون أنهم إنما ظهروا علينا لحق هم عليه واختاره ابن جرير.

وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس لا تسلطهم علينا فيفتنونا.

وقوله تعالى: ﴿ **واغفر لنا ربنا إنك أنت العزيز الحكيم** ﴾ أي واستر ذنوبنا عن غيرك واعف عنها فيما بيننا وبينك ﴿ **إنك أنت العزيز** ﴾ أي[٥]: الذي لا يضام من لاذ بجنابك ﴿ **الحكيم** ﴾ في أقوالك وأفعالك وشرعك وقدرك،

ثم قال تعالى: ﴿ **لقد كان لكم فيهم أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر** ﴾ وهذا تأكيد لما تقدم ومستثنى منه ما تقدم أيضًا لأن هذه الأسوة المثبتة[٦] هاهنا هي الأولى بعينها. وقوله تعالى: ﴿ **لمن كان يرجو الله واليوم الآخر** ﴾. تهييج إلى ذلك [لكل مؤمن][٧] بالله والمعاد، وقوله تعالى: ﴿ **ومن يتول** ﴾ أي: عما أمر الله به ﴿ **فإن الله هو**

---

[١] - في ز: « كان ».
[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من: ز، خ.
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من: ز، خ.
[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من: ز، خ.
[٥] - سقط من: ز، خ.
[٦] - في ز، خ: « المبنية ».
[٧] - ما بين المعكوفتين في ز، خ: « كل مقر ».

الغني الحميد﴾ كقوله تعالى: ﴿إن تكفروا أنتم ومن في الأرض جميعًا فإن الله لغني حميد﴾ وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: الغني الذي قد كمل في غناه وهو الله هذه صفته لا تنبغي إلا له ليس له كفء وليس كمثله شيء سبحان الله الواحد القهار، والحميد المستحمد إلى خلقه أي هو المحمود في جميع أقواله وأفعاله لا إله[١] غيره ولا رب سواه.

﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَجۡعَلَ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَ ٱلَّذِينَ عَادَيۡتُم مِّنۡهُم مَّوَدَّةٗۚ وَٱللَّهُ قَدِيرٞۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٧ لَّا يَنۡهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُقَٰتِلُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ وَلَمۡ يُخۡرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمۡ أَن تَبَرُّوهُمۡ وَتُقۡسِطُوٓاْ إِلَيۡهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ ٨ إِنَّمَا يَنۡهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ وَأَخۡرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمۡ وَظَٰهَرُواْ عَلَىٰٓ إِخۡرَاجِكُمۡ أَن تَوَلَّوۡهُمۡۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ٩﴾

يقول تعالى لعباده المؤمنين بعد أن أمرهم بعداوة الكافرين: ﴿عسى الله أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة﴾، أي: محبه بعد البِغْضَة، ومودة بعد النُّفرة، وألفة بعد الفرقة. ﴿والله قدير﴾، أي: على ما يشاء من الجمع بين الأشياء المتنافرة والمتباينة والمختلفة، فيؤلف بين القلوب بعد العداوة والقَساوة، فتصبح مجتمعة متفقة، كما قال تعالى ممتنًا على الأنصار: ﴿واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانًا وكنتم على شفا حفرة من النارفأنقذكم منها ...﴾ الآية. وكذا قال لهم النبي صلى الله عليه وسلم: «ألم أجدكم ضلالًا فهداكم الله بي؟ وكنتم متفرقين فألفكم الله بي؟»[(١٥)]. وقال الله تعالى: ﴿هو الذي أيدك بنصره وبالمؤمنين وألف بين قلوبهم لو أنفقت ما في الأرض جميعًا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألَّف بينهم إنه عزيز حكيم﴾ وفي الحديث «أحبِبْ حَبيبَكَ هونًا مَا، فعسى أن يكونَ بغيضَكَ يومًا ما. وأبغِض بغيضَكَ هونًا ما، فعسى أن يكون حبيبك يومًا مَا»[(١٦)].

(١٥) - أخرجه البخاري في كتاب: المغازي، باب: غزوة الطائف، حديث (٤٣٣٠) (٤٧/٨) وطرفه في [٧٢٤٥]. ومسلم في كتاب الزكاة، باب: إعطاء المؤلفة قلوبهم وتصبر من قوي إيمانه، حديث (١٣٩/ ١٠٦١) (٢٢٠/٧ - ٢٢١). كلاهما من حديث عبد الله بن زيد بن عاصم.

(١٦) - أخرجه الترمذي في كتاب البر والصلة، باب: ما جاء في المداراة، حديث (١٩٩٨) =

[١] - في ز، خ: «رب».

[وقال الشاعر :][١]

وقَد يجمعُ اللَّه الشتِيتَين بعدما يظنان كلَّ الظنِّ أن لا تلاقيا

وقوله تعالىٰ : ﴿ واللَّه غفور رحيم ﴾ ، أي : يغفر للكافرين كفرهم إذا تابوا منه وأنابوا إلىٰ ربهم وأسلموا له ، وهو الغفور الرحيم بكل من تاب إليه ، من أيّ ذنب كان .

وقد قال مقاتل بن حيان : إن هذه الآية نزلت في أبي سفيان صخر بن حرب ، فإن رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم تزوج ابنته ، فكانت هذه مودة ما بينه وبينه .

وفي هذا الذي قاله مقاتل نظر ، فإن رسول اللَّه تزوج بأم حبيبة بنت أبي سفيان قبل الفتح ، وأبو سفيان إنما أسلم ليلة الفتح بلا خلاف . وأحسن من هذا ما رواه ابن أبي حاتم(١٧) حيث قال :

قُرئَ علىٰ محمد بن عَزيز : حدثني سلامة ، حدثني عقيل، حدثني ابن شهاب: أن رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم استعمل أبا سفيان بن حرب علىٰ بعض اليمن ، فلما قبض رسول اللَّه - صلىٰ اللَّه عليه وسلم - أقبل فلقي ذا الخمار مرتدًا ، فقاتله ، فكان أول من قاتل في الردة وجاهد عن الدين - قال ابن شهاب : وهو ممّن[٢] أنزل اللَّه فيه : ﴿ **عسىٰ اللَّه أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة واللَّه قدير ، واللَّه غفور رحيم** ﴾ .

وفي صحيح مسلم (١٨) ، عن ابن عباس أن أبا سفيان قال : يا رسول اللَّه ؛ ثلاث

= (٢٠٩/٦ - ٢١٠) وغيره من طريق سويد بن عمرو الكلبي ، عن حماد بن سلمة ، عن أيوب ، عن محمد ابن سيرين ، عن أبي هريرة - أراه رفعه - . قال الترمذي : حديث غريب لا نعرفه بهذا الإسناد إلا من هذا الوجه . وقد روي هذا الحديث عن أيوب بإسناد غير هذا ؛ رواه الحسن بن أبي جعفر بإسناده عن علي عن النبي - صلى الله عليه وسلم - والصحيح عن علي موقوف قوله . اهـ .

قال الألباني في « غاية المرام » (٤٧٢) : واستغراب الترمذي له لا وجه له ، ولذلك قال المناوي : وقد استدرك الحافظ العراقي على الترمذي دعواه غرابته وضعفه ؛ فقال : قلت : رجاله رجال مسلم ، لكن الراوي تردد في رفعه . انتهى . والمصنف - يعني السيوطي - رمز لحسنه . والتردد الذي ذكره في رفعه لم أره في شيء من طرقه عن أبي هريرة ثم بدا لي أنه يشير إلى قوله « أراه رفعه » والله أعلم .اهـ كلام الشيخ الألباني .

وقد ورد الحديث من طرق أخرى ضعيفة في العلل المتناهية (١٢٢٥) وابن عدي في الكامل وغيرهما وراجع غاية المرام للشيخ الألباني إن أردت زيادة فائدة .

(١٧) - في إسناده إرسال ظاهر .

(١٨) - أخرجه مسلم في كتاب : فضائل الصحابة ، باب : من فضائل أبي سفيات بن حرب ، =

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ت . [٢] - في ت : « من » .

أعطِنيهنّ[١] قال : « نعم » قال : تُؤمِّرني حتىٰ أقاتل الكفار كما كنت أقاتل المسلمين قال : « نعم » . قال : ومعاوية تجعله كاتبًا بين يديك قال : « نعم » [ ][٢]. قال : وعندي أحسن العرب وأجمله[٣] ، أمّ حبيبة بنت أبي سفيان أزوجكها ... الحديث ، وقد تقدم الكلام عليه .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم** ﴾ ، أي : لا ينهاكم عن الإِحسان إلىٰ الكفرة الذين لا يقاتلونكم في الدين ، كالنساء والضعفة منهم ، ﴿ **أن تبروهم** ﴾ ، أي : تحسنوا إليهم ﴿ **وتقسطوا إليهم** ﴾ ، أي : تعدلوا ﴿ **إن الله يحب المقسطين** ﴾ .

قال الإِمام أحمد (١٩) : حدثنا أبو معاوية ، حدثنا هشام بن عروة ، عن فاطمة بنت

=حديث (١٦٨/٢٥٠١) (٩٠/١٦) بنحو هذا اللفظ .

قال الإمام النووي في شرحه لهذا الحديث :

واعلم أن هذا الحديث من الأحاديث المشهورة بالإشكال ووجه الإشكال أن أبا سفيان إنما أسلم يوم فتح مكة سنة ثمان من الهجرة وهذا مشهور لا خلاف فيه وكان النبي - صلى الله عليه وسلم - قد تزوج أم حبيبة قبل ذلك بزمان طويل . قال أبو عبيدة وخليفة بن خياط وابن البرقي والجمهور : تزوجها سنة ست وقيل سنة سبع . قال القاضي عياض : واختلفوا أين تزوجها فقيل بالمدينة بعد قدومها من الحبشة . وقال الجمهور : بأرض الحبشة . قال : واختلفوا فيمن عقد له عليها هناك . فقيل عثمان وقيل خالد بن سعيد بن العاصي بإذنها وقيل النجاشي : لأنه كان أمير الموضع وسلطانه . قال القاضي : والذي في مسلم هنا أنه زوجها أبو سفيان غريب جدًّا وخبرها مع أبي سفيان حين ورد المدينة في حال كفره مشهور ، ولم يزد القاضي على هذا . وقال ابن حزم : هذا الحديث وهم من بعض الرواة لأنه لاخلاف بين الناس أن النبي - صلى الله عليه وسلم - تزوج أم حبيبة قبل الفتح بدهر ، وهي بأرض الحبشة وأبوها كافر وفي رواية عن ابن حزم أيضًا أنه قال : موضوع . قال : والآفة فيه من عكرمة بن عمار الراوى عن أبي زميل . وأنكر الشيخ أبو عمرو بن الصلاح رحمه الله . هذا على ابن حزم ، وبالغ في الشناعة عليه . قال : وهذا القول من جسارته فإنه كان هجومًا على تخطئه الأئمة الكبار وإطلاق اللسان فيهم . قال : ولا نعلم أحدًا من أئمة الحديث نسب عكرمة ابن عمار إلى وضع الحديث وقد وثقه وكيع ويحيى بن معين وغيرهما . وكان مستجاب الدعوة قال : وما توهمه ابن حزم من منافاة هذا الحديث لتقدم زواجها غلط منه وغفلة ، لأنه سأله تجديد عقد النكاح تطييبًا لقلبه ، لأنه كان ربما يرى عليها غضاضة من رياسته ونسبة أن تزوج بنته بغير رضاه ، أو أنه ظن أن إسلام الأب في مثل هذا يقتضى تجديد العقد وقد خفى أوضح من هذا على أكبر مرتبة من أبي سفيان ممن كثر علمه وطالت صحبته . هذا كلام أبي عمرو رحمه الله . وليس في الحديث أن النبي - صلى الله عليه وسلم - جدد العقد ولا قال ابي سفيان أنه يحتاج إلى تجديده فلعله - صلى الله عليه وسلم - أراد بقوله أن مقصودك يحصل وإن لم يكن بحقيقة عقد . والله أعلم .

(١٩) - لم أجده من هذا الطريق عند أحمد ، وقد أخرجه من طرق أخرى (٦/ ٣٤٤، ٣٤٧، ٣٥٥) =

---

[١] - في ز ، خ: « أعطيتهن » .

[٢] - ما بين المعكوفتين في ز ، خ: « وقد تقدم الكلام عليه » .

[٣] - في ز، خ : « وأكمله » .

المنذر ، عن أسماء - هي بنت أبي بكر - رضي الله عنهما - قالت : قَدمَت أمي وهي مشركة في عهد قريش إذ عاهدوا ، فأتيتُ النبي - صلىٰ الله عليه وسلم - فقلت : يا رسول الله ، إنَّ أمي قدمت وهي راغبة ، أفأصلها ؟ قال : « **نعم ، صلي أمك** » . أخرجاه (٢٠) .

وقال الإمام أحمد (٢١) : حدثنا عارم ، حدثنا عبد الله بن المبارك ، حدثنا مصعب بن ثابت ، حدثنا عامر بن عبد الله بن الزبير ، عن أبيه قال : قدمت قُتَيلة علىٰ ابنتها أسماء بنة أبي بكر بهدايا : [صِنَاب وأقط][١] وسمن ، وهي مشركة ، فأبت أسماء أن تقبل هديتها ، وتدخلها بيتها فسألت عائشة النبي - صلىٰ الله عليه وسلم - فأنزل الله - عز وجل - : ﴿ **لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ...** ﴾ . إلىٰ آخر الآية ، فأمرها أن تقبل هديتها ، وأن تدخلها بيتها .

وهكذا رواه ابن جرير(٢٢) وابن أبي حاتم ، من حديث مصعب بن ثابت ، به .

وفي رواية لأحمد وابن جرير(٢٣) : « **قُتَيلة بنت عبد[٢] العزىٰ بن عبد[٣] أسعد ، من بني مالك بن حسل** » .

وزاد ابن أبي حاتم : « في المدة التي كانت بين قريش ، ورسول الله صلىٰ الله عليه وسلم » .

وقال أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق البزار (٢٤) : حدثنا عبد الله بن شبيب ، حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة ، حدثنا أبو قتادة العدوي ، عن ابن أخي الزهري ، عن الزهري ، عن عروة ، عن عائشة وأسماء أنهما قالتا : قَدِمَتْ علينا أُمُّنا المدينة ، وهي مشركة ، في الهدنة التي كانت بين قريش وبين رسول الله - صلىٰ الله عليه وسلم - فقلنا :

= عن هشام بن عروة عن أبيه عن أسماء به مرفوعًا مثله ونحوه .

(٢٠) - أخرجه البخاري في كتاب : الهبة ، باب : الهدية للمشركين ، حديث (٢٦٢٠) (٥/٣٣٣) ، وأطرافه في [٣١٨٣، ٥٩٧٨، ٥٩٧٩] . ومسلم في كتاب : الزكاة ، باب : فضل النفقة والصدقة على الأقربين ، حديث (٤٩، ٥٠ /١٠٠٣) (٧/ ١٢٣، ١٢٤) كلاهما من طريق هشام بن عروة أيضًا .

(٢١) - أخرجه أحمد (٤/٤) وفي إسناده مصعب بن ثابت وهو : لين الحديث ، وانظر السابق .

(٢٢) - أخرجه الطبري (٦٩/٢٨) من طريق مصعب .

(٢٣) - يراجع الموضع السابق .

(٢٤) - أخرجه البزار في مسنده (٢٤١/٢ - زوائد) (١٧٨٤) . قال ابن حجر : إسناده ضعيف . قال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٤٨/٨) : رواه البزار عن شيخه عبد الله بن شبيب وهو ضعيف . اهـ .

[١] - ما بين المعكوفتين في ز، خ : « ضباب وقرط» .

[٢] - سقط من : ز ، خ.

[٣] - سقط من : ز، خ .

يا رسول الله ؛ إن أمنا قدمت علينا المدينة[١] راغبةً ، أفنصلها . قال : « **نعم ، فَصِلاها** » .

ثم قال : وهذا الحديث لا نعلمه[٢] يروى عن الزهري عن عروة عن عائشة إلا من هذا الوجه .

قلت : وهو منكر بهذا السياق ، لأن أم عائشة هي أم رومان ، وكانت مسلمة مهاجرة ، وأم أسماء غيرها ، كما هو مصرح باسمها في هذه الأحاديث المتقدمة ، والله أعلم .

وقوله : ﴿ **إن الله يحب المقسطين** ﴾ : تقدم تفسير ذلك في « **سورة الحجرات** » . وأورد الحديث الصحيح : « **المقسطون على منابر من نور عن يمين العرش : الذين [يعدلون في حكمهم]**[٣] ، **وأهاليهم ، وما وَلُوا** »(٢٥) .

وقوله : ﴿ **إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين، وأخرجوكم من دياركم، وظاهروا على إخراجكم أن تولوهم** ﴾ ، أي : إنما ينهاكم عن موالاة هؤلاء الذين ناصبوكم بالعداوة ، فقاتلوكم وأخرجوكم ، وعاونوا على إخراجكم ، ينهاكم الله عن موالاتهم ويأمركم بمعاداتهم ثم أكد الوعيد على موالاتهم فقال : ﴿ **ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون** ﴾ ، كقوله : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم إن الله لا يهدي القوم الظالمين** ﴾

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٍ فَٱمْتَحِنُوهُنَّ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَٰتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى ٱلْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَءَاتُوهُم مَّآ أَنفَقُواْ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَن تَنكِحُوهُنَّ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَلَا تُمْسِكُواْ بِعِصَمِ ٱلْكَوَافِرِ وَسْـَٔلُواْ مَآ أَنفَقْتُمْ وَلْيَسْـَٔلُواْ مَآ أَنفَقُواْ ذَٰلِكُمْ حُكْمُ ٱللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ وَإِن فَاتَكُمْ شَىْءٌ مِّنْ أَزْوَٰجِكُمْ إِلَى ٱلْكُفَّارِ فَعَاقَبْتُمْ فَـَٔاتُواْ ٱلَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَٰجُهُم مِّثْلَ مَآ أَنفَقُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾

تقدم في « **سورة الفتح** » ذكر صلح الحديبية الذي وقع بين رسول الله - صلى الله عليه

(٢٥) - تقدم تخريجه في تفسير سورة الحجرات ، آية : (٩) وهو حديث صحيح .

[١] - سقط من : ت . [٢] - في ز : « نعلم » .
[٣] - ما بين المعكوفتين مكررة في : ز .

وسلم - وبين كفار قريش ، فكان فيه : « **علىٰ أن لا يأتيك منا رجل**[١] **- وإن كان علىٰ دينك - إلا رددته إلينا** » . وفي رواية : « **علىٰ أنه لا يأتيك منا أحد - وإن كان علىٰ دينك - إلا رددته إلينا** » . وهذا قول عروة ، والضحاك ، وعبد الرحمن بن زيد ، والزهري ، ومقاتل ، والسدي ، فعلىٰ هذه الرواية تكون هذه الآية مخصصة للسنة ، وهذا من أحسن أمثلة ذلك ، وعلىٰ طريقة بعض السلف ناسخة ، فإن الله - عز وجل - أمر عباده المؤمنين إذا جاءهم النساء مهاجرات أن يمتحنوهن ، فإن عَلِموهن مؤمنات فلا يرجعوهن إلىٰ الكفار ، لا هن حل لهم ، ولا هم يحلون لهن .

وقد ذكرنا في ترجمة عبد الله بن أبي[٢] أحمد بن جحش ، من المسند الكبير(٢٦) ، من طريق أبي بكر بن أبي عاصم ، عن محمد بن يحيىٰ الذهلي ، عن يعقوب بن محمد ، عن عبد العزيز بن عمران ، عن مُجمَع بن يعقوب ، عن [حسين بن السائب بن أبي لُبابة][٣] ، عن عبد الله بن أبي أحمد قال : هاجرت أم كلثوم بنت عقبة بن أبي مُعيط في الهجرة ، فخرج أخواها عمارة والوليد حتىٰ قدما علىٰ رسول الله - صلىٰ الله عليه وسلم - فكلماه فيها أن يردها إليهما ، فنقض الله العهد بينه وبين المشركين في النساء خاصة ، ومنعهن ان يُرَددْنَ[٤] إلىٰ المشركين ، وأنزل الله آية الامتحان .

قال ابن جرير(٢٧) : حدثنا أبو كريب ، حدثنا يونس بن بكير ، عن قيس بن الربيع ، عن الأغر بن الصباح ، عن خليفة بن حُصَين ، عن أبي نصر الأسدي قال : سُئِل ابنُ عباس : كيف كان امتحانُ رسول الله - صلىٰ الله عليه وسلم - النساء ؟ قال : كان يمتحنهن : بالله ما خَرجت من بُغض زوج ؟ وبالله ما خَرجت رَغبةً عن أرض إلىٰ أرض ؟ وبالله ما خرجت التماس دنيا ؟ وبالله ما خرجت إلا حبًا لله ولرسوله .

ثم رواه من وجه آخر ، عن الأغر بن الصباح ، به(٢٨) .

وكذا رواه البزار(٢٩) من طريقه ، وذكر فيه[٥] أن الذي كان يحلفهن عن أمر رسول

(٢٦) - في إسناده عبد العزيز بن عمران متروك ، احترقت كتبه فحدث من حفظه فاشتد غلطه .
(٢٧) - أخرجه الطبري (٦٧/٢٨) . وفي إسناده أبو نصر وهو مجهول . وانظر التالى .
(٢٨) - أخرجه الطبري (٢٨ - ٦٧) من طريق الحسن بن عطية عن قيس عن الأغر ، وانظر التالي .
(٢٩) - أخرجه البزار (٢ - ١١٢ - زوائد) (١٥١٧) قال البزار : لا نعلمه يروىٰ عن ابن عباس إلا =

[١] - في ز ، خ: « أحد » .
[٢] - سقط من : ز، خ .
[٣] - في ز ، خ : « حنين بن أبي لبانة » .
[٤] - في ز ، خ: « ابانة » .
[٥] - في ز ، خ: « يردون » .

اللّٰه - صلىٰ اللّٰه عليه وسلم - له عمر بن الخطاب .

وقال العوفي ، عن ابن عباس في قوله : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن** ﴾ : كان امتحانهن أن يَشهدن أن لا إله إلا اللّٰه ، وأن محمدًا عبد اللّٰه ورسوله. وقال مجاهد : ﴿ **فامتحنوهن** ﴾ : فاسألوهن : ما جاء بهن ؟ فإن كان جاء بهن غضبٌ علىٰ أزواجهن أو سَخطة أو غيره ، ولم يؤمن فأرجعوهن إلىٰ أزواجهن .

وقال عكرمة : يقال لها : ما جاء بك إلا حب اللّٰه ورسوله ؟ وما جاء بك عشق رجل منا ، ولا فرار من زوجك ؟ فذلك قوله : ﴿ **فامتحنوهن** ﴾ .

وقال قتادة : كانت محنتهن أن يستحلفن باللّٰه : ما أخرجكن النشوز ؟ وما أخرجكن إلا حب الإسلام وأهله وحِرص عليه ؟ فإذا قلن ذلك قُبِل ذلك منهن .

وقوله : ﴿ **فإن علمتموهن مؤمنات فلا ترجعوهن إلىٰ الكفار** ﴾ : فيه دلالة علىٰ أن الإيمان يمكن الاطلاع عليه يقينًا .

وقوله : ﴿ **لا هن حل لهم ولا هم يحلون لهن** ﴾ : هذه الآية هي التي حَرَّمَت المسلمات علىٰ المشركين ، وقد كان جائزًا في ابتداء الإسلام أن يتزوج المشرك المؤمنة ، ولهذا كان أبو[١] العاص بن الربيع زوج ابنة النبي - صلىٰ اللّٰه عليه وسلم - زينب - رضي اللّٰه عنها - وقد كانت مسلمة وهو علىٰ دين قومه ، فلما وقع في الأسارىٰ يوم بدر بعثت امرأته زينب في فدائه بقلادة لها كانت لأمها خديجة ، فلما رآها رسول اللّٰه - صلىٰ اللّٰه عليه وسلم - رَقّ لها رقّةً شديدة وقال للمسلمين : « **إن رأيتم أن تطلقوا لها أسيرها فافعلوا** » ففعلوا[٢]» ، فأطلقه رسول اللّٰه - صلىٰ اللّٰه عليه وسلم - علىٰ أن يبعث ابنته إليه، فوفى له بذلك وصدقه فيما وعده ، وبعثها إلىٰ رسول اللّٰه - صلىٰ اللّٰه عليه وسلم - مع زيد بن حارثة - رضي اللّٰه عنه - فأقامت بالمدينة من بعد وقعة بدر ، وكانت سنة اثنتين[٣] إلىٰ أن أسلم زوجها أبو العاص بن الربيع سنة ثمان [فردها عليه][٤] بالنكاح الأول ، ولم يحدث لها صداقًا (٣٠) .

= بهذا الإسناد ، ولا روى عن أبي نصر إلا خليفة . قلت - أي ابن حجر - : أعله الشيخ بقيس ، وقد ذكر البخاري أن أبا نصر لم يسمع من ابن عباس ؛ فهي العلة . قال الهيثمي في « المجمع » (١٢٦/٧) : رواه البزار وفيه قيس بن الربيع وثقه شعبة ، والثوري وضعفه غيرهما وبقية رجاله ثقات .

(٣٠) - أخرجه أحمد (٢٧٦/٦) (٢٦٤٧٢) ، وأبو داود في كتاب الجهاد ، باب : في فداء الأسير بالمال ، حديث (٢٦٩٢) (٦٢/٣) ، والحاكم (٢٣/٣) . كلهم من طريق ابن إسحاق عن يحيى بن عباد عن =

---

[١] - في ز ، خ: « منه » .
[٢] - سقط من ت . .
[٣] - في ز ، خ: « اثنين » .
[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز، خ .

كما قال الإمام أحمد (٣١) :

حدثنا يعقوب ، حدثنا أبي ، حدثنا ابن إسحاق ، حدثني داود بن الحصين ، عن عكرمة ، عن ابن عباس : أن رسول الله - صلىٰ الله عليه وسلم - رد ابنته زينب علىٰ أبي العاص بن الربيع ، وكانت هجرتها قبل إسلامه بست سنين علىٰ النكاح الأول ، ولم يحدث شهادة ولا صَدَاقًا .

ورواه أبو داود والترمذي وابن ماجة . ومنهم من يقول : « بعد سنتين » . وهو صحيح ؛ لأن إسلامه كان بعد تحريم المسلمات علىٰ المشركين بسنتين.

وقال الترمذي (٣٢) : « ليس بإسناده بأس ، ولا نعرف وجه هذا الحديث ، و[١]لعله جاء من حفظ داود بن الحصين ... وسمعت عبد ابن حميد يقول : سمعت زيد[٢] بن هارون يذكر عن ابن إسحاق هذا الحديث ، وحديثَ الحجاج - يعني ابن أرطأة - عن عمرو بن شعيب ، عن أبيه ، عن جده : أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم رد ابنته علىٰ أبي العاص بن الربيع بمهر جديد ونكاح جديد فقال يزيد : حديث ابن عباس أجودُ إسنادًا ، والعمل علىٰ حديث عمرو بن شعيب .

قلت : وقد رَوَىٰ حديث الحجاج بن أرطأة ، عن عمرو بن شعيب الإمامُ أحمدُ(٣٣) والترمذي وابن ماجة . وضعفه الإمام أحمد وغير واحد، والله أعلم.

= أبيه عن عائشة - رضي الله عنها - به . وإسناده حسن وابن إسحاق صرح بالتحديث عند أحمد . قال الحاكم : صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبي . وحسنه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٢٣٤١) .

(٣١) - أخرجه أحمد (٢٦١/١) (٢٣٦٦) . وأبو داود في كتاب الطلاق ، باب : إلى متى ترد عليه امرأته إذا أسلم بعدها ، حديث (٢٢٤٠) (٢٧٢/٢) . والترمذي في كتاب النكاح ، باب : ما جاء في الزوجين المشركين يسلم أحدهما ، حديث (١١٤٣) (١٠٩/٤) . وابن ماجة في كتاب النكاح ، باب : الزوجين يسلم أحدهما قبل الآخر ، حديث (٢٠٠٩) (٦٤٧/١) .

كلهم من طرق عن ابن إسحاق عن داود بن الحصين عن عكرمة عن ابن عباس - رضي الله عنه - به .

وداود بن حصين ، قال ابن حجر في التقريب : ثقة إلا في عكرمة .

وقال علي بن المديني : ما روى عن عكرمة فمنكر . تهذيب التهذيب (١٥٧/٣) .

وصححه الألباني في الإرواء (١٩٢١) بشواهده .

(٣٢) - ذكره الترمذي بعد حديث (١١٤٤) . والحجاج بن أرطأة كثير الخطأ والتدليس .

(٣٣) - أخرجه أحمد (٢٠٧/٢ - ٢٠٨) . والترمذي في آخر حديث (١١٤٤) في الموضع السابق . =

[١] - سقط من : ز ، خ.

[٢] - في ت : « زيد » .

وأجاب الجمهور عن حديث ابن عباس بأن ذلك كان قضية عين يحتمل أنه لم تنقض عِدَتُها منه ؛ لأن الذي عليه الأكثرون أنها متىٰ انقضت العدة ولم يسلم ؛ انفسخ نِكاحُها منه .

وقال آخرون : بل إذا انقضت العدّة هي بالخيار ، إن شاءت أقامت علىٰ النكاح واستمرت ، وإن شاءت فسخته وذهبت فتزوجت ، وحملوا عليه حديث ابن عباس ، والله أعلم .

وقوله : ﴿ وآتوهم ما أنفقوا ﴾ ، يعني : أزواجَ المهاجرات من المشركين ، ادفعوا إليهم الذي غرموه عليهن[١] من الأصدقة . قاله ابن عباس ، ومجاهد ، وقتادة ، والزهري ، وغير واحد .

وقوله : ﴿ ولا جناح عليكم أن تنكحوهن إذا آتيتموهن أجورهن ﴾ : يعني إذا أعطيتموهن أصدقتهن فانكحوهن ، أي : تزوجوهن بشرطه من انقضاء العدة والولي وغير ذلك .

وقوله : ﴿ ولا تمسكوا بعصم الكوافر ﴾ : تحريم من الله - عز وجل - علىٰ عباده المؤمنين نكاحَ المشركات ، والاستمرارَ معهن .

وفي الصحيح (٣٤) ، عن الزهري، عن عروة ، عن المسور و[٢]مَرْوان بن الحكم: أن رسول الله - صلىٰ الله عليه وسلم - لما عاهد كفار قريش يوم الحديبية جاء نساءٌ من المؤمنات ، فأنزل الله -عز وجل- : ﴿ يا أيها الذين آمنوا إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات ﴾ إلىٰ قوله : ﴿ ولا تمسكوا بعصم الكوافر ﴾ . فطلق عمر بن الخطاب يومئذ امرأتين ، تزوج إحداهما معاوية بن أبي سفيان ، والأخرىٰ صفوانُ بن أمية .

= وابن ماجة في كتاب النكاح ، باب : الزوجين يسلم أحدهما قبل الآخر ، حديث (٢١٠) (١/٦٤٧) . كلهم من طريق الحجاج عن عمرو بن شعيب .

قال أحمد بن حنبل : هذا حديث ضعيف أو قال : واه . ولم يسمعه الحجاج من عمرو بن شعيب ، إنما سمعه من محمد بن عبيد الله العرزمي ، والعرزمي لا يساوى حديثه شيئًا ، والحديث الصحيح الذي روي أن النبي - صلى الله عليه وسلم - أقرهما على النكاح الأول .

(٣٤) - أخرجه البخاري في كتاب الشروط ، باب الشروط في الجهاد ، حديث (٢٧٣١، ٢٧٣٢) (٥/ ٣٢٩ - ٣٣٣) في حديث طويل .

---

[١] - في ز ، خ: « عليهم » . [٢] - في ز ، خ: « بن » .

وقال ابن ثَور (٣٥) ، عن معمر ، عن الزهري : أنزلت هذه الآية علىٰ رسول الله - صلىٰ الله عليه وسلم - وهو بأسفل الحديبية ، حين صالحهم علىٰ أنه من أتاه منهم رده إليهم ، فلما جاءه النساء نزلت هذه الآية ، وأمره أن يرد الصداق إلىٰ أزواجهن ، وحكم علىٰ المشركين مثل ذلك إذا جاءتهم امرأة من المسلمين أن يردوا الصداق إلىٰ زوجها ، وقال : ﴿ **ولا تمسكوا بعصم الكوافر** ﴾ . وهكذا قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم ، وقال : وإنما حكم الله بينهم بذلك ، لأجل ما كان بينهم وبينهم[١] من العهد .

وقال محمد بن إسحاق (٣٦) ، عن الزهري : طلق عمر يومئذ قريبة بنت أبي أمية بن المغيرة ، فتزوجها معاوية - وأمّ كلثوم بنت عمرو بن جرول الخزاعية ، وهي أم عبيد الله ، فتزوجها أبو جهم بن حذيفة بن غانم ، رجل من قومه ، وهما علىٰ شركهما . وطلق طلحةُ بن عبيد الله أروىٰ بنتَ ربيعة[٢] بن الحارث بن عبد المطلب ، فتزوجها بعده خالد بن سعيد بن العاص .

وقوله : ﴿ **واسألوا ما أنفقتم وليسألوا ما أنفقوا** ﴾ ، أي : وطالبوا بما أنفقتم علىٰ أزواجكم اللاتي يذهبن إلىٰ الكفار ، إن ذهبن ، وليطالبوا بما أنفقوا علىٰ أزواجهم اللاتي هاجرن إلىٰ المسلمين .

وقوله : ﴿ **ذلكم حكم الله يحكم بينكم** ﴾ ، أي : في الصلح واستثناء النساء منه ، والأمر بهذا كله هو حكم الله يحكم به[٣] بين خلقه ، ﴿ **والله عليم حكيم** ﴾ ، أي : عليم بما يصلح عباده ، حكيم في ذلك .

ثم قال : ﴿ **وإن فاتكم شيء من أزواجكم إلىٰ الكفار فعاقبتم فآتوا الذين ذهبت أزواجهم مثل ما أنفقوا** ﴾ - قال مجاهد ، وقتادة : هذا في الكفار الذين ليس لهم عهد ، إذا فرت[٤] إليهم امرأة ولم يدفعوا إلىٰ زوجها شيئًا ، فإذا جاءت منهم امرأة لا يدفع إلىٰ زوجها شيء ، حتىٰ يدفع إلىٰ زوج الذاهبة إليهم مثل نفقته عليها .

وقال ابن جرير (٣٧) : حدثنا يونس ، حدثنا ابن وهب ، أخبرني يونس ، عن الزهري قال : أقر المؤمنون بحكم الله ، فأدوا ما أمروا به من نفقات المشركين التي أنفقوا علىٰ

(٣٥) - أخرجه الطبري (٧٠/٢٨) وهو مرسل .

(٣٦) - ذكره ابن هشام في السيرة النبوة (٧٩٠/٣ - ٧٩١) من طريق ابن إسحاق .

(٣٧) - أخرجه الطبري (٧٥/٢٨) هكذا مرسلًا .

[١] - سقط من : ت .

[٢] - في ز ، خ: « النضر » .

[٣] - سقط من : ز، خ .

[٤] - في ز ، خ: « قرب » .

نسائهم ، وأبى المشركون أن يقروا بحكم الله فيما فرض عليهم من أداء نفقات المسلمين ، فقال الله للمؤمنين به : ﴿ **وإن فاتكم شيء من أزواجكم إلى الكفار فعاقبتم فآتوا الذين ذهبت أزواجهم مثل ما أنفقوا واتقوا الله الذي أنتم به مؤمنون** ﴾ . فلو أنها ذهبت بعد هذه الآية امرأة من أزواج المؤمنين إلى المشركين ، رَدّ المؤمنون إلى زوجها النفقة التي أنفق عليها من العَقِب الذي بأيديهم ، الذي[١] أمروا أن يردوه على المشركين من نفقاتهم التي أنفقوا على أزواجهم اللاتي آمنّ وهاجرنَ ، ثم ردوا إلى المشركين فضلًا [إن كان بقي لهم][٢] . والعقب : ما كان [بأيدي المؤمنين][٣] من صداق نساء[٤] الكفار حين[٥] آمنّ وهاجرنَ .

وقال العوفي ، عن ابن عباس في هذه الآية : يعني إن لحقت[٦] امرأة رجلٍ من المهاجرين بالكفار ، أمر له رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أنه يعطى من الغنيمة مثل ما أنفق .

وهكذا قال مجاهد : ﴿ **فعاقبتم** ﴾ : أصبتم غنيمة من قريش أو غيرهم ، ﴿ **فآتوا الذين ذهبت أزواجهم مثل ما أنفقوا** ﴾ ، يعني : مهر مثلها . وهكذا قال مسروق ، وإبراهيم ، وقتادة ، ومقاتل ، والضحاك ، وسفيان بن حسين ، والزهري أيضًا .

وهذا لا ينافي الأول ؛ لأنه إن أمكن الأول فهو أولى ، وإلا فمن الغنائم اللاتي تؤخذ من أيدي الكفار . وهذا أوسع ، وهو اختيار ابن جرير ، ولله الحمد والمنة .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَٰنٍ يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِى مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُنَّ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ ﴾

قال البخاري(٣٨) : حدثنا إسحاق ، حدثنا يعقوب بن إبراهيم ، حدثنا ابن أخي ابن شهاب ، عن عمه قال : أخبرني عروة أن عائشة زوج النبي - صلى الله عليه وسلم - أخبرته : أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كان يمتحن من هاجر إليه من المؤمنات بهذه الآية :

(٣٨) - أخرجه البخاري في كتاب التفسير ، باب ﴿ **إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات** ﴾ ، حديث (٤٨٩١) (٦٣٦/٨) .

[١] - في ز ، خ: « الذين » .
[٢] - ما بين المعكوفتين في ز ، خ: « منزلهم » .
[٣] - ما بين المعكوفتين في ز ،: خ « على » .
[٤] - سقط من : ز ، خ.
[٥] - في ز ، خ : « من » .
[٦] - في ز، خ : « تجنب » .

﴿ يا أيها النبي إذا جاءك المؤمنات يبايعنك ﴾ إلىٰ قوله : ﴿ غفور رحيم ﴾ - قال عروة : قالت عائشة : فمن أقرّ بهذا الشرط من المؤمنات ، قال لها رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **قد بايعتك** » . كلامًا ، ولا واللّٰه ما مست يده يد امرأة قَطُّ في المبايعة ، ما يبايعهن إلا بقوله : « **قد بايعتك علىٰ ذلك** » . هذا لفظ البخاري . وقال الإمام أحمد (٣٩) :

حدثنا عبد الرحمن بن مهدي ، حدثنا سفيان ، عن محمد بن المنكدر ، عن أميّمة بنت رُقَيقة[١] قالت : أتيت رسول اللّٰه - صلىٰ اللّٰه عليه وسلم - في نساء لنبايعه ، فأخذ علينا ما في القرآن : أن لا نشرك باللّٰه شيئًا ... الآية . وقال : « **فيما استطعتن وأطقتن** » . قلنا : اللّٰه ورسوله أرحم بنا من أنفسنا ، قلنا : يا رسول اللّٰه ؛ ألا تصافحنا ؟ قال : « **إني لا أصافح النساء ، إنما قولي لامرأة واحدة كقولي لمائة امرأة** » . هذا إسناد صحيح ، وقد رواه الترمذي والنسائي وابن ماجة ، من حديث سفيان بن عيينة - والنسائي أيضًا من حديث الثوري - ومالك بن أنس كلهم ، عن محمد بن المنكدر به . وقال الترمذي : « حسن صحيح ، لا نعرفه إلا من حديث محمد بن المنكدر » .

وقد رواه أحمد أيضًا(٤٠) من حديث محمد بن إسحاق ، عن محمد بن المنكدر ، عن أميمة ، به . وزاد : « **ولم يصافح منا امرأة** » .

وكذا رواه ابن جرير(٤١) من طريق موسى بن عقبة عن محمد ابن المنكدر به .

ورواه ابن أبي حاتم(٤٢) من حديث أبي جعفر الرازي ، عن محمد بن المنكدر[٢] حدثتني أميمة بنت رقيقة - وكانت أخت خديجة خالة فاطمة ، من فيها إلى فيّ ... فذكره .

وقال الإمام أحمد (٤٣) : حدثنا يعقوب ، حدثني أبي ، عن ابن إسحاق ، حدثني سليط

(٣٩) - أخرجه أحمد (٣٥٧/٦) (٢٧١٢١) . والترمذي في كتاب السير ، باب : ما جاء في بيعة النساء ، حديث (١٥٩٧) (٣٢٢/٥) . والنسائي (١٤٩/٧) كتاب : البيعة ، باب : بيعة النساء . وابن ماجة في كتاب الجهاد ، باب : بيعة النساء ، حديث (٢٨٧٤) (٩٥٩/٢) . والنسائي في الكبرى في كتاب السير ، باب : بيعة النساء ، حديث (٨٧١٣) (٢١٨/٥) ، وفي التفسير (١٥٨٩) من طريق مالك .

(٤٠) - أخرجه أحمد (٣٥٧/٦) (٢٧١١٩) .

(٤١) - الطبري (٨٠/٢٨) .

(٤٢) - في إسناده أبو جعفر الرازي ، هو : صدوق سيئ الحفظ .

(٤٣) - أخرجه أحمد (٣٧٩/٦ - ٣٨٠) (٢٧٢٤٤) . وفي إسناده سليط بن أيوب ، قال الحافظ : مقبول . وأمه ذكرها ابن حجر في « التعجيل » (ص ٣٦٥) فيمن روى عن سلمى بنت قيس ولم أجد =

[١] - في ز : ، خ « رقية » . [٢] - في ز ، خبعده « و » .

ابن أيوب بن الحكم بن سُلَيم ، عن أمه سلمىٰ بنت قيس - وكانت إحدىٰ خالات رسول الله - صلىٰ الله عليه وسلم - قد صلت معه القبلتين ، وكانت إحدىٰ نساء بني عدي بن النجار- قالت : جئت رسول الله - صلىٰ الله عليه وسلم - نبايعه في نسوة من الأنصار ، فلما شرط علينا : ألا نشرك بالله شيئًا ، ولا نسرق ، ولا نزني ، ولا نقتل أولادنا ، ولا نأتي ببهتان نفتريه بين أيدينا وأرجلنا ، ولا نعصيه في معروف - قال : **« ولا تغشُشْنَ أزواجكن »** . قالت : فبايعناه ، ثم انصرفنا ، فقلت لامرأة منهن : ارجعي فسلي رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : ما غش أزواجنا ؟ قال : فسألته فقال[١] : **« تأخذ ماله ، فتحابي به غيره »** .

وقال الإمام أحمد (٤٤) : حدثنا إبراهيم بن أبي العباس ، حدثنا عبد الرحمن بن عثمان بن إبراهيم بن محمد بن حاطب ، حدثني أبي ، عن أمه عائشة بنت قُدامة - يعني ابن مظعون - قالت : أنا مع أمي رائطة [بنت سفيان][٢] الخزاعية ، والنبي - صلىٰ الله عليه وسلم - يبايع النسوة ويقول : **« أبايعكنّ علىٰ أن لا تشركن بالله شيئًا ، ولا تسرقن ولا تزنين ولا تقتلن أولادكن ، ولا تأتين ببهتان تفترينه بين أيديكن وأرجلكن ، ولا تعصينني في معروف »**. [قالت : فأطرقن . فقال لهن النبي - صلىٰ الله عليه وسلم :][٣] **« قلن نعم فيما استطعتن »** . [فكنَّ يقلن][٤] وأقول معهن، وأمي [تلقنني : قولي][٥] - أيْ بنية ؛ نعم [فيما استطعتُ][٦] ، فكنت أقول كما يقلن.

وقال البخاري (٤٥) : حدثنا أبو[٧] معمر ، حدثنا عبد الوارث ، حدثنا أيوب ، عن حفصة بنت سيرين ، عن أم عطية قالت : بايَعْنا رسولَ الله - صلىٰ الله عليه وسلم - فقرأ علينا :

= فيها جرحًا ولا تعديلًا ، إلا ما كان من توثيق الهيثمي في المجمع (٤١/٦) بعد أن عزا الحديث لأحمد وأبي يعلى والطبراني ، فقال : رجاله ثقات . والحديث في مسند أبي يعلى (٧٠٧٠) . والطبراني (٢٩٦/٢٤) (٧٥١، ٧٥٢) .

(٤٤) - أخرجه أحمد (٣٦٥/٦) (٢٧١٧٤) . وفي إسناده عبد الرحمن بن عثمان بن محمد بن إبراهيم ، قال أبو حاتم الرازي : يهولني كثرة ما يسند . وذكر الذهبي في الميزان أن أبا حاتم ضعفه . وقال البخاري : حديثه في الكوفيين . وذكره ابن حبان في الثقات في الطبقة الثالثة . اهـ . كذا في « تعجيل المنفعة » (٢٥٤) . قال الهيثمي في « المجمع » (٤١/٦) : رواه أحمد والطبراني . وفيه عبد الرحمن بن عثمان بن إبراهيم وهو ضعيف .

(٤٥) - أخرجه البخاري في كتاب : التفسير ، باب **﴿ إذا جاءك المؤمنات يبايعنك ﴾** ، حديث (٤٨٩٢) (٦٣٧/٨) .

[١] - في ز : ، خ« قال » .
[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز، خ .
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز، خ .
[٤] - ما بين المعكوفتين في ز ، خ: « لكن فقلن».
[٥] - ما بين المعكوفتين في ز ، خ: « تقول » .
[٦] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز، خ .
[٧] - سقط من : ز ، خ.

﴿ [أن لا يشركن][١] بالله شيئًا ﴾ ، ونهانا عن النياحة ، فقبضت امرأة يدها فقالت[٢] : أسعدتني فلانة أريد أن أجزيها . فما قال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئًا ، فانطلقت ورجعت فبايعها .

ورواه مسلم(٤٦) . وفي رواية : « فما وفَّىٰ منهن امرأة غيرها ، وغير أم سليم بنة ملحان » .

وللبخاري(٤٧) عن أم عطية قالت : أخذ علينا رسول الله - صلىٰ الله عليه وسلم - عند[٣] البيعة أن لا ننوح ، فما وَفَت منا امرأة غير خمس نسوة : أم سليم ، وأم العلاء ، وابنة أبي سَبرة امرأة معاذ ، وامرأتان - أو : ابنة أبي سَبرة ، وامرأة معاذ ، وامرأة أخرىٰ .

وقد كان رسول الله - صلىٰ الله عليه وسلم - يتعاهدُ النساءَ بهذه البيعة يومَ العيد ، كما قال البخاري (٤٨) :

حدثنا محمد بن عبد الرحيم ، حدثنا هارون بن معروف ، حدثنا عبد الله بن وهب ، أخبرني ابن جُريج أن الحسن بن مسلم أخبره ، عن طاوس ، عن ابن عباس قال : شهدت الصلاة يوم الفطر مع رسول الله - صلىٰ الله عليه وسلم - وأبي بكر وعمر وعثمان ، فكلهم يصليها قبل الخطبة ثم يخطب بعدُ ، فنزل نبي الله - صلىٰ الله عليه وسلم - فكأني أنظر إليه حين يُجَلِّس الرجالَ بيده ، ثم أقبل يَشقّهم حتىٰ أتىٰ النساء ، مع بلال فقال : ﴿ يا أيها النبي إذا جاءك المؤمنات يبايعنك علىٰ أن لا يشركن بالله شيئًا ولا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن أولادهن ولا يأتين ببهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن ﴾ . حتىٰ فرغ من الآية كلها . ثم قال حين فرغ : « أنتن علىٰ ذلك » ؟ فقالت امرأة واحدة : لم يجبه غيرها : نعم يا

---

(٤٦) - أخرجه مسلم في كتاب : الجنائز ، باب : التشديد في النياحة ، حديث (٣١، ٩٣٦/٣٢) (٦/ ٣٣٦ - ٣٣٧) ، لكن في رواية مسلم فما وفت منا امرأة إلا خمس : أم سليم ، وأم العلاء ، وابنة أبي سبرة امرأة معاذ ، أو ابنة أبي سبرة وامرأة معاذ ، وهو عند البخاري بنحوه (٧٢١٥) . فعلى هذا يكون المجموع أربع نسوة ، ولعل الخامسة هي أم عطية - رضي الله عنهم أجمعين .

قال النووي في شرح قولها : فما وفت منا امرأة إلا خمس ، : قال القاضي : معناه لم يف ممن بايع مع أم عطية في الوقت الذي بايعت فيه من النسوة إلا خمس ، لا أنه لم يترك النياحة من المسلمات غير خمس .

(٤٧) - أخرجه البخاري في كتاب : الجنائز ، باب : ما ينهى من النوح والبكاء والزجر عن ذلك ، حديث (١٣٠٦) (١٧٦/٣) . وطرفاه في [٤٨٩٢، ٧٢١٥] .

(٤٨) - أخرجه البخاري في كتاب : التفسير ، باب : ﴿ إذا جاءك المؤمنات يبايعنك ﴾ ، حديث (٤٨٩٥) (٦٣٨/٨) .

---

[١] - ما بين المعكوفتين في ز ، خ: « ولا تشركن ».

[٢] - سقط من : ز ، خ. [٣] - سقط من : ز .

رسول الله - لا يدري حسن من هي - قال : فتصدقن ، قال : وبسط بلال ثوبه فجعلن يلقين الفتخ[١] والخواتيم في ثوب بلال.

وقال الإمام أحمد (٤٩) : حدثنا خلف بن الوليد ، حدثنا [ابن عياش][٢] عن سليمان بن سُليم ، عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده قال: جاءت أميمة بنت رقيقة إلىٰ رسول الله - صلىٰ الله عليه وسلم - تبايعه علىٰ الإسلام ، فقال : « **أبايعك علىٰ أن لا تشركي بالله شيئًا ، ولا تسرقي ولا تزني ولا تقتلي ولدك ، ولا تأتي ببهتان تفترينه بين يديك ورجليك ، ولا تنوحي ، ولا تبرجي تبرج الجاهلية الأولىٰ** » .

وقال الإمام أحمد (٥٠) : حدثنا سفيان ، عن الزهري ، عن أبي إدريس الخولاني ، عن عبادة بن الصامت قال : كنا عند رسول الله - صلىٰ الله عليه وسلم - في مجلس فقال : « **تبايعوني علىٰ ألا تشركوا بالله شيئًا ، ولا تسرقوا ، ولا تزنوا ، ولا تقتلوا أولادكم** » - قرأ الآية التي أخذت علىٰ النساء : ﴿ **إذا جاءك المؤمنات** ﴾- **فمن وفّى منكم فأجره علىٰ الله ، [ومن أصاب من ذلك شيئًا فعوقب به، فهو كفارة له]**[٣]. **ومن أصاب من ذلك شيئًا فستره الله عليه، فهو إلىٰ الله، إن شاء غفر له ، وإن شاء عذبه** » . أخرجاه في الصحيحين(٥١) .

وقال محمد بن إسحاق(٥٢) ، عن يزيد بن أبي حبيب ، عن مرثد بن عبد الله اليَزَني ، عن أبي عبد الله عبد الرحمن بن عُسَيلة الصنابحي[٤] ، عن عبادة بن الصامت قال : كنت فيمن حضر العقبة الأولىٰ ، وكنا اثني عشر رجلًا ، فبايعنا رسول الله - صلىٰ الله عليه

---

(٤٩) - أخرجه أحمد (١٩٦/٢) (٦٨٥٠) . وإسناده حسن للخلاف في رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده ، وابن عباس هنا روى عن سليمان بن سليم وهو شامي ، وروايته عن الشاميين مستقيمة ، وقد صححه أحمد شاكر في تعليقه على المسند .

(٥٠) - أخرجه أحمد (٣١٤/٥) (٢٢٧٨١) .

(٥١) - البخاري في كتاب الإيمان ، باب : (١٨) ، حديث (١٨) (٦٤/١) . وأطرافه في [٣٨٩٢، ٣٨٩٣، ٣٩٩٩، ٤٨٩٤، ٦٧٨٤، ٦٨٠١، ٦٨٧٣، ٧٠٥٠، ٧١٩٩، ٧٢١٣، ٧٤٦٨] .
ومسلم في كتاب : الحدود ، باب : الحدود كفارات لأهلها ، حديث (٤١ - ١٧٠٩/٤٤) (٣١٦/١١ - ٣١٨) .

(٥٢) - السيرة النبوية لابن هشام (٢٩٥/٢) وإسناده ثقات وابن إسحاق صرح بالتحديث . والحديث أصله في الصحيحين وقد تقدم قريبًا .

---

[١] - في ت : « الفتح » .
[٢] - ما بين المعكوفتين في ز ، خ: « عباس » .
[٣] - ما بين المعكوفتين مكررة في : ز .
[٤] - في ز ، خ: « الصالحي » .

وسلم - علىٰ بيعة النساء ، وذلك قبل أن يفرض الحرب ، علىٰ ألا نشرك بالله شيئًا ، ولا نسرق ، ولا نزني ، ولا نقتل أولادنا ، ولا نأتي ببهتان نفتريه بين أيدينا وأرجلنا ، ولا نعصيه في معروف . وقال[١] : « **فإن وَفَيتم فلكم الجنة** » . رواه ابن أبي حاتم .

وقد روىٰ ابن جرير(٥٣) من طريق العوفي ، عن ابن عباس : أن رسول الله - صلىٰ الله عليه وسلم - أمر عمر بن الخطاب فقال: « **قل لهن : إن رسول الله يبايعكن علىٰ أن لا تشركن بالله شيئا** » . وكانت هند بنة عتبة بن ربيعة التي شقت بطن حمزة مُنكرة في النساء ، فقالت : إني[٢] إن أتكلم يعرفني ، وإن عرفني قتلني . وإنما تنكرت فرقًا من رسول الله - صلىٰ الله عليه وسلم - فسكت النسوة اللاتي مع هند[٣] ، وأبَيْنَ أن يتكلمن فقالت[٤] هند وهي مُنكَرة : كيف يقبل من النساء شيئًا لم يقبله من الرجال ؟ ففطن إليها رسول الله وقال لعمر : « **قل لهن : ولا تسرقن** » . قالت هند : والله إني لأصيب من أبي سفيان الهَنَات ، ما أدري أيحلهن لي أم لا ؟ قال أبو سفيان: ما أصبت من شيء مضىٰ أو قد بقي، فهو لك حلال. فضحك رسول الله - صلىٰ الله عليه وسلم - وعرفها ، فدعاها فأخذت بيده[٥] ، فعاذت به ، فقال : « **أنت هند** » ؟ فقالت[٦] : عفا الله عما سلف فصرف عنها رسول الله - صلىٰ الله عليه وسلم - فقال : « **ولا تزنين** » ، فقالت : يا رسول الله ، وهل تزني الحرة ؟ قال : « **لا ، والله ما تزني الحرة** » . فقال : « **ولا يقتلن أولادهن** » . قالت هند : أنت قتلتهم يوم بدر ، فأنت وهم أبصر قال : ﴿ **ولا يأتين ببهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن** ﴾ قال : ﴿ **ولا يعصينك في معروف** ﴾ . قال : منعهن أن يَنُحنَ ، وكان أهل الجاهلية يمزقن الثياب ويخدشن الوجوه ، ويقطعن الشعور ، ويدعون بالثبور . والثبور : الويل .

وهذا أثر غريب ، وفي بعضه نكارة ، والله أعلم . فإن أبا سفيان وامرأته لما أسلما لم يكن رسول الله - صلىٰ الله عليه وسلم - يخيفهما ، بل أظهرا الصفاء والود له ، وكذلك كان الأمر من جانبه - عليه السلام - لهما .

وقال مقاتل بن حيان : أنزلت هذه الآية يوم الفتح ، فبايع رسول الله - صلىٰ الله عليه وسلم - الرجال[٧] علىٰ الصفا ، وعمر يبايع النساء[٨] تحتها عن رسول الله - صلىٰ الله عليه وسلم - فذكر بقيته كما تقدم وزاد : فلما قال : ﴿ **ولا تقتلن أولادكن** ﴾ قالت هند :

(٥٣) - أخرجه الطبري (٧٨/٢٨) وإسناده لاتقوم به حجة .

[١] - سقط من : ز، خ .

[٢] - في ز ، خ: « أي » .

[٣] - في ز ، خ: « هذا » .

[٤] - في ز ، خ: « فقال » .

[٥] - في ز : « به » .

[٦] - في ت : « قالت » .

[٧] - سقط من : ز، خ .

[٨] - سقط من : ز، خ .

ربيناهم صغارًا فقتلتموهم كبارًا، فضحك عمر بن الخطاب حتىٰ استلقىٰ . رواه ابن أبي حاتم .

وقال ابن أبي حاتم (٥٤) : حدثنا أبي ، حدثنا نصر بن علي ، حدثتني غبطة بنت [عمرو] ، [حدثتني عمتي ، عن جدتها][١] ، عن عائشة قالت : جاءت هند بنت عتبة إلىٰ رسول الله - صلىٰ الله عليه وسلم - لتبايعه ، فنظر إلىٰ يدها فقال : « **اذهبي فغيري يدك** » . فذهبت فغيرتها[٢] [بحناء ، ثم][٣] جاءت فقال : « **أبايعك علىٰ أن لا تشركي بالله شيئًا** » . فبايعها وفي يدها سواران من ذهب ، فقالت : ما تقول في هذين السوارين ؟ فقال : « **جمرتان من جمر جهنم** » .

فقوله : ﴿ **يا أيها النبي إذا جاءك المؤمنات يبايعنك** ﴾ ، أي : من جاءك منهن يبايع علىٰ هذه الشروط ، فبايعها ، ﴿ **علىٰ أن لا يشركن بالله شيئًا ولا يسرقن** ﴾ ، أي : أموال الناس الأجانب ، فأما إذا كان الزوج مقصرًا في نفقتها ، فلها أن تأكل من ماله بالمعروف ، ما جرت به عادة أمثالها ، وإن كان بغير علمه ، عملًا بحديث هند بنت عتبة أنها قالت : « يا رسول الله ، إن أبا سفيان رجل شحيح ، لا يعطيني من النفقة ما يكفيني ويكفي بني ، فهل علي جناح إن أخذت من ماله بغير علمه ؟ فقال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم: « **خذي من ماله بالمعروف ما يكفيك ويكفي بنيك** »(٥٥) . أخرجاه في الصحيحين .

وقوله : ﴿ **ولا يزنين** ﴾ ، كقوله : ﴿ **ولا تقربوا الزنا إنه كان فاحشة وساء سبيلًا** ﴾ وفي حديث سمرة(٥٦) ذكر عقوبة الزناة بالعذاب الأليم في نار الجحيم .

---

(٥٤) - أخرجه أبو يعلى (١٩٤/٨ - ١٩٥) (٤٧٥٤) من طريق نصر بن علي عن غبطة أم عمرو - عجوز من بنى مجاشع عن عمتها عن جدتها عن عائشة به مطولًا . ومن طريقه المزي في تهذيب الكمال (٣٥/ ٢٤٥ - ٢٤٦) . وأخرجه أبو داود (٤١٦٥) من طريق مسلم إبراهيم عن غبطة فذكر طرفًا منه .

قال الهيثمي في « مجمع الزوائد » (٤٠/٦) : رواه أبو يعلى وفيه من لم أعرفهن .اهـ . وضعفه الألباني في ضعيف أبي داود (٨٩٤) .

(٥٥) - أخرجه البخاري في كتاب : البيوع ، باب : من أجرى أمر الأمصار على ما يتعارفون بينهم ، حديث (٢٢١١) (٤٠٥/٤) . وأطرافه في [٢٤٦٠، ٣٨٢٥، ٥٣٥٩، ٥٣٦٤، ٥٣٧٠، ٦٦٤١، ٧١٦١، ٧١٨٠] . ومسلم في كتاب : الأقضية ، باب : قضية هند ، حديث (٧ - ١٧١٤/٩) (١٢/ ١١ - ١٤) .

(٥٦) - وهو حديث رؤيا النبي - صلى الله عليه وسلم - في آخر كتاب التعبير من صحيح البخاري ، =

---

[١] - ما بين المعكوفتين في ز ، خ: « حدثني عمي عن جدي » .

[٢] - في ز ، خ: « فقيرتها » . [٣] - ما بين المعكوفتين بياض في : ز .

وقال الإمام أحمد (٥٧) : حدثنا عبد الرزاق ، أخبرنا معمر ، عن الزهري ، عن عروة ، عن عائشة قالت : جاءت فاطمة بنت عتبة تبايع النبي - صلىٰ الله عليه وسلم - فأخذ عليها : ﴿ أن لا يشركن بالله شيئًا ولا يسرقن ولا يزنين ﴾ . الآية . قال : فوضعت يدها علىٰ رأسها حياء ، فأعجبه ما رأى منها ، فقالت عائشة : أقرّي أيتها المرأة ، فو الله ما بايعنا إلا علىٰ هذا . قالت : فنعم إذًا . فبايعها[١] بالآية .

وقال ابن أبي حاتم (٥٨) : حدثنا أبو سعيد الأشج ، حدثنا ابن فضيل ، عن حصين ، عن عامر - هو الشعبي - قال بايع رسول الله - صلىٰ الله عليه وسلم - النساء ، وعلىٰ يده ثوب قد وضعه علىٰ كفّه ، ثم قال : ولا تقتلن أولادكن . فقالت امرأة : تقتل آباءهم وتوصينا بأولادهم ؟ قال : وكان بعد ذلك إذا جاءه النساء يبايعنه ، جمعهن فعرض عليهن . فإذا أقررن رجعن .

وقوله : ﴿ ولا يقتلن أولادهن ﴾ : وهذا يشمل قتله بعد[٢] وجوده ، كما كان أهل الجاهلية يقتلون أولادهم خشية الإملاق ، ويعم قتله وهو جنين ، كما قد يفعله بعض الجهلة من النساء ، تطرح نفسها لئلا تحبل إما لغرض فاسد أو ما أشبهه .

وقوله : ﴿ ولا يأتين ببهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن ﴾ - قال ابن عباس : يعني لا يلحقن بأزواجهن غير أولادهم . وكذا قال مقاتل : ويؤيد هذا الحديث الذي رواه أبو داود(٥٩) :

حدثنا أحمد بن صالح ، حدثنا ابن وهب ، حدثنا عمرو - يعني ابن الحارث - عن ابن الهاد ، عن عبد الله بن يونس ، عن سعيد المقْبُري ، عن أبي هريرة أنه سمع رسول الله - صلىٰ الله عليه وسلم - يقول حين نزلت آية الملاعنة : « أيما امرأة أدخلت علىٰ قوم من ليس منهم ، فليست من الله في شيء ، ولن يدخلها الله جَنَّته ، وأيما رجل جَحَدَ ولده وهو

= في باب : تعبير الرؤيا بعد صلاة الصبح ، حديث (٧٠٤٧) ، وفيه أن النبي - صلى الله عليه وسلم - رأى مثل التنور وفيه لغط وأصوات . قال : « فاطلعنا فيه فإذا فيه رجال ونساء عراة ، وإذا هم يأتيهم لهب من أسفل منهم ، فإذا أتاهم ذلك اللهب ضوضوا » . وكان هذا حال من زنا في الدنيا - نسأل الله العافية .

(٥٧) - أخرجه أحمد (١٥١/٦) (٢٥٢٨٤) وإسناده صحيح .

(٥٨) - في إسناده انقطاع ظاهر .

(٥٩) - أخرجه أبو داود في كتاب : الطلاق ، حديث (٢٢٦٣) (٢٧٩/٢) . وفي إسناده عبد الله بن يونس : مجهول . وضعف الحديث الشيخ الألباني في ضعيف سنن أبي داود برقم (٤٩٧) .

---

[١] - في ز ، خ: « يبايعها » . [٢] - في ز ، خ: « قبل » .

ينظر إليه ، احتجب الله منه ، وفضحه على رءوس الأولين والآخرين » .

وقوله : ﴿ **ولا يعصينك في معروف** ﴾ ، يعني : فيما أمرتهن به من معروف ، ونهيتهن عنه من منكر .

قال البخاري(٦٠) : حدثنا عبد الله بن محمد ، حدثنا وهب بن جرير ، حدثنا أبي قال : سمعت الزبير ، عن عكرمة ، عن ابن عباس في قوله : ﴿ **ولا يعصينك في معروف** ﴾ ، قال : إنما هو شرط شَرَطه الله للنساء . وقال ميمون بن مهران : لم يجعل الله لنبيّه طاعة إلا لمعروف . والمعروف طاعة . وقال ابن زيد : أمر الله بطاعة رسوله ، وهو خيَرَة الله من خلقه في المعروف .

وقد[١]قال غيره عن ابن عباس وأنس بن مالك وسالم بن أبي [الجعد وأبي][٢] صالح وغير واحد : نهاهن يومئذٍ عن النوح ، وقد تقدم حديث أم عطية في ذلك أيضًا .

وقال ابن جرير (٦١) : حدثنا بشر ، حدثنا يزيد ، حدثنا سعيد ، عن قتادة في [ ][٣] هذه الآية : ذكر لنا أن نبي الله - صلى الله عليه وسلم - أخذ عليهن النياحة ، ولا تحدثن[٤] الرجال إلا رجلًا منكن محرمًا . فقال عبد الرحمن بن عوف : يا نبي الله ؛ إنَّ لنا أضيافًا ، وإنا نغيب عن نسائنا . فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « **ليس أولئك عَنَيتُ . ليس أولئك عَنَيتُ** » .

وقال ابن أبي حاتم(٦٢) : حدثنا أبو زرعة ، حدثنا إبراهيم بن موسى الفراء ، أخبرنا ابن أبي زائدة ، حدثني مبارك ، عن الحسن قال : كان فيما أخذ النبي - صلى الله عليه وسلم - : « **ألا يحدثن الرجال إلا أن تكون ذات محرم ، فإن الرجل لا يزال يحدث المرأة حتى يَمذي[٥] بين فخذيه** » .

وقال ابن جرير (٦٣) : حدثنا ابن حميد ، حدثنا هارون ، عن عمرو ، عن عاصم ، عن

---

(٦٠) - أخرجه البخاري في كتاب التفسير ، باب : ﴿ **إذا جاءك المؤمنات يبايعنك** ﴾ ، حديث (٤٨٩٣) (٦٣٧/٨) .

(٦١) - أخرجه الطبري (٧٨/٢٨ - ٧٩) وإسناده منقطع .

(٦٢) - في إسناده انقطاع بين الحسن والنبي - صلى الله عليه وسلم .

(٦٣) - أخبرجه الطبري (٢٨/ ٧٩) وأصله في الصحيحين وقد تقدم قريبًا ، وانظر التالي .

---

[١] - في ت : « و » .

[٢] - ما بين المعكوفتين في ز ، خ: « أسعد وأبو» .

[٣] - ما بين المعكوفتين في ز ، خ: « قوله » .

[٤] - في ز، خ : « يحدثن » .

[٥] - في ز ، خ: « تهدى » .

ابن سيرين ، عن أم عطية الأنصارية قالت : كان فيما اشتُرط علينا من المعروف حين بايعنا : أن لا ننوح فقالت امرأة من بني فلان : إن بني فلان أسعدوني ، فلا حتى أجزيهم ! فانطلقت فأسعَدَتهم ، ثم جاءت فبايعت ، قالت : فما وفى منهن غيرها ، وغير أم سليم بنة ملحان أم أنس ابن مالك .

وقد روى البخاري(٦٤) هذا الحديث من طريق حفصة بنت سيرين ، عن أم عطية نسيبة الأنصارية - رضي الله عنها - وقد روى نحوه من وجه آخر أيضًا .

وقال ابن جرير(٦٥) : حدثنا أبو كريب ، حدثنا أبو نعيم ، حدثنا عمر بن فروخ القَتَّاب ، حدثني مصعب بن نوح الأنصاري قال : أدركت عجوزًا لنا كانت فيمن بايع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قالت[١] : فأتيته لأبايعه ، فأخذ علينا فيما أخذ أن لا تنحن . فقالت عجوز : يا رسول الله ، إن ناسًا قد كانوا أسعدوني على مصائب أصابتني ، وإنهم قد أصابتهم مصيبة ، فأنا أريد أن أسعدهم . قال : « **فانطلقي فكافئيهم** » . فانطلقت فكافأتهم ، ثم إنها أتته فبايعته ، وقال : هو المعروف الذي قال الله عز وجل : ﴿ **ولا يعصينك في معروف** ﴾ .

وقال ابن أبي حاتم (٦٦) : حدثنا أحمد بن منصور الرمادي ، حدثنا القعنبي ، حدثنا الحجاج بن صفوان عن أسيد بن أبي أسيد البراد[٢] ، عن امرأة من المبايعات قالت : كان مما[٣] أخذ علينا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أن لا نعصيه في معروف : أن لا نخمش وجوهًا ، ولا ننشر شعرًا ، ولا نشق جيبًا ، [ولا ندعو ويلًا][٤] .

وقال ابن جرير (٦٧) : حدثنا أبو كُريب ، حدثنا وكيع ، عن يزيد مولى الصهباء ، عن شهر بن حوشب ، عن أم سلمة ، عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في قوله : ﴿ **ولا يعصينك في معروف** ﴾ ، قال : النوح .

---

(٦٤) - أخرجه البخاري في كتاب الأحكام ، باب : بيعة النساء ، حديث (٧٢١٥) (٢٠٣/١٣ - ٢٠٤) . وطرفاه في [١٣٠٦، ٤٨٩٢] .

(٦٥) - أخرجه الطبري (٧٩/٢٨) . وفي إسناده مصعب بن نوح الأنصاري وهو مجهول . الجرح والتعديل (٣٠٧/٨) .

(٦٦) - إسناده رجاله موثقون .

(٦٧) - أخرجه الطبري (٨٠/٢٨) وفيه شهر بن حوشب وهو ضعيف .

---

[١] - في ت : « قال » .

[٢] - في ز ، خ: « البزار » .

[٣] - في ت : « فيما » .

[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز، خ .

ورواه الترمذي في التفسير (٦٨) ، عن عبد بن حُميد ، عن أبي نُعَيم - وابن ماجة (٦٩) ، عن أبي بكر بن أبي شيبة ، عن وكيع - كلاهما عن يزيد بن عبد الله الشيباني مولىٰ الصهباء ، به . وقال الترمذي : « حسن غريب » .

وقال ابن جرير(٧٠) : حدثنا محمد بن سنان[١] القزاز ، حدثنا إسحاق بن إدريس ، حدثنا إسحاق [بن] عثمان بن[٢] يعقوب ، حدثني إسماعيل بن عبد الرحمن بن عطية ، عن جدته أم عطية قالت : لما قدم رسول الله - صلىٰ الله عليه وسلم - جمع نساء الأنصار في بيت ، ثم أرسل إلينا عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - فقام علىٰ الباب وسلم علينا ، فرددن - أو : فرددنا - عليه السلام - ثم قال : أنا رسولُ رسولِ الله - صلىٰ الله عليه وسلم - إليكن . قالت : فقلنا : مرحبًا برسول الله ، وبرسول رسول الله . فقال : تبايعن علىٰ أن لا تشركن بالله شيئًا ، ولا تسرقن ولا تزنين ؟ قالت : قلنا : نعم . قالت : فمد يده من خارج الباب - أو : البيت - ومددنا أيدينا من داخل البيت ، ثم قال : اللَّهم اشهد . قالت وأمرنا[٣] في العيدين أن نخرج فيه الحُيَّض والعواتق ، ولا جمعة علينا ، ونهانا عن اتباع الجنائز قال إسماعيل : فسألت جدتي عن قوله : ﴿ **ولا يعصينك في معروف** ﴾ . قالت : النياحة .

وفي الصحيحين(٧١) من طريق الأعمش ، عن عبد الله بن مُرة ، عن مسروق ، عن عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله - صلىٰ الله عليه وسلم - : « **ليس منا من ضرب الخدود ، وشق الجيوب ، ودعا بدعوىٰ الجاهلية** » .وفي الصحيحين(٧٢) أيضًا عن أبي موسىٰ

---

(٦٨) - وأخرجه الترمذي في باب : ومن سورة الممتحنة ، حديث (٣٣٠٤) (٩/٤٦) .

(٦٩) - وابن ماجة في كتاب الجنائز ، باب : في النهي عن النياحة ، حديث (١٥٧٩) (١/٥٠٣) كلهم من طريق شهر وهو ضعيف .

(٧٠) - أخرجه الطبري (٢٨/٨٠ - ٨١) . وفي إسناده محمد بن سنان القزاز : ضعيف . وإسماعيل بن عبد الرحمن بن عطية ؛ قال الحافظ : مقبول .

وقد استدل البعض على حل المصافحة بهذا الحديث ، وهو ضعيف كما ترى ، وعلى فرض صحته فإنه ليس فيه دليل على ذلك القول ؛ لأن الحديث ليس فيه أن يده مست يد النساء ، بل إن الظاهر من نص الحديث خلاف ذلك .

(٧١) - أخرجه البخاري في كتاب الجنائز ، باب : ليس منا من ضرب الخدود ، حديث (١٢٩٧، ١٢٩٨) (٣/١٦٦) ، ومسلم في كتاب « الإيمان » ، باب : تحريم ضرب الخدود وشق الجيوب ، والدعاء بدعوى الجاهلية ، حديث (١٦٥، ١٦٦/١٠٣) (٢/١٤٤) .

---

[١] - في ز ، خ: « يسار » .

[٢] - في ز ، خ: « بن » .

[٣] - في ز ، خ: « فأمرنا » .

أن رسول الله - صلىٰ الله عليه وسلم - بريئ من الصالقة والحالقة والشاقة.

وقال الحافظ أبو يعلي(٧٣): حدثنا هُدبة بن خالد، حدثنا أبان بن يزيد، حدثنا يحيىٰ ابن أبي[١] كثير أن زيدًا حدثه أنَّ أبا سلام حدثه أن أبا مالك الأشعري حدثه أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم قال: «**أربع في أمتي من أمر الجاهلية لا يتركونهن**[٢]: **الفخر في**[٣] **الأحساب. والطعن في الأنساب، والاستسقاء بالنجوم، والنياحة، وقال: النائحة إذا لم تتب قبل موتها تقام يوم القيامة وعليها سربال من قَطران، ودرع من جرب**».

ورواه مسلم(٧٤) في صحيحه منفردًا به من حديث أبان بن يزيد العطار به.

وعن أبي سعيد: أن رسول الله - صلىٰ الله عليه وسلم - لعن النائحة والمستمعة، رواه أبو داود(٧٥).

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَوَلَّوْا۟ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا۟ مِنَ ٱلْـَٔاخِرَةِ كَمَا يَئِسَ ٱلْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَـٰبِ ٱلْقُبُورِ ﴿١٣﴾

ينهى تبارك وتعالىٰ عن موالاة الكافرين في آخر هذه السورة كما نهى عنها[٤] في أولها فقال: ﴿ **يا أيها الذين آمنوا لا تتولوا قومًا غضب الله عليهم** ﴾ يعني اليهود والنصارىٰ وسائر الكفار، ممن[٥] غضب الله عليه ولعنه واستحق من الله الطرد والإبعاد، فكيف توالونهم وتتخذونهم أصدقاء وأخلاء، وقد يئسوا من الآخرة. أي: من ثواب الآخرة ونعيمها في حكم الله - عز وجل -.

وقوله: ﴿ **كما يئس الكفار من أصحاب القبور** ﴾، فيه قولان:

---

(٧٢) - أخرجه البخاري في الموضع السابق، باب: ما ينهى عن الحلق عند المصيبة، حديث (١٢٩٦) (٣/ ١٦٥)، ومسلم في الموضع السابق أيضًا، حديث (١٠٤/١٦٧) (٢/١٤٥ - ١٤٧).

(٧٣) - أخرجه أبو يعلى (٣/١٤٨) (١٥٧٧).

(٧٤) - ومسلم في كتاب: الجنائز، باب: التشديد في النياحة، حديث (٩٣٤/٢٩).

(٧٥) - أخرجه أبو داود في كتاب: الجنائز، باب: في النوح، حديث (٣١٢٨) (٣/١٩٣ - ١٩٤) وفي إسناده الحسن بن عطية، وعطية العوفي وكلاهما ضعيف.

---

[١] - سقط من: ز، خ.
[٢] - في ز، خ: «يتركوهن».
[٣] - في ز، خ: «من».
[٤] - في ز، خ: «عنه».
[٥] - في ت: «من».

أحدهما : كما يئس الكفار الأحياء من قراباتهم الذين في القبور أن يجتمعوا بهم بعد ذلك ؛ لأنهم لا يعتقدون بعثًا ولا نشورًا ، فقد انقطع رجاؤهم منهم فيما يعتقدونه .

قال[١] العوفي عن ابن عباس : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا لا تتولوا قومًا غضب الله عليهم** ...﴾ إلىٰ آخر السورة . يعني : من مات من الذين كفروا فقد يئس الأحياء من الذين كفروا أن يرجعوا إليهم أو يبعثهم الله -عز وجل- .

قال الحسن البصري : ﴿ **كما يئس الكفار من أصحاب القبور** ﴾ قال : الكفار الأحياء قد يئسوا من الأموات .

وقال قتادة : كما يئس الكفار أن يرجع إليهم أصحاب القبور الذين ماتوا . وكذا قال الضحاك . رواهن ابن جرير. والقول الثاني معناه كما يئس الكفار الذين هم في القبور من كل خير .

قال الأعمش ، عن أبي الضحىٰ ، عن مسروق ، عن ابن مسعود : ﴿ **كما يئس الكفار من أصحاب القبور** ﴾ ، قال : كما يئس هذا الكافر إذا مات وعاين ثوابه واطلع عليه وهذا قول مجاهد ، وعكرمة ، ومقاتل ، وابن زيد ، والكلبي ، ومنصور . وهو اختيار ابن جرير .

[**آخر تفسير سورة الممتحنة ولله الحمد**] .

☆ ☆ ☆

---

[١] - بياض في : ز .

تفسير سورة الصف

وهي مدنية

قال الإمام أحمد(١) - رحمه الله - : حدثنا يحيىٰ بن آدم ، حدثنا ابن المبارك ، عن الأوزاعي ، عن يحيىٰ بن أبي كثير ، عن أبي سلمة - و[١]عن عطاء بن يسار ، عن أبي سلمة ، عن عبد اللَّه بن سلام قال : تذاكرنا : أيكم يأتي رسول اللَّه - صلىٰ اللَّه عليه وسلم - فيسأله : أي الأعمال أحب إلىٰ اللَّه ؟ فلم يقم منا أحد ، فأرسل رسولُ اللَّه - صلىٰ اللَّه عليه وسلم - إلينا رجلًا ، فجمعنا فقرأ علينا هذه السورة ، يعني سورة الصف كلها . هكذا رواه الإمام أحمد .

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا العباس بن الوليد بن مَزْيد البيروتي قراءة قال : أخبرني أبي ، سمعت الأوزاعي ، حدثني يحيىٰ بن أبي كثير ، حدثني أبو سلمة بن عبد الرحمن ، حدثني عبد اللَّه بن سلام أن أناسًا من أصحاب رسول اللَّه - صلىٰ اللَّه عليه وسلم - قالوا : لو أرسلنا إلىٰ رسول اللَّه نسأله عن أحب الأعمال إلىٰ اللَّه -عز وجل- ؟ فلم يذهب إليه أحد منَّا ، وهبْنا أن نسأله عن ذلك ، قال : فدعا رسول اللَّه - صلىٰ اللَّه عليه وسلم - أولئك النفر رجلًا رجلًا حتىٰ جمعهم ، ونزلتْ فيهم هذه السورة : (سبح) الصف - قال عبد اللَّه بن سلام : فقرأها علينا رسول اللَّه - صلىٰ اللَّه عليه وسلم - كلها . [قال أبو سلمة : وقرأها علينا عبد اللَّه بن سلام كلها][٢] . قال يحيىٰ بن أبي كثير : وقرأها علينا أبو سلمة كلها[٣] . قال الأوزاعي : وقرأها علينا يحيىٰ بن أبي كثير كلها قال أبي : وقرأها علينا الأوزاعي كلها .

وقد رواه الترمذي(٢) عن عبد اللَّه بن عبد الرحمن الدارمي : حدثنا محمد بن كثير ، عن الأوزاعي ، عن يحيىٰ بن أبي[٤] كثير ، عن أبي سلمة ، عن عبد اللَّه بن سلام قال : قعدنا نفرًا من أصحاب رسول اللَّه - صلىٰ اللَّه عليه وسلم - فتذاكرنا ، فقلنا : لو نعلم أي الأعمال أحب إلىٰ اللَّه - عز وجل - لعملناه . فأنزل اللَّه : ﴿ **سبح للَّه ما في السموات وما في الأرض وهو العزيز الحكيم يا أيها الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون** ﴾ - قال عبد اللَّه بن سلام : فقرأها علينا رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم . قال أبو سلمة : فقرأها

(١) - **صحيح** ، أخرجه أحمد (٥/٤٥٢) (٢٣٩٠١) .

(٢) - **صحيح** ، أخرجه الترمذي في كتاب التفسير ، باب : ومن سورة الصف ، حديث (٣٣٠٦) . وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢٦٣٦) .

[١] - سقط من : ز، خ .

[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ.

[٣] - سقط من : ز ، خ.

[٤] - سقط من : ز، خ .

علينا ابن سلام . قال يحيىٰ : فقرأها علينا أبو سلمة . قال ابن كثير : فقرأها علينا الأوزاعي . قال عبد اللّٰه : فقرأها علينا ابن كثير .

ثم قال الترمذي(٣) : وقد خولف محمد بن كثير في إسناد هذا الحديث عن الأوزاعي ، فرویٰ ابن المبارك ، عن الأوزاعي ، عن يحيىٰ بن أبي كثير ، عن هلال بن أبي ميمونة ، عن عطاء بن يسار ، عن عبد اللّٰه بن سلام - أو : عن أبي سلمة ، عن عبد اللّٰه بن سلام .

قلت : وهكذا رواه الإمام أحمد عن يعمر[١] عن ابن المبارك به .

قال الترمذي : وروىٰ الوليد بن مسلم هذا الحديث عن الأوزاعي نحو رواية محمد بن كثير .

قلت : وكذا رواه الوليد بن يزيد عن الأوزاعي ، كما رواه ابن كثير .

قلت : وقد أخبرني بهذا الحديث الشيخ المسند أبو العباس أحمد بن أبي طالب الحجار قراءةً عليه ، وأنا أسمع ، أخبرنا أبو المُنَجّا عبد اللّٰه بن عمر بن اللَّتيّ ، أخبرنا أبو الوقت عبدالأول بن عيسىٰ بن شعيب السجزي قال : أخبرنا أبو الحسن عبد الرحمن بن المظفر بن محمد بن داود الداودي أخبرنا أبو محمد عبد الله بن أحمد بن حمويه السرخسي أخبرنا عيسىٰ بن عُمَر بن عمران السمرقندي ، أخبرنا الإمام الحافظ أبو محمد عبد اللّٰه بن عبدالرحمن الدارميّ(٤) بجميع مسنده ، أخبرنا محمد بن كثير ، عن الأوزاعي ... فذكر بإسناده مثله ، وتسلسل لنا[٢] قراءتها إلىٰ[٣] شيخنا أبي العباس الحجار ، ولم يقرأها لأنه كان أميًّا ، وضاق الوقت عن تلقينها إياه . ولكن أخبرني الحافظ الكبير أبو عبد اللّٰه محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي - رحمه اللّٰه - : أخبرنا القاضي تقي الدين سليمان ابن الشيخ أبي عمر ، أخبرنا أبو المُنَجّا بن اللَّتيّ ... فذكره بإسناده ، وتَسلل لي من طريقه ، وقرأها عليّ بكمالها ، وللّٰه الحمد والمنة .

سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿١﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ
ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ﴿٢﴾ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا
لَا تَفۡعَلُونَ ﴿٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفّٗا كَأَنَّهُم

(٣) - أخرجه أحمد (٤٥٢/٥) (٢٣٩٠٢) بنحو رواية الترمذي السابقة .

(٤) - أخرجه الدارمي في كتاب الجهاد ، باب : الجهاد في سبيل الله أفضل الأعمال ، حديث (٢٣٩٥) (٢/ ١٢٠) وانظر ما سبق .

[١] - في ز ، خ: « معمر » . [٢] - في ز ، خ: « إلى » .

[٣] - في ز : « أي » .

بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ ﴿٤﴾

تقدم الكلام علىٰ قوله : ﴿ **سبح لله ما في السموات وما في الأرض وهو العزيز الحكيم** ﴾ غير مرة ، بما أغنىٰ عن إعادته .

وقوله: ﴿ **يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون** ﴾ إنكار على من يَعِدُ عِدَةً ، أو يقول قولًا لا يفي به ، ولهذا استدل بهذه الآية الكريمة [من ذهب][١] من علماء السلف إلىٰ أنه يجب الوفاء بالوعد مطلقًا ، سواء ترتب عليه غُرم للموعود أم[٢] لا . واحتجوا أيضًا من السنة بما ثبت في الصحيحين(٥) أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم؛ قال : « **آية المنافق ثلاث : إذا حدث كذب ، وإذا وعد أخلف ، وإذا اؤتُمِنَ خان** » . وفي الحديث الآخر في الصحيح(٦) : « **أربع من كنَّ فيه كان منافقًا خالصًا ، ومن كانت فيه واحدة منهن كانت فيه خصلة من نفاق حتىٰ يدعها** » . فذكر منهن إخلاف الوعد . وقد استقصينا الكلام علىٰ هذين الحديثين في أول « **شرح البخاري** » ، ولله الحمد والمنة ؛ ولهذا أكد تعالىٰ هذا الإنكار عليهم بقوله : ﴿ **كَبُرَ مقتًا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون** ﴾ .

وقد روىٰ الإمام أحمد(٧) وأبو داود عن عبد الله بن عامر بن ربيعة ؛ قال: أتانا رسول الله صلى الله عليه وسلم [في بيتنا][٣] وأنا صبي، قال : فذهبت لأخرج ولألعب ، فقالت أمي : يا عبد الله ؛ تعال أعطك . فقال لها رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **وما أردت أن تُعطيه ؟** » قالت : تمرًا . فقال : « **أما إنك لو لم تفعلي كُتبت عليك كذبة** » .

وذهب الإمام مالك رحمه الله إلىٰ أنه إذا تعلق بالوعد غُرم علىٰ الموعود وجب الوفاء به ، كما لو قال لغيره : « **تزوج ولك عليَّ كل يوم كذا** » فتزوج ، وجب عليه أن يعطيه ما دام

(٥) - أخرجه البخاري في كتاب الإيمان ، باب : علامة المنافق ، حديث (٣٣) (٨٩/١) وأطرافه في [٢٦٨٢، ٢٧٤٩، ٦٠٩٥] ، ومسلم في كتاب الإيمان ، باب : بيان خصال المنافق ، حديث (١٠٧ - ٥٩/١١٠) (٦٢/٢ - ٦٤) .

(٦) - أخرجه البخاري في الموضع السابق برقم (٣٤) ، ومسلم في الموضع السابق عنده أيضًا برقم (١٠٦/ ٥٨) (٦١/٢ - ٦٢) .

(٧) - أخرجه أحمد (٤٤٧/٣) (١٥٧٤٤) . وأبو داود في باب : التشديد في الكذب ، حديث (٤٩٩١) (٢٩٨/٤) . كلاهما من طريق مولى من موالي عبد الله بن عامر عن عبد الله بن عامر - رضي الله عنه - به . وإسناده ضعيف لجهالة هذا المولى ؛ إلا أن الشيخ الألباني أورده في الصحيحة (٧٤٨) لشواهده .

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ.
[٢] - في ز ، خ: « أو » .
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ.

كذلك ؛ لأنه تعلق به حق آدمي ، وهو مبنيٌّ علىٰ المضايقة .

وذهب الجمهور إلىٰ[١] أنه لا يجب مطلقًا ، وحملوا الآية علىٰ أنها نزلت حين تمنوا فَرضيّة الجهاد عليهم ، فلما فرض نكل عنه بعضهم ، كقوله تعالىٰ : ﴿ **ألم تر إلىٰ الذين قيل لهم كفوا أيديكم وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة فلما كتب عليهم القتال إذا فريق منهم يخشون الناس كخشية اللّٰه أو أشد خشية وقالوا ربنا لم كتبت علينا القتال لولا أخرتنا إلىٰ أجل قريب قل متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقىٰ ولا تظلمون فتيلًا أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة** ﴾ . وقال تعالىٰ : ﴿ **ويقول الذين آمنوا لولا نُزّلت سورة فإذا أنزلت سورة محكمة وذكر فيها القتال رأيت الذين في قلوبهم مرض ينظرون إليك نظر المغشي عليه من الموت** ...﴾ الآية . وهكذا هذه الآية معناها ، كما قال عليّ بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون** ﴾ ، قال : كان ناس من المؤمنين قبل أن يفرض الجهاد يقولون : لَوَدِدْنا أن اللّٰه - عز وجل - دلنا علىٰ أحب الأعمال إليه ، فنعمل به ، فأخبر اللّٰه نبيه أن أحب الأعمال : إيمانٌ باللّٰه[٢] لا شك فيه ، وجهاد أهل معصيته الذين خالفوا الإيمان ولم يقروا به .

فلما نزل الجهاد كره ذلك أناس من المؤمنين ، وشق عليهم أمره ، فقال اللّٰه سبحانه : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون** ﴾ . وهذا اختيار ابن جرير .

وقال مقاتل بن حَيّان : قال المؤمنون : لو نعلم أحبّ الأعمال إلىٰ اللّٰه لعملنا به . فدلهم اللّٰه علىٰ أحب الأعمال إليه ، فقال : ﴿ **إن اللّٰه يحب الذين يقاتلون في سبيله صفًّا** ﴾ ، فبين لهم ، فابتلوا يوم أحد بذلك ، فولوا عن النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم مدبرين ، فأنزل اللّٰه في ذلك : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون** ﴾ ؟ وقال : أحبكم إليّ من قاتل في سبيلي .

ومنهم من يقول : أنزلت في شأن القتال . يقول الرجل : قاتلت ، ولم يقاتل . وطعنت ، ولم يطعن . وضربت ، ولم يضرب . وصبرت ، ولم يصبر .

وقال قتادة والضحاك : نزلت توبيخًا لقوم كانوا يقولون : قتلنا ، ضربنا ، طعنا ، وفعلنا . ولم يكونوا فعلوا ذلك .

وقال ابن زيد : نزلت في قوم من المنافقين كانوا يعدون المسلمين النصر ، ولا يوفون لهم بذلك .

وقال مالك عن زيد بن أسلم : ﴿ **لم تقولون ما لا تفعلون؟** ﴾ قال : في الجهاد .

---

[١] - في ز ، خ: « على » . [٢] - في ت : « به » .

وقال ابن أبي نجيح عن مجاهد : ﴿ **لم تقولون ما لا تفعلون** ﴾ إلىٰ قوله : ﴿ **كأنهم بنيان مرصوص** ﴾ [فما بين ذلك][١] في نفر من الأنصار ، فيهم عبد اللّٰه بن رواحة ، قالوا في مجلس : لو نعلم أيّ الأعمال أحبّ إلىٰ اللّٰه ، لعملنا بها حتىٰ نموت . فأنزل اللّٰه هذا فيهم . فقال عبد اللّٰه بن رواحة : لا أبرح حبيسًا في سبيل اللّٰه حتىٰ أموت . فقتل شهيدًا .

وقال ابن أبي حاتم(٨) : حدثنا أبي ، حدثنا فروة بن أبي المغراء ، حدثنا عليّ بن مسهر ، عن داود بن أبي هند ، عن أبي حَرْب بن[٢] أبي الأسود الدِّيلي ، عن أبيه ؛ قال : بعث أبو موسىٰ إلىٰ قراء أهل البصرة ، فدخل عليه منهم ثلاثمائة رجل ، كلهم قد قرأ القرآن ، فقال : أنتم قراء أهل البصرة وخيارهم . وقال : كنا نقرأ سورة كنا نشبهها بإحدىٰ المسبحات ، فأنسيناها ، غير أني قد حفظت منها : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون** ﴾ . فتكتب شهادة في أعناقكم ، فتسألون عنها يوم القيامة .

ولهذا قال تعالىٰ : ﴿ **إن اللّٰه يحب الذين يقاتلون في سبيله صفًّا كأنهم بنيان مرصوص** ﴾ . فهذا إخبار منه تعالىٰ بمحبة عباده المؤمنين إذا اصطفوا مواجهين لأعداء اللّٰه في حومة الوغىٰ ، يقاتلون في سبيل اللّٰه مَن كفر باللّٰه ، لتكون كلمة اللّٰه هي العليا ، ودينه هو الظاهر العالي علىٰ سائر الأديان .

قال الإمام أحمد (٩) : حدثنا عليّ بن عبد اللّٰه ، حدثنا هشيم ، قال : مجالد أخبرنا عن أبي الودَّاك ، عن أبي سعيد الخدري – رضي اللّٰه عنه – قال : قال رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **ثلاثة يضحك اللّٰه إليهم : الرجل يقوم من الليل ، والقوم إذا صفوا للصلاة ، والقوم إذا صفوا للقتال** » .

ورواه ابن ماجة من حديث مجالد عن أبي الوداك جبر بن نوف به .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا أبو نعيم الفضل بن دكين ، حدثنا الأسود – يعني : ابن شيبان – حدثني يزيد بن عبد اللّٰه بن الشخير ، قال : قال مُطَرِّف : كان يبلغني

(٨) – إسناده رجاله ثقات .

(٩) – أخرجه أحمد (٨٠/٣) (١١٧٧٧) . وابن ماجة في « المقدمة » ، باب : فيما أنكرت الجهمية ، حديث (٢٠٠) (٧٣/١) . وفي إسناده مجالد وهو ابن سعيد : ليس بالقوي . قال البوصيري في الزوائد (٨٧/١) : هذا إسناد فيه مقال : مجالد بن سعيد وإن أخرج له مسلم ، فإنما روى له مقرونًا بغيره . قال ابن عدي : عامة ما يرويه غير محفوظ . وعبد الله بن إسماعيل ، قال أبو حاتم : مجهول ، وذكره في الميزان . انتهى .

[١] – ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ.

[٢] – في ز ، خ: « عن ابن » .

عن أبي ذر حديث كنت أشتهي لقاءه ، فلقيته فقلت : يا أبا ذر ، كان يبلغني عنك حديث ، فكنت أشتهي لقاءك. فقال: لله أبوك ! فقد لقيت ، فهات . فقلت : كان يبلغني عنك أنك تزعم أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم حدثكم أن الله يحب ثلاثة ويبغض ثلاثة ؟ قال : أجل ، فلا إخالني أكذب علىٰ خليلي صلىٰ الله عليه وسلم ! قلت : فمن هؤلاء الثلاثة الذين يحبهم الله ؟ قال : رجل غزا في سبيل الله ، خرج محتسبًا مجاهدًا فلقي العدو فقتل ، وأنتم تجدونه في كتاب الله المنزل ، ثم قرأ : ﴿ **إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفًا كأنهم بنيان مرصوص** ﴾ ... وذكر الحديث .

هكذا أورد هذا الحديث من هذا الوجه بهذا السياق ، وبهذا اللفظ ، واختصره .

وقد أخرجه الترمذي(١٠) والنسائي من حديث شعبة ، عن منصور بن المعتمر ، عن ربعي ابن حِرَاش[١] ، عن زيد بن ظَبْيان ، عن أبي ذَر بأبسط من هذا السياق وأتم . وقد أوردناه في مواضع أخر ، ولله الحمد .

وعن كعب الأحبار أنه قال : يقول الله تعالىٰ لمحمد صلىٰ الله عليه وسلم : عبدي المتوكل المختار ليس بفظ ولا غليظ ، ولا صخاب في الأسواق ، ولا يجزي بالسيئة السيئة ، ولكن يعفو ويغفر ، مولده بمكة ، وهجرته بطابة ، وملكه بالشام ، وأمته الحمادون[٢] يحمدُون الله علىٰ كلّ حال ، وفي كل منزلة ، لهم دويّ كدويّ النحل في جو السماء بالسحَر ، يُوَضّون أطرافهم ، ويأتزرون علىٰ أنصافهم ، صفهم في القتال مثل صفهم في الصلاة ، ثم قرأ : ﴿ **إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفًا كأنهم بنيان مرصوص** ﴾ ، رعاة الشمس ، يصلون الصلاة حيث أدركتهم ، ولو علىٰ ظهر دابة[٣] . رواه ابن أبي حاتم .

---

(١٠) - أخرجه الترمذي في كتاب صفة الجنة ، باب : ثلاثة يحبهم الله ، حديث (٢٥٧٠) (٢٤٢/٧) من طريق الأعمش عن منصور ، وحديث (٢٥٧١) من طريق شعبة . والنسائي (٢٠٧/٣) ، (٨٤/٥) من طريق شعبة . وفي إسناده زيد بن ظبيان ، قال الحافظ : مقبول . قال الترمذي : هذا حديث غريب من هذا الوجه ، وهو غير محفوظ - يعني طريق ابن عياش عن الأعمش - والصحيح ما روى شعبة وغيره عن منصور عن ربعي بن خراش عن زيد بن ظبيان عن أبي ذر عن النبي - صلى الله عليه وسلم .
وأبو بكر بن عياش كثير الغلط .
وقال بعد الثاني : حسن صحيح .
والحديث ضعفه الألباني في ضعيف سنن الترمذي (٤٧١ - ٢٧٠٦) ، (٤٧٢ - ٢٧٠٩) .

---

[١] - في ز ، خ: « خراش » .
[٢] - في ز ، خ: « الحامدون » .
[٣] - في ز ، خ: « دابته » .

وقال سعيد بن جبير في قوله : ﴿ **إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفًّا** ﴾ ، قال : كان رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم لا يقاتل العدو إلا أن يصافهم ، وهذا تعليم من الله للمؤمنين . قال : وقوله : ﴿ **كأنهم بنيان مرصوص** ﴾ : ملتصق بعضه في بعض ، من الصف في القتال .

وقال مقاتل بن حيان : ملتصق بعضه إلى بعض .

وقال ابن عباس : ﴿ **كأنهم بنيان مرصوص** ﴾ : مُثَبّت ، لا يزول ، ملصق بعضه ببعض .

وقال قتادة : ﴿ **كأنهم بنيان مرصوص** ﴾ : ألم تر إلىٰ صاحب[١] البنيان ، كيف لا يحب أن يختلف بنيانه ؟ فكذلك الله - عز وجل - لا[٢] يختلف أمره ، وإن الله صف المؤمنين في قتالهم وصفَّهم في صلاتهم ، فعليكم بأمر الله ، فإنه عصمة لمن أخذ به . أورد ذلك كله ابن أبي حاتم .

وقال ابن جرير (١١) : حدثني سعيد بن عَمرو السكوني ، حدثنا بقية بن الوليد ، عن أبي بكر بن أبي مريم ، عن يحيىٰ بن جابر الطائي ، عن أبي بحريَّة ؛ قال : كانوا يكرهون القتال علىٰ الخيل ، ويستحبون القتال علىٰ الأرض ، لقول الله -عز وجل- : ﴿ **إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفًّا كأنهم بنيان مرصوص** ﴾ ، قال : وكان أبو بحرية يقول : إذا رأيتموني التفتُّ في الصف فَجِئُوا في لَحْيي .

﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ ۖ فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٥﴾ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٦﴾ ﴾

يقول تعالىٰ مخبرًا عن عبده ورسوله وكليمه موسىٰ بن عمران - عليه السلام - : إنه قال لقومه : ﴿ **لم تؤذونني وقد تعلمون أني رسول الله إليكم** ﴾ ، أي : لم توصلون الأذىٰ إليّ ، وأنتم تعلمون صدقي فيما جئتكم به من الرسالة ؟ وفي هذا تسلية لرسول الله صلىٰ الله عليه وسلم فيما أصاب من الكفار من قومه وغيرهم ، وأمرٌ له بالصبر ؛ ولهذا قال : « **رحمة**

(١١) - أخرجه الطبري (٢٨/٨٦) وفي إسناده بقية بن الوليد وهو مدلس .

[١] - في ز، خ : « أصحاب » . [٢] - في ز ، خ: « أن » .

اللّٰه علىٰ موسى ، لقد أوذي بأكثر من هذا فصبر »(١٢) .

وفيه نهي للمؤمنين أن ينالوا من النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم أو يُوَصِّلوا إليه أذى ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسىٰ فبرأه اللّٰه مما قالوا وكان عند اللّٰه وجيهًا** ﴾ .

وقوله : ﴿ **فلما زاغوا أزاغ اللّٰه قلوبهم** ﴾ ، أي : فلما عدلوا عن اتباع الحق مع علمهم به ، أزاغ اللّٰه قلوبهم عن الهدىٰ ، وأسكنها الشك والحيرة والخذلان ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة ونذرهم في طغيانهم يعمهون** ﴾ . وقال : ﴿ **ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدىٰ [ويتبع غير سبيل المؤمنين]**[١] **نوله ما تولىٰ ونصله جهنم وساءت مصيرًا** ﴾ ؛ ولهذا قال تعالىٰ في هذه الآية : ﴿ **واللّٰه لا يهدي القوم الفاسقين** ﴾ .

وقوله : ﴿ **وإذ قال عيسىٰ ابن مريم يا بني إسرائيل إني رسول اللّٰه إليكم مصدقًا لما بين يدي من التوراة ومبشرًا برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد** ﴾ . يعني : التوراة قد بَشَّرت بي ، وأنا مصداقُ ما أخبرت عنه ، وأنا مُبَشر بمن بعدي ، وهو الرسول النبي الأمي العربي المكي أحمد . فعيسىٰ - عليه السلام - هو خاتم أنبياء بني إسرائيل ، وقد أقام في ملإ بني إسرائيل مبشرًا بمحمد ، وهو أحمد خاتم الأنبياء والمرسلين ، الذي لا رسالة بعده ولا نبوة . وما أحسن ما أورد البخاري(١٣) الحديث الذي قال فيه :

حدثنا أبو اليمان ، حدثنا شعيب ، عن الزهري؛ قال : أخبرني محمد بن جُبَير بن مُطعم ، عن أبيه؛ قال : سمعت رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم؛ يقول : « **إن لي أسماء : أنا محمد ، وأنا أحمد ، وأنا الماحي الذي يَمحو اللّٰه به الكفر ، وأنا الحاشر الذي يُحشر الناس علىٰ قدمي ، وأنا العاقب** » .

ورواه مسلم من حديث الزهري به نحوه .

وقال أبو داود الطيالسي(١٤) : حدثنا المسعودي ، عن عمرو بن مُرّة ، عن أبي عُبَيدة ،

(١٢) - أخرجه البخاري في كتاب المغازي ، باب : غزوة الطائف ، حديث (٤٣٣٥، ٤٣٣٦) (٨/٥٥) .

(١٣) - أخرجه البخاري في كتاب التفسير ، باب : ﴿ **يأتي من بعدى اسمه أحمد** ﴾ ، حديث (٤٨٩٦) (٨/ ٦٤٠، ٦٤١) . ومسلم في كتاب الفضائل ، باب : في أسمائه - صلى الله عليه وسلم - حديث (١٢٤، ١٢٥/ ٢٣٥٤) (١٥/١٥٢ - ١٥٤) .

(١٤) - أخرجه الطيالسي في مسنده (٦٧) برقم (٤٩٢) وليس عند الطيالسي « نبي الرحمة » ، وهى =

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز، خ .

عن أبي موسىٰ؛ قال: سمىٰ لنا رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم نفسه أسماء، منها ما حفظنا، فقال: «**أنا محمد، و[ ][1] أحمد، والحاشر، والمقفي، ونبي الرحمة، والتوبة، والملحمة**». ورواه مسلم(١٥) من حديث الأعمش عن عمرو بن مرة به.

وقد قال الله تعالىٰ: ﴿ **الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوبًا عندهم في التوراة والإنجيل** ﴾ .. الآية. وقال تعالىٰ: ﴿ **وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لَمَا آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أأقررتم وأخذتم علىٰ ذلكم إصري قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين** ﴾. قال ابن عباس: ما بعث الله نبيًا إلا أخذ عليه العهد: لئن بعث محمد وهو حي ليتبعنه، وأخذ عليه أن يأخذ علىٰ أمته لئن بعث محمد وهم أحياء ليتبعنه وينصرنه.

وقال محمد بن إسحاق(١٦): حدثني ثور بن يَزيد، عن خالد بن مَعْدَان، عن أصحاب رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم أنهم قالوا: يا رسول الله؛ أخبرنا عن نفسك. قال: «**دعوة أبي إبراهيم، وبشرىٰ عيسىٰ، ورأت أمي حين حملت بي كأنه خرج منها نور أضاءت له قصور بصرىٰ من أرض الشام**». وهذا إسناد جيد، وروي له شواهد من وجوه أخر، فقال الإمام أحمد(١٧):

حدثنا عبد الرحمن بن مهدي، حدثنا معاوية بن صالح، عن سعيد بن سُوَيد الكلبي، عن عبد الأعلىٰ بن هلال السلمي، عن العرباض بن سارية؛ قال: قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم: «**إني عند الله لخاتم النبيين، وإن آدم لمنجدل في طينته، وسأنبئكم بأول ذلك: دعوة أبي إبراهيم، وبشارة عيسىٰ بي، ورؤيا أمي التي رأت، وكذلك أمهات النبيين يَرَين**».

= عند مسلم وليس عنده «نبي الملحمة».

(١٥) - هو عند مسلم في كتاب الفضائل، باب: في أسمائه - صلى الله عليه وسلم - حديث (١٢٦/ ٢٣٥٥) (١٥٤/١٥).

(١٦) - سيرة ابن هشام (١٠٧/١ وما بعدها) وإسناده ثقات وابن إسحاق صرح بالتحديث إلا أن خالد بن معدان يرسل كثيرًا.

(١٧) - أخرجه أحمد (١٢٧/٤) (١٧٢٠٠). وفي إسناده سعيد بن سويد؛ ذكره ابن حبان في الثقات، وقال البخاري: لم يصح حديثه - يعني هذا الحديث -، وخالفه ابن حبان والحاكم فصححاه. «التعجيل» (١٥٢). وعبد الأعلى بن هلال: ذكره ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل (٢٥/٦) ولم يذكر فيه جرحًا ولا تعديلًا.

---

[1] - في ز، خ: «أنا».

وقال أحمد أيضًا(١٨) : حدثنا أبو النضر ، حدثنا الفرج بن فضالة ، حدثنا لقمان بن عامر؛ قال : سمعت أبا أمامة؛ قال : قلت : يا نبيّ الله ، ما كان بدء أمرك ؟ قال : **« دعوة أبي إبراهيم ، وبشرىٰ عيسىٰ ، ورأت أمي أنه يخرجُ منها نورٌ أضاءت له قصورُ الشام »** .

وقال أحمد أيضًا(١٩) : حدثنا حسن بن موسىٰ ، سمعت حُدَيجًا[١] أخا زهير بن معاوية ، عن أبي إسحاق ، عن عبد الله بن عتبة ، عن عبد الله بن مسعود؛ قال : بعثنا رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم إلىٰ النجاشي ونحن نحوٌ من ثمانين رجلًا ، منهم: عبد الله بن مسعود، وجعفر، وعبد الله بن عرفطة[٢] ، وعثمان بن مظعون ، وأبو موسىٰ . فأتوا النجاشي ، وبعَثت قريش عَمرو بن العاص، وعمارة بن الوليد بهدية ، فلما دخلا على النجاشي سَجَدا له ، ثم ابتدراه عن يمينه وعن شماله ، ثم قالا له : إن نفرًا من بني عمنا نزلوا أرضك ، ورغبوا عنا وعن ملتنا . قال : فأين هم ؟ قالا : هم في أرضك ، فابعث إليهم . فبعث إليهم ، فقال جعفر : أنا خطيبكم اليوم . فاتبعوه فسلّم ولم يسجد ، فقالوا له : مالك لا تسجد للملك ؟ قال : إنا لا نسجد إلا لله -عز وجل- قال : وما ذاك ؟ قال : إن الله بعث إلينا رسوله فأمرنا أن لا نسجد لأحد إلا لله - عز وجل - وأمرنا بالصلاة والزكاة . قال عمرو بن العاص : فإنهم يخالفونك في عيسىٰ ابن مريم . قال : ما تقولون في عيسىٰ ابن مريم وأمه ؟ قالوا : نقول كما قال الله عز وجل : هو كلمة الله وروحه ألقاها إلىٰ العذراء البَتُول التي لم يمسها بشر، ولم يفرضها ولد . قال : فرفع عودًا من الأرض ثم قال : يا معشر الحبشة والقسيسين والرهبان ؛ والله ما يزيدون عليٰ الذي نقول فيه ما يساوي هذا ، مرحبًا بكم وبمن جئتم من عنده ، أشهد أنه رسول الله ، وأنه الذي نجد في الإنجيل ، وأنه الذي بشر به عيسىٰ ابن مريم . انزلوا حيث شئتم ، والله لولا ما أنا فيه من الملك لأتيته حتىٰ أكون أنا أحمل

(١٨) - أخرجه أحمد (٢٦٢/٥) (٢٢٣٦١) . وفي إسناده فرج بن فضالة وهو ضعيف . قال الهيثمي في «مجمع الزوائد » (٢٢٥/٨) : رواه أحمد وإسناده حسن وله شواهد تقويه .اهـ .

(١٩) - أخرجه أحمد (٤٦٠/١) (٤٤٠٠) . وفي إسناده خديج بن معاوية ، قال أبو حاتم : محله الصدق ، وليس مثل أوخويه ، في بعض حديثه ضعف ، يكتب حديثه . وقال البخاري يتكلمون في بعض حديثه . وقال النسائي : ضعيف . اهـ من تهذيب الكمال . وقال الحافظ : صدوق يخطئ . وأبو إسحاق السبيعي مدلس وقد عنعن . قال ابن كثير في البداية والنهاية (٨٨/٣) بعد إيراده لهذا الحديث : وهذا إسناد جيد قوي ، وسياق حسن ، وفيه ما يقتضي أن أبا موسى كان ممن هاجر من مكة إلى أرض الحبشة ، إن لم يكن ذكره مدرجًا من بعض الرواة ، والله أعلم ، وقد روي عن أبي إسحاق السبيعي من وجه آخر .اهـ . راجع البداية والنهاية للمصنف (٨٤/٣ وما بعدها) .

[١] - في ز ، خ: « خديجًا » . [٢] - بياض في : ز ، خ.

نعليه وأوضئه . وأمَرَ بهدية الآخرَين فردّت إليهما ، ثم تعجل عبد الله بن مسعود حتىٰ أدرك بدرًا ، وزعم أن النبي صلىٰ الله عليه وسلم استغفر له حين بلغَه موته .

وقد رُويت هذه القصةُ عن جعفر وأم سلمة -رضي الله عنهما- وموضع ذلك كتاب السيرة . والقصد[١] أن الأنبياء - عليهم السلام - لم تزل تنعته وتحكيه في كتبها علىٰ أممها ، وتأمرهم باتباعه ونصره وموازرته إذا بعث ، وكان ما اشتهر الأمر في أهل الأرض علىٰ لسان إبراهيم الخليل والد[٢] الأنبياء بعده ، حين دعا لأهل مكة أن يبعث الله فيهم رسولًا منهم ، وكذا علىٰ لسان عيسىٰ ابن مريم ؛ ولهذا قالوا : « **أخبِرنا عن بَدْء أمرك** » . يعني في الأرض ، قال : « **دعوة أبي إبراهيم ، وبشارة عيسىٰ ابن مريم ، ورؤيا أمي التي رأت** » . أي : ظهر في أهل مكة أثر ذلك ، والإرهاص[٣] بذكره صلوات الله وسلامه عليه .

وقوله : ﴿ **فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين** ﴾ ، قال ابن جريج وابن جرير : ﴿ **فلما جاءهم** ﴾ أحمد ، أي : المبشر به في الأعصار المتقادمة ، المنوه بذكره في القرون السالفة ، لما ظهر أمره وجاء بالبينات قال الكفرة المخالفون : ﴿ **هذا سحر مبين** ﴾ .

وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَىٰٓ إِلَى ٱلْإِسْلَٰمِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧﴾ يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٩﴾

يقول تعالىٰ : ﴿ **ومن أظلم ممن افترىٰ علىٰ الله الكذب وهو يدعىٰ إلىٰ الإسلام** ﴾ ، أي : لا أحد أظلم ممن يفتري الكذب علىٰ الله ، ويجعل له أندادًا وشركاء ، وهو يدعىٰ إلىٰ التوحيد والإخلاص ؛ ولهذا قال : ﴿ **والله لا يهدي القوم الظالمين** ﴾ .

ثم قال : ﴿ **يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم** ﴾ ، أي : يحاولون أن يَرُدوا الحق بالباطل ، ومثلهم في ذلك كمثل من [يريد أن][٤] يطفئ شعاع الشمس بفيه ، وكما أن هذا مستحيل كذلك[٥] ذاك مستحيل ؛ ولهذا قال : ﴿ **والله متم نوره ولو كره الكافرون * هو الذي أرسل رسوله بالهدىٰ ودين الحق ليظهره علىٰ الدين كله ولو كره المشركون** ﴾ ،

---

[١] - في ت : « المقصد » .
[٢] - في ز ، خ: « و » .
[٣] - بياض في : ز، خ .
[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز، خ .
[٥] - في ت : « كذاك » .

وقد تقدم الكلام على هاتين الآيتين في « سورة براءة » بما فيه كفاية، ولله الحمد والمنّة.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾﴾

تقدم في حديث عبد الله بن سلام أن الصحابة - رضي الله عنهم - أرادوا أن يسألوا عن أحب الأعمال إلى الله - عز وجل - ليفعلوه فأنزل الله هذه السورة، ومن جملتها هذه الآية: ﴿ **يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم** ﴾ ثم فسر هذه التجارة العظيمة التي لا تبور، التي هي [متحصل الموجود][١] ومزيلة للمحذور، فقال: ﴿ **تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون** ﴾، أي: من تجارة الدنيا، والكد لها والتصدي لها وحدها.

ثم قال: ﴿ **يغفر لكم ذنوبكم** ﴾، أي: إن فعلتم ما أمرتكم به ودللتكم عليه، غفرت لكم الزلات، وأدخلتكم الجنات، والمساكن الطيبات، والدرجات العاليات؛ ولهذا قال: ﴿ **ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار ومساكن طيبة في جنات عدن ذلك الفوز العظيم** ﴾.

ثم قال: ﴿ **وأخرى تحبونها** ﴾ [أي: وأزيدكم على ذلك زيادة تحبونها][٢]، وهي: ﴿ **نصر من الله وفتح قريب** ﴾ أي: إذا قاتلتم في سبيله ونصرتم دينه، تكفل الله بنصركم، قال الله تعالى: ﴿ **يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم** ﴾ وقال تعالى: ﴿ **ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز** ﴾ وقوله: ﴿ **وفتح قريب** ﴾، أي: عاجل. فهذه الزيادة هي خير الدنيا موصول بنعيم الآخرة، لمن أطاع الله ورسوله ونصر الله ودينه؛ ولهذا قال: ﴿ **وبشر المؤمنين** ﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُوٓاْ أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّۦنَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٌ

---

[١] - ما بين المعكوفتين في ت: « محصلة للمقصود ».

[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من: ز، خ.

﴿ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ ﴾ (١٤)

يقول تعالىٰ آمرًا عباده المؤمنين أن يكونوا أنصار الله في جميع أحوالهم ، بأقوالهم وأفعالهم وأنفسهم وأموالهم ، وأن يستجيبوا لله ولرسوله ، كما استجاب الحواريون لعيسىٰ حين قال : ﴿ **من أنصاري إلىٰ الله** ﴾ ؟ أي : من مُعيني في الدعوة إلىٰ الله عز وجل ؟ ﴿ **قال الحواريون** ﴾ - وهم أتباع عيسىٰ عليه السلام - : ﴿ **نحن أنصار الله** ﴾ ، أي : نحن أنصارك علىٰ ما أرسلتَ به ومُوَازِروك علىٰ ذلك ؛ ولهذا بعثهم دعاةً إلىٰ الناس في بلاد الشام في الإسرائيليين واليونانيين . وهكذا كان رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم يقول في أيام الحج : « **من رجل يُؤويني حتىٰ أبلغ رسالة ربي** ، [**فإن قريشًا قد منعوني أن أبلغ رسالة ربي** »][١](٢٠) حتىٰ قيض الله - عز وجل - له الأوس والخزرج من أهل المدينة ، فبايعوه ووازروه ، وشارطوه أن يمنعوه من الأسود والأحمر إن هو هاجر إليهم ، فلما هاجر إليهم بمن معه من أصحابه وَفَوا له بما عاهدوا الله عليه ، ولهذا سماهم الله ورسوله الأنصارَ ، وصار ذلك علمًا عليهم ، رضي الله عنهم وأرضاهم .

وقوله : ﴿ **فآمنت طائفة من بني إسرائيل وكفرت طائفة** ﴾ أي : لما بلغ عيسىٰ ابن مريم - عليه السلام - رسالة ربه إلىٰ قومه ، و[٢]وازره مَن وازره من الحواريين ، اهتدت طائفة من بني إسرائيل بما جاءهم به ، وضلت طائفة فخرجت عما جاءهم به ، وجحدوا بنبوته[٣] ، ورموه وأمه بالعظائم ، وهم اليهود عليهم لعائن الله المتتابعة إلىٰ يوم القيامة !! وغلت فيه طائفة ممن اتبعه، حتىٰ رفعوه فوق ما أعطاه الله من النبوة ، وافترقوا فِرَقًا وشِيعًا ، فمن قائل منهم: إنه ابن الله ، وقائل : إنه ثالث ثلاثة : الأب ، والابن ، وروح القدس ، ومن قائل: إنه الله . وكل هذه الأقوال مفصلة في سورة النساء .

وقوله : ﴿ **فأيدنا الذين آمنوا علىٰ عدوهم** ﴾ ، أي : نصرناهم علىٰ من عاداهم من فِرق

---

(٢٠) - أخرجه أحمد (٣/٣٢٢ - ٣٢٣) (١٤٤٩٨) ، والبيهقي (٨/١٤٦) كتاب : قتال أهل البغي ، باب : كيفية البيعة ، من طريق أبي الزبير عن جابر مطولًا . وإسناده صحيح ، وصححه ابن حبان (٦٢٧٤) ، والحاكم (٢/٦٢٤ - ٦٢٥) ووافقه الذهبي . وحسنه الحافظ ابن حجر في الفتح (٧/٦٣) . وقد أخرجه أبو داود (٤٧٣٤) ، والترمذي (٢٩٢٦) ، والنسائي في الكبرى (٧٧٢٧) ، وابن ماجة (٢٠١) مختصرًا من طريق سالم عن جابر نحو هذا اللفظ .

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز،خ .

[٢] - سقط من : ز ، خ. [٣] - في ت : « نبوته » .

النصارىٰ ، ﴿ **فأصبحوا ظاهرين** ﴾ أي : عليهم ، وذلك ببعثة محمد صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، كما قال الإمام أبو جعفر بن جرير(٢١) رحمه اللَّه :

حدثني أبو السائب ، حدثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن المنهال - يعني ابن عمرو - عن سعيد بن جُبير ، عن ابن عباس - رضي اللَّه عنهما - قال : لما أراد اللَّه - عز وجل - أن يرفع عيسىٰ إلىٰ السماء ، خرج إلىٰ أصحابه ، وهم في بيت اثنا عشر رجلًا ، من عين في البيت ، ورأسه يقطر ماء ، فقال : إن منكم من يكفر بي اثنتي عشرة مرةً بعد أن آمن بي . قال : ثم قال : أيكم يلقىٰ عليه شبهي فيقتل مكاني ، ويكون معي في درجتي ؟ قال : فقام شاب من أحدثهم سنًّا فقال : أنا . قال : فقال له[١] : اجلس . ثم أعاد عليهم ، فقام الشاب فقال : أنا . فقال له : اجلس . ثم أعاد عليهم فقام الشاب فقال : أنا . فقال : نعم ، أنت ذاك . قال : فألقي عليه شبه عيسىٰ ، ورُفع عيسىٰ - عليه السلام - من روَزنة في البيت إلىٰ السماء ، قال : وجاء الطلَبُ من اليهود ، فأخذوا شِبْهه فقتلوه وصلبوه ، وكفر به بعضهم اثنتي عشرة مرة بعد أن آمن به ، فتفرقوا ثلاث فرق ، قالت فرقة : كان اللَّه فينا ما شاء ، ثم صعد إلىٰ السماء ، وهؤلاء اليعقوبية ، وقالت فرقة : كان فينا ابن اللَّه ما شاء ، ثم رفعه إليه - وهؤلاء النسطورية - وقالت فرقة : كان فينا عبد اللَّه ورسوله ما شاء اللَّه ثم رفعه إليه - وهؤلاء المسلمون - فتظاهرت الكافرتان علىٰ المسلمة ، فقتلوها ، فلم يزل الإِسلام طامسًا حتىٰ بعث اللَّه محمدًا صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، ﴿ **فآمنت طائفة من بني إسرائيل وكفرت طائفة** ﴾ ، يعني : الطائفة التي كفرت من بني إسرائيل في زمن عيسىٰ ، والطائفة التي آمنت في زمن عيسىٰ ، ﴿ **فأيدنا الذين آمنوا علىٰ عدوهم فأصبحوا ظاهرين** ﴾ ، بإظهار محمد صلىٰ اللَّه عليه وسلم دينهم علىٰ دين الكفار ، ﴿ **فأصبحوا ظاهرين** ﴾ .

هذا لفظه في كتابه عند تفسير هذه الآية الكريمة . وهكذا رواه النسائي عند تفسير هذه الآية من سننه ، عن أبي كريب محمد بن العلاء[٢] ، عن أبي معاوية ، بمثله سواء فأمة محمد صلىٰ اللَّه عليه وسلم لا يزالون ظاهرين علىٰ الحق ، حتىٰ يأتي أمر اللَّه وهم كذلك ، وحتىٰ يقاتل آخرهم الدجال مع المسيح عيسىٰ ابن مريم - عليه السلام - كما وردت

---

(٢١) - أخرجه الطبري في تفسيره (٩٢/٢٨) . (٢٢) - والنسائي في الكبرى في كتاب التفسير ، باب : قوله تعالى : ﴿ **فآمنت طائفة من بنى إسرائيل وكفرت طائفة فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم** ﴾ ، حديث (١١٥٩١) (٤٨٩/٦ - ٤٩٠) . والحديث عزاه المصنف في « البداية والنهاية » (١٠٨/٢ - ١٠٩) لأبي حاتم من طريق أحمد بن سنان عن أبي معاويه بهذا الإسناد ثم قال : وهذا إسناد صحيح إلى ابن عباس على شرط مسلم . اهـ .

---

[١] - سقط من : ز ، خ. [٢] - في ز ، خ: « المعلى » .

الأحاديث الصحاح ، والله أعلم .

[**أخر تفسير سورة « الصفّ »** ولله الحمد والمنّة][١] .

☆ ☆ ☆

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ.

تفسير سورة الجمعة

وهي مدنية

عن ابن عباس ، وأبي هريرة : أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم كان يقرأ في صلاة الجمعة بسورة « الجمعة » و« المنافقون[١] » . رواه مسلم في صحيحه⁽¹⁾ .

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ٱلْمَلِكِ ٱلْقُدُّوسِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١﴾ هُوَ ٱلَّذِي بَعَثَ فِي ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾ وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا۟ بِهِمْ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣﴾ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٤﴾

يخبر تعالىٰ أنه يُسَبح له ما في السمٰوات وما في الأرض ، أي : من جميع المخلوقات ناطقها وجامدها ، كما قال : ﴿ **وإن من شيء إلا يسبح بحمده** ﴾ .

ثم قال : ﴿ **الملك القدوس** ﴾ ، أي : هو مالك السمٰوات والأرض ، المتصرف فيهما بحكمه ، وهو ﴿ **القدوس** ﴾ ، أي[٢] : المنزه عن النقائص ، الموصوف بصفات الكمال . ﴿ **العزيز الحكيم** ﴾ تقدم تفسيره غير مرة .

وقوله تعالى : ﴿ **هو الذي بعث في الأميين رسولاً منهم** ﴾ ، الأميون هم : العرب كما قال تعالىٰ : ﴿ **وقل للذين أوتوا الكتاب والأميين أأسلمتم فإن أسلموا فقد اهتدوا وإن تولوا فإنما عليك البلاغ والله بصير بالعباد** ﴾ وتخصيص الأميين بالذكر لا ينفي من عداهم ، ولكن المنة عليهم أبلغ وآكد ، كما في قوله : ﴿ **وإنه لذكر لك ولقومك** ﴾ وهو ذكر لغيرهم[٣] يتذكرون به ، وكذا قوله : ﴿ **وأنذر عشيرتك الأقربين** ﴾ وهذا وأمثاله لا ينافي

(١) أخرجه مسلم في كتاب الجمعة ، حديث (٨٧٧/٦١) (٢٣٦/٦) من حديث أبي هريرة ، رضي الله عنه . وحديث (٨٧٩/٦٤) (٢٣٨/٦ - ٢٣٩) من حديث ابن عباس رضي الله عنه .

[١] - في ز ، خ: « المنافقين » .
[٢] - سقط من : ز، خ .
[٣] - في ت : « لقومهم » .

قوله تعالىٰ : ﴿ **قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعًا** ﴾ . وقوله : ﴿ **لأنذركم به ومن بلغ** ﴾ وقوله إخبارًا عن القرآن : ﴿ **ومن يكفر به من الأحزاب فالنار موعده** ﴾ ، إلىٰ غير ذلك من الآيات الدالة علىٰ عموم بعثته - صلوات الله وسلامه عليه - إلىٰ جميع الخلق ، أحمرهم وأسودهم ، وقد قدمنا تفسير ذلك في سورة الأنعام ، بالآيات والأحاديث الصحيحة ، ولله الحمد والمنة .

وهذه الآية هي مصداق إجابة الله لخليله[١] إبراهيم حين دعا لأهل مكة أن يبعث الله فيهم رسولًا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة . فبعثه الله - سبحانه وتعالىٰ ، وله الحمد والمنة - علىٰ حين فترة من الرسل ، وطُمُوس من السبل ، وقد اشتدت الحاجة إليه ، وقد مقت الله أهل الأرض عربهم وعجمهم ، إلا بقايا من أهل الكتاب - أي : نزرًا يسيرًا - [ممن تمسك][٢] بما بعث الله به عيسىٰ ابن مريم - عليه السلام - ولهذا قال تعالى : ﴿ **هو الذي بعث في الأميين رسولًا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين** ﴾ . وذلك أن العرب كانوا متمسكين بدين إبراهيم - عليه السلام - فبدلوه وغيروه ، وقلبوه[٣] وخالفوه ، واستبدلوا بالتوحيد شركًا ، وباليقين شكًا ، وابتدعوا أشياء لم يأذن بها الله ، وكذلك أهل الكتابين قد بدلوا كتبهم وحرفوها وغيروها[٤] وأولوها ، فبعث الله محمدًا - صلوات الله وسلامه عليه - بشرع عظيم كامل شامل لجميع الخلق ، فيه هدايتهم ، والبيان لجميع ما يحتاجون إليه من أمر معاشهم ومعادهم ، والدعوة لهم إلىٰ ما يقربهم إلىٰ الجنة ، ورضا الله عنهم ، والنهي عما يقربهم إلىٰ النار وسخط الله ، حاكم فاصل لجميع الشبهات والشكوك والريب في الأصول والفروع . وجَمَع له تعالىٰ - وله الحمد والمنة - جميع المحاسن ممن كان قبله ، وأعطاه ما لم يُعطِ أحدًا من الأولين ، ولا يعطيه أحدًا من الآخرين ، فصلوات الله وسلامه عليه إلىٰ يوم الدين .

وقوله : ﴿ **وآخرين منهم لما يلحقوا بهم وهو العزيز الحكيم** ﴾ قال الإمام أبو عبد الله البخاري(٢) - رحمه الله - :

حدثنا عبد العزيز بن عبد الله ، حدثنا سليمان بن بلال ، عن ثور ، عن أبي الغَيث ، عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : كنا جلوسًا عند النبي صلىٰ الله عليه وسلم فأنزلت عليه

---

(٢) - أخرجه البخاري في كتاب التفسير ، باب : سورة الجمعة ، حديث (٤٨٩٧) (٦٤١/٨) وطرفه في [٤٨٩٨] . ومسلم في كتاب : فضائل الصحابة ، باب : في فضل فارس ، حديث =

---

[١] - في ت : « خليله » .

[٢] - ما بين المعكوفتين بياض في : ز . وسقط من خ .

[٣] - سقط من : ز ، خ.

[٤] - سقط من : ز، خ .

سورةُ الجمعة : ﴿ وآخرين منهم لما يلحقوا بهم ﴾ ، قالوا : من هم يا رسول الله ؟ فلم يراجعهم حتىٰ سئل ثلاثًا ، وفينا سلمان الفارسي ، فوضع رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم يده علىٰ سلمان ثم[١] قال : « **لو كان الإيمان عند الثريا لناله رجال - أو : رَجُلٌ - من هؤلاء** » .

ورواه مسلم ، والترمذي ، والنسائي ، وابن أبي حاتم ، وابن جرير ، من طرق عن ثور بن زيد الدّيلي ، عن سالم أبي الغيث ، عن أبي هريرة ، به .

ففي هذا الحديث دليل علىٰ أن هذه السورة مدنية ، وعلىٰ عموم بعثته صلىٰ الله عليه وسلم إلىٰ جميع الناس ، لأنه فسر قوله : ﴿ وآخرين منهم ﴾ بفارس ، ولهذا كتب كتبه إلىٰ فارس والروم وغيرهم من الأمم ، يدعوهم إلىٰ الله - عز وجل - وإلىٰ اتباع ما جاء به ؛ ولهذا قال مجاهد وغير واحد في قوله : ﴿ وآخرين منهم لما يلحقوا بهم ﴾ ، قال : هم الأعاجم ، وكل من صدق النبي صلىٰ الله عليه وسلم من غير العرب .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا إبراهيم بن العلاء الزبيدي ، حدثنا الوليد بن مسلم ، حدثنا أبو محمد عيسىٰ بن موسىٰ ، عن أبي حازم ، عن سهل بن سعد الساعدي ؛ قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **إنّ في أصلاب أصلاب أصلاب رجال [من أصحابي ، رجالًا ونساء]**[٢] **من أمتي يدخلون الجنة بغير حساب** » . ثم قرأ : ﴿ وآخرين منهم لما يلحقوا بهم ﴾ يعني بقية من بقي من أمة محمد صلىٰ الله عليه وسلم .

وقوله : ﴿ وهو العزيز الحكيم ﴾ أي : ذو العزة والحكمة في شرعه وقدره .

وقوله : ﴿ ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء . والله ذو الفضل العظيم ﴾ ، يعني ما أعطاه الله محمدًا صلىٰ الله عليه وسلم من النبوة العظيمة ، وما خص به أمته من بعثته صلىٰ الله عليه وسلم إليهم .

مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا ۚ بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٥﴾ قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ هَادُوٓا۟ إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَآءُ لِلَّهِ مِن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُا۟

= (٢٥٤٦/٢٣١) (١٥١/١٦) . والترمذي في كتاب : التفسير ، باب : ومن سورة الجمعة ، حديث (٣٣٠٧) (٤٨/٩) . والطبري (٩٦/٢٨) .

[١] - في ز ، خ: « و » . [٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز، خ .

ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٦﴾ وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُۥٓ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧﴾ قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمْ ۖ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾

يقول تعالىٰ ذامًّا لليهود الذين أعطوا التوراة وحمّلوها للعمل بها ، فلم يعملوا بها ، مثلهم في ذلك ﴿ **كمثل الحمار يحمل أسفارًا** ﴾ ، أي : كمثل الحمار إذا حمل كتبًا لا يدري ما فيها ، فهو يحملها حملًا حسيًّا ولا يدري ما عليه ، وكذلك هؤلاء في حملهم الكتاب الذي أوتوه ، حفظوه لفظًا ولم يفهموه ، ولا عملوا بمقتضاه ، بل أوّلوه وحرّفوه وبدّلوه ، فهم أسوأ حالًا من الحمير ؛ لأن الحمار لا فهمَ له ، وهؤلاء لهم فهوم لم يستعملوها ؛ ولهذا قال في الآية الأخرىٰ : ﴿ **أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون** ﴾ وقال هاهنا : ﴿ **بئس مثل[١] القوم الذين كذبوا بآيات الله والله لا يهدى القوم الظالمين** ﴾ .

وقال الإمام أحمد رحمه الله (٣) : حدثنا ابن نُمَير ، عن مجالد ، عن الشعبي ، عن ابن عباس ؛ قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **من تكلم يوم الجمعة والإمام يخطب فهو كمثل الحمار يحمل أسفارًا ، والذي يقول له أنصت ليس له جمعة** » .

ثم قال تعالىٰ : ﴿ **قل يا أيها الذين هادوا إن زعمتم أنكم أولياء لله من دون الناس فتمنوا الموت [إن كنتم صادقين** ﴾ أي][٢] : إن كنتم تزعمون أنكم علىٰ هدى ، وأن محمدًا وأصحابه علىٰ ضلالة ، فادعوا بالموت علىٰ الضال من الفئتين ﴿ **إن كنتم صادقين** ﴾ فيما تزعمونه . قال الله تعالىٰ : ﴿ **ولا يتمنونه أبدًا بما قدمت أيديهم** ﴾ ، أي : بما يعملون لهم من الكفر والظلم والفجور ، ﴿ **والله عليم بالظالمين** ﴾ .

وقد قدمنا في « سورة البقرة » الكلام علىٰ هذه المباهلة لليهود ، حيث قال تعالىٰ : ﴿ **قل إن كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة من دون الناس فتمنوا الموت إن كنتم صادقين * ولن يتمنوه أبدًا بما قدمت أيديهم والله عليم بالظالمين * ولتجدنهم أحرص الناس علىٰ حياة ومن الذين أشركوا يود أحدهم لو يُعَمرُ ألف سنة وما هو بمزحزحه من العذاب أن يعمر والله بصير بما يعملون** ﴾ . وقد أسلفنا الكلام هناك ، وبينا أن المراد أن يدعوا علىٰ

---

(٣) - أخرجه أحمد (١/٢٣٠) (٢٠٣٣) . وفي إسناده مجالد بن سعيد وهو ضعيف . قال الهيثمي في المجمع (٢/١٨٧) : رواه أحمد والبزار والطبراني في الكبير وفيه مجالد بن سعيد ، وقد ضعفه الناس ، ووثقه النسائي في رواية .

---

[١] - في ز : « مثلًا » .

[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

الضال من أنفسهم أو خصومهم ، كما تقدمت مباهلة النصارىٰ في آل عمران : ﴿ **فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة اللّٰه علىٰ الكاذبين** ﴾ ومباهلة المشركين في سورة مريم ﴿ **قل من كان في الضلالة فليمدد له الرحمٰن مدًّا** ﴾ .

وقد قال الإمام أحمد(٤) : حدثنا إسماعيل بن يزيد الرقي [ ][١] أبو يزيد حدثنا فرات ، عن عبد الكريم بن مالك الجزري ، عن عكرمة ، عن ابن عباس؛ قال : قال أبو جهل لعنه اللّٰه : إن رأيتُ محمدًا عند الكعبة لآتينَّه حتىٰ أطأ علىٰ عُنُقه . قال : فقال رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **لو فعل لأخذته الملائكة عيانًا ، ولو أن اليهود تمنَّوا الموت لماتوا ورأوا مقاعدهم من النار ، ولو خرج الذين يُباهلون رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم لرجعوا لا[٢] يجدون مالًا ولا أهلًا** » .

رواه البخاري والترمذي والنسائي ، من حديث عبد الرزاق ، عن معمر ، [عن عبد الكريم . قال البخاري : « وتبعه عمرو][٣] بن خالد عن عبيد اللّٰه بن عمرو عن عبد الكريم .

ورواه النسائي أيضًا عن عبد الرحمن بن عبيد اللّٰه الحلبي ، عن عبيد اللّٰه بن عمرو الرقي ، به أتم .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **قل إن الموت الذي تفرون منه فإنه ملاقيكم ثم تردون إلىٰ عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون** ﴾ ، كقوله تعالىٰ في سورة النساء : ﴿ **أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة** ﴾ .

وفي معجم الطبراني(٥) من حديث معاذ بن محمد الهذلي ، عن يونس ، عن الحسن ، عن سمرة مرفوعًا : « **مثل الذي يفر من الموت كمثل الثعلب تطلبه الأرض بدين ، فجاء**

---

(٤) - أخرجه أحمد (٢٤٨/١) (٢٢٢٥) وصححه أحمد شاكر . وأخرجه البخاري في كتاب التفسير ، باب : ﴿ **كلا لئن لم ينته لنسفعن بالناصية ناصية كاذبة خاطئة** ﴾ ، حديث (٤٩٥٨) (٧٢٤/٨) . والترمذي في كتاب تفسير القرآن ، باب : ومن سورة ﴿ **اقرأ باسم ربك** ﴾ ، حديث (٣٣٤٥) (٩/ ٧٨) . والنسائي في الكبرى في كتاب التفسير ، باب : سورة العلق ، حديث (١١٦٨٥) (٥١٨/٦) . كلهم من طريق عبد الرزاق فأخرجوا صدره . وأخرجه النسائي في الكبرى في كتاب التفسير ، باب : ﴿ **ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين** ﴾ ، حديث (١١٠٦١) (٣٠٨/٦) نحو رواية أحمد الأولى .

(٥) - أخرجه الطبراني (٢٦٨/٧) (٦٩٢٢) . قال الهيثمي في « المجمع » (٣٢٣/٢) : رواه الطبراني في الكبير والأوسط وفيه معاذ بن محمد الهذلي ، قال العقيلي : لا يتابع على رفع حديثه .اهـ .

---

[١] - ما بين المعكوفتين في ز ، خ: « حدثنا » . [٢] - في ز ، خ: « ما » .

[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز، خ .

يسعى حتى إذا أعيا وانبهر دخل جحره ، فقالت له الأرض : يا ثعلب ديني . فخرج له حُصَاص فلم يزل كذلك حتى تقطعت عنقه فمات» .

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلْبَيْعَ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝٩ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۝١٠﴾

إنما سميت الجمعة جمعة؛ لأنها مشتقة من الجمع ، فإن أهل الإسلام يجتمعون فيه في كل أسبوع مَرةً بالمعابد الكبار ، وفيه كَمُل جميع الخلائق ، فإنه اليوم السادس من الستة التي خلق الله فيها السماوات والأرض ، وفيه خُلق آدم ، وفيه أُدخل الجنة ، وفيه أخرج منها ، وفيه تقوم الساعة ، وفيه ساعة لا يوافقها عبد مؤمن يسأل الله فيها خيرًا إلا أعطاه إياه ، كما ثبتت[١] بذلك الأحاديث الصحاح .

وقال ابن أبي حاتم(٦) : حدثنا الحسن بن عرفة ، حدثنا عبيدة بن حميد[٢] عن منصور ، عن أبي معشر ، عن إبراهيم ، عن علقمة ، عن قَرْثَع الضبي ، حدثنا سلمان ؛ قال : قال أبو القاسم صلى الله عليه وسلم : **«يا سلمان ؛ ما يوم الجمعة ؟»** قلت : الله ورسوله أعلم . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **«يوم جُمع فيه أبواك - أو : أبوكم -»** . وقد روي عن أبي هريرة من كلامه نحو هذا ، فالله أعلم .

وقد كان يقال له في اللغة القديمة : يوم العروبة ، وثبت أن الأمم قبلنا أمروا به فَضَلوا عنه ، واختار اليهود يوم السبت الذي لم يقع فيه خلقٌ ، واختار النصارى يومَ الأحد الذي ابتدىء فيه الخلق ، واختار الله لهذه الأمة الجمعة الذي أكمل الله فيه الخَلِيقَة ، كما أخرجه البخاري(٧) ومسلم من حديث عبد الرزاق ، عن معمر ، عن همام بن منبه ؛ قال : هذا ما

(٦) - أخرجه الطبراني في الأوسط (١/٢٥٠) (٨٢١) بنحو رواية أبي حاتم وهو عنده مطولًا . والحديث أخرجه أحمد (٥/٤٤٠) ، والنسائي (٣/١٠٤) . كلاهما من طريق القرثع عن سلمان بنحو لفظ الزيادة عند الطبراني .

(٧) - أخرجه البخاري في كتاب التعبير ، باب : النفخ في المنام ، حديث (٧٠٣٦) (١٢/٤٢٣) . ومسلم في كتاب الجمعة ، باب : هداية هذه الأمة ليوم الجمعة ، حديث (٢١/٨٥٥) (٦/٢٠٥) .

[١] - في ز ، خ: «ثبت» . [٢] - في ز ، خ: «حماد» .

حدثنا أبو هُرَيرة؛ قال: قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم: «**نحن الآخرون السابقون يوم القيامة، بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا، ثم هذا يَومُهم الذي فرَض الله عليهم، فاختلفوا فيه، فهدانا الله له، فالناس لنا فيه تَبَعٌ، اليهود غدًا، والنصارىٰ بعد غد**». لفظ البخاري.

وفي لفظ لمسلم[٨]: «**أضل الله عن الجمعة من كان قبلنا، فكان لليهود يوم السبت، وكان للنصارىٰ يوم الأحد، فجاء الله بنا فهدانا ليوم الجمعة، فجعل الجمعة والسبت والأحد، وكذلك هم تبع لنا يوم القيامة، نحن الآخرون من أهل الدنيا، والأولون يوم القيامة، المقضيّ بينهم قبل الخلائق**».

وقد أمر الله المؤمنين بالاجتماع لعبادته يوم الجمعة، فقال: ﴿**يا أيها الذين آمنوا إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلىٰ ذكر الله**﴾، أي: اقصدوا واعمدوا[١] واهتموا في مَسيركم إليها، وليس المراد بالسعي هاهنا المشي السريع، وإنما هو الاهتمام بها، كقوله تعالىٰ: ﴿**ومن أراد الآخرة وسعىٰ لها سعيها وهو مؤمن**﴾ وكان عمر بن الخطاب، وابن مسعود -رضي الله عنهما- يقرآنها ﴿**فامضوا إلى ذكر الله**﴾. فأما المشي السريع إلىٰ الصلاة فقد نهي عنه، لما أخرجاه في الصحيحين[٩] عن أبي هُريرة، عن النبي - صلىٰ الله عليه وسلم. قال: «**إذا سمعتم الإقامة فامشوا إلىٰ الصلاة وعليكم السكينة والوقار ولا تسرعوا، فما أدركتم فصلوا، وما فاتكم فأتموا**». لفظ البخاري.

وعن أبي قتادة قال: بينما نحن نصلي مع النبي صلىٰ الله عليه وسلم إذ سمع جَلبة رجال، فلما صلىٰ قال: «**ما شأنكم؟**» قالوا: استعجلنا إلىٰ الصلاة. قال: «**فلا تفعلوا، إذا أتيتم الصلاة [فامشوا وعليكم بالسكينة][٢]، فما أدركتم فصلوا وما فاتكم فأتموا**». أخرجاه[١٠].

وقال عبد الرزاق[١١]: أخبرنا مَعمر، عن الزهري، عن سعيد بن المسيب، عن أبي هريرة

---

(٨) - أخرجه مسلم في الموضع السابق برقم (٢٢/٨٥٦) (٦/٢٠٦) من حديث حذيفة.

(٩) - أخرجه البخاري في كتاب الأذان، باب: لا يسعى إلى الصلاة، وليأت بالسكينة والوقار، حديث (٦٣٦) (٢/١١٧). وطرفه في [٩٠٨]. ومسلم في كتاب المساجد، باب: استحباب إتيان الصلاة بوقار وسكينة، حديث (٦٠٢) (٥/١٣٨ - ١٤١).

(١٠) - أخرجه البخاري في كتاب الأذان، باب: قول الرجل: فاتتنا الصلاة، حديث (٦٣٥) (٢/١١٦). ومسلم في الموضع السابق، حديث (١٥٥/٦٠٣) (٥/١٤١).

(١١) - أخرجه عبد الرزاق في مصنفه (٢/٢٨٨) (٣٤٠٤).

---

[١] - في ز، خ: «واعتمدوا».

[٢] - ما بين المعكوفتين في ز، خ: «فعليكم السكينة والوقار».

- رضي اللّه عنه - قال : قال رسول اللّه صلىٰ اللّه عليه وسلم : **« إذا أقيمت الصلاة فلا تأتوها تسعون ، ولكن ائتوها تمشون ، وعليكم السكينة والوقار ، فما أدركتم فصلوا ، وما فاتكم فأتموا »** .

رواه الترمذي(١٢) من حديث عبد الرزاق كذلك ، وأخرجه(١٣) من طريق يزيد بن زُريع ، عن معمر ، عن الزهري ، عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة ، بمثله .

قال الحسن : أما واللّه ما هو بالسعي علىٰ الأقدام ، ولقد نُهُوا أن يأتوا الصلاة إلا وعليهم السكينةُ والوقار ، ولكن بالقلوب والنية والخشوع .

وقال قتادة في قوله : **﴿ فاسعوا إلىٰ ذكر اللّه ﴾** ، يعني أن تسعىٰ بقلبك وعملك ، وهو المشي إليها ، وكان يتأول قوله تعالىٰ : **﴿ فلما بلغ معه السعي ﴾** ، أي : المشي معه . وروي عن محمد بن كعب ، وزيد بن أسلم ، وغيرهما ، نحو ذلك .

ويستحَبّ لمن جاء إلىٰ الجمعة أن يغتسل قبل مجيئه إليها ، لما ثبت في الصحيحين(١٤) عن عبد اللّه بن عُمَر أن رسول اللّه صلىٰ اللّه عليه وسلم؛ قال : **« إذا جاء أحدُكم الجمعةَ فَلْيغتسل »** .

ولهما عن أبي سعيد(١٥) - رضي اللّه عنه - قال : قال رسول اللّه صلىٰ اللّه عليه وسلم [ ][١] **« [غُسل يوم الجمعة واجب علىٰ كل مُحتلِم »** .

وعن أبي هُريرة؛ قال : قال رسول اللّه صلىٰ اللّه عليه وسلم :][٢] **« حق للّه علىٰ كل مسلم أن يغتسل في كل سبعة أيام ، يغسل رأسه وجسده »** . رواه مسلم(١٦) .

وعن جابر - رضي اللّه عنه - قال : قال رسول صلىٰ اللّه عليه وسلم : **« علىٰ كل رجل**

---

(١٢) - سنن الترمذي في كتاب الصلاة ، باب : ما جاء في المشي إلى المسجد ، حديث (٣٢٨) (٢/١٠) .

(١٣) - سنن الترمذي في الموضع السابق ، حديث (٣٢٧) (٢/٩ - ١٠) .

(١٤) - أخرجه البخاري في كتاب الجمعة ، باب : فضل الغسل يوم الجمعة ، حديث (٨٧٧) (٢/٣٥٦) ، ومسلم في كتاب الجمعة (١/٨٤٤) (٦/١٨٦) .

(١٥) - صحيح البخاري ، الموضع السابق ، حديث (٨٧٩) (٢/٣٥٧) ، ومسلم في كتاب الجمعة ، باب : وجوب غسل الجمعة على كل بالغ من الرجال ، حديث (٥/٨٤٦) (٦/١٨٨) .

(١٦) - صحيح مسلم في كتاب الجمعة ، باب : الطيب والسواك يوم الجمعة ، حديث (٩/٨٤٩) (٦/١٩٢ - ١٩٣) .

---

[١] - ما بين المعكوفتين في ز ، خ: « قال » .

[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ.

مسلم في كل سبعة أيام غسل يوم ، وهو يوم الجمعة » . رواه أحمد(١٧) ، والنسائي ، وابن حبّان .

وقال الإمام أحمد(١٨) : حدثنا يحيىٰ بن آدم ، حدثنا ابن المبارك ، عن الأوزاعي ، عن حسان بن عطية، عن أبي الأشعث الصنعاني ، عن أوس بن أوس الثقفي؛ قال : سمعت رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم؛ يقول : « **من غسَّل واغتسل يوم الجمعة ، وبكر وابتكر ، ومشىٰ ولم يركب ، ودنا من الإمام واستمع ولم يَلْغُ كان له بكل خطوة أجر سنة ، أجر صيامها وقيامها** » .

وهذا الحديث له طرق وألفاظ ، وقد أخرجه أهل السنن الأربعة وحسنه الترمذي .

وعن أبي هُريرة - رضي اللَّه عنه - أن رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم؛ قال : « **من اغتسل يوم الجمعة غُسل الجنابة ، ثم راح فكأنما قرب بدنة ، ومن راح في الساعة الثانية فكأنما قرب بقرة ، ومن راح في الساعة الثالثة فكأنما قرب كبشًا أقرن ، ومن راح في الساعة الرابعة فكأنما قرب دجاجة ، ومن راح في الساعة الخامسة فكأنما قرب بيضة ، فإذا خرج الإمام حضرت الملائكة يستمعون الذكر** » . أخرجاه[١] (١٩) .

ويستحب له أن يلبس أحسن ثيابه ، ويتطيب ويتسوك ، ويتنظف ويتطهر . وفي حديث أبي سعيد(٢٠) المتقدم : « **غسلُ يوم الجمعة واجب علىٰ كل محتلم ، والسواكُ ، وأن يَمس من طيب أهله** » .

وقال الإمام أحمد (٢١) : حدثنا يعقوب ، حدثنا أبي ، عن محمد بن إسحاق ، حدثني

---

(١٧) - أخرجه أحمد (٣٠٤/٣) (١٤٣٠٧) . والنسائي (٩٣/٣) كتاب الجمعة ، باب : إيجاب الغسل يوم الجمعة . وابن حبان (٢١/٤) (١٢١٩) .

(١٨) - أخرجه أحمد (٩/٤) . وأبو داود في كتاب الطهارة ، باب : في الغسل يوم الجمعة ، حديث (٣٤٥) (٩٥/١) . والترمذي في كتاب الصلاة ، باب : ما جاء في فضل الغسل يوم الجمعة ، حديث (٤٩٦) (١٢٨/٢ - ١٢٩) ، والنسائي (٩٥/٣ - ٩٦) كتاب الجمعة ، باب : فضل غسل يوم الجمعة . وابن ماجة في كتاب : الإقامة ، باب : ما جاء في الغسل يوم الجمعة ، حديث (١٠٨٧) (٣٤٦/١) . قال الترمذي : حديث حسن . وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٣٣٣، ٣٣٤) .

(١٩) - أخرجه البخاري في كتاب الجمعة ، باب : فضل الجمعة ، حديث (٨٨١) (٣٦٦/٢) .
ومسلم في كتاب الجمعة ، باب : الطيب والسواك يوم الجمعة ، حديث (١٠/٨٥٠) (١٩٣/٦) .

(٢٠) - تقدم تخريجه برقم (٢٤) .

(٢١) - أخرجه أحمد (٤٢٠/٥) (٢٣٦٧٩) . =

---

[١] - سقط من : ز، خ .

محمد بن إبراهيم التيمي ، عن عمران بن أبي يحيىٰ ، عن عبد الله بن كعب بن مالك ، عن أبي أيوب الأنصاري سمعت رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم؛ يقول : « **من اغتسل يوم الجمعة ومَس من طيب أهله**[١] **- إن كان عنده - ولبس من أحسن ثيابه ، ثم خرج حتىٰ يأتي المسجد فيركع - إن بدا له - ولم يؤذِ أحدًا ، ثم أنصت إذا خرج إمامه حتىٰ يصلي، كانت كفارة لما بينها وبين الجمعة الأخرىٰ** » .

وفي سنن أبي داود(٢٢) ، وابن ماجة ، عن عبد الله بن سلام - رضي الله عنه - أنه سمع رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم يقول علىٰ المنبر : « **ما علىٰ أحدكم لو اشترىٰ ثوبين ليوم الجمعة سوىٰ ثوبي مَهْنَتِه** » .

وعن عائشة - رضي الله عنها - أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم خطب الناس يوم الجمعة ، فرأىٰ عليهم ثياب النّمار؛ فقال : «**ما على أحدكم إن وجد سعة أن يتخذ ثوبين لجمعته سوى ثوبي مهنته**» . رواه ابن ماجة(٢٣) .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **إذا نودي للصلاة** ﴾ : المراد بهذا النداء هو النداء الثاني الذي كان يفعل بين يدي رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم إذا خرج فجلس علىٰ المنبر ، فإنه كان حينئذ يؤذن بين يديه ، فهذا هو المراد ، فأما النداء الأول الذي زاده أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه فإنما كان هذا لكثرة الناس ، كما رواه البخاري(٢٤) رحمه الله حيث قال : حدثنا آدم - هو ابن أبي إياس - حدثنا ابن أبي ذئب ، عن الزهري ، عن السائب بن[٢] يزيد؛ قال : «كان النداء يوم الجمعة أولهُ إذا جلس الإمام علىٰ المنبر علىٰ عهد رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم وأبي بكر وعمر ، فلما كان عثمان بعد زمن وكثر الناس زاد النداء الثاني على الزوراء» يعني: يؤذن به على الدار التي تسمى بالزوراء[٣] ، وكانت أرفعَ دار[٤]

= قال الهيثمي في « المجمع » (١٧٤/٢) : رواه أحمد والطبراني في الكبير ورجاله ثقات .

(٢٢) - أخرجه أبو داود في كتاب الصلاة ، باب : اللبس للجمعة ، حديث (١٠٧٨) (٢٨٣/١) . وابن ماجة في كتاب الإقامة ، باب : ما جاء في الزينة يوم الجمعة ، حديث (١٠٩٥) (٣٤٨/١) . وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٩٥٣) .

(٢٣) - أخرجه ابن ماجة في كتاب الإقامة ، باب : ما جاء في الزينة يوم الجمعة ، حديث (١٠٩٦) . وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجة (٨٩٩) .

(٢٤) - أخرجه البخاري في كتاب الجمعة ، باب : الأذان يوم الجمعة ، حديث (٩١٢) (٣٩٣/٢) . وأطرافه في [٩١٣، ٩١٥، ٩١٦] .

[١] - سقط من : ز، خ .

[٢] - في ز ، خ: « عن » .

[٣] - في ت : « الزوراء » .

[٤] - في ز ، خ: « دارًا » .

بالمدينة بقرب المسجد .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا أبو نعيم ، حدثنا محمد بن راشد المكحولي[١] ، عن مكحول ؛ أن النداء كان في يوم[٢] الجمعة مؤذن واحد حين يخرج الإمام ، ثم تقام الصلاة ، وذلك النداء الذي يحرم عنده[٣] البيع والشراء إذا نودي به ، فأمر عثمان - رضي الله عنه - أن ينادىٰ قبل خروج الإمام حتىٰ يجتمع الناس .

وإنما يؤمر بحضور الجمعة الأحرار دون النساء والعبيد والصبيان ، ويعذر المسافر والمريض ، وقيّم المريض ، وما أشبه ذلك من الأعذار ، كما هو مقرر في كتب الفروع .

وقوله : ﴿ **وذروا البيع** ﴾ ، أي : اسعوا إلىٰ ذكر الله واتركوا البيع إذا نودي للصلاة ، ولهذا اتفق العلماء علىٰ تحريم البيع بعد النداء الثاني . واختلفوا ، هل يصح إذا تعاطاه متعاط أم لا ؟ علىٰ قولين ، وظاهر الآية عدم الصحة كما هو مقرر في موضعه ، والله أعلم .

وقوله : ﴿ **ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون** ﴾ ، أي : ترككم البيع وإقبالكم إلىٰ ذكر الله وإلىٰ الصلاة - خير لكم ، أي : في الدنيا والآخرة إن كنتم تعلمون .

وقوله : ﴿ **فإذا قضيت الصلاة** ﴾ ، أي : فُرغ منها ، ﴿ **فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله** ﴾ : لمَّا حَجَر عليهم في التصرف بعد النداء وأمرهم بالاجتماع ، أذن لهم بعد الفراغ في الانتشار في الأرض والابتغاء من فضل الله . كان عِرَاك بن مالك رضي الله عنه إذا صلىٰ الجمعة انصرف فوقف علىٰ باب المسجد ، فقال : اللّهم ؛ أجبتُ دعوتَك ، وصليتُ فريضتك ، وانتشرت كما أمرتني ، فارزقني من فضلك ، وأنت خير الرازقين . رواه ابن أبي حاتم .

ورُوي أيضًا[٤] عن بعض السلف أنه قال : من باع واشترىٰ في يوم الجمعة بعد الصلاة ، بارك الله له سبعين مرة ، لقول الله تعالىٰ : ﴿ **فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله** ﴾ .

وقوله : ﴿ **واذكروا الله كثيرًا لعلكم تفلحون** ﴾ ، أي : في حال بيعكم وشرائكم ، وأخذكم وعَطَائكم ، اذكروا الله ذكرًا كثيرًا ، ولا تشغلكم الدنيا عن الذي ينفعكم في الدار الآخرة ؛ ولهذا جاء في الحديث : « **من دخل سوقًا من الأسواق فقال : لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، [له الملك]**[٥] **، وله الحمد ، وهو علىٰ كل شيء قدير - كُتِبَتْ له**

---

[١] - في ز ، خ: « المكحول »

[٢] - سقط من : ز ، خ.

[٣] - في ز ، خ: « عند » .

[٤] - سقط من : ت .

[٥] - ما بين المكوفتين سقط من : ز، خ .

ألفُ ألف حَسنة ، ومُحي عنه ألفُ ألف سَيئة »(٢٥) .

وقال مجاهد : لا يكون العبد من الذاكرين اللّه كثيرًا حتىٰ يذكر اللّه [قائمًا و][١] قاعدًا ومضطجعًا .

﴿ وَإِذَا رَأَوْاْ تِجَٰرَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوٓاْ إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَآئِمًا ۚ قُلْ مَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ ٱللَّهْوِ وَمِنَ ٱلتِّجَٰرَةِ ۚ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿١١﴾ ﴾

يعاتب تبارك وتعالىٰ علىٰ ما كان وقع من الانصراف عن الخطبة يوم الجمعة إلىٰ التجارة التي قدمت المدينة يومئذ ، فقال تعالىٰ : **﴿ وإذا رأوا تجارة أو لهوًا انفضوا إليها وتركوك قائمًا ﴾** ، أي : علىٰ المنبر تخطب . هكذا ذكره غير واحد من التابعين ، منهم : أبو العالية ، والحسن ، وزيد بن أسلم ، وقتادة .

وزعم مقاتل بن حيان أن التجارة كانت لدحية بن خليفة قبل أن يسلم ، وكان معها طبل ، فانصرفوا إليها وتركوا رسول اللّه صلىٰ اللّه عليه وسلم قائمًا علىٰ المنبر إلا القليل منهم . وقد صَحّ بذلك الخبر ، فقال الإمام أحمد (٢٦) :

حدثنا ابن إدريس ، عن حُصَين ، عن سالم بن أبي الجعد ، عن جابر ؛ قال : قَدمت عِيرٌ المدينةَ ، ورسول اللّه صلىٰ اللّه عليه وسلم يخطب ، فخرج الناس وبقي اثنا عشر رجلًا ؛

---

(٢٥) - أخرجه أحمد (٤٧/١) (٣٢٧) ، والترمذي في كتاب الدعوات ، باب : ما يقول إذا دخل السوق ، حديث (٣٤٢٤، ٣٤٢٥) (١٢٧/٩ - ١٢٨) . وابن ماجة في كتاب التجارات ، باب : الأسواق ودخولها ، حديث (٢٢٣٥) (٧٥٢/٢) . والدارمي في كتاب الاستئذان ، باب : ما يقول إذا دخل السوق ، حديث (٢٦٩٥) (٢٠٣/٢ - ٢٠٤) ، وعبد بن حميد (٢٨) كلهم من حديث عمر - رضي الله عنه - قال الترمذي : هذا حديث غريب . وقد رواه عمرو بن دينار وهو قهرمان آل الزبير عن سالم عن عبد الله هذا الحديث نحوه .

وعمرو بن دينار هذا هو شيخ بصري ، تكلم فيه بعض أصحاب الحديث من غير هذا الوجه ، ورواه يحيى ابن سليم الطائفي عن عمران بن مسلم عن عبد الله بن دينار عن ابن عمر عن النبي - صلى الله عليه وسلم - ولم يذكر فيه عن عمر .اهـ .

والحدث أخرجه الحاكم (٥٣٨/١) وصححه .

قال المنذري في الترغيب والترهيب (٥١٨/٢) : قال المحلي : ورواه الحاكم أيضًا من حديث عبد الله بن عمر مرفوعًا أيضًا ، وقال : صحيح الإسناد كذا قال . وفي إسناده مرزوق بن المرزبان يأتي الكلام عليه . اهـ . والحديث ضعفه أحمد شاكر في تعليقه على المسند .

(٢٦) - أخرجه أحمد (٣١٣/٣) (١٤٣٩٧) .

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

فنزلت ﴿ وإذا رأوا تجارة أو لهوًا انفضوا إليها ﴾ أخرجاه في الصحيحين(٢٧) ، من حديث سالم به .

وقال الحافظ أبو يعلىٰ(٢٨) : حدثنا زكريا بن يحيىٰ ، حدثنا هُشَيم ، عن حُصَين عن سالم بن أبي الجعد ، وأبي سفيان عن جابر بن عبد الله ؛ قال : بينا النبي صلىٰ الله عليه وسلم يخطب يوم الجمعة ، فقدمت عِيرٌ إلىٰ المدينة ، فابتدرها أصحابُ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم حتىٰ لم يبق مع رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم - إلا اثنا[١] عشر رجلًا ، فقال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « والذي نفسي بيده ، لو تتابعتم حتىٰ لم يبق منكم أحد ، لسال بكم الوادي نارًا » . ونزلت هذه الآية : ﴿ وإذا رأوا تجارة أو لهوا انفضوا إليها وتركوك قائمًا ﴾، وقال : كان[٢] في الاثني عشر الذين ثَبَتُوا مع رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم: أبو بكر وعمر، رضي الله عنهما .

وفي قوله تعالى : ﴿ وتركوك قائمًا ﴾ ، دليل علىٰ أن الإمام يخطب يوم[٣] الجمعة قائمًا . وقد رَوَىٰ مسلم(٢٩) في صحيحه عن جابر بن سَمُرَةَ ؛ قال : كانت للنبي صلىٰ الله عليه وسلم خطبتان يجلس بينهما ، يقرأ القرآن ويذكر الناس .

لكن هاهنا شيئ[٤] ينبغي أن يُعلَم ، وهو أن هذه القصة قد قيل : إنها كانت لما كان رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم يقدّم الصلاة يوم الجمعة علىٰ الخطبة ، كما رواه أبو داود(٣٠) في كتاب المراسيل حدثنا محمود بن خالد ، عن الوليد ، أخبرني أبو معاذ بُكير بن معروف ، أنه سمع مُقاتل بن حَيَّان ؛ يقول : كان رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم يصلي يوم الجمعة قبل الخطبة مثل العيدين ، حتىٰ إذا كان يومٌ والنبي صلىٰ الله عليه وسلم يخطب ، وقد صلىٰ الجمعة ، فدخل رجل فقال : إن دحيةَ بن خليفةَ قد قَدمَ بتجارة . يعني : فانفضوا[٥] ولم يبق[٦] معه إلا نفر يسير.

---

(٢٧) - والبخاري في كتاب البيوع ، باب : قول الله عز وجل : ﴿ وإذا رأوا تجارة أو لهوًا انفضوا إليها ﴾ ، حديث (٢٠٥٨) (٤/٢٩٦) وطرفه في [٤٨٩٩] . ومسلم في كتاب الجمعة ، باب : في قوله تعالى : ﴿ وإذا رأوا تجارة أو لهوًا انفضوا إليها ﴾ ، حديث (٨٦٣/٣٦) (٦/٢١٥) .

(٢٨) - وأبو يعلى (٣/٤٦٨ - ٤٦٩) (١٩٧٩) .

(٢٩) - أخرجه مسلم في كتاب الجمعة ، باب : ذكر الخطبتين قبل الصلاة ، وما فيهما من الجلسة ، حديث (٨٦٢/٣٤) (٦/٢١٣) .

(٣٠) - أخرجه أبو داود في المراسيل (١٠٤ - ١٠٥) (٦٢) .

---

[١] - في ز ، خ: « اثنى » .

[٢] - سقط من : ز، خ .

[٣] - سقط من : ز ، خ.

[٤] - سقط من : ز ، خ.

[٥] - في ز ، خ: « فانقضوا » .

[٦] - في ت : « يبقى » .

وقوله : ﴿ **قل ما عند الله** ﴾ ، أي : الذي عند الله من الثواب في الدار الآخرة ﴿ **خير من اللهو ومن التجارة ، والله خير الرازقين** ﴾ ، أي : لمن توكل عليه ، وطلب الرزق في وقته .

[**آخر تفسير سورة الجمعة ، ولله الحمد والمنة**] .

☆ ☆ ☆

انتهى بحمد الله تعالىٰ وحسن توفيقه المجلد الثالث عشر

ويليه بعون الله تعالىٰ المجلد الرابع عشر

وأوله سورة المنافقون

الفهرست

تفسير سورة الأحقاف ٥
وفد الجن الذين استمعوا القرآن ٢٩
تفسير سورة محمد ٥٨
تفسير سورة الفتح ٨٤
ذكر سبب البيعة ٩٤
فضل أصحاب الرسول ﷺ ١١١
قصة صلح الحديبية ١١٤
تفسير سورة الحجرات ١٣٦
آداب أدَّب اللهُ بها عباده المؤمنين ١٣٦
الأمر بالتثبت في خبر الفاسق ١٤٤
الأمر بالإصلاح بين المسلمين الباغين ١٥٠
النهي عن السخرية بالناس ١٥٤
النهي عن كثير من الظن ١٥٥
تفسير سورة ق ١٧٧
هلاك القوم المنكرين ٢٠١
تفسير سورة الذاريات ٢٠٧
صفات المتقين ٢١١
تفسير سورة الطور ٢٣٥
حال السعداء في الآخرة ٢٣١
عناد المشركين والمكابرة للأشياء المحسوسة ٢٤٦
هذا نزير - يعني محمد ﷺ ٢٨٣
تفسير سورة القمر ٢٨٦
تفسير سورة الرحمن ٣١٢
خلق الإنسان وخلق الجان ٣١٧
يخبر تعالى أن جميع أهل الأرض سيموتون أجمعون ٣٢٠
تفسير سورة الواقعة ٣٤٥
صفة الجنة وأهلها ٣٦٣
صفة النار وأهلها ٣٨٠
أحوال الناس عند احتضارهم ثلاثة أحوال ٣٩٦

تفسير سورة الحديد ٤٠١
تفسير سورة المجادلة ٤٤١
يخبر تعالى عمن شاقوا الله ورسوله وعاندوا شرعه ٤٥١
تأديب الله لعباده المؤمنين ٤٥٦
يقول تعالى مخبرًا عن الكفار المعاندين لله ورسوله ٤٦٧
تفسير سورة الحشر ٤٧١
تبيين مال الفيئ وما صفته ٤٨٢
تبيين مال الفقراء المستحقين لمال الفيئ ٤٨٧
أخبار الله عن المنافقين ٤٩٥
تعظيم أمر القرآن وعلو قدره ٥٠١
أسماء الله الحسنى ٥٠٤
تفسير سورة الممتحنة ٥٠٦
مبايعة النساء ٥٢٥
النهي عن موالاة الكافرين ٥٣٦
تفسير سورة الصف ٥٣٨
إن الله يأمر عباده أن يكونوا أنصار الله في جميع أحوالهم ٥٥٠
تفسير سورة الجمعة ٥٥٣
الفهرست ٥٦٧

الفاروق الحديثة للطباعة والنشر هاتف: ٤٣٠٧٥٢٦-٢٠٥٥٦٨٨ القاهرة